

فتح الباري

بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

برواية أبي ذر الهروي
عن مشايخه الثلاثة السرخسي والمستملي والكشميني

للإمام الحافظ
أحمد بن علي بن حمر
العسقلاني
(٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)

الجزء السادس

تقديم وتحقيق وتعليق
عبد القادر شيبه أحمد

عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا

بالجامعة الإسلامية سابقاً

والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

طبع على نفقة

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
حفظه الله في موازين حسناته وأمه بقرنته

ح) عبدالقادر شيبه الحمد، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي

فتح الباري شرح صحيح البخاري / تحقيق عبدالقادر شيبه الحمد - الرياض.

٧٤٢ ص، ٢٨×٢١ سم

ردمك: ٨-٧٩٧-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

X-٧٩٦-٢٠-٩٩٦٠ (ج٦)

٢- الحديث - شرح

١- الحديث الصحيح

ب- العنوان

أ- شيبه الحمد، عبدالقادر (محقق)

٢١ / ٣٣٨٩

ديوي ١، ٢٣٥

ردمك: ٨-٧٩٧-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ٢١ / ٣٣٨٩

X-٧٩٦-٢٠-٩٩٦٠ (ج٦)

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ / ٢٠٠١م



فضل الجهاد والسير

قوله (كتاب الجهاد) كذا لابن شويه ، وكذا للنسفي لكن قدم البسملة ، وسقط « كتاب » للباقيين واقتصروا على « باب فضل الجهاد » لكن عند القابسي « كتاب فضل الجهاد » ولم يذكر باب ، ثم قال بعد أبواب كثيرة « كتاب الجهاد » باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وسيأتي . والجهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة ، يقال : جهدت جهاداً بلغت المشقة . وشرعاً : بذل الجهد في قتال الكفار ، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق . فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها ، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات ، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب ، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب ، وقد روى النسائي من حديث سبرة - بفتح المهملة وسكون الموحدة - ابن الفاكه - بالفاء وكسر الكاف بعدها هاء - في أثناء حديث طويل قال « فيقول - أي الشيطان - يخاطب الإنسان : تجاهد فهو جهد النفس والمال . واختلف في جهاد الكفار هل كان أولاً فرض عين أو كفاية . وسيأتي البحث فيه في « باب وجوب النفير » .

وقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

قال ابن عباس الحُدُودُ : الطَّاعَةُ .

٢٦٩٤ - حدثني الحسن بن صباح قال حدثنا محمد بن سابق قال حدثنا مالك بن مغول قال سمعت الوليد بن العيزار ذكر عن أبي عمرو الشيباني قال : عبد الله بن مسعود : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله ، أي العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على ميقاتها » .

قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». فسكت عن رسول الله صلى الله عليه، ولو استزدته لزدني.

[٢٧٨٣] ٢٦٩٥ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا يحيى بن سعيد قال حدثنا سفيان قال حدثني منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، فإذا استنفرتم فانفروا».

[٢٧٨٤] ٢٦٩٦ - حدثنا مسدد قال حدثنا خالد قال حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لكن أفضل الجهاد حج مبرور».

[٢٧٨٥] ٢٦٩٧ - حدثنا إسحاق قال أخبرنا عفان قال حدثنا همام قال حدثنا محمد بن جحادة قال أخبرني أبو حصين أن ذكوان حدثه أن أبا هريرة حدثه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه فقلت: دُلني على عمل يعدل الجهاد. قال: «لا أجده». قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟». قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله، فيكتب له حسنات.

قوله (باب فضل الجهاد والسير) بكسر المهملة وفتح التحتانية جمع سيرة، وأطلق ذلك على أبواب الجهاد لأنها متلقة من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته.

قوله (وقول الله تعالى: ﴿إِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْ يَكُونُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾) الآيتين إلى قوله ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كذا للنسائي وابن شويه، وساق في رواية الأصيلي وكريمة الآيتين جميعاً، وعند أبي ذر إلى قوله ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ ثم قال: إلى قوله ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والمراد بالمبايعة في الآية ما وقع في ليلة العقبة من الأنصار أو أعم من ذلك، وقد ورد ما يدل على الاحتمال الأول عند أحمد عن جابر، وعند الحاكم في «الإكليل» عن كعب بن مالك، وفي مرسل محمد بن كعب قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم. قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنة. قالوا: ربيع البيع، لا تقبل ولا نستقبل، فنزل ﴿إِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْ يَكُونُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية.

قوله (قال ابن عباس: الحدود الطاعة) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه في قوله ﴿تلك حدود الله﴾ يعني طاعة الله، وكأنه تفسير باللازم، لأن من أطاع وقف عند أمثال أمره واجتناب نهيته ثم ذكر المصنف في الباب أربعة أحاديث: الأول حديث ابن مسعود «أى العمل أفضل» وقد تقدم

الكلام عليه في المواقيت ، وأغرب الداودي فقال في شرح هذا الحديث : إن أوقع الصلاة في ميقاتها كان الجهاد مقدماً على بر الوالدين ، وإن أخرها كان البر مقدماً على الجهاد . ولا أعرف له في ذلك مستنداً ، فالذي يظهر أن تقديم الصلاة على الجهاد والبر لكونها لازمة للمكلف في كل أحيانه ، وتقديم البر على الجهاد لتوقفه على إذن الأبوين . وقال الطبري : إنما خص صلى الله عليه وسلم هذه الثلاثة بالذكر لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات ، فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤنتها عليه وعظيم فضلها فهو لما سواها أضيع ، ومن لم يبر والدبه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل برآ ، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك ، فظهر أن الثلاثة تجتمع في أن من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع . الثاني حديث ابن عباس « لا هجرة بعد الفتح » وسيأتي شرحه بعد أبواب في « باب وجوب النفير » . الثالث حديث عائشة « جهادكن الحج » وقد تقدم شرحه في كتاب الحج ، ووجه دخوله في هذا الباب من تقريره صلى الله عليه وسلم لقوله « نرى الجهاد أفضل الأعمال » . الرابع :

قوله (حدثنا إسحق) كذا للأكثر غير منسوب ، وللأصيلي وابن عساكر « حدثنا إسحق بن منصور » وأما أبو علي الجبائي فقال : لم أره منسوباً لأحد ، وهو إما ابن راهويه أو ابن منصور .

قوله (جاء رجل) لم أقف على اسمه .

قوله (قال لا أجده) هو جواب النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله « قال هل تستطيع » كلام مستأنف . ولمسلم من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه بلفظ « قيل ما يعدل الجهاد ؟ قال : لا تستطيعونه : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثة كل ذلك يقول : لا تستطيعونه . وقال في الثالثة « مثل الجهاد في سبيل الله » الحديث . وأخرج الطبراني نحر هذا الحديث من حديث سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه وقال في آخره « لم يبلغ العشر من عمله » وسيأتي بقية الكلام عليه في الباب الذي يليه .

قوله (قال ومن يستطيع ذلك) في رواية أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان « قال لا أستطيع ذلك » وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد في سبيل الله تقتضي أن لا يعدل الجهاد شيء من الأعمال ، وأما ما تقدم في كتاب العيدين من حديث ابن عباس مرفوعاً « ما العمل في أيام أفضل منه في هذه - يعني أيام العشر - قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد ، فيحتمل أن يكون عموم حديث الباب خص بما دل عليه حديث ابن عباس ، ويحتمل أن يكون الفضل الذي في حديث الباب مخصوصاً بمن خرج قاصداً المخاطرة بنفسه وماله فأصيب كما في بقية حديث ابن عباس « خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء » ففهمه أن من رجع بذلك لا ينال الفضيلة المذكورة . لكن يشكل عليه ما وقع في آخر حديث الباب « وتوكل الله للمجاهد الخ » ويمكن أن يجاب بأن الفضل المذكور أولاً خاص بمن لم يرجع ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون لمن يرجع أجر في الجملة كما سيأتي البحث فيه في الذي بعده . وأشد مما تقدم في الإشكال ما أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد وصححه الحاكم من حديث أبي الدرداء مرفوعاً « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها

في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى. قال: ذكر الله، فإنه ظاهر في أن الذكر بمجرد أفضل من أبلغ ما يقع للمجاهد وأفضل من الإنفاق مع ما في الجهاد والنفقة من النفع المتعدى. قال عياض: اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد، لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد علها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «لا تستطيع ذلك» وفيه أن الفضائل لا تدرك بالقياس وإنما هي إحسان من الله تعالى لمن شاء، واستدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً لما تقدم تقريره. وقال ابن دقيق العيد: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك والله أعلم.

قوله (قال أبو هريرة إن فرس المجاهد ليستن) أي يمرح بنشاط ، وقال الجوهرى هو أن يرفع يديه ويطحهما معا ، وقال غيره أن يلج في عدوه مقبلاً أو مدبراً . وفي المثل « استنت الفصال حتى القرعى » يضرب لمن يتشبه بمن هو فوقه ، وقوله « فى طوله » بكسر المهملة وفتح الواو وهو الحبل الذى يشد به الدابة ويمسك طرفه ويرسل فى المرعى ، وقوله « فيكتب له حسنات » بالنصب على أنه مفعول ثان أى يكتب له الاستئان حسنات ، وهذا القدر ذكره أبو حصين عن أبي صالح هكذا موقوفاً ، وسيأتى بعد بضعة وأربعين باباً فى « باب الخيل ثلاثة » من طريق زيد بن أسلم عن أبي صالح مرفوعاً ، ويأتى بقية الكلام عليه مستوفى هناك إن شاء الله تعالى .

بى

أفضل الناس مؤمنٌ مجاهدٌ بنفسه وماله في سبيل الله

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ إلى: ﴿ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ ﴾ .

[٢٧٨٦] ٢٦٩٨ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني عطاء بن يزيد أن أبا سعيد حدثه قال: قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه: «مؤمنٌ يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله». قالوا: ثم من؟ قال: «مؤمنٌ في شعبٍ من الشعب يتقي الله ويدع الناس من شره».

[الحديث ٢٧٨٦ - طرفه في: ٦٤٩٤].

[٢٧٨٧] ٢٦٩٩ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب

أنَّ أبا هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه قال: «مثلُ المجاهدِ في سبيلِ الله -والله أعلمُ- بمن يُجاهدُ في سبيله- كمثلِ الصَّائمِ القائمِ. وتوَكَّلَ اللهُ للمُجاهدِ في سبيله بأن يتوفَّاهُ أن يُدخله الجنةَ أو يرجعه سالماً مع أجرٍ أو غنيمةٍ».

قوله (باب أفضل الناس مؤمن مجاهد) في رواية الكشميني « يجاهد » بلفظ المضارع :

قوله (وقوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة) أى تفسير هاتين الآيتين ، وقد روى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير « أن هذه الآية لما نزلت قال المسلمون : لو علمنا هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين ، فنزلت : ﴿ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون ﴾ الآية » هكذا ذكره مرسل ، وروى هو والطبري من طريق قتادة قال « لولا أن الله بينها ودل عليها لتلف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها حتى يطلبونها » .

قوله (قيل يا رسول الله) لم أقف على اسمه ، وقد تقدم أن أبا ذر سأله عن نحو ذلك .

قوله (أى الناس أفضل) في رواية مالك من طريق عطاء بن يسار مرسل ، ووصله الترمذي والنسائي وابن حبان من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن عن عطاء بن يسار عن ابن عباس « خير الناس منزلاً » وفي رواية للحاكم « أى الناس أكمل إيماناً » وكأن المراد بالمؤمن من قام بما تعين عليه القيام به ثم حصل هذه الفضيلة ، وليس المراد من اقتصر على الجهاد وأهل الواجبات العينية ، وحينئذ فيظهر فضل المجاهد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى ، ولما فيه من النفع المتعدى ، وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه في الفضيلة لأن الذى يخالط الناس لا يسلم من ارتكاب الآثام فقد لا ينفى هذا بهذا ، وهو مقيد بوقوع الفتن .

قوله (مؤمن في شعب) في رواية مسلم من طريق معمر عن الزهري « رجل معتزل » .

قوله (يتق الله) في رواية مسلم من طريق الزبيدي عن الزهري « يعبد الله » وفي حديث ابن عباس « معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور الناس » وللترمذي وحسنه والحاكم وصححه من طريق ابن أبي ذئاب عن أبي هريرة « أن رجلاً من شعب فيه عين عذبة ، فأعجبه فقال : لو اعتزلت ، ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً » وفي الحديث فضل الانفراد لما فيه من السلامة من الغيبة واللغو ونحو ذلك ، وأما اعتزال الناس أصلاً فقال الجمهور : محل ذلك عند وقوع الفتن كما سيأتي بسطه في كتاب الفتن ، ويؤيد ذلك رواية بعجة ابن عبد الله عن أبي هريرة مرفوعاً « يأتي على الناس زمان يكون خير الناس فيه منزلة من أخذ بعنان فرسه في سبيل الله يطلب الموت في مظانه ، ورجل في شعب من هذه الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويدع الناس إلا من خير » أخرجه مسلم وابن حبان من طريق أسامة بن زيد الليثي عن بعجة ، وهو بموحدة وجيم مفتوحين بينهما مهملة ساكنة ، قال ابن عبد البر : إنما أوردت هذه الأحاديث بذكر الشعب والجبل لأن ذلك في الأغلب يكون خالياً من الناس ، فكل موضع يبعد على الناس فهو داخل في هذا المعنى .

قوله (مثل المجاهد في سبيل الله ، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله) فيه إشارة إلى اعتبار الإخلاص ، وسيأتي بيانه في حديث أبي موسى بعد اثني عشر باباً .

قوله (كمثل الصائم القائم) ، ولمسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة « كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام ، زاد النسائي من هذا الوجه « الخاشع الراكع الساجد » وفي الموطأ وابن حبان « كمثل الصائم القائم الدائم الذي لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع ، ولأحمد والبخاري من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم نهاره القائم ليله » وشبه حال الصائم القائم بحال المجاهد في سبيل الله في نيل الثواب في كل حركة وسكون لأن المراد من الصائم القائم من لا يفتر ساعة عن العبادة فأجره مستمر ، وكذلك المجاهد لا تضع ساعة من ساعاته بغير ثواب لما تقدم من حديث « أن المجاهد لتستن فرسه فيكتب له حسنات » وأصرح منه قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ﴾ الآيتين .

قوله (وتوكل الله الخ) تقدم معناه مفرداً في كتاب الإيمان من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة وسياقه أتم ، ولفظه « انتدب الله » ، ولمسلم من هذا الوجه بلفظ « تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج به إلا إيمان بي » وفيه التفات وإن فيه انتقالاً من ضمير الحضور إلى ضمير الغيبة . وقال ابن مالك : فيه حذف القول والاكتفاء بالمقول ، وهو سائغ شائع سواء كان حالاً أو غير حال ، فمن الحال قوله تعالى ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت ﴾ أي قائلين ربنا ، وهذا مثله أي قائلًا لا يخرج به الخ ، وقد اختلفت الطرق عن أبي هريرة في سياقه ، فرواه مسلم من طريق الأعرج عنه بلفظ « تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج به من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته » وسيأتي كذلك من طريق أبي الزناد في كتاب الخمس ، وكذلك أخرجه مالك في الموطأ عن أبي الزناد في كتاب الخمس ، وأخرجه الدارمي من وجه آخر عن أبي الزناد بلفظ « لا يخرج به إلا الجهاد في سبيل الله وتصديق كلماته » ، نعم أخرجه أحمد والنسائي من حديث ابن عمر ، فوقع في روايته التصريح بأنه من الأحاديث الإلهية ، ولفظه « عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه قال : أيما عبد من عبادي خرج مجاهداً في سبيل ابتغاء مرضاتي ضمننت له إن رجعته أن أرجعه بما أصاب من أجر أو غنيمة » الحديث رجاله ثقات ، وأخرجه الترمذي من حديث عبادة بلفظ « يقول الله عز وجل : المجاهد في سبيلي هو عليّ ضامن إن رجعته رجعت به بأجر أو غنيمة » الحديث وصححه الترمذي ، وقوله « تضمن الله وتكفل الله وانتدب الله » بمعنى واحد ، ومحصله تحقيق الوعد المذكور في قوله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ وذلك التحقيق على وجه الفضل منه سبحانه وتعالى ، وقد عبر صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى بتفضيله بالثواب بلفظ الضمان ونحوه مما جرت به عادة المخاطبين فيما تظمن به نفوسهم ، وقوله « لا يخرج به إلا الجهاد » نص على اشتراط خلوص النية في الجهاد ، وسيأتي بسط القول فيه بعد أحد عشر باباً ، وقوله « فهو عليّ ضامن » أي مضمون ، أو معناه أنه ذو ضمان .

قوله (بأن يتوفاه أن يدخله الجنة) أي بأن يدخله الجنة إن توفاه ، في رواية أبي زرعة الدمشقي عن أبي اليان « أن توفاه » بالشرطية والفعل الماضي أخرجه الطبراني وهو أوضح .

قوله (أن يدخله الجنة) أى بغير حساب ولا عذاب ، أو المراد أن يدخله الجنة ساعة موته ، كما ورد « أن أرواح الشهداء تسرح فى الجنة » وبهذا التقرير يندفع إيراد من قال : ظاهر الحديث التسوية بين الشهيد والراجع سالماً لأن حصول الأجر يستلزم دخول الجنة ، ومحصل الجواب أن المراد بدخول الجنة دخول خاص .
قوله (أو يرجعه) بفتح أوله ، وهو منصوب بالعطف على يتوفاه .

قوله (مع أجر أو غنيمة) أى مع أجر خالص إن لم يغنم شيئاً أو مع غنيمة خالصة معها أجر ، وكأنه سكت عن الأجر الثانى الذى مع الغنيمة لنقصه بالنسبة إلى الأجر الذى بلا غنيمة ، والحامل على هذا التأويل أن ظاهر الحديث أنه إذا غنم لا يحصل له أجر ، وليس ذلك مراداً بل المراد أو غنيمة معها أجر أنقص من أجر من لم يغنم ، لأن القواعد تقتضى أنه عند عدم الغنيمة أفضل منه وأتم أجراً عند وجودها ، فالحديث صريح فى نفي الحرمان وليس صريحاً فى نفي الجمع . وقال الكرماني : معنى الحديث أن المجاهد إما يستشهد أو لا ، والثانى لا ينفك من أجر أو غنيمة مع إمكان اجتماعهما ، فهى قضية مانعة الخلو لا الجمع ، وقد قيل فى الجواب عن هذا الإشكال : إن أو بمعنى الواو ، وبه جزم ابن عبد البر والقرطبي ورجحها التوربشتي ، والتقدير بأجر وغنيمة . وقد وقع كذلك فى رواية لمسلم من طريق الأعرج عن أبي هريرة رواه كذلك عن يحيى بن يحيى عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد ، وقد رواه جعفر الفريابي وجماعة عن يحيى بن يحيى فقالوا : أجر أو غنيمة بصيغة أو ، وقد رواه مالك فى الموطأ بلفظ « أو غنيمة » ولم يختلف عليه إلا فى رواية يحيى بن بكير عنه فوقع فيه بلفظ « وغنيمة » ورواية يحيى بن بكير عن مالك فيها مقال . ووقع عند النسائي من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة بالواو أيضاً وكذا من طريق عطاء بن ميناء عن أبي هريرة وكذلك أخرجه أبو داود بإسناد صحيح عن أبي أمامة بلفظ : « بما نال من أجر وغنيمة » فإن كانت هذه الروايات محفوظة تعين القول بأن « أو » فى هذا الحديث بمعنى الواو كما هو مذهب نحاة الكوفيين ، لكن فيه إشكال صعب لأنه يقتضى من حيث المعنى أن يكون الضمان وقع بمجموع الأمرين لكل من رجع ، وقد لا يتفق ذلك فإن كثيراً من الغزاة يرجع بغير غنيمة ، فما فر منه الذى ادعى أن « أو » بمعنى الواو وقع فى نظيره لأنه يلزم على ظاهرها أن من رجع بغنيمة بغير أجر ، كما يلزم على أنها بمعنى الواو أن كل غازي يجمع له بين الأجر والغنيمة معاً ، وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً « مامن غازية تغزو فى سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث ، فإن لم يصبوا غنيمة تم لهم أجرهم » وهذا يؤيد التأويل الأول وأن الذى يغنم يرجع بأجر لكنه أنقص من أجر من لم يغنم ، فتكون الغنيمة فى مقابلة جزء من أجر الغزو ، فاذا قوبل أجر الغانم بما حصل له من الدنيا وتمتعه بأجر من لم يغنم مع اشتراكهما فى التعب والمشقة كان أجر من غنم دون أجر من لم يغنم ، وهذا موافق لقول خباب فى الحديث الصحيح الآتى « فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً » الحديث . واستشكل بعضهم نقص ثواب المجاهد بأخذه الغنيمة ، وهو مخالف لما يدل عليه أكثر الأحاديث ، وقد اشتهر بمدح النبي صلى الله عليه وسلم بحل الغنيمة وجعلها من فضائل أمته ، فلو كانت تنقص الأجر ما وقع التمدح بها . وأيضاً فإن ذلك يستلزم أن يكون أجر أهل بدر أنقص من أجر أهل أحد مثلاً مع أن أهل بدر أفضل بالاتفاق . وسبق إلى هذا الإشكال ابن عبد البر ، وحكاه

عياض وذكر أن بعضهم أجاب عنه بأنه ضعف حديث عبد الله بن عمرو لأنه من رواية حميد بن هاني وليس بمشهور ، وهذا مردود لأنه ثقة يحتج به عند مسلم ، وقد وثقه النسائي وابن يونس وغيرهما ولا يعرف فيه تجريح لأحد . ومنهم من حمل نقص الأجر على غنيمة أخذت على غير وجهها ، وظهور فساد هذا الوجه يغني عن الإطناب في رده ، إذ لو كان الأمر كذلك لم يبق لهم ثلث الأجر ولا أقل منه . ومنهم من حمل نقص الأجر على من قصد الغنيمة في ابتداء جهاده وحمل تمامه على من قصد الجهاد محضاً ، وفيه نظر لأن صدر الحديث مصرح بأن المقسم راجع إلى من أخلص لقوله في أوله « لا يخرج به إلا إيمان بي وتصديق برسلي » .

وقال عياض : الوجه عندى إجراء الحديثين على ظاهرهما واستعمالهما على وجههما . ولم يجب عن الإشكال المتعلق بأهل بدر . وقال ابن دقيق العيد : لا تعارض بين الحديثين ، بل الحكم فيهما جار على القياس لأن الأجور تتفاوت بحسب زيادة المشقة فيما كان أجره بحسب مشقته ، إذ للمشقة دخول في الأجر ، وإنما المشكل العمل المتصل بأخذ الغنائم ، يغني فلو كانت تنقص الأجر لما كان السلف الصالح يثابرون عليها ، فيمكن أن يجاب بأن أخذها من جهة تقديم بعض المصالح الجزئية على بعض لأن أخذ الغنائم أول ما شرع كان عوناً على الدين وقوة لضعفاء المسلمين ، وهي مصلحة عظيمة يغفر لها بعض النقص في الأجر من حيث هو . وأما الجواب عن استشكل ذلك بحال أهل بدر فالذي ينبغي أن يكون التقابل بين كمال الأجر ونقصانه لمن يغزو بنفسه إذا لم يغنم أو يغزو فيغنم ، فغايته أن حال أهل بدر مثلاً عند عدم الغنيمة أفضل منه عند وجودها ولا ينفي ذلك أن يكون حالهم أفضل من حال غيرهم من جهة أخرى ، ولم يرد فيهم نص أنهم لو لم يغنموا كان أجرهم بحاله من غير زيادة ، ولا يلزم من كونه مغفوراً لهم وأنهم أفضل المجاهدين أن لا يكون وراءهم مرتبة أخرى . وأما الاعتراض بحمل الغنائم فغير وارد ، إذ لا يلزم من الحل ثبوت وفاء الأجر لكل غاز ، والمباح في الأصل لا يستلزم الثواب بنفسه ، لكن ثبت أن أخذ الغنيمة واستيلاءها من الكفار يحصل الثواب ، ومع ذلك فع صحه ثبوت الفضل في أخذ الغنيمة وصحة التمدح بأخذها لا يلزم من ذلك أن كل غاز يحصل له من أجر غزاته نظير من لم يغنم شيئاً البتة قلت : والذي مثل بأهل بدر أراد التهويل ، وإلا فالأمر على ما تقرر آخراً بأنه لا يلزم من كونهم مع أخذ الغنيمة أنقص أجراً مما لو لم يحصل لهم أجر الغنيمة أن يكونوا في حال أخذهم الغنيمة مفضولين بالنسبة إلى من بعدهم كمن شهد أحداً لكونهم لم يغنموا شيئاً بل أجر البدرى في الأصل أضعاف أجر من بعده ، مثال ذلك أن يكون لو فرض أن أجر البدرى بغير غنيمة ستمائة وأجر الأحدى مثلاً بغير غنيمة مائة فإذا نسبنا ذلك باعتبار حديث عبد الله بن عمرو كان للبدرى لكونه أخذ الغنيمة مائتان وهي ثلث الستمائة فيكون أكثر أجراً من الأحدى ، وإنما امتاز أهل بدر بذلك لكونها أول غزوة شهدها النبي صلى الله عليه وسلم في قتال الكفار وكان مبدأ اشتهار الإسلام وقوة أهله ، فكان لمن شهدها مثل أجر من شهد المغازي التي بعدها جميعاً ، فصارت لا يوازيها شيء في الفضل والله أعلم . واختار ابن عبد البر أن المراد بنقص أجر من غنم أن الذي لا يغنم يزاد أجره لحزنه على مفاته من الغنيمة ، كما يؤجر من أصيب بما له فكان الأجر لما نقص عن المضاعفة بسبب الغنيمة عند ذلك كالنقص من أصل الأجر ، ولا يخفى مبانة هذا التأويل لسياق حديث عبد الله بن عمرو الذي تقدم ذكره . وذكر بعض المتأخرين للتعبير بثلاثي الأجر في حديث عبد الله بن عمرو حكمة لطيفة بالغة وذلك أن الله أعد للمجاهدين ثلاث كرامات : دنيويتان وأخروية ، فالدنيويتان

السلامة والغنيمة والأخروية دخول الجنة ، فإذا رجع سالماً غانماً فقد حصل له ثلثا ما أعد الله له وبقي له عند الله الثلث ، وإن رجع بغير غنيمة عوضه الله عن ذلك ثواباً في مقابلة ما فاته ، وكان معنى الحديث أنه يقال للمجاهد : إذا فات عليك شيء من أمر الدنيا عوضتك عنه ثواباً . وأما الثواب المختص بالجهاد فهو حاصل للفريقين معاً ، قال : وغاية ما فيه عد ما يتعلق بالنعمتين الدينويتين أجراً بطريق المجاز والله أعلم . وفي الحديث أن الفضائل لا تدرك دائماً بالقياس ، بل هي بفضل الله . وفيه استعمال التمثيل في الأحكام ، وأن الأعمال الصالحة لا تستلزم الثواب لأعيانها ، وإنما تحصل بالنية الخالصة إجمالاً وتفصيلاً ، والله أعلم .

باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء

وقال عمر : اللهم ارزقني شهادة في بلد رسولك .

٢٧٠٠ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة [٢٧٨٨]
عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول : كان رسول الله صلى الله عليه يدخل على أم حرام بنت ملحان [٢٧٨٩]
فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصّامت ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه
فأطعمته وجعلت تفلّي رأسه ، فنام رسول الله صلى الله عليه ، ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت :
فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله ، يركبون
ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة - أو مثل الملوك على الأسرة ، شك إسحاق - » قالت : فقلت : يا
رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه . ثم وضع رأسه ، ثم
استيقظ وهو يضحك . فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عرضوا علي غزاة
في سبيل الله - كما قال في الأولى - » . قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله لي أن يجعلني منهم ،
قال : « أنت من الأولين » . فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين
خرجت من البحر فهلكت .

[الحديث ٢٧٨٨ - أطرافه في ٢٧٩٩ ، ٢٨٧٧ ، ٢٨٩٤ ، ٦٢٨٢ ، ٧٠٠١ .]

[الحديث ٢٧٨٩ - أطرافه في : ٢٨٠٠ ، ٢٨٧٨ ، ٢٨٩٥ ، ٢٩٢٤ ، ٦٢٨٣ ، ٧٠٠٢ .]

قوله (باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء) قال ابن المنير وغيره : وجه دخول هذه الترجمة في الفقه أن الظاهر من الدعاء بالشهادة يستلزم طاب نصر الكافر على المسلم وإعانة من يعصى الله على من يطيعه ، لكن القصد الأصلي إنما هو حصول الدرجة العليا المترتبة على حصول الشهادة ، وليس ما ذكره مقصوداً لذاته وإنما يقع من ضرورة الوجود ، فاغتفر حصول المصلحة العظمى من دفع الكفار وإذلالهم وقهرهم بقصد قتلهم بحصول ما يقع في ضمن ذلك من قتل بعض المسلمين ، وجاز تمنى الشهادة لما يدل عليه من صدق من

وقعت له من إعلاء كلمة الله حتى بذل نفسه في تحصيل ذلك . ثم أورد المصنف فيه حديث أنس في قصة أم حرام ، والمراد منه قول أم حرام : ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ، وسيأتي الكلام على استيفاء شرحه في كتاب الاستئذان إن شاء الله تعالى ، وهو ظاهر فيما ترجم له في حق النساء ، ويؤخذ منه حكم الرجال بطريق الأولى وأغرب ابن التين فقال : ليس في الحديث تمنى الشهادة وإنما فيه تمنى الغزو ، ويحاجب بأن الشهادة هي الثمرة العظمى المطلوبة في الغزو ، وأم حرام بفتح المهملتين هي خالة أنس ، ولم يختلف على مالك في إسناده ، لكن رواه بشر بن عمر عنه فقال « عن أنس عن أم حرام » وهو موافق رواية محمد بن يحيى بن حبان عن أنس التي ستأتي .

قوله (وقال عمر الخ) تقدم في أواخر الحج بآتم من هذا السياق ، وتقدم هناك شرحه وبيان من وصله .

باب درجات المجاهدين في سبيل الله

يُقال : هذه سبيلي . وهذا سبيلي . قال أبو عبد الله : غزاً واحداً غازٍ ، هم درجات : لهم درجات . [٢٧٩٠] ٢٧٠١ - حدثنا يحيى بن صالح قال حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه : « من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » . قالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشّر الناس ؟ قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أرى : وفوقه عرش الرحمن - ومنه تفرّج أنهار الجنة » قال محمد بن فليح عن أبيه . « وفوقه عرش الرحمن » .

[الحديث ٢٧٩٠ - طرفه في ٧٤٢٣] .

[٢٧٩١] ٢٧٠٢ - حدثنا موسى قال حدثنا جرير قال حدثنا أبو رجاء عن سمرة قال : قال النبي صلى الله عليه : « رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل ، لم أرقط أحسن منها ، قالوا : أمّا هذه الدار فدار الشهداء » .

قوله (باب درجات المجاهدين في سبيل الله) أي بيانها ، وقوله « يقال هذه سبيلي » أي أن السبيل يذكر ويؤنث وبذلك جزم الفراء فقال في قوله تعالى ﴿ ليضل عن سبيل الله ويخذها هزوا ﴾ الضمير يعود على آيات القرآن وإن شئت جعلته للسبيل لأنها قد تؤنث قال الله تعالى ﴿ قل هذه سبيلي ﴾ وفي قراءة أبي بن

كعب ﴿ وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوها سبيلاً ﴾ انتهى . ويحتمل أن يكون قوله تعالى ﴿ هذه ﴾ إشارة إلى الطريقة أى هذه الطريقة المذكورة هى سبيلى فلا يكون فيه دليل على تأنيث السبيل .

قوله (غزاً) بضم المعجمة وتشديد الزاى مع التنوين (واحدها غاز) وقع هذا فى رواية المستمل وحده وهو من كلام أبى عبيدة قال : وهو مثل قول وقائل انتهى .

قوله (هم درجات لهم درجات) هو من كلام أبى عبيدة أيضاً قال : قوله ﴿ هم درجات ﴾ أى منازل ومعناه لهم درجات ، وقال غيره : التقدير هم ذوو درجات .

قوله (عن هلال بن على) فى رواية محمد بن فليح عن أبيه « حدثنى هلال » .

قوله (عن عطاء بن يسار) كذا لأكثر الرواة عن فليح ، وقال أبو عامر العقدي « عن فليح عن هلال عن عبد الرحمن بن أبى عمرة » بدل عطاء بن يسار أخرجه أحمد وإسحق فى مسنديهما عنه ، وهو وهم من فليح فى حال تحديثه لأبى عامر ، وعند فليح بهذا الإسناد حديث غير هذا سيأتى فى الباب الذى بعد هذا ، فلعله انتقل ذهنه من حديث إلى حديث ، وقد نبه يونس بن محمد فى روايته عن فليح على أنه كان ربما شك فيه ، فأخرج أحمد عن يونس عن فليح عن هلال عن عبد الرحمن بن أبى عمرة وعطاء بن يسار عن أبى هريرة فذكر هذا الحديث ، قال فليح : ولا أعلمه إلا ابن أبى عمرة ، قال يونس : ثم حدثنا به فليح فقال عطاء ابن يسار ولم يشك انتهى . وكأنه رجع إلى الصواب فيه . ولم يقف ابن حبان على هذه العلة فأخرجه من طريق أبى عامر ، والله الهادى إلى الصواب . وقد وافق فليحاً على روايته إياه عن هلال عن عطاء عن أبى هريرة محمد بن جحادة عن عطاء أخرجه الترمذى من روايته مختصراً ، ورواه زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار فاختلف عليه : فقال هشام بن سعد وحفص بن ميسرة والدراوردى عنه عن عطاء عن معاذ بن جبل أخرجه الترمذى وابن ماجه ، وقال همام عن زيد عن عطاء عن عبادة بن الصامت أخرجه الترمذى والحاكم ورجح رواية الدراوردى ومن تابعه على رواية همام ، ولم يتعرض لرواية هلال مع أن بين عطاء بن يسار ومعاذ انقطاعاً .

قوله (وصام رمضان الخ) قال ابن بطال لم يذكر الزكاة والحج لكونه لم يكن فرض . قلت : بل سقط ذكره على أحد الرواة ، فقد ثبت الحج فى الترمذى فى حديث معاذ بن جبل وقال فيه « لا أدرى أذكر الزكاة أم لا » ، وأيضاً فإن الحديث لم يذكر لبيان الأركان فكان الاختصار على ما ذكر إن كان محفوظاً لأنه هو المتكرر غالباً ، وأما الزكاة فلا تجب إلا على من له مال بشرطه ، والحج فلا يجب إلا مرة على التراخي .

قوله (وجلس فى بيته) فيه تأنيس لمن حرم الجهاد وأنه ليس محروماً من الأجر ، بل له من الإيمان والتزام الفرائض ما يوصله إلى الجنة وإن قصر عن درجة المجاهدين .

قوله (فقالوا يا رسول الله) الذى خاطبه بذلك هو معاذ بن جبل كما فى رواية الترمذى ، أو أبو الدرداء كما وقع عند الطبرانى ، وأصله فى النسائى لكن قال فيه « فقلنا » .

قوله (وإن فى الجنة مائة درجة) قال الطيبى : هذا الجواب من أسنوب الحكيم ، أى بشرهم بدخولهم الجنة بما ذكر من الأعمال ولا تكتف بذلك بل بشرهم بالدرجات ، ولا تقتنع بذلك بل بشرهم بالفردوس

الذي هو أعلاها . قلت : لو لم يرد الحديث إلا كما وقع هنا لكان ما قال متجهاً ، لكن وردت في الحديث زيادة دلت على أن قوله « في الجنة مائة درجة » تعليل لترك البشارة المذكورة ، فعند الترمذى من رواية معاذ المذكورة « قلت يا رسول الله ألا أخبر الناس ؟ قال ذر الناس يعلمون ، فإن في الجنة مائة درجة » فظهر أن المراد لا تبشر الناس بما ذكرته من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة عليه فيقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه إلى ما هو أفضل منه من الدرجات التي تحصل بالجهاد ، وهذه هي النكتة في قوله « أعدّها الله للمجاهدين » وإذا تقرر هذا كان فيه تعقب أيضاً على قول بعض شراح المصاييح : سوى النبي صلى الله عليه وسلم بين الجهاد في سبيل الله وبين علمه وهو الجلوس في الأرض التي ولد المرء فيها ، ووجه التعقب أن التسوية ليست على عمومها وإنما هي في أصل دخول الجنة لا في تفاوت الدرجات كما قررته ، والله أعلم . وليس في هذا السياق ما ينفي أن يكون في الجنة درجات أخرى أعدت لغير المجاهدين دون درجة المجاهدين .

قوله (كما بين السماء والأرض) في رواية محمد بن جحادة عند الترمذى « ما بين كل درجتين مائة عام » وللطبراني من هذا الوجه « خمسمائة عام » فإن كانتا محفوظتين كان اختلاف العدد بالنسبة إلى اختلاف السير ، زاد الترمذى من حديث أبي سعيد « لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهن » .

قوله (أوسط الجنة وأعلى الجنة) المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل كقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ فعلى هذا فعطف الأعلى عليه للتأكيد ، وقال الطيبي : المراد بأحدهما العلو الحسى وبالأخر العلو المعنوى . وقال ابن حبان : المراد بالأوسط السعة ، وبالأعلى الفوقية .

قوله (وأرى) بضم الهمزة ، وهو شك من يحيى بن صالح شيخ البخارى فيه ، وقد رواه غيره عن فليح فلم يشك منهم يونس بن محمد عند الإسماعيلي وغيره .

قوله (ومنه تفجر أنهار الجنة) أى من الفردوس ، ووهم من زعم أن الضمير للعرش ، فقد وقع في حديث عبادة بن الصامت عند الترمذى « والفردوس أعلاها درجة ومنها — أى من الدرجة التي فيها الفردوس — تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون عرش الرحمن » وروى إسحق بن راهويه في مسنده من طريق شيبان عن قتادة عنه قال « الفردوس أوسط الجنة وأفضلها » وهو يؤيد التفسير الأول .

قوله (قال محمد بن فليح عن أبيه : وفوقه عرش الرحمن) يعنى أن محمداً روى هذا الحديث عن أبيه بإسناده هذا فلم يشك كما شك يحيى بن صالح بل جزم عنه بقوله « وفوقه عرش الرحمن » قال أبو علي الجبائي : وقع في رواية أبي الحسن القابسي « حدثنا محمد بن فليح » وهو وهم لأن البخارى لم يدركه . قلت : وقد أخرج البخارى رواية محمد بن فليح لهذا الحديث في كتاب التوحيد عن إبراهيم بن المنذر عنه بتمامه ، ويأتى بقية شرحه هناك ورجال إسناده كلهم مدنيون . والفردوس هو البستان الذي يجمع كل شيء ، وقيل هو الذي فيه العنب ، وقيل هو بالرومية وقيل بالقبطية وقيل بالسريانية وبه جزم أبو إسحق الزجاج ، وفي الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين ، وفيه عظم الجنة وعظم الفردوس منها ، وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد يناها غير المجاهد إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة لأنه صلى الله عليه وسلم أمر الجميع بالدعاء

بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أعد للمجاهدين ، وقيل فيه جواز الدعاء بما لا يحصل للداعي لما ذكرته ، والأول أولى والله أعلم .

قوله (حدثنا موسى) هو ابن إسماعيل وجريرو هو ابن حازم ، وحدث سمرة تقدم بطوله في الجنائز ، وهذه القطعة شاهدة لحديث أبي هريرة المذكور قبله ومفسرة ، لأن المراد بالأوسط الأفضل لوصفه دار الشهداء في حديث سمرة بأنها أحسن وأفضل .

باب الغدوة والروحة في سبيل الله ، وقاب قوس أحدكم من الجنة

[٢٧٩٢] ٢٧٠٣ - حدثنا معلى بن أسد قال حدثنا وهيب قال حدثنا حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه قال : « الغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » .
[الحديث ٢٧٩٢ - طرفاء في : ٢٧٩٦ ، ٦٥٦٨ .]

[٢٧٩٣] ٢٧٠٤ - حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا محمد بن فليح قال حدثني أبي عن هلال ابن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب » . وقال : « الغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب » .
[الحديث ٢٧٩٣ - طرفه في : ٣٢٥٣ .]

[٢٧٩٤] ٢٧٠٥ - حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه قال : « الروحة والغدوة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها » .
[الحديث ٢٧٩٤ - أطرافه في : ٢٨٩٢ ، ٣٢٥٠ ، ٦٤١٥ .]

قوله (باب الغدوة والروحة في سبيل الله) أي فضلها ، والغدوة بالفتح المرة الواحدة من الغلو وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه ، والروحة المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها .

قوله (في سبيل الله) أي الجهاد .

قوله (وقاب قوس أحدكم) أي قدره ، والقاب بتخفيف القاف وآخره موحدة معناه القدر ، وكذلك القيد بكسر القاف بعدها تحتانية ساكنة ثم دال وبالموحدة بدل الدال ، وقيل القاب ما بين مقبض القوس وسيته ، وقيل ما بين الوتر والقوس ، وقيل المراد بالقوس هنا الذراع الذي يقاس به ، وكان المعنى بيان فضل قدر الذراع من الجنة .

قوله (عن أنس) في رواية أبي إسحق عن حميد « سمعت أنس بن مالك » وهو في الباب الذي يليه ، والإسناد كله بصريون .

قوله (لغدوة) في رواية الكشميني الغدوة بزيادة ألف في أوله بصيغة التعريف والأول أشهر واللام للقسم .

قوله (خير من الدنيا وما فيها) قال ابن دقيق العيد : يحتمل وجهين أحدهما أن يكون من باب تنزيل المغيب منزلة المحسوس تحقيقاً له في النفس لكون الدنيا محسوسة في النفس مستعظمة في الطباع فلذلك وقعت المفاضلة بها ، وإلا فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة . والثاني أن المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله تعالى . قلت : ويؤيد هذا الثاني ما رواه ابن المبارك في كتاب الجهاد من مرسل الحسن قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم عبد الله بن رواحة ، فتأخر ليشهد الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت فضل غدوتهم » والحاصل أن المراد تسهيل أمر الدنيا وتعظيم أمر الجهاد ، وأن من حصل له من الجنة قدر سوط يصير كأنه حصل له أمر أعظم من جميع ما في الدنيا فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات ، والنكته في ذلك أن سبب التأخير عن الجهاد الميل إلى سبب من أسباب الدنيا فنبه هذا المتأخر أن هذا القدر اليسير من الجنة أفضل من جميع ما في الدنيا .

قوله (عن عبد الرحمن بن أبي عمرة) هو الأنصاري ، والإسناد كله مدنيون .

قوله (لقاب قوس في الجنة) في حديث أنس في الباب الذي يليه « لقاب قوس أحدكم » وهو المطابق لترجمة هذا الباب .

قوله (خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب) هو المراد بقوله في الذي قبله « خير من الدنيا وما فيها » .

قوله (حدثنا سفيان) هو الثوري .

قوله (عن أبي حازم) هو ابن دينار .

قوله (الروحة والغدوة في سبيل الله أفضل) في رواية مسلم من طريق وكيع عن سفيان « غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا » والمعنى واحد ، وفي الطبراني من طريق أبي غسان عن أبي حازم « لروحة » بزيادة لام القسم .

الحُور العين وصفتهن

يحار فيها الطرفُ . شديدة سواد العين ، شديدة بياض العين . زوجناهم بحور : أنكحناهم .

[٢٧٩٥]

٢٧٠٦ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إسحاق عن

حميد قال : سمعت أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها ، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة ، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى » .

[الحديث ٢٧٩٥ - طرفه في : ٢٨١٧] .

[٢٧٩٦]

٢٧٠٧- قال : وسمعت أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه : «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد -يعني سوطه- خير من الدنيا وما فيها . ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولما لته ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» .

قوله (الحور العين وصفتهن) كذا لأبي ذر بغير باب وثبت لغيره ، ووقع عند ابن بطال « باب نزول الحور العين الخ » ولم أره لغيره .

قوله (يحار فيها الطرف) أى يتحير ، قال ابن التين : هذا يشعر بأنه رأى أن اشتقاق الحور عن الحيرة ، وليس كذلك ، فإن الحور بالواو والحيرة بالياء ، وأما قول الشاعر « حوراء عينا من العين الحير » فهو للاتباع . قلت : أهل البخارى لم يرد الاشتقاق الأصغر .

قوله (شديدة سواد العين شديدة بياض العين) كأنه يريد تفسير العين ، والعين بالكسر جمع عينا وهو الواسعة العين الشديدة السواد والبياض قاله أبو عبيدة .

قوله (وزوجناهم بحور : أنكحناهم) هو تفسير أبي عبيدة ولفظه : زوجناهم أى جعلناهم أزواجاً أى اثنين اثنين كما تقول زوجت النعل بالنعل . وقال فى موضع آخر : أى جعلنا ذكراً أهل الجنة أزواجاً بحور من النساء . وتعقب بأن زوج لا يتعدى بالباء قاله الإسماعيلي وغيره ، وفيه نظر لأن صاحب المحكم حكاه لكن قال : أنه قليل ، والله أعلم .

قوله (حدثنا عبد الله بن محمد) هو الجعفي ، ومعاوية بن عمرو هو الأزدي ، وهو من شيوخ البخارى يروى عنه تارة بواسطة كما هنا وتارة بلا واسطة كما فى كتاب الجمعة .

قوله (حدثنا أبو إسحق) هو الفزارى إبراهيم بن محمد . واشتمل هذا السياق على أربعة أحاديث : الأول يأتي شرحه بعد ثلاثة عشر باباً ، الثانى تقدم شرحه فى الذى قبله ، الثالث والرابع يأتي شرحهما فى صفة الجنة من كتاب الرقاق . وقوله فى الباب « ولقاب قوس أحدكم » تقدم شرح « القاب » فى الذى قبله ، وقوله هنا « أو موضع قيد يعنى سوطه » شك من الراوى هل قال قاب أو قيد ، وقد تقدم أنهما بمعنى وهو المقدار . وقوله « يعنى سوطه » تفسير للقيد غير معروف ، ولهذا جزم بعضهم بأنه تصحيف وأن الصواب « قد » بكسر القاف وتشديد الدال وهو السوط المتخذ من الجلد . قلت : ودعوى الوهم فى التفسير أسهل من دعوى التصحيف فى الأصل ولا سيما والقيد بمعنى القاب كما بينته ، والمقصود من ذلك لهذه الترجمة الأخير ، وقوله فيه « ولنصيفها » بفتح النون وكسر الصاد المهملة بعدها تحتانية ساكنة ثم فاء هو الحمار بكسر المعجمة وتخفيف الميم ، قال المهلب : إنما أورد حديث أنس هذا ليبين المعنى الذى من أجله يتمى الشهيد أن يرجع إلى الدنيا ليقتل مرة أخرى فى سبيل الله ، لكونه يرى من الكرامة بالشهادة فوق ما فى نفسه ، إذ كل واحدة يعطاها من الحور العين لو اطلعت على الدنيا لأضاءت كلها انتهى . وروى ابن ماجه من طريق

شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال « ذكر الشهيد عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجاته من الحور العين وفي يد كل واحدة منها حلة خير من الدنيا وما فيها » ولأحمد والطبراني من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً « أن للشهيد عند الله سبع خصال » فذكر الحديث وفيه « ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين » إسناده حسن ، وأخرجه الترمذي من حديث المقدم بن معديكرب وصححه .

باب تَمَنِّي الشَّهَادَةِ

[٢٧٩٧] ٢٧٠٨ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه يقول : « والذي نفسي بيده ، لولا أن رجلاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيى ، ثم أقتل ثم أحيى ، ثم أقتل ثم أحيى ، ثم أقتل » .

[٢٧٩٨] ٢٧٠٩ - حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار قال حدثنا إسماعيل بن عليّ عن أيوب عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك قال : خطب النبي صلى الله عليه فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح له . وقال : ما يسرنا أنهم عندنا » . قال أيوب : أو قال : « ما يسرهم أنهم عندنا ، وعيناه تذرفان » .

قوله (باب تمنى الشهادة) تقدم توجيهه في أول كتاب الجهاد وأن تمنىها والقصد لها مرغ فيه مطلوب . وفي الباب أحاديث صريحة في ذلك منها عن أنس مرفوعاً « من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم يصحبها أي أعطى ثوابها ولو لم يقتل » أخرجه مسلم ، وأصرح منه في المراد ما أخرجه الحاكم بلفظ « من سأل القتل في سبيل الله صادقاً ثم مات أعطاه الله أجر شهيد » وللنسائي من حديث معاذ مثله ، وللحاكم من حديث سهل ابن حنيف مرفوعاً « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » .

قوله (أن أبا هريرة) هذا الحديث رواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين منهم سعيد بن المسيب هنا وأبو زرعة بن عمرو في « باب الجهاد من الإيمان » من كتاب الإيمان ، وأبو صالح وهو في « باب الجمائل والحملان » في أثناء كتاب الجهاد ، والأعرج وهو في كتاب التمني ، وهما وهو عند مسلم وسأذكر ما في رواية كل واحد منهم من زيادة فائدة .

قوله (والذي نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم) في رواية أبي زرعة وأبي صالح « لولا أن أشق على أمتي » ورواية الباب تفسر المراد بالمشقة المذكورة وهي أن نفوسهم لا تطيب بالتخلف ولا يقدرّون على التأهب لعجزهم عن آلة السفر من مركوب وغيره وتعدّر وجوده عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وصرح بذلك في رواية همام ولفظه « لكن لا أجد سعة فأحاطهم ، ولا يجدون سعة فيتبعوني ، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدى » وفي رواية أبي زرعة عند مسلم نحوه ، ورواه الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري وفيه « وأوخرجت ما بقي أحد فيه خير إلا انطلق معي ، وذلك يشق على وعاليهم » ووقع في رواية أبي صالح من الزيادة « ويشق على أن يتخلفوا عني » .

قوله (والذي نفسى بيده لوددت) وقع في رواية أبي زرعة المذكورة بلفظ « ولوددت أني أقتل » بحذف القسم ، وهو مقدر لما بيته هذه الرواية ، فظهر أن اللام لام القسم وليست بجواب لولا ، وفهم بعض الشراح أن قوله « لوددت » معطوف على قوله « ماقدت » فقال : يجوز حذف اللام وإثباتها من جواب لولا ، وجعل الودادة ممتنعة خشية وجود المشقة لو وجدت ، وتقدير الكلام عنده : لولا أن أشق على أمتي لوددت أني أقتل في سبيل الله . ثم شرع يتكلف استشكال ذلك والجواب عنه ، وقد بينت رواية الباب أنها جملة مستأنفة وأن اللام جواب القسم . ثم النكته في إيراد هذه الجملة عقب تلك إرادة تسليّة الخارجين في الجهاد عن مرافقته لهم ، وكأنه قال : الوجه الذي يسيرون له فيه من الفضل ما أتمنى لأجله أني أقتل مرات ، فهما فاتكم من مرافقتي والعودة معي من الفضل يحصل لكم مثله أو فوقه من فضل الجهاد ، فراعى خواطر الجميع . وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المغازي وتخلف عنه المشار إليهم ، وكان ذلك حيث رجحت مصلحة خروجه على مراعاة حالهم ، وسيأتي بيان ذلك في « باب من حبسه العذر » .

قوله (أقتل في سبيل الله) استشكل بعض الشراح صدور هذا التمني من النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه بأنه لا يقتل ، وأجاب ابن التين بأن ذلك لعلة كان قبل نزول قوله تعالى ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ وهو متعقب فإن نزولها كان في أوائل ما قدم المدينة ، وهذا الحديث صرح أبو هريرة بأنه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما قدم أبو هريرة في أوائل سنة سبع من الهجرة ، والذي يظهر في الجواب أن تمنى الفضل والخير لا يستلزم الوقوع ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « وددت لو أن موسى صبر » كما سيأتي في مكانه ، وسيأتي في كتاب التمني نظائر لذلك ، وكأنه صلى الله عليه وسلم أراد المبالغة في بيان فضل الجهاد وتحريض المسلمين عليه ، قال ابن التين : وهذا أشبه . وحكى شيخنا ابن الملقن أن بعض الناس زعم أن قوله « ولوددت » مدرج من كلام أبي هريرة قال : وهو بعيد ، قال النووي : في هذا الحديث الحذف على حسن النية ، وبيان شدة شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمة ورأفته بهم واستحباب طلب القتل في سبيل الله ، وجواز قول وددت حصول كذا من الخير وإن علم أنه لا يحصل . وفيه ترك بعض المصالح لمصلحة راجحة أو أرجح أو لدفع مفسدة ، وفيه جواز تمنى ما يمتنع في العادة ، والسعى في إزالة المكروه عن المسلمين . وفيه أن الجهاد على الكفاية إذ لو كان على الأعيان ما تخلف عنه أحد قلت : وفيه نظر ، لأن الخطاب إنما يتوجه للقادر ، وأما العاجز فعذور ، وقد قال سبحانه ﴿ غير أولى بالضرر ﴾ وأدلة كون الجهاد فرض كفاية تؤخذ

من غير هذا ، وسيأتي البحث في « باب وجوب النفير » إن شاء الله تعالى .

قوله (حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار) بالمهملة وتشديد الفاء ، كوفي ثقة يكنى أبا يعقوب ، لم يخرج عنه البخاري سوى هذا الحديث ، ورجال الإسناد من شيخه إسماعيل بن علي فصاعداً بصريون ، وسيأتي شرح المتن في غزوة مؤتة من كتاب المغازي ، ووجه دخوله في هذه الترجمة من قوله « ما يسرهم أنهم عندنا » أي لما رأوا من الكرامة بالشهادة فلا يعجبهم أن يعودوا إلى الدنيا كما كانوا من غير أن يستشهدوا مرة أخرى ، وبهذا التقرير يحصل الجمع بين حديثي الباب ، ودليل ما ذكرته من الاستثناء ما سيأتي بعد أبواب من حديث أنس أيضاً مرفوعاً « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد » الحديث .

باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم

وقول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ ، وقع : وجب .

٢٧١٠ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثني الليث قال حدثني يحيى عن محمد بن يحيى بن حبان عن أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان قالت : نام النبي صلى الله عليه يوماً قريباً مني ، ثم استيقظ يبتسم ، فقلت : ما أضحكك ؟ قال : « أناس من أمتي عرضوا علي يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة » ، قالت : فادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها . ثم نام الثانية ، ففعل مثلها ، فقالت مثل قولها ، فأجابها مثلها ، فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « أنت من الأولين » . فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازياً أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية ، فلما انصرفوا من غزوتهم قافلين فنزلوا الشام فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت . [٢٧٩٩] [٢٨٠٠]

قوله (باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم) أي من المجاهدين ، ومن موصولة ، وكأنه ضمنها معنى الشرط فعطف عليها بالفاء وعطف الفعل الماضي على المستقبل وهو قليل ، وكان نسق الكلام أن يقول : من صرع فمات ، أو من يصرع فيموت ، وقد سقط لفظ فمات من رواية النسفي .

قوله (وقول الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ﴾ الآية) أي يحصل الثواب بقصد الجهاد إذا خلصت النية فحال بين القاصد وبين الفعل مانع ، فإن قوله ﴿ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ ﴾ أعم من أن يكون بقتل أو وقوع من دابته وغير ذلك فتناسب الآية الترجمة ، وقد روى الطبري من طريق سعيد بن جبير والسدي وغيرهما أن الآية نزلت في رجل كان مسلماً مقياً بمكة ، فلما سمع قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ قال لأهله وهو مريض أخرجوني إلى جهة المدينة فأخرجوه فمات في الطريق ، فنزلت ، واسمه ضمرة على الصحيح ، وقد أوضحت ذلك في كتابي في الصحابة .

قوله (وقع : وجب) ليس هذا في رواية المستملى وثبت لغيره ، وهو تفسير أبي عبيدة في « المجاز » قال : قوله فقد وقع أجره على الله أى وجب ثوابه . ثم ذكر المصنف حديث أم حرام وقد تقدم قريباً أن شرحه يأتي في كتاب الاستئذان : والشاهد منه قوله فيه « فقتلت إليها دابة لتركها فصرعتها فماتت » ، مع دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها أن تكون من الأولين وأنهم كالمملوك على الأسرة في الجنة ، وقوله في الرواية الماضية « فصرعت عن دابتها » لا يعارض قوله في هذه الرواية « فقتلت لتركها فصرعتها » لأن التقدير فقتلت إليها دابة لتركها فصرعتها . قال ابن بطال : وروى ابن وهب من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً « من صرع عن دابته في سبيل الله فمات فهو شهيد » فكأنه لما لم يكن على شرط البخارى أشار إليه في الترجمة . قلت : هو عند الطبراني وإسناده حسن قال : وفي حديث أم حرام أن حكم الراجع من الغزو حكم الذهاب إليه في الثواب . ويحيى المذكور في هذا الإسناد هو ابن سعيد الأنصارى ، وفي الإسناد تابعيان هو وشيخه وصحابيان أنس وخالته ، وقوله فيه « أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية » كان ذلك في سنة ثمان وعشرين في خلافة عثمان .

باب من ينكب في سبيل الله

٢٧١١ - حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا همام عن إسحاق عن أنس قال : بعث النبي صلى الله عليه وآله أقواماً من بني سليم إلى بني عامر في سبعين ، فلما قدموا قال لهم خالي : أتقدمكم ، فإن آمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا كنتم مني قريباً . فتقدم فأمّنوه ، فبينما يحدثهم عن النبي صلى الله عليه وآله إذ أومؤوا إلى رجل منهم فطعنوه حتى أنفذه ، فقال : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة . ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوه إلا رجلاً أعرج صعد الجبل ، قال همام : وأراه آخر معه ، فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وآله عليهما أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم ؛ فكنا نقرأ : أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ، ثم نسخ بعد ، فدعا عليهم أربعين صباحاً ؛ على رعل وذكوان وبني لحيان وبني عصىة الذين عصوا الله ورسوله .

٢٧١٢ - حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا أبو عوانة عن الأسود هو ابن قيس عن جندب ابن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في بعض المشاهد وقد دميت إصبعه فقال : « هل أنت إلا إصبع دميت ، وفي سبيل الله ما لقيت » .

[الحديث ٢٨٠٢ - طرفه في : ٦١٤٦] .

قوله (باب من ينكب) بضم أوله وسكون النون وفتح الكاف بعدها موحدة ، والنكبة أن

يصيب العضو شيء فديمه ، والمراد بيان فضل من وقع له ذلك في سبيل الله . ثم ذكر فيه حديثين : أحدهما حديث أنس في قصة قتل خاله وهو حرام بن ملحان وسيأتي شرحه في كتاب المغازي في غزوة بدر معونة ، وقوله فيه « عن إسحق » هو ابن عبد الله بن أبي طلحة .

قوله (بعث النبي صلى الله عليه وسلم أقواماً من بني سليم إلى بني عامر) قال الدمياطي : هو وهم ، فإن بني سليم مبعوث إليهم ، والمبعوث هم القراء وهم من الأنصار . قلت : التحقيق أن المبعوث إليهم بنو عامر ، وأما بنو سليم فغلبوا بالقراء المذكورين ، والوهم في هذا السياق من حفص بن عمر شيخ البخاري ، فقد أخرجه هو في المغازي عن موسى بن إسماعيل عن همام فقال « بعث أخاً لأم سليم في سبعين راكباً ، وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل » الحديث ، ويأتي شرحه مستوفى هناك ، فلعل الأصل « بعث أقواماً معهم أخو أم سليم إلى بني عامر » فصارت من بني سليم ، وقد تكلف لتأويله بعض الشراح فقال : يحمل على أن أقواماً منصوب بنزع الخافض أي بعث إلى أقوام من بني سليم منضمين إلى بني عامر وحذف مفعول بعث اكتفاء بصفة المفعول عنه ، أو « في » زائدة ويكون « سبعين » مفعول بعث ، ويحتمل أن تكون « من » ليست بيانية بل ابتدائية ، أي بعث أقواماً ولم يصفهم من بني سليم أو من جهة بني سليم انتهى . وهذا أقرب من التوجيه الأول ولا يخفى ما فيهما من التكلف . وقوله في آخر الحديث « على رعل » بكسر الراء وسكون المهملة بعدها لام هم بطن من بني سليم ، وكذا بعض من ذكر معهم : وسيأتي الحديث في أواخر الجهاد أنه دعا على أحياء من بني سليم حيث قتلوا القراء ، وهو أصرح في المقصود . ثانيهما حديث جندب ، وسيأتي الكلام عليه في « باب ما يجوز من الشعر » من كتاب الأدب ، ووقع فيه بلفظ « نكبت إصبعة » وهو الموافق للترجمة ، وكأنه أشار فيها إلى حديث معاذ الذي أشير إليه في الباب الذي يليه ، وفي الباب ما أخرجه أبو داود والحاكم والطبراني من حديث أبي مالك الأشعري مرفوعاً « من وقصه فرسه أو بعيره في سبيل الله أو لدغته هامة أو مات على أي حنط شاء الله فهو شهيد » .

باب مَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

٢٧١٣ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال : « والذي نفسي بيده ، لا يكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم ، والريح ريح المسك » . [٢٨٠٣]

قوله (باب من يجرح في سبيل الله) أي فضله .

قوله (لا يكلم) يضم أوله وسكون الكاف وفتح اللام أي يجرح .

قوله (أحد) قيده في رواية همام عن أبي هريرة بالمسلم .

قوله (والله أعلم بمن يكلم في سبيله) جملة معترضة قصد بها التنبيه على شرطية الإخلاص في نيل هذا

الثواب .

قوله (إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم) في رواية همام عن أبي هريرة الماضية في كتاب الطهارة « تكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت تفجر دماً » .

قوله (والريح ربح المسك) في رواية همام « والعرف » بفتح المهملة وسكون الراء بعدها فاء وهو الرائحة ، ولأصحاب السنن وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث معاذ بن جبل « من جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لو أنها الزعفران وريحها المسك » وعرف بهذه الزيادة أن الصفة المذكورة لا تختص بالشهيد بل هي حاصلة لكل من جرح ، ويحتمل أن يكون المراد بهذا الجرح هو ما يموت صاحبه بسببه قبل اندمائه لا ما يندمل في الدنيا فإن أثر الجراحة وسيلان الدم يزول ، ولا ينشئ ذلك أن يكون له فضل في الجملة ، لكن الظاهر أن الذي « يجيء يوم القيامة » وجرحه يشعب دماً « من فارق الدنيا وجرحه كذلك ، ويؤيده ما وقع عند ابن حبان في حديث معاذ المذكور « عليه طابع الشهداء » وقوله « كأغزر ما كانت » لا ينافي قوله « كهيئتها » لأن المراد لا ينقص شيئاً بطول العهد ، قال العلماء : الحكمة في بعثه كذلك أن يكون معه شاهد بفضيلته بذله نفسه في طاعة الله تعالى . واستدل بهذا الحديث على أن الشهيد يدفن بدمائه وثيابه ولا يزال عنه الدم بغسل ولا غيره ، ليحجى يوم القيامة كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه نظر لأنه لا يلزم من غسل الدم في الدنيا أن لا يبعث كذلك ، ويغنى عن الاستدلال ترك غسل الشهيد في هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم في شهداء أحد « زملوهم بدمائهم » كما سيأتى بسطه في مكانه إن شاء الله تعالى .

قول الله عز وجل : ﴿ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ﴾ والحرب سجال

٢٧١٤ - حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث قال حدثني يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس أخبره أن أباسفيان بن حرب أخبره : أن هرقل قال له : سألتك كيف كان قتالكم إياه ، فزعمت أن الحرب سجال ودول ، وكذلك الرسل تبلى ، ثم تكون لهم العاقبة . [٢٨٠٤]

قوله (باب قول الله عز وجل : ﴿ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ﴾) سيأتى في تفسير براءة تفسير ﴿ إحدى الحسينين ﴾ بأنه الفتح أو الشهادة ، وبه تتبين مناسبة قول المصنف بعد هذا « والحرب سجال » وهو بكسر المهملة وتخفيف الجيم أى تارة وتارة ، ففي غلبة المسلمين يكون لهم الفتح وفي غلبة المشركين يكون للمسلمين الشهادة ثم أورد المصنف طرفاً من حديث أبي سفيان في قصة هرقل ، وقد تقدم شرحه في كتاب بدء الوحي ، والغرض منه قوله فيه « فزعمت أن الحرب بينكم سجال أو دول » ، وقال ابن المنير : التحقيق أنه ما ساق حديث هرقل إلا لقوله « وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة » قال : فبذلك يتحقق أن لهم إحدى الحسينين ، إن انتصروا فلهم العاجلة والعاقبة وإن انتصر عدوهم فللرسل العاقبة انتهى . وهذا لا يستلزم

نفي التقدير الأول ولا يعارضه ، بل الذي يظهر أن الأول أولى لأنه من نقل أبي سفيان عن حال النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما الآخر فمن قول هرقل مستنداً فيه إلى ما تلقفه من الكتب .
(نكتة) : أفاد القزاز أن دال « دول » مثلثة .

ب

قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾
إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾

٢٧١٥- حدثنا محمد بن سعيد الخزازي قال حدثنا عبد الأعلى عن حميد قال سألت أنساً
[٢٨٠٥] وحدثني عمرو بن زرة قال حدثنا زياد قال حدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : غاب
عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لكن
الله أشهدني قتال المشركين ليراني الله ما صنع . فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال :
اللهم إني أعذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، يعني
المشركين . ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر ، إني
أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به
بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قُتل وقد مثل به
المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه .
قال أنس : كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ إلى آخر الآية .

[الحديث ٢٨٠٥ - طرفاه في : ٤٠٤٨ ، ٤٧٨٣ .]

٢٧١٦- وقال : إن أخته - وهي تسمى الربيع - كسرت ثنية امرأة فأمر رسول الله صلى
[٢٨٠٦] الله عليه بالقصاص ، فقال أنس : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتهما ، فرضوا
بالإرش وتركوا القصاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله
لأبره » .

٢٧١٧- حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري وحدثنا إسماعيل حدثني أخي
[٢٨٠٧] عن سليمان أراه عن محمد بن أبي عتيق عن الزهري عن خارجة بن زيد أن زيد بن ثابت قال :

نسختُ الصُّحُفَ في المصاحف ففقدتُ آيةَ من الأحزاب كنتُ أسمعُ رسولَ الله صلى الله عليه يقرأُ بها، فلم أجدها إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسولُ الله صلى الله عليه شهادته شهادة رجلين، وهو قوله: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

[الحديث ٢٨٠٧ - أطرافه في: ٤٠٤٩، ٤٦٧٩، ٤٧٨٤، ٤٩٨٦، ٤٩٨٨، ٤٩٨٩، ٧١٩١، ٧٤٢٥.]

قوله (باب قول الله عز وجل ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾) الآية المراد بالمعاهدة المذكورة ماتقدم ذكره من قوله تعالى ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ وكان ذلك أول ما خرجوا إلى أحد، وهذا قول ابن إسحق، وقيل ما وقع ليلة العقبة من الأنصار إذ بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤوه وينصروه ويمنعوه، والأول أولى. وقوله ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أي مات، وأصل النحب النذر، فلما كان كل حي لا بد له من الموت فكأنه نذر لازم له، فإذا مات فقد قضاه، والمراد هنا من مات على عهده لمقابلته بمن ينتظر ذلك. وأخرج ذلك ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن ابن عباس.

قوله (حدثنا محمد بن سعيد الخزازي) هو بصرى يلقب بمردويه ماله في البخاري سوى هذا الحديث وآخر في غزوة خيبر، وعبد الأعلى هو ابن عبد الأعلى السامي بالمهملة.

قوله (سألت أنساً) كذا أورده وعطف عليه الطريق الأخرى فأشعر بأن السياق لها، وأفادت رواية عبد الأعلى تصريح حميد له بالسماع من أنس فأمن تدليسه. وقد أخرجه مسلم والترمذي والنسائي من رواية ثابت عن أنس.

قوله (حدثنا زياد) لم أره منسوباً في شيء من الروايات، وزعم الكلاباذي ومن تبعه أنه ابن عبد الله البكائي بفتح الموحدة وتشديد الكاف، وهو صاحب ابن إسحق وراوى المغازي عنه، وليس له ذكر في البخاري سوى هذا الموضع.

قوله (غاب عمي أنس بن النضر) زاد ثابت عن أنس «الذي سميت به».

قوله (عن قتال بن بكر) زاد ثابت «فكبر عليه ذلك».

قوله (أول قتال) أي لأن بدرأول غزوة خرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه مقاتلاً، وقد تقدمها غيرها لكن ما خرج فيها صلى الله عليه وسلم بنفسه مقاتلاً.

قوله (لئن الله أشهدني) أي أحضرنى.

قوله (ليرين الله ما أصنع) بتشديد النون للتأكيد، واللام جواب القسم المقدر، ووقع في رواية ثابت عند مسلم «ليراني الله» بتخفيف النون بعدها تحتانية، وقوله «ما أصنع» أعربه النووي بدلاً من ضمير المتكلم، وفي رواية محمد بن طلحة عن حميد الآتية في المغازي «ليرين الله ما أجد» وهو بضم الهمزة وكسر الجيم وتشديد الدال، أو بفتح الهمزة وضم الجيم مأخوذ من الجد ضد الهزل، وزاد ثابت «وهاب أن يقول غيرها» أي خشي أن يلتزم شيئاً فيعجز عنه فأبهم، وعرف من السياق أن مراده أنه يبالغ في القتال وعدم الفرار.

قوله (وانكشف المسلمون) في رواية عبد الوهاب الثقفي عن حميد عند الإسماعيلي « وانهزم الناس » وسيأتي بيان ذلك في غزوة أحد .

قوله (أعتذر) أى من فرار المسلمين (وأبرأ) أى من فعل المشركين .

قوله (ثم تقدم) أى نحو المشركين (فاستقبله سعد بن معاذ) زاد ثابت عن أنس « منهزماً » كذا في مسند الطيالسي ، ووقع عند النسائي مكانها « مهمم » وهو تصحيف فيما أظن .

قوله (فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر) كأنه يريد والده ، ويحتمل أن يريد ابنه فإنه كان له ابن يسمى النضر وكان إذ ذاك صغيراً . ووقع في رواية عبد الوهاب « فوالله » وفي رواية عبد الله بن بكر عن حميد عند الحارث بن أبي أسامة عنه « والذي نفسى بيده » والظاهر أنه قال بعضها والبقية بالمعنى ، وقوله « الجنة » بالنصب على تقدير عامل نصب أى أريد الجنة أو نحوه ، ويجوز الرفع أى هى مطاوبى .

قوله (أنى أجد ريحها) أى ريح الجنة (من دون أحد) ، وفي رواية ثابت ، « واهأ لريح الجنة أجدها دون أحد » قال ابن بطال وغيره : يحتمل أن يكون على الحقيقة وأنه وجد ريح الجنة حقيقة أو وجد ريحاً طيبة ذكره طيبها بطيب ريح الجنة ، ويجوز أن يكون أراد أنه استحضر الجنة التى أعدت للشهيد فتصور أنها فى ذلك الموضع الذى يقاتل فيه فيكون المعنى إنى لأعلم أن الجنة تكتسب فى هذا الموضع فأشتاق لها . وقوله (واهأ) قاله إما تعجباً وإما تشوقاً إليها ، فكأنه لما ارتاح لها واشتاق إليها صارت له قوة من استنشقتها حقيقة .

قوله (قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع أنس) قال ابن بطال يريد ما استطعت أن أصف ما صنع أنس من كثرة ما أغنى وأبلى فى المشركين . قلت : وقع عند يزيد بن هارون عن حميد « فقلت أنا معك فلم استطع أن أصنع ما صنع . وظاهره أنه نبي استطاعة إقدامه الذى صدر منه حتى وقع له ما وقع من الصبر على تلك الأهوال بحيث وجد فى جسده ما يزيد على الثمانين من طعنة وضربة ورمية ، فاعترف سعد بأنه لم يستطع أن يقدم إقدامه ولا يصنع صنيعه ، وهذا أولى مما تأوله ابن بطال .

قوله (فوجدناه به) فى رواية عبد الله بن بكر « قال أنس فوجدناه بين القنلى وبه » .

قوله (بضعا وثمانين) لم أر فى شيء من الروايات بيان هذا البضع وقد تقدم أنه ما بين الثلاث والتسع ، وقوله « ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم » أو هنا للتقسيم ، ويحتمل أن تكون بمعنى الواو ، وتفصيل مقدار كل واحدة من المذكورات غير معين .

قوله (وقد مثل به) بضم الميم وكسر المثناة وتخفيفها وقد تشدد وهو من المثلة بضم الميم وسكون المثناة وهو قطع الأعضاء من أنف وأذن ونحوها .

قوله (فما عرفه أحد إلا أخوه) فى رواية ثابت « فقالت عمتى الربيع بنت النضر أخته : فما عرفت أخى إلا ببنايه » زاد النسائي من هذا الوجه « وكان حسن البنان » والبنان الإصبع ، وقيل طرف الإصبع ، ووقع فى رواية محمد بن طلحة المذكورة بالشك « ببنايه أو بشامة » بالشين المعجمة والأولى أكثر .

قوله (قال أنس : كنا ترى أو نظن) شك من الراوى وهما بمعنى واحد ، وفى رواية أحمد عن يزيد

ابن هارون عن حميد « فكنا نقول » وكذا لعبد الله بن بكر ، وفي رواية أحمد بن سنان عن يزيد « وكانوا يقرلون » أخرجه ابن أبي حاتم عنه ، وكأن التردد فيه من حميد ، ووقع في رواية ثابت « وأنزلت هذه الآية » بالجزم .

قوله (وقال إن أخته) كذا وقع هنا عند الجميع ولم يعين القائل ، وهو أنس بن مالك رواى الحديث ، والضمير في قوله « أخته » للنضر بن أنس ، ويحتمل أن يكون فاعل « قال » واحداً من الرواة دون أنس ولم أقف على تعيينه ، ولا استخرج الإسماعيلي هذا الحديث هنا ، وهى تسمى الربيع ، بالتشديد أى أخت أنس ابن النضر وهى عمة أنس بن مالك ، وسيأتى شرح قصتها في كتاب القصاص . وفي قصة أنس بن النضر من الفوائد جواز بذل النفس في الجهاد ، وفضل الوفاء بالعهد ولو شق على النفس حتى يصل إلى إهلاكها ، وأن طلب الشهادة في الجهاد لا يتناوله النهى عن الإلقاء إلى التهلكة . وفيه فضيلة ظاهرة لأنس بن النضر وما كان عليه من صحة الإيمان وكثرة التوقي والتورع وقوة اليقين . قال الزين بن المنير : من أبلغ الكلام وأفصحه قول أنس بن النضر في حق المسلمين « أعتذر إليك » وفي حق المشركين « أبرأ إليك » فأشار إلى أنه لم يرض الأمرين جميعاً مع تغايرهما في المعنى ، وسيأتى في غزوة أحد من المغازى بيان ما وقعت الإشارة إليه هنا من انهزام بعض المسلمين ورجوعهم وعفو الله عنهم ، رضى الله عنهم وقواه أجمعين .

قوله (وحدثنا إسماعيل) هو ابن أبي أويس ، وأخوه هو أبو بكر عبد الحميد ، وسامان هو ابن بلال أراه عن محمد بن أبي عتيق هو بضم الهمزة أى أظنه ، وهو قول إسماعيل المذكور .

قوله (عن خارجة بن زيد) أى ابن ثابت ، وللزهرى في هذا الحديث شيخ آخر وهو عبيد بن السباق ، لكن اختلف خارجة وعبيد في تعيين الآية التى ذكر زيد أنه وجدها مع خزيمة فقال خارجة : إنها قرله تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ﴾ وقال عبيد إنها قوله تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ وقد أخرج البخارى الحديثين جميعاً بالإسنادين المذكورين فكأنهما جميعاً صحا عنده ، ويؤيد ذلك أن شعبياً حدث عن الزهرى بالحديثين جميعاً ، وكذلك رواهما عن الزهرى جميعاً إبراهيم بن سعد كما سيأتى في فضائل القرآن ، وفي رواية عبيد بن السباق زيادات ليست في رواية خارجة ، وانفرد خارجة بوصف خزيمة بأنه « الذى جعل النبى صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجائين » وسأذكر ما في هذه الزيادة من بحث في تفسير سورة الأحزاب إن شاء الله تعالى . والسياق الذى ساقه هنا لابن أبي عتيق ، وأما سياق شعبى فسيأتى بيانه في تفسير الأحزاب وقال فيه عن الزهرى « أخبرنى خارجة » وتأتى بقية مباحثه في فضائل القرآن إن شاء الله تعالى .

باب عمل صالح قبل القتال

وقال أبو الدرداء : إنما تقاتلون بأعمالكم . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ كَانَهُمْ بِنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ .

٢٧١٨ - حدثني محمد بن عبد الرحيم قال حدثنا شبابة بن سوار الفزاري قال حدثنا

إسرائيل عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : أتى النبي صلى الله عليه رجل مقنّع بالحديد فقال : يا رسول الله ، أقاتل أو أسلم ؟ قال : أسلم ثم قاتل : فأسلم ثم قاتل فقتل . فقال رسول الله صلى الله عليه : « عمل قليلاً وأجر كثيراً » .

قوله (باب عمل صالح قبل القتال . وقال أبو الدرداء إنما تقاتلون بأعمالكم) هكذا وقع عند الجميع ولعله كان قاله أبو الدرداء وقال « إنما تقاتلون بأعمالكم » وإنما قلت ذلك لأنني وجدت ذلك في « المجالسة للدينوري » من طريق أبي إسحق الفزارى « عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد أن أبا الدرداء قال : أيها الناس عمل صالح قبل الغزو ، فإنما تقاتلون بأعمالكم » . ثم ظهر لي سبب تفصيل البخارى ، وذلك أن هذه الطريق منقطعة بين ربيعة وأبي الدرداء ، وقد روى ابن المبارك في كتاب الجهاد عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن ابن حلبس بفتح المهملة والموحدة بينهما لام ساكنة وآخره سين مهملة « عن أبي الدرداء قال : إنما تقاتلون بأعمالكم » ولم يذكر ما قبله فاقصر البخارى على ما ورد بالإسناد المتصل فعزاه إلى أبي الدرداء ، ولذلك جزم به عنه ، واستعمل بقية ما ورد عنه بالإسناد المنقطع في الترجمة إشارة إلى أنه لم يغفله .

قوله (وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون - إلى قوله - ببيان مرصوص) ذكر فيه حديث البراء في قصة الذى قتل حين أسلم ، قال ابن المنير : مناسبة الترجمة والآية للحديث ظاهرة وفي مناسبة الترجمة للآية خفاء وكأنه من جهة أن الله عاتب من قال إنه يفعل الخير ولم يفعله ، وأثنى على من وفى وثبت عند القتال ، أو من جهة أنه أنكر على من قدم على القتال قولاً غير مرضى فكشف الغيب أنه أخلف ، ففهمه ثبوت الفضل في تقديم الصدق والعزم الصحيح على الوفاء وذلك من أصلح الأعمال انتهى . وهذا الثانى أظهر فيما أرى والله أعلم . وقال الكرماني : المقصود من الآية في هذه الترجمة قوله في آخرها ﴿ صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ لأن الصف في القتال من العمل الصالح قبل القتال ، انتهى . وسيأتى تفسير قوله ﴿ مرصوص ﴾ في التفسير .

قوله (حدثني محمد بن عبد الرحيم) هو الحافظ المعروف بصاعقة ، وإسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحق السبيعي .

قوله (أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل) لم أقف على اسمه ووقع عند مسلم من طريق زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحق أنه من الأنصار ثم من بني النبيت بفتح النون وكسر الموحدة بعدها تخنانية ساكنة ثم مثناة فوق ولولا ذلك لأمكن تفسيره بعمر بن ثابت بن وقش بفتح الواو والقاف بعدها معجمة وهو المعروف بأصرم بن عبد الأشهل ، فإن بني عبد الأشهل بطن من الأنصار من الأوس وهم غير بني النبيت ، وقد أخرج ابن إسحق في المغازى قصة عمرو بن ثابت بإسناد صحيح عن أبي هريرة أنه كان يقول « أخبروني عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة ؟ ثم يقول : هو عمرو بن ثابت » قال ابن إسحق قال الحصين بن محمد : قلت لمحمود ابن ليلى : كيف كانت قصته ؟ قال : كان يأبى الإسلام ، فلما كان يوم أحد بدا له فأخذ سيفه حتى أتى

القوم فدخل في عرض الناس فقاتل حتى وقع جريحاً ، فوجده قومه في المعركة فقالوا : ما جاء بك ؟ أشفقة على قومك ، أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابني ما أصابني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه من أهل الجنة « وروى أبو داود والحاكم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة « كان عمرو يأبى الإسلام لأجل رباً كان له في الجاهلية ، فلما كان يوم أحد قال : أين قومي ؟ قالوا بأحد ، فأخذ سيفه ولحقهم ، فلما رأوه قالوا : إليك عنا ، قال : أنى قد أسلمت ، فقاتل حتى جرح ، فجاءه سعد بن معاذ فقال : خرجت غضباً لله ولرسوله ، ثم مات فدخل الجنة وما صلى صلاة . فيجمع بين الروايتين بأن الذين رأوه وقالوا له : إليك عنا ، ناس غير قومه ، وأما قومه فما شعروا بمجيئه حتى وجدوه في المعركة . ويجمع بينهما وبين حديث الباب بأنه جاء أولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستشاره ثم أسلم ثم قاتل ، فرآه أولئك الذين قالوا له إليك عنا . ويؤيد هذا الجمع قوله لهم « قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم » وكأن قومه وجدوه بعد ذلك فقالوا له ما قالوا . ويؤيد الجمع أيضاً ما وقع في سياق حديث البراء عند النسائي ، فإنه أخرجه من رواية زهير بن معاوية عن أبي إسحق نحو رواية إسرائيل وفيه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أنى حمات على القوم فقاتلت حتى أقتل أكان خيراً لي ولم أصل صلاة ؟ قال نعم » ونحوه لسعيد بن منصور من وجه آخر عن أبي إسحق وزاد في أوله أنه قال « أخير لي أن أسلم ؟ قال نعم : فأسلم » فإنه موافق لقول أبي هريرة « إنه دخل الجنة وما صلى لله صلاة » وأما كونه من بني عبد الأشهل ونسب في رواية مسلم إلى بني النبيت فيمكن أن يحمل على أن له في بني النبيت نسبة ما ، فإنهم إخوة بني عبد الأشهل يجمعهم الانتساب إلى الأوس .

قوله (مقنع) بفتح القاف والنون مشددة ، وهو كناية عن تغطية وجهه بآلة الحرب .

قوله (وأجر كثيراً) بالضم على البناء أى أجر أجراً كثيراً ، وفي هذا الحديث أن الأجر الكثير قد يحصل بالعمل اليسير فضلاً من الله وإحساناً .

باب من أتاه سهم غروب فقتله

[٢٨٠٩]

٢٧١٩ - حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا حسين بن محمد أبو أحمد قال حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقاة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قُتل يوم بدر أصابه سهم غروب - فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء . قال : « يا أم حارثة ، إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

[الحديث ٢٨٠٩ - أطرافه في : ٣٩٨٢ ، ٦٥٥٠ ، ٦٥٦٧] .

قوله (باب من أتاه سهم غروب) بتنوين سهم وبفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة هذا هو الأشهر وسيأتي بيان الخلاف فيه .

قوله (حدثنا محمد بن عبد الله) جزم النكلا باذى وتبعه غير واحد بأنه الذهلي ، وهو محمد بن يحيى ابن عبد الله ، نسبه البخارى إلى جده ، ووقع في رواية أبي علي بن السكن « حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك الخرمي بضم الميم وفتح المعجمة وتشديد الراء ، فإن لم يكن ابن السكن نسبه من قبل نفسه وإلا فما قاله هو المعتمد . وقد أخرجه ابن خزيمة في التوحيد من صحيحه عن محمد بن يحيى الذهلي عن حسين بن محمد وهو المروزي بهذا الإسناد .

قوله (أن أم الربيع بنت البراء) كذا لجميع رواة البخارى ، وقال بعد ذلك « وهى أم حارثة بن سراقه » وهذا الثانى هو المعتمد ، والأول وهم نبه عليه غير واحد من آخرهم الدمياطى فقال : قوله أم الربيع بنت البراء وهم ، وإنما هى الربيع بنت النضر عمه أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن عمرو ، وقد تقدم ذكر قتل أخيها أنس بن النضر وذكرها في آخر حديثه قريباً وهى أم حارثة بن سراقه بن الحارث بن عدى من بني عدى بن النجار ذكره ابن إسحق وموسى بن عقبة وغيرهما فيمن شهد بدرأ ، وانفقوا على أنه رماه حبان بكسر المهملة بعدها موحدة ثقيلة ابن العرقه - بفتح المهملة وكسر الراء بعدها قاف - وهو على حوض فأصاب نحره فمات . قلت : ووقع في رواية ابن خزيمة المذكورة أن الربيع بنت البراء بحذف « أم » فهذا أشبه بالصواب ، لكن ليس في نسب الربيع بنت النضر أحد اسمه البراء فلعله كان فيه « الربيع عمه البراء » فإن البراء بن مالك أخو أنس بن مالك فكل منهما ابن أخيها أنس بن النضر ، وقد رواه الترمذى وابن خزيمة أيضاً من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة فقال « عن أنس أن الربيع بنت النضر أتت النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابنها حارثة بن سراقه أصيب يوم بدر » الحديث ، ورواه النسائي من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال « انطلق حارثة ابن عمى فجاءت عمى أمه » وحكى أبو نعيم الأصبهاني أن الحكم بن عبد الملك رواه عن قتادة كذلك وقال « حارثة بن سراقه » قال ابن الأثير في « جامع الاصول » الذى وقع في كتب النسب والمغازى وأسماء الصحابة أن أم حارثة هى الربيع بنت النضر عمه أنس ، وأجاب الكرمانى بأنه لا وهم للبخارى لأنه ليس في رواية النسفى إلا الاختصار على قول أنس « أن أم حارثة بن سراقه » قال فيحمل على أنه كان في رواية الفربرى حاشية لبعض الرواة غير صحيحة فألحقت بالمتن انتهى . وقد راجعت أصل النسفى من نسخة ابن عبد البر فوجدتها موافقة لرواية الفربرى فالنسخة التى وقعت للكرمانى ناقصة وادعاء الزيادة في مثل هذا الكتاب مردود على قائله ، والظاهر أن لفظ أم وبنت وهم كما تقدم توجيهه قريباً ، والخطب فيه سهل ولا يقدح ذلك في صحة الحديث ولا في ضبط رواته . وقد وقع في رواية سعيد بن أبي عروبة التى ضبط فيها اسم الربيع بنت النضر وهم في اسم ابنها فسماه « الحارث » بدل « حارثة » . وقد روى هذا الحديث أبان عن قتادة فقال : أن أم حارثة لم ترد أخرجه أحمد ، وكذلك أخرجه من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، وسيأتى كذلك في المغازى من طريق حميد عن أنس . ثم شرع الكرمانى في إبداء احتمالات بعيدة متكلفة لتوجيه الرواية التى في البخارى فقال : يحتمل أن يكون للربيع ابن يسمى الربيع يعنى بالتخفيف من زوج آخر غير سراقه يسمى البراء وأن يكون « بنت البراء » خبراً لأن وضمير « هى » راجع إلى الربيع وأن يكون « بنت » صفة لوالدة الربيع فأطاق الأم على الجدة تجوزاً وأن تكون إضافة الأم إلى الربيع للبيان أى الأم التى هى الربيع

وبنت مصحف من عمة ، قال : وازتكاب بعض هذه التكاليف أولى من تخطيطة العدول الأثبات . قلت : إنما اختار البخاري رواية شيبان على رواية سعيد لتصريح شيبان في روايته بتحديث أنس لقتادة ، وللبخاري حرص على مثل ذلك إذا وقعت الرواية عن مدلس أو معاصر ، وقد قال هو في تسمية من شهد بدرًا « وحارثة ابن الربيع وهو حارثة بن سراقه » فلم يعتمد على ما وقع في رواية شيبان أنه حارثة بن أم الربيع بل جزم بالصواب ، والربيع أمه وسراقه أبوه .

قوله (أصابه سهم غرب) أى لا يعرف راميه ، أو لا يعرف من أين أتى ، أو جاء على غير قصد من راميه قاله أبو عبيد وغيره . والثابت في الرواية بالتثوين وسكون الراء ، وأنكره ابن قتيبة فقال : كذا تقوله العامة والأجود فتح الراء والإضافة ، وحكى الهروي عن ابن زيد : أن جاء من حيث لا يعرف فهو بالتثوين والإسكان ، وإن عرف راميه لكن أصاب من لم يقصد فهو بالإضافة وفتح الراء ، قال : وذكره الأزهرى بفتح الراء لا غير ، وحكى ابن دريد وابن فارس والقزاز وصاحب المنهى وغيرهم الوجهين مطلقاً ، وقال ابن سيده : أصابه سهم غرب وغرب إذا لم يدر من رماه ، وقيل إذا أتاه من حيث لا يدرى ، وقيل إذا قصد غره فأصابه ، قال وقد يوصف به . قلت : فحصلنا من هذا على أربعة أرجه . وقصة حارثة منزلة على الثاني فإن الذى رماه قصد غرته فرماه وحارثة لا يشعر به ، وقد وقع في رواية ثابت عند أحمد أن حارثة خرج نظاراً ، زاد النسائي من هذا الوجه : ما خرج لقتال .

قوله (اجتهدت عليه في البكاء) قال الخطابي : أقرها النبي صلى الله عليه وسلم على هذا أى فيؤخذ منه الجواز . قلت : كان ذلك قبل محريم النوح فلا دلالة فيه . فإن تحريره كان عقب غزوة أحد ، وهذه القصة كانت عقب غزوة بدر . ووقع في رواية سعيد بن أنى عروبة « اجتهدت في الدعاء » بدل قوله « في البكاء » وهو خطأ ، ووقع ذلك في بعض النسخ دون بعض ، ووقع في رواية حميد الآتية في صفة الجنة من الرقاق وعند النسائي « فإن كان في الجنة لم أبك عليه » وهو دال على صحة الرواية بلفظ البكاء ، وقال في رواية حميد هذه « وإلا فسترى ما أصنعه » ونحوه في رواية حماد عن ثابت عند أحمد .

قوله (أنها جنان في الجنة) كذا هنا ، وفي رواية سعيد بن أنى عروبة « أنها جنان في جنة » وفي رواية أبان عند أحمد « أنها جنان كثيرة في جنة » وفي رواية حميد المذكورة « أنها جنان كثيرة » فقط ، والضمير في قوله « إنها جنان » يفسره ما بعده ، وهو كقولهم : هى العرب تقول ما شاءت ، والقصد بذلك التفضيم والتعظيم ، ومضى الكلام على « الفردوس » قريباً .

ب

من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا

[٢٨١٠] ٢٧٢٠ - حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن عمرو عن أبي وائل عن أبي موسى قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه فقال : الرجل يُقاتل للمغنم ، والرجل يُقاتل للذكر ،

والرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرى مكانه، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

قوله (باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا) أى فضله، أو الجواب مخوف تقديره فهو المعبر .
قوله (عن عمرو) هو ابن مرة .

قوله (عن أبي وائل عن أبي موسى) في رواية غندر عن شعبة في فرض الخمس «سمعت أبا وائل حدثنا أبا موسى» .

قوله (جاء رجل) في رواية غندر المذكورة «قال أعرابي» وهذا يدل على وهم ماوقع عند الطبراني من وجه آخر «عن أبي موسى أنه قال يا رسول الله» فذكره، فإن أبا موسى وزن جاز أن يبهيم نفسه لكن لا يصفها بكونه أعرابياً، وهذا الأعرابي يصلح أن يفسر بلاحق بن ضميرة، وحديثه عند أبي موسى المديني في «الصحابة» من طريق عفير بن معدان «سمعت لاحق بن ضميرة الباهلي قال: وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن الرجل يلتمس الأجر والذكر فقال: لا شيء له» الحديث، وفي إسناده ضعف، وروينا في «فوائد أبي بكر بن أبي الحديد» بإسناد ضعيف، عن معاذ بن جبل أنه قال: يا رسول الله كل بني سلمة يقاتل فبهم من يقاتل رياء الحديث فلو صح لاحتمل أن يكون معاذ أيضاً سأل عما سأل عنه الأعرابي، لأن سؤال معاذ خاص وسؤال الأعرابي عام، ومعاذ أيضاً لا يقال له أعرابي فيحمل على التعدد.

قوله (الرجل يقاتل للمغم) في رواية منصور عن أبي وائل الماضية في العلم «فقال ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل» .

قوله (والرجل يقاتل للذكر) أى ليدكر بين الناس ويشتهر بالشجاعة وهي رواية الأعمش عن أبي وائل الآتية في التوحيد حيث قال «ويقاتل شجاعة» .

قوله (والرجل يقاتل ليرى مكانه) في رواية الأعمش «ويقاتل رياء» فرجع الذي قبله إلى السمعة ومرجع هذا إلى الرياء وكلاهما مذموم، وزاد في رواية منصور والأعمش «ويقاتل حمية» أى لمن يقاتل لأجله من أهل أو عشيرة أو صاحب، وزاد في رواية منصور «ويقاتل غضباً» أى لأجل حفظ نفسه، ويحتمل أن يفسر القتال للحمية بدفع المضرة، والقتال غضباً بجلب المنفعة، فالحاصل من رواياتهم أن القتال يقع بسبب خمسة أشياء: طلب المغم، وإظهار الشجاعة، والرياء، والحمية، والغضب، وكل منها يتناوله المدح والذم، فلهذا لم يحصل الجواب بالإثبات ولا بالنفي .

قوله (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) المراد بكلمة الله دعوة الله إلى الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سبباً من الأسباب المذكورة أدخل بذلك، ويحتمل أن لا يخل إذا حصل ضمناً لا أصلاً ومقصوداً وبذلك صرح الطبري فقال: إذا كان أصل الباعث هو الأول لا يضره ما عرض له بعد ذلك،

وبذلك قال الجمهور ، لكن روى أبو داود والنسائي من حديث أبي أمامة بإسناد جيد قال « جاء رجل فقال : يا رسول الله : أرأيت رجلاً غزاه يلمس الأجر والذكر ماله ؟ قال لا شيء له ، فأعادهما ثلاثاً كل ذلك يقول : لا شيء له ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه ، ويمكن أن يحمل هذا على من قصد الأمرين معاً على حد واحد فلا يخالف المرجح أولاً ، فتصير المراتب خمساً : أن يقصد الشئين معاً ، أو يقصد أحدهما صرفاً أو يقصد أحدهما ويحصل الآخر ضمناً ، فالمحذور أن يقصد غير الإعلاء ، فقد يحصل الإعلاء ضمناً ، وقد لا يحصل ويدخل تحته مرتبتان ، وهذا ما دل عليه حديث أبي موسى ، ودونه أن يقصد معاً فهو محذور أيضاً على ما دل عليه حديث أبي أمامة ، والمطلوب أن يقصد الإعلاء صرفاً ، وقد يحصل غير الإعلاء وقد لا يحصل ففيه مرتبتان أيضاً ، قال ابن أبي جرة : ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الله لم يضره ما انضاف إليه اهـ . ويدل على أن دخول غير الإعلاء ضمناً لا يقدح في الإعلاء إذا كان الإعلاء هو الباعث الأصلي مارواه أبو داود بإسناد حسن عن عبد الله بن حوالة قال « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أقدامنا لنغم ، فرجعنا ولم نغم شيئاً ، فقال : اللهم لا تكلمهم إلى » الحديث . وفي إجابة النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكر غاية البلاغة والإيجاز ، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، لأنه لو أجابه بأن جميع ما ذكره ليس في سبيل الله احتمل أن يكون ما عدا ذلك كله في سبيل الله وليس كذلك ، فعدل إلى لفظ جامع عدل به عن الجواب عن ماهية القتال إلى حال المقاتل فتضمن الجواب وزيادة ، ويحتمل أن يكون الضمير في قوله « فهو » راجعاً إلى القتال الذي في ضمن قاتل أي فقتاله قتال في سبيل الله ، واشتمل طلب إعلاء كلمة الله على طلب رضاه وطلب ثوابه وطلب دحض أعدائه وكلها متلازمة . والحاصل مما ذكر أن القتال منشؤه القوة العقلية والقوة الغضبية والقوة الشهوانية ، ولا يكون في سبيل الله إلا الأول ، وقال ابن بطال : إنما عدل النبي صلى الله عليه وسلم عن لفظ جواب السائل لأن الغضب والحمية قد يكونان لله فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك إلى لفظ جامع فأفاد دفع الإلباس وزيادة الإفهام ، وفيه بيان أن الأعمال إنما تحتسب بالنية الصالحة ، وأن الفضل الذي ورد في الجهاد يختص بمن ذكر ، وقد تقدم بعض مباحثه في أواخر كتاب العلم . وفيه جواز السؤال عن العلة وتقدم العلم على العمل ، وفيه ذم الحرص على الدنيا وعلى القتال لحظ النفس في غير الطاعة .

باب من اغبرت قدماه في سبيل الله

وقول الله : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ إلى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

٢٧٢١ - حدثنا إسحاق قال أخبرنا محمد بن المبارك قال حدثنا يحيى بن حمزة قال حدثني يزيد بن أبي مریم قال أخبرنا عباية بن رفاع بن رافع قال أخبرني أبو عيس أن رسول الله صلى الله عليه قال : « ما اغبرت قدما عبداً في سبيل الله فتمسه النار » . [٢٨١١]

قوله (باب من اغبرت قدماه في سبيل الله) أى بيان ماله من الفضل .

قوله (وقول الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ - إِنَّ اللَّهَ لَا يَضْمِعُ أَجْرَ الْخَسِيسِينَ ﴾) قال ابن بطال : مناسبة الآية للترجمة أنه سبحانه وتعالى قال في الآية ﴿ وَلَا يَطْرُقُونَ مَرِطاً يَغِظُ الْكَفَّارَ ﴾ وفي الآية ﴿ إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ قال : ففسر صلى الله عليه وسلم العمل الصالح أن النار لا تمس من عمل بذلك ، قال : والمراد في سبيل الله جميع طاعاته اهـ . وهو كما قال ، إلا أن المتبادر عند الإطلاق من لفظ سبيل الله الجهاد ، وقد أورده المصنف في « فضل المشي إلى الجمعة » استعمالاً للفظ في عمومته ، ولفظه هناك « حرمة الله على النار » وقال ابن المنير : مطابقة الآية من جهة أن الله أثابهم بخطواتهم وإن لم يباشروا قتالا ، وكذلك دل الحديث على أن من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمة الله على النار سواء باشر قتالا أم لا اهـ . ومن تمام المناسبة أن الوطء يتضمن المشي المؤثر لتغيير القدم ، ولا سيما في ذلك الزمان .

قوله (حدثنا إسحق) قال أبو علي الجبائي : نسبه الأصيلي ابن منصور . قلت : وأخرجه الإسماعيلي من طريق إسحق بن زيد الخطابي تزيل حران عن محمد بن المبارك المذكور ، لكن زاد في آخر المتن قوله « فتمسها النار أبداً » فالظاهر أنه ابن منصور ، ويؤيده أن أبا نعيم أخرجه من طريق الحسن بن سفيان عن إسحق بن منصور ، ويزيد المذكور في الإسناد بالزاي ، وعباية بفتح المهملة ، وأبو عبس بسكون الموحدة هو ابن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة .

قوله (ما اغبرتا) كذا في رواية المستملى بالثنية وهو لغة ، وللباقين « ما اغبرت » وهو الأفصح ، زاد أحمد من حديث أبي هريرة « ساعة من نهار » . وقوله « فتمسه النار » بالنصب ، والمعنى أن المس ينتفي بوجود الغبار المذكور ، وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله ، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه ؟ وللحديث شواهد : منها ما أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي البرداء مرفوعاً « من اغبرت قدماه في سبيل الله باعد الله منه النار مسيرة ألف عام للراكب المستعجل » وأخرج ابن حبان من حديث جابر أنه كان في غزاة فقال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول » فذكر نحو حديث الباب ، قال : فتوائب الناس عن دوابهم ، فما روى أكثر ما شياً من ذلك اليوم .

باب مسح الغبار عن الناس في السبيل

[٢٨١٢]

٢٧٢٢ - حدثنا إبراهيم بن موسى قال أخبرنا عبد الوهاب قال حدثنا خالد عن عكرمة

أن ابن عباس قال له ولعلي بن عبد الله : ائتيا أباسعيد فاسمعا من حديثه . فأتيناها وهو وأخوه في حائط لهما يسقيانه ، فلما رأنا جاء فاحتبى وجلس فقال : كُنَّا نُنْقِلُ لِبْنِ الْمَسْجِدِ لِبْنَةً لِبْنَةً ، وَكَانَ

عمار ينقل لبنتين لبنتين، فمر به النبي صلى الله عليه وسلم مسح عن رأسه الغبار وقال: «ويح عمار يدعوهم إلى الله ويدعونهم إلى النار».

قوله (باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله) قال ابن المنير: ترجم بهذا وبالذي بعده دفعاً لتوهم كراهية غسل الغبار ومسحه لكونه من جملة آثار الجهاد كما كره بعض السلف المسح بعد الوضوء. قلت. والفرق بينهما من جهة أن التنظيف مطلوب شرعاً، والغبار أثر الجهاد وإذا انقضى فلا معنى لبقاء أثره. وأما الوضوء فالمقصود به الصلاة فاستحب بقاء أثره حتى يحصل المقصود فافترق المسحان. ثم أورد حديث أبي سعيد في قصة عمار في بناء المسجد، وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في «باب التعاون في بناء المسجد» في أوائل الصلاة، وفيه ما يتعلق بقوله «فأتيناه وهو وأخوه في حائط لهما» والمراد منه هنا قوله «ومر به النبي صلى الله عليه وسلم فمسح عن رأسه الغبار».

باب الغسل بعد الحرب والغبار

٢٧٢٣ - حدثني محمد بن سلام قال أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن [٢٨١٣]

عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع يوم الخندق ووضع واغتسل، فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال: وضعت السلاح؟ فوالله ما وضعت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فأين؟» قال: هاهنا - وأوماً إلى بني قريظة - قالت: فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله (باب الغسل بعد الحرب والغبار) تقدم توجيهه في الباب الذي قبله، وذكر فيه حديث عائشة في اغتساله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الخندق، وسيأتي الكلام عليه مستوفى في المغازي. وقوله في هذه الرواية «ووضع» أي السلاح وصرح بذلك في رواية الأصيلي وغيره.

قوله (حدثنا محمد) كذا لأكثر، ونسبه أبو ذر فقال «ابن سلام» وقوله «عصب» بفتح المهملة والتخفيف أي أحاط به فصار عليه مثل العصاة.

باب

فَضْلُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ إِلَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

٢٧٢٤ - حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال حدثني مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين [٢٨١٤]

غداة، على رعل وذكوان وعُصيّة عصت الله ورسوله. قال أنس: أنزل في الذين قتلوا ببشر معونة قرآن قرأناه ثم نسخ بعد: بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه.

[٢٨١٥] ٢٧٢٥ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول: اصطبغ ناس الخمر يوم أحد، ثم قتلوا شهداء. قيل لسفيان: من آخر ذلك اليوم؟ قال: ليس هذا فيه.

[الحديث ٢٨١٥ - طرفاه في: ٤٠٤٤، ٤٦١٨].

قوله (باب فضل قول الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ - إلى قوله - وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) كذا لأبي ذر، وساق الأصيلي وكريمة الآيتين، ومعنى قوله «فضل قول الله» أي فضل من ورد فيه قول الله، وقد حذف الإسماعيلي لفظ فضل من الترجمة. ثم ذكر فيه حديثين: أحدهما حديث أنس في قصة الذين قتلوا في بئر معونة أوردتها مختصرة، وستأتي بتمامها في المغازي، وأشار بإيراد الآية إلى ما ورد في بعض طرقه كما سأذكره هناك في آخره عند قوله «فأنزل فيهم بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه»، زاد عمر بن يونس عن إسحق بن أبي طاحه فيه «فنسخ بعد ما قرأناه زماناً وأنزل الله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله﴾ الآية. ثانيهما حديث جابر «اصطبغ ناس الخمر يوم أحد ثم قتلوا شهداء» سيأتي في المغازي أن والد جابر كان من جملة من أشار إليهم، قال ابن المنير: مطابقته للترجمة فيه عسر، إلا أن يكون مراده أن الخمر التي شربوها يومئذ لم تضرهم لأن الله عز وجل أثنى عليهم بعد موتهم ورفع عنهم الخوف والحزن، وإنما كان ذلك لأنها كانت يومئذ مباحة. قلت: ويمكن أن يكون أوردته للإشارة إلى أحد الأقوال في سبب نزول الآية المترجم بها، فقد روى الترمذي من حديث جابر أيضاً أن الله لما كلم والد جابر وتمنى أن يرجع إلى الدنيا ثم قال «يارب بلغ من ورأى»، فأنزل الله ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله﴾ الآية.

قوله (فقيل لسفيان «من آخر ذلك اليوم» قال: ليس هذا فيه) أي أن في الحديث «فقتلوا شهداء من آخر ذلك اليوم» فأنكر ذلك سفيان، وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق القواريري عن سفيان بهذه الزيادة ولكن بلفظ «اصطبغ قوم الخمر أول النهار وقتلوا آخر النهار شهداء» فعمل سفيان كان نسيه ثم تذكر، وقد أخرجه المصنف في المغازي عن عبد الله بن محمد عن سفيان بدون الزيادة، وأخرجه في تفسير المائدة عن صدقة بن الفضل عن سفيان بإثباتها، وسيأتي بقية شرحه في كتاب المغازي إن شاء الله تعالى.

باب ظل الملائكة على الشهيد

[٢٨١٦] ٢٧٢٦ - حدثنا صدقة بن الفضل قال أخبرنا ابن عيينة قال سمعت ابن المنكدر أنه سمع جابراً يقول: جيء بأبي إلى النبي صلى الله عليه قد مثل به ووضع بين يديه، فذهبت

أَكْشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، فَنَهَانِي قَوْمِي، فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ، فَقِيلَ: بِنْتُ عَمْرُو - أَوْ أُخْتُ عَمْرُو - فَقِيلَ: «لَمْ تَبْكِي، أَوْ لَا تَبْكِي، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنَحَتِهَا». قُلْتُ لَصَدَقَةَ: أَفِيهِ حَتَّى رُفِعَ؟ قَالَ: رُبَّمَا قَالَهُ.

قوله (باب ظل الملائكة على الشهيد) ذكر فيه حديث جابر في قصة قتل أبيه، وسيأتي بيانه في غزوة أحد، وهو ظاهر فيما ترجم له، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الجنائز.

قوله (قلت لصدقة) القائل هو المصنف، وصدقة هو ابن الفضل شيخه فيه، وقد تقدم في الجنائز عن علي بن عبد الله وهو ابن المديني عن سفيان وفي آخره «حتى رفع» وكذلك رواه الحميدي وجماعة عن سفيان.

باب تَمَنِّي الْمُجَاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا

[٢٨١٧] ٢٧٢٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا الشَّهِيدُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ».

قوله (باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا) أورد فيه حديث قتادة «سمعت أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم: ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا» الحديث، وقد ورد بلفظ التمني وذلك فيما أخرجه النسائي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله تعالى: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل، فيقول: سل وتمن، فيقول: ما أسألك وأتمنى؟ أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات، لمسا رأيت من فضل الشهادة» الحديث، ولمسلم من حديث ابن مسعود رفعه في الشهداء قال «فاطع عليهم ربك اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى» ولابن أبي شبة من مرسل سعيد بن جبيرة أن المخاطب بذلك حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير، وللترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث جابر قال «قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ قال: يا عبد الله تمن على أعطك، قال: يارب تحبيني فأقتل فيك ثانية، قال: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون». فول شعبه في الإسناد (سمعت قتادة) في رواية أبي خالد الأحمر عن شعبه عن قتادة وحيد كلاهما عن أنس أخرجه مسلم.

قوله (ما أحد). في رواية أبي خالد «ما من نفس».

قوله (يدخل الجنة) في رواية أبي خالد «لها عند الله خير».

قوله (وله ما على الأرض من شيء) في رواية أبي خالد « وأن لها الدنيا وما فيها » .
 قوله (لما يرى من الكرامة) في رواية أبي خالد « لما يرى من فضل الشهادة » ، ولم يقل عشر مرات ،
 وكان أبا خالد ساقه على لفظ حميد والله أعلم . قال ابن بطال : هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة ،
 قال : وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب .

باب الجنة تحت بارقة السيوف

وقال المغيرة بن شعبه : أخبرنا نبينا صلى الله عليه : « من قُتل منا صار إلى الجنة » ، وقال
 عمر للنبي صلى الله عليه : أليس قتلنا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال : « بلى » .

٢٧٢٨ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إسحاق عن
 موسى بن عقبة عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله - وكان كاتبه قال : كتب إليه عبد الله
 ابن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه قال : « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » تابعه
 الأويسى عن أبي الزناد عن موسى بن عقبة .

[الحديث ٢٨١٨ - أطرافه في : ٢٨٢٣ ، ٢٩٦٦ ، ٣٠٢٤ ، ٧٢٣٧] .

قوله (باب الجنة تحت بارقة السيوف) هو من إضافة الصفة إلى الموصوف وقد تطلق البارقة ويراد بها
 نفس السيف فتكون الإضافة بيانية ، وقد أورده بنفط « تحت ظلال السيوف » وكأنه أشار بالترجمة إلى حديث
 عمار بن ياسر ، فأخرج الطبراني بإسناد صحيح عن عمار بن ياسر أنه قال يوم صفين « الجنة تحت الأبارقة »
 كذا وقع فيه والصواب « البارقة » وهي السيوف اللامعة ، وكذا وقع على الصواب في ترجمة عمار من طبقات
 ابن سعد ، وروى سعيد بن منصور بإسناد رجاله ثقات من مرسل أبي عبد الرحمن الحبلي مرفوعاً « الجنة
 تحت الأبارقة » ويمكن تخريجه على ما قاله الخطابي الأبارقة جمع إبريق وسمى السيف إبريقاً فهو إفعيل من البريق ،
 ويقال أبرق الرجل بسيفه إذا لمع به والبارقة اللامعان ، قال ابن المنير : كأن البخاري أراد أن السيوف لما كانت
 لها بارقة كان لها أيضاً ظل ، قال القرطبي : وهو من الكلام النفيس الجامع الموجز المشتمل على ضروب من
 البلاغة مع الرجاسة وعذوبة اللفظ ، فإنه أفاد الحظ على الجهاد والإخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة
 العدو واستعمال السيوف والاجتماع حين الزحف حتى تصير السيوف تظل المتقاتلين ، وقال ابن الجوزي ،
 المراد أن الجنة تحصل بالجهاد . والظلال جمع ظل وإذا تدانى الحصان صار كل منهما تحت ظل سيف صاحبه
 لحرصه على رفعه عليه ولا يكون ذلك إلا عند التحام القتال .

قوله (وقال المغيرة الخ) هو طرف من حديث طويل وصله المصنف بتمامه في الجزية ، وقوله هنا
 « عن رسالة ربنا » ثبت للكشميني وحده وهو كذلك في الطريق الموصولة ، ويحتمل أن يكون حذف هنا
 اختصاراً .

قوله (وقال عمر الخ) هو طرف من حديث سهل بن حنيف في قصة عمرة الحديبية ، وسيأتي بهامه موصولا في المغازي ، وتقدمت الإشارة إليه في الشروط .

قوله (حدثنا عبد الله بن محمد) هو الجعفي ، وأبو إسحق هو الفزاري وعمر بن عبيد الله أي ابن معمر هو التيمي وكان أميراً على حرب الخوارج .

قوله (وكان كاتبه) أي أن سالماً كان كاتب عبد الله بن أبي أوفى . قال (كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى) الضمير لعمر بن عبيد الله ، قال الدارقطني في التتبع : أخرجا حديث موسى بن عقبة عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله قال « كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى فقرأته » الحديث . وقال أبو النضر لم يسمع من ابن أبي أوفى فهو حجة في رواية المكاتبه ، وتعقب بأن شرط الرواية بالمكاتبه عند أهل الحديث أن تكون الرواية صادرة إلى المكتوب إليه ، وابن أبي أوفى لم يكتب إلى سالم إنما كتب إلى عمر بن عبيد الله فعلى هذا تكون رواية سالم له عن عبد الله بن أبي أوفى من صور الوجدادة ، ويمكن أن يقال : الظاهر أنه من رواية سالم عن موله عمر بن عبيد الله بقراءته عليه لأنه كان كاتبه أبي عن عبد الله بن أبي أوفى أنه كتب إليه فيصير حينئذ من صور المكاتبه ، وفيه تعقب على من صنف في رجال الصحيحين فإنهم لم يذكروا لعمر بن عبيد الله ترجمة ، وقد ذكره ابن أبي حاتم وذكر له رواية عن بعض التابعين ولم يذكر فيه جرحاً .

قوله (واعلموا أن الجنة) هكذا أورده هنا مختصراً ، وذكر طرفاً منه أيضاً بهذا الإسناد بعد أبواب في « باب الصبر عند القتال » وأخرجه بعد أبواب كثيرة في « باب تأخير القتال حتى تزول الشمس » بهذا الإسناد مطولاً ، ثم أخرجه بعد أبواب أيضاً مطولاً من وجه آخر في النهي عن تمنى لقاء العدو ، ويأتي الكلام على شرحه هناك إن شاء الله تعالى .

قوله (تابعه الأويسى عن ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة) قلت : الأويسى هو عبد العزيز بن عبد الله أحد شيوخ البخاري ، وقد حدث عنه بهذا الحديث موصولا خارج الصحيح ، ورويناه في كتاب الجهاد لابن أبي عاصم قال : حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري به ، وقد رواه عمر بن شبة عن الأويسى فبين أن ذلك كان يوم الخندق . قال المهلب : في هذه الأحاديث جواز القول بأن قتلى المسلمين في الجنة ، لكن على الإجمال لا على التعيين .

باب مَنْ طَلَبَ الْوَلَدَ لِلْجِهَادِ

٢٧٢٩ - وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَاهُ رِيرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ : لَأُطَوِّفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ - أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ - كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارَسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمْ يَقُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً بِشَقِّ رَجُلٍ . وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ » .

[الحديث ٢٨١٩ - أطرافه في : ٣٤٢٤ ، ٥٢٤٢ ، ٦٦٣٩ ، ٦٧٢٠ ، ٧٤٦٩] .

قوله (باب من طلب الولد للجهاد) أى ينوى عند المجاعة حصول الولد ليجاهد فى سبيل الله فيحصل له بذلك أجر وإن لم يقع ذلك .

قوله (وقال الليث الخ) وصله أبو نعيم فى المستخرج من طريق يحيى بن بكير عن الليث بهذا الإسناد ، وسيأتى الكلام عليه فى كتاب الأيمان والندور إن شاء الله تعالى ، ثم تعجلت فشرحته فى ترجمة سليمان .

باب الشجاعة فى الحرب والجبن

[٢٨٢٠] ٢٧٣٠ - حدثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد قال حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس . ولقد فزع أهل المدينة ، فكان النبي صلى الله عليه سبقتهم على فرس ، قال : « وجدناه بحرأ » .

[٢٨٢١] ٢٧٣١ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال : أخبرني عمر بن محمد ابن جبير بن مطعم أن محمد بن جبير قال : أخبرني جبير بن مطعم أنه بينما هو يسير مع رسول الله صلى الله عليه ومعه الناس مقفله من حنين ، فعلفت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبي صلى الله عليه فقال : « أعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العضاه نعم لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » .

[الحديث ٢٨٢١ - طرفه فى : ٣١٤٨] .

قوله (باب الشجاعة فى الحرب والجبن) أى مدح الشجاعة وذم الجبن ، والجبن بضم الجيم وسكون الموحدة ضد الشجاعة وأورد فيه حديثين أحدهما عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس ، وسيأتى شرحه بعد عشر بن باباً ، ومضى بعض شرحه فى آخر الهبة . وقوله « وجدناه بحرأ » أى واسع الجرى . ثانيهما حديث جبير بن مطعم فى مقفاه صلى الله عليه وسلم من حنين ، والغرض منه قوله فى آخره « ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً » وسيأتى شرحه فى كتاب فرض الخمس . وعمر بن محمد بن جبير بن مطعم لم يرو عنه غير الزهري ، وقد وثقه النسائي ، وهذا مثال للرد على من زعم أن شرط البخارى أن لا يروى الحديث الذى يخرج أقل من اثنين عن أقل من اثنين ، فإن هذا الحديث مارواه عن محمد بن جبير غير ولده عمر ، ثم مارواه عن عمر غير الزهري ، هذا مع تفرد الزهري بالرواية عن عمر مطلقاً ، وقد سمع الزهري من محمد بن جبير أحاديث ، وكأنه لم يسمع هذا منه فحمله عن ولده والله أعلم . وقوله فيه « مقفله » بفتح الميم ، وسكون القاف وفتح الفاء وباللام يعنى زمان رجوعه ، وقوله فعلفت بفتح العين وكسر اللام الخفيفة بعدها قاف ، وفى رواية الكشميني « فطفقت » وهو بوزنه ومعناه . وقوله « اضطروه إلى سمرة » أى ألجؤوه وإلى شجرة من شجر البادية ذات شوك ، وقوله « فخطفت » بكسر الطاء ، وقوله « العضاه » بكسر المهملة بعدها معجمة

خفيفة وفي آخره هاء هو شجر ذو شوك ، يقرأ في الوصل وفي الوقف بالهاء ، وقوله « نعم » بفتح النون والغير كذا لأبي ذر بالرفع على أنه اسم كان . و « عدد » بالنصب خبر مقدم ، ولغيره « نعماً » بالنصب إما على التمييز وإما على أنه الخبر وعدد هو الاسم ، والله أعلم .

باب ما يتعوذ من الجبن

[٢٨٢٢] ٢٧٣٢ - حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا عبد الملك بن عمير قال سمعت عمرو بن ميمون الأودي : كان سعد يعلم بني هذلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : إن رسول الله صلى الله عليه كان يتعوذ منهن دبر الصلاة فقال : « اللهم إني أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر » . فحدثت به مصعباً فصدقه .

[الحديث ٢٨٢٢ - أطرافه في : ٦٣٦٥ ، ٦٣٧٠ ، ٦٣٧٤ ، ٦٣٩٠ .]

[٢٨٢٣] ٢٧٣٣ - حدثنا مسدد قال حدثنا معتمر قال سمعت أبي قال سمعت أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه يقول : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم . وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات . وأعوذ بك من عذاب القبر » .

[الحديث ٢٨٢٣ - أطرافه في : ٤٧٠٧ ، ٦٣٦٧ ، ٦٣٧١ .]

قوله (باب ما يتعوذ من الجبن) كذا للجميع بضم أول يتعوذ على البناء للمجهول ، وذكر فيه حديثين : أحدهما حديث سعد وهو ابن أبي وقاص في التعوذ من الجبن وغيره وسيأتي شرحه في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى ، وقوله في آخره « فحدثت به مصعباً فصدقه » قائل ذلك هو عبد الملك بن عمير ، ومصعب هو ابن سعد بن أبي وقاص ، وأغرب المزي فقال في الأطراف في رواية عمرو بن ميمون هذه عن سعد : لم يذكر البخاري مصعباً وذكره النسائي ، كذا قال ، وهو ثابت عند البخاري في جميع الروايات . وقوله في أوله « كان سعد يعلم بني هذلاء » لم أقف على تعيينهم ، وقد ذكر محمد بن سعد في الطبقات أولاد سعد فذكر من الذكور أربعة عشر نفساً ومن الإناث سبع عشرة وروى عنه الحديث منهم خمسة : عامر ومحمد ومصعب وعائشة وعمر . ثانيهما حديث أنس بن مالك في التعوذ من العجز والكسل وغيرهما وسيأتي شرحه أيضاً في الدعوات ، والفرق بين العجز والكسل أن الكسل ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله ، والعجز عدم القدرة .

باب من حدث بمشاهدته في الحرب . قاله أبو عثمان عن سعد

[٢٨٢٤] ٢٧٣٤ - حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا حاتم عن محمد بن يوسف عن السائب بن

يزيد قال : صحبت طلحة بن عبيد الله وسعداً والمقداد بن الأسود وعبدالرحمن بن عوف ، فما سمعت أحداً منهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه ، إلا أنني سمعت طلحة يحدث عن يوم أحد .

[الحديث ٢٨٢٤ - طرفه في : ٤٠٦٢] .

قوله (باب من حدث بمشاهدته في الحرب ، قاله أبو عثمان) أي النهدي (عن سعد) أي ابن أبي وقاص ، وأشار بذلك إلى ما سيأتي موصولاً في المغازي عن أبي عثمان عن سعد « أني أول من رمى بسهم في سبيل الله » ، وإلى ما سيأتي أيضاً موصولاً في فضل طلحة عن أبي عثمان « لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الأيام التي قاتل فيها غير طلحة وسعد ، عن حديثهما » أي أنهما حدثاه بذلك .

قوله (حدثنا حاتم) هو ابن إسماعيل ، ومحمد بن يوسف هو الكندي وهو سبط للسائب المذكور ، والسائب صحابي صغير ابن صحابييين ، والإسناد كله مدينون إلا قتيبة .

قوله (وسعداً) أي ابن أبي وقاص .

قوله (فما سمعت أحداً منهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) في رواية يحيى بن سعيد الأنصاري عن السائب « صحبت سعد بن مالك من المدينة إلى مكة فما سمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث واحد » أخرجه ابن ماجه ، وسعد بن مالك هو ابن أبي وقاص ، وأخرجه آدم بن أبي إياس في العلم له من هذا الوجه فقال فيه « صحبت سعداً كذا وكذا سنة » .

قوله (إلا أبي سمعت طلحة يحدث عن يوم أحد) لم يعين ما حدث به من ذلك ، وقد أخرج أبو يعلى من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن حدثه عن طلحة أنه ظاهر بين درعين يوم أحد ، قال ابن بطال وغيره : كان كثير من كبار الصحابة لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية المزيد والنقصان ، وقد تقدم بيان ذلك في العلم . وأما تحديث طلحة فهو جائز إذا أمن الرياء والعجب ، ويترقى إلى الاستحباب إذا كان هناك من يقتدى بفعله .

ب

وَجُوبُ النَّفِيرِ ، وَمَا يَجِبُ مِنَ الْجِهَادِ وَالنِّيَّةِ

وقوله عز وجل : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ إلى : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ إلى : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ويذكر ابن عباس : انْفِرُوا ثِبَاتًا : سرايا متفرقين . يُقَالُ : أحد الثُّبَاتِ : ثُبَّةٌ .

٢٧٣٥- حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا يحيى قال حدثنا سُفيان قال حدثني منصور عن مُجاهد عن طاوس عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه قال يوم الفتح: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا».

قوله (باب وجوب النفير) بفتح النون وكسر الفاء أى الخروج إلى قتال الكفار، وأصل النفير مفارقة مكان إلى مكان لأمر حرك ذلك.

قوله (وما يجب من الجهاد والنية) أى وبيان القدر الواجب من الجهاد ومشروعية النية في ذلك، وللناس في الجهاد حالان: إحداهما في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، والأخرى بعده، فأما الأولى فأول ما شرع الجهاد بعد الهجرة النبوية إلى المدينة اتفاقاً. ثم بعد أن شرع هل كان فرض عين أو كفاية؟ قولان مشهوران للعلماء وهما في مذهب الشافعي. وقال الماوردي: كان عيناً على المهاجرين دون غيرهم، ويؤيده وجوب الهجرة قبل الفتح في حق كل من أسلم إلى المدينة لنصر الإسلام، وقال السهيلي: كان عيناً على الأنصار دون غيرهم، ويؤيده مبايعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة على أن يؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصروه، فيخرج من قولهما أنه كان عيناً على الطائفتين كفاية في حق غيرهم، ومع ذلك فليس في حق الطائفتين على التعميم، بل في حق الأنصار إذا طرق المدينة طارق، وفي حق المهاجرين إذا أريد قتال أحد من الكفار ابتداءً، ويؤيد هذا ما وقع في قصة بدر فيما ذكره ابن إسحق، فإنه كالصريح في ذلك، وقيل كان عيناً في الغزوة التي يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرها، والتحقيق أنه كان عيناً على من عينه النبي صلى الله عليه وسلم في حقه ولو لم يخرج. الحال الثاني بعده صلى الله عليه وسلم فهو فرض كفاية على المشهور إلا أن تدعو الحاجة إليه كأن يدهم العدو ويتعين على من عينه الإمام، ويتأدى فرض الكفاية بفعله في السنة مرة عند الجمهور، ومن حجتهم أن الجزية تجب بدلا عنه ولا تجب في السنة أكثر من مرة اتفاقاً فليكن بدلها كذلك، وقيل يجب كلما أمكن وهو قوى، والذي يظهر أنه استمر على ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تكاملت فتوح معظم البلاد وانتشر الإسلام في أقطار الأرض ثم صار إلى ما تقدم ذكره، والتحقيق أيضاً أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده وإما بلسانه وإما بماله وإما بقلبه والله أعلم.

قوله (وقول الله عز وجل) انفروا خفافاً وثقالاً (الآية) هذه الآية متأخرة عن التي بعدها، والأمر فيها مقيد بما قبلها لأنه تعالى عاتب المؤمنين الذين يتأخرون بعد الأمر بالنفير ثم عقب ذلك بأن قال ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ وكأن المصنف قدم آية الأمر على آية العتاب لعمومها، وقد روى الطبري من رواية أبي الضمحي قال «أول ما نزل من براءة ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ وقد فهم بعض الصحابة من هذا الأمر العموم فلم يكونوا يتخلفون عن الغزو حتى مات منهم أبو أيوب الأنصاري والمقداد بن الأسود وغيرهم» ومعنى قوله خفافاً وثقالاً: متأهين أو غير متأهين نشاطاً أو غير نشاط، وقيل رجالاً وركباناً.

قوله (وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقموا إلى الأرض﴾

(الآية) قال الطبري : يجوز أن يكون قوله تعالى ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾ خاصاً والمراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع ، وأخرج عن الحسن البصري وعكرمة أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ ثم تعقب ذلك ، والذي يظهر أنها مخصوصة وليست بمنسوخة والله أعلم ، وطريق عكرمة أخرجها أبو داود من وجه آخر حسن عنه عن ابن عباس .

قوله (ويذكر عن ابن عباس انفروا ثبات سرايا متفرقين) وصلى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عنه بهذا ، أي أخرجوا سرية بعد سرية ، أو انفروا جميعاً أي مجتمعين ، وزعم بعضهم أنها ناسخة لقوله تعالى ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ والتحقيق أن لا نسخ ، بل الرجوع في الآيتين إلى تعيين الإمام وإلى الحاجة إلى ذلك . (تنبية) : وقع في رواية أبي ذر والقاسبي «ثباتاً» بالألف ، وهو غلط لا وجه له لأنه جمع ثبة كما سترى .

قوله (ويقال واحد الثبات : ثبة) أي بضم المثناة وتخفيف الموحدة بعدها هاء تأنيث ، وهو قول أبي عبيدة في «المجاز» وزاد : ومعناها جماعات في تفرقة ، ويؤيده قوله بعده ﴿أو انفروا جميعاً﴾ قال وقد يجمع ثبة على ثبين وقال النحاس ليس من هذا ثبة الخوض وهو وسطه سمي بذلك لأن الماء يثوب إليه أي يرجع إليه ويجتمع فيه لأنها من ثاب يثوب وتصغيرها ثوية ، وثبة بمعنى الجماعة من ثبا يثبو وتصغيرها ثبية ، والله أعلم .

قوله (لا هجرة بعد الفتح) أي فتح مكة ، قال الخطابي وغيره : كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلّة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو انتهى . وكانت الحكمة أيضاً في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه ، وفيهم نزلت ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ الآية ، وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها ، وقد روى النسائي من طريق بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده مرفوعاً «لا يقبل الله من مشرك عملاً بعد ما أسلم أو يفارق المشركين» ولأبي داود من حديث سمرة مرفوعاً «أنا بريء من كل مسلم يقم بين أظهر المشركين» وهذا محمول على من لم يأمن على دينه ، وسيأتي مزيد لذلك في أبواب الهجرة من أول كتاب المغازي إن شاء الله تعالى .

قوله (ولكن جهاد ونية) قال الطبري وغيره : هذا الاستدراك يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله ، والمعنى أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية ، وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر والخروج في طلب العلم والفرار بالدين من الفتن والنية في جميع ذلك .

قوله (وإذا استنفرتم فانفروا) قال النووي : يريد أن الخبر الذي انقطع بانقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة ، وإذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه :

وقال الطيبي : قوله « ولكن جهاد » معطوف على محل مدخول « لاهجرة » أى الهجرة من الوطن إما للفرار من الكفار أو إلى الجهاد أو إلى غير ذلك كطلب العلم ، فانقطعت الأولى وبقى الآخران فاغتنموا ولا تقاعدوا عهما ، بل إذا استنفرتهم فانفروا . قلت : وليس الأمر فى انقطاع الهجرة من الفرار من الكفار على ما قال ، وقد تقدم تحرير ذلك . وقال ابن العربى : الهجرة هى الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام ، كانت فرضاً فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه ، والتى انقطعت أصلاً هى القصد إلى النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان . وفى الحديث بشارة بأن مكة تبقى دار إسلام أبداً . وفيه وجوب تعيين الخروج فى الغزو على من عينه الإمام ، وأن الأعمال تعتبر بالنيات .

(تكملة) : قال ابن أبى جمرة ما محصله : إن هذا الحديث يمكن تنزيله على أحوال السالك لأنه أولاً يؤمر بهجرة مألوفه حتى يحصل له الفتح ، فإذا لم يحصل له أمر بالجهاد وهو مجاهدة النفس والشيطان مع النية الصالحة فى ذلك .

ب

الكافر يقتل المسلم ، ثم يسلم فيسدّد بعد ويقتل

٢٧٣٦ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ، يقاتل هذا فى سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد » . [٢٨٢٦]

٢٧٣٧ - حدثنا الحميدى قال حدثنا سفيان قال حدثنا الزهرى قال أخبرني عنبسة بن سعيد عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وهو بخير بعدما افتتحوها فقلت : يا رسول الله ، أسهم لي ، فقال بعض بني سعيد بن العاص : لا تسهم له يا رسول الله ، فقال أبوهريرة : هذا قاتل ابن قوقل ، فقال ابن سعيد بن العاص : واعجباً لو بر تدلى علينا من قدوم ضأن ينمى على قتل رجل مسلم أكرمه الله على يدي ولم يهني على يديه . قال : فلا أدري أسهم له أولم يسهم له . [٢٨٢٧]

قال سفيان : وحدثني السعيدى عن جده عن أبي هريرة .

السعيدى هو عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص .

[الحديث ٢٨٢٧ - أطرافه فى : ٤٢٣٧ ، ٤٢٣٨ ، ٤٢٣٥ .]

قوله (باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم) أى القاتل فيسدد بعد ، أى يعيش على سداد أى استقامة فى الدين .
قوله (ويقتل) فى رواية النسفى « أو يقتل » وعليها اقتصر ابن بطلال والإسماعيلى ، وهى أليق بمراد المصنف . قال ابن المنير : فى الترجمة « فيسدد » والذى وقع فى الحديث « فيستشهد » وكأنه نبه بذلك على أن الشهادة ذكرت للتنبيه على وجوه التسديد ، وأن كل تسديد كذلك وإن كانت الشهادة أفضل ، لكن دخول اللجنة لا يختص بالشهيد ، فجعل المصنف الترجمة كالشرح لمعنى الحديث . قلت : ويظهر لى أن البخارى أشار فى الترجمة إلى ما أخرجه أحمد والنسائى والحاكم من طريق أخرى عن أبى هريرة مرفوعاً « لا يجتمعان فى النار مسلم قتل كافراً ثم سدد المسلم وقارب » الحديث .

قوله (عن أبى الزناد) كذا هو فى الموطأ ، ولما لك فيه إسناد آخر رواه أيضاً عن إسحق بن أبى طلحة عن أنس أخرجه الدارقطنى .

قوله (يضحك الله إلى رجلين) فى رواية النسائى من طريق ابن عيينة عن أبى الزناد « أن الله يعجب من رجلين » قال الخطائى : الضحك الذى يعترى البشر عندما يستخفهم الفرح أو الطرب غير جائز على الله تعالى ، وإنما هذا مثل ضرب لهذا الصنيع الذى يحل محل الإعجاب عند البشر فإذا رآوه أضحكهم ، ومعناه الإخبار عن رضا الله بفعل أحدهما وقبوله للآخر ومجازتهما على صنيعهما بالجنة مع اختلاف حالهما ، قال : وقد تأول البخارى الضحك فى موضع آخر على معنى الرحمة وهو قريب ، وتأويله على معنى الرضا أقرب ، فإن الضحك يدل على الرضا والقبول ، قال : والكرام يوصفون عندما يسألهم السائل بالبشر وحسن اللقاء ، فيكون المعنى فى قوله « يضحك الله » أى يجزل العطاء . قال وقد يكون معنى ذلك أن يعجب الله ملائكته ويضحكهم من صنيعهما ، وهذا يتخرج على المجاز ومثله فى الكلام يكثر . وقال ابن الجوزى : أكثر السلف يمتنعون من تأويل مثل هذا ويمرونه كما جاء وينبغى أن يراعى فى مثل هذا الإمرار اعتقاد أنه لا تشبه صفات الله صفات الخلق ، ومعنى الإمرار عدم العلم بالمراد منه مع اعتقاد التنزيه . قلت : ويدل على أن المراد بالضحك الإقبال بالرضا تعديته بإلى تقول : ضحك فلان إلى فلان إذا توجه إليه طلق الوجه مظهراً للرضا عنه .

قوله (يدخلان الجنة) زاد مسلم من طريق همام عن أبى هريرة « قالوا كيف يارسول الله ؟ » .

قوله (يقاتل هذا فى سبيل الله فيقتل) زاد همام فيلج الجنة ، قال ابن عبد البر : معنى هذا الحديث عند أهل العلم أن القاتل الأول كان كافراً . قلت : وهو الذى استنبطه البخارى فى ترجمته ، ولكن لا مانع أن يكون مسلماً لعموم قوله « ثم يتوب الله على القاتل » كما لو قتل مسلم مسلماً عمداً بلا شبهة ثم تاب القاتل واستشهد فى سبيل الله ، وإنما يمنع دخول مثل هذا من يذهب إلى أن قاتل المسلم عمداً لا تقبل له توبة ، وسيأتى البحث فيه فى تفسير سورة النساء إن شاء الله تعالى ، ويؤيد الأول أنه وقع فى رواية همام « ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام » وأصرح من ذلك ما أخرجه أحمد من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة بلفظ « قيل كيف يارسول الله ؟ قال : يكون أحدهما كافراً فيقتل الآخر ثم يسلم فيغزو فيقتل » .

قوله (ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد) زاد همام « فيهديه إلى الإسلام » ، ثم يجاهد فى سبيل الله فيستشهد » قال ابن عبد البر : يستفاد من هذا الحديث أن كل من قتل فى سبيل الله فهو فى الجنة .

قوله (حدثنا الزهري) في رواية علي بن المديني في المغازي عن سفيان «سمعت الزهري وسأله إسماعيل ابن أمية» وفي رواية ابن أبي عمر في مسنده عن سفيان «سمعت إسماعيل بن أمية يسأل الزهري» .
قوله (أخبرني عنبسة) بفتح المهملة وسكون النون (ابن سعيد) أي ابن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية .

قوله (عن أبي هريرة) في رواية الزبيدي عن الزهري التصريح بسماع عنبسة له من أبي هريرة وسيأتي بيان ذلك في المغازي .

قوله (فقال بعض بني سعيد بن العاص لا تسهم له) هو أبان بن سعيد كما بيته رواية الزبيدي .
قوله (فقلت هذا قاتل ابن قوقل) بقافين وزن جعفر يعني النعمان بن مالك بن ثعلبة بن أصرم بمهملتين وزن أحمد بن فهم بن ثعلبة بن غنم بفتح المعجمة وسكون النون بعدها ميم ابن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي ، وقوقل لقب ثعلبة وقيل لقب أصرم ، وقد ينسب النعمان إلى جده فيقال النعمان بن قوقل ، وله ذكر في حديث جابر عند مسلم قال «جاء النعمان بن قوقل فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبات» الحديث . وروى البغوي في الصحابة «أن النعمان بن قوقل قال يوم أحد : أقسمت عليك يا رب أن لا تغيب الشمس حتى أطا بعرجتي في الجنة . فاستشهد ذلك اليوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد رأيته في الجنة» وذكر بعض أهل المغازي أن صفوان بن أمية هو الذي قتله ، وهو مرجوح بهذا الحديث الذي في البخاري ، ولعلهما جميعاً اشتركا في قتله ، وسيأتي بقية شرح حديث أبي هريرة هذا في كتاب المغازي ، والمراد منه هنا قول أبان «أكرمه الله على يدي ولم ينهني على يديه» وأراد بذلك أن النعمان استشهد بيد أبان فأكرمه الله بالشهادة ولم يقتل أبان على كفره فدخل النار ، وهو المراد بالإهانة ، بل عاش أبان حتى تاب وأسلم ، وكان إسلامه قبل خيبر بعد الحديبية ، وقال ذلك الكلام بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وأقره عليه ، وهو موافق لما تضمنته الترجمة .
قوله (من قديم ضأن) قال ابن دقيق العيد : وقع للجميع هنا بالنون ، إلا في رواية الهمداني فباللام وهو الصواب وهو السدر البري ، قلت وسيأتي في غزوة خيبر بأبسط من هذا .

قوله (فلا أدري أسهم له أم لم يسهم) سيأتي في غزوة خيبر في آخره «فقال له يا أبان اجلس ، ولم يقسم لهم» واحتج به من قال : إن من حضر بعد فراغ الوقعة ولو كان خرج مدداً لم أن لا يشارك من حضرها وهو قول الجمهور ، وعند الكوفيين يشاركهم ، وأجاب عنهم الطحاوي بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أرسل إلى نجد قبل أن يشرع في التجهيز إلى خيبر فلذلك لم يقسم له ، وأما من أراد الخروج مع الجيش فعاقه عائق ثم لحقهم فإنه الذي يقسم له كما أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان وغيره ممن لم يحضر الوقعة ، لكن كانوا ممن أراد الخروج معه فعاقهم عن ذلك عوائق شرعية .

قوله (قال سفيان) أي ابن عيينة ، ووقع في رواية الحميدي في مسنده «عن سفيان وحدثني السعدي أيضاً» وفي رواية ابن أبي عمر «عن سفيان سمعت السعدي» .

قوله (وحدثني السعدي) هو معطوف على قوله «حدثنا الزهري» وهو موصول بالإسناد الذي قبله .
قوله (السعدي هو عمرو الخ) هو كلام البخاري ، ووقع لغير أبي ذر «قال أبو عبد الله» فذكره .

باب من اختار الغزو على الصوم

[٢٨٢٨] ٢٧٣٨ - حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا ثابت البناني قال سمعت أنس بن مالك قال : كان أبو طلحة لا يصوم على عهد النبي صلى الله عليه من أجل الغزو ، فلما قبض النبي صلى الله عليه لم أره مفطراً إلا يوم فطر أو أضحي .

قوله (باب من اختار الغزو على الصوم) أى لئلا يضعفه الصوم عن القتال ، ولا يمتنع ذلك لمن عرف أنه لا ينقصه كما سيأتى بعد ستة أبواب .

قوله (لا يصوم) فى رواية أبى الوليد عند أبى نعيم وعلى بن الجعد كلاهما عن شعبة عند الإسماعيلى « لا يكاد يصوم » وفى رواية عاصم بن على عن شعبة عند الإسماعيلى « كان قلما يصوم » ، فدل على أن النخلى فى رواية آدم ليس على إطلاقه ، وقد وافق آدم سليمان بن حرب عند الإسماعيلى أيضاً .

قوله (إلا يوم فطر أو أضحي) أى فكان لا يصومهما ، والمراد بيوم الأضحى ماتشرع فيه الأضحى فيدخل أيام التشريق ، وفى هذه القصة إشعار بأن أبا طلحة لم يكن يلزم الغزو بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما ترك التطوع بالصوم لأجل الغزو خشية أن يضعفه عن القتال ، مع أنه فى آخر عمره رجع إلى الغزو ، فروى ابن سعد والحاكم وغيرهما من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس « أن أبا طلحة قرأ فى انفرؤ خفافاً وثقالاً » فقال : استنفرتنا الله شيوخاً وشباناً جهزوني ، فقال له بنوه : نحن نغزو عنك ، فأبى فجهزوه ، فغزوا فى البحر فأت ، فدفنوه بعد سبعة أيام ولم يتغير « قال المهلب : مثل النبي صلى الله عليه وسلم المجاهد بالصائم لا يفطر ، يعنى كما تقدم فى أول الجهاد فلذلك قدمه أبو طلحة على الصوم ، فلما توطأ الإسلام وعلم أنه صار فى سعة أراد أن يأخذ حظه من الصوم إذ فاتته الغزو ، وفيه أنه كان لا يرى بصيام الدهر بأساً .

(تنبيه) : وقع عند الحاكم فى المستدرک من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس « أن أبا طلحة أقام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة لا يفطر إلا يوم فطر أو أضحي » . وعلى الحاكم فيه مأخذان أحدهما أن أصله فى البخارى فلا يستدرک ، ثانيهما أن الزيادة فى مقدار حياته بعد النبي صلى الله عليه وسلم غلط فإنه لم يقم بعده سوى ثلاث أو أربع وعشرين سنة . فلعلها كانت أربعاً وعشرين فتغيرت .

باب الشهادة سبع سوى القتل

[٢٨٢٩] ٢٧٣٩ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال : « الشهداء خمسة : المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم ، والشهيد فى سبيل الله » .

[٢٨٣٠] ٢٧٤٠ - حدثنا بشر بن محمد قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا عاصم عن حفصة بنت

سيرين عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه قال : «الطاعون شهادة لكل مسلم» .

[الحديث ٢٨٣٠ - طرفه في : ٥٧٣٢]

قوله (باب الشهادة سبع سوى القتل) اختلف في سبب تسمية الشهيد شهيداً ، فقال النضر بن شميل : لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أى حاضرة . وقال ابن الأنباري : لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة . وقيل لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة . وقيل : لأنه يشهد له بالأمان من النار . وقيل لأن عليه شاهداً بكونه شهيداً . وقيل لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة . وقيل لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل . وقيل : لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة . وقيل : لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع . وقيل : لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه . وقيل : لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره ، وقيل : لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة ، وقيل لأنه مشهود له بالأمان من النار ، وقيل لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا . وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله ، وبعضها يعم غيره ، وبعضها قد ينازع فيه . وهذه الترجمة لفظ حديث أخرجه مالك من رواية جابر بن عتيك بفتح المهملة وكسر المثناة بعدها تحتانية ساكنة ثم كاف « أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء يعود عبد الله بن ثابت » فذكر الحديث وفيه « ماتعدون الشهيد فيكم ؟ قالوا : من يقتل في سبيل الله » وفيه « الشهداء سبعة » سوى القتل في سبيل الله ، فذكر زيادة على حديث أبي هريرة الخريق ، وصاحب ذات الجنب ، والمرأة تموت بجمع . وتوارد مع أبي هريرة في المبطن والمطعون والغريق وصاحب الهدم ، فأما صاحب ذات الجنب فهو مرض معروف ويقال له الشوصة ، وأما المرأة تموت بجمع فهو بضم الجيم وسكون الميم ، وقد تفتح الجيم وتكسر أيضاً وهي النفساء ؛ وقيل التي يموت ولدها في بطنها ثم تموت بسبب ذلك ، وقيل التي تموت بمزدلفة وهو خطأ ظاهر ، وقيل التي تموت عذراء والأول أشهر . قلت : حديث جابر بن عتيك أخرجه أيضاً أبو داود والنسائي وابن حبان ، وقد روى مسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة شاهداً لحديث جابر بن عتيك ولفظه « ماتعدون الشهداء فيكم » وزاد فيه ونقص . فمن زيادته « ومن مات في سبيل الله فهو شهيد » ولأحمد من حديث عباد بن الصامت نحو حديث جابر بن عتيك ولفظه « وفي النفساء يقتلها ولدها جمعاً شهادة » وله من حديث راشد بن حيش نحوه وفيه « والسل » وهو بكسر المهملة وتشديد اللام ، وللنسائي من حديث عقبة بن عامر « خمس من قبض فيهن فهو شهيد » فذكر فيهن النفساء وروى أصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث ابن زيد مرفوعاً « من قتل دون ماله فهو شهيد » وقال في الدين والدم والأهل مثل ذلك ، وللنسائي من حديث سويد بن مقرن مرفوعاً « من قتل دون مظلومه فهو شهيد » قال الإسماعيلي الترجمة مخالفة للحديث . وقال ابن بطال : لا يخرج هذه الترجمة من الحديث أصلاً ، وهذا يدل على أنه مات قبل أن يهذب كتابه . وأجاب ابن المنير بأن ظاهر كلام ابن بطال أن البخاري أراد أن يدخل حديث جابر بن عتيك فأعجابه المنية عن ذلك ، وفيه نظر ، قال : ويحتمل أن يكون أراد التنبيه على أن الشهادة لا تنحصر في القتل بل لها أسباب أخرى وتلك الأسباب اختلفت

الأحاديث في عددها في بعضها خمسة وفي بعضها سبعة ، والذي وافق شرط البخاري الخمسة فنه بترجمة على أن العدد الوارد ليس على معنى التحديد انتهى . وقال بعض المتأخرين يحتمل أن يكون بعض الرواة - يعني رواية الخمسة - نسي الباقي . قلت : وهو احتمال بعيد ، لكن يقربه ما تقدم من الزيادة في حديث أبي هريرة عند مسلم ، وكذا وقع لأحمد من وجه آخر عنه « والمجنوب شهيد » يعني صاحب ذات الجنب ، والذي يظهر أنه صلى الله عليه وسلم أعلم بالأقل ثم أعلم بزيادة على ذلك فذكرها في وقت آخر ولم يقصد الحصر في شيء من ذلك . وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة ، فإن مجموع ما قدمته مما اشتملت عليه الأحاديث التي ذكرتها أربع عشرة خصلة ، وتقدم في « باب من ينكب في سبيل الله » حديث أبي مالك الأشعري مرفوعاً « من وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه على أي حثف شاء الله تعالى فهو شهيد » وصحح الدارقطني من حديث ابن عمر « موت الغريب شهادة » ولابن حبان من حديث أبي هريرة « من مات مرابطاً مات شهيداً » الحديث وللطبراني من حديث ابن عباس مرفوعاً « المرء يموت على فراشه في سبيل الله شهيداً » وقال ذلك أيضاً في المبطلون واللدغ والغريق والشريق والذي يفرسه السبع والخار عن دابته وصاحب الهدم وذات الجنب . ولأبي داود من حديث أم حرام « المائد في البحر الذي يصيبه التواء له أجر شهيد » ، وقد تقدمت أحاديث فيمن طلب الشهادة بنية صادقة أنه يكتب شهيداً في « باب تمنى الشهادة » ويأتي في كتاب الطب حديث فيمن صبر في الطاعون أنه شهيد ، وتقدم حديث عقبة بن عامر فيمن صرعه دابته وأنه عند الطبراني . وعنده من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح « أن من يتردى من رؤوس الجبال وتأكله السباع ويفرق في البحار لشهيد عند الله » ووردت أحاديث أخرى في أمور أخرى لم أعرج عليها لضعفها ، قال ابن التين : هذه كلها ميثاق فيها شدة تفضل الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء . قلت : والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء ، ويدل عليه ما روى أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث جابر والدارمي وأحمد والطحاوي من حديث عبد الله بن حبشي ، وابن ماجه من حديث عمرو بن عبسة « أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الجهاد أفضل ؟ قال : من عقر جواده وأهريق دمه » وروى الحسن بن علي الحلواني في « كتاب المعرفة » له بإسناد حسن من حديث ابن أبي طالب قال « كل موة يموت بها المسلم فهو شهيد » غير أن الشهادة تتفاضل وسيأتي شرح كثير من هذه الأمراض المذكورة في كتاب الطب ، وكذا الكلام على حديث أنس في الطاعون إن شاء الله تعالى . ويتحصل مما ذكر في هذه الأحاديث أن الشهداء قسمان : شهيد الدنيا ، وشهيد الآخرة وهو من يقتل في حرب الكفار مقبلاً غير مدبر مخلصاً . وشهيد الآخرة وهو من ذكر ، بمعنى أنهم يعطون من جنس أجر الشهداء ولا تجري عليهم أحكامهم في الدنيا . وفي حديث العرياض بن سارية عند النسائي وأحمد ولأحمد من حديث عتبة بن عبد نحوه مرفوعاً « يختصم الشهداء والمتوفون على الفراش في الذين يتوفون من الطاعون فيقول : انظروا إلى جراحيهم ، فإن أشبهت جراحي المقتولين فإنهم معهم ومنهم ، فإذا جراحيهم قد أشبهت جراحيهم ، وإذا تقرر ذلك فيكون إطلاق الشهداء على غير المقتول في سبيل الله مجازاً ، فيحتاج به من يجيز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ، والمانع يجيب بأنه من عموم المجاز فقد يطلق الشهيد على من قتل في حرب الكفار لكن لا يكون له ذلك في حكم الآخرة لعارض يمنعه كالانهازم وفساد النية والله أعلم .

قوله (الشهداء خمسة - ثم قال - والشهيد في سبيل الله) قال الطيبي : يلزم منه حمل الشيء على نفسه لأن قوله « خمسة » خبر للمبتدأ والمعدود بعده ببيان له ، وأجاب بأنه من باب قول الشاعر « أنا أبو النجم وشعري شعري » . ويحتمل أن يكون المراد بالشهيد في سبيل الله المقتول ، فكأنه قال والمقتول فعبر عنه بالشهيد ، ويؤيده قوله في رواية جابر بن عتيك « الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله » ويجوز أن يكون الشهيد مكرراً في كل واحد منها فيكون من التفصيل بعد الإجمال والتقدير الشهداء خمسة الشهيد كذا والشهيد كذا إلى آخره .

ب

قول الله عز وجل : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾
إلى قوله : ﴿ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

٢٧٤١ - حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء قال : لما نزلت : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه زيدا فجاء بكتف فكتبها . وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ . [٢٨٣١]

[الحديث ٢٨٣١ - أطرافه في : ٤٥٩٣ ، ٤٥٩٤ ، ٤٩٩٠ .]

٢٧٤٢ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثنا إبراهيم بن سعد الزهري قال حدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال : رأيت مروان بن الحكم جالسا في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه ، فأخبرنا أن زيدا بن ثابت أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى عليه ألقى علي : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قال فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملأها علي فقال : يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان رجلاً أعمى - فأنزل الله عز وجل على رسوله وفخذه علي فخذي . فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي . ثم سري عنه ، فأنزل الله عز وجل على رسوله : ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ . [٢٨٣٢]

[الحديث ٢٨٣٢ - طرفه في : ٤٥٩٢ .]

قوله (باب قول الله عز وجل : لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) ذكر فيه حديثي البراء بن عازب وزيد بن ثابت في سبب نزولها ، وفيه ذكر ابن أم مكتوم ، وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى في تفسير سورة النساء .

باب الصبر عند القتال

[٢٨٣٣] ٢٧٤٣ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إسحاق عن موسى بن عتبة عن سالم أبي النضر أن عبد الله بن أبي أوفى كتب فقرأته: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا».

قوله (باب الصبر عند القتال) ذكر فيه طرفاً من حديث ابن أبي أوفى، وقد تقدم التنبيه عليه قريباً.

باب التحريض على القتال

وقول الله عز وجل: ﴿حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾

[٢٨٣٤] ٢٧٤٤ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إسحاق عن حميد قال: سمعت أنساً يقول: خرج رسول الله صلى الله عليه إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَالْمُهَاجِرَةِ». فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

[الحديث ٢٨٣٤ - أطرافه في: ٢٨٣٥، ٢٩٦١: ٣٧٦٥، ٣٧٩٦، ٤٠٩٩، ٤١٠٠، ٦٤١٣، ٧٢٠١].

قوله (باب التحريض على القتال) ذكر فيه حديث أنس في حفر الخندق، وسيأتي الكلام عليه مستوفياً في المغازي. وانتزاع الترجمة منه من جهة أن في مباشرته صلى الله عليه وسلم الحفر بنفسه تحريضاً للمسلمين على العمل ليتأسوا به في ذلك.

باب حفر الخندق

[٢٨٣٥] ٢٧٤٥ - حدثنا أبو معمر قال حدثنا عبد الوارث قال حدثنا عبد العزيز عن أنس قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً

والنبي صلى الله عليه يجيبهم: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ، فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ».

[٢٨٣٦] ٢٧٤٦ - حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء: كان النبي صلى الله عليه ينقل ويقول: «لولا أنت ما اهتدينا».

[الحديث ٢٨٣٦ - أطرافه في: ٢٨٣٧، ٣٠٣٤، ٤١٠٤، ٤١٠٦، ٦٦٢٠، ٧٢٣٦].

[٢٨٣٧] ٢٧٤٧ - حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قال: رأيت النبي صلى الله عليه يوم الأحزاب ينقل التراب - وقد وارى التراب بياض بطنه - وهو يقول: «لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزل السكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الألى قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا».

قوله (باب حفر الخندق) ذكر فيه حديث أنس من وجه آخر وسيأتي في المغازي، وسياقه هناك أتم، وذكر فيه حديث البراء بن عازب في ذلك من وجهين، ويأتي هناك شرحه مستوفى إن شاء الله تعالى.

باب من حبسه العذر عن الغزو

[٢٨٣٨] ٢٧٤٨ - حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير قال حدثنا حميد أن أنسًا حدثهم قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه... ح. وحدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد هو ابن زيد عن حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه كان في غزاة فقال: «إن أقوامًا بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر».

وقال موسى: حدثنا حماد عن حميد عن موسى بن أنس عن أبيه قال قال النبي صلى الله عليه. قال أبو عبد الله: الأول عندي أصح.

[الحديث ٢٨٣٨ - طرفاه في: ٢٨٣٩، ٤٤٢٣].

قوله (باب من حبسه العذر عن الغزو) العذر الوصف الطارئ على المكلف المناسب للتسهيل عليه، ولم يذكر الجواب، وتقديره فله أجر الغزى إذا صدقت نيته.

قوله (حدثنا زهير) هو ابن معاوية أبو خيثمة الجعفي، وقرن روايته برواية حماد بن زيد مع أن في رواية زهير تعيين الغزوة وتصريح أنس بالتحديث، وفي كل منهما فائدة ليست في رواية حماد لكنه أراد أن زهيراً لم ينفرد بقوله «عن حميد عن أنس» وقد تابعهما على ترك الوسطة بين حميد وأنس معتمر بن سليمان وجماعة.

قوله (خلفنا) بسكون اللام أى وراءنا ، وضبطه بعضهم بتشديد اللام وسكون الفاء .
قوله (إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر) فى رواية الإسماعيلى من طريق أخرى عن حماد بن زيد « إلا وهم معكم فيه بالنية » ولابن حبان وأبى عوانة من حديث جابر « إلا شركوكم فى الأجر » بدل قوله « إلا كانوا معكم » والمراد بالعذر ما هو أعم من المرض وعدم القدرة على السفر ، وقد رواه مسلم من حديث جابر بلفظ « حبسهم المرض » وكأنه محمول على الأغلب .

قوله (وقال موسى) أى ابن إسماعيل (حدثنا حماد) هو ابن سلمة .

قوله (قال أبو عبد الله) هو المصنف (الأول عندى أصبح) يعنى حذف موسى بن أنس من الإسناد ، وقد خالفه الإسماعيلى فى ذلك فقال : حماد عالم بحديث حميد مقدم فيه على غيره انتهى . قلت : وإنما قال ذلك لتصريح حميد بتحديث أنس له كما تراه من رواية زهير ، وكذلك قال معتمر . قلت : ولا مانع من أن يكونا محفوظين ، فاعل حميداً سمعه من موسى عن أبيه ، ثم لى أنساً فحدثه به ، أو سمعه من أنس فثبته فيه ابنه موسى ، ويؤيد ذلك أن سياق حماد عن حميد أتم من سياق زهير ومن وافقه عن حميد ، فقد أخرج أبو داود عن موسى ابن إسماعيل بالإسناد المذكور بلفظ « لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتهم من مسير ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه . قالوا : يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حبسهم العذر ، وكذلك أورده أحمد عن عفان عن حماد ، وأخرجه عن أبى كامل عن حماد فلم يذكر فى الإسناد حميداً . نعم أخرج أحمد عن ابن أبى عدى عن حميد عن أنس نحو سياق حماد إلا أنه لم يذكر النفقة ، قال المهلب : يشهد لهذا الحديث قوله تعالى ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ﴾ الآية فإنه فاضل بين المجاهدين والقاعدين ثم استثنى أولى الضرر من القاعدين فكأنه ألحقهم بالفاضلين . وفيه أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل .

باب فضل الصوم فى سبيل الله

٢٧٤٩ - حدثنا إسحاق بن نصر قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني يحيى بن سعيد وسهيل بن أبى صالح أنهما سمعا النعمان بن أبى عيَّاش عن أبى سعيد قال : سمعتُ النبي صلى الله عليه يقول : « من صام يوماً فى سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً » . [٢٨٤٠]

قوله (باب فضل الصوم فى سبيل الله) قال ابن الجوزى : إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد . وقال القرطبي : سبيل الله طاعة الله ، فالمراد من صام قاصداً وجه الله . قلت : ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك . ثم وجدته فى « فوائد أبى الطاهر الذهلى » من طريق عبد الله بن عبد العزيز اللبثى عن المقبرى عن أبى هريرة بلفظ « ما من مرابط يرابط فى سبيل الله فيصوم يوماً فى سبيل الله » الحديث . وقال ابن دقيق العيد : العرف الأكثر استعماله فى الجهاد ، فإن حمل عليه كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين ، قال : ويحتمل أن يراد

بسبيل الله طاعته كيف كانت ، والأول أقرب ، ولا يعارض ذلك أن الفطر في الجهاد أولى لأن الصائم يضعف عن اللقاء كما تقدم تقريره في « باب من اختار الغزو على الصوم » لأن الفضل المذكور محمول على من لم يخش ضعفاً ، ولا سيما من اعتاد به فصار ذلك من الأمور النسبية ، فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم في حقه أفضل ليجمع بين الفضيلتين ، وقد تقدم مزيد لذلك في كتاب الصيام في الكلام على الصوم في السفر .

قوله (أخبرني يحيى بن سعيد) هو الأنصاري ، وسهيل بن أبي صالح لم يخرج له البخاري موصولا إلا هذا ، ولم يحتج به لأنه قرنه بيحيى بن سعيد ، وقد اختلف في إسناده على سهيل فرواه الأكثر عنه هكذا ، وخالفهم شعبة فرواه عنه عن صفوان بن يزيد عن أبي سعيد أخرجه النسائي ، ولعل لسهيل فيه شيخين . وأخرجه النسائي أيضا من طريق أبي معاوية عن سهيل عن المقبري عن أبي سعيد ، وهم فيه أبو معاوية ، وإنما يرويه المقبري عن أبي هريرة لا عن أبي سعيد ، وإنما رواه سهيل من حديث أبي هريرة عن أبيه عنه لا عن المقبري . كذلك أخرجه النسائي من طريق سعيد بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه ، وكذا أخرجه أحمد عن أنس بن عياض عن سهيل .

قوله (سبعين خريفاً) الخريف زمان معلوم من السنة ، والمراد به هنا العام ، وتخصيص الخريف بالذكر دون بقية الفصول - الصيف والشتاء والربيع - لأن الخريف أزكى الفصول لكونه يحنى فيه الثمار . ونقل الفاكهاني أن الخريف يجتمع فيه الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة دون غيره ، ورد بأن الربيع كذلك . قال القرطبي . ورد ذكر السبعين لإرادة التكثير كثيراً انتهى . ويؤيده أن النسائي أخرج الحديث المذكور عن عقبة بن عامر والطبراني عن عمرو بن عبسة وأبو يعلى عن معاذ بن أنس فقالوا جميعاً في رواياتهم « مائة عام » .

ب

فضل النفقة في سبيل الله

٢٧٥٠ - حدثنا سعد بن حفص قال حدثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة أنه سمع أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة - كل خزنة باب - : أي فل : هلم . قال أبو بكر : يا رسول الله ، ذلك الذي لا توى عليه ، فقال النبي صلى الله عليه : « إني لأرجو أن تكون منهم » . [٢٨٤١]

٢٧٥١ - حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله صلى الله عليه قام على المنبر فقال : « إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض » ، ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحدهما وثنى بالأخرى . [٢٨٤٢]

فقام رجل فقال: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي صلى الله عليه، قلنا: يوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير. ثم إنه مسح عن وجهه الرخصاء فقال: «أين السائل أنفا؟ أو خير هو - ثلاثا - إن الخير لا يأتي إلا بالخير. وإنه كل ما ينبت الربيع يقتل أو يلم، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت. وإن هذا المال خضرة حلوة، ونعم صاحب المسلم من أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل، ومن لم يأخذها بحقه فهو كالآكل لا يشبع، ويكون عليه شهيدا يوم القيامة».

قوله (باب فضل النفقة في سبيل الله) ذكر فيه حديثين أحدهما عن أبي هريرة «من أنفق زوجين في سبيل الله» وقد تقدم في أول الصوم من وجه آخر، وقوله في هذا الإسناد عن أبي سلمة يأتي الكلام عليه وعلى قوله «أى قل» في فضل أبي بكر، وأن الخطأ جزم أنه ترخيم من فلان، وجزم غيره بأنه لغة فيه، وتقدم في «باب من لم ير الضوء إلا من المخرجين» التنبيه على وهم القابسي في قوله «سعيد بن حفص» وقوله «زوجين» أى شثنين من أى نوع كان مما ينفق، والزوج يطلق على الواحد وعلى الاثنين وهو هنا على الواحد جزماً، وقوله «كل خزينة باب» كأنه من المقلوب لأن المراد خزنة كل باب، قال المهلب. في هذا الحديث أن الجهاد أفضل الأعمال، لأن المجاهد يعطى أجر المصلى والصائم والمتصدق وإن لم يفعل ذلك، لأن باب الريان للصائمين، وقد ذكر في هذا الحديث أن المجاهد يدعى من تلك الأبواب كلها بإنفاق قليل المال في سبيل الله انتهى. وما جرى فيه على ظاهر الحديث يرده ما قدمته في الصيام من زيادة في الحديث لأحمد حيث قال فيه «لكل أهل عمل باب يدعون بذلك العمل» وهذا يدل على أن المراد بسبيل الله ما هو أعم من الجهاد وغيره من الأعمال الصالحة، وقوله «لاتوى عليه» بالمشاة والأكثر أنه مقصور، وحكى ابن فارس المد. ثانيهما حديث أبي سعيد «إنما أخشى عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من بركات الأرض» وسيأتى شرحه مستوفى في الرقاق إن شاء الله تعالى، والغرض منه هنا قوله «فجعله في سبيل الله» فإنه مطابق لما ترجم له، وقد روى النسائي وصححه ابن حبان من حديث خريم بالراء مصغر ابن فاثك بفاء ومثناة مكسورة رفعه «من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف». قلت: وهو موافق لقوله تعالى ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة﴾ الآية. وقوله في هذه الرواية وأنه «كل ما ينبت الربيع يقتل أو يلم» بضم أوله وكسر اللام وتشديد الميم أى يقرب من القتل. وقوله «أكلت حتى إذا امتدت» وقع في السياق حذف تقديره إلا أكلة الخضر أكلت، وقد بين في الرواية الأخرى، وكذا أثبتة الأصيلي هنا وسقط للباقيين، وكذا سقط قوله «حبطا» وهو بفتح المهملة والموحدة، وهو انتفاخ البطن من كثرة الأكل.

باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير

٢٧٥٢ - حدثنا أبو معمر قال حدثنا عبد الوارث قال حدثنا الحسين قال حدثني يحيى

قال حدثنا أبو سلمة قال حدثني بسر بن سعيد قال حدثني زيد بن خالد أن رسول الله صلى الله عليه قال: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا».

[٢٨٤٤] ٢٧٥٣ - حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا همام عن إسحاق بن عبد الله عن أنس أن النبي صلى الله عليه لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، ف قيل له، فقال: «إني أرحمها، قتل أخوها معي».

قوله (باب فضل من جهز غازياً) أى هيا له أسباب سفره (أو خلفه) بفتح المعجمة واللام الخفيفة أى قام بحال من يتركه .

قوله (حدثنا الحسين) هو المعلم نسبة الطبراني عن حفص بن عمر عن أبي معمر، وكذا صرح به مسلم في روايته من وجه آخر عنه، ويحيى هو ابن أبي كثير، وفي الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق هو وأبو سلمة وبسر وهو بضم الموحدة وسكون المهملة، وقد سمع أبو سلمة من زيد بن خالد وحدث عنه هنا بواسطة وحدث عنه بلا واسطة في غير هذا عند أبي داود والترمذي وصححه وغيرهما .

قوله (فقد غزا) قال ابن حبان: معناه أنه مثله في الأجر وإن لم يفرز حقيقة. ثم أخرجه من وجه آخر عن بسر بن سعيد بلفظ «كتب له مثل أجره»، غير أنه لا ينقص من أجره شيء، ولابن ماجه وابن حبان من حديث عمر نحوه بلفظ «من جهز غازياً حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع» وأفادت فائدتين إحداهما أن الوعد المذكور مرتب على تمام التجهيز، وهو المراد بقوله «حتى يستقل». ثانيهما أنه يستوى معه في الأجر إلى أن تنقضي تلك الغزوة. وأما ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً وقال: ليخرج من كل رجلين رجل والأجر بينهما» وفي رواية له «ثم قال للقاعد: وأيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج» ففيه إشارة إلى أن الغازي إذا جهز نفسه أو قام بكفاية من يخلفه بعده كان له الأجر مرتين، وقال القرطبي: لفظة «نصف» يشبه أن تكون مقحمة، أى مزبدة من بعض الرواة، وقد احتج بها من ذهب إلى أن المراد بالأحاديث التي وردت بمثل ثواب الفعل حصول أصل الأجر له بغير تضعيف، وأن التضعيف يختص بمن باشر العمل، قال القرطبي: ولا حجة له في هذا الحديث لوجهين: أحدهما أنه لا يتناول محل النزاع لأن المطلوب إنما هو أن الدال على الخير مثلاً هل له مثل أجر فاعله مع التضعيف أو بغير تضعيف، وحديث الباب إنما يقتضي المشاركة والمشاركة فافترقا. ثانيهما ما تقدم من احتمال كون لفظة «نصف» زائدة. قلت: ولا حاجة لدعوى زيادتها بعد ثبوتها في الصحيح، والذي يظهر في توجيهها أنها أطلقت بالنسبة إلى مجموع الثواب الحاصل للغازي والخالف له بخير، فإن الثواب إذا انقسم بينهما نصفين كان لكل منهما مثل ما للآخر فلا تعارض بين الحديثين، وأما من وعد بمثل ثواب العمل وإن لم يعمله إذا كانت له فيه دلالة أو مشاركة أو نية صالحة فليس على إطلاقه في عدم التضعيف لكل أحد، وصرف الخبر عن ظاهره يحتاج إلى مستند، وكان مستند القائل أن العامل

يباشر المشقة بنفسه بخلاف الدال ونحوه ، لكن من يجهز الغازي بماله مثلاً وكذا من يخلفه فيمن يترك بعده يباشر شيئاً من المشقة أيضاً ، فإن الغازي لا يتأتى منه الغزو إلا بعد أن يكفى ذلك العمل فصار كأنه يباشر معه الغزو ، بخلاف من اقتصر على النية مثلاً والله أعلم . وستكون لنا عودة إلى البحث في هذا الكلام على قوله « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » في شرح فضائل القرآن إن شاء الله تعالى .

قوله (عن إسحق بن عبد الله) أي ابن أبي طلحة ، وفي رواية عمرو بن عاصم عن همام « أخبرنا إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة » أخرجه ابن سعد عنه ، وعند الإسماعيلي من طريق حبان بن هلال عن همام « حدثنا إسحق » .

قوله (لم يكن يدخل بالمدينة بيتاً غير بيت أم سليم) قال الحسیدی : لعله أراد على الدوام ، وإلا فقد تقدم أنه كان يدخل على أم حرام . وقال ابن التين : يريد أنه كان يكثر الدخول على أم سليم ، وإلا فقد دخل على أختها أم حرام ، ولعلها أي أم سليم كانت شقيقة المقتول أو وجدت عليه أكثر من أم حرام . قلت : لاجابة إلى هذا التأويل فإن بيت أم حرام وأم سليم واحد ، ولا مانع أن تكون الأختان في بيت واحد كبير لكل منهما فيه معزل فنسب تارة إلى هذه وتارة إلى هذه .

قوله (فقبل له) لم أقف على اسم القاتل .

قوله (إني أرحمها ، قتل أخوها معي) هذه العلة أولى من قول من قال : إنما كان يدخل عليها لأنها كانت محرماً له ، وسيأتي بيان مافى هذه القصة في كتاب الاستئذان إن شاء الله تعالى . والمراد بقوله « أخوها » حرام بن ملحان الذي تقدم ذكره في « باب من ينكب في سبيل الله » وستأتي قصة قتله في غزوة بئر معونة من كتاب المغازي ، والمراد بقوله « معي » أي مع عسكري أو على أمرى وفي طاعتي ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهد بئر معونة وإنما أمرهم بالذهاب إليها ، وغفل القرطبي فقال : قتل أخوها معه في بعض حروبه وأظنه يوم أحد ، ولم يصب في ظنه ، والله أعلم .

(فنبه) قال ابن المنير : مطابقة حديث أنس للترجمة من جهة قوله « أو خلفه في أهله » لأن ذلك أعم من أن يكون في حياته أو بعد موته ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يجبر قلب أم سليم بزيارتها ، ويعمل ذلك بأن أخاها قتل معه ، ففيه أنه خلفه في أهله بخير بعد وفاته ، وذلك من حسن عهده صلى الله عليه وسلم .

باب التَّحْنُطِ عِنْدَ الْقِتَالِ

٢٧٥٤ - حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال حدثنا خالد بن الحارث قال حدثنا ابن عون [٢٨٤٥] عن موسى بن أنس قال : ذكر يوم اليمامة قال : أتى أنس ثابت بن قيس وقد حسر عن فخذه وهو يتحنط فقال : يا عم ما يحبسك أن لا تجيء؟ قال الآن يا ابن أخي ، وجعل يتحنط - يعني من الحنوط - ثم جاء فجلس ، فذكر في الحديث انكشافاً من الناس فقال : هكذا عن وجوهنا حتى

نضارب القوم، ما هكذا كُنَّا نفعل مع رسول الله صلى الله عليه، بشئ ما عودتكم أقرانكم، رواه حماد عن ثابت عن أنس.

قوله (باب التحنط عند القتال) أى استعمال الحنوط ، وهو ما يطيب به الميت ، وقد تقدم بيانه فى كتاب الجنائز .

قوله (عن موسى بن أنس) أى ابن مالك .

قوله (ذكر يوم البجامة) كذا للحموي وللباقيين « وذكره » بزيادة الواو وهى للحال .

قوله (يوم البجامة) أى حين حاصرت المسلمون مسيلمة الكذاب وأتباعه فى خلافة أبى بكر الصديق .

قوله (أنى أنس بن مالك ثابت بن قيس) بالنصب على المفعولية ، قال الحميدى كذا قال ، لم يقل عن أنس ، وأخرجه البرقانى من وجه آخر فقال « عن موسى بن أنس عن أبيه قال أتيت ثابت بن قيس » . قلت : وصله الطبرى والإسماعيلى من طريق ابن أبى زائدة عن ابن عون ، وقال ابن سعد فى الطبقات « حدثنا الأنصارى حدثنا ابن عون حدثنا موسى بن أنس عن أنس بن مالك قال : لما كان يوم البجامة جثت إلى ثابت بن قيس بن شماس » فذكره ، وأخرجه الحاكم فى « المستدرک » من طريق أخرى عن الأنصارى كذلك .

قوله (وقد حسر) بمهملتين مفتوحتين أى كشف وزنه ومعناه .

قوله (ياعم) إنما دعاه بذلك لأنه كان أسن منه ، ولأنه من قبيلة الخزرج ،

قوله (ما يجبسك) أى يؤخرك ، وفى رواية الأنصارى « فقلت ياعم ألا ترى ما يلقى الناس » زاد

معاذ بن معاذ عن ابن عون عند الإسماعيلى « ألا تنجى » وكذا أخرجه خليفة فى تاريخه عن معاذ وقال فى جوابه « بلى يا ابن أخى الآن » .

قوله (ألا) بالتشديد ونجىء بالنصب .

قوله (وجعل يتحنط يعنى من الحنوط) كذا فى الأصل ، وكأن قائلها أراد دفع من يتوهم أنها من

الحنطة ، ولم يقع ذلك فى رواية الأنصارى المذكورة .

قوله (فذكر من الناس انكشافاً) فى رواية ابن أبى زائدة « فجاء حتى جلس فى الصف ، والناس

ينكشفون » أى ينهزمون .

قوله (فقال : هكذا عن وجوهنا) أى افسحوا لى حتى أقاتل .

قوله (ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى بل كان الصف لا ينحرف عن

موضعه .

قوله (بشئ ما عودتم أقرانكم) كذا للأكثر ، ووقع فى رواية المستمل « عودكم أقرانكم » أى

نظراؤكم ، وهو جمع قرن بكسر القاف ، وهو الذى يعادل الآخر فى الشدة ، والقرن بكسر القاف من يعادل فى السن ، وأراد ثابت بقوله هذا توبيخ المهزمين ، أى عودتم نظراءكم فى القوة من عدوكم الفرار منهم حتى

طمعوا فيكم ، وزاد معاذ بن معاذ الأنصاري وابن أبي زائدة في روايتهما « فتقدم فقاتل حتى قتل » .
 قوله (رواه حماد) أي ابن أبي سلمة (عن ثابت عن أنس) كذا قال ، وكأنه أشار إلى أصل الحديث ،
 وإلا فرواية حماد أتم من رواية موسى بن أنس ، وقد أخرجه ابن سعد والطبراني والحاكم من طرق عنه ولفظه
 « أن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوم البمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين يكفن فيهما وقد انهزم القوم ،
 فقال : اللهم أني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون واعتذر إليك مما صنع هؤلاء - ثم قال - بش ما عودتم
 أقرانكم منذ اليوم ، خلوا بيننا وبينهم ساعة ، فحمل فقاتل حتى قتل ، وكانت درعه قد سرقت ، فرآه رجل
 فما يرى النائم فقال : أنها في قدر تحت إكاف بمكان كذا ، فأوصاه بوصايا ، فوجدوا الدرع كما قال ،
 وأنفذوا وصاياه » . وأخرج الحاكم قصة الدرع والوصية مطولة من وجه آخر عن بنت ثابت بن قيس المذكورة
 وفيها « أنه أوصى بعنق بعض رقيقه » ، وسمى الواقدي في كتاب الردة من وجه آخر من أوصى بعنقه وهم
 سعد وسالم ، وأفاد الواقدي أن رائي المنام هو بلال المؤذن ، قال المهلب وغيره : فيه جواز استهلاك النفس
 في الجهاد وترك الأخذ بالرخصة ، والهيئة للموت بالتحنط والتكفين ، وفيه قوة ثابت بن قيس وصحة يقينه
 ونيته ، وفيه التداعي إلى الحرب والتحريض عليها وتوبيخ من يفر ، وفيه الإشارة إلى ما كان الصحابة عليه
 في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الشجاعة والثبات في الحرب ، واستدل به على أن القمخ ليست عورة ،
 وقد مضى البحث فيه في أوائل كتاب الصلاة .

ب

فضل الطليعة

٢٧٥٥ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال
 النبي صلى الله عليه : « من يأتيني بخبر القوم ؟ » يوم الأحزاب فقال الزبير : أنا . فقال النبي صلى
 الله عليه : « إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير » . [٢٨٤٦]

[الحديث ٢٨٤٦ - أطرافه في : ٢٨٤٧ ، ٢٩٩٧ ، ٣٧١٩ ، ٤١١٣ ، ٧٢٦١] .

قوله (باب فضل الطليعة) أي من يبحث إلى العدو ليطلع على أحوالهم ، وهو اسم جنس يشمل الواحد
 فما فوقه ، وقد تقدم في كتاب الشروط في حديث المسور الطويل بيان ذلك .

قوله (حدثنا سفيان) هو الثوري .

قوله (من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب) في رواية وهب بن كيسان عن جابر عند النسائي « لما اشتد
 الأمر يوم بني قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأتينا بخبرهم » الحديث ، وفيه أن الزبير توجه
 إلى ذلك ثلاث مرات ، ومنه يظهر المراد بالقوم في رواية ابن المنكدر ، وسيأتي بيان ذلك في المغازي ، وأن
 الأحزاب من قريش وغيرهم لما جاءوا إلى المدينة وحضر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق بلغ المسلمين أن بني

قريظة من اليهود نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشا على حرب المسلمين ، وسيأتي الكلام على شرح « الحواري » في المناقب إن شاء الله تعالى .

باب هل يبعث الطليعة وحده

[٢٨٤٧] ٢٧٥٦ - حدثنا صدقة قال أخبرنا ابن عيينة قال حدثنا محمد بن المنكدر سمع جابر ابن عبد الله قال : ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس - قال صدقة : أظنه يوم الخندق - فانتدب الزبير ، ثم ندب الناس فانتدب الزبير ، ثم ندب الناس فانتدب الزبير ، وقال : « إن لكل نبي حواريًا ، وحواري الزبير بن العوام » .

قوله (باب هل يبعث الطليعة وحده) ذكر فيه حديث جابر المذكور من رواية سفيان بن عيينة ، وقوله « ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس قال صدقة أظنه يوم الخندق » صدقة هو ابن الفضل شيخ البخاري فيه ، وما ظنه هو الواقع فقد رواه الحميدي عن ابن عيينة فقال فيه « يوم الخندق » ولم يشك ، في الحديث جواز استعمال التجسس في الجهاد ، وفيه منقبة للزبير وقوة قلبه وصحة يقينه ، وفيه جواز سفر الرجل وحده ، وأن النهي عن السفر وحده إنما هو حيث لا تدعو الحاجة إلى ذلك ، وسيأتي مزيد بحث في ذلك في أواخر الجهاد في « باب السير وحده » . واستدل به بعض المالكية على أن طليعة اللصوص المحاربين يقتل وإن كان لم يباشر قتلا ولا سلباً ، وفي أخذه من هذا الحديث تكلف .

باب سفر الاثنين

[٢٨٤٨] ٢٧٥٧ - حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا أبو شهاب عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث : انصرفت من عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لنا - أنا وصاحب لي - : « أذنا وأقيما وليؤمكما أكبركما » .

قوله (باب سفر الاثنين) أي جوازه ، والمراد سفر الشخصين لا سفر يوم الاثنين ، بخلاف ما فهمه الداودي ثم اعترض على البخاري ، ورده ابن التين بأن البخاري أورد فيه حديث مالك بن الحويرث « أذنا وأقيما » وأشار بذلك إلى ما وقع في بعض طرقه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما ذلك حين أرادا السفر إلى قومهما ، فيؤخذ الجواز من إذنه لهما . قلت : وكأنه لم يحذف الحديث الوارد في الزجر عن سفر الواحد والاثنين ، وهو ما أخرجه أصحاب السنن من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً « الراكب شيطان والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركب » . قلت : وهو حديث حسن الإسناد ، وقد صححه ابن خزيمة والحاكم ، وأخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة وصححه وترجم له ابن خزيمة « النهي عن سفر الاثنين وأن ما دون الثلاثة عصاة » لأن معنى قوله شيطان أي عاص ، وقال الطبري : هذا الزجر زجر أدب وإرشاد لما يخشى على

الواحد من الوحشة والوحدة ، وليس بحرام فالسائر وحده في فلاة وكذا البائت في بيت وحده لا يأمن من الاستيحاء لاسيما إذا كان ذا فكرة رديئة وقلب ضعيف ، والحق أن الناس يتباينون في ذلك فيحتمل أن يكون الزجر عن ذلك ، وقع لحسم المادة فلا يتناول ما إذا وقعت الحاجة لذلك . وقيل في تفسير قوله « الراكب شيطان » : أى سفره وحده يحمله عليه الشيطان أو أشبه الشيطان في فعله ، وقيل إنما كره ذلك لأن الواحد لو مات في سفره ذلك لم يجد من يقوم عليه ، وكذلك الاثنان إذا ماتا أو أحدهما لم يجد من يعينه ، بخلاف الثلاثة ففي الغالب تؤمن تلك الحشية . قلت : وسيأتى الإمام بشيء من هذا بعد أبواب كثيرة في « باب السير وحده » ، ومضى شرح حديث مالك بن الحويرث في كتاب الصلاة .

باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة

[٢٨٤٩] ٢٧٥٨ - حدثنا عبد الله بن مسلمة قال حدثنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » .
[الحديث ٢٨٤٩ - طرفه في : ٣٦٤٤] .

[٢٨٥٠] ٢٧٥٩ - حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا شعبة عن حصين وابن أبي السفر عن الشعبي عن عروة بن الجعد عن النبي صلى الله عليه قال : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

قال سليمان عن شعبة : عن عروة بن أبي الجعد .
وتابعه مسدد عن هشيم عن حصين عن الشعبي ، عن عروة بن أبي الجعد .
[الحديث ٢٨٥٠ - أطرافه في : ٢٨٥٢ ، ٣١١٩ ، ٣٦٤٣] .

[٢٨٥١] ٢٧٦٠ - حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة عن أبي التياح عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « البركة في نواصي الخيل » .
[الحديث ٢٨٥١ - طرفه في : ٣٦٤٥] .

قوله (باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) هكذا ترجم بلفظ الحديث من غير مزيد ، وقد استنبط منه ما يأتى في الباب بعده وذكر فيه ثلاثة أحاديث : الأول حديث ابن عمر .
قوله (الخيل في نواصيها الخير) كذا في الموطأ ليس فيه « معقود » ووقع بإثباتها عند الإسماعيلي من رواية عبد الله بن نافع عن مالك ، وسيأتى في علامات النبوة من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع بإثباتها وذلك في رواية أبي ذر عن الكشميني وحده . الحديث الثاني حديث عروة بن الجعد .
قوله (عن حصين) بالتصغير هو ابن عبد الرحمن ، وابن أبي السفر بفتح المهملة والفاء هو عبد الله .

قوله (عن عروة بن الجعد) في رواية زكريا عن الشعبي « حدثنا عروة » وهو في الباب الذي بعده :
قوله (قال سليمان) هو ابن حرب (عن شعبة عن عروة بن أبي الجعد) يعني أن سليمان بن حرب خالف حمص بن عمر في اسم والد عروة فقال حمص « عروة بن الجعد » وقال سليمان « عروة بن أبي الجعد » وطريق سليمان وصلها الطبراني عن أبي مسلم الكجى عنه ، وأخرجها أبو نعيم في المستخرج من وجه آخر عن أبي مسلم ، قال الإسماعيلي : قال أكثر الرواة عن شعبة « عروة بن الجعد » إلا سليمان وابن أبي عدي . قلت : رواية ابن أبي عدي عند النسائي وتابعهما مسلم بن إبراهيم أخرجه ابن أبي خيثمة عنه ، ولشعبة فيه إسناد آخر فقال فيه « عروة بن الجعدى » أيضا أخرجه مسلم من طريق غندر عنه عن أبي إسحق عن العيزار بن حريث عن عروة .

قوله (تابعه مسدد عن هشيم عن حصين الخ) هكذا روينا موصولا في مسند مسدد رواية معاذ بن المثني عنه وقال فيه « عروة بن أبي الجعد » كما قال البخاري ، ولكن رواه أحمد في مسنده عن هشيم فقال « عروة البارقي » وكذا قال زكريا في الباب الذي بعده ، وكذا أخرجه مسلم من طريق ابن فضيل وابن إدريس عن حصين ، وأخرجه من طريق جرير عن حصين فقال « عروة بن الجعد » وصوب ابن المديني أنه « عروة بن أبي الجعد » وذكر ابن أبي حاتم أن اسم أبي الجعد سعد ، وأما الرشاطي فقال : هو عروة بن عياض بن أبي الجعد نسب في الرواية إلى جده ، قال : وكان ممن شهد فتوح الشام ونزلها ، ثم نقله عثمان إلى الكوفة . قلت : ويأتي في علامات النبوة أنه كان يربط الخيل الكثيرة حتى قال الراوى : رأيت في داره سبعين فرساً . ولمسدد في هذا الحديث شيخ آخر سيأتي في « باب حل الفئام » عنه عن خالد وهو الطحان عن حصين وقال فيه أيضاً عروة البارقي ، ووقع في رواية ابن إدريس عن حصين في هذا الحديث من الزيادة « والإبل عز لأهلها والغنم بركة » أخرجه البرقاني في مستخرجه ونبه عليه الحميدى . والبارقي بالوحدة وكسر الراء بعدها قاف نسبة إلى بارقي جبل باليمن ، وقيل ماء بالسراة نزل به بنو عدي بن حارثة بن عمر . وقبيلة من الأزد ، ولقب به منهم سعد بن عدي وكان يقال له بارقي ، وزعم الرشاطي أنه منسوب إلى ذى بارقي قبيلة من ذى رعين .

قوله (حدثنا يحيى) هو القطان ، وأبو التياح بمثناة وتحتانية ثقيلة وآخره مهملة ، والإسناد كله بصريون .

قوله (البركة في نواصي الخيل) كذا وقع ، ولا بد فيه من شيء محذوف يتعلق به المجرور وأولى ما يقدر ما ثبت في رواية أخرى فقد أخرجه الإسماعيلي من طريق عاصم بن علي بن شعبة بلفظ « البركة تنزل في نواصي الخيل » وأخرجه من طريق ابن مهدي عن شعبة بلفظ « الخير معقود في نواصي الخيل » وسيأتي في علامات النبوة من طريق خالد بن الحارث عن شعبة بلفظ حديث عروة البارقي إلا أنه ليس فيه « إلى يوم القيامة » قال عياض إذا كان في نواصيها البركة فيبعد أن يكون فيها شؤم ، فيحتمل أن يكون الشؤم الآتي ذكره في غير الخيل التي ارتبطت للجهاد وأن الخيل التي أعدت له هي المخصوصة بالخير والبركة أو يقال الخير

والشر يمكن اجتماعهما في ذات واحدة ، فإنه فسر الخير بالأجر والمغنم ، ولا يمنع ذلك أن يكون ذلك الفرس مما يتشاهم به . قلت : وسيأتي مزيد لذلك بعد ثلاثة أبواب .

قوله (الخيل) المراد بها ما يتخذ للغزو بأن يقاتل عليه أو يرتبط لأجل ذلك لقوله في الحديث الآتي بعد أربعة أبواب « الخيل ثلاثة » الحديث ، فقد روى أحمد من حديث أسماء بنت يزيد مرفوعاً « الخيل في نواصيها الخير معقود إلى يوم القيامة ، فمن ربطها عدة في سبيل الله وأنفق عليه احتساباً كان شعبها وجوعها وريها وظمؤها وأروائها وأبوالها فلاحاً في موازينه يوم القيامة » الحديث ، ولقوله في رواية زكريا كما في الباب الذي يليه « الأجر والمغنم » وقوله الأجر بدل من قوله الخير ، أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هو الأجر والمغنم ، ووقع عند مسلم من رواية جرير عن حصين « قالوا : بم ذاك يا رسول الله ؟ قال : الأجر والمغنم » قال الطيبي : يحتمل أن يكون الخير الذي فسر بالأجر والمغنم استعارة لظهوره وملازمته ، وخص الناصية لرفعة قدرها وكأنه شبه لظهوره بشيء محسوس معقود على مكان مرتفع فنسب الخير إلى لازم المشبه به وذكر الناصية تجريداً للاستعارة ، والمراد بالناصية هنا الشعر المسترسل على الجبهة قاله الخطابي وغيره . قالوا : ويحتمل أن يكون كنى بالناصية عن جميع ذات الفرس كما يقال فلان مبارك الناصية ، ويبيده لفظ الحديث الثالث ، وقد روى مسلم من حديث جرير قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوى ناصية فرسه بإصبعه ويقول » فذكر الحديث ، فيحتمل أن تكون الناصية خصت بذلك لكونها المقدم منها ، إشارة إلى أن الفضل في الإقدام بها على العدو دون المؤخر لما فيه من الإشارة إلى الأدبار ، واستدل به على أن الذي ورد فيها من الشؤم على غير ظاهره ، لكن يحتمل أن يكون المراد هنا جنس الخيل ، أي أنها بصدد أن يكون فيها الخير ، فأما من ارتبطها لعمل غير صالح فحصول الوزر لطريان ذلك الأمر العارض ، وسيأتي مزيد لذلك في مكانه بعد أبواب . قال عياض : في هذا الحديث مع وجيز لفظه من البلاغة والعدوبة ما لا مزيد عليه في الحسن ، مع الجناس السهل الذي بين الخيل والخير . قال الخطابي : وفيه إشارة إلى أن المال الذي يكتسب باتخاذ الخيل من خير وجوه الأموال وأطيبها ، والعرب تسمى المال خيراً كما تقدم في الوصايا في قوله تعالى ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرَ الْوَصِيَّةِ ﴾ . وقال ابن عبد البر : فيه إشارة إلى تفضيل الخيل على غيرها من الدواب ، لأنه لم يأت عنه صلى الله عليه وسلم في شيء غيرها مثل هذا القول ، وفي النسائي عن أنس بن مالك « لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخيل » . الحديث الثالث .

باب الجهاد ماضٍ مع البرِّ والفاجر

لقول النبي صلى الله عليه : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

٢٧٦١ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا زكريا عن عامر قال حدثنا عروة البارقي أن رسول

[٢٨٥٢]

الله صلى الله عليه قال : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم » .

قوله (باب الجهاد ماضٍ مع البرِّ والفاجر) هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه بنحوه أبو داود وأبو يعلى

مرفوعاً وموقوفاً عن أبي هريرة ، ولا بأس برواته ، إلا أن مكحولاً لم يسمع من أبي هريرة . وفي الباب عن أنس أخرجه سعيد بن منصور وأبو داود أيضاً وفي إسناده ضعف .

قوله (لقول النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود الخ) سبقه إلى الاستدلال بهذا الإمام أحمد ، لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة ، وفسره بالأجر والمغرم ، المغرم المقترن بالأجر إنما يكون من الخيل بالجهاد ، ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً فدل على أن لافرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر . وفي الحديث الترخيب في الغزو على الخيل ، وفيه أيضاً بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة ، لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين وهم المسلمون ، وهو مثل الحديث الآخر « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق » الحديث . واستنبط منه الخطابي إثبات سهم للفرس يستحقه الفارس من أجله ، فإن أراد السهم الزائد للفارس على الرجل فلا نزاع فيه ، وإن أراد أن للفرس سهمين غير سهم راكبه فهو محل النزاع ولا دلالة من الحديث عليه ، وسيأتي القول فيه قريباً إن شاء الله تعالى .

(تنبيه) : حكى ابن التين أنه وقع في رواية أبي الحسن القاسبي في لفظ الترجمة « الجهاد ماض على البر والفاجر » قال : ومعناه أنه يجب على كل أحد . قلت : إلا أنه لم يقع في شيء من النسخ التي وقفنا عليها ، وقد وجدته في نسخه قديمة من رواية القاسبي كالجماعة ، والذي يليق بلفظ الحديث ما وقع في سائر الأصول بلفظ « مع » بدل « على » والله أعلم .

(تكملة) : روى حديث « الخيل معقود في نواصيها الخير » جمع من الصحابة غير من تقدم ذكره ، وهم ابن عمر وعروة وأنس وجابر ، ومن لم يتقدم سلمة بن نفيل وأبو هريرة عند النسائي وعتبة بن عبد عند أبي داود وجابر وأسماء بنت يزيد وأبو ذر عند أحمد والمغيرة وابن مسعود عند أبي يعلى وأبو كبشة عند أبي عوانة وابن حبان في صحيحيهما وحذيفة عند البزار وسودة بن الربيع وأبو أمامة وعريب - وهو بفتح المهملة وكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة ثم موحدة - المليكي والنعمان بن بشير وسهل بن الحنظلية عند الطبراني وعن علي بن أبي عاصم في الجهاد . وفي حديث جابر من الزيادة في نواصيها الخير والنيل « وهو بفتح النون وسكون التحتانية بعدها لام وزاد أيضاً » وأهلها معانون عليها ، فخذوا بنواصيها وادعوا بالبركة » ، وقوله « وأهلها معانون عليها » في رواية سلمة بن نفيل أيضاً .

باب من احتبس فرساً

لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ .

٢٧٦٢ - حدثنا علي بن حفص قال حدثنا ابن المبارك قال أخبرنا طلحة بن أبي سعيد

[٢٨٥٣]

قال سمعت سعيداً المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة يقول : قال النبي صلى الله عليه : « من احتبس فرساً في سبيل الله ، إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ، فإن شبعه ورثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » .

قوله (باب من احتبس فرساً في سبيل الله لقوله عز وجل : ومن رباط الخيل) أى بيان فضله ، وروى ابن مردويه في التفسير من حديث ابن عباس في هذه الآية قال « إن الشيطان لا يستطيع ناصية فرس » .

قوله (حدثنا علي بن حفص) هو المروزي ، قال البخاري في التاريخ : لقيته بعسقلان سنة سبع عشرة . قلت : وما أخرج عنه غير هذا الحديث وآخر في مناقب الزبير موقوفاً وآخر في آخر كتاب القدر قرنه فيه ببشر بن محمد ، وقد تعقب ابن أبي حاتم تسميته على البخاري في الجزء الذي جمع فيه أوهامه وقال : الصواب أنه ابن الحسين بن نشيط بفتح النون وكسر المعجمة بوزن عظيم قال : وقد لقيه أبي بعسقلان سنة سبع عشرة . قلت : فيحتمل أن يكون حفص اسم جده ، وقد وقع للبخاري نسبة بعض مشايخه إلى أجدادهم .

قوله (أخبرنا طلحة بن أبي سعيد) هو المصري نزيل الإسكندرية وكان أصله من المدينة ، وليس له في البخاري سوى هذا الموضع ، بل قال أبو سعيد بن يونس : ما روى حديثاً مسنداً غيره .

قوله (وتصديقاً بوعده) أى الذى وعد به من الثواب على ذلك ، وفيه إشارة إلى المعاد كما أن في لفظ الإيمان إشارة إلى المبدأ . وقوله « شبعه » بكسر أوله أى ما يشبع به ، وكذا قوله « ربه » بكسر الراء وتشديد التحتانية ووقع في حديث أسماء بنت يزيد الذى أشرت إليه في الباب الماضى « ومن ربطها رياء وسمعة » الحديث وقال فيه « فإن شبعها وجوعها الخ خسران في موازينه » قال المهلب وغيره : في هذا الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين ، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب الأولى . وقوله « وروثه » يريد ثواب ذلك لا أن الأرواث بعينها توزن ، وفيه أن المرء يؤجر بنيته كما يؤجر العامل ، وأنه لا بأس بذكر الشيء المستقدر بلفظه للحاجة لذلك . وقال ابن أبي جرة : يستفاد من هذا الحديث أن هذه الحسنات تقبل من صاحبها لتنصيب الشارع على أنها في ميزانية ، بخلاف غيرها فقد لا تقبل فلا تدخل الميزان . وروى ابن ماجه من حديث تميم الدارى مرفوعاً « من ارتبط فرساً في سبيل الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة » .

باب اسم الفرس والحمار

٢٧٦٣ - حدثنا محمد بن أبي بكر قال حدثنا فضيل بن سليمان عن أبي حازم عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه فتخلف أبو قتادة مع بعض أصحابه وهم محرمون وهو غير محرم ، فرأوا حمار وحش قبل أن يراه ، فلما رأوه تركوه حتى رآه أبو قتادة ، فركب فرساً له يقال لها الجرادة ، فسألهم أن ينالوه سوطه فأبوا ، فتناوله ، فحمل فعقره ، ثم أكل وأكلوا ، فندموا ، فلما أدركوه قال : « هل معكم منه شيء ؟ » قال : معنا رجله ، فأخذها النبي صلى الله عليه فأكلها .

٢٧٦٤ - حدثنا علي بن عبد الله بن جعفر قال حدثنا معن بن عيسى قال حدثني أبي بن

عباس بن سهل عن أبيه عن جدّه قال: كان للنبي صلى الله عليه في حائطنا فرسٌ يُقال له اللّخيف، قال أبو عبد الله: وقال بعضهم: «اللّخيف».

[٢٨٥٦]

٢٧٦٥ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم سمع يحيى بن آدم قال حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن معاذ قال: كنت ردّفت النبي صلى الله عليه على حمارٍ يُقال له عُفير، فقال: «يا معاذ، وهل تدري حقّ الله على عباده، وما حقّ العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنّ حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحقّ العباد على الله أن لا يُعذّب من لا يُشرك به شيئاً»، فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشّر به الناس؟ قال: «لا تبشّرهم فيتكلّوا».

[الحديث ٢٨٥٦ - أطرافه في: ٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠، ٧٣٧٣].

[٢٨٥٧]

٢٧٦٦ - حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن أنس بن مالك: كان فرعٌ بالمدينة، فاستعار النبي صلى الله عليه فرساً لنا يُقال له مندوب، فقال: «ما رأينا من فرع، وإن وجدناه البحر».

قوله (باب اسم الفرس والحمار) أى مشروعية تسميتهما، وكذا غيرهما من الدواب بأسماء تخصها غير أسماء أجناسها. وقد اعتنى من ألف في السيرة النبوية بسرد أسماء ماورد في الأخبار من خيله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من دوابه، وفي الأحاديث الواردة في هذا الباب مايقوى قول من ذكر أنساب بعض الخيول العربية الأصيلة لأن الأسماء توضع للتمييز بين أفراد الجنس. وذكر البخارى في هذا الباب أربعة أحاديث: الأول حديث أبي قتادة في قصة صيد الحمار الوحشى، وقد تقدمت مباحثه في كتاب الحج، والغرض منه قوله فيه «فركب فرساً يُقال له الجرادة» وهو بفتح الجيم وتخفيف الراء، والجراد اسم جنس. ووقع في السيرة لابن هشام أن اسم فرس أبي قتادة الحزوة أى بفتح المهملة وسكون الزاى بعدها واو، فإما أن يكون لها اسمان، وإما أن أحدهما تصحيف والذي في الصحيح هو المعتمد. ومحمد بن أبى بكر شيخ البخارى فيه هو المقدمى، وحكى أبو على الجياني أنه وقع في نسخة أبى زيد المروزى «محمد بن بكر» وهو غلط. الثاني حديث سهل وهو ابن سعد الساعدى.

قوله (يقال له اللّخيف) يعنى بالمهملة والتصغير، قال ابن قرقول: وضبطوه عن ابن سراج بوزن رغيف. قلت: ورجحه اللامياطى، وبه جزم الهروى وقال: سى بذلك لطول ذنبه، فعيل بمعنى فاعل، وكأنه يلحف الأرض بذنبه.

قوله (وقال بعضهم اللّخيف) بالخاء المعجمة، وحكوا فيه الوجهين، وهذه رواية عبد المهيم بن عباس بن سهل وهو أخو أبى بن عباس، ولفظه عند ابن منده «كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند

سعد بن سعد والد سهل ثلاثة أفراس ، فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يسميهم لزاز - بكسر اللام وبزايين الأولى خفيفة - والظرب بفتح المعجمة وكسر الراء بعدها موحدة ، واللخيف « وحكى سبط ابن الجوزي أن البخاري قيده بالتصغير والمعجمة قال : وكذا حكاه ابن سعد عن الواقدي وقال : أهداه له ربيعة بن أبي البراء مالك بن عامر العامري وأبوه الذي يعرف بملاعب الأسنة انتهى . ووقع عند ابن أبي خيثمة : أهداه له فروة بن عمرو . وحكى ابن الأثير في النهاية أنه روى بالجيم بدل الخاء المعجمة ، وسبقه إلى ذلك صاحب المغيث ثم قال : فإن صح فهو سهم عريض النصل كأنه سمي بذلك لسرعته . وحكى ابن الجوزي أنه روى بالنون بدل اللام من النحافة . الثالث حديث معاذ بن جبل .

قوله (عن عمرو بن ميمون) هو الأودي بفتح الهمزة وسكون الواو من كبار التابعين ، وسيأتي أنه أدرك الجاهلية في أخبار الجاهلية . وأبو إسحق الراوي عنه هو السبيعي . والإسناد كله كوفيون إلا الصحابي ، وأبو الأحوص شيخ يحيى بن آدم فيه كنت أظن أنه سلام بالتشديد وهو ابن سليم وعلى ذلك يدل كلام المزى ، لكن أخرج هذا الحديث النسائي عن محمد بن عبد الله بن المبارك المخزومي عن يحيى بن آدم شيخ شيخ البخاري فيه فقال « عن عمار بن زريق عن أبي إسحق » والبخاري أخرجه ليحيى بن آدم عن أبي الأحوص عن أبي إسحق ، وكنية عمار بن زريق أبو الأحوص فهو هو ، ولم أر من نبه على ذلك . وقد أخرجه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة وأبو داود عن هناد بن السرى كلاهما عن أبي الأحوص عن أبي إسحق ، وأبو الأحوص هذا هو سلام بن سليم فإن أبا بكر وهناداً أدر كاه ولم يدركا عماراً والله أعلم .

قوله (كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير) بالمهملة والفاء مصغر مأخوذ من العفر وهو لون التراب كأنه سمي بذلك للونه والعفرة حمرة يخالطها بياض ، وهو تصغير أعفر أخرجه عن بناء أصله كما قالوا سويد في تصغير أسود ، ووهم من ضبطه بالغين المعجمة وهو غير الحمار الآخر الذي يقال له يعفور ، وزعم ابن عبدوس أنهما واحد وقواه صاحب الهدى ، وردده اللمياطي فقال : عفير أهداه المقوقس ويعفور أهداه فروة بن عمرو وقيل بالعكس . ويعفور بسكون المهملة وضم الفاء هو اسم ولد الظبي كأنه سمي بذلك لسرعته . قال الواقدي : نفق يعفور منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، وبه جزم النووي عن ابن الصلاح ، وقيل طرح نفسه في بئر يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقع ذلك في حديث طويل ذكره ابن حبان في ترجمة محمد بن مرثد في الضعفاء ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم غنمه من خيبر ، وأنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له أنه كان ليهودي وأنه خرج من جده ستون حمراً لركوب الأنبياء فقال : ولم يبق منهم غيري ، وأنت خاتم الأنبياء ، فسماه يعفوراً . وكان يركبه في حاجته ويرسله إلى الرجل فيقرع بابه برأسه فيعرف أنه أرسل إليه ، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى بئر أبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها فصارت قبره ، قال ابن حبان : لا أصل له ، وليس سنده بشيء .

قوله (أن تعبدوه ولا تشرکوا) في رواية الكشميनी « أن تعبدوا » بحذف المفعول .

قوله (فيتكلموا) بتشديد المثناة ، وفي رواية الكشميनी بسكون النون ، وقد تقدم شرح ذلك في أواخر كتاب العلم ، وسيأتي هذا الحديث في الرقاق من طريق أنس بن مالك عن معاذ ولم يسم فيه الحمار ،

ونستكمل بقية الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى . وتقدم في العلم من حديث أنس بن مالك أيضاً لكن فيما يتعلق بشهادة أن لا إله إلا الله ، وهذا فيما يتعلق بحق الله على العباد فهما حديثان ، ووهم الحميدى ومن تبعه حيث جعلوهما حديثاً واحداً . نعم وقع في كل منهما منعه صلى الله عليه وسلم أن يخبر بذلك الناس لئلا يتكلموا ، ولا يلزم من ذلك أن يكونا حديثاً واحداً . وزاد في الحديث الذى فى العلم « فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً » ولم يقع ذلك هنا والله أعلم . الحديث الرابع حديث أنس فى فرس أبى طلحة ، وقد تقدم فى أواخر الهبة مع شرحه ، وهو ظاهر فيما ترجم به هنا .

باب

ما يذكر من شؤم الفرس

[٢٨٥٨] ٢٧٦٧ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال : سمعت النبي صلى الله عليه يقول : « إنما الشؤم في ثلاثة : في الفرس ، والمرأة ، والدار » .

[٢٨٥٩] ٢٧٦٨ - حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي حازم بن دينار عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه قال : « إن كان في شيء ففي المرأة والفرس والمسكن » .
[الحديث ٢٨٥٩ - طرفه في : ٥٠٩٥] .

قوله (باب ما يذكر من شؤم الفرس) أى هل هو على عمومه ، أو مخصوص ببعض الخيل ؟ وهل هو على ظاهره ، أو مؤول ؟ وسيأتى تفصيل ذلك . وقد أشار بإيراد حديث سهل بعد حديث ابن عمر إلى أن الحصر الذى فى حديث ابن عمر ليس على ظاهره ، وبترجمة الباب الذى بعده وهى « الخيل لثلاثة » إلى أن الشؤم مخصوص ببعض الخيل دون بعض وكل ذلك من لطيف نظره ودقيق فكره .

قوله (أخبرني سالم) كذا صرح شعيب عن الزهري بإخبار سالم له ، وشذ ابن أبي ذئب فأدخل بين الزهري وسالم محمد بن زييد بن قنقد ، واقتصر شعيب على سالم وتابعه ابن جريج عن ابن شهاب عند أبي عوانة وكذا عثمان بن عمر عن يونس عن الزهري كما سيأتى فى الطب ، وكذا قال أكثر أصحاب سفيان عنه عن الزهري ، ونقل الترمذى عن ابن المدينى والحميدى أن سفيان كان يقول : لم يرو الزهري هذا الحديث إلا عن سالم انتهى . وكذا قال أحمد عن سفيان : إنما نحفظه عن سالم . لكن هذا الحصر مردود فقد حدث به مالك عن الزهري عن سالم وحزمة ابني عبد الله بن عمر عن أبيهما ، ومالك من كبار الحفاظ ولا سيما فى حديث الزهري ، وكذا رواه ابن أبي عمر عن سفيان نفسه أخرجه مسلم والترمذى عنه ، وهو يقتضى رجوع سفيان عما سبق من الحضر . وأما الترمذى فجعل رواية ابن أبي عمر هذه مرجوحة ، وقد تابع مالكاً أيضاً يونس من رواية ابن وهب عنه كما سيأتى فى الطب ، وصالح بن كيسان عند مسلم وأبو أويس عند أحمد

ويحيى بن سعيد وابن أبي عتيق وموسى بن عقبة ثلاثهم عند النسائي كلهم عن الزهري عنهما ، ورواه إسحق ابن راشد عن الزهري فاقصر على حمزة أخرجه النسائي ، وكذا أخرجه ابن خزيمة وأبو عوانة من طريق عقيل وأبو عوانة من طريق شبيب بن سعيد كلاهما عن الزهري ، ورواه القاسم بن مبرور عن يونس فاقصر على حمزة أخرجه النسائي أيضاً . وكذا أخرجه أحمد من طريق رباح بن زيد عن معمر مقتصرأ على حمزة ، وأخرجه النسائي من طريق عبد الواحد عن معمر فاقصر على سالم ، فالظاهر أن الزهري يجمعهما تارة ويفرد أحدهما أخرى ، وقد رواه إسحق في مسنده عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري فقال : عن سالم أو حمزة أو كلاهما ، وله أصل عن حمزة من غير رواية الزهري أخرجه مسلم من طريق عتبة بن مسلم عنه والله أعلم .

قوله (إنما الشؤم) بضم المعجمة وسكون الهمزة وقد نسهل فتصير واوا .

قوله (في ثلاث) يتعلق بمحنوف تقديره كائن قاله ابن العربي ، قال : والحصر فيها بالنسبة إلى العادة لا بالنسبة إلى الحلقة انتهى . وقال غيره : إنما خصت بالذكر لطول ملازمها ، وقد رواه مالك وسفيان وسائر الرواة بحذف « إنما » لكن في رواية عثمان بن عمر « لا عدوى ولا طيرة ، وإنما الشؤم في الثلاثة » قال مسلم لم يذكر أحد في حديث ابن عمر « لا عدوى » إلا عثمان بن عمر . قلت : ومثله في حديث سعد بن أبي وقاص الذي أخرجه أبو داود ، لكن قال فيه « إن تكن الطيرة في شيء » الحديث ، والطيرة والشؤم بمعنى واحد كما سألته في أواخر شرح الطب إن شاء الله تعالى ، وظاهر الحديث أن الشؤم والطيرة في هذه الثلاثة ، قال ابن قتيبة : ووجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون فهام النبي صلى الله عليه وسلم وأعلمهم أن لا طيرة ، فلما أبوا أن ينتهوا بقيت الطيرة في هذه الأشياء الثلاثة . قلت : فشيء ابن قتيبة على ظاهره ، ويلزم على قوله أن من تشاءم بشيء منها نزل به ما يكره ، قال القرطبي : ولا يظن به أنه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على أن ذلك بضر وينفع بذاته فإن ذلك خطأ وإنما غنى أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس ، فن وقع في نفسه شيء أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره ، قلت : وقد وقع في رواية عمر العسقلاني - وهو ابن محمد ابن زيد بن عبد الله بن عمر - عن أبيه عن ابن عمر كما سيأتي في النكاح بلفظ « ذكروا الشؤم فقال : إن كان في شيء ففى » ولمسلم « إن يك من الشؤم شيء حق » وفي رواية عتبة بن مسلم « إن كان الشؤم في شيء » وكذا في حديث جابر عند مسلم وهو موافق لحديث سهل بن سعد ثاني حديثي الباب ، وهو يقتضى عدم الجزم بذلك بخلاف رواية الزهري ، قال ابن العربي : معناه إن كان خلق الله الشؤم في شيء مما جرى من بعض العادة فلانما يخلقه في هذه الأشياء ، قال المازري : يحمل هذه الرواية إن يكن الشؤم حقاً فهذه الثلاث أحق به ، بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها . وجاء عن عائشة أنها أنكرت هذا الحديث ، فروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن محمد بن راشد عن مكحول قال : قيل لعائشة إن أبا هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم في ثلاثة » فقالت : لم يحفظ ، إنه دخل وهو يقول « قاتل الله اليهود ، يقولون الشؤم في ثلاثة » فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله . قلت : ومكحول لم يسمع من عائشة فهو منقطع ، لكن روى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبي حسان « أن رجلين من بني عامر دخلا على عائشة فقالا : إن أبا هريرة قال « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الطيرة في الفرس والمرأة

والدار « ففضبت غضباً شديداً وقالت : ما قاله ، وإنما قال « إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك » انتهى ولا معنى لإنكار ذلك على أبي هريرة مع موافقة من ذكرنا من الصحابة له في ذلك ، وقد تأوله غيرها على أن ذلك سيق لييان اعتقاد الناس في ذلك ، لا أنه إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بثبوت ذلك ، وسباق الأحاديث الصحيحة المتقدم ذكرها يبعد هذا التأويل . قال ابن العربي : هذا جواب ساقط لأنه صلى الله عليه وسلم لم يبعث ليخبر الناس عن معتقداتهم الماضية والحاصلة ، وإنما بعث ليعلمهم ما يلزمهم أن يعتقدوه انتهى . وأما ما أخرجه الترمذى من حديث حكيم بن معاوية قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا شؤم ، وقد يكون اليمن في المرأة والدار والفرس » ففي إسناده ضعف مع مخالفته للأحاديث الصحيحة . وقال عبد الرزاق في مصنفه عن معمر سمعت من يفسر هذا الحديث يقول : شؤم المرأة إذا كانت غير ولود وشؤم الفرس إذا لم يغز عليه ، وشؤم الدار جار السوء . وروى أبو داود في الطب عن ابن القاسم عن مالك أنه سئل عنه فقال : كم من دار سكنها ناس فهلكوا . قال المازرى : فيحمله مالك على ظاهره ، والمعنى أن قدر الله ربما اتفق ما يكره عند سكنى الدار فتصير في ذلك كالسبب فتسامح في إضافة الشيء إليه اتساعاً . وقال ابن العربي : لم يرد مالك إضافة الشؤم إلى الدار ، وإنما هو عبارة عن جرى العادة فيها فأشار إلى أنه ينبغى للمرء الخروج عنها صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل . وقيل : معنى الحديث أن هذه الأشياء يطول تعذيب القلب بها مع كراهة أمرها لملازمتها بالسكنى والصحية ولو لم يعتقد الإنسان الشؤم فيها ، فأشار الحديث إلى الأمر بفراقها ليزول التعذيب . قلت : وما أشار إليه ابن العربي في تأويل كلام مالك أولى ، وهو نظير الأمر بالفرار من المجدوم مع صحة نفي العدوى ، والمراد بذلك حسم المادة وسد الذريعة لئلا يوافق شيء من ذلك القدر فيعتقد من وقع له أن ذلك من العدوى أو من الطيرة فيقع في اعتقاد مانهى عن اعتقاده ، فأشير إلى اجتناب مثل ذلك . والطريق فيمن وقع له ذلك في الدار مثلاً أن يبادر إلى التحول منها ، لأنه متى استمر فيها ربما حمله ذلك على اعتقاد صحة الطيرة والتشاؤم . وأما ما رواه أبو داود وصححه الحاكم من طريق إسحق بن طلحة عن أنس « قال رجل : يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها عددنا وأموالنا ، فتحولنا إلى أخرى فقل فيها ذلك ، فقال : ذروها ذميمة » ، وأخرج من حديث فروة بن مسيك بالمهملة مصغراً ما يدل على أنه هو السائل ، وله شاهد من حديث عبد الله بن شداد بن الهاد أحد كبار التابعين ، وله رواية بإسناد صحيح إليه عند عبد الرزاق ، قال ابن العربي ورواه مالك عن يحيى بن سعيد منقطعاً قال : والدار المذكورة في حديثه كانت دار مكمل بضم الميم وسكون الكاف وكسر الميم بعدها لام - وهو ابن عوف أخو عبد الرحمن ابن عوف - قال : وإنما أمرهم بالخروج منها لاعتقادهم أن ذلك منها ، وليس كما ظنوا ، لكن الخالق جل وعلا جعل ذلك وفقاً لظهور قضائه ، وأمرهم بالخروج منها لئلا يقع لهم بعد ذلك شيء فيستمر اعتقادهم . قال ابن العربي : وأفاد وصفها بكونها ذميمة جواز ذلك ، وأن ذكرها بقبيح ما وقع فيها سائق من غير أن يعتقد أن ذلك كان منها ، ولا يمتنع ذم محل المكروه وإن كان ليس منه شرعاً كما يذم العاصي على معصيته وإن كان ذلك بقضاء الله تعالى . وقال الخطابي : هو استثناء من غير الجنس ، ومعناه إبطال مذهب الجاهلية في التطير ، فكأنه قال : إن كانت لأحدكم دار يكره سكنها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس يكره سيره

فليفارقه . قال وقيل إن شؤم الدار ضيقها وسوء جوارها ، وشؤم المرأة أن لاتلد ، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليه . وقيل المعنى ما جاء بإسناد ضعيف رواه الدمياطي في الخيل « إذا كان الفرس ضروبا فهو مشثوم ، وإذا حنت المرأة إلى بعلها الأول فهي مشثومة ، وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع منها الأذان فهي مشثومة . وقيل : كان قوله ذلك في أول الأمر ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب ﴾ الآية ، حكاه ابن عبد البر ، والنسخ لا يثبت بالاحتمال ، لا سيما مع إمكان الجمع ولا سيما وقد ورد في نفس هذا الخبر نفي التطير ثم إثباته في الأشياء المذكورة . وقيل يحمل الشؤم على قلة الموافقة وسوء الطباع ، وهو كحديث سعد بن أبي وقاص رفعه « من سعادة المرء المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الهنيئ . ومن شقاوة المرء المرأة السوء ، والمسكن السوء ، والمركب السوء » أخرجه أحمد . وهذا يختص ببعض أنواع الأجناس المذكورة دون بعض ، وبه صرح ابن عبد البر فقال : يكون لقوم دون قوم ، وذلك كله بقدر الله . وقال المهلب ما حاصله : أن المخاطب بقوله « الشؤم في ثلاثة » من التزم التطير ولم يستطع صرفه عن نفسه ، فقال لهم : إنما يقع ذلك في هذه الأشياء التي تلازم في غالب الأحوال ، فإذا كان كذلك فاتركوها عنكم ولا تعذبوا أنفسكم بها . ويدل على ذلك تصديره الحديث بنفي الطيرة . واستدل لذلك بما أخرجه ابن حبان عن أنس رفعه « لا طيرة ، والطيرة على من تطير ، وإن تكن في شيء في المرأة » الحديث ، وفي صحته نظر لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس ، وعتبة مختلف فيه ، وسيكون لنا عودة إلى بقية ما يتعلق بالتطير والفأل في آخر كتاب الطب حيث ذكره المصنف إن شاء الله تعالى .

(تكميل) : اتفقت الطرق كلها على الاختصار على الثلاثة المذكورة ، ووقع عند ابن إسحق في رواية عبد الرزاق المذكورة : قال معمر قالت أم سلمة « والسيف » قال أبو عمر : رواه جويرية عن مالك عن الزهري عن بعض أهل أم سلمة عن أم سلمة ، قلت : أخرجه الدارقطني في « غرائب مالك » وإسناده صحيح إلى الزهري ، ولم ينفرد به جويرية بل تابعه سعيد بن داود عن مالك أخرجه الدارقطني أيضاً قال : والمبهم المذكور هو أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة ، سماه عبد الرحمن بن إسحق عن الزهري في روايته . قلت : أخرجه ابن ماجه من هذا الوجه موصولا فقال « عن الزهري عن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة أنها حدثت بهذه الثلاثة وزادت فيهن والسيف » وأبو عبيدة المذكور هو ابن بنت أم سلمة أمه زينب بنت أم سلمة ، وقد روى النسائي حديث الباب من طريق ابن أبي ذئب عن الزهري فأدرج فيه السيف وخالف فيه في الإسناد أيضاً .

قوله (عن أبي حازم) هو سلمة بن دينار .

قوله (إن كان في شيء في المرأة والفرس والمسكن) كذا في جميع النسخ ، وكذا هو في الموطأ ، لكن زاد في آخره « يعني الشؤم » وكذا رواه مسلم ، ورواه إسماعيل بن عمر عن مالك ومحمد بن سليمان الحراني عن مالك بلفظ « إن كان الشؤم في شيء في المرأة الخ » أخرجهما الدارقطني ، لكن لم يقل إسماعيل في شيء ، وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة والطبراني من رواية هشام بن سعد عن أبي حازم قال « ذكروا الشؤم عند سهل بن سعد فقال « فذكره » ، وقد أخرجه مسلم عن أبي بكر لكن لم يسق لفظه .

باب الخيل لثلاثة

وقول الله عز وجل: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٨٦٠]

٢٧٦٩ - حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال: «الخيْلُ لثلاثة: لرجلٍ أجْرٌ، ولرجلٍ سترٌ، وعلى رجلٍ وزرٌ. فأما الذي له أجرٌ فرجلٌ ربطها في سبيل الله فأطال في مرجٍ أو روضةٍ، فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين كانت أرواثها وآثارها حسنات له، ولو أنها مرت بنهرٍ فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات له. ورجلٌ ربطها فخراً ورياء ونواء لأهل الإسلام فهي وزرٌ على ذلك». وسئل رسول الله صلى الله عليه عن الحمرِ فقال: «ما أنزل عليّ فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾».

قوله (باب الخيل لثلاثة) هكذا اقتصر على صدر الحديث، وأحال بتفسيره على ما ورد فيه، وقد فهم بعض الشراح منه الحصر فقال: اتخاذ الخيل لا يخرج عن أن يكون مطلوباً أو مباحاً أو ممنوعاً، فيدخل في المطلوب الواجب والمندوب، ويدخل في الممنوع المكروه والحرام بحسب اختلاف المقاصد. واعترض بعضهم بأن المباح لم يذكر في الحديث لأن القسم الثاني الذي يتخيل فيه ذلك جاء مقيداً بقوله «ولم ينس حق الله فيها» فيلتحق بالمندوب قال: والسرف فيه أنه صلى الله عليه وسلم غالباً إنما يعنى بذكر ما فيه حصر أو منع، وأما المباح الصرف فيسكت عنه لما عرف أن سكوته عنه عفو. ويمكن أن يقال: القسم الثاني هو في الأصل المباح إلا أنه ربما ارتقى إلى التذب بالقصد، بخلاف القسم الأول فإنه من ابتدائه مطلوب. والله أعلم.

قوله (وقول الله عز وجل) والخيل والبغال والحمير (الآية) أي أن الله خلقها للركوب والزينة، فمن استعملها في ذلك فعل ما أبيح له، فإن اقترن بفعله قصد طاعة ارتقى إلى التذب، أو قصد معصية حصل له الإثم، وقد دل حديث الباب على هذا التقسيم.

قوله (عن زيد بن أسلم) الإسناد كله مدنيون.

قوله (الخيْلُ لثلاثة) في رواية الكشميهني «الخيْلُ ثلاثة» ووجه الحصر في الثلاثة أن الذي يقتضى الخيل إما أن يقتنئها للركوب أو للتجارة، وكل منهما إما أن يقترن به فعل طاعة الله وهو الأول، أو معصيته وهو الأخير، أو يتجرد عن ذلك وهو الثاني.

قوله (في مرج أو روضة) شك من الراوى، والمرج موضع الكلأ، وأكثر ما يطلق على الموضع

المطمئن ، والروضة أكثر ما يطلق في الموضع المرتفع ، وقد مضى الكلام على قوله « أروائها وآثارها » قبل بابين .

قوله (فما أصابت في طيلها) بكسر الطاء المهملة وفتح التحتانية بعدها لام هو الحبل الذي تربط به ويطول لها لترعى ، ويقال له طول بالواو المفتوحة أيضاً كما تقدم في أول الجهاد ، وتقدم تفسير الاستئنان هناك . وقوله « ولم يرد أن يسقيها » فيه أن الإنسان يؤجر على التفاصيل التي تقع في فعل الطاعة إذا قصد أصلها وإن لم يقصد تلك التفاصيل ، وقد تأوله بعض الشراح فقال ابن المنير : قيل إنما أجر لأن ذلك وقت لا ينتفع بشربها فيه فيغتم صاحبها بذلك فيؤجر ، وقيل إن المراد حيث تشرب من ماء الغير بغير إذنه فيغتم صاحبها لذلك فيؤجر ، وكل ذلك عدول عن القصد .

قوله (رجل ربطها فخراً) هكذا وقع بحذف أحد الثلاثة وهو من ربطها تغنياً ، وسيأتي بتمامه بهذا الإسناد بعينه في علامات النبوة ، وتقدم تماماً من وجه آخر عن مالك في أواخر كتاب الشرب ، وقوله « تغنياً » بفتح المثناة والمعجمة ثم نون ثقيلة مكسورة وتحتانية أى استغناء عن الناس تقول تغنيت بما رزقني الله تغنياً وتغانبت تغانياً واستغنيت استغناء كلها بمعنى ، وسيأتي بسط ذلك في فضائل القرآن في الكلام على قوله « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » وقوله « تعففاً » أى عن السؤال ، والمعنى أنه يطلب بنتاجها أو بما يحصل من أجرتها ممن يركبها أو نحو ذلك الغنى عن الناس والتعفف عن مسألتهم ، ووقع في رواية سهيل عن أبيه عند مسلم « وأما الذي هي له ستر فالرجل يتخذها تعففاً وتكرماً وتجبلاً » وقوله « ولم ينس حق الله في رقابها » قيل المراد حسن ملكها وتعهد شعبها وريها والشفقة عليها في الركوب ، وإنما خص رقابها بالذكر لأنها تستعار كثيراً في الحقوق اللازمة ومنه قوله تعالى ﴿ فتحرير رقبة ﴾ وهذا جواب من لم يوجب الزكاة في الخيل وهو قول الجمهور ، وقيل المراد بالحق إطراق فحلها والحمل عليها في سبيل الله وهو قول الحسن والشعبي ومجاهد ، وقيل المراد بالحق الزكاة وهو قول حماد وأبي حنيفة ، وخالفه أصحابه وفقهاء الأمصار ، قال أبو عمر : لا أعلم أحداً سبقه إلى ذلك .

قوله (فخراً) أى تعظماً ، وقوله « ورياء » أى إظهاراً للطاعة والباطن بخلاف ذلك . ووقع في رواية سهيل المذكورة « وأما الذي هي عليه وزر فالذى يتخذها أشراً وبطراً وبذخاً ورياء للناس » .

قوله (ونواء لأهل الإسلام) بكسر النون والمد هو مصدر تقول ناوت العدو مناواة ونواء ، وأصله من ناء إذا نهض ويستعمل في المعادة ، قال الخليل : ناوت الرجل ناهضته بالعداوة ، وحكى عياض عن الداودي الشارح أنه وقع عنده « ونوى » بفتح النون والقصر قال : ولا يصح ذلك ، قلت حكاه الإسماعيلي عن رواية إسماعيل بن أبي أويس ، فإن ثبت فعناه : وبعداً لأهل الإسلام ، أى منهم . والظاهر أن الواو في قوله ورياء ونواء بمعنى « أو » لأن هذه الأشياء قد تفرق في الأشخاص وكل واحد منها مذموم على حدته ، وفي هذا الحديث بيان أن الخيل إنما تكون في نواصبها الخير والبركة إذا كان اتخاذاً في الطاعة أو في الأمور المباحة ، وإلا فهي مذمومة .

قوله (وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم) لم أقف على تسمية السائل صريحاً ، وسيأتي ما قيل فيه في كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى .

قوله (عن الأحمر فقال : ما أنزل على فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذة) بالفاء وتشديد المعجمة سماها جامعة لشمولها لجميع الأنواع من طاعة ومعصية ، وسماها فاذة لانفرادها في معناها ، قال ابن التين : والمراد أن الآية دلت على أن من عمل في اقتناء الحمير طاعة رأى ثواب ذلك ، وإن عمل معصية رأى عقاب ذلك . قال ابن بطال : فيه تعليم الاستنباط والقياس ، لأنه شبه ما لم يذكر الله حكمه في كتابه وهو الأحمر بما ذكره من عمل مثقال ذرة من خير أو شر إذ كان معناهما واحداً ، قال : وهذا نفس القياس الذي ينكره من لافهم عنده . وتعقبه ابن المنير بأن هذا ليس من القياس في شيء ، وإنما هو استدلال بالعموم وإثبات لصيغته ، خلافاً لمن أنكر أو وقف . وفيه تحقيق لإثبات العمل بظواهر العموم وأنها ملزمة حتى يدل دليل التخصيص ، وفيه إشارة إلى الفرق بين الحكم الخاص المنصوص والعام الظاهر ، وأن الظاهر دون المنصوص في الدلالة .

باب من ضرب دابة غيره في الغزو

٢٧٧٠ - حدثنا مسلم قال حدثنا أبو عقيل قال حدثنا أبو المتوكل الناجي قال : أتيت جابر بن عبد الله الأنصاري فقلت له : حدثني بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه . قال : سافرت معه في بعض أسفاره - وقال أبو عقيل : لا أدري غزوة أم عمرة - قال : فلما أن أقبلنا قال : النبي صلى الله عليه : «من أحب أن يتعجل إلى أهله فليتعجل» . قال جابر : فأقبلنا وأنا على جمل لي أرمك ليس فيها شية والناس خلفي ، فبينا أنا كذلك إذ قام علي فقال لي النبي صلى الله عليه : «يا جابر استمسك» ، فضربه بسوطه ضربة ، فوثب البعير مكانه ، فقال : «أتبيع الجمل ؟» قلت : نعم ، فلما قدمنا المدينة ودخل النبي صلى الله عليه المسجد في طوائف أصحابه ، فدخلت إليه وعقلت الجمل في ناحية البلاط فقلت له : هذا جملك . فخرج فجعل يطيف بالجمل ويقول : «الجمل جملنا» ، فبعث النبي صلى الله عليه أواق من ذهب فقال : «أعطوها جابراً» . ثم قال : «استوفيت الثمن ؟» قلت نعم . قال : «الثمن والجمل لك» .

قوله (باب من ضرب دابة غيره في الغزو) أي إعانة له ورفقاً به .

قوله (حدثنا مسلم) هو ابن إبراهيم ، وتقدم هذا الحديث بهذا الإسناد في المظالم مختصراً وساقه هنا تاماً ، وقد تقدمت مباحثه مستوفاة في الشروط .

قوله (أم عمرة) في رواية الكشمي «أو» بدل «أم» .

قوله (فليتعجل) في رواية الكشمي «فليتعجل» .

قوله (أرمك) براء وكاف وزن أحمر ، والمراد به ماخالط حرته سواد .
 قوله (ليس فيها شية) بكسر المعجمة وفتح التحتانية الخفيفة أى علامة ، والمراد أنه ليس فيه لمعة
 من غير لونه . ويحتمل أن يريد ليس فيه عيب ، ويؤيده قوله « والناس خلقى ، فبيننا أنا كذلك إذ قام على »
 لأنه يشعر بأنه ، أراد أنه كان قوياً فى سيره لا عيب فيه من جهة ذلك حتى كأنه صار قدام الناس . فطراً
 عليه حينئذ الوقوف .
 قوله (إذ قام على) أى وقف فلم يسر من التعب .

باب الرُّكُوبِ عَلَى الدَّابَّةِ الصَّعْبَةِ وَالْفُحُولَةِ مِنَ الْخَيْلِ

وقال راشد بن سعد : كَانَ السَّلَفُ يَسْتَحِبُّونَ الْفُحُولَةَ لِأَنَّهَا أَجْرًا وَأَجْسَرُ

٢٧٧١ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ :
 [٢٨٦٢] سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَرْعٌ ، فَاسْتَعَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ
 يُقَالُ لَهُ مَنْدُوبٌ ، فَرَكِبَهُ وَقَالَ : « مَا رَأَيْنَا مِنْ فَرْعٍ ، وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحْرًا » .

قوله (باب الركوب على الدابة الصعبة) بسكون العين أى الشديدة .

قوله (والفحولة) بالفاء والمهملة جمع فحل والتاء فيه لتأكيد الجمع كما جوزه الكرمانى ، وأخذ
 المصنف ركوب الصعبة من ركوب الفحل لأنه فى الغالب أصعب ممارسة من الأثني ، وأخذ كونه فحلاً من
 ذكره بضمير المذكر ، وقال ابن المنير : هو استدلال ضعيف ، لأن العود يصح على اللفظ ولفظ الفرس
 مذكر وإن كان يقع على المؤنث وعكسه الجماعة ، فيجوز إعادة الضمير على اللفظ وعلى المعنى ، قال :
 وليس فى حديث الباب مايدل على تفضيل الفحولة إلا أن نقول أثني عليه الرسول وسكت عن الأثني فثبت
 التفضيل بذلك . وقال ابن بطال : معلوم أن المدينة لم تخل عن إناث الخيل ، ولم ينقل عن النبى صلى الله عليه
 وسلم ولا جملة من أصحابه أنهم ركبوا غير الفحول ، إلا ما ذكر عن سعد بن أبى وقاص ، كذا قال وهو محل
 توقف وقد روى الدارقطنى أن فرس المقداد كان أثني .

قوله (وقال راشد بن سعد) هو المقرأ بفتح الميم وتضم وسكون القاف وفتح الراء بعدها همزة ،
 تابعى وسط شامى ، مات سنة ثلاث عشرة ومائة ، وما له فى البخارى سوى هذا الأثر الواحد .

قوله (كان السلف) أى من الصحابة فمن بعدهم . وقوله (أجراً وأجسر) بهمز « أجراً » من الجراءة
 وبغير همز من الجرى ، و « أجسر » بالجيم والمهملة من الجسارة ، وحذف المفضل عليه اكتفاء بالسياق
 أى من الإناث أو الخصىة . وروى أبو عبيدة فى « كتاب الخيل » له عن عبد الله بن محيريز نحو هذا الأثر وزاد
 « وكانوا يستحبون إناث الخيل فى الغارات والبيات » وروى الوليد بن مسلم فى الجهاد له من طريق عبادة
 ابن نسي بنون ومهملة مصغراً وابن محيريز « أنهم كانوا يستحبون إناث الخيل فى الغارات والبيات ولما خفى

من أمور الحرب ويستحبون الفحول في الصفوف والحصون ولما ظهر من أمور الحرب . وروى عن خالد ابن الوليد أنه كان لا يقاتل إلا على أنثى لأنها تدفع البول وهي أقل سهلاً ، والفحل يحبس في جريه حتى ينفق ويؤذى بصهيله . ثم ذكر المصنف حديث أنس في فرس أبي طلحة وقد تقدم قريباً وأن شرحه سبق في كتاب الهبة ، وأحمد بن محمد شيخه فيه هو المروزي ولقبه مردويه واسم جده موسى ، وقال الدارقطني هو الذي لقبه شبويه واسم جده ثابت ، والأول أكثر .

باب سهام الفرس

وقال مالك : يُسهم للخيل والبراذين منها لقوله عز وجل : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ ولا يسهم لأكثر من فرس .

٢٧٧٢ - حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهمًا . [٢٨٦٣]

[الحديث ٢٨٦٣ - طرفه في : ٤٢٢٨] .

قوله (باب سهام الفرس) أى ما يستحقه الفارس من الغنيمة بسبب فرسه .

قوله (وقال مالك : يسهم للخيل والبراذين) جمع برذون بكسر الموحدة وسكون الراء وفتح المعجمة والمراد الجفأة الحلقة من الخيل ، وأكثر ما تجلب من بلاد الروم ولها جلد على السير في الشعاب والجبال والوعر بخلاف الخيل العربية .

قوله (لقوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾) قال ابن بطال . وجه الاحتجاج بالآية أن الله تعالى امتن بركوب الخيل ، وقد أسهم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم . واسم الخيل يقع على البرذون والهجين بخلاف البغال والحميز ، وكأن الآية استوعبت ما يركب من هذا الجنس لما يقتضيه الامتنان ، فلما لم ينص على البرذون والهجين فيها دل على دخولها في الخيل . قالت : وإنما ذكر الهجين لأن مالكاً ذكر هذا الكلام في الموطأ وفيه « والهجين » ، والمراد بالهجين ما يكون أبويه عربياً والآخر غير عربى ، وقيل الهجين الذى أبوه فقط عربى ، وأما الذى أمه فقط عربية فيسمى المقرف . وعن أحمد : الهجين البرذون . ويحتمل أن يكون أراد في الحكم . وقد وقع لسعيد بن منصور وفي المراسيل لأبي داود عن مكحول « أن النبي صلى الله عليه وسلم هجن الهجين يوم خيبر وعرب العراب ، فجعل للعربى سهمين وللهمجين سهمًا ، وهذا منقطع ، ويؤيده ما روى الشافعى في « الأم » وسعيد بن منصور من طريق على بن الأقرم قال « أغارت الخيل فأدركت العراب وتأخرت البراذن ، فقام ابن المنذر الوادعى فقال : لا أجعل ما أدرك كمن لم يدرك ، فبلغ ذلك عمر فقال : هبلت الوادعى أمه لقد أذكرت به ، أمضوها على ما قال . فكان أول من أسهم للبراذين دون سهام العراب » وفي ذلك يقول شاعرهم :

ومنا الذى قد سن في الخيل سنة وكانت سواء قبل ذاك سهامها

وهذا منقطع أيضاً ، وقد أخذ أحد بمقتضى حديث مكحول في المشهور عنه كالجماعة ، وعنه إن بلغت البراذن مبالغ العربية سوى بينهما وإلا فضلت العربية ، واختارها الجوزجاني وغيره . وعن الليث : يسهم للبرذون والهجين دون سهم الفرس .

قوله (ولا يسهم لأكثر من فرس) هو بقية كلام مالك وهو قول الجمهور ، وقال الليث وأبو يوسف وأحمد وإسحق : يسهم لفرسين لا لأكثر ، وفي ذلك حديث أخرجه الدارقطني بإسناد ضعيف عن أبي عمرة قال « أسهم لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لفرسي أربعة أسهم ولى سهماً ، فأخذت خمسة أسهم » قال القرطبي : ولم يقل أحد إنه يسهم لأكثر من فرسين إلا ما روى عن سليمان بن موسى أنه يسهم لكل فرس سهماً بالغاً ما بلغت ، ولصاحبه سهماً أى غير سهمي الفرس .

قوله (عن عبيد الله) هو ابن عمر العمري .

قوله (جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهماً) أى غير سهمي الفرس فيصير للفارس ثلاثة أسهم ، وسيأتي في غزوة خيبر أن نافعاً فسرّه كذلك ولفظه « إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، فإن لم يكن معه فرس فله سهم » ولأبي داود عن أحمد عن أبي معاوية عن عبيد الله بن عمر بلفظ أسهم لرجل ولفرسه ثلاثة أسهم سهماً له وسهمين لفرسه « وبهذا التفسير يتبين أن لا وهم فيما رواه أحمد بن منصور الرمادي عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن أبي أسامة وابن نمير كلاهما عن عبيد الله بن عمر فيما أخرجه الدارقطني بلفظ « أسهم للفارس سهمين » قال الدارقطني عن شيخه أبي بكر النيسابوري : وهم فيه الرمادي وشيخه . قلت : لا ، لأن المعنى أسهم للفارس بسبب فرسه سهمين غير سهمه المختص به ، وقد رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ومسنده بهذا الإسناد فقال « للفرس » وكذلك أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الجهاد له عن ابن أبي شيبة ، وكأن الرمادي رواه بالمعنى . وقد أخرجه أحمد عن أبي أسامة وابن نمير معاً بلفظ « أسهم للفرس » وعلى هذا التأويل أيضاً يحمل ما رواه نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن عبيد الله مثل رواية الرمادي أخرجه الدارقطني وقد رواه علي ابن الحسن بن شقيق وهو أثبت من نعيم عن ابن المبارك بلفظ « أسهم للفرس » وتمسك بظاهر هذه الرواية بعض من احتج لأبي حنيفة في قوله : إن للفرس سهماً واحداً ولراكبه سهم آخر ، فيكون للفارس سهماً فقط ، ولا حجة فيه لما ذكرنا . واحتج له أيضاً بما أخرجه أبو داود من حديث مجمع بن جارية بالجيم والتحتانية في حديث طويل في قصة خيبر قال « فأعطى للفارس سهمين وللراجل سهماً ، وفي إسناده ضعف ، ولو ثبت يحتمل على ما تقدم لأنه يحتمل الأمرين ، والجمع بين الروایتين أولى ، ولا سيما والأسانيد الأولى أثبت ومع روايتها زيادة علم ، وأصرح من ذلك ما أخرجه أبو داود من حديث أبي عمرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى للفرس سهمين ولكل إنسان سهماً فكان للفارس ثلاثة أسهم » وللنسائي من حديث الزبير « أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب له أربعة أسهم سهمين لفرسه وسهماً له وسهماً لقرابته » قال محمد بن سحنون : انفرد أبو حنيفة بذلك دون فقهاء الأمصار ، ونقل عنه أنه قال : أكره أن أفضل بهيمة على مسلم ، وهي شبهة ضعيفة لأن السهام في الحقيقة كلها للرجل . قلت : لو لم يثبت الخبر لكانت الشبهة قوية لأن المراد المفاضلة بين الراجل والفارس فلولاً الفرس ما ازداد الفارس سهمين عن الراجل ، فمن جعل للفارس سهمين فقد

سوى بين الفرس وبين الرجل ، وقد تعقب هذا أيضاً لأن الأصل عدم المساواة بين البهيمة والإنسان ، فلما خرج هذا عن الأصل بالمساواة فلتكن المفاضلة كذلك ، وقد فضل الحنفية الدابة على الإنسان في بعض الأحكام فقالوا : لو قتل كلب صيد قيمته أكثر من عشرة آلاف أداها ، فإن قتل عبداً مسلماً لم يؤد فيه إلا دون عشرة آلاف درهم . والحق أن الاعتماد في ذلك على الخبر ، ولم يتفرد أبو حنيفة بما قال فقد جاء عن عمر وعليّ وأبي موسى ، لكن الثابت عن عمر وعليّ كالجمهور من حيث المعنى بأن الفرس يحتاج إلى مؤنة لخدمتها وعلفها ، وبأنه يحصل بها من الغنى في الحرب ما لا يخفى ، واستدل به على أن المشرك إذا حضر الواقعة وقاتل مع المسلمين يسهم له ، وبه قال بعض التابعين كالشعبي ، ولا حجة فيه إذ لم يرد هنا صيغة عموم ، واستدل للجمهور بحديث « لم تحل الغنائم لأحد قبلنا » وسيأتي في مكانه . وفي الحديث حض على اكتساب الخيل واتخاذها للغزو لما فيها من البركة وإعلاء الكلمة واعظام الشوكة كما قال تعالى ﴿ ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ واختلف فيمن خرج إلى الغزو ومعه فرس فأتى قبل حضور القتال ، فقال مالك : يستحق سهم الفرس وقال الشافعي والباقون : لا يسهم له إلا إذا حضر القتال ، فلو مات الفرس في الحرب استحق صاحبه وإن مات صاحبه استمر استحقاقه وهو للورثة . وعن الأوزاعي فيمن وصل إلى موضع القتال فباع فرسه : يسهم له ، لكن يستحق البائع مما غنموا قبل العقد والمشتري مما بعده ، وما اشتبه قسم . وقال غيره : يوقف حتى يصطلحوا . وعن أبي حنيفة : من دخل أرض العدو راجلاً لا يقسم له إلا سهم راجل ولو اشترى فرساً وقاتل عليه . واختلف في غزاة البحر إذا كان معهم خيل ، فقال الأوزاعي والشافعي : يسهم له .

(تكميل) : هذا الحديث يذكره الأصوليون في مسائل القياس في مسألة الإيماء ، أي إذا اقترن الحكم بوصف لولا أن ذلك الوصف للتعليل لم يقع الاقتران ، فلما جاء سياق واحد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى للفرس سهمين وللراجل سهماً دل على افتراق الحكم .

باب مَنْ قَادَ دَابَّةً غَيْرَهُ فِي الْحَرْبِ

٢٧٧٣ - حدثنا قتيبة قال حدثنا سهل بن يوسف عن شعبة عن أبي إسحاق قال قال رجل للبراء بن عازب : أفررتُم عن رسول الله صلى الله عليه يوم حنين؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه لم يفر ، إن هوازن كانوا قوماً رماةً ، وإننا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا ، فأقبل المسلمون على الغنائم ، واستقبلونا بالسهم ، فأما رسول الله صلى الله عليه فلم يفر ، فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان أخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه يقول : « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب » .

قوله (باب من قاد دابة غيره في الحرب) ذكر فيه حديث البراء بن عازب « أن هوازن كانوا قوماً رماة » الحديث ، والغرض منه قوله فيه « وأبو سفيان - وهو ابن الحارث بن عبد المطلب - أخذ باجامها » وسبأني شرحه مستوفى في غزوة حنين من كتاب المغازي إن شاء الله تعالى .

باب الركاب ، والغرز للدابة

[٢٨٦٥] ٢٧٧٤ - حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه : أنه كان إذا أدخل رجله في الغرز واستوت به ناقته قائمة أهل من عند مسجد ذي الحليفة .

قوله (باب الركاب والغرز للدابة) قيل الركاب يكون من الحديد والخشب ، والغرز لا يكون إلا من الجلد ، وقيل هما مترادفان ، أو الغرز للجمل والركاب للفرس ، وذكر فيه حديث ابن عمر « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أدخل رجله في الغرز أهل » الحديث ، وهو ظاهر فيما ترجم له من الغرز ، وأما الركاب فألحقه به لأنه في معناه . وقال ابن بطال كأنه أشار إلى أن ما جاء عن عمر أنه قال « اقطعوا الركاب وثبوا على الخيل وثباً » ليس عني منع اتخاذ الركب أصلاً ، وإنما أراد تدريبهم على ركوب الخيل .

باب ركوب الفرس العري

[٢٨٦٦] ٢٧٧٥ - حدثنا عمرو بن عون قال حدثنا حماد عن ثابت عن أنس : استقبلهم النبي صلى الله عليه على فرس عري ما عليه سرج ، في عنقه سيف .

قوله (باب ركوب الفرس العري) بضم المهملة وسكون الراء ، أي ليس عليه سرج ولا أداة ، ولا يقال في الآدميين إنما يقال عريان قاله ابن فارس ، قال : وهي من النوادر انتهى . وحكى ابن التين أنه ضبط في الحديث بكسر الراء وتشديد التحتانية ، وليس في كتب اللغة ما يساعده . ذكر فيه حديث أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم استقبلهم على فرس عري ما عليه سرج في عنقه سيف ، وهو طرف من الحديث الذي تقدم في أنه استعار فرساً لأبي طلحة ، وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق أخرى عن حماد بن زيد وفي أوله « فرز أهل المدينة ليلة ، فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس بغير سرج » وفي رواية له « وهو على فرس لأبي طلحة » وقد سبق في « باب الشجاعة في الحرب » في حديث أوله « كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس » بعض هذا الحديث ، وقد سبق شرحه في الهبة ، وفيه ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التواضع والفروسية البالغة فإن الركوب المذكور لا يفعله إلا من أحكم الركوب وأدمن على الفروسية ، وفيه تعليق السيف في العنق إذا احتاج إلى ذلك حيث يكون أعون له ، وفي الحديث ما يشير إلى أنه ينبغي للفارس أن يتعاهد الفروسية ويروض طباعه عليها لئلا يفجأه شدة فيكون قد استعد لها .

باب الفرس القطوف

[٢٨٦٧] ٢٧٧٦- حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب النبي صلى الله عليه فرساً لأبي طلحة كان يقطف - أو كان فيه قطاف - فلما رجع قال : « وجدنا فرسكم هذا بحراً » ، فكان بعد ذلك لا يجارى .

قوله (باب الفرس القطوف) أى البطيء المشى ، قال أبو زيد وغيره : قطفت الدابة تقطف قطافاً وقطوفاً ، والقطوف من الدواب المقارب الخطو وقيل الضيق المشى ، وقال الثعالبي : إن مشى وثباً فهو قطوف ، وإن كان يرفع يديه ويقوم على رجليه فهو سبوت ، وإن التوى براكبه فهو قوص ، وإن منع ظهره فهو شمس . ذكر فيه حديث أنس « أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة كان يقطف » الحديث ، وقوله « يقطف » بكسر الطاء وبضمها وقد سبق شرحه في الهبة ، وقوله « أو كان فيه قطاف » شك من الراوى ، وسيأتى في « باب السرعة والركض » من طريق محمد بن سيرين عن أنس بلفظ « فركب فرساً لأبي طلحة بطيئاً » ، وقوله « لا يجارى » بضم أوله زاد في نسخة الصغاني « قال أبو عبد الله أى لا يسبق » لأنه لا يسبق في الجرى ، وفيه بركة النبي صلى الله عليه وسلم لكونه ركب ما كان بطيئاً فصار سابقاً ، وسيأتى في رواية محمد بن سيرين المذكورة « فما سبق بعد ذلك اليوم »

باب

السبق بين الخيل

[٢٨٦٨] ٢٧٧٧- حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : أجرى النبي صلى الله عليه ما ضمّر من الخيل من الحفيا إلى ثنية الوداع ، وأجرى ما لم يضمّر من الثنية إلى مسجد بني زريق . قال ابن عمر : وكنت فيمن أجرى . وقال عبد الله حدثنا سفيان قال حدثني عبيد الله قال سفيان : بين الحفيا إلى ثنية خمسة أميال أو ستة ، وبين ثنية إلى مسجد بني زريق ميل .

قوله (باب السبق بين الخيل) أى مشروعية ذلك والسبق بفتح المهملة وسكون الموحدة مصدر وهو المراد هنا ، وبالتحريك الرهن الذى يوضع لذلك .

باب إضمار الخيل للسبق

[٢٨٦٩] ٢٧٧٨- حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا الليث عن نافع عن عبد الله : أن النبي صلى

الله عليه سابق بين الخيل التي لم تُضمَر، وكان أمدُّها من الثَّنية إلى مسجد بني زريق، وأنَّ عبد الله ابن عمر كان سابق بها. قال أبو عبد الله، أمدًا: غاية ﴿طال عليهم الأمد﴾.

ثم قال (باب إضمار الخيل للسبق) إشارة إلى أن السنة في المسابقة أن يتقدم إضمار الخيل وإن كانت التي لا تضمَر لا تمتنع المسابقة عليها.

ب

غَايَةُ السَّبْقِ لِلْخَيْلِ الْمُضْمَرَةِ

[٢٨٧٠] ٢٧٧٩- حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا معاوية قال حدثنا أبو إسحاق عن موسى بن عُبَبة عن نافع عن ابن عمر قال: سابق رسول الله صلى الله عليه بين الخيل التي قد أضمَرت، فأرسلها من الحفياء، وكان أمدُّها ثنية الوداع. فقلت لموسى: وكم بين ذلك؟ قال: ستة أميال أو سبعة. وسابق بين الخيل التي لم تُضمَر، فأرسلها من ثنية الوداع، وكان أمدُّها مسجد بني زريق. قلت: فكم بين ذلك؟ قال: ميل أو نحوه.

وكان ابن عمر ممن سابق فيها.

ثم قال (باب غَايَةِ السَّبْقِ لِلْخَيْلِ الْمُضْمَرَةِ) أى بيان ذلك وبيان غاية التي لم تضمَر، وذكر في الأبواب الثلاثة حديث ابن عمر في ذلك، وقوله في الطريق الأولى (من الحفياء) بفتح المهملة وسكون الفاء بعدها تحتانية ومد: مكان خارج المدينة من جهة ويجوز القصر، وحكى الحازمي تقديم الياء التحتانية على الفاء وحكى عياض ضم أوله وخطأه، وقرله فيها «أجرى» قال في التي تليها «سابق» وهو بمعناه، وقال فيها «قال ابن عمر وكنت فيمن أجرى» وقال في الرواية التي تليها «وأن عبد الله بن عمر كان ممن سابق بها» وسفيان في الرواية الأولى هو الثوري وشيخه عبيد الله بالتصغير هو ابن عمر العمرى، والطريق الثانية عن الليث مختصرة، وقد أخرجها تامة النسائي عن قتيبة عن الليث، وهو عند مسلم لكن لم يسق لفظه، وقوله في الأولى «قال عبد الله قال سفيان حدثني عبيد الله» فعبد الله هو ابن الوليد العدني كذا رويناه في جامع سفيان الثوري من روايته عنه، وأراد بذلك تصريح الثوري عن شيخه بالتحديث، ووهم من قال فيه: وقال أبو عبد الله، وزاد الإسماعيلي من طريق إسحاق وهو الأزرق عن الثوري في آخره «قال ابن عمر وكنت فيمن أجرى فوثب بي فرسى جداراً» وأخرجه مسلم من طريق أيوب عن نافع وقال فيه «فسبقت الناس، فطفف بي الفرس مسجد بني زريق» أى جاوز بي المسجد الذى كان هو الغاية، وأصل التطفيف مجاوزة الحد. وقوله في آخر الثانية «قال أبو عبد الله» هو المصنف وقوله «أمدًا: غاية». فطال عليهم الأمد» وقع هذا في رواية

المستمل وحده ، وهو تفسير أبي عبيدة في « المجاز » وهو متفق عليه عند أهل اللغة قال النابغة : سبق الجواد إذا استولى على الأمد . ومعاوية في الرواية الثالثة هو ابن عمرو الأزدي ، وأبو إسحق هو الفزاري ، وقوله فيها « قال سفيان » هو موصول بالإسناد المذكور ، ولم يسند سفيان ذلك . وقد ذكر نحوه موسى بن عقبة في الرواية الثالثة ، إلا أن سفيان قال في المسافة التي بين الحفياء والثنية خمسة أو ستة ، وقال موسى ستة أو سبعة وهو اختلاف قريب ، وقال سفيان في المسافة الثانية ميل أو نحوه ، وقد وقع في رواية الترمذي من طريق عبيد الله بن عمر إدراج ذلك في نفس الخبر والخبر بالسته وبالميل ، قال ابن بطلان : إنما ترجم لطريق الليث بالإضمار وأورده بلفظ « سابق بين الخيل التي لم تضر » ، يشير بذلك إلى تمام الحديث . وقال ابن المنير : لا يلتزم ذلك في تراجمه بل ربما ترجم مطلقاً لما قد يكون ثابتاً ولما قد يكون منفيّاً ، فعنى قوله « إضمار الخيل للسبق » أي هل هو شرط أم لا ؟ فين بالرواية التي ساقها أن ذلك ليس بشرط ، ولو كان غرضه الاختصار المجرد لكان الاختصار على الطرف المطابق للترجمة أولى ، لكنه عدل عن ذلك للنكتة المذكورة ، وأيضاً فلإزالة اعتقاد أن التضمير لا يجوز لما فيه من مشقة سوقها والخطر فيه ، فين أنه ليس بممنوع بل مشروع والله أعلم . قلت : ولا مناقاة بين كلامه وكلام ابن بطلان بل أفاد النكتة في الاختصار .

قوله (أضمرت) بضم أوله ، وقوله « لم تضر » بسكون الضاد المعجمة ، والمراد به أن تعلق الخيل حتى تسمن وتقوى ثم يقلل علفها بقدر القوت وتدخل بيتاً وتغشى بالجلال حتى تحمي فتعرق فإذا جف عرقها خف لحمها وقويت على الجري ، وفي الحديث مشروعية المسابقة ، وأنه ليس من العبث بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو والانتفاع بها عند الحاجة ، وهي دائرة بين الاستحباب والإباحة بحسب الباعث على ذلك ، قال القرطبي : لا خلاف في جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب وعلى الأقدام ، وكذا الترامي بالسهم واستعمال الأسلحة لما في ذلك من التدريب على الحرب ، وفيه جواز إضمار الخيل ، ولا يخفى اختصاص استحبابها بالخيل المعدة للغزو . وفي مشروعية الإعلام بالابتداء والانتهاء عند المسابقة ، وفيه نسبة الفعل إلى الأمر به لأن قوله « سابق » أي أمر أو أباح .

(تنبيه) : لم يتعرض في هذا الحديث للمراهنة على ذلك ، لكن ترجم الترمذي له « باب المراهنة على الخيل » ولعله أشار إلى ما أخرجه أحمد من رواية عبد الله بن عمر المكبر عن نافع عن ابن عمر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل وراهن » وقد أجمع العلماء كما تقدم على جواز المسابقة بغير عوض ، لكن قصرها مالك والشافعي على الخف والحافر والنصل ، وخصه بعض العلماء بالخيل ، وأجازه عطاء في كل شيء ، واتفقوا على جوازها بعوض بشرط أن يكون من غير المتسابقين كالإمام حيث لا يكون له معهم فرس وجوز الجمهور أن يكون من أحد الجانبين من المتسابقين ، وكذا كان معهما ثالث محلل بشرط أن لا يخرج من عنده شيئاً ليخرج العقد عن صورة القمار « وهو أن يخرج كل منهما سبقاً فن غلب أخذ السبقين فاتفقوا على منعه ، ومنهم من شرط في المحلل أن يكون لا يتحقق سبق في مجلس سبق . وفيه أن المراد بالمسابقة بالخيل كونها مركوبة لا مجرد إرسال الفرسين بغير راكب ، لقوله في الحديث « وأن عبد الله بن عمر كان فيمن سابق بها » كذا استدلل به بعضهم ، وفيه نظر لأن الذي لا يشترط الركوب لا يمنع صورة

الركوب ، وإنما احتج الجمهور بأن الخيل لا تهتدي بأنفسها لمقصد الغاية بغير راكب وربما نفرت ، وفيه نظر لأن الاهتداء لا يختص بالركوب فلو أن السائس كان ماهراً في الجري بحيث لو كان مع كل فرس ساع يهديها إلى الغاية لأمكن ، وفيه جواز إضافة المسجد إلى قوم مخصوصين ، وقد ترجم له البخاري بذلك في كتاب الصلاة ، وفيه جواز معاملة البهائم عند الحاجة بما يكون تعذيباً لها في غير الحاجة كالإجاعة والإجراء ، وفيه تنزيل الخلق منازلهم لأنه صلى الله عليه وسلم غاير بين منزلة المضر وغير المضر ولو خلطهما لأتعب غير المضر .

باب ناقة النبي صلى الله عليه

وقال ابن عمر : أردف النبي صلى الله عليه أسامة على القصواء .

وقال المسور : قال النبي صلى الله عليه : « ما خلأت القصواء » .

٢٧٨٠ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا معاوية قال حدثنا أبو إسحاق عن حميد [٢٨٧١]

قال سمعت أنساً يقول : كانت ناقة النبي صلى الله عليه يقال لها العضباء .

طوله موسى عن حماد عن ثابت عن أنس .

[الحديث ٢٨٧١ - طرفه في ٢٨٧٢] .

٢٧٨١ - حدثنا مالك بن إسماعيل قال حدثنا زهير عن حميد عن أنس قال : كان للنبي [٢٨٧٢]

صلى الله عليه ناقة تسمى العضباء لا تسبق - قال حميد : أو لا تكاد تسبق - فجاء أعرابي على قعود فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه فقال : « حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه » .

قوله (باب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم) كذا أفرد للناقة في الترجمة إشارة إلى أن العضباء والقصواء واحدة .

قوله (وقال ابن عمر : أردف النبي صلى الله عليه وسلم أسامة على القصواء) هو طرف من حديث وصله المصنف في الحج ، وقد تقدم شرحه في حجة الوداع .

قوله (وقال المسور ما خلأت القصواء) هو طرف من الحديث الطويل الماضي مع شرحه في كتاب الشروط وفيه ضبط القصواء .

قوله (حدثنا معاوية) هو ابن عمرو الأزدي وأبو إسحق هو الفزاري .

قوله (طوله موسى عن حماد عن ثابت عن أنس) أي رواه مطولا ، وهذا التعليق وقع في رواية

المستملى وحده هنا ، وموسى هو ابن إسماعيل التبوذكى وحامد هو ابن سلمة ، ووقع في رواية من عدا الهروى بعد سياق رواية زهير ، وقد وصله أبو داود عن موسى بن إسماعيل المذكور وليس سياقه بأطول من سياق زهير بن معاوية عن حميد ، نعم هو أطول من سياق أبي إسحق الفزارى فترجح رواية المستملى ، وكأنه اعتمد رواية أبي إسحق لما وقع فيها من التصريح بسماع حميد من أنس ، وأشار إلى أنه روى مطولا من طريق ثابت ثم وجده من رواية حميد أيضا مطولا فأخرجه والله أعلم .

قوله (لا تسبق ، قال حميد أو لا تكاد تسبق) شك منه ، وهو موصول بالإسناد المذكور ، وفي بقية الروايات بغير شك ، وقوله (أن لا يرتفع شيء من الدنيا) وفي رواية موسى بن إسماعيل « أن لا يرتفع شيئا » وكذا للمصنف في الرقاق ، وكذا قال النفيلي عن زهير عند أبي داود ، وفي رواية شعبة عند النسائي « أن لا يرتفع شيء نفسه في الدنيا » وقوله فجاء أعرابي فسبقها « في رواية ابن المبارك وغيره عن حميد عند أبي نعيم » فسابقها فسبقها « ، وفي رواية شعبة « سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي » ، ولم أقف على اسم هذا الأعرابي بعد التتبع الشديد .

قوله (على قعود) بفتح القاف ما استحق الركوب من الإبل ، قال الجوهري هو البكر حتى يركب وأقل ذلك أن يكون ابن سنتين إلى أن يدخل السادسة فيسمى جملا . وقال الأزهري : لا يقال إلا للذكر ، ولا يقال للأنثى قعودة وإنما يقال لها قلووص ، قال : وقد حكى الكسائي في « النوادر » قعودة للقلوص وكلام الأكثر على خلافه ، وقال الخليل : القعودة من الإبل ما يقعه الراعى لحمل متاعه ، والهاء فيه للمبالغة .

قوله (حتى عرفه) أى عرف أثر المشقة ، وفي رواية المصنف في الرقاق « فلما رأى ما في وجوههم وقالوا سبقت العضباء » الحديث . والعضباء بفتح الميملة وسكون المعجمة بعدها موحدة ومد هي المقطوعة الأذن أو المشقوقة ، وقال ابن فارس : كان ذلك لقباً لها لقوله تسمى العضباء . ولقوله « يقال لها العضباء » ولو كانت تلك صفتها لم يحتاج لذلك ، وقال الزمخشري : العضباء منقول من قولهم ناقة عضباء أى قصيرة اليد ، واختلف هل العضباء هي القصواء أو غيرها ، فجزم الحربى بالأول وقال : تسمى العضباء والقصواء والجدعاء ، وروى ذلك ابن سعد عن الواقدي . وقال غيره بالثاني وقال : الجدعاء كانت شهباء وكان لا يحملها عند نزول الوحي غيرها ، وذكر له عدة نوق غير هذه تتبعها من اعتنى بجمع السيرة . وفي الحديث اتخاذ الإبل للركوب والمسابقة عليها ، وفيه التزهيد في الدنيا للإشارة إلى أن كل شيء منها لا يرتفع إلا اتضع . وفيه الحث على التواضع . وفيه حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وتواضعه وعظمته في صدور أصحابه .

باب الغزو على الحمير

قوله (باب الغزو على الحمير) كذا في رواية المستملى وحده بغير حديث ، وضم النسفي هذه الترجمة التي بعدها فقال « باب الغزو على الحمير ، وبغلة النبي صلى الله عليه وسلم البيضاء » ، ولم يتعرض لذلك أحد من الشراح ، وهو مشكل على الخالين ، لكن في رواية المستملى أسهل لأنه يحمل على أنه وضع الترجمة وأخل بياضاً للحديث اللائق بها فاستمر ذلك ، وكأنه أراد أن يكتب طريقاً لحديث معاذ « كنت ردف النبي صلى الله

عليه وسلم على حمار يقال له عفير « وقد تقدم قريباً في « باب اسم الفرس والحمار » وكونه كان راكبه يحتمل أن يكون في الحضر وفي السفر فيحصل مقصود الترجمة على طريقة من لا يفرق بين المطلق والعام والله أعلم .
وأما رواية النسفي فليس في حديثي الباب إلا ذكر البغلة خاصة ، ويمكن أن يكون أخلى آخر الباب بياضاً كما قلنا في رواية المستملي ، أو يؤخذ حكم الحمار من البغلة . وقد أخرج عبد بن حميد من حديث أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوم خيبر على حمار مخطوم بجبل من ليف » وفي سنده مقال .

باب بغلة النبي صلى الله عليه

قاله أنس ، وقال أبو حميد : أهدى ملك أيلة للنبي صلى الله عليه بغلة بيضاء

[٢٨٧٣] ٢٧٨٢ - حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا يحيى قال حدثنا سُفيان قال حدثني أبو إسحاق قال سمعتُ عمرو بن الحارث قال : ما ترك رسولُ الله صلى الله عليه إلا بغلته البيضاء وسلاحه ، وأرضاً تركها صدقةً .

[٢٨٧٤] ٢٧٨٣ - حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا يحيى بن سعيد عن سُفيان قال حدثني أبو إسحاق عن البراء قال له رجل : يا أبا عمارٍ ولَيْتُمْ يومَ حنينٍ ؟ قال : لا ، والله ما ولى النبي صلى الله عليه ، ولكن ولى سرعان الناس ، فلقيهم هوازن بالنبل والنبي صلى الله عليه على بغلة بيضاء ، وأبو سُفيان بن الحارث أخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه يقول : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » .

قوله (باب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم البيضاء) قاله أنس يشير إلى حديثه الطويل في قصة حنين ، وسيأتي موصولا مع شرحه في المغازي وفيه « وهو على بغلة بيضاء » .

قوله (وقال أبو حميد : أهدى ملك أيلة للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء) يشير إلى حديثه الطويل في غزوة تبوك ، وقد مضى موصولا في أواخر كتاب الزكاة وفيه هذا القدر وزيادة ، وتقدمت الإشارة إلى اسم صاحب أيلة هناك مع بقية شرح الحديث . ومما ينبه عليه هنا أن البغلة البيضاء التي كان عليها في حنين غير البغلة البيضاء التي أهداها له ملك أيلة ، لأن ذلك كان في تبوك وغزوة حنين كانت قبلها . وقد وقع في مسلم من حديث العباس أن البغلة التي كانت تحته في حنين أهداها له فروة بن نفثة بضم النون بعدها فاء خفيفة ثم مثلة ، وهذا هو الصحيح . وذكر أبو الحسين بن عبدوس أن البغلة التي ركبها يوم حنين دلل وكانت شهباء أهداها له المقوقس ، وأن التي أهداها له فروة يقال لها فضة ، ذكر ذلك ابن سعد وذكر عكسه ، والصحيح ما في مسلم . ثم ذكر المصنف في الباب حديثين : أحدهما حديث عمرو بن الحارث وهو أخو جويرية أم المؤمنين قال « ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بغلته البيضاء » الحديث ، وقد تقدم

في أول الوصايا وأن شرحه يأتي في الوفاة آخر المغازي . ثانيهما حديث البراء في قصة حنين وقد تقدم قريباً وفيه « والنبي صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء » وسيأتي شرحه في المغازي إن شاء الله تعالى ، واستدل به على جواز اتخاذ البغال وإنزاع الحمر على الخيل . وأما حديث علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون » أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان فقال الطحاوي : أخذ به قوم فحرموا ذلك ، ولا حجة فيه لأن معناه الحض على تكثير الخيل لما فيها من الثواب ، وكأن المراد الذين لا يعلمون الثواب المرتب على ذلك .

باب جهاد النساء

[٢٨٧٥] ٢٧٨٤ - حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن معاوية بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : استأذنت النبي صلى الله عليه في الجهاد فقال : « جهادكن الحج » .

وقال عبد الله بن الوليد : حدثنا سفيان قال حدثنا معاوية بهذا .

[٢٨٧٦] ٢٧٨٥ - حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن معاوية بهذا . وعن حبيب بن أبي عمرة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين : عن النبي صلى الله عليه سألته نساؤه عن الجهاد فقال : « نعم الجهاد الحج » .

قوله (باب جهاد النساء) ذكر فيه حديث عائشة « جهادكن الحج » ، وقد تقدم في أول الجهاد ، ومضى شرحه في كتاب الحج . وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه النسائي بلفظ « جهاد الكبير - أي العاجز الضعيف - والمرأة الحج والعمرة » .

قوله فيه (وقال عبد الله بن الوليد) هو العدني ، وروايته موصولة في « جامع سفيان » وقوله في الطريق الأخرى « وعن حبيب بن أبي عمرة » هو موصول من رواية قبيصة المذكورة . والحاصل أن عنده فيه عن سفيان إسنادين ، وقد وصله الإسماعيلي من طريق هناد بن السري عن قبيصة كذلك . وقال ابن بطلال دل حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء ، ولكن ليس في قوله « جهادكن الحج » أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد ، وإنما لم يكن عليهن واجباً لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال ، فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد . قلت : وقد لمح البخاري بذلك في إيراد الترجمة مجملة وتعقيبها بالتراجم المصروفة بخروج النساء إلى الجهاد .

باب غزوة المرأة في البحر

[٢٨٧٧] ٢٧٨٦ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إسحاق عن [٢٨٧٨]

عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري قال: سمعت أنساً يقول: دخل رسول الله صلى الله عليه على بنت ملحان فاتكأ عندها، ثم ضحك، فقالت: لم تضحك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة». قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «اللهم اجعلها منهم». ثم عاد فضحك، فقالت له مثل -أو مم- ذلك، فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين ولست من الآخرين». قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع بنت قرظة، فلما أقفلت ركبت دابتها، فوقصت بها، فسقطت عنها فماتت.

قوله (باب غزو المرأة في البحر) ذكر فيه حديث أنس في قصة أم حرام، وقد تقدم قريباً في «باب فضل من بصرع في سبيل الله» ويأتي شرحه في كتاب الاستئذان إن شاء الله تعالى. وقوله في آخره «قال أنس فتزوجت عبادة بن الصامت» ظاهره أنها تزوجته بعد هذه المقالة، ووقع في رواية إسحق عن أنس في أول الجهاد بلفظ «وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم» وظاهره أنها كانت حينئذ زوجته، فإما أن يحمل على أنها كانت زوجته ثم طلقها ثم راجعها بعد ذلك وهذا جواب ابن التين، وإما أن يجعل قوله في رواية إسحق «وكانت تحت عبادة» جملة معترضة أراد الراوي وصفها به غير مقيد بحال من الأحوال، وظهر من رواية غيره أنه إنما تزوجها بعد ذلك وهذا الثاني أولى لموافقة محمد بن يحيى بن حبان عن أنس على أن عبادة تزوجها بعد ذلك كما سيأتي بعد اثني عشر باباً وقوله في آخره «فركبت البحر مع بنت قرظة» هي زوج معاوية واسمها فاختة وقيل كنود، وكانت تحت عتبة ابن سهل قبل معاوية: ويحتمل أن يكون معاوية تزوج الأختين واحدة بعد أخرى، وهذه رواية ابن وهب في موطأته عن ابن لهيعة عن سمع، قال: ومعاوية أول من ركب البحر للغزاة، وذلك في خلافة عثمان وأبوها قرظة بفتح القاف والراء والظاء المعجمة هو ابن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وهي قرشية نوفلية، وظن بعض الشراح أنها بنت قرظة بن كعب الأنصاري فوهم، والذي قلته صرح به خليفة بن خياط في تاريخه وزاد أن ذلك كان سنة ثمان وعشرين، والبلاذري في تاريخه أيضاً وذكر أن قرظة بن عبد عمرو مات كافراً فيكون لها هي رؤية، وكذا لأخيها مسلم بن قرظة الذي قتل يوم الجمل مع عائشة.

(تبيين) يتعلقان بهذا الإسناد: أحدهما وقع في هذا الإسناد «حدثنا أبو إسحق هو الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري» هكذا هو في جميع الروايات ليس بينهما أحد، وزعم أبو مسعود في «الأطراف» أنه سقط بينهما «زائدة بن قدامة» وأقره المزى على ذلك وقواه بأن المسيب بن واضح رواه عن أبي إسحق الفزاري عن زائدة عن أبي طوالة، وقد قال أبو علي الجبائي: تأملته في «السير لأبي إسحق الفزاري» فلم أجد فيها زائدة، ثم ساقه من طريق عبد الملك بن حبيب عنه عن أبي طوالة ليس بينهما زائدة، ورواية المسيب بن واضح خطأ، وهو ضعيف لا يقضى بزيادته على خطأ ما وقع في

الصحيح ، ولا سيما وقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن معاوية بن عمرو شيخ البخاري فيه كما أخرجه البخاري سواء ليس فيه زائدة ، وسبب الوهم من أبي مسعود أن معاوية بن عمرو رواه أيضا عن زائدة عن أبي طوالة ، فظن أبو مسعود أنه عند معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن زائدة ، وليس كذلك بل هو عنده عن أبي إسحق وزائدة معاً ، جمعهما تارة وفرقهما أخرى ، أخرجه أحمد عنه عاطفاً لروايته عن أبي إسحق على روايته عن زائدة ، وأخرجه الإسماعيلي من طريق أبي خيثمة عن معاوية بن عمرو عن زائدة وحده به ، وكذا أخرجه أبو عوانة في صحيحه عن جعفر الصائغ عن معاوية فوضحت صحة ما وقع في الصحيح والله الحمد . ثانيهما : هذا الحديث ، رواه عن أنس إسحق بن أبي طلحة ومحمد بن يحيى بن حبان وأبو طوالة ، فقال إسحق في روايته عن أنس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام » وقال أبو طوالة في روايته « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنت ملحان » وكلاهما ظاهر في أنه من مسند أنس ، وأما محمد بن يحيى فقال « عن أنس عن خالته أم حرام ، وهو ظاهر في أنه من مسند أم حرام وهو المعتمد ، وكان أنساً لم يحضر ذلك فحمله عن خالته ، وقد حدث به عن أم حرام عمير بن الأسود أيضا كما سيأتي بعد أبواب ، وقد أحال المزي برواية أبي طوالة في مسند أنس على مسند أم حرام ولم يفعل ذلك في رواية إسحق بن أبي طلحة فأوهم خلاف الواقع الذي حررته ، والله الهادي .

باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه

٢٧٨٧ - حدثنا حجاج بن منهال قال حدثنا عبد الله بن عمر النُميري قال حدثنا يونس قال سمعت الزهري قال سمعت عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله ابن عبد الله عن حديث عائشة ، كلٌ حدثني طائفة من الحديث قالت : كان النبي صلى الله عليه إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبي صلى الله عليه . فأقرع بيننا في غزاة غزاها ، فخرج فيها سهمي ، فخرجت مع النبي صلى الله عليه بعدما أنزل الحجاب .

[٢٨٧٩]

قوله (باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه) ذكر فيه طرفاً من حديث عائشة في قصة الإفك وهو ظاهر فيما ترجم له ، وسيأتي شرح حديث الإفك تاماً في التفسير ، وفيه التصريح بأن حمل عائشة معه كان بعد القرعة بين نسائه .

باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال

٢٧٨٨ - حدثنا أبو معمر قال حدثنا عبد الوارث قال حدثنا عبد العزيز عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدماً سوقهما تنقزان القرب - وقال غيره : تنقلان القرب - على متونهما

[٢٨٨٠]

ثُمَّ تَفَرَّغَانِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ، ثُمَّ تَرَجَعَانِ فَيَمْلَأْنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفَرِّغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ .

[الحديث ٢٨٨٠ - أطرافه في: ٢٩٠٢، ٣٨١١، ٤٠٦٤].

قوله (باب غزو النساء وقتلهن مع الرجال) وقع في هذه الترجمة حديث الربيع بنت معوذ ، وسيأتي بعد باب . وفي حديث أم عطية الذي مضى في الحيض وفي حديث ابن عباس عند مسلم « كان يغزو بهن فيداوين الجرحى » الحديث ، ووقع في حديث آخر مرسل أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال « كان النساء يشهدن مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد ويسقين المقاتلة ويداوين الجرحى » ولأبي داود من طريق حشرج بن زياد عن جدته أنهن خرجن مع النبي صلى الله عليه وسلم في حنين وفيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهن عن ذلك فقلن : خرجنا نغزل الشعر ونعين في سبيل الله ونداوى الجرحى ونناول السهام ونسقى السويق ، ولم أر في شيء من ذلك التصريح بأنهن قاتلن ، ولأجل ذلك قال ابن المنير : بوب على قتلهن وليس هو في الحديث ، فيما أن يريد أن إعانتهم للغزاة غزو وإما أن يريد أنهن ماثبتن لسقى الجرحى ونحو ذلك ألا وهن بصدد أن يدافعن عن أنفسهن ، وهو الغالب انتهى . وقد وقع عند مسلم من وجه آخر عن أنس « أن أم سليم اتخذت خنجرأ يوم حنين فقالت : اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه » ويحتمل أن يكون غرض البخاري بالترجمة أن يبين أنهن لا يقاتلن وإن خرجن في الغزو ، فالتقدير بقوله « وقتلهن مع الرجال » أي هل هو سائق ، أو إذا خرجن مع الرجال في الغزو يقتصرن على ما ذكر من مداواة الجرحى ونحو ذلك ؟ ثم ذكر المصنف حديث أنس « لما كان يوم أحد انهزم الناس » الحديث ، والغرض منه قوله فيه « ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإيهما لمشمرتان » وقد أخرجه في المغازي بهذا الإسناد بآتم من هذا السياق ويأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى . وقوله « خدمن سوقهما » بفتح الحاء المعجمة والدال المهملة وهي الخلاخيل ، وهذه كانت قبل الحجاب ، ويحتمل أنها كانت عن غير قصد للنظر ، وقوله « تنقران » بضم القاف بعدها زاي ، و « القرب » بكسر القاف وبالموحدة جمع قربة ، وقوله « وقال غيره تنقلان القرب » يعني باللام دون الزاي وهي رواية جعفر بن مهران عن عبد الوارث أخرجهما الإسماعيلي ، وقوله « تنقران » قال الداودي : معناه تسرعان المشي كالمرولة ، وقال عياض : قيل معنى تنقران تثبان ، والنقر : الوثب والقفز ، كناية عن سرعة السير ، وضبطوا القرب بالنصب وهو مشكل على هذا التأويل بخلاف رواية تنقلان ، قال : وكان بعض الشيوخ يقرؤه برفع القرب على أن الجملة حال ، وقد تخرج رواية النصب على نزع الحافض كأنه قال تثبان بالقرب ، قال : وضبطه بعضهم تنقران بضم أوله أي تحر كان القرب لشدة عدوهما ، وتصحح على هذا رواية النصب . وقال الخطابي : أحسب الرواية « تنقران » بدل تنقران ، والزفر حمل القرب الثقال كما في الحديث الذي بعده .

باب حَمَلُ النِّسَاءِ الْقُرْبَ إِلَى النَّاسِ فِي الْغَزْوِ

٢٧٨٩ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ ثَعْلَبَةُ

[٢٨٨١]

ابن أبي مالك : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَسَمَ مُرَوِّطًا بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ ، فَبَقِيَ مَرُوطٌ جَيِّدٌ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعْطِ هَذِهِ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ الْتِي عِنْدَكَ - يُرِيدُونَ أُمَّ كَلْثُومِ بِنْتَ عَلِيٍّ - فَقَالَ عُمَرُ : أُمُّ سَلِيْطٍ أَحَقُّ . وَأُمُّ سَلِيْطٍ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ مَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالَ عُمَرُ : فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ لَنَا الْقَرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : تَزْفَرُ : تَخِيْطُ .

[الحديث ٢٨٨١ - طرفه في : ٤٠٧١] .

قوله (باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو) أى جواز ذلك .

قوله (قال ثعلبة بن أبي مالك) فى رواية بن وهب عن يونس عند أبي نعيم فى « المستخرج » عن ثعلبة القرظى بضم القاف وفتح الراء بعدها معجمة مختلف فى صحبته « قال ابن معين له رواية ، وقال ابن سعد قدم أبو مالك واسمه عبد الله بن سام من اليمن وهو من كندة فتزوج امرأة من بنى قريظة فعرف بهم وحالف الأنصار . قلت : وكانت اليهودية قد فشت فى اليمن فلذلك صاهرهم أبو مالك ، وكأنه قتل فى بنى قريظة فقد ذكر مصعب الزبيرى أن ثعلبة ممن لم يكن أثبت قوله فترك ، وكان ثعلبة إمام قومه ، وله حديث مرفوع عند ابن ماجه ، لكن جزم أبو حاتم بأنه مرسل ، وقد صرح الزهرى عنه بالإخبار فى حديث آخر سيأتى فى « باب لواء النبى صلى الله عليه وسلم » .

قوله (فقال له بعض من عنده) لم أقف على اسمه .

قوله (يريدون أم كلثوم) كان عمر قد تزوج أم كلثوم بنت على وأما فاطمة ولهذا قالوا لها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قد ولدت فى حياته وهى أصغر بنات فاطمة عليها السلام .
قوله (أم سليط) كذا فيه بفتح المهملة وكسر اللام وزن رغيف ، ولم أر لها فى كتب من صنف فى الصحابة ذكراً إلا فى الاستيعاب فذكرها مختصرة بالذى هنا ، وقد ذكرها ابن سعد فى طبقات النساء وقال : هى أم قيس بنت عبيد بن زياد بن ثعلبة من بنى مازن ، تزوجها أبو سليط بن أبي حارثة عمرو بن قيس من بنى عدى بن النجار فولدت له سليطا وفاطمة ، يعنى فلذلك يقال لها أم سليط ، وذكر أنها شهدت خيبر وحنينا ، وغفل عن ذكر شهودها أحدا وهو ثابت بهذا الحديث ، وذكر فى ترجمة أم عمارة الأنصارية شبيهاً بهذه القصة من وجه آخر عن عمر لكن فيه « فقال بعضهم أعطه صفية بنت أبي عبيد زوج عبد الله بن عمر » وقال فيه أيضاً « لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا وأنا أراها تقاتل دونى » فهذا يشعر بأن القصة تعددت .

قوله (تفر) بفتح أوله وسكون الزاى وكسر الفاء أى تحمل وزناً ومعنى .

قوله (قال أبو عبد الله : تفر تخيط) كذا فى رواية المستملى وحده ، وتعقب بأن ذلك لا يعرف فى اللغة وإنما الزفر الحمل وهو بوزنه ومعناه ، قال الخليل : « زفر بالحمل زفرأ نهض به » والزفر أيضا القرية نفسها وقيل إذا كانت مملوءة ماء ، ويقال للإماء إذا حملن القرب زوافر ، والزفر أيضا البحر الفياض ، وقيل الزافر الذى يعين فى حمل القرية . قلت : وقع عند أبي نعيم فى « المستخرج » بعد أن أخرجه من طريق

عبد الله بن وهب عن يونس قال عبد الله تزفر تحمل ، وقال أبو صالح كاتب الليث : تزفر تحرز . قلت : فلعل هذا مستند البخارى فى تفسيره ، وسيأتى بقية الكلام على فوائد هذا الحديث فى غزوة أحد إن شاء الله تعالى

باب مداواة النساء الجرحى فى الغزو

٢٧٩٠ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا خالد بن ذكوان [٢٨٨٢]

عن الربيع بنت معوذ قالت : كُنَّا مع النبي صلى الله عليه ، نسقي ونُدْأوي الجرحى ، ونردُّ القتلى .

[الحديث ٢٨٨٢ - طرفه فى : ٢٨٨٣ ، ٥٦٧٩ .]

باب رد النساء الجرحى والقتلى

٢٧٩١ - حدثنا مسدد قال حدثنا ابن المفضل عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ [٢٨٨٣]

قالت : كُنَّا نغزو مع النبي صلى الله عليه فنسقي القوم ونخدمهم ، ونردُّ الجرحى والقتلى إلى المدينة .

قوله (باب مداواة النساء الجرحى) أى من الرجال وغيرهم (فى الغزو) .

ثم قال بعده (باب رد النساء الجرحى والقتلى) كذا للأكثر وزاد الكشمينى « إلى المدينة » .

قوله (عن الربيع) بالتشديد ، وأبوها معوذ بالتشديد أيضا والذال المعجمة . لها ولأبيها صحبة .

قوله (كُنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي) كذا أورده فى الأول مختصراً ، وأورده فى الذى بعده

وسياقه أتم وأوفى بالمقصود ، وزاد الإسماعيلى من طريق أخرى عن خالد بن ذكوان « ولا نقاتل » وفيه جواز

معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبية للضرورة . قال ابن بطال : ويختص ذلك بذوات المحارم ثم

بالمتجالات منهن لأن موضع الجرح لا يلتذ بلمسه بل يقشعر منه الجلد ، فإن دعت الضرورة لغير المتجالات

فليكن بغير مباشرة ولا مس ، ويدل على ذلك اتفاقهم على أن المرأة إذا ماتت ولم توجد امرأة تغسلها أن

الرجل لا يباشر غسلها بالمس بل يغسلها من وراء حائل فى قول بعضهم كالزهري وفى قول الأكثر تيمم ،

وقال الأوزاعى تدفن كما هى ، قال ابن المنير : الفرق بين حال المداواة وتغسيل الميت أن الغسل عبادة

والمداوة ضرورة ، والضرورات تبيح المحظورات .

باب

نزع السهم من البدن

٢٧٩٢ - حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا أبو أسامة عن بُريد بن عبد الله عن أبي بردة [٢٨٨٤]

عن أبي موسى قال: رمى أبو عامر في ركبته فانتھيت إليه، فقال: انزع هذا السهم، فنزعته، فنزا منه الماء، فدخلت على النبي صلى الله عليه فأخبرته فقال: «اللهم اغفر لعبيد أبي عامر».

[الحديث ٢٨٨٤ - طزفاه في: ٤٣٢٣، ٦٣٨٣].

قوله ((باب نزع السهم من البدن) ذكر فيه حديث أبي موسى في قصة عمه أبي عامر باختصار، وساقه في غزوة حنين بتمامه، وسيأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى. قال المهلب: فيه جواز نزع السهم من البدن وإن كان في غبه الموت، وليس ذلك من الإلقاء إلى التهلكة إذا كان يرجو الانتفاع بذلك، قال: ومثله البط والكى وغير ذلك من الأمور التي يتداوى بها. وقال ابن المنير: لعله ترجم بهذا لئلا يتخيل أن الشهيد لا ينزع منه السهم بل يبقى فيه، كما أمر بدفنه بدمائه حتى يبعث كذلك، فبين بهذه الترجمة أن هذا مما شرع انتهى. والذي قاله المهلب أولى لأن حديث الباب يتعلق بمن أصابه ذلك وهو في الحياة بعد، والذي أبداه ابن المنير يتعلق بنزعه بعد الوفاة.

ب

الحراسة في الغزو في سبيل الله

٢٧٩٣ - حدثنا إسماعيل بن خليل قال أخبرنا علي بن مسهر قال أخبرنا يحيى بن سعيد قال أخبرنا عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: سمعت عائشة تقول: كان النبي صلى الله عليه سهر، فلما قدم المدينة قال: «ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة»، إذ سمعنا صوت سلاح، فقال: «من هذا؟» فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك. ونام النبي صلى الله عليه.

[الحديث ٢٨٨٥ - طرفه في: ٧٢٣١].

٢٧٩٤ - حدثنا يحيى بن يوسف قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيقة والخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض». لم يرفعه إسرائيل ومحمد بن جحادة عن أبي حصين. وزاد عمرو: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة: إن أعطي رضي وإن لم يعط».

(١) الرقمان ٢٨٨٦ و ٢٨٨٧ هما للحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش . طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنانِ فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة . إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع . « فتعسا » . كأنه يقول : فأتعسهم الله . « طوبى » : فعلى من كل شيء طيب ، وهي ياءٌ حوَّلت إلى الواو ، وهي من يطيَّب .

[الحديث ٢٨٨٦ - طرفاه فيك ٢٨٨٧ ، ٦٤٣٥] .

قوله (باب الحراسة في الغزو في سبيل الله) أى بيان ما فيها من الفضل . وذكر فيه حديثين : أحدهما عن عائشة .

قوله (أخبرنا يحيى بن سعيد) هو الأنصارى ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة هو العنزي له رؤية ولأبيه صحبة

قوله (كان النبي صلى الله عليه وسلم سهر ، فلما قدم المدينة قال : ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسنى الليلة) هكذا في هذه الرواية ولم يبين زمان السهر ، وظاهره أن السهر كان قبل القُدوم والقول بعده ، وقد أخرجه مسلم من طريق الليث عن يحيى بن سعيد وقال فيه « سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال » فذكره ، وظاهره أن السهر والقول معاً كانا بعد القُدوم ، وقد أخرجه النسائي من طريق أبي إسحق الفزارى عن يحيى بن سعيد بلفظ « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما قدم المدينة يسهر من الليل » وليس المراد بقُدومه المدينة أول قُدومه إليها من الهجرة لأن عائشة إذ ذاك لم تكن عنده ولا كان سعد أيضاً ممن سبق ، وقد أخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عن يحيى بن سعيد بلفظ « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه ، قالت فقلت : ما شأنك يا رسول الله » الحديث . وقد روى الترمذى من طريق عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت « كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية : والله يعصمك من الناس » وإسناده حسن واختلف في وصله وإرساله .

قوله (جئت لأحرسك) في رواية الليث المذكورة « فقال وقع في نفسى خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قوله (فنام النبي صلى الله عليه وسلم) زاد المصنف في التتقى من طريق سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد « حتى سمعنا غطيظه » . وفي الحديث الأخذ بالحذر والاحتراز من العدو ، وأن على الناس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل . وفيه الثناء على من تبرع بالخير وتسميته صالحاً ، وإنما عانى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مع قوة توكله للاستئذان به في ذلك ، وقد ظاهر بين درعين مع أنهم كانوا إذا اشتد البأس كان أمام الكل . وأيضاً فالتوكل لا ينافى تعاطي الأسباب لأن التوكل عمل القلب وهي عمل البدن وقد قال إبراهيم عليه السلام ﴿ ولكن ليطمئن قلبى ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام « اعقلها وتوكل » قال ابن بطال : نسخ ذلك كما دل عليه حديث عائشة ؛ وقال القرطبي : ليس في الآية ما ينافى الحراسة كما أن إعلام الله نصر دينه وإظهاره

ما يمنع الأمر بالقتال وإعداد العدد ، وعلى هذا فالمراد العصمة من الفتنة والإضلال أو إزهاق الروح والله أعلم .
ثانيهما عن أبي هريرة :

قوله (وزاد لنا عمرو) ابن مرزوق هكذا ، وعمرو هو من شيوخ البخارى وقد صرح بسماحه منه في مواضع أخرى ، وجميع الإسناد سواء مدنيون ، وفيه تابعيان عبد الله بن دينار وأبو صالح ، والمراد بالزيادة قوله في آخره « تعس وانتكس الخ » وقد وصله أبو نعيم من طريق أبي مسلم الكجى وغيره عن عمرو بن مرزوق وسيأتى مزيداً لهذا في التتبي إن شاء الله تعالى .

قوله (تعس عبد الدينار) الحديث سيأتى بهذا الإسناد والمتن في كتاب الرقاق ونذكر شرحه هناك إن شاء الله تعالى ، والغرض منه هنا قوله في الطريق الثانية « طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه » الحديث لقوله « إن كان في الحراسة كان في الحراسة » .

قوله (نعس) بفتح أوله وكسر المهملة ويجوز فتحها وهو ضد سعد ، تقول نعس فلان أى شقى ، وقيل مضى النعس الكعب على الوجه ، قال الخليل : النعس أن يعثر فلا يفيق من عثرته ، وقيل النعس الشر وقيل البعد وقيل الهلاك ، وقيل النعس أن يخر على وجهه والنعكس أن يخر على رأسه ، وقيل نعس أخطأ حاجته وبغيته . وقوله « وانتكس » بالمهملة أى عاوده المرض ، وقيل إذا سقط اشتغل بسقطته حتى يسقط أخرى . وحكى عياض أن بعضهم رواه « انتكش » بالمعجمة وفسره بالرجوع ، وجعله دعاء له لا عليه ، والأول أولى .
قوله (وإذا شيك فلا انتقش) شيك : بكسر المعجمة وسكون التحتانية بعدها كاف ، وانتقش : بالقاف والمعجمة ، والمعنى إذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها منه بالمتقاش ، تقول نقشت الشوك إذا استخرجته . وذكر ابن قتيبة أن بعضهم رواه بالعين المهملة بدل القاف ، ومعناه صحيح لكن مع ذكر الشوكة تقوى رواية القاف . ووقع في رواية الأصيلي عن أبي زيد المروزى « وإذا شيت » بمثناة فوقانية بدل الكاف وهو تغيير فاحش ، وفي الدعاء بذلك إشارة إلى عكس مقصوده لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها بصير عاجزاً عن الحركة والسعى في تحصيل الدنيا . وفي قوله « طوبى لعبد الخ » إشارة إلى الحظ على العمل بما يحصل به خير الدنيا والآخرة .

قوله (أشعث) صفة لعبد وهو مجرور بالفتحة لعدم الصرف و « رأسه » بالرفع الفاعل ، قال الطيبي « أشعث رأسه مغبرة قدماء » حالان من قوله « لعبد » لأنه موصوف . وقال الكرماني : يجوز الرفع ولم يوجهه وقال غيره : ويجوز في أشعث الرفع على أنه صفة رأس ، أى رأسه أشعث ، وكذا قوله « مغبرة قدماء » .

قوله (إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقية كان في الساقية) هذا من المواضع التي اتحد فيها الشرط والجزاء لفظاً لكن المعنى مختلف ، والتقدير إن كان المهم في الحراسة كان فيها ، وقيل معنى « فهو في الحراسة » أى فهو في ثواب الحراسة ، وقيل هو للتعظيم أى إن كان في الحراسة فهو في أمر عظيم ، والمراد منه لازمه أى فعله أن يأتى بلوازمه ويكون مشغولاً بخويصة عمله . وقال ابن الجوزى : المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو ، فإن أنفق له السير سار ؛ فكأنه قال : إن كان في الحراسة استمر فيها ، وإن كان في الساقية استمر فيها .

قوله (إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع) فيه ترك حب الرياسة والشهرة وفضل الحمول والتواضع ، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى .

قوله (فتعساً ، كأنه يقول فأتعسهم الله) وقع هذا في رواية المستملى ، وهي على عادة البخارى في شرح اللفظة التي توافق ما في القرآن بتفسيرها ، وهكذا قال أهل التفسير في قوله تعالى ﴿ والذين كفروا فتعساً لهم ﴾ .

قوله (طوبى فعلى من كل شيء طيب ، وهي ياء حولت إلى الواو وهو من طيب) كذا في رواية المستملى أيضاً والقول فيه كالقول في الذى قبله ، وقال غيره : المراد الدعاء له بالجنة ، لأن طوبى أشهر شجرها وأطيبه ، فدعا له أن ينالها ، ودخول الجنة ملزوم نيلها .

(تكميل) : ورد في فضل الحراسة عدة أحاديث ليست على شرط البخارى ، منها حديث عثمان مرفوعاً « حرس ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها » أخرجه ابن ماجه والحاكم ، وحديث سهل بن معاذ عن أبيه مرفوعاً « من حرس وراء المسلمين متطوعاً لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم » أخرجه أحمد ، وحديث أبي ربحانه مرفوعاً « حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله » أخرجه النسائي ، ونحوه للترمذى عن ابن عباس ، وللطبراني من حديث معاوية بن حيدة ، ولأبي يعلى من حديث أنس وإسنادها حسن ، وللحاكم عن أبي هريرة نحوه .

باب فضل الخدمة في الغزو

[٢٨٨٨] ٢٧٩٥ - حدثنا محمد بن عرعرة قال حدثنا شعبة عن يونس بن عبيد عن ثابت البناني عن أنس قال : صحبت جرير بن عبد الله فكان يخدمني وهو أكبر من أنس . قال جرير : إني رأيت الأنصار يصنعون شيئاً لا أجد أحداً منهم إلا أكرمه .

[٢٨٨٩] ٢٧٩٦ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني محمد بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن حنطب أنه سمع أنس بن مالك يقول : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أخدمه ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم عليه راجعاً وبدأ له أحد قال : « هذا جبل يحبنا ونحبه » ، ثم أشار بيده إلى المدينة قال : « اللهم إني أحرم ما بين لابتيها كتحریم إبراهيم مكة ، اللهم بارك لنا في صاعنا ومُدنا » .

[٢٨٩٠] ٢٧٩٧ - حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع عن إسماعيل بن زكريا قال حدثنا عاصم عن مورك العجلي عن أنس قال : كنّا مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثرنا ظلاً الذي يستظل بكسائه ،

وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً ، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب . وامتهنوا وعالجوا ، قال النبي صلى الله عليه : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » .

قوله (باب الخدمة في الغزو) أى فضلها ، سواء كانت من صغير لكبير أو عكسه أو مع المساواة ، وأحاديث الباب الثلاثة يؤخذ منها حكم هذه الأقسام ، وثلاثها عن أنس : الأول

قوله (حدثنا محمد بن عرعرة) بمهملتين ، وقد ذكر الطبراني في « الأوسط » أنه تفرد به عن شعبة ، وهو من كبار شيوخ البخارى ممن روى عنه الباقر بواسطة .

قوله (صحبت جرير بن عبد الله) فى رواية مسلم عن نصر بن على عن محمد بن عرعرة « خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي فى سفر » .

قوله (فكان يخدمنى وهو أكبر من أنس) فيه التفات أو تجريد ، لأنه قال « من أنس » ولم يقل منى ، وفى رواية مسلم عن محمد بن المثني عن ابن عرعرة « وكان جرير أكبر من أنس » ولعل هذه الجملة من قول ثابت ، وزاد مسلم عن نصر بن على « فقلت لاتفعل » .

قوله (يصنعون شيئاً) فى رواية نصر « يصنعون برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً » أى من التعظيم وأبهم ذلك مبالغة فى تكثير ذلك .

قوله (لا أجد أحداً منهم إلا أكرمه) فى رواية نصر « آليت - أى حلفت - أن لا أصحب أحداً منهم إلا خدمته » وفى رواية للإسماعيلي من وجه آخر عن ابن عرعرة « لا أزال أحب الأنصار » وفى هذا الحديث فضل الأنصار وفضل جرير وتواضعه ومحبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الحديث من الأحاديث التى أوردها المصنف فى غير مظنتها ، وأليق المواضع بها المناقب . الحديث الثانى حديث أنس أيضاً « خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خير أخدمه » وسيأتى بآتم من هذا السياق بعد باين . الحديث الثالث حديث أنس أيضاً ، وعاصم هو ابن سليمان ، ومورق بتشديد الراء المكسورة ، وهما تابعيان فى نسق والإسناد كله بصريون .

قوله (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم) زاد مسلم من وجه آخر عن عاصم « فى سفر ، ففنا الصائم ومنا المفطر ، قال فنزلنا منزلاً فى يوم حار » .

قوله (أكثرنا ظلاً من يستظل بكسائه) فى رواية مسلم « وأكثرنا ظلاً صاحب الكساء » وزاد « ومنا من يتقى الشمس بيده » .

قوله (فأما الذين صاموا فلم يصنعوا شيئاً) فى رواية مسلم فسقط الصوم أى عجزوا عن العمل .

قوله (وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب) أى أثاروا الإبل لخدمتها وسقيها وعلفها ، وفى رواية مسلم « فضربوا الأخبية وسقوا الركاب » .

قوله (بالأجر) أى الوافر ، وليس المراد نقص أجر الصوم بل المراد أن المفطرين حصل لهم أجر

عملهم ومثل أجر الصوم لتعاطيهم أشغالهم وأشغال الصوم ، فلذلك قال « بالأجر كله » لوجود الصفات المقتضية لتحصيل الأجر منهم ، قال ابن أبي صفرة : فيه أن أجر الخدمة في الغزو أعظم من أجر الصيام . قلت : وليس ذلك على العموم . وفيه الحض على المعاونة في الجهاد ، وعلى أن الفطر في السفر أولى من الصيام . وأن الصيام في السفر جائز خلافاً لمن قال لا ينعقد . وليس في الحديث بيان كونه إذ ذاك كان صوم فرض أو تطوع . وهذا الحديث من الأحاديث التي أوردها المصنف أيضاً في غير مظنها لكونه لم يذكره في الصيام واقتصر على إيرادها هنا . والله أعلم .

باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر

[٢٨٩١] ٢٧٩٨ - حدثنا إسحاق بن نصر قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « كل سلامى عليه صدقة كل يوم : يعين الرجل في دابته يحامله عليه أو يرفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة ، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ؛ ودل الطريق صدقة » .

قوله (باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر) ذكر فيه حديث أبي هريرة ، وهو ظاهر فيما ترجم له ، لأنه يتناول حالة السفر من هذا الإطلاق بطريق الأولى ، والسلامى تقدم تفسيره في الصلح مع بعض الكلام عليه ، ويأتى بقيته بعد خمسين باباً في « باب من أخذ بالركاب » . وقوله (حدثنا إسحاق بن نصر) هو ابن إبراهيم بن نصر نسب لجده السعدى وهو بالمهمل الساكنة وفتح أوله وقيل بالضم والمعجمة ، وقوله (كل يوم) منصوب على الظرفية ، وقوله (يعين) يأتى توجيهه . وقوله (يحامله) أى يساعده في الركوب ، وفي الحمل على الدابة . قال ابن بطال : وبين في الرواية الآتية في « باب من أخذ بالركاب » أن المراد من أعان صاحب الدابة عليها حيث قال « ويعين الرجل على دابته » قال : وإذا أجر من فعل ذلك بدابة غيره فإذا حمل غيره على دابة نفسه احتساباً كان أعظم أجراً وقوله (دل الطريق) بفتح الدال أى بيانه لمن احتاج إليه ، وهو بمعنى الدلالة .

باب فضل رباط يوم في سبيل الله

[٢٨٩٢] ٢٧٩٩ - حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها . وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » .

قوله (باب فضل رباط يوم في سبيل الله ، وقول الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا ﴾)
ورابطوا (الآية) الرباط بكسر الراء وبالموحدة الخفيفة ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين
منهم ، قال ابن التين : بشرط أن يكون غير الوطن ، قاله ابن حبيب عن مالك . قلت : وفيه نظر في إطلاقه
فقد يكون وطنه وينوي بالإقامة فيه دفع العدو ، ومن ثم اختار كثير من السلف سكنى الثغور ، فبين المراقبة
والحراسة عموم وخصوص وجهي ، واستدلال المصنف بالآية اختيار لأشهر التفاسير ، فمن الحسن البصري
وقتادة (اصبروا) على طاعة الله (وصابروا) أعداء الله في الجهاد (و رابطوا) في سبيل الله . وعن محمد بن
كعب القرظي : اصبروا على الطاعة وصابروا للانتظار الوعد و رابطوا العدو واتقوا الله فيما بينكم . وعن زيد بن
أسلم : اصبروا على الجهاد وصابروا العدو و رابطوا الخيل . قال ابن قتيبة أصل الرباط أن يربط هؤلاء خيلهم
وهؤلاء خيلهم استعداداً للقتال ، قال الله تعالى ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ وأخرج
ذلك ابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهما ، وتفسيره برباط الخيل يرجع إلى الأول . وفي الموطأ عن أبي هريرة
مرفوعاً « وانتظار الصلاة فذلكم الرباط » وهو في السنن عن أبي سعيد ، وفي المستدرک عن أبي سلمة بن
عبد الرحمن بن عوف أن الآية نزلت في ذلك ، واحتج بأنه لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزو فيه رباط انتهى . وحمل الآية على الأول أظهر ، وما احتج به أبو سلمة لا حجة فيه ولا سيما مع ثبوت
حديث الباب ، فعلى تقدير تسليم أنه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رباط فلا يمنع ذلك من
به والترغيب فيه ، ويحتمل أن يكون المراد كلا من الأمرين أو ما هو أعم من ذلك ، وأما التقييد باليوم
في الترجمة وإطلاقه في الآية فكأنه أشار إلى أن مطلقها يقيد بالحديث ، فإنه يشعر بأن أقل الرباط يوم لسياقه
في مقام المبالغة ، وذكره مع موضع سوط يشير إلى ذلك أيضاً .

قوله (سمع أبا النضر) هو هاشم بن القاسم ، والتقدير أنه سمع ، وهي تحذف من الخط كثيراً .
قوله (خير من الدنيا وما عليها) تقدم في أوائل الجهاد من حديث سهل بن سعد هذا مختصر بلفظ
« وما فيها » والتعير بقوله « وما عليها » أبلغ ، وتقدم الكلام هناك على حديث الروحة والغلوة وكذا على
حديث « موضع سوط أحدكم » لكن من حديث أنس ، وسيأتي من حديث سهل بن سعد أيضاً في صفة الجنة ،
ووقع في حديث سلمان عند أحمد والنسائي وابن حبان « رباط يوم أو ليلة خير من صيام شهر وقيامه » ولأحمد
والترمذي وابن ماجه عن عثمان « رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » قال ابن
بزينة : ولا تعارض بينهما لأنه يحمل على الإعلام بالزيادة في الثواب عن الأول ، أو باختلاف العاملين .
قلت : أو باختلاف العمل بالنسبة إلى الكثرة والقلة ، ولا يعارضان حديث الباب أيضاً لأن صيام شهر وقيامه
خير من الدنيا وما عليها .

باب من غزا بصبي للخدمة

٢٨٠٠ - حدثنا قتيبة قال حدثنا يعقوب عن عمرو عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه
عليه قال لأبي طلحة : الشمس غلاماً من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر ، فخرج بي

أبو طلحة مُردفي وأنا غلامٌ راهقتُ الحلمَ، فكنتُ أخدمُ رسولَ الله صلى الله عليه إذا نزلَ، فكنتُ أسمعُه كثيراً يقولُ: «اللهم إني أعوذُ بك من الهمِّ والحزنِ، والعجزِ والكسلِ، والبخلِ والجبنِ، وضلعِ الدينِ، وغلبةِ الرجالِ». ثمَّ قدمنا خيبرَ، فلما فتح الله عليه الحصنَ ذكرَ له جمالُ صفيةَ بنتِ حُيي بنِ أخطبٍ -وقد قُتلَ زوجها- وكانت عروساً- فاصطفاهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، فخرجَ بها حتَّى بلغنا سدَّ الصَّهباءِ حلَّتْ، فبنى بها، ثمَّ صنعَ حيساً في نطعٍ صغيرٍ، ثمَّ قال رسولُ الله صلى الله عليه: «آذن من حولك». فكانتُ تلكَ وليمةَ رسولِ الله صلى الله عليه على صفيةَ. ثمَّ خرجنا إلى المدينة قال: فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه يحوي لها وراءه بعباءةً، ثمَّ يجلسُ عندَ بغيره فيضعُ رُكبتهُ، فتضعُ صفيةُ رجلها على ركبته حتَّى تركبَ، فسرنا حتَّى إذا أشرفنا على المدينة نظرنا إلى أحدٍ فقال: «هذا جبلٌ يحبُّنا ونحبهُ»، ثمَّ نظرَ إلى المدينة فقال: «اللهم إني أحرمُ ما بينَ لابتِها بمثلِ ما حرمَ إبراهيمُ مكةَ. اللهم باركْ لهم في مدَّهم وصاعهم».

قوله (باب من غزا بصبي للخدمة) يشير إلى أن الصبي لا يخاطب بالجهاد ولكن يجوز الخروج به بطريق التبعية. ويعقوب المذكور في الإسناد هو ابن عبد الرحمن الإسكندراني. وعمرو هو ابن أبي عمرو مولى المطلب، وسأذكر معظم شرحه في غزوة خيبر من كتاب المغازي إن شاء الله تعالى. وقد اشتمل على عدة من أحاديث الاستعاذة ويأتي شرحها في الدعوات، وقصة صفية بنت حبي والبناء بها ويأتي شرح ذلك في النكاح، وقوله صلى الله عليه وسلم لأحد «هذا جبل يحبنا ونحبه» وقوله عن المدينة «اللهم إني أحرم ما بين لابتها» وقد تقدم شرحه في أواخر الحج، وقد تقدم من أصل الحديث شيء يتعلق بسر العورة في كتاب الصلاة لكن ذلك القدر ليس في هذه الرواية، والغرض من الحديث هنا صدره، وقد استشكل من حيث أن ظاهره أن ابتداء خدمة أنس للنبي صلى الله عليه وسلم من أول ما قدم المدينة لأنه صبح عنه أنه قال «خدمت النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين» وفي رواية «عشر سنين» وخير كانت سنة سبع فيلزم أن يكون إنما خدمه أربع سنين قاله الداودي وغيره، وأجيب بأن معنى قوله لأبي طلحة «التمس لي غلاماً من غلمانكم» تعيين من يخرج معه في تلك السفرة فعين له أبو طلحة أنساً، فينحط الالتباس على الاستئذان في المسافرة به لا في أصل الخدمة فإنها كانت متقدمة فيجمع بين الحديثين بذلك. وفي الحديث جواز استخدام اليتيم بغير أجره لأن ذلك لم يقع ذكره في هذا الحديث، وحمل الصبيان في الغزو كذا قاله بعض الشراح وتبعوه، وفيه نظر لأن أنساً حينئذ كان قد زاد على خمسة عشر لأن خير كانت سنة سبع من الهجرة وكان عمره عند الهجرة ثمان سنين، ولا يلزم من عدم ذكر الأجرة عدم وقوعها.

قوله (هذا جبل يحبنا ونحبه) من هو على الحقيقة ولا مانع من وقوع مثل ذلك بأن يخلق الله المحبة

في بعض الجمادات ، وقيل هو على المجاز والمراد أهل أحد ، على حد قوله تعالى ﴿ واسأل القرية ﴾ وقال الشاعر :
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

باب رُكُوبِ الْبَحْرِ

٢٨٠١ - حدثنا أبو النعمان قال حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن محمد بن يحيى بن

[٢٨٩٤]

حَبَّانَ عن أنس بن مالك قال : حدثتني أم حرام أن النبي صلى الله عليه قال يوماً في بيتها :
فاستيقظ وهو يضحك ، قلت : يا رسول الله ، ما يضحكك ؟ قال : « عجبت من قوم من أمتي
يركبون البحر كالملوك على الأسرة » ، فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، وقال :
« أنت منهم » . ثم نام فاستيقظ وهو يضحك . فقال مثل ذلك مرتين أو ثلاثاً . فقلت : يا رسول
الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فيقول : « أنت من الأولين » . فتزوج بها عبادة بن الصامت فخرج
بها إلى الغزو ، فلما رجعت قربت دابةً لتركبها ، فوقعَت فاندقت عنقها .

[٢٨٩٥]

قوله (باب ركوب البحر) كذا أطلق الترجمة ، وخصوص إirاده في أبواب الجهاد يشير إلى تخصيصه
بالغزو ، وقد اختلف السلف في جواز ركوبه ، وتقدم في أوائل البيوع قول مطر الوراق : ما ذكره الله
إلا بحق ، واحتج بقوله تعالى ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ﴾ وفي حديث زهير بن عبد الله يرفعه « من
ركب البحر إذا ارتج فقد برئت منه الذمة » وفي رواية « فلا يلومن إلا نفسه » أخرجه أبو عبيد في « غريب
الحديث » وزهير مختلف في صحبته ، وقد أخرج البخاري حديثه في تاريخه فقال في روايته « عن زهير عن
رجل من الصحابة » وإسناده حسن . وفيه تقييد المنع بالارتجاج ، ومفهومه الجواز عند عدمه ، وهو المشهور
من أقوال العلماء ، فإذا غلبت السلامة فالبر والبحر سواء . ومنهم من فرق بين الرجل والمرأة وهو عن مالك ،
فمنعه للمرأة مطلقاً ، وهذا الحديث حجة للجمهور ، وقد تقدم قريباً أن أول من ركبته للغزو معاوية بن أبي سفيان
في خلافة عثمان ، وذكر مالك أن عمر كان يمنع الناس من ركوب البحر حتى كان عثمان فما زال معاوية
يستأذنه حتى أذن له .

قوله (عن يحيى) هو ابن سعيد الأنصاري وقد سبق الحديث قريباً وأن شرحه سيأتي في كتاب
الإستئذان .

باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب

وقال ابن عباس أخبرني أبو سفيان قال لي قيصر : سألتك أشراف الناس اتبعوه أم

ضعفائهم ؟ فزعمت ضعفاءهم ، وهم أتباع الرُّسل .

[٢٨٩٦] ٢٨٠٢ - حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا محمد بن طلحة عن طلحة عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».

[٢٨٩٧] ٢٨٠٣ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابراً عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه قال: «يأتي زمان يغزو فئام من الناس، فيقال: فيكم من صحب النبي صلى الله عليه؟ فيقال: نعم، فيفتح عليه. ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب أصحاب النبي صلى الله عليه؟ فيقال: نعم، فيفتح. ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب أصحاب النبي صلى الله عليه؟ فيقال: نعم، فيفتح».

[الحديث ٢٨٩٧ - طرفاه في: ٣٥٩٧، ٣٦٤٩].

قوله (باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب) أي يبر كتمهم ودعائهم.

قوله (وقال ابن عباس أخبرني أبو سفيان) أي ابن حرب فذكر طرفاً من الحديث الطويل وقد تقدم موصولاً في بدء الوحي، والغرض منه قوله في الضعفاء «وهم أتباع الرسل» وطريق الاحتجاج به حكاية ابن عباس ذلك وتقريره له. ثم ذكر في الباب حديثين: الأول قوله «حدثنا محمد بن طلحة» أي أبو مصرف، وقوله «عن طلحة» أي ابن مصرف وهو والد محمد بن طلحة الراوي عنه، و«مصعب بن سعد» أي ابن أبي وقاص، وقوله «رأى سعد» أي ابن أبي وقاص وهو والد مصعب الراوي عنه. ثم أن صورة هذا السياق مرسل لأن مصعباً يدرك زمان هذا القول، لكن هو محمول على أنه سمع ذلك من أبيه، وقد وقع التصريح عن مصعب بالرواية له عن أبيه عند الإسماعيلي فأخرجه من طريق معاذ بن هاني حدثنا محمد بن طلحة فقال فيه «عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» فذكر المرفوع دون ما في أوله، وكذا أخرجه هو والنسائي من طريق مسعر عن طلحة بن مصرف عن مصعب عن أبيه ولفظه «أنه ظن أن له فضلاً على من دونه» الحديث، ورواه عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه مرفوعاً أيضاً لكنه اختصره ولفظه «ينصر المسلمون بدعاء المستضعفين» أخرجه أبو نعيم في ترجمته في «الحلية» من رواية عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن عمرو بن مرة وقال: غريب من حديث عمرو تفرد به عبد السلام

قوله (رأى) أي ظن وهي رواية النسائي.

قوله (على من دونه) زاد النسائي «من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم» أي بسبب شجاعته ونحو ذلك.

قوله (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم) في رواية النسائي «إما نصر الله هذه الأمة بضعفائهم، بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم» وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند أحمد والنسائي بلفظ «إما تنصرون

وترزقون بضعفائكم» قال ابن بطال : تأويل الحديث أن الضعفاء أشد إخلاصاً في الدعاء وأكثر خشوعاً في العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا ، وقال المهلب : أراد صلى الله عليه وسلم بذلك حض سعد على التواضع ونفى الزهو على غيره وترك احتقار المسلم في كل حالة ، وقد روى عبد الرزاق من طريق مكحول في قصة سعد هذه زيادة مع إرسالها فقال « قال سعد يا رسول الله أرأيت رجلاً يكون حلمية القوم ويدفع عن أصحابه أ يكون نصيبه كنصيب غيره ؟ » فذكر الحديث ، وعلى هذا فالمراد بالفضل إرادة الزيادة من الغنيمة ، فأعلمه صلى الله عليه وسلم أن سهام القاتلة سواء فإن كان القوى يترجح بفضل شجاعته فإن الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه ، وبهذا يظهر السر في تعقيب المصنف له بحديث أبي سعيد الثاني .

قوله (عن عمرو) هو ابن دينار ، وجابر هو ابن عبد الله ، وروايته عن أبي سعيد من رواية الأقران .

قوله (يغزو فتام) بكسر الفاء ويجوز فتحها وبهمزة على التحتانية ويجوز تسهيلها أى جماعة ، وسيأتي شرحه في علامات النبوة وفضائل الصحابة ، قال ابن بطال : هو كقوله في الحديث الآخر « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » لأنه يفتح للصحابة لفضلهم ثم للتابعين لفضلهم ثم لتابعيهم لفضلهم ، قال ولذلك كان الصلاح والفضل والنصر للطبقة الرابعة أقل فكيف بمن بعدهم والله المستعان .

ب لا يَقُولُ فَلَانٌ شَهِيدٌ

قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه : « الله أعلم بمن يُجاهد في سبيله ، والله أعلم بمن يكلم في سبيله » .

[٢٨٩٨]

٢٨٠٤ - حدثنا قتيبة قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه التقى هو والمشركون فاقتتلوا ، فلما مال رسول الله صلى الله عليه إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقال : ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه : « أما إنه من أهل النار » ، فقال رجل من القوم : أنا صاحبه ، قال : فخرج معه كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه ، قال : فجرح الرجل جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين يديه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال : « وما ذاك ؟ » قال : الرجل الذي ذكرت أنفاً أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت : أنا لكم به ، فخرجت في طلبه ، ثم جرح جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين يديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه عند ذلك : « إن الرجل ليعمل عمل الجنة »

فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإنَّ الرَّجُلَ ليعملُ عملَ النَّارِ فيما يبدو للناسِ وهو من أهل الجنة».

[الحديث ٢٨٩٨ - أطرافه في: ٤٢٠٢، ٤٢٠٧، ٦٤٩٣، ٦٦٠٧].

قوله (باب لا يقال فلان شهيد) أى على سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي ، وكأنه أشار إلى حديث عمر أنه خطب فقال « تقولون في مغازيكم فلان شهيد ومات فلان شهيداً ، ولعله قد يكون قد أوقر راحلته ، ألا لا تقولوا ذلكم ولكن قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات في سبيل الله أو قتل فهو شهيد » وهو حديث حسن أخرجه أحمد وسعيد بن منصور وغيرهما من طريق محمد بن سيرين عن أبي العجفاء بفتح المهملة وسكون الجيم ثم فاء عن عمر ، وله شاهد في حديث مرفوع أخرجه أبو نعيم من طريق عبد الله بن الصلت عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعدون الشهيد ؟ قالوا : من أصابه السلاح . قال : كم من أصابه السلاح وليس بشهيد ولا حميد ، وكم من مات على فراشه حتف أنفه عند الله صديق وشهيد » وفي إسناده نظر ، فإنه من رواية عبد الله بن خبيق بالمعجمة والموحدة والقاف مصغر عن يوسف بن أسباط الزاهد المشهور ، وعلى هذا فالمراد النهي عن تعيين وصف واحد بعينه بأنه شهيد ، بل يجوز أن يقال ذلك على طريق الإجمال .

قوله (وقال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : الله أعلم بمن يجاهد في سبيله والله أعلم بمن يكلم في سبيله) أى يجرح ، وهذا طرف من حديث تقدم في أوائل الجهاد من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة باللفظ الأول ، ومن طريق الأعرج عنه باللفظ الثاني ، ووجه أخذ الترجمة منه يظهر من حديث أبي موسى الماضي « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » ولا يطلع على ذلك إلا بالوحي ، فمن ثبت أنه في سبيل الله أعطى حكم الشهادة ، فقوله « والله أعلم بمن يكلم في سبيله » أى فلا يعلم ذلك إلا من أعلمه الله ، فلا ينبغي إطلاق كون كل مقتول في الجهاد أنه في سبيل الله . ثم ذكر المصنف حديث سهل بن سعد في قصة الذي بالغ في القتال حتى قال المسلمون : ما أجزأ أحد ما أجزأ ، ثم كان آخر أمره أن قتل نفسه ، وسيأتى شرحه مستوفى في المغازي حيث ذكره المصنف ، ووجه أخذ الترجمة منه أنهم شهدوا رجحانه في أمر الجهاد ، فلو كان قتل لم يمتنع أن يشهدوا له بالشهادة ، وقد ظهر منه أنه لم يقاتل لله وإنما قاتل غضباً لقومه ، فلا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد لاحتمال أن يكون مثل هذا ، وإن كان مع ذلك يعطى حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة ، ولذلك أطبق السلف على تسمية المقتولين في بدر وأحد وغيرهما شهداء ، والمراد بذلك الحكم الظاهر المبني على الظن الغالب والله أعلم . وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن مجاهد قال « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك قال : لا يخرج معنا إلا مقوى فخرج رجل على بكر ضعيف فوقص فمات ، فقال الناس : الشهيد الشهيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال ناد إن الجنة لا يدخلها عاص » وفيه إشارة إلى أن الشهيد لا يدخل النار لأنه صلى الله عليه وسلم قال « إنه من أهل النار » ولم يتبين منه إلا قتل نفسه وهو بذلك عاص لا كافر ، لكن يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم

اطلع على كفره في الباطن أو أنه استحل قتل نفسه . وقد يتعجب من المهلب حيث قال : إن حديث الباب ضد ما ترجم به البخاري لأنه قال « لا يقال فلان شهيد » والحديث فيه ضد الشهادة ، وكأنه لم يتأمل مراد البخاري ، وهو ظاهر كما قررته بحمد الله تعالى .

باب التحريض على الرمي

وقول الله عز وجل : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

[٢٨٩٩] ٢٨٠٥ - حدثنا عبد الله بن مسلمة قال حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد

قال سمعت سلمة بن الأكوع قال : مر النبي صلى الله عليه على نفر من أسلم ينتضلون ، فقال النبي صلى الله عليه : « ارموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً ، وأنا مع بني فلان » . قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه : « ما لكم لا ترمون ؟ » قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال النبي صلى الله عليه : « ارموا فأنا معكم كلكم » .

[الحديث ٢٨٩٩ - طرفاه في : ٣٣٧٣ ، ٣٥٠٧] .

[٢٩٠٠] ٢٨٠٦ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن حمزة بن أبي أسيد عن

أبيه قال : قال النبي صلى الله عليه يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا : « إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل » .

[الحديث ٢٩٠٠ - طرفاه في : ٣٩٨٤ ، ٣٩٨٥] .

قوله (باب التحريض على الرمي وقول الله عز وجل ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ الآية) ملح بما جاء في تفسير القوه في هذه الآية أنها الرمي ، وهو عند مسلم من حديث عقبة بن عامر ولفظه « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ألا إن القوة الرمي . ثلاثاً » ولأبي داود وابن حبان من وجه آخر عن عقبة بن عامر رفعه « أن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة : صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومنبله . فارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا » الحديث ، وفيه « ومن ترك الرمي بعد علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها » . ولمسلم من وجه آخر عن عقبة رفعه « من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى » ورواه ابن ماجه بلفظ « فقد عصاني » قال القرطبي : إنما فسر القوة بالرمي وإن كانت القوة تظهر بأعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤنة ، لأنه قد يرمى رأس الكتيبة فيصاب فيهزم من خلفه . وذكر المصنف في الباب حديثين : أحدهما حديث سلمة بن الأكوع .

قوله (مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم) أى من بني أسلم القبيلة المشهورة ، وهم بلفظ أفعل التفضيل من السلامة .

قوله (ينتضلون) بالعناد المعجمة أى يترامون ، والتناضل الترامى للسبق ، وفضل فلان فلاناً إذا غلبه .
قوله (وأنا مع بني فلان) فى حديث أبي هريرة فى نحو هذه القصة عند ابن حبان والبخاري «وأنا مع ابن الأدرع» انتهى ، واسم ابن الأدرع محجن ، وقع ذلك من حديث حمزة بن عمرو الأسلمي فى هذا الحديث عند الطبرانى قال فيه «وأنا مع محجن بن الأدرع» ومثله فى مرسل عروة أخرجه السراج عن قتبية عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عنه ، وهو صحابي معروف له حديث آخر فى الأدب المفرد للبخارى وفى أبي داود والنسائي وابن خزيمة ، وقيل اسم ابن الأدرع سلمة حكاه ابن منده قال : والأدرع لقب واسمه ذكوان . والله أعلم .

قوله (قالوا كيف نرمي وأنت معهم) اسم قائل ذلك منهم نضلة الأسلمي ذكره ابن إسحق فى المغازى عن سفيان بن فروة الأسلمي عن أشياخ من قومه من الصحابة قالوا «بيننا محجن بن الأدرع يناضل رجلاً من أسلم يقال له نضلة» فذكر الحديث وفيه «فقال نضلة وألقى قوسه من يده : والله لا أرمى معه وأنت معه»
قوله (وأنا معكم كلكم) بكسر اللام ، ووقع فى رواية عروة «وأنا مع جماعتكم» والمراد بالمعية معية القصد إلى الخير ، ويحتمل أن يكون قام مقام المحلل فيخرج السبق من عنده ولا يخرج كما تقدم ، ولا سيما وقد خصه بعضهم بالإمام قال المهلب يستفاد منه أن من صار السلطان عليه فى جملة المناضلين له أن لا يتعرض لذلك كما فعل هؤلاء القوم حيث أمسكوا لكون النبي صلى الله عليه وسلم مع الفريق الآخر خشية أن يغلبوه فيكون النبي صلى الله عليه وسلم مع من وقع عليه الغلب فأمسكوا عن ذلك تأدباً معه انتهى . وتعقب بأن المعنى الذى أمسكوا له لم ينحصر فى هذا بل الظاهر أنهم أمسكوا لما استشعروا من قوة قلوب أصحابهم بالغلبة حيث صار النبي صلى الله عليه وسلم معهم وذلك من أعظم الوجوه المشعرة بالنصر . وقد وقع فى رواية حمزة ابن عمرو عند الطبرانى «فقالوا من كنت معه فقد غلب» وكذا فى رواية ابن إسحق «فقال نضلة : لانغلب من كنت معه» واستدل بهذا الحديث على أن اليمن من بني إسماعيل ، وفيه نظر لما سياتى فى مناقب قريش من أنه استدلال بالأخص على الأعم . وفيه أن الجدل الأعلى يسمى أباً ، وفيه التنويه بذكر الماهر فى صناعته ببيان فضله وتطويب قلوب من هم دونه . وفيه حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة بأمور الحرب . وفيه النذب إلى اتباع خصال الآباء المحمودة ، والعمل بمثلها . وفيه حسن أدب الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم . الحديث الثانى حديث أبي أسيد بضم الهمزة ، ووقع فى رواية السرخسى وحده بفتحها ، وهو خطأ . وقوله «إذا أكثبوكم» ، كذا فى نسخ البخارى بثلاثة ثم موحدة ، والكثب بفتحتين القرب ، فالمعنى إذا دنوا منكم . وقد استشكل بأن الذى يليق بالدنو المطاعنة بالرمح والمضاربة بالسيف ، وأما الذى يليق برمي النبل فالبعد ، وزعم الدلودى أن معنى أكثبوكم كاثروكم ، قال : وذلك أن النبل إذا رُمى فى الجمع لم ينحط غالباً ففيه ردع لهم ، وقد تعقب هذا التفسير بأنه لا يعرف ، وتفسير الكثب بالكثرة غريب ، والأول هو المعتمد وقد بينته رواية أبي داود حيث زاد فى آخره «واستبقوا نبلكم» وفى رواية له «ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم» فظهر أن معنى الحديث الأمر بترك الرمي والقتال حتى يقربوا لأنهم إذا رموهم على بعد قد

لاتصل إليهم وتذهب في غير منفعة ، وإلى ذلك الإشارة بقوله « واستبقوا نبلكم » وعرف بقوله « ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » أن المراد بالقرب المطلوب في الرمي قرب نسبي بحيث تنالهم سهام لأقرب قريب بحيث يلتحمون معهم ، والنبل بفتح النون وسكون الموحدة جمع نبلة ويجمع أيضاً على نبال وهي السهام العربية اللطاف .

(تنبيه) : وقع في إسناده هذا الحديث اختلاف سائبينه إن شاء الله تعالى في غزوة بدر .

باب

اللَّهُو بِالْحَرَابِ وَنَحْوَهَا

[٢٩٠١] ٢٨٠٧ - حدثنا إبراهيم بن موسى قال أخبرنا هشام عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال : بينا الحبشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وآله بحرابهم ، دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها ، فقال : « دعهم يا عمر » . زادنا علي : قال حدثنا عبد الرزاق وقال أخبرنا معمر في المسجد .

قوله (باب اللهو بالخراب ونحوها) أي من آلات الحرب ، وكأنه يشير بقوله ونحوها إلى ما روى أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً « ليس من اللهو » - أي مشروع أو مطلوب - إلا تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه ونبله . ثم أورد فيه حديث أبي هريرة « بينا الحبشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم » الحديث ، ولم يقع في هذه الرواية ذكر الخراب . وكأنه أشار إلى ما ورد في بعض طرقه كما تقدم بيانه في « باب أصحاب الخراب في المسجد » من كتاب الصلاة وذكرنا فوائده هناك ، وفي كتاب العيدين ، قال ابن التين يحتمل أن يكون عمر لم ير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعلم أنه رآهم ، أو ظن أنه رآهم واستحيا أن يمنعهم ، وهذا أولى لقوله في الحديث « وهم يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . قلت : وهذا لا يمنع الاحتمال المذكور أولاً ، ويحتمل أن يكون إنكاره لهذا شبيه إنكاره على المغنيتين ، وكان من شدته في الدين ينكر خلاف الأولى ، والجد في الجملة أولى من اللعب المباح . وأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان بصدد بيان الجواز . وقوله « زاد علي حدثنا عبد الرزاق » وقع في رواية الكشميهني « زادنا علي » .

باب

الْمَجْنُومُ وَمَنْ تَتَرَسُّ بِتَرَسٍ صَاحِبِهِ

[٢٩٠٢] ٢٨٠٨ - حدثنا أحمد بن محمد قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك : كان أبو طلحة يتترس مع النبي صلى الله عليه وآله بترس

واحد، وكان أبو طلحة حسن الرمي، فكان إذا رمى تشرف النبي صلى الله عليه فينظر إلى موضع نبلة.

[٢٩٠٣] ٢٨٠٩ - حدثنا سعيد بن عفير قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل قال: لما كسرت بيضة النبي صلى الله عليه على رأسه وأدمي وجهه وكسرت ربايعيته، وكان علي يختلف بالماء في المحن وكانت فاطمة تغسله، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة عمدت إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرحه فرقا الدم.

[٢٩٠٤] ٢٨١٠ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان عن عمرو عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه خاصة، وكان ينفق على أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله.

[الحديث ٢٩٠٤ - أطرافه في: ٣٠٩٤، ٤٠٣٣، ٤٨٨٥، ٥٣٥٧، ٥٣٥٨، ٦٧٢٨، ٧٣٠٥].

[٢٩٠٥] ٢٨١١ - حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم قال حدثني عبد الله بن شداد قال سمعت علياً يقول: ما رأيت النبي صلى الله عليه يفدي رجلاً بعد سعد، سمعته يقول: «ارم فداك أبي وأمي».

[الحديث ٢٩٠٥ - أطرافه في: ٤٠٥٨، ٤٠٥٩، ٦١٨٤].

قوله (باب المحن) في رواية ابن شوية «الترسة» جمع ترس، والمحن بكسر الميم وفتح الجيم وتثقيب النون أي الدركة، قال ابن المنير: وجه هذه التراجم دفع من يتخيل أن اتخاذ هذه الآلات ينافي التوكل، والحق أن الحذر لا يرد القدر، ولكن يضيق مسالك الوسوسة لما طبع عليه البشر.

قوله (ومن يترس بترس صاحبه) أي فلا بأس به، ثم ذكر فيه أربعة أحاديث: الأول حديث أنس «كان أبو طلحة يترس مع النبي صلى الله عليه وسلم بترس واحد» الحديث، أورده مختصراً من هذا الوجه، وسيأتي بآتم من هذا السياق في المناقب في غزوة أحد، قيل إن الرامي يحتاج إلى من يستره لشغله يديه جميعاً بالرمي، فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يترسه بترسه. ثانياً حديث سهل وهو ابن سعدة «لما كسرت بيضة النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه» الحديث، والغرض منه قوله «وكان علي يختلف بالماء في المحن» وقد تقدمت له طريق أخرى قريباً، ويأتي الكلام عليه في غزوة أحد إن شاء الله تعالى. ثالثاً حديث عمر «كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله» الحديث، ذكر منه طرفاً، وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب فرض الخمس وفي الفرائض، والغرض منه قوله هنا «ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة»

لأن المجن من جملة آلات السلاح كما روى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن ابن عمر « أنه كانت عنده درقة فقال : لولا أن عمر قال لي احبس سلاحك لأعطيت هذه الدرقة لبعض أولادي » . رابعها حديث علي في قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص « ارم فداك أبي وأمي » وسيأتي شرحه مستوفى في المناقب وفي غزوة أحد ، وقوله فيه « حدثنا قبيصة » هو ابن عقبة ، وسفيان هو الثوري وزعم أبو نعيم في « المستخرج » أن لفظ قبيصة هنا تصحيف ممن دون البخاري وأن الصواب حدثنا قتيبة ، وعلى هذا فسفيان هو ابن عيينة لأن قتيبة لم يسمع من الثوري ، لكن لا أعرف لإنكاره معنى إذ لا مانع أن يكون عند السفيانيين ، وقد أخرجه المصنف في الأدب من طريق يحيى القطان عن سفيان الثوري ، ووقع في رواية النسفي هنا عن مسدد عن يحيى أيضاً ، ودخول هذا الحديث هنا غير ظاهر لأنه لا يوافق واحداً من ركني الترجمة ، وقد أثبت ابن شويه في روايته قبله لفظ « باب » بغير ترجمة ، وله مناسبة بالترجمة التي قبله من جهة أن الرامي لا يستغنى عن شيء يقي به عن نفسه سهام من يراميه ، وفي حديث علي جواز التفدية ، وسيأتي بسط ذلك بأدلتها وبيان ما يعارضه في كتاب الأدب إن شاء الله تعالى .

باب الدرق

[٢٩٠٦] ٢٨١٢ - حدثنا إسماعيل قال حدثني ابن وهب قال عمرو حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاتٍ ، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ، فدخل أبو بكرٍ فانتهرني وقال : مزمارَةُ الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه . فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه فقال : « دعها » . فلما غفل غمزتهما فخرجتا .^(١)
[٢٩٠٧] قالت : وكان يوم عيدٍ يلعبُ السودانُ بالدُرُقِ والحِرابِ ، فإِما سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وإِما قال : « تشتهين أن تنظرين ؟ » فقلتُ : نعم ، فأقامني وراءَهُ خدي على خده ويقولُ : « دُونَكُمْ بني أرفدة » . حتى إذا مللتُ قال : « حسبك ؟ » قلتُ : نعم . قال : « فاذهبي » . قال أبو عبد الله : قال أحمد : فلما غفل .

قوله (باب الدرق) جمع درقة أى جواز اتخاذ ذلك أو مشروعيته .

قوله (حدثنا إسماعيل) هو ابن أبي أويس كما جزم به المزى في « الأطراف » وأغفل ذلك في « التهذيب » . وهذا الحديث قد تقدم في أول العيدين عن أحمد عن ابن وهب ، وبينت هناك الاختلاف في أبيه ، وهو المراد بقوله في هذا الباب « قال أحمد » يعنى عن ابن وهب بهذا السند ، وقوله فيه « فقال دعهما » فلما غفل غمزتها فخرجتا » في رواية أبي ذر « عمد » بدل « غفل » وكذا في رواية أبي زيد المروزى ، قال عياض : ورواية الأكثر هي الوجه .

(١) الرقمان ٢٩٠٦ و ٢٩٠٧ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين .

باب الحماثل وتعليق السيف في العنق

[٢٩٠٨] ٢٨١٣ - حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه أحسن الناس ، وأشجع الناس . ولقد فرغ أهل المدينة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عري وفي عنقه السيف وهو يقول : « لم تراعوا ، لم تراعوا » . ثم قال : « وجدناه بحراً » . أو قال : « إنه لبحر » .

قوله (باب الحماثل وتعليق السيف بالعنق) الحماثل بالمهمل جمع حمية وهي ما يقلد به السيف ، وأورد فيه حديث أنس وقد تقدم في « باب الفرس العري » و « باب الشجاعة في الحرب » وسياقه هنا أتم ، وسبق شرحه في الهبة ، والغرض منه هنا قوله « وفي عنقه السيف » فدل على جواز ذلك ، وقوله « لم تراعوا » وقع في رواية الحموي والكشيري مرتين ، قال ابن المنير : مقصود المصنف من هذه التراجم أن يبين زى السلف في آلة الحرب وما سبق استعماله في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ليكون أطيب للنفس وأنقى للبدعة .

باب ما جاء في حلية السيوف

[٢٩٠٩] ٢٨١٤ - حدثنا أحمد بن محمد قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا الأوزاعي قال سمعت سليمان بن حبيب قال سمعت أبا أمامة يقول : لقد فتح الفتوح قوم ما كانت حلية سيوفهم الذهب ولا الفضة ، إنما كانت حليتهم العلابي والآلك والحديد .

قوله (باب ما جاء في حلية السيوف) أي من الجواز وعدمه .

قوله (سمعت سليمان بن حبيب) هو المحاربي قاضي دمشق في زمن عمر بن عبد العزيز وغيره ومات سنة عشرين أو بعدها . وليس له في البخاري سوى هذا الحديث .

قوله (لقد فتح الفتوح قوم) وقع عند ابن ماجه لتحديث أبي أمامة بذلك سبب وهو « دخلنا على أبي أمامة فرأى في سيوفنا شيئاً من حلية فضة ، فغضب وقال » فذكره ، وزاد الإسماعيلي في روايته أنه دخل عليه بمحصر وزاد فيه « لأنتم أبجل من أهل الجاهلية ، إن الله يرزق الرجل منكم الدرهم ينفقه في سبيل الله بسبعائة ثم أنتم تمسكون » وأخرجه هشام بن عمار في فوائده والطبراني من طريقه من وجه آخر عن سليمان بن حبيب قال ، نزلنا حمص قافلين من الروم فإذا عبد الله بن أبي زكريا ومكحول ، فانطلقنا إلى أبي أمامة فإذا شيخ هرم ، فلما تكلم إذا رجل يبلغ حاجته ، ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ ما أرسل به ، وأنتم تبلغون عنا . ثم نظر إلى سيوفنا فإذا فيها شيء من الفضة فغضب حتى اشتد غضبه » .

قوله (العلابي) بفتح المهملة وتخفيف اللام وكسر الموحدة جمع علباء بسكون اللام ، وقد فسرهُ الأوزاعي في رواية أبي نعيم في « المستخرج » ، فقال : العلابي الجلود الخام التي ليست بمذبوغة . وقال غيره :

العلاقي العصب تؤخذ رطبة فيشد بها جفون السيوف وتلوى عليها فتجف ، وكذلك تلوى رطبة على ما يصدع من الرماح . وقال الخطابي : هي عصب العنق ، وهي أمتن ما يكون من عصب البعير . وزعم الداودي أن العلاقي ضرب من الرصاص فأخطأ كما نبه عليه القزاز في « شرح غريب الجامع » وكأنه لما رآه قرن بالآنك ظنه ضرباً منه ، وزاد هشام بن عمار في روايته « والحديد » وزاد فيه أشياء لاتتعلق بالجهاد . والآنك بالمد وضم النون بعدها كاف وهو الرصاص ، وهو واحد لا جمع له ، وقيل هو الرصاص الخالص ، وزعم الداودي أن الآنك القصدير . وقال ابن الجوزي : الآنك الرصاص القلعي وهو بفتح اللام منسوب إلى القلعة موضع بالبادية ينسب ذلك إليه ، وتنسب إليه السيوف أيضاً فيقال سيوف قلعية ، وكأنه معدن يوجد فيه الحديد والرصاص . وفي هذا الحديث أن تحلية السيوف وغيرها من آلات الحرب بغير الفضة والذهب أولى . وأجاب من أباحها بأن تحلية السيوف بالذهب والفضة إنما شرع لإرهاب العدو ، وكان لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك غنية لشدتهم في أنفسهم وقوتهم في إيمانهم .

ب

مَنْ عَلَّقَ سَيْفَهُ بِالشَّجَرِ فِي السَّفَرِ عِنْدَ الْقَائِلَةِ

[٢٩١٠] ٢٨١٥ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني سنان بن أبي سنان الدؤلي وأبوسلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله أخبره أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قبل نجد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قفل معه ، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه تحت سمررة وعلق بها سيفه ، ونمنا نومة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا ، وإذا عنده أعرابي وقال : « إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده صلتاً ، فقال : من يمنعك مني ؟ فقلت : الله » (ثلاثاً) . ولم يعاقبه ، وجلس .

[الحديث ٢٩١٠ - أطرافه في : ٢٩١٣ ، ٤١٣٤ ، ٤١٣٥ ، ٤١٣٦ .]

قوله (باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة) ذكر فيه حديث جابر في قصة الأعرابي الذي اخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، والفرض منه قوله « فنزل تحت شجرة فعلق بها سيفه » وسيأتي شرحه في كتاب المغازي .

ب

لِبَسِ الْبَيْضَةِ

[٢٩١١] ٢٨١٦ - حدثنا عبد الله بن مسلمة قال حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن

سهل : أنه سُئِلَ عَنْ جُرْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ : جُرْحَ وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ وَهَشِمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَغْسِلُ الدَّمَ وَعَلِيٌّ يُمْسِكُ . فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الدَّمَ لَا يَزِيدُ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ حَصِيرًا فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا ، لَزَقَتْهُ ، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمَ .

قوله (باب لبس البيضة) بفتح الموحدة ، وهي مايلبس في الرأس من آلات السلاح ؛ ذكر فيه حديث سهل بن سعد الماضي قبل أربعة أبواب لقوله فيه « وهشمت البيضة على رأسه » وقد تقدمت الإشارة إلى مكان شرحه .

باب من لم ير كسر السلاح عند الموت

[٢٩١٢] ٢٨١٧- حدثنا عمرو بن عباس قال حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو بن الحارث قال : ما ترك النبي صلى الله عليه إلا سلاحه وبغلة بيضاء وأرضاً جعلها صدقة .

قوله (باب من لم ير كسر السلاح وعقر الدواب عند الموت) كأنه يشير إلى رد ما كان عليه أهل الجاهلية من كسر السلاح وعقر الدواب إذا مات الرئيس فيهم ، وربما كان يعهد بذلك لهم . قال ابن المنير : وفي ذلك إشارة إلى انقطاع عمل الجاهلي الذي كان يعمل لغير الله وبطلان آثاره وخمول ذكره ، بخلاف سنة المسلمين في جميع ذلك انتهى . ولعل المصنف لمح بذلك إلى من نقل عنه أنه كسر رمحه عند الاصطدام حتى لا يغنمه العدو أن لو قتل وكسر جفن سيفه وضرب بسيفه حتى قتل كما جاء نحو ذلك عن جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة ، فأشار إلى أن هذا شيء فعله جعفر وغيره عن اجتهاد ، والأصل عدم جواز إتلاف المال ، لأنه يفعل شيئاً محققاً في أمر غير محقق . وذكر فيه حديث عمرو بن الحارث الخزاعي « ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم - أي عند موته - إلا سلاحه » الحديث وقد تقدم في الوصايا ، وسيأتي شرحه في المغازي . وزعم الكرماني أن مناسبته للترجمة أنه صلى الله عليه وسلم مات وعليه دين ولم يبع فيه شيئاً من سلاحه ولو كان رهن درعه ، وعلى هذا فالمراد بكسر السلاح بيعه ، ولا يخفى بعده .

باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر

[٢٩١٣] ٢٨١٨- حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني سنان وأبوسلمة أن جابراً أخبره... ح .

وحدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا إبراهيم بن سعد قال أخبرنا ابن شهاب عن سنان ابن أبي سنان الدؤلي أن جابر بن عبد الله أخبره : أنه غزا مع النبي صلى الله عليه فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة ، فتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ، فنزل النبي صلى الله

عليه تحت شجرة فعلق بها سيفه ثم نام، فاستيقظ ورجلٌ عنده وهو لا يشعر به، فقال النبي صلى الله عليه: «إن هذا اخترط سيفاً لي فقال: فمن يمنعك؟ قلت: الله. فشام السيف، فها هو ذا جالس». ثم لم يعاقبه.

قوله (باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر) ذكر فيه حديث جابر الماضي قبل بايين من وجهين وهو ظاهر فيما ترجم له، وقد تقدمت الإشارة إلى مكان شرحه، قال القرطبي: هذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان في هذا الوقت لا يحرسه أحد من الناس، بخلاف ما كان عليه في أول الأمر فإنه كان يحرس حتى نزل قوله تعالى ﴿والله يعصمك من الناس﴾. قلت: قد تقدم ذلك قبل أبواب لكن قد قيل أن هذه القصة سبب نزول قوله تعالى ﴿والله يعصمك من الناس﴾ وذلك فيما أخرجه ابن أبي شيبة من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال «كنا إذا نزلنا طلبنا للنبي صلى الله عليه وسلم أعظم شجرة وأظلمها، فنزل تحت شجرة، فجاء رجل فأخذ سيفه فقال: يا محمد من يمنعك مني، قال: الله. فأنزل الله: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ وهذا إسناد حسن، فيحتمل إن كان محفوظاً أن يقال كان مخيراً في اتخاذ الحرس فتركه مرة لقوة يقينه، فلما وقعت هذه القصة ونزلت هذه الآية ترك ذلك.

باب ما قيل في الرماح

ويذكر عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه: «جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري».

٢٨١٩ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري عن أبي قتادة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه، حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم، فرأى حمار وحش، فاستوى على فرسه، فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا، فسألهم رمحه فأبوا، فأخذه ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وأبى بعض، فلما أدركوا رسول الله صلى الله عليه سألوه عن ذلك قال: «إنما هي طعمة أطعمكموها الله».

وعن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي قتادة في الحمار الوحشي مثل حديث أبي النضر وقال: «هل معكم من لحمه شيء؟».

قوله (باب ما قيل في الرماح) أي في اتخاذها واستعمالها أي من الفضل.

قوله (ويذكر عن ابن عمر الخ) هو طرف من حديث أخرجه أحمد من طريق أبي منيب - بضم الميم وكسر النون ثم تحتانية ساكنة ثم موحدة - الجرشي بضم الجيم وفتح الراء بعدها معجمة عن ابن عمر بلفظ

بعثت بين يدي الساعة مع السيف ، وجعل رزقي تحت ظل رحى ، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمرى ، ومن تشبه بقوم فهو منهم » وأخرج أبو داود منه قوله « من تشبه بقوم فهو منهم » حسب من هذا الوجه ، وأبو منيب لا يعرف اسمه . وفي الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه ، وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي صلى الله عليه وسلم بتمامه ، وفي الحديث إشارة إلى فضل الرمح ، وإلى حل الغنائم لهذه الأمة وإلى أن رزق النبي صلى الله عليه وسلم جعل فيها لا في غيرها من المكاسب ، ولهذا قال بعض العلماء أنها أفضل المكاسب ، والمراد بالصغار وهو بفتح المهملة وبالمعجمة بذل الجزية ، وفي قوله « تحت ظل رحى » إشارة إلى أن ظله ممدود إلى أبد الآباد ، والحكمة في الاختصار على ذكر الرمح دون غيره من آلات الحرب كالسيف أن عادتهم جرت بجعل الرايات في أطراف الرمح ، فلما كان ظل الرمح أسبغ كان نسبة الرزق إليه أليق . وقد تعرض في الحديث الآخر لظل السيف كما سيأتي قريباً من قوله صلى الله عليه وسلم « الجنة تحت ظلال السيوف » فنسب الرزق إلى ظل الرمح لما ذكرته أن المقصود بذكر الرمح الراية ، ونسبت الجنة إلى ظل السيف لأن الشهادة تقع به غالباً ولأن ظل السيف يكثر ظهوره بكثرة حركة السيف في يد المقاتل ؛ ولأن ظل السيف لا يظهر إلا بعد الضرب به لأنه قبل ذلك يكون مغموداً معلقاً ، وذكر المصنف في الباب حديث أبي قتادة في قصة الحمار الوحشي بإسنادين لمالك ، وقد تقدم شرحه مستوفى في الحج ، والغرض منه قوله « فسألهم رحمهم فأبوا »

باب ما قيل في دروع النبي صلى الله عليه وآله والقميص في الحرب

وقال النبي صلى الله عليه وآله : أما خالد فقد احتبس أذراعه في سبيل الله .

٢٨٢٠ - حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الوهاب قال حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وهو في قبة : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَنشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ . اللَّهُمَّ إِن شئتَ لَمْ تُعَبِّدْ بَعْدَ الْيَوْمِ » . فأخذ أبوبكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله ، فقد ألححت على ربك . وهو في الدرع ، فخرج وهو يقول : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّونَ الدَّبْرَ ٤٥ ﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ .

قال وهيب : حدثنا خالد « يوم بدر » .

[الحديث ٢٩١٥ - أطرافه في : ٣٩٥٣ ، ٤٨٧٥ ، ٤٨٧٧ .]

٢٨٢١ - حدثنا محمد بن كثير قال أخبرنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير . وقال يعلى : حدثنا الأعمش : درع من حديد ، وقال معلى : حدثنا عبد الواحد قال حدثنا الأعمش وقال : رهنة درعاً من حديد .

٢٨٢٢ - حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا وهيب قال حدثنا ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «مثل البخيل والمتصدق مثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما، فكُلما همَّ المتصدق بصدقة اتسعت عليه حتى تُعفى أثره، وكُلما همَّ البخيل بالصدقة انقبضت كل حلقة إلى صاحبها وتقلصت عليه وانضمت يداها إلى تراقيه». فسمع النبي صلى الله عليه يقول: «فيجتهد أن يوسعها فلا تتسع».

قوله (باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم) أي من أي شيء كانت؟ وقوله (والقميص في الحرب) أي حكمه وحكم لبسه.

قوله (وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما خالد فقد احتبس أذراعه في سبيل الله) هو طرف من حديث لأبي هريرة تقدم شرحه في كتاب الزكاة، والأذراع جمع درع وهو القميص المتخذ من الزرد، وأشار المصنف بذكر هذا الحديث إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كما لبس الدرع فيما ذكره في الباب ذكر الدرع ونسبه إلى بعض الشجعان من الصحابة قدل على مشروعيته وأن لبسها لا ينافي التوكل. ثم ذكر فيه أحاديث: الأول حديث ابن عباس في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، والغرض منه قوله، وهو في الدرع، وقوله فيه «حدثنا عبد الوهاب» هو ابن عبد المجيد الثقفي، وقوله «وقال وهيب» يعني ابن خالد «حدثنا خالد: يوم بدر» يعني أن وهيب بن خالد رواه عن خالد وهو الحذاء شيخ عبد الوهاب فيه عن عكرمة عن ابن عباس فزاد بعد قوله وهو في قبة «يوم بدر» وقد رواه محمد بن عبد الله بن حوشب عن عبد الوهاب كذلك كما سيأتي في المغازي، وكذلك قال إسحق بن راهويه عن عبد الوهاب الثقفي، فاعل محمد ابن المثني شيخ البخاري لم يحفظها، ورواية وهيب وصلها المؤلف في تفسير سورة القمر، ويأتي بيان ما استشكل من هذا الحديث في غزوة بدر، وهو من مراسيل الصحابة لأن ابن عباس لم يحضر ذلك، وسيأتي ما فيه هناك. ثانياً حديث عائشة «توفي النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة» الحديث.

قوله (وقال يعلى حدثنا الأعمش: درع من حديد) يعني أن يعلى وهو ابن عبيد رواه عن الأعمش بالإسناد المذكور فزاد أن الدرع كانت من حديد، وقد وصله المؤلف في السلم كذلك.

قوله (وقال معلى عن عبد الواحد) يعني أن معلى بن أسد رواه عن عبد الواحد بن زياد فقال فيه أيضاً «رهنه درعاً من حديد» وقد وصله المصنف في الاستقراض، وتقدم الكلام على شرحه مستوفى في كتاب الرهن. ثالثاً حديث أبي هريرة في البخيل المتصدق وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الزكاة، والغرض منه هنا ذكر الجبتين، فإنه روى بالموحدة وهو المناسب لذكر القميص في الترجمة، وروى بالنون وهو المناسب للدرع، وقد تقدم بيان اختلاف الرواة في ذلك هناك. والجهة بالموحدة ما قطع من الثياب مشمراً قاله في المطالع، ومحل استشاده للترجمة - وإن كان الممثل به في المثل لا يشترط وجوده فضلاً عن مشروعيته - من جهة أنه مثل بدرع الكريم فتشبيهه الكريم المحمود بالدرع يشعر بأن الدرع محمود، وموضع

الشاهد منه درع الكريم لادرع البخل ، وكأنه أقام الكريم مقام الشجاع لتلازمهما غالباً وكذلك ضدّهما

باب الجبة في السفر والحرب

[٢٩١٨] ٢٨٢٣- حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: حدثني المغيرة بن شعبة قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه لحاجته، ثم أقبل، فتلقّيته بماء فتوضأ -وعليه جبة شامية- فمضمض واستنشق، وغسل وجهه، فذهب يخرج يده من كمّيه وكانا ضيقين، فأخرجهما من تحت، فغسلهما، ومسح برأسه وعلى خفيه.

قوله (باب الجبة في السفر والحرب) ذكر فيه حديث المغيرة في قصة المسح على الخفين وفيه «وعليه جبة شامية» وفيه «فذهب يخرج يده من كمّيه وكانا ضيقين» وهو ظاهر فيما ترجم له، وقد تقدم الكلام على الحديث مستوفى في «باب المسح على الخفين» من كتاب الطهارة.

باب الحرير في الحرب

[٢٩١٩] ٢٨٢٤- حدثنا أحمد بن المقدم قال أخبرنا خالد بن الحارث قال حدثنا سعيد عن قتادة أن أنساً حدثهم: أن النبي صلى الله عليه رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير من حكمة كانت بهما.

[الحديث ٢٩١٩ - أطرافه في: ٢٩٢٠، ٢٩٢١، ٢٩٢٢، ٥٨٣٩].

[٢٩٢٠] ٢٨٢٥- حدثنا أبو الوليد قال حدثنا همام عن قتادة عن أنس... ح. وحدثنا محمد بن سنان قال حدثنا همام عن قتادة عن أنس: أن عبد الرحمن والزبير شكيا إلى النبي صلى الله عليه -يعني القمل- فأرخص لهما في الحرير، فرأيت عليهما في غزاة.

[٢٩٢١] ٢٨٢٦- حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة قال أخبرني قتادة أن أنساً حدثهم: رخص النبي صلى الله عليه لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في حرير.

[٢٩٢٢] ٢٨٢٧- حدثنا محمد بن بشار قال أخبرنا غندر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن أنس: رخص -أو رخص- لحكمة بهما.

قوله (باب الحرير في الحرب) ذكر فيه حديث أنس في الرخصة للزير وعبد الرحمن بن عوف في قميص الحرير ، ذكره من خمسة طرق ، ففي رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة « من حكة كانت بهما » وكذا قال شعبة في أحد الطريقين ، وفي رواية همام عن قتادة في أحد الطريقين « يعني القمل » ورجح ابن التين الرواية التي فيها الحكمة وقال : لعل أحد الرواة تأولها فأخطأ ، وجمع الداودي باحتمال أن يكون إحدى العلتين بأحد الرجلين ، وقال ابن العربي : قد ورد أنه أرخص لكل منهما فالإفراد يقتضي أن لكل حكمة . قلت : ويمكن الجمع بأن الحكمة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة إلى السبب وتارة إلى سبب السبب ، ووقع في رواية محمد بن بشار عن غندر « رخص أو أرخص » كذا بالشك ، وقد أخرجه أحمد عن غندر بلفظ « رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم » وكذا قال وكيع عن شعبة كما سيأتي في كتاب اللباس ، وأما تقييده بالحرب فكأنه أخذه من قوله في رواية همام « فرأيتاه عليهما في غزاة » ووقع في رواية أبي داود « في السفر من حكة » وقد ترجم له في اللباس « ما يرخص للرجال من الحرير للحكة » ولم يقيده بالحرب « فزعم بعضهم أن الحرب في الترجمة بالجيم وفتح الراء ، وليس كما زعم لأنها لا يبق لها في أبواب الجهاد مناسبة ، ويلزم منه إعادة الترجمة في اللباس ، إذ الحكمة والجرب متقاربان . وجعل الطبري جوازه في الغزو مستنبطاً من جوازه للحكة فقال : دلت الرخصة في لبسه بسبب الحكمة أن من قصد بلبسه ما هو أعظم من أذى الحكمة كدفع سلاح العدو ونحو ذلك فإنه يجوز ، وقد تبع الترمذي البخاري فترجم له « باب ماجاء في لبس الحرير في الحرب » . ثم المشهور عن القائلين بالجواز أنه لا يختص بالسفر ، وعن بعض الشافعية يختص ، وقال القرطبي : الحديث حجة على من منع إلا أن يدعى الخصوصية بالزير وعبد الرحمن ولا تصح تلك الدعوى . قلت : قد جنح إلى ذلك عمر رضي الله عنه ، فروى ابن عساكر من طريق ابن عوف عن ابن سيرين « أن عمر رأى على خالد بن الوليد قميص حرير فقال : ما هذا ؟ فذكر له خالد قصة عبد الرحمن ابن عوف فقال : وأنت مثل عبد الرحمن ؟ أو لك مثل ما لعبد الرحمن ؟ ثم أمر من حضره فزقوه » رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً . وقد اختلف السلف في لباسه فمنع مالك وأبو حنيفة مطلقاً ، وقال الشافعي وأبو يوسف بالجواز للضرورة ، وحكى ابن حبيب عن ابن الماجشون أنه يستحب في الحرب ، وقال المهلب : لباسه في الحرب لإرهاب العدو وهو مثل الرخصة في الاختيال في الحرب انتهى . ووقع في كلام النووي تبعاً لغيره أن الحكمة في لبس الحرير للحكة لما فيه من البرودة ، وتعقب بأن الحرير حار فالصواب أن الحكمة فيه الخاصة فيه لدفع ما تنشأ عنه الحكمة كالقمل . والله أعلم .

باب ما يذكر في السكين

٢٨٢٨ - حدثنا عبدالعزيز بن عبد الله قال حدثني إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وآله يأكُل من كتفٍ يحتزُّ منها ، ثم دُعِيَ إلى الصلاة فصلى ولم يتوضأ .

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري وزاد : « فألقى السكين » .

قوله (باب ما يذكر في السكين) ذكر فيه حديث جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يحترق من كثرة شاة» الحديث ، وفي الطريق الأخرى «فألقى السكين» وقد تقدم شرحه في كتاب الطهارة .

باب ما قيل في قتال الروم

[٢٩٢٤] ٢٨٢٩ - حدثنا إسحاق بن يزيد الدمشقي قال حدثنا يحيى بن حمزة قال حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحل حمص وهو في بناء له ومعه أم حرام ، قال عمير : فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا» . قالت أم حرام : قلت يا رسول الله ، أنا فيهم ؟ قال : «أنت فيهم» . قالت : ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم» . فقلت : أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : «لا» .

قوله (باب ما قيل في قتال الروم) أي من الفضل . واختلف في الروم فالأكثر أنهم من ولد عيص بن إسحق بن إبراهيم ، واسم جدهم قيل روماني وقيل هو ابن ليطا بن يونان بن يافث بن نوح .

قوله (عن خالد بن معدان) بفتح الميم وسكون المهملة ، والإسناد كله شاميون ، وإسحق بن يزيد شيخ البخاري فيه هو إسحق بن إبراهيم بن يزيد الفراءديسي نسب لجدده .

قوله (عمير بن الأسود العنسي) بالنون والمهملة ، وهو شامي قديم يقال اسمه عمرو ، وعمير بالتصغير لقبه ، وكان عابداً مخضرمًا ، وكان عمر يثنى عليه ، ومات في خلافة معاوية ، وليس له في البخاري سوى هذا الحديث عند من يفرق بينه وبين أبي عياض عمرو بن الأسود ، والراجح التفرقة وأم حرام بمهملتين تقدم ذكرها في أوائل الجهاد في حديث أنس ، وقد حدث عنها أنس هذا الحديث أتم من هذا السياق . وأخرج الحسن بن سفيان هذا الحديث في مسنده عن هشام بن عمار عن يحيى بن حمزة بسند البخاري وزاد في آخره «قال هشام رأيت قبرها بالساحل» .

قوله (يغزون مدينة قيصر) يعني القسطنطينية ، قال المهلب : في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر ، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر . وتعقبه ابن التين وابن المنير بما حاصله : أنه لا يلزم من دخوله في ذلك العموم أن لا يخرج بدليل خاص إذ لا يختلف أهل العلم أن قوله صلى الله عليه وسلم مغفور لهم مشروط بأن يكونوا من أهل المغفرة حتى لو ارتد واحد ممن غزاها بعد ذلك لم يدخل في ذلك العموم اتفاقاً فدل على أن المراد مغفور لمن وجد شرط المغفرة فيه منهم . وأما قول ابن التين يحتمل أن يكون لم يخضر مع الجيش فردود ، إلا أن يريد لم يباشر القتال فيمكن فإنه كان أمير ذلك الجيش بالاتفاق . وجوز بعضهم أن المراد بمدينة قيصر المدينة التي كان بها يوم قال النبي صلى الله عليه وسلم تلك المقالة وهي حمص وكانت

دار مملكته إذ ذاك ، وهذا يندفع بأن في الحديث أن الذين يغزون البحر قبل ذلك وأن أم حرام فيهم ، وحمص كانت قد فتحت قبل الغزوة التي كانت فيها أم حرام والله أعلم . قلت : وكانت غزوة يزيد المذكورة في سنة اثنتين وخمسين من الهجرة ، وفي تلك الغزاة مات أبو أيوب الأنصاري فأوصى أن يدفن عند باب القسطنطينية وأن يعنى قبره ففعل به ذلك ، فيقال إن الروم صاروا بعد ذلك يستسقون به . وفي الحديث أيضاً الترغيب في سكنى الشام ، وقوله « قد أوجبوا » أى فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة .

باب قتال اليهود

٢٨٣٠ - حدثنا إسحاق بن محمد الفروي قال حدثنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه قال : « تُقاتلون اليهود حتى يختبئ وراء الحجر فيقول : يا عبد الله ، هذا يهودي ورائي فاقتله » . [٢٩٢٥]

[الحديث ٢٩٢٥ - طرفه في : ٣٥٩٣ .]

٢٨٣١ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أخبرنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم ، هذا يهودي ورائي فاقتله » . [٢٩٢٦]

قوله (باب قتال اليهود) ذكر فيه حديثي ابن عمر وأبي هريرة في ذلك ، وهو إخبار بما يقع في مستقبل الزمان .

قوله (الفروي) بفتح الفاء والراء منسوب إلى جده أبي فروة ، وإسحق هذا غير إسحق بن عبد الله ابن أبي فروة الضعيف ، وهو - أعنى إسحق بن عبد الله - عم والد هذا . وإسحق هذا ربما روى عنه البخاري بواسطة . وهذا الحديث مما حدث به مالك خارج الموطأ ، ولم ينفرده به إسحق المذكور بل تابعه ابن وهب ومعن ابن عيسى وسعيد بن داود والوليد بن مسلم أخرجها الدارقطني في « غرائب مالك » وأخرج الإسماعيلي طريق ابن وهب فقط .

قوله (تقاتلون) فيه جواز مخاطبة الشخص والمراد غيره ممن يقول بقوله ويعتقد اعتقاده ، لأنه من المعلوم أن الوقت الذي أشار إليه صلى الله عليه وسلم لم يأت بعد ، وإنما أراد بقوله « تقاتلون » مخاطبة المسلمين . ويستفاد منه أن الخطاب الشفاهي يعم المخاطبين ومن بعدهم ، وهو متفق عليه من جهة الحكم . وإنما وقع الاختلاف فيه في حكم الغائبين : هل وقع بتلك المخاطبة نفسها ، أو بطريق الإلحاق ؟ وهذا الحديث يؤيد من ذهب إلى الأول . وفيه إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام ، فإنه الذي يقاتل الدجال ، ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال على ماورد من طريق أخرى ، وسيأتى بيانها مستوفى في علامات النبوة إن شاء الله تعالى .

باب قتال الترك

[٢٩٢٧] ٢٨٣٢ - حدثنا أبو النعمان قال حدثنا جرير بن حازم قال سمعت الحسن يقول حدثنا عمرو بن تغلب قال: قال النبي صلى الله عليه: «إن من أشراط الساعة أن تُقاتلوا قوماً ينتعلون نعال الشعر، وإن من أشراط الساعة أن تُقاتلوا قوماً عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة».

[الحديث ٢٩٢٧ - طرفه في: ٣٥٩٢].

[٢٩٢٨] ٢٨٣٣ - حدثني سعيد بن محمد قال حدثنا يعقوب قال حدثني أبي عن صالح عن الأعرج قال: قال أبو هريرة: قال: رسول الله صلى الله عليه: «لا تقوم الساعة حتى تُقاتلوا الترك، صغار الأعين حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة. ولا تقوم الساعة حتى تُقاتلوا قوماً نعالهم الشعر».

[الحديث ٢٩٢٨ - أطرافه في: ٢٩٢٩، ٣٥٨٧، ٣٥٩٠، ٣٥٩١].

قوله (باب قتال الترك) اختلف في أصل الترك، فقال الخطابي: هم بنو قنطوراء أمة كانت لإبراهيم عليه السلام. وقال كراع: هم الديلم. وتعقب بأنهم جنس من الترك، وكذلك الغز. وقال أبو عمرو: هم من أولاد يافث وهم أجناس كثيرة. وقال وهب بن منبه، هم بنو عم يأجوج ومأجوج، لما بنى ذو القرنين السد كان بعض يأجوج ومأجوج غائبين فتركوا لم يدخلوا مع قومهم فسموا الترك. وقيل أنهم من نسل تبع، وقيل من ولد أفريدون بن سام بن نوح، وقيل ابن يافث لصلبه، وقيل ابن كومي بن يافث. ذكر فيه حديثين أحدهما حديث عمرو بن تغلب بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام بعدها موحدة، والحسن هو البصري، والإسناد كله بصريون.

قوله (من أشراط الساعة) زاد الكشميهني في أوله «أن».

قوله (ينتعلون نعال الشعر) ، هذا والحديث الذي بعده ظاهر في أن الذين ينتعلون الشعر غير الترك. وقد وقع للإسماعيلي من طريق محمد بن عباد قال: بلغني أن أصحاب بابك كانت نعالهم الشعر. قلت: بابك بموحدين مفتوحتين وآخره كاف يقال له الحرمي بضم المعجمة وتشديد الراء المفتوحة، وكان من طائفة من الزنادقة استباحوا المحرمات، وقامت لهم شوكة كبيرة في أيام المأمون، وغلبوا على كثير من بلاد العجم كطبرستان والري، إلى أن قتل بابك المذكور في أيام المعتصم، وكان خروجه في سنة إحدى ومائتين أو قبلها، وقتله في سنة اثنتين وعشرين.

قوله (المجان) بالجيم وتشديد النون جمع مجن، وقد تقدم ذكره قبل أبواب. والمطرقة التي ألبست الأشرطة من الجلود وهي الأغشية، تقول طارقت بين النعلين أي جعلت إحداها على الأخرى. وقال الهروي: هي التي أطرقت بالعصب أي ألبست به. ثانيهما حديث أبي هريرة في ذلك.

باب قتال الذين ينتعلون الشعر

٢٨٣٤ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة».

قال سفيان: وزاد فيه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رواية: «صغار الأعين، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة».

قوله (باب قتال الذين ينتعلون الشعر) ذكر فيه حديث أبي هريرة المذكور من وجه آخر .

قوله (قال سفيان وزاد فيه أبو الزناد) هو موصول بالإسناد المذكور ، وأخطأ من زعم أنه معلق ، وقد وصله الإسماعيلي من طريق محمد بن عباد عن سفيان بالإسنادين معاً .

قوله (رواية) هو عوض عن قوله «عن النبي صلى الله عليه وسلم» وقد وقع عند الإسماعيلي من طريق محمد بن عباد عن سفيان بلفظ «عن النبي صلى الله عليه وسلم» ووقع في الباب الذي قبله من وجه آخر عن الأعرج بلفظ «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» وزاد فيه «حر الوجوه» ولم يذكر «صغار الأعين» وقوله «ذلف الأنوف» أي صغارها ، والعرب تقول أملح النساء الذلف ، وقيل الذلف الاستواء في طرف الأنف ، وقيل قصر الأنف وانبطاحه ، وسيأتي بقية شرح هذا الحديث في علامات النبوة إن شاء الله تعالى .

باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر

٢٨٣٥ - حدثنا عمرو بن خالد الحراني قال حدثنا زهير قال حدثنا أبو إسحاق قال سمعت البراء - وسأله رجل: أكنتم فررتُم يا أبا عمارَةَ يوم حنين - قال: لا والله، ما ولى رسول الله صلى الله عليه ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفافهم حُسراً ليس بسلاح، فأتوا قوماً رماة جمع هوازن وبني نصر، ما يكاد لهم يسقط سهم، فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هنالك إلى النبي صلى الله عليه وهو على بغلته البيضاء وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقودُ به، فنزل واستنصر ثم قال: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب». ثم صف أصحابه.

قوله (باب من صف أصحابه عند الهزيمة) أي صف من ثبت معه بعد هزيمة من انهزم . ذكر فيه حديث البراء في قصة حنين ، وهو ظاهر فيما ترجم له ، ووقع في آخره «ثم صف أصحابه وذلك بعد أن نزل واستنصر والمراد بقوله واستنصر أي استنصر الله بعد أن رمى الكفار بالتراب ، وسيأتي شرح ذلك مستوفى في كتاب المغازي إن شاء الله تعالى .

باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة

[٢٩٣١] ٢٨٣٦ - حدثنا إبراهيم بن موسى قال أخبرنا عيسى قال أخبرنا هشام عن محمد عن عبيدة عن علي قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله صلى الله عليه: «ملا الله بيوتهم وقبورهم ناراً، شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس».

[الحديث ٢٩٣١ - أطرافه في: ٤١١١، ٤٥٣٣، ٦٣٩٦].

[٢٩٣٢] ٢٨٣٧ - حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن ابن ذكوان عن الأعرج عن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه يدعو في القنوت: «اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج عيَّاش بن أبي ربيعة، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين. اللهم اشد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف».

[٢٩٣٣] ٢٨٣٨ - حدثنا أحمد بن محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد أنه سمع عبد الله بن أبي أوفى يقول: دعا رسول الله صلى الله عليه يوم الأحزاب على المشركين فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم».

[الحديث ٢٩٣٣ - أطرافه في: ٢٩٦٥، ٣٠٢٥، ٤١١٥، ٦٣٩٢، ٧٤٨٩].

[٢٩٣٤] ٢٨٣٩ - حدثنا عبد الله بن أبي شيبه قال حدثنا جعفر بن عون قال حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: كان النبي صلى الله عليه يصلي في ظل الكعبة، فقال أبو جهل وناس من قريش، ونحرت جزور بناحية مكة فأرسلوا فجاؤوا من سلاها وطرحوا عليه، فجاءت فاطمة فألقته عنه، قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، لأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأبي ابن خلف وعقبة بن أبي معيط». قال عبد الله: فلقد رأيتهم في قليب بدر قتلوا. قال أبو إسحاق: ونسيت السابغ. قال أبو عبد الله قال يوسف بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق. أمية بن خلف. وقال شعبة: أمية أو أبي، والصحيح أمية.

[٢٩٣٥] ٢٨٤٠ - حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن

عائشة أن اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك، فلعنّتهم. فقال: «مالك؟» قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «فلم تسمعي ما قلت: عليكم».

[الحديث ٢٩٣٥ - أطرافه في: ٦٠٢٤، ٦٠٣٠، ٦٢٥٦، ٦٣٩٥، ٦٤٠١، ٦٩٢٧].

قوله (باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة) ذكر فيه خمسة أحاديث : الأول حديث علي « لما كان يوم الأحزاب » الحديث .

قوله (عن هشام) هو الدستوائي ، وزعم الأصيلي أنه ابن حسان ، ورام بذلك بضعيف الحديث فأخطأ من وجهين ، وتجاسر الكرمانى فقال : المناسب أنه هشام بن عروة . وسيأتى شرح هذا الحديث مستوفى في تفسير سورة البقرة إن شاء الله تعالى ، وفيه الدعاء عليهم بأن يملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ، وليس فيه الدعاء عليهم بالهزيمة ، لكن يؤخذ ذلك من لفظ الزلزلة لأن في إحراق بيوتهم غاية الزلزل لفوسهم . ثانياً حديث أبي هريرة في الدعاء في القنوت وفيه « اللهم اشدّد وطأتك على مضر » ودخوله في الرحمة بطريق العموم . لأن شدة الوطأة يدخل تحتها ما ترجم به ، فإن المراد اشدّد عليهم البأس والعقوبة والأخذ الشديد . وابن ذكوان المذكور في الإسناد هو أبو الزناد واسمه عبد الله ، وقد تقدم من وجه آخر في كتاب الوتر ، ويأتى شرحه مستوفى في التفسير إن شاء الله تعالى . ثالثاً حديث ابن أبي أوفى ، وهو ظاهر فيما ترجم له ، والمراد الدعاء عليهم إذا انهزموا أن لا يستقر لهم قرار . وقال الداودي : أراد أن تطيش حقولهم ، وترعد أقدامهم عند اللقاء فلا يثبتوا . وقد ذكر الإسماعيلي من وجه آخر زيادة في هذا الدعاء ، وسيأتى التنبيه عليها في « باب لا تتمنوا لقاء العدو » إن شاء الله تعالى . رابعاً حديث عبد الله بن مسعود في قصة الجزور التي نحرّت بمكة وفيه « اللهم عليك بقريش » وفيه ما قررته في الحديث الثاني .

قوله (قال أبو إسحق) هو بالإسناد المذكور ، وكأنه لما حدث سفيان بهذا الحديث كان نسي السابع . وقول المصنف « قال يوسف بن أبي إسحق عن أبي إسحق : أمية بن خلف ، وقال شعبة : أمية أو أبي » والصحيح أمية » أراد بذلك أن أبا إسحق حدث به مرة فقال أبي بن خلف وهذه رواية سفيان وهو الثوري هنا ، وحدث به أخرى فقال أمية وهي رواية شعبة وحدث به أخرى فشك فيه . ويوسف المذكور هو ابن إسحق بن أبي إسحق نسبه إلى جده ، وقد وصل المصنف حديثه بطوله في الطهارة ، وطريق شعبة وصلها المؤلف أيضاً في كتاب المبعث ، وقد بينت في الطهارة أن إسرائيل روى عن أبي إسحق هذا الحديث فسمى السابع وذكرت ما فيه من البحث . خامساً حديث عائشة في قصة اليهود وفيه « فلم تسمعي ما قلت وعلّيك » وكأنه أشار إلى ما ورد في بعض طرقه في آخره « يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا » ، وقد ذكرها الإسماعيلي هنا من الوجه الذي أخرجه البخاري ، ففيه مشروعية الدعاء على المشركين ولو خشي الداعي أنهم يدعون عليه ، وسيأتى الكلام عليه مستوفى في كتاب الاستئذان إن شاء الله تعالى .

باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب أو يعلمهم الكتاب؟

[٢٩٣٦] ٢٨٤١ - حدثنا إسحاق قال أخبرنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه كتب إلى قيصر وقال: «فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين».

[الحديث ٢٩٣٦ - طرفه في: ٢٩٤٠].

قوله (باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب أو يعلمهم الكتاب) المراد بالكتاب الأول التوراة والإنجيل ، وبالكتاب الثاني ما هو أعم منهما ومن القرآن وغير ذلك . وأورد فيه طرفاً من حديث ابن عباس في شأن هرقل ، وقد ذكره بعد بابين من وجه آخر عن ابن شهاب بطوله ؛ وإسحق شيخه فيه هو ابن منصور ، وهذه الطريق أهلها المزي في الأطراف وإرشادهم منه ظاهر ، وأما تعليمهم الكتاب فكأنه استنبطه من كونه كتب إليهم بعض القرآن بالعربية وكأنه سلطهم على تعليمه إذ لا يقرءونه حتى يترجم لهم ولا يترجم لهم حتى يعرف المترجم كيفية استخراجها ، وهذه المسألة مما اختلف فيه السلف فنفع مالك من تعليم الكافر القرآن ، ورخص أبو حنيفة ، واختلف قول الشافعي . والذي يظهر أن الراجح التفصيل بين من يرجى منه الرغبة في الدين والدخول فيه مع الأمن منه أن يتسلط بذلك إلى الطعن فيه ، وبين من يتحقق أن ذلك لا ينجح فيه أو يظن أنه يتوصل بذلك إلى الطعن في الدين والله أعلم . ويفرق أيضاً بين القليل منه والكثير كما تقدم في أوائل كتاب الحيض .

باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم

[٢٩٣٧] ٢٨٤٢ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب قال حدثنا أبو الزناد أن عبد الرحمن قال: قال أبو هريرة: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي صلى الله عليه فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس. فقال: «اللهم اهد دوساً وائت بهم».

[الحديث ٢٩٣٧ - طرفاه في: ٤٣٩٢، ٦٣٩٧].

قوله (باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم) ذكر فيه حديث أبي هريرة في قدوم الطفيل بن عمرو الدوسي وقول النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم اهد دوساً» وهو ظاهر فيما ترجم له ، وقوله «ليتألفهم» من تفقه المصنف إشارة منه إلى الفرق بين المقامين ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان تارة يدعو عليهم وتارة يدعو لهم ، فالحالة الأولى حيث تشدد شركتهم ويكثر أذاهم كما تقدم في الأحاديث التي قبل هذا بباب ، والحالة الثانية حيث تؤمن غائلتهم ويرجى تألفهم كما في قصة دوس وسيأتي شرح الحديث المذكور في المغازي إن شاء الله تعالى .

باب دَعْوَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَعَلَى مَا يُقَاتِلُونَ عَلَيْهِ؟

وما كتب النبي صلى الله عليه إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال.

[٢٩٣٨] ٢٨٤٣ - حدثنا علي بن الجعد قال أخبرنا شعبة عن قتادة قال: سمعت أنس بن مالك

يقول: لما أراد النبي صلى الله عليه أن يكتب إلى الروم قيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، كاني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه: محمد رسول الله.

[٢٩٣٩] ٢٨٤٤ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا الليث قال حدثني عقيل عن ابن شهاب

قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن عباس أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه بعث بكتابه إلى كسرى، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين يدفعه عظيم البحرين إلى كسرى. فلما قرأه كسرى خرّقه، فحسبت أن سعيد بن المسيّب قال: فدعا عليهم النبي صلى الله عليه أن يمزقوا كل ممزق.

قوله (باب دعوة اليهود والنصارى) أي إلى الإسلام، وقوله (وعلى ما يقاتلون) إشارة إلى أن ما ذكر في الباب الذي بعده عن علي حيث قال «تقاتلوهم حتى يكونوا مثلنا» وفيه أمره صلى الله عليه وسلم له بالنزول بساحتهم ثم دعائهم إلى الإسلام ثم القتال، ووجه أخذه من حديثي الباب أنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى الروم يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يتوجه إلى مقاتلتهم.

قوله (وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر) قد ذكر ذلك في الباب مسنداً، وقوله والدعوة قبل القتال كأنه يشير إلى حديث ابن عون في إغارة النبي صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق على غرة، وهو متخرج عنده في كتاب الفتن وهو محمول عند من يقول باشتراط الدعاء قبل القتال على أنه بلغتهم الدعوة، وهي مسألة خلافية: فذهب طائفة منهم عمر بن عبد العزيز إلى اشتراط الدعاء إلى الإسلام قبل القتال، وذهب الأكثر إلى أن ذلك كان في بدء الأمر قبل انتشار دعوة الإسلام، فإن وجد من لم تبلغه الدعوة لم يقاتل حتى يدعى، نص عليه الشافعي. وقال مالك: من قربت داره قوتل بغير دعوة لاشتهار الإسلام، ومن بعدت داره فالدعوة أقطع للشك. وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن أبي عثمان النهدي أحد كبار التابعين قال: كنا ندعو وندع. قلت: وهو منزل على الحاليين المتقدمين. ثم ذكر في الباب حديثين: أحدهما حديث أنس في اتخاذ الخاتم، وسيأتي الكلام عليه مستوفى في كتاب اللباس. ثانيهما حديث ابن عباس «أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث كتابه إلى كسرى» وسيأتي شرحه في أواخر المغازي، وفيه أن المبعوث به كان عبد الله بن حذافة السهمي، ونذكر هناك ما يتعلق بكسرى وما المراد بعظيم البحرين. وفي الحديث الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة وأن الكتابة تقوم مقام النطق. وفيه إرشاد المسلم إلى الكافر وأن العادة جرت بين الملوك بترك قتل الرسل ولهذا مزق كسرى الكتاب ولم يتعرض للرسول.

باب دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالنُّبُوَّةِ

وَأَنْ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ الآية

[٢٩٤٠] ٢٨٤٥ - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ دَحِيَّةَ الْكَلْبِيِّ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ، وَكَانَ قَيْصَرٌ لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارَسَ مَشَى مِنْ حَمَصٍ إِلَى إِيْلِيَاءَ شُكْرًا لِمَا أَبْلَاهُ اللَّهُ، فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (١) قَالَ حِينَ قَرَأَهُ: التَّمَسُّوا لِي هَاهُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ لِأَسْأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنَّهُ كَانَ بِالشَّامِ فِي رَجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا تِجَارَةً فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ. قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: فَوَجَدْنَا رَسُولَ قَيْصَرَ بِبَعْضِ الشَّامِ، فَانْطَلَقَ بِي وَبِأَصْحَابِي حَتَّى قَدِمْنَا إِيْلِيَاءَ، فَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلَسِ مُلْكِهِ وَعَلَيْهِ التَّاجُ، وَإِذَا حَوْلُهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ. فَقَالَ لَتَرْجُمَانَهُ: سَلَهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا. قَالَ: مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟ فَقُلْتُ: هُوَ ابْنُ عَمٍّ. وَلَيْسَ فِي الرُّكْبِ يَوْمئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي. فَقَالَ قَيْصَرٌ: أَدْنُوهُ. وَأَمَرَ بِأَصْحَابِي فَجَعَلُوا خَلْفَ ظَهْرِي عِنْدَ كَتْفِي. ثُمَّ قَالَ لَتَرْجُمَانَهُ: قُلْ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا الرَّجُلَ عَنِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَ فَكَذَّبُوهُ. قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: وَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ يَوْمئِذٍ مِنْ أَنْ يَأْثُرَ أَصْحَابِي عَنِي الْكَذْبَ لَحَدَّثْتُ عَنِي حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الْكَذْبَ عَنِي فَصَدَّقْتُهُ. ثُمَّ قَالَ لَتَرْجُمَانَهُ: قُلْ لَهُ: كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا. فَقَالَ: كُنْتُمْ تَتَهَمُونَهُ عَلَى الْكَذْبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مُلْكٍ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَأَشْرَافَ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعْفَاؤُهُمْ؟ قُلْتُ: بَلْ ضَعْفَاؤُهُمْ. قَالَ: فَيَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ يَغْدُرُ؟ قُلْتُ:

(١) الرقمان ٢٩٤٠ و ٢٩٤١ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين .

لا ونحن الآن منه في مدة نحن نخاف أن يغدر. قال أبو سفيان: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً أتقصه به - لا أخاف أن يؤثر عني - غيرها. قال: فهل قاتلتموه وقاتلكم؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان حربه وحربكم؟ قلت: كان دولاً وسجلاً: يدال علينا المرة ونُدال عليه الأخرى. قال: فماذا يأمركم به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشارك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة. فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له: إني سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال هذا القول أحد قبلك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله قلت: رجل يأتى بقول قد قيل قبله. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك هل كان من آباءه من ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آباءه ملك قلت: يطلب ملك آباءه. وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم. وسألتك هل يرد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخلط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد. وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون. وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمت أن قد فعل، وأن حربكم وحربه يكون دولاً، يدال عليكم المرة وتداولون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبلى وتكون لها العاقبة. وسألتك بماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشاركوا به شيئاً، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصدقة والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبي قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يك ما قلت حقاً فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقيه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه. قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه فقري، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ﴿١﴾ ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا

نشارك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿١﴾. قال أبو سفيان: فلما أن قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لغطهم، فلا أدري ماذا قالوا. وأمر بنا فأخرجنا. فلما أن خرجت مع أصحابي وخلوت بهم قلت لهم: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، هذا ملك بني الأصفر يخافه. قال أبو سفيان: والله ما زلت ذليلاً مستيقناً بأن أمره سيظهر، حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره.

[٢٩٤٢] ٢٨٤٦ - حدثنا عبد الله بن مسلمة قال حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل ابن سعد: سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يفتح على يديه، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: «أين علي؟» ف قيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم».

[الحديث ٢٩٤٣ - أطرافه في: ٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠].

[٢٩٤٣] ٢٨٤٧ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إسحاق عن حميد قال سمعت أنساً يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يغر حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار بعد ما يصبح. فنزلنا خيبر ليلاً.

[٢٩٤٤] ٢٨٤٨ - حدثنا قتيبة قال حدثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا..

[٢٩٤٥] ٢٨٤٩ - قال وحدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن حميد عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى خيبر فجاءها ليلاً - وكان إذا جاء قوماً بليل لا يغير عليهم حتى يصبح - فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

[٢٩٤٦] ٢٨٥٠ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه، وحسابه على الله» رواه عمر وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله (باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، وقوله تعالى ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ﴾ الآية) أورد فيه أحاديث : أحدها حديث ابن عباس في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر ، وفيه حديث عن أبي سفيان بن حرب وقد تقدم بطوله في بدء الوحي والكلام عليه مستوفى ، وهو ظاهر فيما ترجم به ، ويأتى شيء من الكلام عليه في تفسير سورة آل عمران إن شاء الله تعالى . وأما قوله تعالى ﴿ ما كان لبشر ﴾ فالمراد من الآية الإنكار على من قال ﴿ كونوا عباداً لى من دون الله ﴾ ومثلها قوله تعالى ﴿ يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ الآية . ثانيها حديث مهمل بن سعد في إعطاء عليّ الراية يوم خيبر ، وسيأتى شرحه في المغازى ، والغرض منه قوله « ثم ادعهم إلى الإسلام » . ثالثها حديث أنس في ترك الإغارة على من سمع منهم الأذان ، ذكره من وجهين ، وسيأتى وشرحه في غزوة خيبر أيضاً ، وهو دال على جواز قتال من بلغته الدعوة بغير دعوة ، فيجمع بينه وبين حديث سهل الذي قبله بأن الدعوة مستحبة لا شرط ، وفيه دلالة على الحكم بالدليل لكونه كف عن القتال بمجرد سماع الأذان ، وفيه الأخذ بالأحوط في أمر الدعاء لأنه كف عنهم في تلك الحالة مع احتمال أن لا يكون ذاك على الحقيقة ، ووقع هنا « فلما أصبح خرجت يهود خيبر بمساحيهم » ووقع في رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عند مسلم « فأتيناهم حين بزغت الشمس » ويجمع بأنهم وصلوا أول البلد عند الصبح فزلوا فصلوا فتوجهوا ، وأجرى النبي صلى الله عليه وسلم فرسه حينئذ في زقاق خيبر كما في الرواية الأخرى فوصل في آخر الزقاق إلى أول الحصون حين بزغت الشمس . رابعها حديث أبي هريرة « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » الحديث ، وهو ظاهر فيها ترجم له أولاً حيث قال « وعلام تقاتلون » وقد مضى شرحه في كتاب الإيمان في الكلام على حديث ابن عمر ، لكن في حديث ابن عمر زيادة إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وقد وردت الأحاديث بذلك زائداً بعضها على بعض ، ففي حديث أبي هريرة الاقتصار على قول لا إله إلا الله ، وفي حديثه من وجه آخر عند مسلم « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » وفي حديث ابن عمر ما ذكرت ، وفي حديث أنس الماضي في أبواب القبلة « فإذا صلوا واستقبلوا وأكلوا ذبيحتنا » قال الطبري وغيره : أما الأول فقال في حالة قتاله لأهل الأوثان الذين لا يقرون بالتوحيد ، وأما الثاني فقال في حالة قتال أهل الكتاب الذين يعترفون بالتوحيد ويحسدون نبوته عموماً أو خصوصاً . وأما الثالث ففيه الإشارة إلى أن من دخل في الإسلام وشهد بالتوحيد وبالنبوة ولم يعمل بالطاعات أن حكمهم أن يقاتلوا حتى يدعوا إلى ذلك ، وقد تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك في أبواب القبلة .

قوله (رواه عمر وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم) أى مثل حديث أبي هريرة ، أما رواية عمر فوصلها المؤلف في الزكاة ، وأما رواية ابن عمر فوصلها المؤلف في الإيمان .

ب من أراد غزوةً فوراً بغيرها ، ومن أحب الخروج يوم الخميس

٢٨٥١ - حدثنا يحيى بن بكير قال حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال

أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب - وكان قائد كعب من بنيه - قال : سمعت كعب بن مالك حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه ، ولم يكن يريد رسول الله صلى الله عليه غزوة إلا ورى بغيرها .

[٢٩٤٨] ٢٨٥٢ - حدثنا أحمد بن محمد قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يونس عن الزهري قال

أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يقول : كان رسول الله صلى الله عليه قلمًا يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للمسلمين أمره ليتأهبوا أهبة عدوهم ، وأخبرهم بوجهه الذي يريد .

[٢٩٤٩] ٢٨٥٣ - وعن يونس عن الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن كعب

ابن مالك كان يقول : لقلما كان رسول الله صلى الله عليه يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس .

[٢٩٥٠] ٢٨٥٤ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا هشام قال أخبرنا معمر عن الزهري عن

عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه خرج يوم الخميس في غزوة تبوك ، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس .

قوله (باب من أراد غزوة فوري بغيرها ، ومن أحب الخروج إلى السفر يوم الخميس) أما الجملة الأولى فعني « ورى » ستر وتستر في إظهار شيء مع إرادة غيره ، وأصله من الوري بفتح ثم سكون وهو ما يجعل وراء الإنسان لأن من وري بشيء كأنه جعله وراءه ، وقيل هو في الحرب أخذ العدو على غرة وقبده السراي في شرح سيويه بالهمزة قال : وأصحاب الحديث لم يضبطوا فيه الهمزة وكأنهم سهلوها . وأما الخروج يوم الخميس فلعل سببه ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم « بورك لأمتي في بكورها يوم الخميس » وهو حديث ضعيف أخرجه الطبراني من حديث نبيط بنون وموحدة مصغر ابن شريط بفتح المعجمة أوله . وكونه صلى الله عليه وسلم كان يحب الخروج يوم الخميس لا يستلزم المواظبة عليه لقيام مانع منه ، وصيأتي بعد باب أنه خرج في بعض أسفاره يوم السبت . ثم أورد المصنف أطرافاً من حديث كعب بن مالك الطويل في قصة غزوة تبوك ظاهرة فيما ترجم له ، وروى سعيد بن منصور عن مهدي بن ميمون عن واصل مولى أبي عتيبة قال « بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر أحب أن يخرج يوم الخميس » . وقوله في الطريق الثانية « وعن يونس عن الزهري » هو موصول بالإسناد الأول عن عبد الله وهو ابن المبارك عن يونس ، ووهم من زعم أن الطريق الثانية معلقة ، وقد أخرجه الإسماعيلي من وجه آخر عن ابن المبارك عن

يونس بالحديثين جميعاً بالوجهين ، نعم توقف الدارقطني في هذه الرواية التي وقع فيها التصريح بسماع عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك من جده وقد أوضحت ذلك في المقدمة . والحاصل أن رواية الزهري للجملة الأولى هي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، وروايته للجملة الثانية المتعلقة بيوم الخميس هي عن عمه عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، وقد سمع الزهري منهما جميعاً ، وحدث يونس عنه بالحديثين مفصلاً ، وأراد البخاري بذلك دفع الهم واللبس عن يظن فيه اختلافاً ، وسيأتي مزيد بسط لذلك في المغازي إن شاء الله تعالى .

باب الخروج بعد الظهر

[٢٩٥١] ٢٨٥٥- حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس : أن النبي صلى الله عليه صلى بالمدينة الظهر أربعاً ، والعصر بذي الحليفة ركعتين ، وسمعتهم يصرخون بهما جميعاً .

قوله (باب الخروج بعد الظهر) ذكر فيه حديث أنس وقد تقدم في الحج ، وكأنه أورده إشارة إلى أن قوله صلى الله عليه وسلم « بورك لأمتي في بكورها » لا يمنع جواز التصرف في غير وقت البكور ، وإنما خص البكور بالبركة لكونه وقت النشاط ، وحديث « بورك لأمتي في بكورها » أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان من حديث صخر الغامدي بالغين المعجمة ، وقد اعتنى بعض الحفاظ بجمع طرقه فبلغ عدد من جاء عنه من الصحابة نحو العشرين نفساً .

باب الخروج آخر الشهر

وقال كريب عن ابن عباس : انطلق النبي صلى الله عليه من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة وقدم مكة لأربع ليال خلوّن من ذي الحجة .

[٢٩٥٢] ٢٨٥٦- حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة تقول : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه لخمس ليال بقين من ذي القعدة ولا نرى إلا الحج ، فلما دنونا من مكة أمر رسول الله صلى الله عليه من لم يكن معه هدي إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة أن يحل . قالت عائشة : فدخل علينا يوم النحر بلحم بقر ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : نحر رسول الله صلى الله عليه عن أزواجه . قال يحيى : فذكرت هذا الحديث للقاسم بن محمد فقال : أتتك والله بالحديث على وجهه .

قوله (باب الخروج آخر الشهر) أي رداً على من كره ذلك من طريق الطيرة ، وقد نقل ابن بطال أن

أهل الجاهلية كانوا يتحرون أوائل الشهور للأعمال ، ويكرهون التصرف في محاق القمر .

قوله (وقال كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة لخمس بقين) هو طرف من حديث وصله المصنف في الحج . ثم أورد حديث عمرة عن عائشة في ذلك ، وقد مضى الكلام عليهما في كتاب الحج ، وفيه استعمال الفصيح في التاريخ وهو مادام في النصف الأول من الشهر يؤرخ بما خلا ، وإذا دخل النصف الثاني يؤرخ بما بقي ، وقد استشكل قول ابن عباس وعائشة « أنه خرج لخمس بقين » لأن ذا الحجة كان أوله الخميس للاتفاق على أن الوقفة كانت الجمعة فيلزم من ذلك أن يكون خرج يوم الجمعة ، ولا يصح ذلك لقول أنس في الحديث الذي قبله « أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعاً ثم خرج » وأجيب بأن الخروج كان يوم السبت ، وإنما قال الصحابة « لخمس بقين » بناء على العدد ، لأن ذا القعدة كان أوله الأربعاء فاتفق أن جاء ناقصاً ، فجاء أول ذى الحجة الخميس ، فظهر أن الذي كان بقي من الشهر أربع لا خمس ، كذا أجاب به جمع من العلماء ، ويحتمل أن يكون الذي قال لخمس بقين أراد ضم يوم الخروج إلى ما بقي لأن التأهب وقع في أوله وإن اتفق التأخير إلى أن صليت الظهر ، فكأنهم لما تأهبوا باتوا ليلة السبت على سفر اعتلوا به من جملة أيام السفر . والله أعلم .

باب الخروج في رمضان

٢٨٥٧ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال حدثني الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : خرج النبي صلى الله عليه في رمضان فصام حتى بلغ الكديد أفطر . [٢٩٥٣]
قال سفيان : قال الزهري أخبرني عبيد الله عن ابن عباس . . وساق الحديث .
قال أبو عبد الله : هذا قول الزهري وإنما يقال بالآخر من فعل رسول الله صلى الله عليه .
قوله (باب الخروج في رمضان) ذكر فيه حديث ابن عباس في ذلك ، وقد مضى شرحه في كتاب الصيام ، وأراد به رفع وهم من يتوهم كراهة ذلك .

باب التوديع

٢٨٥٨ - قال : وقال ابن وهب أخبرني عمرو عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة أنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه في بعث فقال لنا : « إن لقيتم فلاناً وفلاناً - لرجلين من قريش سمأهما - فحرقوهما بالنار » . ثم قال : ثم أتينا نودعه حين أردنا الخروج فقال : « إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ، فإن أخذتموهما فاقتلوهما » . [٢٩٥٤]

قوله (باب التوديع) عند السفر أى أعم من أن يكون من المسافر للمقيم أو عكسه ، وحديث الباب ظاهر للأول ، ويؤخذ الثانى منه بطريق الأولى ، وهو الأكثر فى الوقوع .

قوله (وقال ابن وهب الخ) وصله النسائى والإسماعيلى من طريقه ، وسيأتى موصولا للمصنف من وجه آخر ويأتى شرحه هناك بعد اثنين وأربعين باباً ، وفيه تسمية من أبهم فى هذا .

باب السَّمْع والطَّاعَةِ للإمام

[٢٩٥٥] ٢٨٥٩ - حدثنا مُسَدَّدٌ قال حدثنا يحيى عن عُبيدِ اللَّهِ قال حدثني نافع عن ابنِ عمرَ عن النَّبيِّ صلى الله عليه . وحدثنا مُحَمَّدُ بنُ صَبَّاحٍ قال حدثنا إِسماعيلُ بنُ زكريا عن عُبيدِ اللَّهِ عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ عن النَّبيِّ صلى الله عليه قال : « السَّمْعُ والطَّاعَةُ حقٌّ ، ما لم يؤمرْ بمعصيةٍ ، فإذا أمرَ بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة » .

[الحديث ٢٩٥٥ - طرفه فى : ٧١٤٤] .

قوله (باب السمع والطاعة للإمام) زاد فى رواية الكشميهى مالم يأمر بمعصية ، والإطلاق محمول عليه كما هو فى نص الحديث . ثم ساق حديث ابن عمر فى ذلك من وجهين ، وساقه على لفظ الرواية الثانية ، وسيأتى الكلام عليه فى كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى ، وساقه هنا بلفظ الرواية الأولى ، وقيد الترجمة هناك بما وقع هنا فى رواية الكشميهى ، وقوله « فلا سمع ولا طاعة » بالفتح فهما ، والمراد نفي الحقيقة الشرعية لا الوجودية .

باب يُقاتِلُ مَنْ وَرَاءَ الإمام، وَيُتَّقَى بِهِ

[٢٩٥٦] ٢٨٦٠ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب قال حدثنا أبو الزناد أن الأعرجَ حدثه أنه سمعَ أبا هريرة أنه سمعَ رسولَ الله صلى الله عليه يقول : « نحنُ الآخرونُ السابقون » .

[٢٩٥٧] ٢٨٦١ - وبهذا الإسناد « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله . ومن يُطع الأميرَ فقد أطاعني ، ومن يعص الأميرَ فقد عصاني . وإنما الإمامُ جُنَّةٌ يُقاتلُ من ورائه ، ويُتَّقَى به . فإن أمرَ بتقوى وعدلَ فإنَّ له بذلك أجراً ، وإن قال بغيره فإنَّ عليه منه » .

[الحديث ٢٩٥٧ - طرفه فى : ٧١٣٧] .

قوله (باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به) يقاتل بفتح المنة ، ولم يزد البخارى على لفظ الحديث . والمراد به المقاتلة للدفع عن الإمام ، سواء كان ذلك من خلفه حقيقة أو قدامه ، ووراء يطلق على المعنيين . قوله (نحن الآخرون السابقون) وبهذا الإسناد « من أطاعني فقد أطاع الله » الحديث ، الجملة الأولى طرف من حديث سبق بيانه فى كتاب الجمعة ، وسبق فى الطهارة أن عادته فى إيراد هذه النسخة - وهي

شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة - أن يصدر بأول حديث فيها ويعطف الباقي عليه لكونه سمعها هكذا ، وأن مسلماً في نسخة معمر عن همام عن أبي هريرة سلك طريقاً نحو هذه ، فإنه يقول في أول كل حديث منها : فذكر أحاديث منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيت وكيت . وتكلف ابن المنير فقال : وجه مطابقة الترجمة لقوله « نحن الآخرون السابقون » الإشارة إلى أنه الإمام وأنه يجب على كل أحد أن يقاتل عنه وينصره ، لأنه وإن تأخر في الزمان لكنه متقدم في أخذ العهد على كل من تقدمه أنه إن أدرك زمانه أن يؤمن به وينصره ، فهم في الصورة أمامه وفي الحقيقة خلفه فناسب ذلك قوله « يقاتل من ورائه لأنه أعم من أن يراد بها الخلف أو الأمام . وقوله فيه « وإن قال بغيره فإن عليه منه » كذا هنا ، قيل استعمل القول بمعنى الفعل حيث قال « فإن قال بغيره » كذا قال بعض الشراح ، وليس بظاهر فإنه قسم قوله : « فإن أمر » فيحمل على أن المراد وأن أمر ، والتعبير عن الأمر بالقول لا إشكال فيه . وقيل معنى « قال » هنا حكم ، ثم قيل إنه مشتق من القيل بفتح القاف وسكون التحتانية وهو الملك الذي ينفذ حكمه بلفظ حمير ، وقوله « فإن عليه منه » أي وزراً وحذف في هذه الرواية على طريق الاكتفاء للدلالة مقابلة عليه ، وقد ثبت في غير هذه الرواية كما سيأتي إن شاء الله تعالى . ويحتمل أن يكون « من » في قوله « فإن عليه منه » تبعيضية ، أي فإن عليه بعض ما يقول ، وفي رواية أبي زيد المروزي « منه » بضم الميم وتشديد النون بعدها هاء تأنيث ، وهو تصحيف بلا ريب ، وبالأول جزم أبو ذر . وقوله « إنما الإمام جنة » بضم الجيم أي ستر ، لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويكف أذى بعضهم عن بعض . والمراد بالإمام كل قائم بأمور الناس والله أعلم . وسيأتي بقية شرحه في كتاب الأحكام .

باب البيعة في الحرب ألا يفرّوا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَلَى الْمَوْتِ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ .

[٢٩٥٨] ٢٨٦٢ - حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا جويرية عن نافع قال : قال ابن عمر : رجعنا من العام المقبل ، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها ، كانت رحمة من الله عز وجل . فسألت نافعاً : على أي شيء بايعهم ، على الموت ؟ قال : لا ، بايعهم على الصبر .

[٢٩٥٩] ٢٨٦٣ - حدثنا موسى قال حدثنا وهيب قال حدثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد قال : لما كان زمن الحرة أتاه آت فقال له : إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت . فقال : لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه .

[الحديث ٢٩٥٩ - طرفه في : ٤١٦٧] .

[٢٩٦٠] ٢٨٦٤ - حدثنا المكي بن إبراهيم قال حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال : بايعت

النبي صلى الله عليه وسلم عدلت إلى ظل شجرة، فلما خف الناس قال: «يا ابن الأكوع ألا تبائع؟» قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله، قال: «وأيضاً». فبايعته الثانية. فقلت له: يا أبا مسلم على أي شيء كنتم تبائعون يومئذ؟ قال: على الموت.

[الحديث ٢٩٦٠ - أطرافه في: ٤١٦٩، ٧٢٠٦، ٧٢٠٨].

[٢٩٦١] ٢٨٦٥ - حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا شعبة عن حميد قال سمعت أنس بن مالك يقول: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيننا أبداً

فأجابهم فقال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأكرم الأنصار والمهاجرة».

[٢٩٦٢] ٢٨٦٦ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم سمع محمد بن فضيل عن عاصم عن أبي عثمان عن

[٢٩٦٣] مجاشع قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأخي فقلت: بايعنا على الهجرة، فقال: مضت الهجرة لأهلها. فقلت: على ما تبائعنا؟ قال: «على الإسلام والجهاد».

[الحديث ٢٩٦٢ - أطرافه في: ٣٨٠٧، ٤٣٠٥، ٤٣٠٧].

[الحديث ٢٩٦٣ - أطرافه في: ٣٠٧٩، ٤٣٠٦، ٤٣٠٨].

قوله (باب البيعة في الحرب على أن لا يفروا ، وقال بعضهم على الموت) كأنه أشار إلى أن لاتنافي بين الروايتين لاحتمال أن يكون ذلك في مقامين ، أو أحدهما يستلزم الآخر .

قوله (لقوله تعالى ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين ﴾ الآية) قال ابن المنير : أشار البخارى بالاستدلال بالآية إلى أنهم بايعوا على الصبر ، ووجه أخذه منها قوله تعالى ﴿ فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ﴾ والسكينة الطمأنينة في موقف الحرب ، فدل ذلك على أنهم أضمروا في قلوبهم أن لا يفروا فأعانهم على ذلك ، وتعقب بأن البخارى إنما ذكر الآية عقب القول الصائر إلى أن المبايعة وقعت على الموت ، ووجه انتزاع ذلك منها أن المبايعة فيها مطلقة ، وقد أخبر سلمة بن الأكوع - وهو ممن بايع تحت الشجرة - أنه بايع على الموت ، فدل ذلك على أنه لاتنافي بين قولهم بايعوه على الموت وعلى عدم الفرار ، لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا ، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد ، وهو الذى انكره نافع وعدل إلى قوله « بل بايعهم على الصبر » أى على الثبات وعدم الفرار سواء أفضى بهم ذلك إلى الموت أم لا ، والله أعلم . وسيأتى في المغازى موافقة المسيب بن حزن - والد سعيد - لابن عمر على خفاء الشجرة ، وبيان الحكمة في ذلك وهو أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير ، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها

قوة نفع أو ضرر كما نراه الآن مشاهداً فيما هو دونها ، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله « كانت رحمة من الله » أى كان خفاؤها عليهم بعد ذلك رحمة من الله تعالى . ويحتمل أن يكون معنى قوله رحمة من الله أى كانت الشجرة موضع رحمة الله ومحل رضوانه لنزول الرضا عن المؤمنين عندها . ثم ذكر فيه خمسة أحاديث : أحدها حديث ابن عمر « رجعنا من العام المقبل فما أجمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا - أى النبي صلى الله عليه وسلم - تحتها » أى فى عمرة الحديبية .

قوله (فسألنا نافعاً) قائل ذلك هو جويرية بن أسماء الراوى عنه ، وقد تعقبه الإسماعيلي بأن هذا من قول نافع وليس بمسند ، وأجيب بأن الظاهر أن نافعاً إنما جزم بما أجاب به لما فهمه عن مولاه ابن عمر فيكون مسنداً بهذه الطريقة . ثانياً حديث عبد الله بن زيد أى ابن عاصم الأنصارى المازنى .

قوله (لما كان زمن الحرة) أى الواقعة التى كانت بالمدينة فى زمن يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قوله (أن ابن حنظلة) أى عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر الذى يعرف أبوه بغسيلي الملائكة ، والسبب فى تلقيبه بذلك أنه قتل بأحد وهو جنب ففسلته الملائكة ، وعلقت امرأته تلك الليلة بابنه عبد الله بن حنظلة ، فمات النبي صلى الله عليه وسلم وله سبع سنين وقد حفظ عنه . وأتى الكرماني بأعجوبة فقال : ابن حنظلة هو الذى كان يأخذ البيعة ليزيد بن معاوية ، والمراد به نفس يزيد لأن جده أبا سفيان كان يكنى أيضاً أبا حنظلة فيكون التقدير أن ابن أبى حنظلة ، ثم حذف لفظ أبى تخفيفاً أو يكون نسب إلى عمه حنظلة بن أبى سفيان استخفافاً واستهجاناً واستبشاعاً بهذه الكلمة المرة انتهى . ولقد أطال رحمه الله فى غير طائل ، وأتى بغير الصواب . ولو راجع موضعاً آخر من البخارى لهذا الحديث بعينه لرأى فيه مانصه « لما كان يرم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال عبد الله بن زيد : علام يبايع حنظلة الناس ؟ » الحديث . وهذا الموضع فى أثناء غزوة الحديبية من كتاب المغازى ، فهذا يرد احتمال الثانى ، وأما احتمال الأول فيرده اتفاق أهل النقل على أن الأمير الذى كان من قبل يزيد بن معاوية اسمه مسلم بن عقبة لا عبد الله بن حنظلة ، وأن ابن حنظلة كان الأمير على الأنصار ، وأن عبد الله بن مطيع كان الأمير على من سواهم وأنهما قتلا جميعاً فى تلك الواقعة . والله المستعان .

قوله (لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيه إيماء إلى أنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وليس بصريح ، ولذلك عقبه المصنف بحديث سلمة بن الأكوع لتصريحه فيه بذلك . قال ابن المنير : والحكمة فى قول الصحابي إنه لا يفعل ذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان مستحقاً للنبي صلى الله عليه وسلم على كل مسلم أن يقيه بنفسه ، وكان فرضاً عليهم أن لا يفروا عنه حتى يموتوا دونه ، وذلك بخلاف غيره . ثالثاً حديث سلمة فقوله « فقلت له يا أبا مسلم » هى كنية سلمة بن الأكوع ، والقائل « فقلت » الراوى عنه وهو يزيد بن أبى عبيد مولاه ، وهذا الحديث أحد ثلاثيات البخارى ، وقد أخرجه فى الأحكام أيضاً ويأتى الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى . قال ابن المنير : الحكمة فى تكراره البيعة لسلمة أنه كان مقدماً فى الحرب فأكد عليه العقد احتياطاً . قلت : أو لأنه كان يقاتل قتال الفارس والراجل فتعددت البيعة بتعدد الصفة . رابعاً حديث أنس « كانت الأنصار يوم الخندق تقول : نحن الذين بايعوا

محمدًا ، على الجهاد ما بقينا أبداً » وهو ظاهر فيما ترجم به ، وقد تقدم موصولاً في أوائل الجهاد ، ويأتى الكلام عليه في المغازى إن شاء الله تعالى . خامسها حديث مجاشع وهو ابن مسعود ، وأخوه اسمه مجالد بجمع ، وسيأتى الكلام عليه في المغازى في غزوة الفتح إن شاء الله تعالى .

باب عزم الإمام على الناس فيما يطيقون

[٢٩٦٤]

٢٨٦٧- حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل قال : قال عبد الله : لقد أتاني اليوم رجل فسألني عن أمر ما دريت ما أردت عليه قال : رأيته رجلاً مؤدياً نشيطاً يخرج مع أمرائنا في المغازي ، فيعزم علينا في أشياء لا نحصيها . فقلت له : والله ما أدري ما أقول لك ، إلا أنا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ألا يعزم علينا في أمر إلا مرة حتى نفعله ، وإن أحدكم لن يزال بخير ما اتقى الله . وإذا شك في نفسه شيء سأل رجلاً فشفاه منه ، وأوشك أن لا تجدوه . والذي لا إله إلا هو ، ما أذكر ما غبر من الدنيا إلا كالثغب شرب صفوه ، وبقي كدره .

قوله (باب عزم الإمام على الناس فيما يطيقون) المراد بالعزم الأمر الجازم الذي لا تردد فيه ، والذي يتعلق به الجار والمجرور محذوف تقديره مثلاً محله ، والمعنى وجوب طاعة الإمام محله فيما لهم به طاقة .

قوله (قال عبد الله) أى ابن مسعود ، وهذا الإسناد كله كوفيون .

قوله (أتاني اليوم رجل) لم أقف على اسمه .

قوله (مؤدياً) بهمة ساكنة وتحتانية خفيفة أى كامل الأداء أى أداة الحرب ، ولا يجوز حذف الهمزة منه لثلاثي بصير من أودى إذا هلك . وقال الكرماني : معناه قوياً ، وكأنه فسرهُ باللازم . وقوله « نشيطاً » بنون وبمعجمة من النشاط .

قوله (نخرج مع أمرائنا) كذا في الرواية بالنون من قوله نخرج ، وعلى هذا فالمراد بقوله رجلاً أحدنا ، أو هو محذوف الصفة أى رجلاً منا ، وعلى هذا عرل الكرماني لأن السياق يقتضي أن يقول مع امرأته ، وفيه حينئذ التفات . ويحتمل أن يكون بالتحذانية بدل النون وفيه أيضاً التفات .

قوله (لا نحصيها) أى لا نطبقها لقوله تعالى ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾ وقيل لاندري أمى طاعة أم معصية ، والأول مطابق لما فهم البخاري فترجم به ، والثاني موافق لقول ابن مسعود « وإذا شك في نفسه شيء سأل رجلاً فشفاه منه » ، أى من تقوى الله أن لا يقدم المرء على ما يشك فيه حتى يسأل من عنده علم فيدله على ما فيه شفاؤه . وقوله « شك نفسه في شيء » من المقلوب ، إذ التقدير : وإذا شك نفسه في شيء ، أو ضمن شك معنى لصق ، والمراد بالشئ ما يتردد في جوازه وعدمه . وقوله ، حتى يفعله « غاية لقوله « لا يعزم » أو للعزم الذي يتعلق به المستثنى وهو مرة . والحاصل أن الرجل سأل ابن مسعود عن حكم طاعة الأمير فأجابهُ ابن مسعود بالوجوب بشرط أن يكون المأمور به موافقاً لتقوى الله تعالى .

قوله (ماغبر) بمجمة وموحدة مفتوحين أى مضى ، وهو من الاضداد يطلق على ماضى وعلى مابنى ، وهو هنا محتمل للإمرين . قال ابن الجوزى : هو بالماضى هنا أشبه كقوله « ما أذكر » . والثغب بمثلثة مفتوحة ومعجمة ساكنة ويجوز فتحها . قال الفراز : وهو أكثر ، وهو الغدير يكون فى ظل فيرد ماؤه ويروق ، وقيل هو ما يختفره السيل فى الأرض المنخفضة فيصير مثل الأخدود فيبقى الماء فيه فتصفقه الريح فيصير صافياً بارداً ، وقيل هو نفرة فى صخرة يبقى فيها الماء كذلك ؛ فشبه ما مضى من الدنيا بما شرب من صفوه ، وما بقى منها بما تأخر من كدره . وإذا كان هذا فى زمان ابن مسعود وقد مات هو قبل مقتل عثمان ووجود تلك الفتن العظيمة فإذا يكون اعتقاده فيما جاء بعد ذلك وهلم جرا ؟ وفى الحديث أنهم كانوا يعتقدون وجوب طاعة الإمام ، وأما توقف ابن مسعود عن خصوص جوابه وعدوله إلى الجواب العام فللإشكال الذى وقع له من ذلك ، وقد أشار إليه فى بقية حديثه ، ويستفاد منه التوقف فى الافتاء فيما أشكل من الأمر كما لو أن بعض الأجناد استفتى أن السلطان عينه فى أمر مخوف بمجرد التشهى وكلفه من ذلك ما لا يطيق ، فن أجابه بوجوب طاعة الإمام أشكل الأمر لما وقع من الفساد ، وأن أجابه بجواز الامتناع أشكل الأمر لما قد يفضى به ذلك إلى الفتنة ، فالصواب التوقف عن الجواب فى ذلك وأمثاله . والله الهادى إلى الصواب .

ب

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ آخِرَ الْقِتَالِ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ

[٢٩٦٥] ٢٨٦٨ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمِ أَبِي النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ قَالَ : كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي أَوْفَى فَقَرَأَتْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا أَنْتَظَرُ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السَّيْفِ . ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ مَنْزِلَ الْكِتَابِ ، وَمُجْرِي السَّحَابِ ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ ، اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ » .

قوله (باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس) أى لأن الرياح تهب غالباً بعد الزوال فيحصل بها تبريد حدة السلاح والحرب وزيادة فى النشاط . أورد فيه حديث عبد الله بن أبي أوفى بمعنى ما ترجم به ؛ لكن ليس فيه « إذا لم يقاتل أول النهار » وكأنه أشار بذلك إلى ما ورد فى بعض طرقه ، فعند أحمد من وجه آخر عن موسى بن عقبة بهذا الإسناد « أنه كان صلى الله عليه وسلم يحب أن ينهض إلى عدوه عند زوال الشمس » ولسعید بن منصور من وجه آخر عن ابن أبي أوفى « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمهل إذا زالت الشمس ثم ينهض إلى عدوه » وللمصنف فى الجزية من حديث النعمان بن

مقرن « كان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تهب الأرواح وتحضر الصلوات » وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان من وجه آخر وصحاه ، وفي روايتهم « حتى تزول الشمس وتهب الأرواح وينزل النصر » فيظهر أن فائدة التأخير لكون أوقات الصلاة مظنة لإجابة الدعاء ، وهبوب الريح قد وقع النصر به في الأحزاب فصار مظنة لذلك والله أعلم . وقد أخرج الترمذي حديث النعمان بن مقرن من وجه آخر عنه لكن فيه انقطاع ، ولفظه يوافق ماقلته قال « غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا طلع الفجر أمسك حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قاتل ، فإذا انتصف النهار أمسك حتى تزول الشمس فإذا زالت الشمس قاتل ، فإذا دخل وقت العصر أمسك حتى يصلحها ثم يقاتل ، وكان يقال : عند ذلك تهب رياح النصر ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلاتهم » .

(فنيه) وقع في رواية الإسماعيلي من هذا الوجه زيادة في الدعاء ، وسيأتي التنبيه عليها في « باب لا تتموا لقاء العدو » مع بقية الكلام على شرحه إن شاء الله تعالى .

باب استئذان الرجل الإمام

لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ ﴾ الآية .
 ٢٨٦٩ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أخبرنا جرير عن المغيرة عن الشعبي عن جابر ابن عبد الله قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه ، قال : فتلاحق بي النبي صلى الله عليه وأنا على ناضح لنا قد أعيا فلا يكاد يسير ، فقال لي : « ما لبعيرك ؟ » قال : قلت : عيا . قال : فتخلف رسول الله صلى الله عليه فزجره ودعا له ، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير ، فقال لي : « كيف ترى بعيرك ؟ » قال : قلت : بخير ، قد أصابته بركتك . قال : « أفتبيعني » قال : فاستحييت ، ولم يكن لنا ناضح غيره ، قال : فقلت : نعم . قال : فبعته إياه على أن لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة . قال : قلت : يا رسول الله ، إني عروس ، فاستأذنته فأذن لي ، فتقدمت الناس إلى المدينة ، حتى أتيت المدينة فلقيني خالي فسألني عن البعير فأخبرته بما صنعت به فلامني . قال : وقد كان رسول الله صلى الله عليه قال لي حين استأذنته : « هل تزوجت بكراً أم ثيباً ؟ » فقلت : تزوجت ثيباً . فقال : « هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك ؟ » قلت : يا رسول الله ، توفي والدي - أو استشهد - ولي أخوات صغار ، فكرهت أن أتزوج مثلهن فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن ، فتزوجت ثيباً لتقوم عليهن وتؤدبهن . قال : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه المدينة غدوت عليه بالبعير ، فأعطاني ثمنه ورده علي ، وقال مغيرة : هذا في قضائنا حسن لا نرى به بأساً .

قوله (باب استئذان الرجل) أي من الرعية (الإمام) أي في الرجوع أو التخلف عن الخروج أو نحو ذلك .

قوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) قال ابن التين : هذه الآية احتج بها الحسن على أنه ليس لأحد أن يذهب من العسكر حتى يستأذن الأمير ، وهذا عند سائر الفقهاء كان خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كذا قال ، والذي يظهر أن الخصوصية في عموم وجوب الاستئذان ، وإلا فلو كان ممن عينه الإمام فطراً له ما يقتضي التخلف أو الرجوع فإنه يحتاج إلى الاستئذان . ثم أورد فيه حديث جابر في قصة جملة وقد تقدم شرحه في كتاب الشروط ، والغرض منه هنا قوله « إني عروس فاستأذنته فإذا ن لي » وسيأتي الكلام على ما يتعلق بتزويجه في النكاح .

(تنبيه) : قوله في آخر هذا الحديث « قال المغيرة : هذا في قضائنا حسن لا نرى به بأسا » هذا موصول بالإسناد المذكور إلى المغيرة ، وهو ابن مقسم الضبي أحد فقهاء الكوفة ، ومراده بذلك ما وقع من جابر من اشتراط ركوب جملة إلى المدينة . وأغرب الداودي فقال : مراده جواز زيادة الغريم على حقه ، وأن ذلك ليس خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد تعقبه ابن التين بأن هذه الزيادة لم ترد في هذه الطريق هنا ، وهو كما قال .

باب من غزا وهو حديث عهد بعرضه

فيه جابر عن النبي صلى الله عليه عليه .

قوله (باب من غزا وهو حديث عهد بعرضه) بكسر العين أي بزواجه ، وبضمها أي بزمان عرسه . وفي رواية الكشميني « بعرض » وهو يؤيد الاحتمال الثاني .

قوله (فيه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم) يشير إلى حديثه المذكور في الباب قبله وأن ذلك في بعض طرقه ، وسيأتي في أوائل النكاح من طريق سيار عن الشعبي بلفظ « فقال ما يعجلك ؟ قلت : كنت حديث عهد بعرض » الحديث .

باب من اختار الغزو بعد البناء

فيه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه عليه .

قوله (باب من اختار الغزو بعد البناء) فيه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم) يشير إلى حديثه الآتي في الخمس من طريق همام عنه فقال « غزا نبي من الأنبياء . فقال : لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة ولما بين بها » الحديث وسيأتي شرحه هناك ، وترجم عليه في النكاح « من أحب البناء بعد الغزو » وساق الحديث . والغرض هنا من ذلك أن يتفرغ قلبه للجهاد ويقبل عليه بنشاط ، لأن الذي يعقد عقده على امرأة يبقى متعلقاً بالخاطر بها ، بخلاف ما إذا دخل بها فإنه يصير الأمر في حقه أخف غالباً ، ونظيره الاشتغال بالأكل قبل الصلاة .

(تنبيهان) أحدهما : أورد الداوي هذه الترجمة محرفة ثم اعترضها ، وذلك أنه وقع عنده « باب من اختار الغزو قبل البناء » فاعترضه بأن الحديث فيه أنه اختار البناء قبل الغزو . قالت : وعلى تقدير صحة ما وقع

عند الداودي فلا يلزمه الاعتراض ، لأنه أورد الترجمة مورد الاستفهام فكأنه قال : ما حكم من اختار الغزو قبل البناء هل يمنع كما دل عليه الحديث ، أو يسوغ ؟ ويحمل الحديث على الأولوية . ثانيهما : قال الكرمانى كأنه اكتفى بالإشارة إلى هذا الحديث لأنه لم يكن عن شرطه . قلت : ولم يستحضر أنه أورد موصولا في مكان آخر كما سيأتى قريباً . والجواب الصحيح أنه جرى على عادته الغالبة في أنه لا يعيد الحديث الواحد إذا اتحد مخرجه في مكانين بصورته غالباً ، بل يتصرف فيه بالاختصار ونحوه في أحد الموضعين .

باب مبادرة الإمام عند الفرع

[٢٩٦٨] ٢٨٧٠ - حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة قال حدثني قتادة عن أنس بن مالك قال : كان بالمدينة فرع ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة فقال : « ما رأينا من شيء وإن وجدناه لبحراً » .

قوله (باب مبادرة الإمام عند الفرع) ذكر فيه حديث أنس في ركوب النبي صلى الله عليه وسلم فرس أبي طلحة وقد تقدم الكلام عليه في الهبة ، ومضى مراراً منها في « باب الشجاعة في الحرب » .

باب السرعة والركض في الفرع

[٢٩٦٩] ٢٨٧١ - حدثنا الفضل بن سهل قال حدثنا حسين بن محمد قال حدثنا جرير بن حازم عن محمد عن أنس بن مالك قال : فرع الناس فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة بطيئاً ، ثم خرج يركض وحده ، فركب الناس يركضون خلفه فقال : « لم تراعوا ، إنه لبحر » فما سبق بعد ذلك اليوم .

قوله (باب السرعة والركض في الفرع) ذكر فيه حديث أنس المذكور من وجه آخر وقد تقدم ، ومحمد المذكور في إسناده هو ابن سيرين .

باب الخروج في الفرع وحده

قوله (باب الخروج في الفرع وحده) كذا ثبتت هذه الترجمة بغير حديث ، وكأنه أراد أن يكتب فيه حديث أنس المذكور من وجه آخر فاخترم قبل ذلك . قال الكرمانى : ويحتمل أن يكون اكتفى بالإشارة إلى الحديث الذى قبله ، كذا قال وفيه بعد ، وقد ضم أبو على بن شويه هذه الترجمة إلى التى بعدها فقال « باب الخروج في الفرع وحده والجعائل الخ » وليس في أحاديث باب الجعائل مناسبة لذلك أيضاً ، إلا أنه يمكن حمله على ما قلت أولاً . قال ابن بطال : جملة ما في هذه التراجم أن الإمام ينبغي له أن يشع بنفسه لما في ذلك من النظر للمسلمين ، إلا أن يكون من أهل الغناء الشديد والثبات البالغ فيحتمل أن يسوغ له ذلك ، وكان في النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ما ليس في غيره ، ولا سيما مع ما علم أن الله يعصمه وينصره .

باب الجعائل والحملان في السبيل

وقال مُجاهدٌ: قُلت لابنِ عمرَ: الغزو. قال: إني أحبُّ أن أُعينك بطائفة من مالي. قُلت: أوسعَ الله عليَّ. قال: إنَّ غناكَ لك، وإني أحبُّ أن يكونَ من مالي في هذا الوجه. وقال عمرُ: إنَّ ناساً يأخذونَ من هذا المال ليُجاهدوا، ثمَّ لا يجاهدون، فمن فعل فنحنُ أحقُّ بماله حتى نأخذَ منه ما أخذَ. وقال طاوسٌ ومجاهدٌ: إذا دُفعَ إليك شيءٌ تخرجُ به في سبيلِ الله فاصنع به ما شئتَ وضعه عندَ أهلك. [٢٩٧٠] ٢٨٧٢ - حدثنا الحميديُّ قال حدثنا سفيانُ قال سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ سألَ زيدَ بنَ أسلمَ، فقالَ زيدٌ: سمعتُ أبي يقولُ: قالَ عمرُ بنُ الخطابِ: حَمَلْتُ على فرسٍ في سبيلِ الله، فرأيتُهُ يباعُ، فسألتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله: فقلتُ: «لا تشتريه ولا تعد في صدقتك».

[٢٩٧١] ٢٨٧٣ - حدثنا إسماعيلُ قال حدثني مالكٌ عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ: أنَّ عمرَ حملَ على فرسٍ في سبيلِ الله فوجده يباعُ، فأرادَ أن يبتاعه فسألَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله فقال: «لا تبتعه ولا تعد في صدقتك».

[٢٩٧٢] ٢٨٧٤ - حدثنا مُسَدَّدٌ قال حدثنا يحيى بن سعيدٍ عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاري قال حدثني أبو صالح قال سمعتُ أبا هريرة قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «لولا أن أشقَّ على أمتي ما تخلفتُ عن سرية، ولكن لا أجدُ حمولة، ولا أجدُ ما أحملُهم عليه، ويشقُّ عليَّ أن يتخلفوا عني، ولوددتُ أني قاتلتُ في سبيلِ الله فقتلتُ ثمَّ أحييتُ، ثمَّ قُلتُ ثمَّ أحييتُ».

قوله (باب الجعائل والحملان في السبيل) الجعائل بالجيم جمع جميلة وهي ما يجعله القاعد من الأجرة لمن يغزو عنه، والحملان بضم المهمله وسكون الميم مصدر كالحمل، تقول حمل حملاً وحملانا، قال ابن بطال: إن أخرج الرجل من ماله شيئاً فتطوع به أو أعان الغازي على غزوه بفرس ونحوها فلا نزاع فيه، وإنما اختلفوا فيما إذا أجر نفسه أو فرسه في الغزو فكره ذلك مالك وكره أن يأخذ جعلاً على أن يتقدم إلى الحصن، وكره أصحاب أبي حنيفة الجعائل إلا أن كان بالمسلمين ضعف وليس في بيت المال شيء، وقالوا إن أعان بعضهم بعضاً جاز لا على وجه البدل. وقال الشافعي: لا يجوز أن يغزو بجعل يأخذه، وإنما يجوز من السلطان دون غيره، لأن الجهاد فرض كفاية فمن فعله وقع عن الفرض ولا يجوز أن يستحق على غيره عوضاً انتهى. ويؤيده ما رواه عبد الرزاق من طريق ابن سيرين عن ابن عمر قال «يمتع القاعد الغازي بما شاء، فأما أنه يبيع غزوه فلا» ومن وجه آخر عن ابن سيرين: سئل ابن عمر عن الجعائل فكرهه وقال «أرى الغازي يبيع غزوه، والجاعل يفر من غزوه» والذي يظهر أن البخاري أشار إلى الخلاف فيما يأخذه الغازي: هل يستحقه بسبب الغزو فلا يتجاوز به إلى غيره أو يملكه فيتصرف فيه بما شاء كما سيأتي بيان ذلك.

قوله (وقال مجاهد قلت لابن عمر الغزو) هو بالنصب على الإغراء والتقدير عليك الغزو ، أو على حذف فعل أى أريد الغزو ، وفي رواية الكشميهني « أتغزو » بالاستفهام . وهذا الأثر وصله في المغازي في غزوة الفتح بمعناه ، وسيأتي بيانه هناك ، ونبه به على مراد ابن عمر بالأثر الذي رواه عنه ابن سيرين وأنه لا يكره إعانة الغازي .

قوله (وقال عمر الخ) وصله ابن أبي شيبة من طريق أبي إسحق سليمان الشيباني عن عمرو بن قرعة قال : جاءنا كتاب عمر بن الخطاب إن ناساً ، فذكر مثله . قال أبو إسحق : فقصت إلى أسير بن عمرو فحدثته بما قال ، فقال : صدق ، جاءنا كتاب عمر بذلك . وأخرجه البخاري في تاريخه من هذا الوجه وهو إسناد صحيح .

قوله (وقال طاووس ومجاهد الخ) وصله ابن أبي شيبة بمعناه عنهما . ثم أورد المصنف في الباب ثلاثة أحاديث أحدها حديث عمر في قصة الفرس الذي حمل عليه فوجده يباع ، الحديث ، وقد تقدم شرحه في الهبة . ثانيها حديث ابن عمر في هذه القصة نفسها وقد تقدم أيضاً . ثالثها حديث أبي هريرة في التحريض على الغزو ، وقد تقدم في أول الجهاد . ووجه دخول قصة فرس عمر من جهة أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر المحمول عليه على التصرف فيه بالبيع وغيره فدل على تقوية ما ذهب إليه طاووس من أن للآخذ التصرف في المأخوذ . وقال ابن المنير : كل من أخذ مالا من بيت المال على عمل إذا أهمل العمل يرد ما أخذ ، وكذا الأخذ على عمل لا يتأهل له ، ويحتاج إلى تأويل ما ذهب إليه عمر في الأمر المذكور بأن يحمل على الكراهة ، وقد قال سعيد بن المسيب من أعان بشيء في الغزو فإنه للذي يعطاه إذا بلغ رأس المغزى ، أخرجه ابن أبي شيبة وغيره وروى مالك في الموطأ عن ابن عمر « إذا بلغت وادي القرى فشأنك به » أي تصرف فيه ، وهو قول الليث والثوري . ووجه دخول حديث أبي هريرة أنه متعلق بالركن الثاني من الترجمة وهو الحملان في سبيل الله لقوله أولا « ولا أجد ما أحملهم عليه » .

باب الأجير

وقال الحسن وابن سيرين : يُقسم للأجير من المغنم . وأخذ عطية بن قيس فرساً على النصف ، فبلغ سهم الفرس أربعمائة دينار ، فأخذ مائتين وأعطى صاحبه مائتين .

٢٨٧٥ - حدثنا عبد الله بن محمد قال سفيان قال حدثنا ابن جريج عن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فحملت على بكر ، فهو أوثق أجمالي في نفسي ، فاستأجرت أجييراً فقاتل رجلاً فعض أحدهما الآخر ، فانتزع يده من فيه ونزع ثنيته ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأهدرها وقال : « أيدفع يده إليك فتقضمها كما يقضم الفحل » .

قوله (باب الأجير) للأجير في الغزو حالان : إما أن يكون استؤجر للخدمة أو استؤجر ليقاتل ،

فالأول قال الأوزاعي وأحمد وإسحق : لا يسهم له ، وقال الأكثر : يسهم له لحديث سلمة « كنت أجيراً لطلحة أسوس فرسه » أخرجه مسلم ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أسهم له ، وقال الثوري : لا يسهم للأجير إلا أن قاتل ، وأما الأجير إذا استؤجر ليقاتل فقال المالكية والحنفية : لا يسهم له ، وقال الأكثر : له سهمه . وقال أحمد : واستأجر الإمام قوماً على الغزو لم يسهم لهم سوى الأجرة . وقال الشافعي : هذا فيمن لم يجب عليه الجهاد ، أما الحر البالغ المسلم إذا حضر الصف فإنه يتعين عليه الجهاد فيسهم له ولا يستحق أجرة . قوله (وقال الحسن وابن سيرين : يقسم للأجير من المغم) وصله عبد الرزاق عنهما بلفظ « يسهم للأجير » ووصله ابن أبي شيبة عنهما بلفظ « العبد والأجير إذا شهدا القتال أعطوا من الغنيمة » .

قوله (وأخذ عطية بن قيس فرساً على النصف الخ) وهذا الصنيع جائز عند من يجيز المخابرة ، وقال بصحته هنا الأوزاعي وأحمد خلافاً للثلاثة ، وقد تقدمت مباحث المخابرة في كتاب المزارعة ثم ذكر المصنف حديث صفوان بن يعلى عن أبيه ، وهو يعلى بن أمية قال « غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك » الحديث ، وسيأتي شرحه في القصاص ؛ والغرض منه قوله « فاستأجرت أجيراً » قال المهلب : استنبط البخاري من هذا الحديث جواز استئجار الحر في الجهاد ، وقد خاطب الله المؤمنين بقوله « واعلموا أنما غنم من شيء فإن لله خمسة في الآية فدخل الأجير في هذا الخطاب ، قلت : وقد أخرج الحديث أبو داود من وجه آخر عن يعلى بن أمية أوضح من الذي هنا ولفظه « أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو ، وأنا شيخ ليس لي خادم ، فالتفت أجيراً يكفيني وأجرى له سهمي ، فوجدت رجلاً ، فلما دنا الرحيل أتاني فقال : ما أدري ما سهمك وما يبلغ ، فسم لي شيئاً كان السهم أو لم يكن ، فسميت له ثلاثة دنائير » الحديث . وقوله في هذه الرواية « فهو أوثق أعمالى » ؛ في رواية السرخسي أحمالى بالمهمله ، وللمستملى بالجيم ، والذي قاتل الأجير هو يعلى بن أمية نفسه كما رواه مسلم من حديث عمران بن حصين .

(تنبيهان) : الأول وقع في رواية المستملى بين أثر عطية بن قيس وحديث يعلى بن أمية « باب استعارة الفرس في الغزو » ، وهو خطأ لأنه يستلزم أن يخلو باب الأجير من حديث مرفوع ، ولا مناسبة بينه وبين حديث يعلى بن أمية ، وكأنه وجد هذه الترجمة في الطرة خالية عن حديث فظن أن هذا موضعها . وإن كان كذلك فحكمها حكم الترجمة الماضية قريباً وهي « باب الخروج في الفرع وحده » وكأنه أراد أن يورد فيه حديث أنس في قصة فرس أبي طلحة أيضاً فلم يتفق ذلك ، ويقوى هذا أن ابن شويه جعل هذه الترجمة مستقلة قبل « باب الأجير » بغير حديث ، وأوردها الإسماعيلي عقب باب الأجير وقال : لم يذكر فيها حديثاً . ثانيهما : وقع في رواية أبي ذر تقديم « باب الجعائل » وما بعده إلى هنا وآخر ذلك الباقيون وقدموا عليه « باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وسلم » . والخطب فيه قريب .

باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه

٢٨٧٦ - حدثنا سعيد بن أبي مريم قال حدثنا الليث قال أخبرني عقيل عن ابن شهاب

قال أخبرني ثعلبة بن أبي مالك القرظي: أن قيس بن سعد الأنصاري - وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه - أراد الحج فرجل.

[٢٩٧٥] ٢٨٧٧ - حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن

سلمة بن الأكوع قال: كان عليّ تخلف عن النبي صلى الله عليه في خيبر وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه. فخرج عليّ فلاحق بالنبي صلى الله عليه. فلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها فقال رسول الله صلى الله عليه: «لأعطين الراية - أو ليأخذن - غداً رجل يحب الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه». فإذا نحن بعلي وما نرجوه. فقالوا: هذا عليّ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه ففتح الله عليه.

[الحديث ٢٩٧٥ - طرفاه في: ٣٧٠٢، ٤٢٠٩].

[٢٩٧٦] ٢٨٧٨ - حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن

نافع ابن جبير قال: سمعت العباس يقول للزبير: ها هنا أمرك النبي صلى الله عليه أن تركز الراية.

قوله (باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وسلم) اللواء بكسر اللام والمد هي الراية، ويسمى أيضاً العلم، وكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه، وقال أبو بكر بن العربي: اللواء غير الراية، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح. وقيل اللواء دون الراية، وقيل اللواء العلم الضخم. والعلم علامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار، والراية يتولاها صاحب الحرب. وجنح الترمذي إلى التفرقة فترجم بالألوية وأورد حديث جابر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض» ثم ترجم للرايات وأورد حديث البراء «أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء مربعة من نمر» وحديث ابن عباس «كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض» أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأخرج الحديث أبو داود والنسائي أيضاً، ومثله لابن عدي من حديث أبي هريرة، ولأبي يعلى من حديث بريدة، وروى أبو داود من طريق سماك عن رجل من قومه عن آخر منهم «رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء» ويجمع بينها باختلاف الأوقات، وروى أبو يعلى عن أنس رفعه «أن الله أكرم أمي بالألوية» إسناده ضعيف، وبي الشيخ من حديث ابن عباس «كان مكتوباً على رايته: لا إله إلا الله محمد رسول الله» وسنده واه. وقيل كانت له راية تسمى العقاب سوداء مربعة، وراية تسمى الراية البيضاء، وربما جعل فيها شيء أسود. وذكر المصنف في الباب ثلاثة أحاديث. أحدها:

قوله (عن ثعلبة بن أبي مالك) تقدم ذكره في «باب حمل النساء القرب في الغزو»:

قوله (أن قيس بن سعد) أى ابن عبادة الصحابي ابن الصحابي وهو سيد الخزرج ابن سيدهم ، وسيأتي للمصنف من حديث أنس في الأحكام أنه كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة .

قوله (وكان صاحب لواء النبي صلى الله عليه وسلم) أى الذى يختص بالخزرج من الأنصار ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مغازيه يدفع إلى رأس كل قبيلة لواء يقاتلون تحته . وأخرج أحمد بإسناد قوى من حديث ابن عباس « أن راية النبي صلى الله عليه وسلم كانت تكون مع علي ، وراية الأنصار مع سعد ابن عبادة » الحديث .

قوله (أراد الحج فرجل) هو بتشديد الجيم وأخطأ من قالها بالمهمله ، واقتصر البخارى على هذا القدر من الحديث لأنه موقوف وليس من غرضه في هذا الباب وإنما أراد منه أن قيس بن سعد كان صاحب اللواء النبوى ولا يتقرر في ذلك إلا بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا القدر هو المرفوع من الحديث تاماً وهو الذى يحتاج إليه هنا ، وقد أخرج الإسماعيلي الحديث تاماً من طريق الليث التى أخرجها المصنف منها فقال بعد قوله فرجل أحد شقى رأسه « فقام غلام له فقلد هديه ، فنظر قيس هديه وقد قلد فأهل بالحج ولم يرجل شقى رأسه الآخر » وأخرجه من طريق أخرى عن الزهرى بتمامه نحوه ، وفي ذلك مصير من قيس بن سعد إلى أن الذى يريد الإحرام إذا قلد هديه يدخل في حكم المحرم . وقرأت في كلام بعض المتأخرين أن بعض الشارحين تحير في شرح القدر الذى وقع في البخارى ، وتكلف له وجوهاً عجبية ، فليُنظر المراد بالشارح المذكور فإنى لم أقف عليه . ثم رأيت مانقلاً المتأخر المذكور في كلام صاحب « المطالع » وأبهم الشارح الذى تحير وقال : أنه حمل الكلام ما لا يحتمله . وذكر الديمياطى في الحاشية أن البخارى ذكر بقية الحديث في آخر الكتاب وليس في الكتاب شيء من ذلك . ثانياً حديث سلمة بن الأكوع في قصه على يوم خيبر ، وسيأتى شرحه في كتاب المغازى ، والغرض منه قوله « لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله » فإنه مشعر بأن الراية لم تكن خاصة بشخص معين بل كان يعطيها في كل غزوة لمن يريد ، وقد أخرجه أحمد من حديث بريدة بلفظ « إني دافع اللواء إلى رجل يحبه الله ورسوله » الحديث ، وهذا مشعر بأن الراية واللواء سواء . ثالثاً حديث نافع بن جبير « سمعت العباس - أى ابن عبد المطلب - يقول للزبير أى ابن العوام : ههنا أمرك النبي صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية » وهو طرف من حديث أورده المصنف في غزوة الفتح ، وسيأتى شرحه مستوفى هناك ، وأبين هناك إن شاء الله تعالى ما في سياقه من صورة الإرسال والجواب عن ذلك ، وأبين تعيين المكان المشار إليه وأنه الحجون ، وهو بفتح المهمله وضم الجيم الخفيفة ، قال الطبرى : في حديث على أن الإمام يؤمر على الجيش من يوثق بقوته وبصيرته ومعرفته ، وسيأتى بقية شرحه في المغازى إن شاء الله تعالى . وقال المهلب : وفي حديث الزبير أن الراية لا تركز إلا بإذن الإمام ، لأنها علامة على مكانه فلا يتصرف فيها إلا بأمره . وفي هذه الأحاديث استحباب اتخاذ الألوية في الحرب . وأن اللواء يكون مع الأمير أو من يقيمه لذلك عند الحرب ، وقد تقدم حديث أنس « أخذ الراية زيد بن حارثة فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب » الحديث ، ويأتى تمام شرحه في المغازى إن شاء الله تعالى أيضاً .

باب قول النبي صلى الله عليه: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»

وقول الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾

قاله جابر عن النبي صلى الله عليه.

[٢٩٧٧] ٢٨٧٩ - حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال: «بُعِثْتُ بِجِوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ. فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُوتِيَتْ مِفَاتِيحُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي». قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وأنتم تنتشلونها.

[الحديث ٢٩٧٧ - أطرافه في: ٦٩٩٨، ٧٠١٣، ٧٢٧٣].

[٢٩٧٨] ٢٨٨٠ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس أخبره أن أباسفيان أخبره: أن هرقل أرسل إليه - وهو بإيلياء - ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه، فلما فرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر.

قوله (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «نصرت بالرعب مسيرة شهر» وقول الله عز وجل ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قاله جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم) يشير إلى حديثه الذي أوله «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي» فإن فيه «ونصرت بالرعب مسيرة شهر» وقد تقدم شرحه في التيمم، ووقع في الطبراني من حديث أبي أمامة «شهر أو شهرين» وله من حديث السائب بن يزيد «شهر أو شهرين» وظهر لي أن الحكمة في الاختصار على الشهر أنه لم يكن بينه وبين الممالك الكبار التي حوله أكثر من ذلك، كالشام والعراق واليمن ومصر، ليس بين المدينة النبوية للواحدة منها إلا شهر فما دونه، ودل حديث السائب على أن التردد في الشهر والشهرين إما أن يكون الراوي سمعه كما في حديث السائب، وإما أنه لا أثر لتردده، وحديث السائب لا ينافي حديث جابر، وليس المراد بالخصوصية مجرد حصول الرعب بل هو وما ينشأ عنه من الظفر بالعدو. ثم ذكر المصنف في الباب حديثين: أحدهما حديث أبي هريرة الذي أوله «بُعِثْتُ بِجِوَامِعِ الْكَلِمِ» وفيه «ونصرت بالرعب»، وبيننا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض» وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب التعبير إن شاء الله تعالى. وجوامع الكلم القرآن فإنه تقع فيه المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وكذلك يقع في الأحاديث النبوية الكثير من ذلك. ومفاتيح خزائن الأرض المراد منها ما يفتح لأمته من بعده من الفتوح، وقيل المعادن، وقول أبي هريرة «وأنتم تنتشلونها» يؤذن تفتلونها

— من التل بالنون والمثلثة — أى تستخرجونها ، تقول نثلت البئر إذا استخرجت ترايبها . ثانيهما حديث أبي سفيان في قصة هرقل ذكر طرفاً منها ، وقد تقدم بهذا الإسناد بطوله في بدء الوحي ، والغرض منه هنا قوله « أنه يخافه ملك بنى الأصفر » لأنه كان بين المدينة وبين المكان الذى كان يقصر ينزل فيه مدة شهر أو نحوه

ب

حَمَلُ الزَّادِ فِي الْغَزْوِ

وَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾

[٢٩٧٩] ٢٨٨١- حدثنا عبيد بن إسماعيل قال حدثنا أبو أسامة عن هشام قال أخبرني أبي - وحدثني أيضاً فاطمة - عن أسماء قالت: صنعتُ سفرة رسول الله صلى الله عليه في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة. قالت: فلم نجد لسفرتي ولا لسقائه ما نربطهما به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئاً أربط به إلا نطاقي. قال: فشقيبه باثنين فاربطيه؛ بواحد السقاء، وبالأخر السفرة ففعلت، فلذلك سميت ذات النطاقين.

[الحديث ٢٩٧٩ - طرفاه في: ٣٩٠٧، ٥٣٨٨].

[٢٩٨٠] ٢٨٨٢- حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال عمرو أخبرني عطاء سمع جابر ابن عبد الله قال: كنّا نتزود لحوم الأضاحي على عهد النبي صلى الله عليه إلى المدينة.

[٢٩٨١] ٢٨٨٣- حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الوهاب قال سمعت يحيى قال: أخبرني بشير بن يسار أن سويد بن النعمان أخبره: أنه خرج مع النبي صلى الله عليه عام خيبر، حتى إذا كان بالصهباء وهي من خيبر - وهي أدنى خيبر - فصلوا العصر، فدعا النبي صلى الله عليه بالأطعمة، ولم يؤت النبي صلى الله عليه إلا بسويق، فلكنّا فاكلنا وشربنا، ثم قام النبي صلى الله عليه فمضمض ومضمضنا وصلينا.

[٢٩٨٢] ٢٨٨٤- حدثنا بشر بن مرحوم قال حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال: خفت أزواد الناس وأملقوا، فأتوا النبي صلى الله عليه في نحر إبلهم، فأذن لهم، فلقبهم عمر فأخبروه، فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم؟ فدخل عمر على النبي صلى الله عليه فقال: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد إبلهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه: «ناد في الناس يأتون بفضل

أزوادهم» ، فدعا وبرك عليهم ، ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتشى الناس حتى فرغوا ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » .

قوله (باب حمل الزاد في الغزو ، وقول الله عز وجل : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾) أشار بهذه الترجمة إلى أن حمل الزاد في السفر ليس منافياً للتوكل ، وقد تقدم في الحج في تفسير الآية من حديث ابن عباس ما يؤيد ذلك . ثم ذكر فيه أربعة أحاديث : أحدها حديث أسماء بنت أبي بكر في تسميتها ذات النطاقين ، والغرض منه قولها « فلم تجد لسفرتي ولا لسقائي ما نربطهما به » فإنه ظاهر في حمل آلة الزاد في السفر ، وسيأتي الكلام على شرحه في أبواب الهجرة . والنطاق بكسر النون ما تشد به المرأة وسطها ليرتفع به ثوبها من الأرض عند المهنة . ثانيها حديث جابر « كنا نزود لحوم الأضاحي » الحديث ، وسيأتي شرحه في كتاب الأضاحي إن شاء الله تعالى . ثالثها حديث سويد بن النعمان وفيه « فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالأطعمة » وفي رواية مالك « بالأزواد » وقد تقدم في الطهارة مع الكلام عليه ، وقوله في هذه الرواية « فلكنا » بضم اللام أى أدركنا اللقمة في الفم ، وقوله « وشربنا » قال الداودي : لا أراه محفوظاً إلا إن كان أراد المضمضة ، كذا قال ، ويحتمل أن يكون بعضهم استنف السويق وبعضهم جعله في الماء وشربه فلا إشكال ، رابعها حديث سلمة وهو ابن الأكوع « خفت أزواد الناس وأملقوا ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم في نحو إبلهم » الحديث . وهو ظاهر فيما ترجم به ، وقوله فيه « أملقوا » أى فني زادهم ، ومعنى أملق افتقر ، وقد يأتي متعدياً بمعنى أفنى . قوله (فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم في نحر إبلهم) أى بسبب نحر إبلهم ، أو فيه حذف تقديره فاستأذنوه في نحر إبلهم :

قوله (ناد في الناس يأتون) أى فهم يأتون ، ولذلك رقعته ، وزاد في الشركة « فبسط لذلك نطع » وقد تقدم أن فيه أربع لغات فتح النون وكسرها وفتح الطاء وسكونها . قوله (وبرك) بالتشديد أى دعا بالبركة وقوله « عليهم » في رواية الكشميهي « عليه » أى على الطعام ، ومثله في الشركة .

قوله (فاحتشى الناس) بمهملة ساكنة ثم مثناة ثم مثلثة أى أخذوا حثية حثية ، وقوله « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد » إلى آخر الشهادتين أشار إلى أن ظهور المعجزة مما يؤيد الرسالة . وفي الحديث حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإجابته إلى ما يلتمس منه أصحابه ، وإجراؤهم على العادة البشرية في الاحتياج إلى الزاد في السفر ، ومنقبة ظاهرة لعمر دالة على قوة يقينه بإجابة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى حسن نظره للمسلمين . على أنه ليس في إجابة النبي صلى الله عليه وسلم لهم على نحر إبلهم ما يتحتم أنهم ييقون بلا ظهر ، لاحتمال أن يبعث الله لهم ما يحملهم من غنيمة ونحوها ، لكن أجاب عمر إلى ما أشار به لتعجيل المعجزة بالبركة التي حصلت في الطعام . وقد وقع لعمر شبهة بهذه القصة في الماء ، وذلك فيما أخرجه ابن خزيمة وغيره ، وستأتي الإشارة إليه في علامات النبوة . وقول عمر « مابقاؤكم بعد

إيلكم ، أى لأن توالى المشى ربما أفضى إلى الهلاك ، وكان عمر أخذ ذلك من النهى عن الحمر الأهلية يوم خير استبقاء لظهورها ، قال ابن بطال : استنبط منه بعض الفقهاء أنه يجوز للإمام في الغلاء إلزام من عنده ما يفضل عن قوته أن يخرج للبيع لما في ذلك من صلاح الناس ، وفي حديث سلمة جواز المشورة على الإمام بالمصلحة وإن لم يتقدم منه الاستشارة .

باب حمل الزاد على الرقاب

[٢٩٨٣] ٢٨٨٥ - حدثنا صدقة بن الفضل قال حدثنا عبدة عن هشام عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا ، ففني زادنا ، حتى كان الرجل منا يأكل في كل يوم ثمرة . قال رجل : يا أبا عبد الله ، وأين كانت التمرة تقع من الرجل ؟ قال : لقد وجدنا فقدناها حين فقدناها ، حتى أتينا البحر ، فإذا حوت قذفه البحر ، فأكلنا منها ثمانية عشر يوماً ما أحببنا .

قوله (باب حمل الزاد على الرقاب) أى عند تعذر حمله على الدواب ، ذكر فيه حديث جابر في قصة العنبر مقتصرأ على بعضه ، والغرض منه قوله « ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا » وسيأتى شرحه مستوفى في أواخر المغازى .

باب إرداف المرأة خلف أخيها

[٢٩٨٤] ٢٨٨٦ - حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عثمان بن الأسود قال حدثنا ابن أبي مليكة عن عائشة : أنها قالت : يا رسول الله ، يرجع أصحابك بأجر حج وعمرة ، ولم أزد على الحج ؟ فقال لها : « اذهبي ، وليردفك عبد الرحمن » . فأمر عبد الرحمن أن يعمرها من التنعيم . فانتظرها رسول الله صلى الله عليه بأعلى مكة حتى جاءت .

[٢٩٨٥] ٢٨٨٧ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال : أمرني النبي صلى الله عليه أن أردف عائشة وأعمرها من التنعيم .

قوله (باب إرداف المرأة خلف أخيها) ذكر فيه حديث عائشة في ارتدافها في العمرة خلف أخيها عبد الرحمن وحديث عبد الرحمن بن أبي بكر في ذلك ، وقد تقدم الكلام عليهما مستوفى في كتاب الحج ، ويشبه أن يكون وجه دخوله هنا حديث عائشة المتقدم « جهاد كن الحج » .

باب الارتداف في الغزو والحج

[٢٩٨٦] ٢٨٨٨ - حدثنا قتيبة قال حدثنا عبد الوهاب قال حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال: كنت رديف أبي طلحة، وإنهم ليصرخون بهما جميعاً: الحج، والعمرة.

قوله (باب الارتداف في الغزو والحج) ذكر فيه حديث أنس «كنت رديف أبي طلحة وإنهم ليصرخون بهما» وقد تقدم شرحه في الحج.

باب الردف على الحمار

[٢٩٨٧] ٢٨٨٩ - حدثنا قتيبة قال حدثنا أبو صفوان عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة عن أسامة بن زيد: أن رسول الله صلى الله عليه ركب على حمار على إكاف عليه قطيفة، وأردف أسامة وراءه.

[الحديث ٢٩٨٧ - أطرافه في: ٤٥٦٦، ٥٦٦٣، ٥٩٦٤، ٦٢٠٧، ٦٢٥٤].

[٢٩٨٨] ٢٨٩٠ - حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث قال يونس أخبرني نافع عن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه قبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ومعه بلال ومعه عثمان بن طلحة من الحجة حتى أناخ في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، ففتح ودخل رسول الله صلى الله عليه ومعه أسامة وبلال وعثمان، فمكث نهراً طويلاً، ثم خرج فاستبق الناس، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً. فسأله: أين صلى رسول الله صلى الله عليه؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه. قال عبد الله: فنسيت أن أسأله: كم صلى من سجدة.

قوله (باب الردف على الحمار) ذكر فيه حديث أسامة بن زيد مختصراً في ارتدافه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد سبقت الإشارة إليه في الصلح، ويأتي شرحه مستوفى في آخر تفسير آل عمران، ويظهر وجه دخوله في أبواب الجهاد. وحديث عبد الله وهو ابن عمر في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة، وقد تقدم في الصلاة وفي الحج، والغرض منه قوله في أوله «أقبل يوم الفتح مردفاً أسامة بن زيد» لكنه كان يومئذ راكباً على راحلة.

باب من أخذ بالركاب ونحوه

[٢٩٨٩] ٢٨٩١ - حدثنا إسحاق قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة

قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: يَعْدُلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا - أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ - صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيْبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ».

قوله (باب من أخذ بالركاب ونحوه) أى من الإعانة على الركوب وغيره .

قوله (حدثنا إسحق أخبرنا عبد الرزاق) كذا هو غير منسوب ، وقد تقدم في « باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر » عن إسحق بن نصر عن عبد الرزاق لكن سياقه مغاير لسياقه هنا ، وتقدم في الصلح عن إسحق بن منصور عن عبد الرزاق مقتصرأ على بعضه ، وهو أشبه بسياقه هنا فليفسر به هذا المهمل هنا .

قوله (كل سلامى) بضم المهملة وتخفيف اللام أى أنملة ، وقيل كل عظم مجوف صغير ، وقيل هو فى الأصل عظم يكون فى فرسن البعير واحده وجمعه سواء ، وقيل جمعه سلاميات : وقوله « كل يوم عليه صدقة » بنصب كل على الظرفية وقوله « عليه » مشكل ، قال ابن مالك : المعهود فى « كل » إذا أضيفت إلى نكرة من خبر وتميز وغيرهما أن تجيء على وفق المضاف كقوله تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وهنا جاء على وفق « كل » فى قوله « كل سلامى عليه صدقة » وكان القياس أن يقول عليها صدقة ، لأن السلامى مؤنثة ، لكن دل مجيئها فى هذا الحديث على الجواز ، ويحتمل أن يكون ضمن السلامى معنى العظم أو المفصل فأعاد الضمير عليه كذلك ، والمعنى على كل مسلم مكلف بعدد كل مفصل من عظامه صدقة لله تعالى على سبيل الشكر له بأن جعل عظامه مفاصل يتمكن بها من القبض والبسط . وخصت بالذكر لما فى التصرف بها من دقائق الصنائع التى اختص بها آدمى .

قوله (يعدل) فاعله الشخص المسلم المكلف وهو مبتدأ على تقدير العدل نحو « تسمع بالمعبدى خير من أن تراه » وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ ومن آياته يريكم البرق ﴾ .

قوله (ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها) هو موضع الترجمة ، فإن قوله « فيحمل عليها » أعم من أن يريد يحمل عليها المتاع أو الراكب . وقوله « أو يرفع عليها متاعه » إما شك من الراوى أو تنويع ، وحمل الراكب أعم من أن يحمله كما هو أو بعينه فى الركوب فتصح الترجمة . قال ابن المنير : لا تؤخذ الترجمة من مجرد صيغة الفعل فإنه مطلق ، بل من جهة عموم المعنى ، وقد روى مسلم من حديث العباس فى غزوة حنين قال « وأنا أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » الحديث .

قوله (ويميط الأذى عن الطريق) تقدم فى « باب إمطة الأذى عن الطريق » من هذا الوجه معلقاً ، وحكى ابن بطال عن بعض من تقدمه أن هذا من قول أبى هريرة موقوف ، وتعقبه بأن الفضائل لا تترك بالقياس ، وإنما تؤخذ توقيفاً من النبى صلى الله عليه وسلم .

باب

كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو

وكذلك يروى عن محمد بن بشر عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه .

وتابعه ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه .

وقد سافر النبي صلى الله عليه وأصحابه في أرض العدو وهم يعلمون القرآن .

[٢٩٩٠] ٢٨٩٢ - حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو .

قوله (باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو) سقط لفظ « كراهية » إلا للمستمل فثبتها ، وبشوتها يندفع الإشكال الآتي .

قوله (وكذلك يروى عن محمد بن بشر عن عبيد الله) هو ابن عمر (١) (عن نافع عن ابن عمر) وتابعه ابن إسحق عن نافع . أما رواية محمد بن بشر فوصلها إسحق بن راهويه في مسنده عنه ولفظه « كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو ، وقال الدارقطني . والبرقاني : لم يروه بلفظ الكراهة إلا محمد بن بشر . وأما متابعة ابن إسحق فهي بالمعنى لأن أحد أخرجهم من طريقه بلفظ « نهى أن يسافر بالمصاحف إلى أرض العدو » والنهي يقتضي الكراهة لأنه لا ينفك عن كراهة التنزيه أو التحريم .

قوله (وقد سافر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أرض العدو وهم يعلمون القرآن) أشار البخاري بذلك إلى أن المراد بالنهي عن السفر بالقرآن السفر بالمصاحف خشية أن يناله العدو لا السفر بالقرآن نفسه ، وقد تعقبه الإسماعيلي بأنه لم يقل أحد إن من يحسن القرآن لا يغزو العدو في دارهم ، وهو اعتراض من لم يفهم مراد البخاري . وادعى المهلب أن مراد البخاري بذلك تقوية القول بالفرقة بين العسكر الكثير والطائفة القليلة ، فيجوز في تلك دون هذه ، والله أعلم . ثم ذكر المصنف حديث مالك في ذلك وهو بلفظ « نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو » وأورده ابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن مالك وزاد « مخافة أن يناله العدو » رواه ابن وهب عن مالك فقال « خشية أن يناله العدو » وأخرجه أبو داود عن القعنب عن مالك فقال : قال مالك أراه « مخافة » فذكره ، قال أبو عمر : كذا قال يحيى بن يحيى الأندلسي ويحيى بن بكير ، وأكثر الرواة عن مالك جعلوا التعليل من كلامه ولم يرفعوه ؛ وأشار إلى أن ابن وهب تفرد برفعها ، وليس كذلك لما قدمته من رواية ابن ماجه ، وهذه الزيادة رفعها ابن إسحق أيضاً كما تقدم ، وكذلك أخرجها مسلم والنسائي وابن ماجه من طريق الليث عن نافع ، ومسلم من طريق أيوب بلفظ « فلا يأتى لا آمن أن يناله العدو »

فصح أنه مرفوع وليس بمدرج ، ولعل مالكاً كان يجزم به ، ثم صار يشك في رفعه فجعله من تفسير نفسه . قال ابن عبد البر : (أجمع الفقهاء أن لا يسافر بالمصحف في السرايا والعسكر الصغير الخوف عليه ، واختلفوا في الكبير المأمون عليه : فمنع مالك أيضاً مطلقاً ، وفصل أبو حنيفة ، وأدار الشافعية الكراهة مع الخوف وجوداً وعدماً . وقال بعضهم كالمالكية ، واستدل به على منع بيع المصحف من الكافر لوجود المعنى المذكور فيه وهو التمكن من الاستهانة به ، ولا خلاف في تحريم ذلك وإنما وقع الاختلاف هل يصح لو وقع ويؤمر بإزالة ملكه عنه أم لا ؟ واستدل به على منع تعلم الكافر القرآن : فمنع مالك مطلقاً ، وأجاز الحنفية مطلقاً ، وعن الشافعي قولان ، وفصل بعض المالكية بين القليل لأجل مصلحة قيام الحجة عليهم فأجازوه ، وبين الكثير فمنعه . ويؤيده قصة هرقل حيث كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم بعض الآيات ، وقد سبق في « باب هل يرشد » بشيء من هذا . وقد نقل النووي الاتفاق على جواز الكتابة إليهم بمثل ذلك .

(تنبيه) : ادعى ابن بطال أن ترتيب هذا الباب وقع فيه غلط من الناسخ ، وأن الصواب أن يقدم حديث مالك قبل قوله « وكذلك يروى عن محمد بن بشر الخ » قال : وإنما احتاج إلى المتابعة لأن بعض الناس زاد في الحديث « مخافة أن يناله العدو » ولم تصح هذه الزيادة عند مالك ولا عند البخاري انتهى . وما ادعاه من الغلط مردود ، فإنه استند إلى أنه لم يتقدم شيء يشار إليه بقوله كذلك ، وليس كما قال لأنه أشار بقوله « كذلك » إلى لفظ الترجمة كما بينه من رواية المستمل ، وأما ما ادعاه من سبب المتابعة فليس كما قال ، فإن لفظ الكراهية تفرد به محمد بن بشر ، ومتابعة ابن إسحق له إنما هي في أصل الحديث لكنه أفاد أن المراد بالقرآن المصحف لا حامل القرآن .

باب التكبير عند الحرب

٢٨٩٣ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا سفيان عن أيوب عن محمد عن أنس قال : صبح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر وقد خرجوا بالمساحي على أعناقهم ، فلما رأوه قالوا : هذا محمد والخميس ، محمد والخميس . فلجئوا إلى الحصن ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . وأصبنا حمراً فطبخناها ، فنادى مناد النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهيكم عن لحوم الحمر . فأكفئت القدور بما فيها . وتابعه علي عن سفيان رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه .

[٢٩٩١]

قوله (باب التكبير عند الحرب) أي جوازه أو مشروعيته ، وذكر فيه حديث أنس في قصة خيبر وفيه قوله صلى الله عليه وسلم « الله أكبر خربت خيبر » وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب المغازي ، والذي نادى بالنهي عن لحوم الحمر الأهلية هو أبو طلحة كما وقع عند مسلم ، وقوله « تابعه علي عن سفيان » يعني علي بن المديني شيخه ، وسيأتي في علامات النبوة .

باب ما يكره من رفع الصوت بالتكبير

[٢٩٩٢] ٢٨٩٤ - حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا، ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ».

[الحديث ٢٩٩٢ - أطرافه في: ٤٢٠٥، ٦٣٨٤، ٦٤٠٩، ٦٦١٠، ٧٣٨٦].

قوله (باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير) أورد فيه حديث أبي موسى «كنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا» الحديث، وسيأتي شرحه في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى.

قوله (اربعوا) بفتح الموحدة أي ارفقوا، قال الطبري: فيه كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر، وبه قال عامة السلف من الصحابة والتابعين انتهى. وتصرف البخاري يقتضي أن ذلك خاص بالتكبير عند القتال، وأما رفع الصوت في غيره فقد تقدم في كتاب الصلاة حديث ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر كان على العهد النبوي إذا انصرفوا من المكتوبة، وتقدم البحث فيه هناك.

باب التسبيح إذا هبط وأدياً

[٢٩٩٣] ٢٨٩٥ - حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن حصين بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال: كُنَّا إِذَا صَعَدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا.

[الحديث ٢٩٩٣ - طرفه في: ٢٩٩٤].

قوله (باب التسبيح إذا هبط وأدياً) وأورد فيه حديث جابر «كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبَّحنا».

باب التكبير إذا علا شرفاً

[٢٩٩٤] ٢٨٩٦ - حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن حصين عن سالم عن جابر بن عبد الله قال: كُنَّا إِذَا صَعَدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا تَصَوَّبْنَا سَبَّحْنَا.

[٢٩٩٥] ٢٨٩٧ - حدثنا عبد الله قال حدثني عبد العزيز بن أبي سلمة عن صالح بن كيسان عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِذَا قَفَلَ مِنَ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ - وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: الْغَزْوُ - وَيَقُولُ كُلَّمَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدَ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. آيُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ

لربنا حامدون. صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». قال صالح: فقلت له: ألم يقل عبد الله: إن شاء الله؟ قال: لا.

ثم قال (باب التكبير إذا علا شرفاً) وأورد فيه حديث جابر المذكور وفيه «وإذا تصوبنا سبحنا» أي انحدرنا والتصويب النزول، والفدقد بقاءين مفتوحتين بينهما مهملة هي الأرض الغليظة ذات الحصى وقيل المستوية وقيل المكان المرتفع الصلب، وقوله «حدثنا عبد الله حدثني عبد العزيز بن أبي سامة» زعم أبو مسعود أن عبد الله هو ابن صالح، وتعقبه الجياني بأنه وقع في رواية ابن السكن عبد الله بن يوسف وهو المعتمد، وسالم المذكور في إسناده هو ابن أبي الجعد، وأما سالم المذكور في الذي بعده فهو ابن عبد الله ابن عمر، وقد تقدم الحديث من طريق أخرى عن ابن عمر في أواخر الحج، والغرض من حديث ابن عمر قوله فيه «كلما أوفى على ثنية أو فدقد كبر ثلاثاً» قال الشيخ: تكبيره صلى الله عليه وسلم عند الارتفاع استشعار لكبرياء الله عز وجل وعندما يقع عليه العين من عظيم خلقه أنه أكبر من كل شيء، وتسيبته في بطون الأودية مستنبط من قصة يونس فإن بتسيبته في بطن الحوت نجاه الله من الظلمات فسيح النبي صلى الله عليه وسلم في بطون الأودية لينجيه الله منها، وقيل مناسبة المسيح في الأماكن المنخفضة من جهة أن التسيب هو التنزيه فناسب تنزيه الله عن صفات الانخفاض كما ناسب تكبيره عند الأماكن المرتفعة، ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لا يوصف بالعلو لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى والمستحيل كون ذلك من جهة الحس، ولذلك ورد في صفته العلى والعلى والمتعالى ولم يرد ضد ذلك وإن كان قد أحاط بكل شيء علماً جل وعز.

باب يكتب للمسافر ما كان يعمل في الإقامة

٢٨٩٨ - حدثنا مطر بن الفضل قال حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا العوام قال حدثنا إبراهيم أبو إسماعيل السكسكي قال: سمعت أبا بردة واصطحب هو ويزيد بن أبي كبشة في سفر فكان يزيد يصوم في السفر، فقال له أبو بردة: سمعت أبا موسى مراراً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه عليه: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً».

[٢٩٩٦]

قوله (باب يكتب للمسافر ما كان يعمل في الإقامة) أي إذا كان سفره في غير معصية.

قوله (أخبرنا العوام) هو ابن حوشب، بمهملة ثم معجمة وزن جعفر.

قوله (سمعت أبا بردة) هو ابن أبي موسى الأشعري.

قوله (واصطحب هو ويزيد بن أبي كبشة في سفر) أي مع يزيد، ويزيد بن أبي كبشة هذا شامي، واسم أبيه حيويل بفتح المهملة وسكون النحتانية وكسر الواو بعدها تحتانية أخرى ساكنة ثم لام، وهو ثقة ولى خراج السند لسليمان بن عبد الملك ومات في خلافته، وليس له في البخاري ذكر إلا في هذا الموضع:

قوله (فكان يزيد يصوم في السفر) ، في رواية هشيم عن العوام بن حوشب « وكان يزيد بن أبي كبشة يصوم الدهر » أخرجه الإسماعيلي .

قوله (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) في رواية هشيم عن العوام عند أبي داود « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول غير مرة ولا مرتين » .

قوله (إذا مرض العبد أو سافر) في رواية هشيم « إذا كان العبد يعمل عملاً صالحاً فشغله عن ذلك مرض » .

قوله (كتب له مثل ما كان يعمل مقبياً صحيحاً) هو من اللف والنشر المقلوب ، فالإقامة في مقابل السفر والصحة في مقابل المرض ، وهو في حق من كان يعمل طاعة فنع منها وكانت نية لولا المانع أن يدوم عليها كما ورد ذلك صريحاً عند أبي داود من طريق العوام بن حوشب بهذا الإسناد في رواية هشيم ، وعنده في آخره « كأصلح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم » ووقع أيضاً في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً « أن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله إذا كان طليقاً حتى أطلقه أو أكفته إلى » أخرجه عبد الرزاق وأحمد وصححه الحاكم ، ولأحمد من حديث أنس رفعه « إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده قال الله : اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل ، فإن شفاه غسله وطهره ، وإن قبضه غفر له ورحمه » ولرواية إبراهيم السكسكي عن أبي بردة متابع أخرجه الطبراني من طريق سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده بلفظ « إن الله يكتب للمريض أفضل ما كان يعمل في صحته مادام في وثاقه » الحديث ، وفي حديث عائشة عند النسائي « ما من امرئ تكون له صلاة من الليل يغلبه عليها نوم أو وجع إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة » قال ابن بطال : وهذا كله في النوافل ، وأما صلاة الفرائض فلا تسقط بالسفر والمرض والله أعلم . وتعقبه ابن المنير بأنه تحجر واسعاً ، ولا مانع من دخول الفرائض في ذلك ، بمعنى أنه إذا عجز عن الإتيان بها على الهيئة الكاملة أن يكتب له أجر ما عجز عنه ، كصلاة المريض جالساً يكتب له أجر القائم انتهى . وليس اعتراضه بجيد لأنهما لم يتواردا على محل واحد ، واستدل به على أن المريض والمسافر إذا تكلف العمل كان أفضل من عمله وهو صحيح مقيم . وفي هذه الأحاديث تعقب على من زعم أن الأعداء المرخصة لترك الجماعة تسقط الكراهة والإثم خاصة من غير أن تكون محصلة للفضيلة ، وبذلك جزم النووي في « شرح المذهب » وبالأول جزم الروياني في « التلخيص » ، ويشهد لما قال حديث أبي هريرة رفعه « من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج إلى المسجد فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلى وحضر ، لا ينقص ذلك من أجره شيئاً » أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم وإسناده قوى ، وقال السبكي الكبير في « الحليات » : من كانت عادته أن يصلي جماعة فتعذر فأنفرد كتب له ثواب الجماعة ، ومن لم تكن له عادة لكن أراد الجماعة فتعذر فأنفرد يكتب له ثواب قصده لا ثواب الجماعة ، لأنه وإن كان قصده الجماعة لكنه قصد مجرد ، ولو كان يتنزل منزلة من صلى جماعة كان دون من جمع والأولى سبقها فعل ، ويدل للأول حديث الباب ، وللثاني أن أجر الفعل يضاعف وأجر القصد لا يضاعف بدليل « من هم بحسنة

كُتبت له حسنة واحدة « كما سيأتي في كتاب الرقاق ، قال ويمكن أن يقال : إن الذي صلى منفرداً ولو كتب له أجر صلاة الجماعة لكونه اعتادها فيكتب له ثواب صلاة منفرد بالأصالة وثواب مجمع بالفضل . انتهى ملخصاً

باب السير وحده

[٢٩٩٧] ٢٨٩٩ - حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان قال حدثنا محمد بن المنكدر قال سمعت

جابر بن عبد الله يقول : ندب النبي صلى الله عليه الناس يوم الخندق ، فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، ثلاثاً ثم ندبهم فانتدب الزبير . قال النبي صلى الله عليه : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَ الزَّبِيرِ » . قال سفيان ! الحواري : الناصر .

[٢٩٩٨] ٢٩٠٠ - حدثنا أبو الوليد قال حدثنا عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال

حدثني أبي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وحدثنا أبو نعيم قال حدثنا عاصم بن محمد بن زيد ابن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه قال : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمَ مَا سَارَ رَاكِبٌ بَلِيلٌ وَحْدَهُ » .

قوله (باب السير وحده) ذكر فيه حديثين : أحدهما عن جابر في انتداب الزبير وحده ، وقد تقدم في « باب هل يبعث الطليعة وحده » وتعقبه الإسماعيلي فقال : لا أعلم هذا الحديث كيف يدخل في هذا الباب ، وقرره ابن المنير بأنه لا يلزم من كون الزبير انتدب أن لا يكون سار معه غير متابعاً له . قلت : لكن قد ورد من وجه آخر ما يدل على أن الزبير توجه وحده ، وسيأتي في مناقب الزبير من طريق عبد الله بن الزبير ما يدل على ذلك ، وفيه « قلت يا أبت رأيتك تختلف ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتيني بنجر بني قريظة فانطلقت » الحديث .

قوله (قال سفيان : الحواري الناصر) هو موصول عن الحميدي عنه . ثانيهما حديث ابن عمر .

قوله (لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده) ساقه على لفظ أبي نعيم ، وقوله « ما أعلم » أي الذي أعلمه من الآفات التي تحصل من ذلك . والوحدة بفتح الواو ويجوز كسرها ومنعه بعضهم . (تنبيهان) : أحدهما قال المزي في « الأطراف » : قال البخاري حدثنا أبو الوليد عن عاصم بن محمد به ، وقال بعده « وأبو نعيم عن عاصم » ولم يقل حدثنا أبو نعيم ، ولا في كتاب حماد بن شاهر حدثنا أبو نعيم انتهى . والذي وقع لنا في جميع الروايات عن القريبري عن البخاري « حدثنا أبو نعيم » وكذلك وقع في رواية النسفي عن البخاري فقال « حدثنا أبو الوليد » فساق الإسناد ثم قال « وحدثنا أبو الوليد وأبو نعيم قالاً حدثنا عاصم » فذكره . وبذلك جزم أبو نعيم الأصبهاني في « المستخرج » فقال بعد أن أخرجه من طريق عمرو بن مرزوق عن عاصم بن محمد « أخرجه البخاري عن أبي نعيم وأبي الوليد » فاعل لفظ حدثنا في رواية أبي نعيم سقط

من رواية حماد بن شاكر وحده . ثانيهما ذكر الترمذى أن عاصم بن محمد تفرد برواية هذا الحديث ، وفيه نظر لأن عمر بن محمد أخاه قد رواه معه عن أبيه أخرجه النسائي . قال ابن المنير : السير لمصلحة الحرب أخص من السفر ، والخبر ورد في السفر فيؤخذ من حديث جابر جواز السفر منفرداً للضرورة والمصلحة التي لا تنتظم إلا بالانفراد كإرسال الجاسوس والطليعة ، والكراهة لما عدا ذلك . ويحتمل أن تكون حالة الجواز مقيدة بالحاجة عند الأمن وحالة المنع مقيدة بالخوف حيث لا ضرورة ، وقد وقع في كتب المغازي بعث كل من حذيفة ونعيم بن مسعود وعبد الله بن أنيس وخوات بن جبير وعمرو بن أمية وسالم بن عمير وبسيسة في عدة مراطن وبعضها في الصحيح ، وتقدم في الشروط شيء من ذلك ؛ ويأتى في باب الجاسوس بعد قليل .

باب السرعة في السير

وقال أبو حميد : قال النبي صلى الله عليه : «إني متعجل إلى المدينة ، فمن أراد أن يتعجل معي فليتعجل» .

[٢٩٩٩] ٢٩٠١ - حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا يحيى عن هشام قال أخبرني أبي قال سئل أسامة بن زيد - كان يحيى يقول : وأنا أسمع ، فسقط عني - عن مسير النبي صلى الله عليه في حجة الوداع فقال : فكان يسير العنق . فإذا وجد فجوة نص . والنص فوق العنق .

[٣٠٠٠] ٢٩٠٢ - حدثنا سعيد بن أبي مریم قال أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرني زيد - هو ابن أسلم - عن أبيه قال : كنت مع عبد الله بن عمر بطريق مكة ، فبلغه عن صفية بنت أبي عبيد شدة وجع فأسرع السير ، حتى إذا كان بعد غروب الشفق ثم نزل فصلى المغرب والعتمة جمع بينهما وقال : إني رأيت النبي صلى الله عليه إذا جد به السير أخر المغرب وجمع بينهما .

[٣٠٠١] ٢٩٠٣ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال : «السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه ، فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل إلى أهله» .

قوله (باب السرعة في السير) أى في الرجوع إلى الوطن .

قوله (وقال أبو حميد قال النبي صلى الله عليه وسلم إني متعجل الخ) هو طرف من حديث سبق في الزكاة بطوله ، وتقدم الكلام عليه هناك . ثم ذكر فيه ثلاثة أحاديث : أحدها حديث أسامة بن زيد في سير العنق ، وقد تقدم شرحه مستوفى في الحج ، وقوله « قال سئل أسامة بن زيد كان يحيى يقول وأنا أسمع فسقط عني » القائل ذلك هو محمد بن المثنى شيخ البخارى ، وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق بNDAR والدورقي وغيرهما

عن يحيى بن سعيد وقال فيه « سئل أسامة وأنا شاهده » ثانيها حديث ابن عمر في جمعه بين الصلاتين لما بلغه وجع صفيه بنت أبي عبيد وهي زوجته ، وقد تقدم في أواخر أبواب العمرة بهذا الإسناد مع الكلام عليه .
ثالثها حديث أبي هريرة « السفر قطعة من العذاب » وقد تقدم شرحه في أواخر أبواب العمرة ، وقوله « نهيمته » بفتح النون على المشهور أى رغبته ، قال المهلب : تعجله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليريح نفسه ويفرح أهله ، وتعجله إلى المزدلفة ليعجل الوقوف بالمشعر الحرام ، وتعجل ابن عمر إلى زوجته ليدرك من حياتها ما يمكنه أن تعهد إليه بما لا تعهد إلى غيره .

باب إذا حمل على فرس فرآها تباع

[٣٠٠٢] ٢٩٠٤ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب حمل على فرس في سبيل الله فوجده يباع فأراد أن يبتاعه . فسأل رسول الله صلى الله عليه ، فقال : « لا تتبعه ولا تعد في صدقتك » .

[٣٠٠٣] ٢٩٠٥ - حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر يقول : حملت على فرس في سبيل الله فابتاعه أو فأضاعه الذي كان عنده فأردت أن أشتريه وظننت أنه بايعه برخص فسألت النبي صلى الله عليه فقال : « لا تشتريه وإن بدرهم فإن العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه » .

قوله (باب إذا حمل على فرس فرآها تباع) ذكر فيه حديث ابن عمر في ذلك ، وحديث عمر نفسه ، وقد تقدم قريباً وبيان مكان شرحهما . وقوله في حديث عمر « ابتاعه أو أضاعه » شك من الراوى ، ولا معنى لقوله « ابتاعه » لأنه لم يشتره وإنما عرضه للبيع ، فيحتمل أن يكون في الأصل باعه فهو بمعنى عرضه للبيع . والله أعلم .

باب الجهاد بإذن الأبوين

[٣٠٠٤] ٢٩٠٦ - حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا حبيب بن أبي ثابت قال سمعت أبا العباس الشاعر - وكان لا يتهم في حديثه - قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه فاستأذنه في الجهاد فقال : « أحيي والداك » ؟ قال : نعم . قال : « ففيهما فجاهد » .
[الحديث ٣٠٠٤ - طرفه في : ٥٩٧٢]

قوله (باب الجهاد بإذن الأبوين) كذا أطلق ، وهو قول الثوري ، وقيده بالإسلام الجمهور ، ولم يقع في حديث الباب أنهما منعاه ، لكن لعله أشار إلى حديث أبي سعيد الآتي .

قوله (سمعت أبا العباس الشاعر وكان لا يهتم في حديثه) تقدم القول في ذلك في « باب صوم داود » من كتاب الصيام ، وقد خالف الأعمش شعبة فرواه ابن ماجه من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت عن عبد الله بن باباه عن عبد الله بن عمرو ، فاعل لحبيب فيه إسنادين ، ويؤيده أن بكر بن بكار رواه عن شعبة عن حبيب عن عبد الله بن باباه كذلك .

قوله (جاء رجل) يحتمل أن يكون هو جاهمة بن العباس بن مرداس ، فقد روى النسائي وأحمد من طريق معاوية بن جاهمة « أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت الغزو وجئت لأستشيرك ، فقال هل لك من أم ؟ قال نعم . قال الزمها » الحديث ، ورواه البيهقي من طريق ابن جريج عن محمد بن طلحة بن ركانة عن معاوية بن جاهمة السلمي عن أبيه قال « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أستأذنه في الجهاد » فذكره . وقد اختلف في إسناده على محمد بن طلحة اختلافاً كثيراً بيته في ترجمة جاهمة من كتابي في الصحابة .

قوله (فيهما فجاهد) أي خصصهما بجهاد النفس في رضاها ، ويستفاد منه جواز التعبير عن الشيء بضده إذا فهم المعنى ، لأن صيغة الأمر في قوله « فجاهد » ظاهرها إيصال الضرر الذي كان يحصل لغيرهما لهما ، وليس ذلك مراداً قطعاً ، وإنما المراد إيصال القدر المشترك من كلفة الجهاد وهو تعب البدن والمال ، ويؤخذ منه أن كل شيء يتعب النفس يسمى جهاداً ، وفيه أن بر الوالد قد يكون أفضل من الجهاد ، وأن المستشار يشير بالنصيحة المحضة ، وأن المكلف يستفضل عن الأفضل في أعمال الطاعة ليعمل به لأنه سمع فضل الجهاد فبادر إليه ، ثم لم يقنع حتى استأذن فيه فدل على ما هو أفضل منه في حقه ، ولولا السؤال ما حصل له العلم بذلك . ولمسلم وسعيد بن منصور من طريق ناعم مولى أم سلمة عن عبد الله بن عمرو في نحو هذه القصة قال « ارجع إلى والدك فأحسن صحبتها » ولأبي داود وابن حبان من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو « ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما » وأصرح من ذلك حديث أبي سعيد عند أبي داود بلفظ « ارجع فاستأذنها فإن أذنا لك فجاهد ، وإلا فبرهما » وصححه ابن حبان . قال جمهور العلماء : يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين ، لأن برهما فرض عين عليه والجهاد فرض كفاية ، فإذا تعين الجهاد فلا إذن . ويشهد له ما أخرجه ابن حبان من طريق أخرى عن عبد الله بن عمرو « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن أفضل الأعمال ، قال : الصلاة . قال ثم مه ؟ قال الجهاد . قال فإن لي والدين ، فقال آمرك بوالدك خيراً . فقال والذي بعثك بالحق نبياً لأجاهدن ولأتركهما قال فأنت أعلم » وهو محمول على جهاد فرض العين توفيقاً بين الحديثين ، وهل يلحق الجد والجدة بالأبوين في ذلك ؟ الأصح عند الشافعية نعم والأصح أيضاً أن لا يفرق بين الحر والرق في ذلك لشمول طلب البر ، فلو كان الولد رقيقاً فأذن له سيده لم يعتبر إذن أبويه ، ولهما الرجوع في الإذن إلا إن حضر الصف ، وكذا لو شرط أن لا يقاتل فحضر الصف فلا أثر للشرط ، واستدل به على تحريم السفر بغير إذن لأن الجهاد إذا منع مع فضيلته فالسفر المباح أولى نعم إن كان سفره لتعلم فرض عين حيث تعين السفر طريقاً إليه فلا منع ، وإن كان فرض كفاية ففيه خلاف .

وفي الحديث فضل بر الوالدين وتعظيم حقهما وكثرة الثواب على برهما ، وسيأتي بسط ذلك في كتاب الأدب إن شاء الله تعالى .

باب

ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل

[٣٠٠٥] ٢٩٠٧ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عباد بن تميم أن أبا بشير الأنصاري أخبره أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه في بعض أسفاره قال عبد الله : حسبت أنه قال : والناس في مبيتهم ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه رسولا : « لا تبقيَنَّ في رقبة بعير قلادة من وترٍ أو قلادة إلا قُطعت » .

قوله (باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل) أي من الكراهة ، وقيد بالإبل لورود الخبر فيها بخصوصها .

قوله (عن عبد الله بن أبي بكر) أي ابن محمد بن عمرو بن حزم ، وعباد بن تميم هو المازني ، وهو وشيخه والراوى عنه أنصاريون مدنيون ، وعبد الله وعباد تابعيان .

قوله (إن أبا بشير الأنصاري أخبره) ليس لأبي بشير وهو بفتح الموحدة ثم معجمة في البخاري غير هذا الحديث الواحد ، وقد ذكره الحاكم أبو أحمد فيمن لا يعرف اسمه ، وقيل اسمه قيس بن عبد الحرير بمهمات مصغر ابن عمرو ، ذكر ذلك ابن سعد وساق نسبه إلى مازن الأنصاري ، وفيه نظر لأنه وقع في رواية عثمان بن عمر عن مالك عند الدارقطني نسبة أبي بشير ساعدياً ، فإن كان قيس يكنى أبا بشير أيضاً فهو غير صاحب هذا الحديث ، وأبو بشير المازني هذا عاش إلى بعد الستين وشهد الحرة وجرح بها ومات من ذلك .
قوله (في بعض أسفاره) لم أقف على تعيينها .

قوله (قال عبد الله حسبت أنه قال) عبد الله هو ابن أبي بكر الراوى ، وكأنه شك في هذه الجملة ، ولم أرها من طريقه إلا هكذا .

قوله (فأرسل) قال ابن عبد البر : في رواية روح بن عباد عن مالك « أرسل مولاه زيدا » قال ابن عبد البر : وهو زيد بن حارثة فيما يظهر لي .

قوله (في رقبة بعير قلادة من وترٍ أو قلادة) كذا هنا بلفظ « أو » وهي للشك أو للتنويع ، ووقع في رواية أبي داود عن القعني بلفظ « ولا قلادة » وهو من عطف العام على الخاص ، وبهذا جزم المهلب ، ويؤيد الأول ما روى عن مالك أنه سئل عن القلادة فقال : ماسمت بكراتها إلا في الوتر ، وقوله وتر بالمشناة في جميع الروايات ، قال ابن الجوزي : ربما صحف من لا علم له بالحديث فقال وبر بالموحدة . قلت : حكى ابن التين أن الداودي جزم بذلك وقال : هو ما ينتزع عن الجمال يشبه الصوف ، قال ابن التين : فصحف .

قال ابن الجوزي : وفي المراد بالأوتار ثلاثة أقوال : أحدها أنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسي لثلاث تصيها العين بزعمهم ، فأمروا بقطعها إعلماً بأن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً ، وهذا قول مالك . قالت : وقع ذلك متصلاً بالحديث من كلامه في الموطأ وعند مسلم وأبي داود وغيرهما ، قال مالك : أرى أن ذلك من أجل العين ، ويؤيده حديث عقبة بن عامر رفعه « من علق تيممة فلا أتم الله له » أخرجه أبو داود أيضاً ، والتيممة ما علق من القلائد خشية العين ونحو ذلك ، قال ابن عبد البر : إذا اعتقد الذي قلدها أنها ترد العين فقد ظن أنها ترد القلندر وذلك لا يجوز اعتقاده . ثانياً النهي عن ذلك لثلاث تخرج الدابة بها عند شدة الركض ، ويحكي ذلك عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، وكلام أبي عبيد يرجحه فإنه قال : نهى عن ذلك لأن الدواب تتأذى بذلك ويضيق عليها نفسها ورعيا ، وربما تعلقت بشجرة فاخنت أو تعوقت عن السير . ثالثاً أنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس حكاه الخطابي وعليه يدل تبويب البخاري ، وقد روى أبو داود والنسائي من حديث أم حبيبة أم المؤمنين مرفوعاً « لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس » وأخرجه النسائي من حديث أم سلمة أيضاً ، والذي يظهر أن البخاري أشار إلى ما ورد في بعض طرقه ، فقد أخرجه الدارقطني من طريق عثمان بن عمر المذكور بلفظ « لا تبقين قلادة من وتر ولا جرس في عنق بعير إلا قطع » . قلت : ولا فرق بين الإبل وغيرها في ذلك ، إلا على القول الثالث فلم تخرج العادة بتعليق الأجراس في رقاب الخيل ، وقد روى أبو داود والنسائي من حديث أبي وهب الحسائي رفعه « اربطوا الخيل وقلدوها ، ولا تقلدوها الأوتار » فدل على أن لا اختصاص للإبل ، فاعل التقييد بها في الترجمة للغالب . وقد حمل النضر بن شميل الأوتار في هذا الحديث على معنى الثأر فقال : معناه لا تطلبوا بها ذحول الجاهلية ، قال القرطبي : وهو تأويل بعيد . وقال الثوري : ضعيف . وإلى نحو قول النضر جنح وكيع فقال : المعنى لا تركبوا الخيل في الفتن ، فإن من ركبها لم يسلم أن يتعلق به وتر يطالب به . والدليل على أن المراد بالأوتار جمع الوتر بالتحريك لا الوتر بالإسكان ما رواه أبو داود أيضاً من حديث رويغ بن ثابت رفعه « من عقد لحيته أو تقلد وترأ فإن محمداً بريء منه » فإنه عند الرواة أجمع بفتح المثناة ، والجرس بفتح الجيم والراء ثم مهملة معروف ، وحكى عياض إسكان الراء ، والتحقيق أن الذي بالفتح اسم الآلة وبالإسكان اسم الصوت . وروى مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رفعه « الجرس مزمار الشيطان » وهو دال على أن الكراهية فيه لصوته لأن فيها شيئاً بصوت الناقوس وشكله ، قال النووي وغيره : الجمهور على أن النهي للكراهية وأنها كراهة تنزيه ، وقيل للتحريم ، وقيل يمنع منه قبل الحاجة ، ويجوز إذا وقعت الحاجة . وعن مالك تختص الكراهية من القلائد بالوتر ، ويجوز غيرها إذا لم يقصد دفع العين . هذا كله في تعليق التائم وغيرها مما ليس فيه قرآن ونحوه ، فأما ما فيه ذكر الله فلا نهى فيه فإنه إنما يجعل للتبرك به والتعوذ بأسمائه وذكره ، وكذلك لا نهى عما يعلق لأجل الزينة ما لم يبلغ الخيلاء أو السرف . واختلفوا في تعليق الجرس أيضاً . ثالثاً يجوز بقدر الحاجة ، ومنهم من أجاز الصغير منها دون الكبير . وأغرب ابن حبان فزعم أن الملائكة لا تصحب الرفقة التي يكون فيها الجرس إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها .

باب من اكتب في جيش فخرجت امرأته حاجة أو كان له عذر هل يؤذن له؟

[٣٠٠٦] ٢٩٠٨ - حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سفيان عن عمرو عن أبي معبد عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه يقول: «لا يخلون رجل بامرأة، ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله، اكتب في غزوة كذا وكذا، وخرجت امرأتي حاجة. قال: «اذهب فاحج مع امرأتك».

قوله (باب من اكتب في جيش فخرجت امرأته حاجة أو كان له عذر هل يؤذن له) ؟ ذكر فيه حديث ابن عباس في ذلك ، وفيه قوله « اذهب فاحج مع امرأتك » وقد سبق الكلام عليه في أواخر أبواب المحصر من الحج ، ويستفاد منه أن الحج في حق مثله أفضل من الجهاد لأنه اجتمع له مع حج التطوع في حقه تحصيل حج الفرض لامرأته وكان اجتماع ذلك له أفضل من مجرد الجهاد الذي يحصل المقصود منه بغيره ، وفيه مشروعية كتابة الجيش ونظر الإمام لرعيته بالمصلحة .

باب الجاسوس والتجسس : التبحث

وقول الله عز وجل : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾

[٣٠٠٧] ٢٩٠٩ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال عمرو بن دينار سمعت منه مرتين أخبرني حسن بن محمد قال أخبرني عبيد الله بن أبي رافع قال : سمعت علياً يقول : بعثني رسول الله صلى الله عليه أنا والزبير والمقداد وقال : «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها» . فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ، حتى انتهينا إلى الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب . فقالت : ما معي من كتاب . فقلنا : لتخرجن الكتاب ، أو لتلقين الثياب . فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه : «يا حاطب ما هذا؟» قال : يا رسول الله ، لا تعجل علي ، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش ، ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه : «قد صدقكم» . قال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق . قال : «إنه قد شهد

بدرًا ، وما يُدريكَ لعلَّ الله أن يكونَ قد اطلعَ على أهلِ بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم . قال سفيان : وأيُّ إسنادهُ هذا .

[الحديث ٣٠٠٧ - أطرافه : في : ٣٠٨١ ، ٣٩٨٣ ، ٤٢٧٤ ، ٤٨٩٠ ، ٦٢٥٩ ، ٦٩٣٩ .]

قوله (باب الجاسوس) بجم ومهملتين أى حكمه إذا كان من جهة الكفار ، ومشريعته إذا كان من جهة المسلمين .

قوله (والتجسس : التبعث) هو تفسير أبى عبيدة .

قوله (وقول الله عز وجل ﴿ لا تتخذوا عدوى وعلموكم أولياء ﴾ الآية) مناسبة الآية إما لما سيأتى فى التفسير أن القصة المذكورة فى حديث الباب كانت سبب نزولها ، وإما لأن ينزع منها حكم جاسوس الكفار ، فإذا طلع عليه بعض المسلمين لا يكتم أمره بل يرفعه إلى الإمام ليرى فيه رأيه . وقد اختلف العلماء فى جواز قتل جاسوس الكفار ، وسيأتى البحث فيه بعد أحد وثلاثين باباً . ثم ذكر فيه حديث على فى قصة حاطب ابن أبى بلتعنة ، وسيأتى الكلام على شرحه فى تفسير سورة الممتحنة إن شاء الله تعالى ، ونذكر فيه المرأة وتسمية من عرف ممن كاتبه حاطب من أهل مكة : وقوله فيه « روضة خاخ » بمنقوطتين من فوق ، والظعينة بالظاء المعجمة المرأة ، وقوله فى آخره « قال سفيان وأيُّ إسنادهُ هذا » أى عجباً لجلالة رجاله وصريح اتصاله

الكسوة للأسارى

[٣٠٠٨] ٢٩١٠ - حدثنا عبد الله بن محمد قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال : لما كان يوم بدرٍ وأتى بأسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوبٌ ، فنظر النبي صلى الله عليه له قميصاً ، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه ، فكساه النبي صلى الله عليه إياه ، فلذلك نزع النبي صلى الله عليه قميصه الذي ألبسه .

قال ابن عيينة : كانت له عند النبي صلى الله عليه يدٌ ، فأحب أن يكافئه .

قوله (باب الكسوة للأسارى) أى بما يوارى عوراتهم ، إذ لا يجوز النظر إليها .

قوله (عن عمرو) هو ابن دينار .

قوله (لما كان يوم بدرٍ أتى بأسارى) من المشركين .

قوله (وأتى بالعباس) أى ابن عبد المطلب .

قوله (يقدر عليه) بضم الدال ، وإنما كان ذلك لأن العباس كان بين الطول ، وكذلك كان عبد الله

ابن أبى .

قوله (فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه) أى لعبد الله بن أبى عند دفنه ، وقد

تقدم شرح ذلك في أواخر الجنايز وما يحتمل في ذلك من الإدراج ، وقوله في آخر هذا الحديث « قال ابن عيينة كانت له « أى لعبد الله بن أبي . وقوله « يد » أى نعمة ، وهو محصل ما سبق من قوله في الجنايز « كانوا يرون الخ » .

باب فضل من أسلم على يديه رجل

[٣٠٠٩] ٢٩١١ - حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن عبد القارئ عن أبي حازم قال : أخبرني سهل قال : قال النبي صلى الله عليه يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يفتح على يده يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » . فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى ، فغدوا كلهم يرجوه ، فقال : « أين علي ؟ » ف قيل : يشتكي عينيه ، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه ، فقال : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خيرا لك من أن تكون لك حمر النعم » .

قوله (باب فضل من أسلم على يديه رجل) ذكر فيه حديث سهل بن سعد في قصة على يوم خيبر ، والمراد منه قوله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » وهو ظاهر فيما ترجم له ، وسيأتى شرح الحديث في المغازي إن شاء الله تعالى .

باب الأسارى في السلاسل

[٣٠١٠] ٢٩١٢ - حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل » . [الحديث ٣٠١٠ - طرفه في : ٤٥٥٧] .

قوله (باب الأسارى في السلاسل) ذكر فيه حديث أبي هريرة « عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل » وقد أخرجه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد بلفظ « يقادون إلى الجنة بالسلاسل » وقد تقدم توجيه العجب في حق الله في أوائل الجهاد وأن معناه الرضا ونحو ذلك ، قال ابن المنير : إن كان المراد حقيقة وضع السلاسل في الأعناق فالترجمة مطابقة ، وإن كان المراد المجاز عن الإكراه فليست مطابقة . قلت : المراد بكون السلاسل في أعناقهم مقيد بحالة الدنيا ، فلا مانع من حمله على حقيقته ، والتقدير يدخلون الجنة ، وكانوا قبل أن يسلموا في السلاسل ، وسيأتى في تفسير آل عمران من وجه آخر عن أبي هريرة في قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ قال « خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام » ، قال ابن الجوزي : معناه أنهم أسروا وقيدوا ، فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا

طوعاً فدخلوا الجنة ، فكان الإكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول ، وكأنه أطلق على الإكراه التسلسل ، ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب . وقال الطيبي : ويحتمل أن يكون المراد بالسلسلة الجذب الذي يجذبه الحق من خلص عباده من الضلالة إلى الهدى ومن الهبوط في مهاوى الطبيعة إلى العروج للدرجات ، لكن الحديث في تفسير آل عمران يدل على أنه على الحقيقة . ونحوه ما أخرجه من طريق أبي الطفيل رفعه « رأيت ناساً من أمتي يساقون إلى الجنة في السلاسل كرها . قلت : يا رسول الله من هم ؟ قال قوم من العجم يسبيهم المهاجرون فيدخلونهم في الإسلام مكرهين » وأما إبراهيم الحربي فمنع حمله على حقيقة التقييد وقال : المعنى يقادون إلى الإسلام مكرهين فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة ، وليس المراد أن ثم ساسلة . وقال غيره : يحتمل أن يكون المراد المسلمين المأسورين عند أهل الكفر يموتون على ذلك أو يقتلون فيحشرون كذلك ، وعبر عن الحشر بدخول الجنة لثبوت دخولهم عقبه . والله أعلم .

باب فضل من أسلم من أهل الكتابين

[٣٠١١] ٢٩١٣ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا صالح بن حيي أبو حسن قال : سمعت الشعبي يقول : حدثني أبو بردة أنه سمع أباہ عن النبي صلى الله عليه قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : الرجل تكون له الأمة فيعلمها ويحسن تعليمها ، ويؤدبها فيحسن أدبها ، ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران . ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ثم آمن بالنبي ، فله أجران . والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده » ثم قال الشعبي : أعطيتكها بغير شيء ، وقد كان الرجل يرحل في أهون منها إلى المدينة .

قوله (باب فضل من أسلم من أهل الكتابين) ذكر فيه حديث أبي بردة وأنه سمع أباہ يقول « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين » الحديث وقد تقدم الكلام عليه في العتق ، قال المهلب : جاء النص في هؤلاء الثلاثة لينبه به على سائر من أحسن في معنيين في أي فعل كان من أفعال البر ، وقد تقدمت مباحث هذا الحديث في كتاب العلم ، ويأتي الكلام على ما يتعلق لمن يعتق الأمة ثم يتزوجها في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى . قال ابن المنير : مؤمن أهل الكتاب لابد أن يكون مؤمناً بنبينا صلى الله عليه وسلم لما أخذ الله عليهم من العهد والميثاق ، فاذا بعث فإيمانه مستمر فكيف يتعدد إيمانه حتى يتعدد أجره . ثم أجاب بأن إيمانه الأول بأن الموصوف بكذا رسول ، والثاني بأن محمداً هو الموصوف فظهر التغير فثبت التعدد انتهى . ويحتمل أن يكون تعدد أجره لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم ، فحصل له الأجر الثاني بمجاهدته نفسه على مخالفة أنظاره .

ب

أهل الدَّارِ يُبَيِّتُونَ ، فَيُصَابُ الْوَلَدَانُ وَالذَّرَارِيُّ

﴿ بَيَاتًا ﴾ : لَيْلًا .

[٣٠١٢] ٢٩١٤ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ قَالَ : مَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْأَبْوَاءِ - أَوْ بُوْدَانَ - فَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يُبَيِّتُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذُرَارِيهِمْ ، قَالَ : « هُمْ مِنْهُمْ » . فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : « لَا حِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ » .

[٣٠١٣] ٢٩١٥ - وَعَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : قَالَ حَدَّثَنَا الصَّعْبُ فِي الذَّرَارِيِّ . كَانَ عَمْرُوٌّ يَحْدُثُنَا عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَسَمِعْنَاهُ مِنَ الزُّهْرِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ الصَّعْبِ قَالَ : هُمْ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَقُلْ كَمَا قَالَ عَمْرُوٌّ : هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ .

قوله (باب أهل الدار يبيتون فيصاب الوالدان والذراري) أى هل يجوز ذلك أم لا ؟ ويبتون مبنى للمفعول وفهم من تقييده بإصابة من ذكر قصر الخلاف عليه ، وجواز البيات إذا عرى عن ذلك . قال أحمد : لا بأس بالبيات ولا أعلم أحداً كرهه .

قوله (بياتاً ليلاً) كذا في جميع النسخ بالموحدة ثم التحتانية الخفيفة وبعد الألف مثناة ، وهذه عادة المصنف إذا وقع في الخبر لفظة توافق ما وقع في القرآن أورد تفسير اللفظ الواقع في القرآن جمعاً بين المصلحتين وتبركاً بالأمرين . ووقع عند غير أبي ذر من الزيادة هنا « لنبيتنه ليلاً ، بيت ليلاً » وهذا جميع ما وقع في القرآن من هذه المادة ، وهذه الأخيرة « بيت » يريد قوله ﴿ بيت طائفة منهم غير الذي تقول ﴾ وهى في السبعة . قال أبو عبيدة : كل شئء قدر بليل يبيت ، قال الشاعر :

هبت لتعدلى بليل أسمع سفها تبينك الملامة فاهجى

وأغرب ابن المنير فصحف « بياناً » فجعلها نياماً بنون وميم من النوم فصارت هكذا « فيصاب الوالدان والذراري نياماً ليلاً » ثم نعقبه فقال : العجب من زيادته في الترجمة نياماً وما هو في الحديث إلا ضمنا ، إلا أن الغالب أنهم إذا وقع بهم ليلاً كان أكثرهم نياماً ، لكن ما الحاجة إلى التقييد بالنوم والحكم سواء نياماً كانوا أو أيقاظاً ؟ إلا أن يقال : أن قتلهم نياماً أدخل في الاغتيل من كونهم أيقاظاً ، فنبه على جواز مثل ذلك انتهى . وقد صحف ثم تكلف . ومعنى البيات المراد في الحديث أن يغار على الكفار بالليل بحيث لا يميز بين أفرادهم .

قوله (عن عبيد الله) هو ابن عبد الله بن عتبة ، ووقع في رواية الحميدى في مسنده عن سفيان عن الزهرى « أخبرنى عبيد الله » .

قوله (فسئل) لم أقف على اسم السائل ، ثم وجدت في صحيح ابن حبان من طريق محمد بن عمرو عن الزهري بسنده عن الصعب قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين أنقتلهم معهم ؟ قال نعم » فظهر أن الراوى هو السائل .

قوله (عن أهل الدار) أى المنزل ، هكذا في البخارى وغيره ، ووقع في بعض النسخ من مسلم « سئل عن الدراوى » قال عياض : الأول هو الصواب . ووجه النووى الثانى وهو واضح .

قوله (هم منهم) أى فى الحكم تلك الحالة ، وليس المراد إباحة قتلهم بطريق القصد إليهم ، بل المراد إذا لم يمكن الوصول إلى الآباء إلا بوطء الذرية فإذا أصيبوا لاختلاطهم بهم جاز قتلهم .

قوله (وسمعتة يقول) كذا للأكثر ولأبى ذر « فسمعتة » بالفاء والأول أوضح ، وقوله « لا حمى إلا لله ولرسوله » تقدم الكلام عليه فى الشرب ، وقوله « وعن الزهري » هو موصول بالإسناد الأول ، وكان ابن عيينة يحدث بهذا الحديث مرتين مرة مجرداً وهكذا وسرة يذكر فيه سماعه إياه أولاً من عمرو بن دينار عن الزهري . عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم يذكر سماعه إياه من الزهري . ونبه على نكتة فى المتن ، وهى أن فى رواية عمرو بن دينار قال « هم من آبائهم » وفى رواية الزهري قال « هم منهم » وقد أوضح ذلك الإسماعيلي فى روايته عن جعفر الفريابي عن على بن المدينى وهو شيخ البخارى فيه فذكر الحديث وقال « قال على : رده سفيان فى هذا المجلس مرتين » . وقوله فى سياق هذا الباب « عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم » يوهم أن رواية عمرو بن دينار عن الزهري هكذا بطريق الإرسال وبذلك جزم بعض الشراح ، وليس كذلك فقد أخرجه الإسماعيلي من طريق العباس بن يزيد حدثنا سفيان قال « كان عمرو يحدثنا قبل أن يقدم المدينة الزهري عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن الصعب ، قال سفيان فقدم علينا الزهري فسمعتة يعيده ويبيده » فذكر الحديث ، وزاد الإسماعيلي فى طريق جعفر الفريابي عن على عن سفيان « وكان الزهري إذا حدث بهذا الحديث قال : وأخبرنى ابن كعب بن مالك عن عمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث إلى ابن أبى الحقيق نهى عن قتل النساء والصبيان » انتهى ، وهذا الحديث أخرجه أبو داود بمعناه من وجه آخر عن الزهري ، وكأن الزهري أشار بذلك إلى نسخ حديث الصعب ، وقال مالك والأوزاعي : لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال حتى لو ترس أهل الحرب بالنساء والصبيان أو تحصنوا بحصن أو سفينة وجعلوا معهم النساء والصبيان لم يجوز رميهم ولا تحريقهم . وقد أخرج ابن حبان فى حديث الصعب زيادة فى آخره « ثم نهى عنهم يوم حنين » وهى مدرجة فى حديث الصعب ، وذلك بين فى سنن أبى داود فإنه قال فى آخره « قال سفيان قال الزهري : ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن قتل النساء والصبيان » ويؤيد كون النهى فى غزوة حنين ماسياً فى حديث رباح بن الربيع الآتى « فقال لأحدهم : الحق خالداً فقل له لا تقتل ذرية ولا عسيفاً » والعسيف بمهملتين وفاء الأجير وزناً ومعنى ، وخالد أول مشاهدته مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح ، وفى ذلك العام كانت غزوة حنين ، وأخرج الطبرانى فى « الأوسط » من حديث ابن عمر قال « لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى بامرأة مقتولة فقال ما كانت هذه تقاتل ونهى » فذكر الحديث ، وأخرج أبو داود فى « المراسيل » عن عكرمة « أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة مقتولة بالطائف فقال :

ألم أنه عن قتل النساء ، من صاحبها ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله أردفتها فأرادت أن تصرعني فتقتلني فقتلتها ، فأمر بها أن توارى » ويحتمل في هذه التعدد ، والذي جنح إليه غيرهم الجمع بين الحديثين كما تقدمت الإشارة إليه ، وهو قول الشافعي والكوفيين ، وقالوا : إذا قاتلت المرأة جاز قتلها . وقال ابن حبيب من المالكية : لا يجوز القصد إلى قتلها إلا إن باشرت القتل وقصدت إليه . قال : وكذلك الصبي المراهق . ويؤيد قول الجمهور ما أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث رياح بن الربيع وهو بكسر الراء والتحتانية التيمى قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ، فرأى الناس مجتمعين ، فرأى امرأة مقتولة فقال : ما كانت هذه لتقاتل » فإن مفهومه أنها لو قاتلت لقتلت ، واتفق الجميع كما نقل ابن بطال وغيره على منع القصد إلى قتل النساء والوالدان ، أما النساء فلضعفهن ، وأما الولدان فلقصورهم عن فعل الكفر ، ولما في استبقائهم جميعاً من الانتفاع بهم إما بالرق أو بالفداء فيمن يجوز أن يفادى به ، وحكى الحازمي قولاً بجواز قتل النساء والصبيان على ظاهر حديث الصعب ، وزعم أنه ناسخ لأحاديث النهى ، وهو غريب ، وسبأى الكلام على قتل المرأة المرتدة في كتاب القصاص . وفي الحديث دليل على جواز العمل بالعام حتى يرد الخاص ، لأن الصحابة تمسكوا بالعمومات الدالة على قتل أهل الشرك ، ثم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان فخص ذلك العموم ، ويحتمل أن يستدل به على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة . ويستنبط منه الرد على من يتخلى عن النساء وغيرهن من أصناف الأموال زهداً لأنهم وإن كان قد يحصل منهم الضرر في الدين لكن يتوقف تجنبهم على حصول ذلك الضرر ، فتي حصل اجتنبت وإلا فليتناول من ذلك بقدر الحاجة .

باب قتل الصبيان في الحرب

[٣٠١٤] ٢٩١٦ - حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا ليث عن نافع أن عبد الله أخبره : أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة ، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان .

[الحديث ٣٠١٤ - طرفه في : ٣٠١٥].

قوله (باب قتل الصبيان في الحرب) أورد فيه حديث ابن عمر من طريق ليث وهو ابن سعد بلفظ « فأنكر »

قتل النساء في الحرب

[٣٠١٥] ٢٩١٧ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : قلت : لأبي أسامة : حدثكم عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان .

ثم قال (باب قتل النساء في الحرب) وأورد الحديث المذكور من طريق عبيد الله وهو ابن عمر بلفظ « فنهى » وإسحق بن إبراهيم شيخه فيه هو ابن راهويه ، هكذا أورده في مسنده بهذا السياق وزاد في آخره « فأقر به أبو أسامة وقال : نعم » وعلى هذا فلا حجة فيه لمن قال فيه إن من قال لشيخه حدثكم فلان فسكت جاز ذلك مع القرينة لأنه تبين من هذه الطريق الأخرى أنه لم يسكت ، وقد تقدمت أحكامه في الباب الذي قبله . ورواه الطبراني في « الأوسط » من حديث أبي سعيد قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان وقال : هما لمن غلب » .

باب لا يُعَذَّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ

[٣٠١٦] ٢٩١٨ - حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة أنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث فقال : « إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار » . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردنا الخروج : « إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما » .

[٣٠١٧] ٢٩١٩ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان عن أيوب عن عكرمة أن علياً حرق قوماً ، فبلغ ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تعذبوا بعذاب الله » ، ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » .

[الحديث ٣٠١٧ - طرفه في : ٦٩٢٢]

قوله (باب لا يعذب بعذاب الله) هكذا بت الحكم في هذه المسألة لوضوح دليلها عنده ، ومحله إذا لم يتعين التحريق طريقاً إلى الغلبة على الكفار حال الحرب .

قوله (عن بكير) بموحدة وكاف مصغر ، ولأحمد عن هشام بن القاسم عن الليث « حدثني بكير ابن عبد الله بن الأشج » فأفاد نسبته وتصريحه بالتحديث .

قوله (عن أبي هريرة) كذا في جميع الطرق عن الليث ليس بين سليمان بن يسار وأبي هريرة فيه أحد ، وكذلك أخرجه النسائي من طريق عمرو بن الحارث وغيره عن بكير ، ومضى قبل أبواب معلقاً ، وخالفهم محمد بن إسحق فرواه في السيرة عن يزيد بن أبي حبيب عن بكير فأدخل بين سليمان وأبي هريرة رجلاً وهو أبو إسحق الدوسي ، وأخرجه الدارمي وابن السكن وابن حبان في صحيحه من طريق ابن إسحق ، وأشار الترمذي إلى هذه الرواية ، ونقل عن البخاري أن رواية الليث أصح ، وسليمان قد صح سماعه من أبي هريرة ، يعني وهو غير مدلس فتكون رواية ابن إسحق من المزيد في متصل الأسانيد .

قوله (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث فقال إن وجدتم فلاناً وفلاناً) زاد الترمذي عن قتيبة بهذا الإسناد « رجلين من قريش » وفي رواية ابن إسحق « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أنا فيها

قلت : وكان أمير السرية المذكورة حمزة بن عمرو الأسلمي أخرجه أبو داود من طريقه بإسناد صحيح لكن قال في روايته « إن وجدتم فلاناً فأحرقوه بالنار » هكذا بالإفراد ، وكذلك رويناه في « فوائد علي بن حرب » عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح مرسلًا وسماه هبار بن الأسود ، ووقع في رواية ابن إسحاق إن وجدتم هبار بن الأسود والرجل الذي سبق منه إلى زينب ماسبق فحرقوها بالنار » يعني زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان زوجها أبو العاص بن الربيع لما أسره الصحابة ثم أطلقه النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة شرط عليه أن يجهز له ابنته زينب فجهزها ، فتبعها هبار بن الأسود ورفيقه فنخسا بعيرها فأسقطت ومرضت من ذلك ، والقصة مشهورة عند ابن إسحاق وغيره ، وقال في روايته « وكانا نخسا بزینب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجت من مكة » وقد أخرجه سعيد بن منصور عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح « أن هبار بن الأسود أصاب زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء وهي في خدرها فأسقطت ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فقال : إن وجدتموه فاجعلوه بين حزمتي حطب ثم أشعلوا فيه النار » ثم قال « إني لأستحي من الله ، لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله » الحديث ، فكأن إفراد هبار بالذكر لكونه كان الأصل في ذلك والآخر كان تبعاً له ، وسمى ابن السكن في روايته من طريق ابن إسحاق الرجل الآخر نافع بن عبد قيس ، وبه جزم ابن هشام في « زوائد السيرة » عليه ، وحكى السهيلي عن مسند البزار أنه خالد بن عبد قيس فلعله تصحف عليه ، وإنما هو نافع ، كذلك هو في النسخ المعتمدة من مسند البزار ، وكذلك أورده ابن بشكوال من مسند البزار ، وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه من طريق ابن لهيعة كذلك . قلت : وقد أسلم هبار هذا ، ففي رواية ابن أبي نجيح المذكورة « فلم تصبه السرية وأصابه الإسلام فهاجر » فذكر قصة إسلامه ، وله حديث عند الطبراني وآخر عند ابن منده ، وذكر البخاري في تاريخه لسليمان بن يسار عنه رواية في قصة جرت له مع عمر في الحج ، وعاش هبار هذا إلى خلافة معاوية ، وهو بفتح الهاء وتشديد الموحدة . ولم أقف لرفيقه على ذكر في الصحابة فلعله مات قبل أن يسلم .

قوله (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردنا الخروج) في رواية ابن إسحاق « حتى إذا كان من الغد » وفي رواية عمرو بن الحارث « فأتيناه نودعه حين أردنا الخروج » وفي رواية ابن لهيعة « فلما ودعنا » وفي رواية حمزة الأسلمي « فوليت فناداني فرجعت » .

قوله (وأن النار لا يعذب بها إلا الله) هو خبر بمعنى النهي ، ووقع في رواية ابن لهيعة « وأنه لا ينبغي » وفي رواية ابن إسحاق « ثم رأيت أنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا الله » وروى أبو داود من حديث ابن مسعود رفعه « أنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار » وفي الحديث قصة . واختلف السلف في التحريق : فكره ذلك عمر وابن عباس وغيرهما مطلقاً سواء كان ذلك بسبب كفر أو في حال مقاتلة أو كان قصاصاً ، وأجازه علي وخالد بن الوليد وغيرهما ، وسيأتي ما يتعلق بالقصاص قريباً . وقال المهلب : ليس هذا النهي على التحريم بل على سبيل التواضع ، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة ، وقد سمل النبي صلى الله عليه وسلم أعين العرنيين بالحديد المحمي ، وقد حرق أبو بكر البغاة بالنار بحضرة الصحابة ، وحرق خالد بن الوليد بالنار ناساً من أهل الردة ، وأكثر علماء المدينة يجوزون تحريق الحصون والمراكب على أهلها قاله النووي والأوزاعي .

وقال ابن المنير وغيره : لاحجة فيما ذكر للجواز ، لأن قصة العرنيين كانت قصاصاً أو منسوخة كما تقدم . وتجوز الصحابي معارض بمنع صحابي آخر ، وقصة الحصون والمراكب مقيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقاً للظفر بالعدو ، ومنهم من قيده بأن لا يكون معهم نساء ولا صبيان كما تقدم ، وأما حديث الباب فظاهر النهي فيه التحريم ، وهو نسخ لأمره المتقدم سواء كان بوحى إليه أو باجتهاد منه ، وهو محمول على من قصد إلى ذلك في شخص بعينه . وقد اختلف في مذهب مالك في أصل المسألة وفي التدخين وفي القصاص بالنار ، وفي الحديث جواز الحكم بالشئ اجتهداً ثم الرجوع عنه ، واستحباب ذكر الدليل عند الحكم لرفع الإلباس والاستئابة في الحدود ونحوها ، وأن طول الزمان لا يرفع العقوبة عمن يسحقها . وفيه كراهة قتل مثل البرغوث بالنار . وفيه نسخ السنة بالسنة وهو اتفاق . وفيه مشروعية توديع المسافر لأكابر أهل بلده ، وتوديع أصحابه له أيضاً . وفيه جواز نسخ الحكم قبل العمل به أو قبل التمكن من العمل به ، وهو اتفاق إلا عن بعض المعتزلة فيما حكاه أبو بكر بن العربي . وهذه المسألة غير المسألة المشهورة في الأصول في وجوب العمل بالناسخ قبل العلم به ، وقد تقدم شئ من ذلك في أوائل الصلاة في الكلام على حديث الإسراء . وقد اتفقوا على أنهم إن تمكنوا من العلم به ثبت حكمه في حقهم اتفاقاً ، فإن لم يتمكنوا فالجمهور أنه لا يثبت ، وقيل يثبت في الذمة كما لو كان نائماً ولكنه معذور .

قوله (عن أيوب) صرح الحميدى عن سفيان بتحديث أيوب له به .

قوله (إن علياً حرق قوماً) في رواية الحميدى المذكورة « أن علياً أحرق المرتدين » يعنى الزنادقة . وفي رواية ابن أبي عمر ومحمد بن عباد عند الإسماعيلي جميعاً عن سفيان قال « رأيت عمرو بن دينار وأيوب وعمارا الدهني اجتمعوا فتذكروا الذين حرقهم على ، فقال أيوب « فذكر الحديث » فقال عمار لم يحرقهم ، ولكن حفر لهم حفائر وخرق بعضهم إلى بعض ثم دخن عليهم ، فقال عمرو بن دينار قال الشاعر :

لترم بي المنايا حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما أججوا خطباً وناراً هناك الموت نقداً غير دين »

انتهى . وكأن عمرو بن دينار أراد بذلك الرد على عمار الدهني في إنكاره أصل التحريق . ثم وجدت في الجزء الثالث من حديث أنى طاهر المخلص « حدثنا لوين حدثنا سفيان بن عيينة » فذكره عن أيوب وحده ، ثم أورده عن عمار وحده ، قال ابن عيينة : فذكرته لعمرو بن دينار فأنكره وقال « فأين قوله : أوقدت نارى ودعوت قنبراً » فظهر بهذا صحة ما كنت ظننته ، وسيأتى للمصنف في استئابة المرتدين في آخر الحدود من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال « أتى على بزنادقة فأحرقهم » ولأحمد من هذا الوجه « أن علياً أتى بقوم من هؤلاء الزنادقة ومعهم كتب ، فأمر بنار فأججت ثم أحرقهم وكتبهم » وروى ابن أبي شيبه من طريق عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه قال « كان ناس يعبدون الأصنام في السر ويأخذون العطاء ، فأتى بهم على فوضعهم في السجن واستشار الناس ، فقالوا : اقتلهم ، فقال : لا بل أصنع بهم كما صنع بأبينا إبراهيم ، فحرقهم بالنار » .

قوله (لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تعذبوا بعذاب الله) هذا أصرح في النهي من الذي قبله ، وزاد أحمد وأبو داود والنسائي من وجه آخر عن أيوب في آخره « فبلغ ذلك علياً فقال : ويح ابن عباس » وسيأتي الكلام على قوله « من بدل دينه فاقتلوه » في استتابة المرتدين إن شاء الله تعالى .

باب ﴿ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾

فيه حديث ثمانية . وقوله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ - يعني يغلب في الأرض - تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ الآية (١) .

قوله (باب ﴿ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾) فيه حديث ثمانية (كأنه يشير إلى حديث أبي هريرة في قصة إسلام ثمانية بن أثال ، وستأتي موصولة مطولة في أواخر كتاب المغازي ، والمقصود منها هنا قوله فيه « إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكرك ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت » فإن النبي صلى الله عليه وسلم أقره على ذلك ولم ينكر عليه التقسيم ثم من عليه بعد ذلك ، فكان في ذلك تقوية لقول الجمهور : أن الأمر في أسرى الكفرة من الرجال إلى الإمام يفعل ما هو الأحظ للإسلام والمسلمين . وقال الزهري ومجاهد وطائفة : لا يجوز أخذ الفداء من أسارى الكفار أصلاً وعن الحسن وعطاء : لا تقتل الأسارى ، بل يتخير بين المن والفداء . وعن مالك : لا يجوز المن بغير فداء . وعن الحنفية : لا يجوز المن أصلاً لا بفداء ولا بغيره ، فيرد الأسير حربياً . قال الطحاوي : وظاهر الآية حجة للجمهور وكذا حديث أبي هريرة في قصة ثمانية ، لكن في قصة ثمانية ذكر القتل . وقال أبو بكر الرازي : احتج أصحابنا لكرهية فداء المشركين بالمال بقوله تعالى ﴿ لَوْلَا كِتَابُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ الآية ، ولا حجة لهم لأن ذلك كان قبل حل الغنيمة ، فإن فعله بعد إباحة الغنيمة فلا كراهة انتهى . وهذا هو الصواب ، فقد حكى ابن القيم في الهدى اختلافاً : أي الأمرين أرجح ؟ ما أشار به أبو بكر من أخذ الفداء ، أو ما أشار به عمر من القتل ؟ فرجحت طائفة رأى عمر لظاهر الآية ولما في القصة من حديث عمر من قول النبي صلى الله عليه وسلم « أبكى لما عرض على أصحابك من العذاب لأخذهم الفداء » ورجحت طائفة رأى أبي بكر لأنه الذي استقر عليه الحال حينئذ ، ولموافقة رأيه الكتاب الذي سبق ، ولموافقة حديث « سبقت رحمتي غضبي » ولحصول الخير العظيم بعد من دخول كثير منهم في الإسلام والصحبة ومن ولد لهم من كان ومن تجدد ، إلى غير ذلك مما يعرف بالتأمل . وحملوا التهديد بالعذاب على من اختار الفداء ، فيحصل عرض الدنيا مجزئاً وعفا الله عنهم ذلك . وحديث عمر المشار إليه في هذه القصة أخرجه أحمد مطولاً وأصله في صحيح مسلم بالسند المذكور .

قوله (وقوله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ - يعني يغلب في الأرض - تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ الآية) كذا وقع في رواية أبي ذر وكريمة ، وسقط للباقيين ، وتفسير يشخن بمعنى يغلب قاله أبو عبيدة وزاد : ويبالغ . وعن مجاهد : الإثخان القتل ، وقيل المبالغة فيه ، وقيل معناه حتى يتمكن في الأرض . وأصل الإثخان في اللغة الشدة والقوة . وأشار المصنف بهذه الآية إلى قول مجاهد وغيره

(١) ﴿ يَكُونَ لَهُ ﴾ : قرأ البصري : ﴿ تَكُونَ لَهُ ﴾ ، والباقيون : ﴿ يَكُونَ لَهُ ﴾ .

من منع أخذ الفداء من أسارى الكفار ، وحجتهم منها أنه تعالى أنكر إطلاق أسرى كفار بدر على مال فدل على عدم جواز ذلك بعد ، واحتجوا بقوله تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ قال فلا يستثنى من ذلك إلا من يجوز أخذ الجزية منه ، وقال الضحاك : بل قوله تعالى ﴿ فإما مناً بعداً وإما فداء ﴾ ناسخ لقوله تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ وقال أبو عبيد : لا نسخ في شيء من هذه الآيات بل هي محكمة ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم عمل بما دلت عليه كلها في جميع أحكامه : فقتل بعض الكفار يوم بدر ، وفدى بعضاً ، ومن على بعض . وكذا قتل بنى قريظة ، ومن على بنى المصطلق ، وقتل ابن خطل وغيره بمكة ومن على سائرهم . وسبى هوازن ومن عليهم . ومن على ثمامة بن أثال . فدل كل ذلك على ترجيح قول الجمهور إن ذلك راجع إلى رأى الإمام . ومحصل أحوالهم تخير الإمام بعد الأسر بين ضرب الجزية لمن شرع أخذها منه أو القتل أو الاسترقاق أو المن بلا عوض أو بعوض ، هذا في الرجال ، وأما النساء والصبيان فيرقون بنفس الأسر ، ويجوز المفاداة بالأسيرة الكافرة بأسير مسلم أو مسلمة عند الكفار ، ولو أسلم الأسير زال القتل اتفاقاً ، وهل يصير رقيقاً أو تبقى بقية الحصال ؟ قولان للعلماء .

باب هل للأسير أن يقتل ويخدع الذين أسروه حتى ينجو من الكفرة ؟

فيه المسور عن النبي صلى الله عليه .

قوله (باب هل للأسير أن يقتل أو يخدع الذين أسروه حتى ينجو من الكفرة ؟ فيه المسور عن النبي صلى الله عليه وسلم) يشير بذلك إلى قصة أبي بصير ، وقد تقدم بسطها في أواخر الشروط ، وهي ظاهرة فيما ترجم له ، وهي من مسائل الخلاف أيضاً ، ولهذا لم يبت الحكم فيها ، قال الجمهور : إن ائتمنوه يف لهم بالعهد ، حتى قال مالك : لا يجرز أن يهرب منهم . وخالفه أشهب فقال : لو خرج به الكافر ليفادى به فله أن يقتله . وقال أبو حنيفة والطبري : إعطاؤه العهد على ذلك باطل ، ويجوز له أن لا يئى لهم به . وقال الشافعية : يجوز أن يهرب من أيديهم ، ولا يجوز أن يأخذ من أموالهم . قالوا : وإن لم يكن بينهم عهد جاز له أن يتخلص منهم بكل طريق ولو بالقتل وأخذ المال وتحريق الدار وغير ذلك ، وليس في قصة أبي بصير تصريح بأنه كان بينه وبين من تسلمه ليرده إلى المشركين عهد ، ولهذا تعرض للقتل ، فقتل أحد الرجلين وانفلت الآخر ، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم مستوفى .

باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق ؟

٢٩٢٠ - حدثنا معلى قال حدثنا وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك أن رهطاً من عكل ثمانية قدموا على النبي صلى الله عليه فاجتوا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله ، أبغنا رسلاً ، قال : « ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بالذود » . فانطلقوا فشرّبوا من أبوالها وألبانها حتى صحووا وسمنوا ، وقتلوا الراعي واستاقوا الذود ، وكفروا بعد إسلامهم . فأتى الصريح النبي صلى

الله عليه، فبعث الطلب، فما ترجل النهار حتى أتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها وطرحهم بالحرة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا» قال أبو قلابة: قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً.

قوله (باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق) ؟ أى جزاء بفعله . هذه الترجمة تليق أن تذكر قبل باين ، فلعل تأخيرها من تصرف النقلة ، ويؤيد ذلك أنهما سقطا جميعاً للنسب ، وثبت عنده ترجمة « إذا حرق المشرك » تلو ترجمة « ولا يعذب بعذاب الله » وكأنه أشار بذلك إلى تخصيص النهى في قوله « لا يعذب بعذاب الله » بما إذا لم يكن ذلك على سبيل القصاص ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك . وقد أورد المصنف في الباب حديث أنس في قصة العرنيين ، وليس فيه التصريح بأنهم فعلوا ذلك بالرءاء لكنه أشار إلى ماورد في بعض طرقه ، وذلك فيما أخرجه مسلم من وجه آخر عن أنس قال « إنما سمل النبي صلى الله عليه وسلم أعين العرنيين لأنهم سملوا أعين الرءاء » قال ابن بطال : ولو لم يرد ذلك لكان أخذ ذلك من قصة العرنيين بطريق الأولى ، لأنه جاز سمل أعينهم وهو تعذيب بالنار ولو لم يفعلوا ذلك بالمسلمين فجوازه إن فعلوه أولى . وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في كتاب الطهارة في « باب أبواب الإبل » وهو في أواخر أبواب الوضوء قبيل كتاب الغسل . وقوله « حدثنا معلى » بضم الميم وهو ابن أسد ، وثبت كذلك في رواية الأصيلي وآخرين . وقوله فيه « أبغنا رسلاً » أى أعنا على طلبه ، والرسل بكسر الراء الدر من اللبن . والذود بفتح المعجمة وسكون الواو بعدها مهملة : الثلاث من الإبل إلى العشرة ، والصريخ : صوت المستغيث : وترجل بالجيم : أى ارتفع .

ب

[٣٠١٩] ٢٩٢١ - حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب وأبي سلمة أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « قرصت نملة نبياً من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأحرق ، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح » .

[الحديث ٣٠١٩ - ظرفه في : ٣٣١٩] .

قوله (باب) كذا لم بغير ترجمة ، وهو كالفصل من الباب قبله ، والمناسبة بينهما أن لا يتجاوز بالتحريق حيث يجوز إلى من لم يستوجب ذلك ، فإنه أورد فيه حديث أبي هريرة في تحريق قرية النمل ، وأشار بذلك إلى ما وقع في بعض طرقه « أن الله أوحى إليه فهلا نملة واحدة » فإن فيه إشارة إلى أنه لو حرق التي قرصته وحدها لما عوتب ، ولا يخفى أن صحة الاستدلال بذلك متوقفة على أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا ؟ وسيأتى الكلام على شرحه مستوفى في بدء الخلق إن شاء الله تعالى .

باب

حَرْقُ الدُّورِ وَالنَّخِيلِ

[٣٠٢٠] ٢٩٢٢ - حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى عن إسماعيل قال : حدثني قيس بن أبي حازم قال : قال لي جرير قال لي رسول الله صلى الله عليه : « ألا تريحني من ذي الخلصة » وكان بيتا في خثعم يسمى كعبة اليمانية . قال : فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمرس وكانوا أصحاب خيل وكنتم لا أثبت على الخيل فضرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري . وقال : « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » فانطلق إليها فكسرها وحرقها . ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه يخبره فقال رسول جرير : والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجوف أو أجرب . قال : « فبارك في خيل أحمرس ورجالها خمس مرات » .

[الحديث ٣٠٢٠ - أطرافه في : ٣٠٣٦ ، ٣٠٧٦ ، ٣٨٢٣ ، ٤٣٥٥ ، ٤٣٥٦ ، ٤٣٥٧ ، ٦٠٨٩ ، ٦٣٣٣ .]

[٣٠٢١] ٢٩٢٣ - حدثنا محمد بن كثير قال : أخبرنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال : حرق النبي صلى الله عليه نخل بني النضير .

قوله (باب حرق الدور والنخيل) أي التي للمشركين . كذا وقع في جميع النسخ « حرق » وضبطوه بفتح أوله وإسكان الراء ، وفيه نظر لأنه لا يقال في المصدر حرق ؛ وإنما يقال تحريق وإحراق لأنه رباعي ، فلعله كان حرق بتشديد الراء بلفظ الفعل الماضي وهو المطابق للفظ الحديث والفاعل محذوف تقديره النبي صلى الله عليه وسلم بفعله أو بإذنه . وقد ترجم في التي قبلها « باب إذا حرق » وعلى هذا فقوله الدور منصوب بالمفعولية والنخيل كذلك نسقا عليه . ثم ذكر فيه حديثين ظاهرين فيما ترجم له : أحدهما عن جرير في قصة ذي الخلصة بفتح المعجمة واللام والمهمل وحكى تسكين اللام ، وسيأتي شرحه في أواخر المغازي . وقوله فيه « كعبة اليمانية » أي كعبة الجهة اليمانية على رأي البصريين . ثانيهما حديث ابن عمر « حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير » أورده مختصرا هكذا ، وسيأتي بتمامه في المغازي مع شرحه إن شاء الله تعالى . وقد ذهب الجمهور إلى جواز التحريق والتخريب في بلاد العدو ، وكرهه الأوزاعي والليث وأبو ثور ، واحتجوا بوصية أبي بكر لجيوشه أن لا يفعلوا شيئا من ذلك ، وأجاب الطبري بأن النهي محمول على القصد لذلك بخلاف ما إذا أصابوا ذلك في خلال القتال كما وقع في نصب المنجنيق على الطائف ، وهر نحو ما أجاب به في النهي عن قتل النساء والصبيان ، وبهذا قال أكثر أهل العلم ، ونحو ذلك القتل بالتغريق . وقال غيره : إنما نهى أبو بكر جيوشه عن ذلك لأنه علم أن تلك البلاد ستفتح فأراد إبقاءها على المسلمين . والله أعلم .

باب قتل النائم المشرك

[٣٠٢٢] ٢٩٢٤ - حدثنا علي بن مسلم قال حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال حدثني أبي عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله صلى الله عليه رهطاً من الأنصار إلى أبي رافع ليقتلوه، فانطلق رجل منهم فدخل حصنهم، قال: فدخلت في مربوط دواب لهم قال: وأغلقوا باب الحصن، ثم إنهم فقدوا حماراً لهم فخرجوا يطلبونه، فخرجت فيمن خرج أريهم أني أطلبه معهم، فوجدوا الحمار، فدخلوا ودخلت، وأغلقوا باب الحصن ليلاً، فوضعوا المفاتيح في كوة حيث أراها، فلما ناموا أخذت المفاتيح ففتحت باب الحصن، ثم دخلت عليه فقلت: يا أبارافع، فأجابني، فتعمدت الصوت فضربتة، فصاح، فخرجت، ثم رجعت كأنني مغيث فقلت: يا أبارافع - وغيّرت صوتي - فقال: مالك لأمك الويل، قلت: ما شأنك؟ قال: لا أدري من دخل علي فضربني، قال: فوضعت سيفي في بطنه، ثم تحاملت عليه حتى قرع العظم، ثم خرجت وأنا دهش، فأتيت سلماً لهم لأنزل منه فوقعت، فوثت رجلي، فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما أنا ببارح حتى أسمع الواعية، فما برحت حتى سمعت نعايا أبي رافع تاجر أهل الحجاز. فقال: فقمتم وما في قلبة، حتى أتينا النبي صلى الله عليه فأخبرناه.

[الحديث ٣٠٢٢ - أطرافه في: ٣٠٢٣، ٤٠٣٨، ٤٠٣٩، ٤٠٤٠.]

[٣٠٢٣] ٢٩٢٥ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا ابن أبي زائدة عن أبيه عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله صلى الله عليه رهطاً من الأنصار إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً فقتله وهو نائم.

قوله (باب قتل المشرك النائم) ذكر فيه قصة قتل أبي رافع اليهودي من حديث البراء بن عازب، أورده من وجهين مطولاً ومختصراً، وسيأتي شرحها في كتاب المغازي إن شاء الله تعالى، وهي ظاهرة فيما ترجم له، لأن الصحابي طلب قتل أبي رافع وهو نائم، وإنما ناداه ليتحقق أنه هو لئلا يقتل غيره ممن لا غرض له إذ ذاك في قتله وبعد أن أجابه كان في حكم النائم لأنه حينئذ استمر على خيال نومه، بدليل أنه بعد أن ضربه لم يفر من مكانه ولا تحول من مضجعه حتى عاد إليه فقتله، وفيه جواز التجسس على المشركين وطلب غرتهم، وجواز اغتيال ذوى الأذية البالغة منهم، وكان أبو رافع يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤلب عليه الناس. ويؤخذ منه جواز قتل المشرك بغير دعوة إن كان قد بلغته الدعوة قبل ذلك، وأما قتله إذا كان نائماً فمحله أن يعلم أنه مستمر على كفره وأنه قد يشس من فلاحه، وطريق العلم بذلك إما بالوحي وإما بالقرائن الدالة على ذلك.

ب

لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ

- (١) [٣٠٢٤] - ٢٩٢٦ - حدثنا يوسف بن موسى قال حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعي قال حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن موسى بن عتبة قال: حدثني سالم أبو النضر قال: كنت كاتباً لعمر بن عبيد الله فاتاه كتاب عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه قال: «لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ»، وقال أبو عامر: حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا».

قوله (باب لا تمنوا لقاء العدو) ذكر فيه حديث عبد الله بن أبي أوفى في ذلك، وقد تقدم مقطوعاً في أبواب منها «الجنة تحت البارقة» اقتصر على قوله «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ومنها «الصبر عند القتال» واقتصر على قوله «وإذا لقيتموهم فاصبروا» ومنها «الدعاء على المشركين بالهزيمة» واقتصر على الفصل المتعلق بالحديث منه، وقد تقدم الكلام فيه على شيء في إسناده في أول ترجمة، وأورده بتمامه في «القتال بعد الزوال» وتقدم الكلام فيما يتعلق بذلك فيه.

قوله (لا تمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا) قال ابن بطال: حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن، وقد قال الصديق «لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن أبلى فأصبر» وقال غيره: إنما نهى عن تمنى لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والإنكال على النفوس والوثوق بالقوة وقلة الاهتمام بالعدو، وكل ذلك يباين الاحتياط والأخذ بالحزم. وقيل يحمل النهي على ما إذا وقع الشك في المصلحة أو حصول الضرر، وإلا فالقتال فضيلة وطاعة. ويؤيد الأول تعقيب النهي بقوله «وسلوا الله العافية» وأخرج سعيد بن منصور من طريق يحيى بن أبي كثير مرسلًا «لا تمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون عسى أن تبتلوا بهم» وقال ابن دقيق العيد: لما كان لقاء الموت من أشق الأشياء على النفس وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمر المحقق لم يؤمن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي فيكره التمني لذلك ولما فيه لو وقع من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه، ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة انتهى. واستدل بهذا الحديث على منع طلب المبارزة، وهو رأى الحسن البصري، وكان على يقول: لا تدع إلى المبارزة، فإذا دعيت فأجب تنصر، لأن الداعي باغ. وقد تقدم قول علي في ذلك.

(١) الأرقام ٣٠٢٤ و ٣٠٢٥ و ٣٠٢٦ هي لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي ثلاثة أحاديث.

قوله (ثم قال : اللهم منزل الكتاب الخ) أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم ، فبالكتاب إلى قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ وبمجرى السحاب إلى القدرة الظاهرة في تسخير السحاب حيث يحرك الريح بمشيئة الله تعالى ، وحيث يستمر في مكانه مع هبوب الريح ، وحيث تمطر تارة وأخرى لا تمطر ، فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين في حركتهم في القتال ، وبوقوفه إلى إمساك أيدي الكفار عنهم ، وبإنزال المطر إلى غنيمة ما معهم حيث يتفق قتلهم ، وبعده إلى هزيمتهم حيث لا يحصل الظفر بشيء منهم ، وكلها أحوال صالحة للمسلمين . وأشار بهازم الأحزاب إلى التوسل بالنعمة السابقة ، وإلى تجريد التوكل ، واعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل . وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث ، فإن بإنزال الكتاب حصلت النعمة الأخروية وهي الإسلام ، وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية وهي الرزق ، وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ نعمتين ، وكأنه قال : اللهم كما أنعمت بعظيم نعمتين الأخروية والدنيوية وحفظتهما فأبقهما . وروى الإسماعيلي في هذا الحديث من وجه آخر أنه صلى الله عليه وسلم دعا أيضاً فقال « اللهم أنت ربنا وربهم ، ونحن عبيدك وهم عبيدك نواصينا ونواصيهم بيدك ، فاهزمهم وانصرنا عليهم » ولسعيد بن منصور من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل نحوه لكن بصيغة الأمر عطفاً على قوله « وسلوا الله العافية : فإن بليتيم بهم فقولوا اللهم » فذكره وزاد « وغضرا أبصاركم واحملوا عليهم على بركة الله » .

قوله (وقال موسى بن عقبة الخ) هو معطوف على الإسناد الماضي ، وكأنه يشير إلى أنه عنده بالإسناد الواحد على وجهين مطولا ومختصراً ، وهذا مافي رواية أبي ذر ، واقتصر غيره لهذا المتن المختصر على الإسناد المذكور ولم يسوقوه مطولا والله أعلم .

قوله (وقال أبو عامر) هو العقدي ، وقال الكرمانى : لعنه عبد الله بن براد الأشعري ، كذا قال ولم يصب ، فإنه مالا بن براده رواية عن المغيرة . وقد وصله مسلم والنسائي والإسماعيلي وغيرهم من طرق عن أبي عامر العقدي عن مغيرة به ، وفي الحديث استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار ، ووصية المقاتلين بما فيه صلاح أمرهم ، وتعليمهم بما يحتاجون إليه ، وسؤال الله تعالى بصفاته الحسنى وبنعمه السالفة ، ومراعاة نشاط النفوس لفعل الطاعة ، والحث على سلوك الأدب وغير ذلك .

باب الحرب خدعة

[٣٠٢٧] ٢٩٢٧ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن همام عن

أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : «هَلِكَ كَسْرِي، ثُمَّ لَا يَكُونُ كَسْرِي بَعْدَهُ. وَقِصْرٌ^(١) لِيَهْلِكَنَّ، ثُمَّ لَا يَكُونُ قِصْرٌ بَعْدَهُ، وَلِتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وَسَمِيَ الْحَرْبُ خُدْعَةً. [٣٠٢٨]

[الحديث ٣٠٢٧ - أطرافه في : ٣١٢٠، ٣٦١٨، ٦٦٣٠.]

[الحديث ٣٠٢٨ - طرفه في : ٣٢٠٩.]

(١) الرقمان ٣٠٢٧ و ٣٠٢٨ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين .

[٣٠٢٩] ٢٩٢٨ - حدثنا أبو بكر بن أصرم قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال: سمى النبي صلى الله عليه الحرب خدعة.

[٣٠٣٠] ٢٩٢٩ - حدثنا صدقة بن الفضل قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه: «الحرب خدعة».

قوله (باب الحرب خدعة) أورد من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة مطولا ومختصرا ومن حديث جابر مختصرا وفي أول المطول ذكر كسرى وقيصر ، وسيأتى الكلام على هذا في علامات النبوة . وقوله «خدعة» بفتح المعجمة وبضمها مع سكون المهملة فيهما وبضم أوله وفتح ثانيه . قال النووي : اتفقوا على أن الأولى الأفصح ، حتى قال ثعلب : بلغنا أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك جزم أبو ذر الهروى والقزاز . والثانية ضبطت كذلك في رواية الأصيلي . قال أبو بكر بن طلحة : أراد ثعلب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعمل هذه البنية كثيراً لوجازة لفظها ولكونها تعطى معنى البذيتين الأخيرتين ، قال : ويعطى معناها أيضاً الأمر باستعمال الحيلة مهما أمكن ولو مرة وإلا فقاتل ؛ قال فكانت مع اختصارها كثيرة المعنى . ومعنى خدعة بالإسكان أنها تخدع أهلها ، من وصف الفاعل باسم المصدر ، أو أنها وصف المفعول كما يقال هذا الدرهم ضرب الأمير أى مضروبه . وقال الخطابي : معناه أنها مرة واحدة ، أى إذا خدع مرة واحدة لم تقل عثرته . وقيل الحكمة في الإتيان بالتاء للدلالة على الوحدة فإن الخداع إن كان من المسلمين فكأنه حضهم على ذلك ولو مرة واحدة ، وإن كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكرهم ولو وقع مرة واحدة ، فلا ينبغي التهاون بهم لما ينشأ عنهم من المفسدة ولو قل ، وفي اللغة الثالثة صيغة المبالغة كهزمة ولمزة ، وحكى المنرى لغة رابعة بالفتح فيهما ، قال : وهو جمع خادع أى أن أهلها بهذه الصفة ، وكأنه قال أهل الحرب خدعة . قلت : وحكى مكى ومحمد بن عبد الواحد لغة خامسة كسر أوله مع الإسكان ، قرأت ذلك بخط مغلطاي . وأصل الخدع إظهار أمر وإضمار خلافه . وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب ، والندب إلى خداع الكفار ، وإن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه ، قال النووي : واتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن ، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز ، قال ابن العربى : الخداع في الحرب يقع بالتعريض وبالسكين ونحو ذلك . وفي الحديث الإشارة إلى استعمال الرأى في الحرب : بل الاحتياج إليه أكد من الشجاعة ، ولهذا وقع الاختصار على ما يشير إليه بهذا الحديث ، وهو كقوله «الحج عرفة» ، قال ابن المنير : معنى الحرب خدعة أى الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها إنما هى المخادعة لا المواجهة ، وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر .

(تكميل) : ذكر الواقدي أن أول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم «الحرب خدعة» فى غزوة

الحنديق .

باب

الكذب في الحرب

[٣٠٣١] ٢٩٣٠ - حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سُفيان عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه قال: «من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله؟» قال محمد بن مسلمة: أتُحِبُّ أن أقتله يا رسول الله؟ قال: «نعم». قال: فأتاه فقال: إن هذا - يعني النبي صلى الله عليه - قد عَنَّانا وسألنا الصدقة. قال: وأيضاً والله لتمُّنُّه. قال: فإنَّا قد اتَّبَعْنَاهُ فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى ما يصير أمره. قال: فلم يزل يُكَلِّمُهُ حتى استمكن منه فقتله.

قوله (باب الكذب في الحرب) ذكر فيه حديث جابر في قصة قتل كعب بن الأشرف، وسيأتي مطرلاً مع شرحه في كتاب المغازي. قال ابن المنير: الترجمة غير مطابقة، لأن الذي وقع منهم في قتل كعب ابن الأشرف يمكن أن يكون تعريضاً، لأن قولهم «عَنَّانا» أي كلفنا بالأوامر والنواهي، وقولهم «سألنا الصدقة» أي طلبها منا ليضعها مواضعها، وقولهم «فنكره أن ندعه الخ» معناه نكره فراقه، ولا شك أنهم كانوا يحبون الكون معه أبداً انتهى. والذي يظهر أنه لم يقع منهم فيما قالوه بشيء من الكذب أصلاً، وجميع ما صدر منهم تلريح كما سبق، لكن ترجم بذلك لقول محمد بن مسلمة للنبي صلى الله عليه وسلم أولاً «أذن لي أن أقول»، قال قل «فإنه يدخل فيه الإذن في الكذب تصريحاً وتلويحاً وهذه الزيادة وإن لم تذكر في سياق حديث الباب فهي ثابتة فيه كما في الباب الذي بعده، على أنه لو لم يرد ذلك لما كانت الترجمة منافية للحديث، لأن معناها حينئذ باب الكذب في الحرب هل يسوغ مطلقاً أو يجوز منه الإيحاء دون التصريح، وقد جاء من ذلك صريحاً ما أخرجه الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد مرفوعاً «لا يحل الكذب إلا في ثلاث: تحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس» وقد تقدم في كتاب الصلح ما في حديث أم كلثوم بنت عقبة لهذا المعنى من ذلك، ونقل الخلاف في جواز الكذب مطلقاً أو تقييده بالتلويح، قال النووي: الظاهر إباحة حقيقة الكذب في الأمور الثلاثة، لكن التعريض أولى. وقال ابن العربي: الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص وفقاً بالمسلمين لحاجتهم إليه وليس للعقل فيه مجال، ولو كان تحريم الكذب بالعقل ما انقلب حالاً انتهى. ويقويه ما أخرجه أحمد وابن حبان من حديث أنس في قصة الحجاج ابن علاط الذي أخرجه النسائي وصححه الحاكم في استئذانه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول عنه ما شاء لمصلحته في استخلاص ماله من أهل مكة وأذن له النبي صلى الله عليه وسلم، وإخباره لأهل مكة أن أهل خير هزموا المسلمين وغير ذلك مما هو مشهور فيه، ولا يعارض ذلك ما أخرجه النسائي من طريق مصعب بن سعد عن أبيه في قصة عبد الله بن أبي سرح، وقول الأنصاري للنبي صلى الله عليه وسلم لما كف عن بيعته «هلا أومأت إلينا بعينك»، قال: ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين «لأن طريق الجمع بينهما أن المأذون فيه بالخداع والكذب في الحرب حالة الحرب خاصة، وأما حال المبايعة فليست بحال حرب، كذا قال، وفيه نظر لأن

قصة الحجاج بن علاط أيضاً لم تكن في حال حرب . والجواب المستقيم أن تقول : المنع مطلقاً من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم فلا يتعاطى شيئاً من ذلك وإن كان مباحاً لغيره ، ولا يعارض ذلك ما تقدم من أنه كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها ، فإن المراد أنه كان يريد أمراً فلا يظهره كأن يريد أن يغزو وجهة الشرق فيسأل عن أمر في جهة الغرب ، ويتجهز للسفر فيظن من يراه ويسمعه أنه يريد جهة الغرب ، وأما أن يصرح بإرادته الغرب وإنما مراده الشرق فلا ، والله أعلم . وقال ابن بطال : سألت بعض شيوخي عن معنى هذا الحديث فقال : الكذب المباح في الحرب ما يكون من المعاريض لا التصريح بالتأمين مثلاً ، قال وقال المهلب : موضع الشاهد للترجمة من حديث الباب قول محمد بن مسلمة « قد عانا ، فإنه سألنا الصدقة » لأن هذا الكلام يحتمل أن يفهم أن اتباعهم له إنما هو للدنيا فيكون كذباً محضاً ، ويحتمل أن يريد أنه أتعبنا بما يقع لنا من محاربة العرب . فهو من معارضض الكلام ، وليس فيه شيء من الكذب الحقيقي الذي هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه . ثم قال : ولا يجوز الكذب الحقيقي في شيء من الدين أصلاً . قال : ومحال أن يأمر بالكذب من يقول « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » انتهى ، وقد تقدم جواب ذلك بما يغني عن إعادته .

باب الفتك بأهل الحرب

[٣٠٣٢] ٢٩٣١ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر عن النبي صلى الله عليه قال : « من لكعب بن الأشرف ؟ » فقال محمد بن مسلمة : أتحب أن أقتله ؟ قال : « نعم » . قال : فأذن لي فأقول . قال : « قد فعلت » .

قوله (باب الفتك بأهل الحرب) أى جواز قتل الحربى سرّاً ، وبين هذه الترجمة وبين الترجمة الماضية وهى قتل المشرك النائم عموم وخصوص وجهى ، وذكر هنا طرفاً من حديث جابر فى قصة قتل كعب ابن الأشرف ، وقد تقدم التنبيه عليه فى الباب الذى قبله ، وإنما فتكوا به لأنه نقض العهد ، وأعان على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهجاه ، ولم يقع لأحد ممن توجه اليه تأمين له بالتصريح ، وإنما أوهموه ذلك وأنسوه حتى تمكنوا من قتله .

باب ما يجوز من الاحتيال ، والحذر مع من يخشى معرفته

[٣٠٣٣] ٢٩٣٢ - وقال الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر أنه قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه ومعه أبي بن كعب قبل ابن صياد - فحدث به فى نخل - فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه النخل ، طفق يتقي بجذوع النخل وابن صياد فى قطيفة له فيها رمرمة ، فرأت أم صياد رسول الله صلى الله عليه فقالت : يا صاف هذا محمد ، فوثب ابن صياد ، فقال رسول الله صلى الله عليه : « لو تركته بين » .

قوله (باب ما يجوز من الاحتيال والحذر مع من يخشى معرفته) بفتح الميم والمهملة وتشديد الراء أى شره وفساده .

قوله (وقال الليث إلى آخره) وصله الإسماعيلي من طريق يحيى بن بكير وأبى صالح كلاهما عن الليث وقد علق المصنف طرفاً منه في أواخر الجناز كما مضى ، وسيأتى شرحه قريباً بعد ستة عشر باباً .

باب الرّجَز في الحرب ، ورفَع الصوت في حفر الخندق

فيه سهلٌ وأنسٌ عن النبي صلى الله عليه . وفيه يزيدٌ عن سلمة .

[٣٠٣٤] ٢٩٣٣ - حدثنا مُسَدَّدٌ قال حدثنا أبو الأحوص قال حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه يومَ الخندق وهو ينقلُ التُّرابَ حتى وارى التُّرابُ شعرَ صدره - وكان رجلاً كثيرَ الشعر - وهو يرتجزُ برجزِ عبدِ الله بن رواحة :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا	وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا	وَتَبَّتْ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا	إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يرفعُ بها صوته .

قوله (باب الرّجَز في الحرب ، ورفَع الصوت في حفر الخندق) الرجز بفتح الراء والجيم والزاي من بحور الشعر على الصحيح ، وجرت عادة العرب باستعماله في الحرب ليزيد في النشاط ويبعث الهمم ، وفيه جواز تمثيل للنبي صلى الله عليه وسلم بشعر غيره ، وسيأتى بسط ذلك في أوائل المغازي إن شاء الله تعالى . وفيه جواز رفع الصوت في عمل الطاعة لينشط نفسه وغيره .

قوله (فيه سهل وأنس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه يزيد عن سلمة) أما حديث سهل وهو ابن سعد فوصله في غزوة الخندق وفيه « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » وسيأتى ، وأما حديث أنس فقد تقدم موصولاً في « باب حفر الخندق » في أوائل الجهاد ، وفيه مثل ذلك أيضاً بزيادة . وأما حديث يزيد وهو ابن أبي عبيد عن سلمة وهو ابن الأكوع فسيأتى في غزوة خيبر وفيه « اللهم لولا أنت ما اهتدينا » وقصة عامر ابن الأكوع وسيأتى أيضاً بعد أربعة أبواب ارتجاز سلمة أيضاً بقوله « واليوم يوم الرضع » . وقوله هنا في حديث البراء « أن العدا قد بغوا علينا » يأتى الكلام عليه في كتاب التمني عقب كتاب الأحكام وكأن المصنف أشار في الترجمة بقوله « ورفَع الصوت في حفر الخندق » إلى أن كراهة رفع الصوت في الحرب مختصة بحالة القتال ، وذلك فيما أخرجه أبو داود من طريق قيس بن عباد قال « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون الصوت عند القتال » .

باب مَنْ لَا يَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ

[٣٠٣٥] ٢٩٣٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْذُ أُسْلِمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ. وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا».

[الحديث ٣٠٣٥ - طرفاه في: ٣٨٢٢، ٦٠٩٠].

قوله (باب من لا يثبت على الخيل) أى ينبغى لأهل الخير أن يدعوا له بالثبات ، وفيه إشارة إلى فضيلة ركوب الخيل والثبات عليها ، ذكر فيه حديث جرير «ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت» وسيأتى الكلام عليه فى المناقب ، وقوله «إلا تبسم فى وجهه» فيه التفات من التكلم إلى الغيبة ، ووقع فى رواية السرخسى والكشمينى على الأصل بلفظ «فى وجهى» وقوله «ولقد شكوت إليه أنى لا أثبت على الخيل» هو موضع الترجمة وقد تقدم فى «باب حرق الدور والنخيل» ويأتى شرحه فى المغازى إن شاء الله تعالى . وقوله «هادياً مهدياً» زعم ابن بطال أن فيه تقدماً وتأخيراً قال : لأنه لا يكون هادياً لغيره إلا بعد أن يهتدى هو فيكون مهدياً انتهى ، وليست هنا صيغة ترتيب .

باب دَوَاءِ الْجُرْحِ بِإِحْرَاقِ الْحَصِيرِ

وَوَسَلِ الْمَرْأَةَ عَنْ أَبِيهَا الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَحَمَلِ الْمَاءَ فِي التُّرْسِ

[٣٠٣٧] ٢٩٣٥ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ قَالَ: سَأَلُوا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ: بِأَيِّ شَيْءٍ دَوَوِي جُرْحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: مَا بَقِيَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي، كَانَ عَلِيٌّ يَجِيءُ بِالْمَاءِ فِي تُرْسِهِ، وَكَانَتْ - يَعْنِي فَاطِمَةَ - تَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَأَخَذَ حَصِيرًا فَأَحْرَقَ، ثُمَّ حَشَى بِهِ جُرْحَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ.

قوله (باب دواء الجرح بإحراق الحصير ، وغسل المرأة عن أبيها الدم عن وجهه ، وحمل الماء فى الترس) اشتمل هذا الباب على ثلاثة أحكام ، وحديث الباب ظاهر فيها ، وقد أفرد الثانى منها فى كتاب الطهارة وأورد فيه هذا الحديث بعينه ، وسيأتى شرحه مستوفى فى المغازى إن شاء الله تعالى .

(١) الرقمان ٣٠٣٥ و ٣٠٣٦ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين .

باب

ما يُكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه
وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

[٣٠٣٨] ٢٩٣٦ - حدثنا يحيى قال حدثنا وكيع عن شعبة عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جدّه، أن النبي صلى الله عليه بعث مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشْرًا، وَلَا تُنْفِرُوا، وَتَطَاوَعًا وَلَا تَخْتَلَفُوا».

[٣٠٣٩] ٢٩٣٧ - حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا زهير قال حدثنا أبو إسحاق قال سمعتُ البراء بن عازب يُحدثُ قال: جعل النبي صلى الله عليه على الرّجالة يومَ أحدٍ - وكانوا خمسَين رجلاً - عبد الله بن جبير فقال: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطِفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ». فَهَزَمَهُمْ. قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْدُدْنَ، قَدْ بَدَتْ خِلَافُهُنَّ وَأَسَوَّقُهُنَّ، رَافَعَاتُ ثِيَابَهُنَّ. فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيْمَةُ، أَيُّ قَوْمِ الْغَنِيْمَةِ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أُنْسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنْصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيْمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وَجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَلِكَ إِذْ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ فِي أَخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مَنَا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَنَهَاَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يُجِيبُوهُ. ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةٍ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قَتَلُوا. فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنْ الَّذِينَ عُدَّتْ لِأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ. قَالَ: يَوْمَ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سَجَالٌ. إِنْكُمْ سَتَجِدُونِ فِي الْقَوْمِ مِثْلَةً لَمْ أَمْرُ بِهَا وَلَمْ تَسْؤُنِي. ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أَعْلُ هُبْلٍ، أَعْلُ هُبْلٍ. قَالَ: إِنْ لَنَا الْعِزَّى وَلَا عِزَّى لَكُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «أَلَا تَجِيبُوهُ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ».

قوله (باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب) أى من المقاتلة في أحوال الحرب .

قوله (وعقوبة من عصى إمامه) أى بالهزيمة وحرمان الغنيمة .

قوله (وقال الله عز وجل ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم ﴾) يعنى الحرب (كذا لأبي ذر ، وقوله « يعنى الحرب » للكشيمى وحده ، ووقع في رواية الأصيلي في هذا الموضع « قال قتادة : الريح الحرب » وهذا قد وصله عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة بهذا نحوه ، وهو تفسير مجازي ، فالمراد بالريح القوة في الحرب ، والفشل بفتح الفاء والمعجمة الجبن يقال فشل إذا هاب أن يقدم جبناً . وذكر في الباب حديثين : أحدهما حديث أبي موسى وفيه « ولا تختلفا » وسيأتى شرحه في مكانه من أواخر المغازي . ثانيهما حديث البراء في قصة غزاة أحد ، والغرض منه أن الهزيمة وقعت بسبب مخالفة الرماة لقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تبرحوا من مكانكم » وسيأتى شرحه أيضاً مستوفى في الكلام على غزوة أحد إن شاء الله تعالى .

باب

إذا فزعوا بالليل

٢٩٣٨ - حدثنا قتيبة قال حدثنا حماد بن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس . قال : وقد فزع أهل المدينة ليلة . سمعوا صوتاً . قال : فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عري وهو متقلد سيفه فقال : « لم تراعوا لم تراعوا » . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وجدته بحراً » . يعنى الفرس . [٣٠٤٠]

قوله (باب إذا فزعوا بالليل) أى ينبغى لأمر العسكر أن يكشف الخبر بنفسه أو بمن يندبه لذلك . ذكر فيه حديث أنس في فرس أبي طلحة ، وقد تقدم شرحه في أواخر الهبة ، وتقدم في كتاب الجهاد مراراً

باب من رأى العدو فنادى بأعلى صوته : يا صباحاه . حتى يسمع الناس

٢٩٣٩ - حدثنا المكي بن إبراهيم قال أخبرنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة أنه أخبره قال : خرجت من المدينة ذاهباً نحو الغابة . حتى إذا كنتُ بشية الغابة لقيني غلام لعبد الرحمن ابن عوف قلت : ويحك ! قال : أخذت لقاح النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : من أخذها ؟ قال : غطفان وفزارة . فصرخت ثلاث صرخات أسمعت ما بين لابتيها : يا صباحاه ، يا صباحاه . ثم اندفعت حتى ألقاهم وقد أخذوها ، فجعلت أرميهم وأقول : أنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع . فاستنقذتها منهم قبل أن يشربوا ، فأقبلت بها أسوقها ، فلقيني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : [٣٠٤١]

يا رسول الله، إِنَّ القومَ عطاشٌ، وإني أعجلتُهُمْ أَنْ يشربُوا بسقيهِمْ، فابعثْ في إثرِهِمْ. فقال: «يا ابن الأكوُع ملكْتُ فاسجَحُ إِنَّ القومَ يُقرونَ في قومِهِمْ».

[الحديث ٣٠٤١ - طرفه في: ٤١٩٤].

قوله (باب من رأى العدو فنَادى بأعلى صوته : يا صباحاه حتى يسمع الناس) ذكر فيه حديث سلمة ابن الأكوع في قصة غطفان وفزارة ، وسيأتى شرحه في غزوة ذي قرد من كتاب المغازي . وقوله «يا صباحاه» هو منادى مستغاث ، والألف للاستغاثة والهاء للسكت ، وكأنه نادى الناس استغاثة بهم في وقت الصباح : وقال ابن المنير : الهاء للندبة وربما سقطت في الوصل ، وقد ثبتت في الرواية فيوقف عليها بالسكون . وكانت عادتهم يغيرون في وقت الصباح ، فكأنه قال : تأهبوا لما دهمكم صباحاً . وقوله «الرضع» بتشديد المعجمة بصيغة الجمع ، والمراد بهم اللثام أى اليوم يوم هلاك اللثام . وقوله «فأسجع بهمزة قطع أى أحسن أو أرفق . وقوله «يقرون» بضم أوله والتخفيف من القرى ، والراء مفتوحة ومضمومة ، وقيل : معنى الضم يجمعون الماء واللبن ، وقيل : يغزون بغين معجمة وزاى وهو تصحيف . قال ابن المنير : موضع هذه الترجمة أن هذه الدعوة ليست من دعوى الجاهلية المنهى عنها لأنها استغاثة على الكفار .

باب من قال : خذها وأنا ابن فلان

وقال سلمة : خذها وأنا ابن الأكوع .

٢٩٤٠ - حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن أبي إسحاق قال : سأل رجل البراء فقال : يا أبا عمار ، أوليتم يوم حنين؟ قال البراء وأنا أسمع : أما رسول الله صلى الله عليه لم يول يومئذ ، كان أبو سفيان بن الحارث آخذاً بعنان بغلته ، فلما غشيته المشركون نزل فجعل يقول : «أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب» . قال : فما رأي من الناس يومئذ أشد منه . [٣٠٤٢]

قوله (باب من قال خذها وأنا ابن فلان) هي كلمة تقال عند التمدح . قال ابن المنير : موقعها من الأحكام أنها خارجة عن الافتخار المنهى عنه لاقتضاء الحال ذلك . قلت : وهو قريب من جواز الاختيال - بالخاء المعجمة - في الحرب دون غيرها .

قوله (وقال سلمة : خذها وأنا ابن الأكوع) هذا طرف من حديثه المذكور في الباب الذى قبله لكنه بمعناه ، وقد أخرجه مسلم بلفظه من طريق أخرى عن سلمة بن الأكوع وقال فيه «فخرجت في آثار القوم وألحق رجلاً منهم فاصكه سهماً في رجله حتى خالص نصل السهم من كتفه ، قال قلت : خذها وأنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع» الحديث . ثم ذكر المصنف حديث البراء بن عازب في ثبات النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقوله «أنا النبي لا كذب» أنا ابن عبد المطلب ، وسيأتى شرحه في غزوة حنين إن شاء الله تعالى .

باب إذا نزل العدو على حكم رجل

[٣٠٤٣] ٢٩٤١ - حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبي أمامة هو ابن سهل بن حنيف عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ بعث رسول الله صلى الله عليه - وكان قريباً منه - فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله صلى الله عليه: «قوموا إلى سيدكم»، فجاء فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه، فقال له: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك». قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبي الذرية. قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك».

[الحديث ٣٠٤٣ - أطرافه في: ٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢].

قوله (باب إذا نزل العدو على حكم رجل) أي فأجازه الإمام نفذ، ذكر فيه حديث أبي سعيد في نزول بني قريظة على حكم سعد بن معاذ، وسيأتي شرحه في غزوة بني قريظة إن شاء الله تعالى. قال ابن المنير: يستفاد من الحديث لزوم حكم المحكم برضا الخصمين.

باب قتل الأسير، وقتل الصبر

[٣٠٤٤] ٢٩٤٢ - حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن ابن شهاب عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزع جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: «اقتلوه».

قوله (باب قتل الأسير وقتل الصبر) في رواية الكشي «قتل الأسير صبراً» وهي أخصر. أورد فيه حديث أنس في قتل ابن خطل، وقد تقدم شرحه في أواخر الحج، وقد تقدم أن الإمام يتخير - متبعاً ما هو الأحظ للإسلام والمسلمين - بين قتل الأسير، أو المن عليه بفداء، أو بغير فداء، أو استرقاقه.

باب هل يستأسر الرجل؟

ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل

[٣٠٤٥] ٢٩٤٣ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عمرو بن أبي سفيان ابن أسيد بن جارية الشقي - وهو حليف لبني زهرة، وكان من أصحاب أبي هريرة - أن أباهريرة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه عشرة رهط سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري - جد عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا، حتى إذا كانوا بالهدأة - وهو بين عسفان

ومكة - ذكروا لحي من هذيل يُقال لهم: بنوحيان، فنفروا لهم قريباً من مائتي رجل كُلُّهم رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا ماكلهم تمراً تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يشرب فاقتصوا آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد، فأحاط بهم القوم، فقالوا: انزلوا وأعطونا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحداً. فقال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر. اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصماً في سبعة. فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق، منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحابكم، إن في هؤلاء لأسوة - يريد القتلى - وجرروهم وعالجوه على أن يصحبهم، فقتلوه، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحذ بها فأعارته، فأخذ ابننا لي وأنا غافلة حتى أتاه، قالت: فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزغت فزعة عرفها خبيب في وجهي، قال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك والله، ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب. والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر. وكانت تقول: إنه لرزق من الله رزقه خبيبا. فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين، فتركوه فركع ركعتين ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع، اللهم أحصهم عدداً.

ما أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله؛ وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبراً. فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي صلى الله عليه وأصحابه خبرهم وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدرُوا على أن يقطع من لحمه شيئاً.

قوله (باب هل يستأمر الرجل؟ ومن لم يستأمر) أى هل يسلم نفسه للأسير أم لا؟ (ومن صلى ركعتين عند القتل). ذكر فيه حديث أبي هريرة في بعث عاصم بن ثابت ومن معه مع بنى لحيان، وقصة قتل خبيب ابن عدي، وسيأتي شرحها مستوفى في المغازي، وفيها ما ترجم له من الأمور الثلاثة، وقوله فيه «فأخبرني عبيد الله بن عياض القائل «فأخبرني» هو ابن شهاب كما سيأتي إيضاحه هناك.

باب فكاك الأسير

[٣٠٤٦] ٢٩٤٤ - حدثنا قتيبة قال حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «فكّوا العاني - يعني الأسير - وأطعموا الجائع وعودوا المريض».

[الحديث ٣٠٤٦ - أطرافه في: ٥١٧٤، ٥٣٧٣، ٥٦٤٩، ٧١٧٣].

[٣٠٤٧] ٢٩٤٥ - حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا زهير قال حدثنا مطرف أن عامراً حدثهم عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهم يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر.

قوله (باب فكاك الأسير) أى من أيدي العدو بمال أو بغيره، والفكاك بفتح الفاء ويجوز كسرهما التخليص. وأورد فيه حديثين: أحدهما حديث أبي موسى «فكّوا العاني» أى الأسير، كذا وقع في تفسير العاني في الحديث، وهو بالمهملة والنون وزن القاضي، والتفسير من قبل جرير أو قتيبة، وإلا فقد أخرج المصنف في الطب من طريق أبي عوانة عن منصور فلم يذكره، وأخرجه في الأطعمة من طريق الثوري عن منصور وقال في آخره «قال سفيان: العاني الأسير» قال ابن بطلال: فكاك الأسير واجب على الكفاية، وبه قال الجمهور. وقال إسحق بن راهويه: من بيت المال. وروى عن مالك أيضاً وقال أحمد يفادى بالرموس، وأما بالمال فلا أعرفه. ولو كان عند المسلمين أسارى وعند المشركين أسارى وانفقوا على المفاداة تعينت، ولم تجر مفاداة أسارى المشركين بالمال. ثانيهما حديث أبي جحيفة «قلت لعلي: هل عندكم شيء من الوحي» الحديث، وقد مضى شرحه في كتاب العلم، وسيأتي الكلام على بقية ما فيه في الدييات إن شاء الله تعالى.

باب فداء المشركين

[٣٠٤٨] ٢٩٤٦ - حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عتبة عن موسى بن عتبة عن ابن شهاب قال حدثني أنس بن مالك: أن رجلاً من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه فقالوا: يا رسول الله، ائذن فلنترك لابن أختنا عباس فداءه. فقال: «لا تدعون منه درهما».

[٣٠٤٩] ٢٩٤٧ - وقال إبراهيم عن عبدالعزيز بن صهيب عن أنس: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين، فجاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني، فأني فاديت نفسي، وفاديت عقيلاً. فقال: خذ. فأعطاه في ثوبه.

[٣٠٥٠] ٢٩٤٨ - حدثنا محمود قال حدثنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه - وكان جاء في أسارى بدر - قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور.

قوله (باب فداء المشركين) أي بمال يؤخذ منهم، تقدم في الباب الذي قبله القول في شيء من ذلك، وأورد فيه ثلاثة أحاديث: أولها حديث أنس في استئذان الأنصار أن يتركوا للعباس فداءه، وقد تقدم إirاده في كتاب العتق. ثانيها حديثه قال «أني بمال من البحرين، فقال العباس: أعطني فأني فاديت نفسي وعقيلاً» وأورده معلقاً مختصراً، وقد تقدم بآتم منه في المساجد وبيان من وصله. وقوله «فاديت نفسي وعقيلاً» يريد ابن أبي طالب ويقال إنه أسر معهما أيضاً الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأن العباس افتداه أيضاً. وقد ذكر ابن إسحق كيفية ذلك. واستدل به ابن بطال على جواز إعطاء بعض الأصناف من الزكاة، ولا دلالة فيه لأن المال لم يكن من الزكاة، وعلى تقدير كونه منها فالعباس ليس من أهل الزكاة. فإن قيل إنما أعطاه من سهم الغارمين كما أشار إليه الكرماني فقد تعقب، ولكن الحق أن المال المذكور كان من الخراج أو الجزية وهما من مال المصالح، وسيأتي بيان ذلك في كتاب الجزية. ثالثها حديث جبير بن مطعم «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور» ذكره لقوله فيه «وكان جاء في أسارى بدر» أي في طلب فداء أسارى بدر، وقد تقدم شرح المتن في القراءة في الصلاة، ويأتي الكلام على ما تضمنته هذه الأحاديث الثلاثة في غزوة بدر من كتاب المغازي إن شاء الله تعالى.

باب

الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان

[٣٠٥١] ٢٩٤٩ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا أبو العميس عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين وهو في سفر فجلس عند أصحابه يتحدث، ثم انفتل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اطلبوه واقتلوه. فقتلته فنقله سلبه».

قوله (باب الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان) هل يجوز قتله؟ وهي من مسائل الخلاف. قال

مالك بتخير فيه الإمام ، وحكمه حكم أهل الحرب . وقال الأوزاعي والشافعي : إن ادعى أنه رسول قبل منه . وقال أبو حنيفة وأحمد لا يقبل ذلك منه ، وهو فيء للمسلمين .

قوله (أبو العميس) بالمهملتين مصغر .

قوله (عن إياس) بكسر الهمزة وتخفيف التحتانية ، وفي رواية الطحاوي من طريق أخرى عن أبي نعيم عن أبي العميس « حدثنا إياس » .

قوله (أتى النبي صلى الله عليه وسلم عين من المشركين) لم أقف على اسمه . ووقع في رواية عكرمة ابن عمار عن إياس عند مسلم أن ذلك كان في غزوة هوازن ، وسمى الجاسوس عيناً لأن جل عمله بعينه ، أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها كأن جميع بدنه صار عيناً .

قوله (فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انفلت) في رواية النسائي من طريق جعفر بن عون عن أبي العميس « فلما طعم انسل » وفي رواية عكرمة عند مسلم « فقيد الجمل ثم تقدم يتغذى مع القوم وجعل ينظر ، وفيما ضعفة ورقة في الظهر ، إذ خرج يشتد » .

قوله (اطلبوه واقتلوه) زاد أبو نعيم في « المستخرج » من طريق يحيى الحماني عن أبي العميس « أدركوه فإنه عين » زاد أبو داود عن الحسن بن علي عن أبي نعيم فيه « فسبقتهم إليه فقتلته » .

قوله (فقتلته فثله سلبه) كذا فيه ، وفيه التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة ، وكان السياق يقتضي أن يقول فنفلني وهي رواية أبي داود وزاد « هو ومسلم من طريق عكرمة بن عمار المذكور » فاتبعه رجل من أسلم على ناقة ورقاء ، فخرجت أعدو حتى أخذت بنظام الجمل فأثنته ، فلما وضع ركبته بالأرض اخترطت سيني فأضرب رأسه فبدر ، فجثت براحتيه وما عليها أقودها ، فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من قتل الرجل ؟ قالوا : ابن الأكوع ، قال : له سلبه أجمع » وترجم عليه النسائي « قتل عيون المشركين » وقد ظهر من رواية عكرمة الباعث على قتله وأنه اطلع على عورة المسلمين وبادر ليعلم أصحابه فيغتنمون غرتهم ، وكان في قتله مصالحة للمسلمين قال النووي فيه قتل الجاسوس الحربي الكافر وهو باتفاق ، وأما المعاهد والذمي فقال مالك والأوزاعي : ينتقض عهده بذلك . وعند الشافعية خلاف . أما لو شرط عليه ذلك في عهده فينتقض اتفاقاً . وفيه حجة لمن قال إن السلب كله للقاتل ، وأجاب من قال لا يستحق ذلك إلا بقول الإمام أنه ليس في الحديث ما يدل على أحد الأمرين بل هو محتمل لهما ، لكن أخرجه الإسماعيلي من طريق محمد بن ربيعة عن أبي العميس بلفظ « قام رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه عين للمشركين فقال : من قتله فله سلبه ، قال فأدركته فقتلته ، فنفلني سلبه » فهذا يؤيد الاحتمال الثاني ، بل قال القرطبي : لو قال القاتل يستحق السلب بمجرد القتل لم يكن لتقول النبي صلى الله عليه وسلم « له سلبه أجمع » مزيد فائدة ، وتعقب باحتمال أن يكون هذا الحكم إنما ثبت من حينئذ . وقد استدلل به على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب لأن قوله تعالى ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء ﴾ عام في كل غنيمة ، فبين صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بزمان طويل أن السلب للقاتل سواء قيدنا ذلك بقول الإمام أم لا ، وأما قول مالك « لم يبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال ذلك إلا يوم حنين « فإن أراد أن ابتداء هذا الحكم كان يوم حنين فهو مردود لكن على غير مالك ممن منعه ، فإن مالكا إنما نفي البلاغ ، وقد ثبت في سنن أبي داود عن عوف بن مالك أنه قال لخالد بن الوليد في غزوة مؤتة « أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالسلب للقاتل » وكانت مؤتة قبل حنين بالاتفاق ، وقال القرطبي : فيه أن للإمام أن ينفل جميع ما أخذته السرية من الغنيمة لمن يراه منهم ، وهذا يتوقف على أنه لم يكن غنيمة إلا ذلك الساب . قلت : وما ابتداء احتمالا هو الواقع ، فقد وقع في رواية عكرمة بن عمار أن ذلك كان في غزوة هوازن وقد اشتهر ما وقع فيها بعد ذلك من الغنائم . قال ابن المنير : ترجم بالحربي إذا دخل بغير أمان وأورد الحديث المتعلق بعين المشركين وهو جاسوسهم ، وحكم الجاسوس مخالف لحكم الحربي المطلق الداخل بغير أمان ، فالدعوى أعم من الدليل . وأجيب بأن الجاسوس المذكور أوهم أنه ممن لله أمان ، فلما قضى حاجته من التجسس انطلق مسرعا ففطن له فظهر أنه حربي دخل بغير أمان ، وقد تقدم بيان الاختلاف فيه .

باب يُقاتل عن أهل الذمة ولا يُسرقون

[٣٠٥٢] ٢٩٥٠ - حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عمرو بن ميمون عن عمر قال : وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يُقاتل من ورائهم ، ولا يُكَلَّفوا إلا طاقتهم .

قوله (باب يقاتل عن أهل الذمة ولا يسرقون) أي ولو نقضوا العهد ، أورد فيه طرفاً من قصة قتل عمر بن الخطاب وهو قوله « وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله » الحديث وسيأتي مبسوطاً في المناقب ، وقد تعقبه ابن التين بأنه ليس في الحديث ما يدل على ما ترجم به من عدم الاسترقاق ، وأجاب ابن المنير بأنه أخذ من قوله « وأوصيه بذمة الله » فإن مقتضى الوصية بالإشفاق أن لا يدخلوا في الاسترقاق ، والذي قال أنهم يسرقون إذا نقضوا العهد ابن القاسم وخالفه أشهب والجمهور ، وحل ذلك إذا سبي الحربي الذمي ثم أسر المسلمون الذمي . وأغرب ابن قدامة فحكى الإجماع ، وكأنه لم يطلع على خلاف ابن القاسم ، وكأن البخاري اطلع عليه فلذلك ترجم به .

باب جوائز الوَفْد

باب هل يُستشفع إلى أهل الذمة؟ ومُعَامَلَتِهِمْ

[٣٠٥٣] ٢٩٥١ - حدثنا قبيصة حدثنا ابن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء ، فقال : اشتد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس فقال : « اتنوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا : هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :

«دَعُونِي، فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعونني إليه». وأوصى عند موته بثلاث: «أخرجوا المُشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتُ أُجيزُهُم»، ونسيتُ الثالثة. وقال يعقوبُ بن محمد: سألتُ المغيرةَ بن عبد الرحمن عن جزيرة العرب فقال: مكةُ والمدينةُ واليمامةُ واليمنُ. وقال يعقوبُ: العرجُ أولُ تهامة.

قوله (باب جوائز الوفد)، (باب هل يستشفع إلى أهل اللمة؟ ومعاملتهم) كذا في جميع النسخ من طريق الفربري، إلا أن في رواية أبي علي بن شويه عن الفربري تأخير ترجمة «جوائز الوفد» عن الترجمة «هل يستشفع» وكذا هو عند الإسماعيلي وبه يرتفع الإشكال، فإن حديث ابن عباس مطابق لترجمة جوائز الوفد لقوله فيه «وأجيزوا الوفد» بخلاف الترجمة الأخرى، وكأنه ترجم بها وأخلى بياضاً ليورد فيها حديثاً يناسبها فلم يتفق ذلك. ووقع للنسفي حذف ترجمة جوائز الوفد أصلاً، واقتصر على ترجمة هل يستشفع، وأورد فيها حديث ابن عباس المذكور، وعكسه رواية محمد بن حمزة عن الفربري، وفي مناسبتة لها غموض، ولعله من جهة أن الإخراج يقتضي رفع الاستشفاع، والحض على إجازة الوفد يقتضي حسن المعاملة، أو لعل «إلى» في الترجمة بمعنى اللام، أي هل يستشفع لهم عند الإمام وهل يعاملون؟ ودلالة «أخرجوهم من جزيرة العرب» و«أجيزوا الوفد» لذلك ظاهرة والله أعلم. وسيأتي شرح حديث ابن عباس المذكور في الوفاة من آخر المغازي. وقوله (حدثنا قبيصة) كذا لأكثر الرواة عن الفربري وكذا في رواية النسفي، ولم يقع في الكتاب لقبيصة رواية عن سفيان بن عيينة إلا هذه وروايته فيه عن سفيان الثوري كثيرة جداً، وحكى الجبائي عن رواية ابن السكن عن الفربري في هذا «قتيبة» بدل قبيصة، وروايته عن قتيبة لهذا الحديث بعينه ستأتي في أواخر المغازي، وقتيبة مشهور بالرواية عن ابن عيينة دون قبيصة والحديث حديث ابن عيينة لا الثوري.

قوله (وقال يعقوب بن محمد) أي ابن عيسى الزهري، وأثره هذا وصله إسماعيل القاضي في كتاب أحكام القرآن عن أحمد بن المعدل عن يعقوب، وأخرجه يعقوب بن شبة عن أحمد بن المعدل عن يعقوب بن محمد عن مالك بن أنس مثله، وقال الزبير بن بكار في «أخبار المدينة» أخبرت عن مالك عن ابن شهاب قال: جزيرة العرب المدينة. قال الزبير: قال غيره جزيرة العرب ما بين العذيب إلى حضرموت، قال الزبير: وهذا أشبه، وحضرموت آخر اليمن. وقال الخليل بن أحمد: سميت جزيرة العرب لأن بحر فارس وبحر الحبشة والفرات ودجلة أحاطت بها، وهي أرض العرب ومعدنها. وقال الأصمعي: هي ما لم يبلغه ملك فارس من أقصى عدن إلى أطراف الشام. وقال أبو عبيد: من أقصى عدن إلى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من الساحل إلى أطراف الشام عرضاً.

قوله (قال يعقوب: والعرج أول تهامة) العرج بفتح المهملة وسكون الراء بعدها جيم موضع بين مكة والمدينة، وهو غير العرج بفتح الراء الذي من الطائف. وقال الأصمعي جزيرة العرب ما بين أقصى عدن أبين إلى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها إلى أطراف الشام عرضاً، وسميت جزيرة العرب

لإحاطة البحار بها ، يعنى بحر الهند وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الحبشة ، وأضيفت إلى العرب لأنها كانت بأيديهم قبل الإسلام وبها أوطانهم ومنازلهم ، لكن الذى يمنع المشركون من سكناه منها الحجاز خاصة وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها ، لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب ، لاتفاق الجميع على أن اليمن لا يمنعون منها مع أنها من جملة جزيرة العرب ، هذا مذهب الجمهور . وعن الحنفية يجوز مطلقاً إلا المسجد ، وعن مالك يجوز دخولهم الحرم للتجارة ، وقال الشافعى لا يدخلون الحرم أصلاً إلا باذن الإمام لمصلحة المسلمين خاصة .

باب التَّجَمُّلُ لِلوُفُودِ

[٣٠٥٤] ٢٩٥٢ - حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن ابن عمر قال : وجد عمر حلة إستبرق تباع في السوق ، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه فقال : يا رسول الله ، ابتع هذه الحلة فتجمل بها للعيد والوفد . فقال رسول الله صلى الله عليه : « إنما هذه لباس من لا خلاق له - أو إنما يلبس هذه من لا خلاق له - » فلبث ما شاء الله . ثم أرسل إليه النبي صلى الله عليه عليه بجملة ديباج ، فأقبل بها عمر حتى أتى رسول الله صلى الله عليه فقال : يا رسول الله ، قلت : « إنما هذه لباس من لا خلاق له ، أو ، إنما يلبس هذه من لا خلاق له » ، ثم أرسلت إلي بهذه . فقال : « تبيعها ، أو تصيب بها بعض حاجتك » .

قوله (باب التجميل للوفد) ذكر فيه حديث ابن عمر في حلة عطار ، وسيأتى شرحه في اللباس . قال ابن المنير : موضع الترجمة أنه ما أنكر عليه طلبه للتجميل للوفد ولما ذكر ، وإنما أنكر التجميل بهذا الصنف المنهى عنه .

باب

كَيْفَ يُعْرَضُ الْإِسْلَامُ عَلَى الصَّبِيِّ

[٣٠٥٥] ٢٩٥٣ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا هشام قال أخبرنا معمر عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله عن ابن عمر أنه أخبره : أن عمر انطلق في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه مع النبي صلى الله عليه قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الغلمان عند أطم بني مغالة ، وقد قارب يومئذ ابن صياد يحتلم ، فلم يشعر حتى ضرب النبي صلى الله عليه ظهره بيده ، ثم قال النبي صلى الله عليه : « أتشهد أني رسول الله ؟ » . فنظر إليه ابن صياد فقال : أشهد أنك رسول الأميين . قال ابن صياد للنبي صلى الله عليه : أتشهد أني رسول الله ؟ قال له النبي صلى الله عليه :

«آمنتُ بالله ورسوله». قال النبي صلى الله عليه: «ماذا ترى؟» قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب. قال النبي صلى الله عليه: «خُلطَ عليك الأمر». قال النبي صلى الله عليه: «إني قد خبأتُ لك خبيئاً». قال ابن صياد: هو الدُّخ. قال النبي صلى الله عليه: «أخساً، فلن تعدو قدرك». قال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه أضرب عنقه. قال النبي صلى الله عليه: «إن يكن هو فلن تُسلطَ عليه، وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله».

[٣٠٥٦] ٢٩٥٤ - قال ابن عمر: انطلق النبي صلى الله عليه وأبي بن كعب يأتیان النخل الذي فيه ابن صياد، حتى إذا دخل النخل طفق النبي صلى الله عليه يتقي بجذوع النخل وهو يختل ابن صياد أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه، وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة له فيها رمزة، فرأت أم صياد النبي صلى الله عليه وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: أي صاف - وهو اسمه - فثار ابن صياد، فقال النبي صلى الله عليه: «لو تركته بين».

[٣٠٥٧] ٢٩٥٥ - وقال سالم: قال ابن عمر: ثم قام النبي صلى الله عليه في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني أنذركموه وما من نبي إلا قد أنذره قومه: لقد أنذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور».

[الحديث ٣٠٥٧ - أطرافه في: ٣٣٣٧، ٣٤٣٩، ٤٤٠٢، ٦١٧٥، ٧١٢٣، ٧١٢٧، ٨٤٠٧].

قوله (باب كيف يعرض الإسلام على الصبي) ذكر فيه حديث ابن عمر في قصة ابن صياد، وقد تقدم توجيه هذه الترجمة في «باب هل يعرض الإسلام على الصبي» في كتاب الجنائز، ووجه مشروعية عرض الإسلام على الصبي في حديث الباب من قوله صلى الله عليه وسلم لابن صياد «أنشهد أتي رسول الله» وكان إذ ذاك لم يحتلم، فإنه يدل على المدعى، ويدل على صحة إسلام الصبي، وأنه لو أقر لقبل لأنه فائدة العرض.

قوله (أن عمر انطلق الخ) هذا الحديث فيه ثلاث قصص أوردها المصنف تامة: في الجنائز من طريق يونس، وهنا من طريق معمر، وفي الأدب من طريق شعيب، واقتصر في الشهادات على الثانية، وذكرها أيضاً فيما مضى من الجهاد من وجه آخر، واقتصر في الفتن على الثالثة، وقد مضى شرح أكثر مفرداته في الجنائز. وقوله «قبل ابن صياد» بكسر القاف وفتح الموحدة أي إلى جهته، وقوله «وقد قارب ابن صياد يومئذ يحتلم» في رواية يونس وشعيب «وقد قارب ابن صياد الحلم» ولم يقع ذلك في رواية الإسماعيلي فاعترض به فقال: لا يلزم من كونه غلاماً أن يكون لم يحتلم.

قوله (أشهد أنك رسول الأمين) فيه إشعار بأن اليهود الذين كان ابن صياد منهم كانوا معترفين ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن يدعون أنها مخصوصة بالعرب ، وفساد حججهم واضح جداً ، لأنهم إذا أقروا بأنه رسول الله استحال أن يكذب على الله ، فإذا ادعى أنه رسوله إلى العرب وإلى غيرها تعين صدقه ، فوجب تصديقه .

قوله (فقال ابن صياد : أتشهد أني رسول الله) في حديث أبي سعيد عند الترمذي « فقال أتشهد أنت أني رسول الله » .

قوله (قال له النبي صلى الله عليه وسلم : آمنت بالله ورسله) والمستمل « ورسوله » بالإفراد ، وفي حديث أبي سعيد « آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » قال الزين بن المنير ، إنما عرض النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام على ابن صياد بناء على أنه ليس الدجال المحذر منه . قلت : ولا يتعين ذلك ، بل الذي يظهر أن أمره كان محتملاً فأراد اختباره بذلك فإن أجاب غلب ترجيح أنه ليس هو ، وإن لم يجب تمادى الاحتمال ، أو أراد باستنطاقه إظهار كذبه المنافي لدعوى النبوة ، ولما كان ذلك هو المراد أجابه بجواب منصف فقال « آمنت بالله ورسله » . وقال القرطبي : كان ابن صياد على طريقة الكهنة يخبر بالخبر فيصح تارة ويفسد أخرى ، فشاع ذلك ولم ينزل في شأنه وحى ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم سلوك طريقة يختبر حاله بها ، أي فهو السبب في انطلاق النبي صلى الله عليه وسلم إليه ، وقد روى أحمد من حديث جابر قال « ولدت امرأة من اليهود غلاماً ممسوحة عينه ، والأخرى طالعة ناتئة ، فأشفق النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون هو الدجال » . وللترمذي عن أبي بكرة مرفوعاً « يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاماً لا يولد لها ثم يولد لها غلام أضمر شيء وأقله منفعة ، قال ونعتها فقال : أما أبوه فطويل ضرب اللحم كأن أنفه منقار ، وأما أمه ففرضاخة » أي بفاء مفتوحة وراء ساكنة ومجمعتين ، والمعنى أنها ضخمة طويلة اليد « قال فسمعنا بمولود بتلك الصفة ، فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبيه - يعني ابن صياد - فإذا هما بتلك الصفة » ولأحمد والبخاري من حديث أبي ذر قال « بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمه فقال : سلها كم حملت به ؟ فقالت حملت به اثني عشر شهراً ، فلما وقع صباح صباح الصبي ابن شهر » انتهى ، فكأن ذلك هو الأصل في إرادة استكشاف أمره .

قوله (ماذا ترى ؟ قال ابن صياد : يائسي صادق وكاذب) في حديث جابر عند الترمذي ونحوه لمسلم « فقال أرى حفا وباطلاً ، وأرى عرشاً على الماء » وفي حديث أبي سعيد عنده « أرى صادقين وكاذباً » ولأحمد « أرى عرشاً على البحر حوله الحيتان » .

قوله (قال ليس) بضم اللام وتخفيف الموحدة المكسورة بعدها مهملة أي خلط ، وفي حديث أبي الطفيل عند أحمد فقال « تعرفوا بالله من شر هذا » .

قوله (إني قد محبات لك خبيثاً) بكسر المعجمة وفتحها وسكون الموحدة بعدها همز ، وفتح المعجمة وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ثم همز أي أخفيت لك شيئاً .

قوله (هو الدخ) بضم المهملة بعدها معجمة ، وحكي صاحب المحكم الفتح ، ووقع عند الحاكم

« الزخ » بفتح الزاى بدل الدال وفسره بالجماع ، واتفق الأئمة على تغليظه في ذلك ، ويرده ما وقع في حديث أبي ذر المذكور « فأراد أن يقول الدخان فلم يستطع فقال الدخ » وللبزار والطبراني في « الأوسط » من حديث زيد ابن حارثة قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم خبأ له سورة الدخان » وكأنه أطلق السورة وأراد بعضها ، فإن عند أحمد عن عبد الرزاق في حديث الباب « وخبأت له : يوم تأتي السماء بدخان مبين » وأما جواب ابن صياد بالدخ فقليل إنه اندهش فلم يقع من لفظ الدخان إلا على بعضه ، وحكى الخطابي أن الآية حينئذ كانت مكتوبة في يد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يهتد ابن صياد منها إلا لهذا القدر الناقص على طريقة الكهنة ، ولهذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم « لن تعدو قدرك » أى قد مثلك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء شياطينهم ما يحفظونه مختلطاً صدقه بكذبه . وحكى أبو موسى المديني أن السر في امتحان النبي صلى الله عليه وسلم له بهذه الآية الإشارة إلى أن عيسى بن مريم يقتل الدجال بجبل الدخان ، فأراد التعريض لابن الصياد بذلك واستبعد الخطابي ما تقدم وصوب أنه أخبأ له الدخ وهونبت يكون بين البساتين ، وسبب استبعاده له أن الدخان لا يخبأ في اليد ولا الكم . ثم قال : إلا أن يكون خبأ له اسم الدخان في ضميره ، وعلى هذا فيقال : كيف اطلع ابن صياد أو شيطانه على ما في الضمير ؟ ويمكن أن يجاب باحتمال أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم تحدث مع نفسه أو أصحابه بذلك قبل أن يختبره فاسترق الشيطان ذلك أو بعضه .

قوله (اخساً) سيأتي الكلام عليها في كتاب الأدب في باب مفرد .

قوله (فلن تعدو قدرك) أى لن تجاوز ما قدر الله فيك أو مقدار أمثالك من الكهان . قال العلماء : استكشف النبي صلى الله عليه وسلم أمره ليبين لأصحابه تمويهه لئلا يلتبس حاله على ضعيف لم يتمكن في الإسلام ومحصل ما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له على طريق الفرض والنزول : إن كنت صادقاً في دعواك الرسالة ولم يختلط عليك الأمر آمنت بك . وإن كنت كاذباً وخطط عليك الأمر فلا . وقد ظهر كذبك والتباس الأمر عليك فلا تعدو قدرك .

قوله (إن يكن هو) كذا للأكثر ، وللشميني « إن يكن » على وصل الضمير ، واختار ابن مالك جوازه ، ثم الضمير لغير مذكور لفظاً ، وقد وقع في حديث ابن مسعود عند أحمد « أن يكون هو الذي تخاف فلن تستطيعه » وفي مرسل عروة عند الحارث بن أبي أسامة « أن يكن هو الدجال » .

قوله (فلن تسلط عليه) في حديث جابر « فليست بصاحبه ، إنما صاحبه عيسى بن مريم » .

قوله (وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله) قال الخطابي : وإنما لم يأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتله مع ادعائه النبوة بحضرته لأنه كان غير بالغ ، ولأنه كان من جملة أهل العهد ، قلت : الثاني هو المتعين ، وقد جاء مصرحاً به في حديث جابر عند أحمد ، وفي مرسل عروة « فلا يحل لك قتله » ثم أن في السؤال عندي نظراً ، لأنه لم يصرح بدعوى النبوة ، وإنما أوهم أنه يدعى الرسالة ، ولا يلزم من دعوى الرسالة دعوى النبوة ، قال الله تعالى ﴿ إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ﴾ الآية .

قوله (قال ابن عمر : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبي بن كعب) هذه هي القصة الثانية من هذا الحديث ، وهو موصول بالإسناد الأول : وقد أفردها أحمد عن عبد الرزاق بإسناد حديث الباب ،

ووقع في حديث جابر « ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر ونفر من المهاجرين والأنصار وأنا معهم » ولأحمد من حديث أبي الطفيل أنه حضر ذلك أيضا ، وقد تقدم في الجناز شرح ما في هذا الفصل من المفردات وبيان اختلاف الرواة . وقوله « طفق » أى جعل و « يتقى » أى يستتر و « يختل » أى يسمع في خفية . ووقع في حديث جابر « رجاء أن يسمع من كلامه شيئا ليعلم أصادق هو أم كاذب » .

قوله (أى صاف) بمهمله وفاء وزن باغ ، زاد في رواية يونس « هذا محمد » وفي حديث جابر « فقالت يا عبد الله هذا أبو القاسم قد جاء » وكأن الراوى عبر باسمه الذى تسمى به في الإسلام ، وأما اسمه الأول فهو صاف .

قوله (لو تركته بين) أى أظهر لنا من حاله ما نطلع به على حقيقته ، والضمير لأم ابن صياد ، أى لو لم تعلمه بمجئنا لتمادى على ما كان فيه فسمعنا ما يستكشف به أمره . وغفل بعض الشراح فجعل الضمير للزمزمة ، أى لو لم يتكلم بها لفهمنا كلامه لكن عدم فهمنا لما يقول كونه بهمهم ، كذا قال . والأول هو المعتمد .

قوله (وقال سالم قال ابن عمر) هذه هي القصة الثالثة وهي موصولة بالإسناد المذكور ، وقد أفردا أحمد أيضا ، وسيأتى الكلام عليها في الفن . وفي قصة ابن صياد اهتمام الإمام بالأمور التى يخشى منها الفساد والتنقيب عليها ، وإظهار كذب المدعى الباطل وامتحانه بما يكشف حاله والتجسس على أهل الريب ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فيما لم يوح إليه فيه . وقد اختلف العلماء في أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً سأستوفيه إن شاء الله تعالى في الكلام على حديث جابر « أنه كان يحلف أن ابن صياد هو الدجال » حيث ذكره المصنف في كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى . وفيه الرد على من يدعى الرجعة إلى الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم لعمر « إن يكن هو الذى تخاف منه فلن تستطيعه » لأنه لو جاز أن الميت يرجع إلى الدنيا لما كان بين قتل عمر له حينئذ وكون عيسى بن مريم هو الذى يقتله بعد ذلك منافاة . والله أعلم .

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لليهود: أسلموا تسلموا

قاله المقبري عن أبي هريرة .

قوله (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لليهود أسلموا تسلموا ، قاله المقبري عن أبي هريرة) هو طرف من حديث سيأتى موصولا مع الكلام عليه في الجزية .

باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم

٢٩٥٦ - حدثنا محمود قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن علي

[٣٠٥٨]

ابن حسين عن عمرو بن عثمان بن عفان عن أسامة بن زيد قال : قلت : يا رسول الله ، أين تنزل غداً - في حجته - قال : « وهل ترك لنا عقيل منزلاً ؟ » ثم قال : « نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة

المُحَصَّب حيثُ قاسمتُ قريشاً على الكُفر»، وذلك أن بني كنانة حالفَت قريشاً على بني هاشم أن لا يُبايعُوهم ولا يؤوُوهم. قال الزُّهري: والخيف: الوادي.

[٣٠٥٩]

٢٩٥٧ - حدثنا إسماعيلُ قال حدثنا مالكٌ عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب استعمل مولى له يدعى هنيء على الحمى فقال: يا هنيء اضمم جناحك عن المسلمين، واتق دعوة المسلمين فإن دعوة المظلوم مُستجابة. وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة، وإياي ونعم بن عوف ونعم ابن عفان، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى زرع ونخل، وإن رب الصريمة ورب الغنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتني بنيه فيقول: يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين. أفتاركهم أنا لا أبالك؟ فالماء والكلاء أيسر علي من الذهب والورق، وأيم الله إنهم ليرون أني قد ظلمتهم؛ إنها لبلادهم، قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام، والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبراً.

قوله (باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم) أشار بذلك إلى الرد على من قال من الحنفية إن الحربى إذا أسلم في دار الحرب وأقام بها حتى غلب المسلمون عليها فهو أحق بجميع ماله إلا أرضه وعقاره فإنها تكرر فيئاً للمسلمين، وقد خالفهم أبو يوسف في ذلك فوافق الجمهور، وبوافق الترجمة حديث أخرجه أحمد عن صخر بن العيلة البجلي قال «فر قوم من بني سليم عن أرضهم فأخذتها، فأسلموا وخلصموني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فردها عليهم وقال: إذا أسلم الرجل فهو أحق بأرضه وماله». قوله (حدثنا محمود) هو ابن غيلان، وقوله «حدثنا عبد الله» هو ابن المبارك، وهذه رواية أبي ذر وحده، وللباقيين «عبد الرزاق» بدل عبد الله، وبه جزم الإسماعيلي وأبو نعيم.

قوله (قلت يا رسول الله أين تنزل غداً؟ الحديث) ذكره مختصراً، وقد تقدم في «باب توريث دور مكة وشرائها» من كتاب الحج بتمامه وتقدم شرحه هناك، وفيه ما ترجم له هنا، لكنه مبنى على أن مكة فتحت عنوة والمشهور عند الشافعية أنها فتحت صلحاً، وسيأتى تحرير مباحث ذلك في غزوة الفتح من كتاب المغازى إن شاء الله تعالى. ويمكن أن يقال: لما أقر النبي صلى الله عليه وسلم عقيلاً على تصرفه فيما كان لأخويه على وجعفر وللنبي صلى الله عليه وسلم من الدور والرباع بالبيع وغيره ولم يغير النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولا انتزعها ممن هي في يده لما ظفر كان في ذلك دلالة على تقرير من بيده دار أو أرض إذا أسلم وهي في يده بطريق الأولى. وقال القرطبي: يحتمل أن يكون مراد البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بأموالهم ودورهم من قبل أن يسلموا، فتقرير من أسلم يكون بطريق الأولى.

قوله (وذلك أن بني كنانة حالفَت قريشاً على بني هاشم أن لا يبايعُوهم ولا يؤوُوهم) هكذا رقع هذا القدر معطوفاً على حديث أسامة وذكر الخطيب أن هذا مدرج في رواية الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو

ابن عثمان عن أسامة ، وإنما هو عند الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، وذلك أن ابن وهب رواه عن يونس عن الزهري ففصل بين الحديثين . وروى محمد بن أبي حفصة عن الزهري الحديث الأول فقط ، وروى شعيب والنعمان بن راشد وإبراهيم بن سعد والأوزاعي عن الزهري الحديث الثاني فقط ، لكن عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قلت : أحاديث الجميع عند البخاري ، وطريق ابن وهب عنده لحديث أسامة في الحج ، ولحديث أبي هريرة في التوحيد ، وأخرجهما مسلم معاً في الحج وقد قدمت في الكلام عن حديث أسامة في الحج ما وقع فيه من إدراج أيضاً والله المستعان .

قوله (أن عمر بن الخطاب استعمل مولى له يدعى هنيا) بالنون مصغر بغير همز وقد يهمز ، وهذا المولى لم أر من ذكره في الصحابة مع إدراكه ، وقد وجدت له رواية عن أبي بكر وعمر وعمر بن العاص ، روى عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما ، وشهد صفين مع معاوية ثم تحول إلى علي لما قتل عمار ، ثم وجدت في كتاب مكة لعمر بن شبة أن آل هنى ينتسبون في همدان وهم موالى آل عمر ، انتهى . ولولا أنه كان من الفضلاء النبهاء الموثوق بهم لما استعمله عمر .

قوله (على الحمى) بين ابن سعد من طريق عمير بن هنى عن أبيه أنه كان على حمى الربذة ، وقد تقدم بعض ذلك في كتاب الشرب .

قوله (اضمم جناحك عن المسلمين) أى اكف يدك عن ظلمهم ، وفي رواية معن بن عيسى عن مالك عند الدارقطنى في الفرائب « اضمم جناحك للناس » وعلى هذا فعناه استرهم بجناحك ، وهو كناية عن الرحمة والشفقة .

قوله (واتق دعوة المسلمين) في رواية الإسماعيلي والدارقطنى وأبى نعيم « دعوة المظلوم » .

قوله (وأدخل) بهمزة مفتوحة ومعجمة مكسورة ، والصريمة بالمهمل مصغر وكذا الغنيمة أى صاحب القطعة القليلة من الإبل والغنم ، ومتعلق الإدخال محذوف والمراد المرعى .

قوله (وإياى) فيه تحذير المتكلم نفسه ، وهو شاذ عند النحاة ، كذا قيل ، والذي يظهر أن الشنوذ في لفظه ، وإلا فالمراد في التحقيق إنما هو تحذير المخاطب ، وكأنه بتحذير نفسه حذره بطريق الأولى فيكون أبلغ ، ونحوه نهى المرء نفسه ومراده نهى من يخاطبه كما سيأتى قريباً في باب الغلول . وقوله « فيه ابن عوف » هو عبد الرحمن ، وابن عفان هو عثمان ، وخصهما بالذكر على طريق المثال لكثرة نعمتهما لأنهما كانا من مياسير الصحابة ، ولم يرد بذلك منعهما البتة ، وإنما أراد أنه إذا لم يسع المرعى إلا نعم أحد الفريقين فنعم المقلين أولى ، فهناك عن إشارتهما على غيرهما أو تقديمهما قبل غيرهما ، وقد بين حكمة ذلك في نفس الخبر .

قوله (بيته) كذا للأكثر بمشناة قبلها تحتانية ساكنة بلفظ مفرد البيت ، وللكشميهنى بنون قبل التحتانية بلفظ جمع البنين ، والمعنى متقارب .

قوله (يا أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين) حذف المقول للدلالة السياق عليه ، ولأنه لا يتعين في لفظ ، والتقدير يا أمير المؤمنين أنا فقير ، يا أمير المؤمنين أنا أحق ونحو ذلك .

قوله (أتركهم أنا) استفهام إنكار ومعناه لا أتركهم محتاجين ، وقوله « لا أبالك » بفتح الهمزة والموحدة ، وظاهره الدعاء عليه ، لكنه على مجازه لا على حقيقته ، وهو بغير تنوين لأنه صار شبيهاً بالمضاف وإلا فالأصل لا أبالك ، والحاصل أنهم لو منعوا من الماء والكلاء هلكوا مواسيهم فاحتاج إلى تعويضهم بصرف الذهب والفضة لهم لسد خلتهم ، وربما عارض ذلك الاحتياج إلى النقد في صرفه في مهم آخر .

قوله (أنهم ليرون) بضم التحتانية أوله بمعنى الظن ، وبفتحها بمعنى الاعتقاد . وقوله « أنى قد ظلمتهم » قال ابن التين يريد أرباب المواشي الكثيرة ، كذا قال ، والذي يظهر لى أنه أراد أرباب المواشي القليلة لأنهم المعظم والأكثر وهم أهل تلك البلاد من بوادي المدينة ، ويدل على ذلك قول عمر « إنها لبلادهم » وإنما ساغ لعمر ذلك لأنه كان موافقاً لفحواه لنعم الصدقة لمصلحة عموم المسلمين . وقد أخرج ابن سعد في الطبقات « عن معن بن عيسى عن مالك عن زيد بن أسلم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه « أن عمر أتاه رجل من أهل البادية فقال : يا أمير المؤمنين بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام ، ثم نحى علينا ؟ فجعل عمر ينفخ ويفتل شاربه » وأخرجه الدارقطني في « غرائب مالك » من طريق ابن وهب عن مالك بن نحره وزاد « فلما رأى الرجل ذلك ألح عليه ، فلما أكثر عليه قال : المال مال الله والعباد عباد الله ، ما أنا بفاعل » وقال ابن المنير : لم يدخل ابن عفان ولا ابن عوف في قوله « قاتلوا عليها في الجاهلية » فالكلام عائد على عموم أهل المدينة لا عليهما والله أعلم . وقال المهلب : إنما قال عمر ذلك لأن أهل المدينة أسلموا عفواً وكانت أموالهم لهم ، ولهذا ساوم بني النجار بمكان مسجده ، قال فاتفق العلماء على أن من أسلم من أهل الصلح فهو أحق بأرضه ، ومن أسلم من أهل العنوة فأرضه في المسلمين ، لأن أهل العنوة غلبوا على بلادهم كما غلبوا على أموالهم بخلاف أهل الصلح في ذلك . وفي نقل الاتفاق نظر لما بينا أول الباب ، وهو ومن بعده حملوا الأرض على أرض أهل المدينة التي أسلم أهلها عليها وهي في ملكهم ، وليس المراد ذلك هنا ، وإنما حمى عمر بعض الموات مما فيه نبات من غير معالجة أحد وخص إبل الصدقة وخيول المجاهدين ، وأذن لمن كان مقلداً أن يرعى فيه مواشيه وفقاً به ، فلا حجة فيه للمخالف . وأما قوله « يرون أنى ظلمتهم » فأشار به إلى أنهم يدعون أنهم أولى به ؛ لا أنهم منعوا حقهم الواجب لهم .

قوله (لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله) أى من الإبل التي كان يحمل عليها من لا يجد ما يركب ، وجاء عن مالك أن عدة ما كان في الحمى في عهد عمر بلغ أربعين ألفاً من إبل وخيل وغيرها ، وفي الحديث ما كان فيه عمر من القوة وجودة النظر والشفقة على المسلمين . وهذا الحديث ليس في الموطأ قال الدارقطني في « غرائب مالك » هو حديث غريب صحيح .

ب

كتابة الإمام الناس

٢٩٥٨ - حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن

حذيفة قال: قال النبي صلى الله عليه: اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس. فكتبنا له ألفاً وخمسماية رجل، فقلنا: نخاف ونحن ألف وخمسماية؟ فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف.

حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش فوجدناهم خمسمائة، قال أبو معاوية: ما بين ستمائة إلى سبعماية.

[٣٠٦١] ٢٩٥٩ - حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن أبي معبد عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه فقال: يا رسول الله، إني كتبت في غزوة كذا وكذا، وامراتي حاجة، قال: «ارجع فحج مع امرأتك».

قوله (باب كتابة الإمام الناس) أى من المقاتلة أو غيرهم، والمراد ما هو أعم من كتابته بنفسه أو بأمره.

قوله (حدثنا محمد بن يوسف) هو القريابي، وسفيان هو الثوري.

قوله (اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام) في رواية أبي معاوية عن الأعمش عند مسلم «احصوا» بدل اكتبوا، وهى أعم من اكتبوا، وقد يفسر احصوا باكتبوا.

قوله (فقلنا نخاف) هو استفهام تعجب وحذفت منه أداة الاستفهام وهى مقدرة، وزاد أبو معاوية في روايته «فقال إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا» وكأن ذلك وقع عند ترقب ما يخاف منه، ولعله كان عند خروجهم إلى أحد أو غيرها. ثم رأيت في شرح ابن التين الجزم بأن ذلك كان عند حفر الخندق. وحكى الداودى احتمال أن ذلك وقع لما كانوا بالحديبية لأنه قد اختلف في عددهم هل كانوا ألفاً وخمسماية أو ألفاً وأربعمائة أو غير ذلك مما سيأتى في مكانه وأما قول حذيفة «فلقد رأيتنا ابتلينا الخ» فيشبه أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع في أواخر خلافة عثمان من ولاية بعض أمراء الكوفة كالوليد بن عقبة حيث كان يؤخر الصلاة أو لا يقيمها على وجهها، وكان بعض الورعين يصلى وحده سرأ ثم يصلى معه خشية من وقوع الفتنة، وقيل كان ذلك حين أتم عثمان الصلاة في السفر وكان بعضهم يقصر سرأ وحده خشية الإنكار عليه، ووهم من قال إن ذلك كان أيام قتل عثمان لأن حذيفة لم يحضر ذلك، وفي ذلك علم من أعلام النبوة من الإخبار بالشىء قبل وقوعه، وقد وقع أشد من ذلك بعد حذيفة في زمن الحجاج وغيره.

قوله (حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش فوجدناهم خمسمائة) يعنى أن أبا حمزة خالف الثوري عن الأعمش في هذا الحديث بهذا السند فقال خمسمائة ولم يذكر الألف.

قوله (قال أبو معاوية ما بين ستمائة إلى سبعماية) أى أن أبا معاوية خالف الثوري أيضاً عن الأعمش بهذا الإسناد في العدة، وطريق أبي معاوية هذه وصلها مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه، وكأن رواية الثوري رجحت عند البخارى فلذلك اعتمدها لكونه أحفظهم مطلقاً وزاد عليهم، وزيادة الثقة الحافظ مقدمة هـ

وأبو معاوية وإن كان أحفظ أصحاب الأعمش بخصوصه ولذلك اقتصر مسلم على روايته لكنه لم يجزم بالعدد فقدم البخاري رواية الثوري لزيادتها بالنسبة لرواية الإثني ولجزمها بالنسبة لرواية أبي معاوية ، وأما ما ذكره الإسماعيلي أن يحيى بن سعيد الأموي وأبا بكر بن عياش وافقا أبا حمزة في قوله خمسمائة فتعارض الأكثرية والأحفظة فلا يخفى بعد ذلك الترجيح بالزيادة ، وبهذا يظهر رجحان نظر البخاري على غيره . وسلك الداودي الشارح طريق الجمع فقال : لعلمهم كتبوا مرات في موطن . وجمع بعضهم بأن المراد بالآلف وخمسمائة جميع من أسلم من رجل وامرأة وعبد وصبي ، وبما بين الستمائة إلى السبعمائة الرجال خاصة وبالمسمائة المقاتلة خاصة . وهو أحسن من الجمع الأول وإن كان بعضهم أبطله بقوله في الرواية الأولى ألف وخمسمائة رجل لإمكان أن يكون الراوي أراد بقوله رجل نفس ، وجمع بعضهم بأن المراد بالمسمائة المقاتلة من أهل المدينة خاصة ، وبما بين الستمائة إلى السبعمائة هم ومن ليس بمقاتل ، وبالألف وخمسمائة هم ومن حولهم من أهل القرى والبادي . قلت : ويخدرش في وجوه هذه الاحتمالات كلها اتحاد مخرج الحديث ومداره على الأعمش بسنده واختلاف أصحابه عليه في العدد المذكور والله أعلم . وفي الحديث مشروعية كتابة دواوين الجيوش ، وقد يتعين ذلك عند الاحتياج إلى تمييز من يصلح للمقاتلة بمن لا يصلح ، وفيه وقوع العقوبة على الإعجاب بالكثرة وهو نحو قوله تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ الآية . وقال ابن المنير : موضع الترجمة من الفقه أن لا يتخيل أن كتابة الجيش وإحصاء عدده يكون ذريعة لارتفاع البركة ، بل الكتابة المأمور بها لمصلحة دينية ، والمؤاخذه التي وقعت في حنين كانت من جهة الإعجاب . ثم ذكر المصنف حديث ابن عباس « قال رجل يا رسول الله إني اكتب في غزوة كذا » وهو يرجح الرواية الأولى بلفظ « اكتبوا » لأنها مشعرة بأنه كان من عادتهم كتابة من يتعين للخروج في المغازي ، وقد تقدم شرح الحديث في الحج مستوفى .

ب

إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ

٢٩٦٠ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري .

[٣٠٦٢]

وحدثني محمود قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه ، فقال لرجل ممن يدعي بالإسلام : « هذا من أهل النار » . فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة . فقيل : يا رسول الله ، الذي قلت إنه من أهل النار فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات ، فقال النبي صلى الله عليه : « إلى النار » . قال : فكاد بعض الناس أراد أن يرتاب . فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمُت ، ولكن به جراحاً شديداً . فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه ، فأخبر النبي صلى الله عليه بذلك فقال : « الله أكبر ، أشهد أنني عبد الله ورسوله » . ثم أمر بلالاً فنادى في الناس : « أنه

لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

[الحديث ٣٠٦٢ - أطرافه في: ٤٢٠٣، ٤٢٠٤، ٦٦٠٦].

قوله (باب إن الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر) ذكر فيه حديث أبي هريرة في قصة الرجل الذي قاتل وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنه من أهل النار» وظهر بعد ذلك أنه قتل نفسه، وسيأتي شرحه مستوفى في المغازي، وهو ظاهر فيما ترجم به، وساقه هنا على لفظ معمر وهذا هو السبب في عطفه لطريقه على طريق شعيب، وقال المهلب وغيره: لا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم «لأستعين بمشرك» لأننا إما خاص بذلك الوقت، وإما أن يكون المراد به الفاجر غير المشرك. قلت: الحديث أخرجه مسلم، وأجاب عنه الشافعي بالأول، وحجة النسخ شهود صفوان بن أمية حيننا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشرك وقصته مشهورة في المغازي، وأجاب غيره في الجمع بينهما بأوجه غير هذه: منها أنه صلى الله عليه وسلم تفرس في الذي قال له «لا أستعين بمشرك» الرغبة في الإسلام فردّه رجاء أن يسلم فصدق ظنه؛ ومنها أن الأمر فيه إلى رأى الإمام، وفي كل منهما نظر من جهة أنها نكرة في سياق النفي فيحتاج مدعى التخصيص إلى دليل. وقال الطحاوي: قصة صفوان لا تعارض قوله «لا أستعين بمشرك» لأن صفوان خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم باختياره لا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك، قلت: وهي تفرقة لا دليل عليها ولا أثر لها؛ وبيان ذلك أن المخالف لا يقول به مع الإكراه، وأما الأمر فالتقرير يقوم مقامه. قال ابن المنير: موضع الترجمة من الفقه أن لا يتخيل في الإمام إذا حى حوزة الإسلام وكان غير عادل أنه يطرح النفع في الدين لفجوره فيجوز الخروج عليه، فأراد أن هذا التخيل مندفع بهذا النص، وأن الله قد يؤيد دينه بالفاجر، وفجوره على نفسه.

ب

من تأمر في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو

٢٩٦١ - حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن علية عن أيوب عن حميد بن هلال

[٣٠٦٣]

عن أنس بن مالك قال: خطب رسول الله صلى الله عليه فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح الله عليه، فما يسرني - أو قال: ما يسرهم - أنهم عندنا. وإن عيني لتدرفان».

قوله (باب من تأمر في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو) أي جاز ذلك، ذكر فيه حديث أنس

في قصة أخذ خالد الراية في يوم مؤتة، وسيأتي شرحه في كتاب المغازي إن شاء الله تعالى، وهو ظاهر فيما ترجم له به أيضا. قال ابن المنير: يؤخذ من حديث الباب أن من تعين لولاية وتعذرت مراجعة الإمام أن الولاية تثبت لذلك المعين شرعا وتجب طاعته حكما. كذا قال، ولا يخفى أن محله ما إذا اتفق الحاضرون عليه.

قل : ويستفاد منه صحة مذهب مالك في أن المرأة إذا لم يكن لها ولي إلا السلطان فتعذر إذن السلطان أن يزوجهما الآحاد ، وكذا إذا غاب إمام الجمعة قدم الناس لأنفسهم .

باب العون بالمدد

[٣٠٦٤] ٢٩٦٢ - حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبي عدي وسهل بن يوسف عن سعيد عن قتادة عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وآله أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان فزعموا أنهم قد أسلموا ، واستمدوه على قومهم ، فأمدهم النبي صلى الله عليه وآله عليه بسبعين من الأنصار ، قال أنس : كنّا نسميهم القراء ، يحطّبون بالنهار ويصلّون بالليل . فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوه . ففقت شهراً يدعو على رعل وذكوان وبنو لحيان . قال قتادة : وحدثنا أنس أنهم قرؤوا بهم قرآناً : ألا بلغوا عنا قومنا ، بأننا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا . ثم رفع ذلك بعد .

قوله (باب العون بالمدد) بفتح الميم : ما يمد به الأمير بعض العسكر من الرجال ، ذكر فيه حديث أنس في قصة بئر معونة وسيأتي شرحه مستوفى في المغازي ، وهو ظاهر فيما ترجم به أيضاً . قال ابن المنير : وفيه أن الاجتهاد والعمل بالظاهر لا يضر صاحبه أن يقع التخلف ممن ظن به الوفاء .

(تنبيه) : قال الدمياطي : قوله في هذه الطريق « أتاه رعل وذكوان وعصية ولحيان » وهم ، لأن هؤلاء ليسوا أصحاب بئر معونة وإنما هم أصحاب الرجيع ، وهو كما قال ، وسأبين ذلك واضحاً في المغازي إن شاء الله تعالى .

باب من غلب العدو ، فأقام على عرصتهم ثلاثاً

[٣٠٦٥] ٢٩٦٣ - حدثنا محمد بن عبد الرحيم قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال . تابعه معاذ وعبد الأعلى . حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة عن النبي صلى الله عليه وآله .

[الحديث ٣٠٦٥ - طرفه في : ٣٩٧٦] .

قوله (باب من غلب العدو فأقام على عرصتهم ثلاثاً) العرصة بفتح المهملتين وسكون الراء بينهما : هي البقعة الواسعة بغير بناء من دار وغيرها .

قوله (ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة) كذا رواه قتادة ، ورواه ثابت عن أنس بغير ذكر

أبي طلحة ، وهذه الطريق عن روح بن عباد عن سعيد وهو ابن أبي عروبة مختصرة . وقد أوردها المصنف في المغازي في غزوة بدر عن شيخ آخر عن روح بآتم من هذا السياق ، ويأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى .

قوله (تابعه معاذ وعبد الأعلى عن قتادة الخ) أما متابعة معاذ وهو ابن معاذ العنبري فوصلها أصحاب السنن الثلاثة من طريقه ولفظه « أحب أن يقيم بالعرصة ثلاثاً » وأما متابعة عبد الأعلى وهو ابن عبد الأعلى السامي بالمهملة فوصلها أبو بكر بن أبي شيبة عنه ومن طريق الإسماعيلي . وأخرجها مسلم عن يوسف بن حماد عنه ، قال المهلب : حكمة الإقامة لإراحة الظهر والأنفس ، ولا يخفى أن محله إذا كان في أمن من عدو وطارق ، والاقتصار على ثلاث يؤخذ منه أن الأربعة إقامة . وقال ابن الجوزي : إنما كان يقيم ليظهر تأثير الغلبة وتنفيذ الأحكام وقلة الاحتفال ، فكأنه يقول : من كانت فيه قوة منكم فليرجع إلينا . وقال ابن المنير : يحتمل أن يكون المراد أن تقع ضيافة الأرض التي وقعت فيها المعاصي بإيقاع الطاعة فيها بذكر الله وإظهار شعار المسلمين . وإذا كان ذلك في حكم الضيافة ناسب أن يقيم عليها ثلاثاً لأن الضيافة ثلاثة .

باب من قسم الغنيمة في غزوه وسفّره

وقال رافع : كُنّا مع النبي صلى الله عليه بذي الحليفة فأصبنا إبلًا وغنمًا ، فعدل عشرة من الغنم بغير .

[٣٠٦٦] ٢٩٦٤ - حدثنا هُدْبَةُ بن خالد قال حدثنا هَمَّامٌ عن قتادة أَنَّ أَنَسًا أَخْبَرَهُ قَالَ : اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْجِعْرَانَةِ حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ .

قوله (باب من قسم الغنيمة في غزوه وسفّره) أشار بذلك إلى الرد على قول الكوفيين إن الغنائم لا تقسم في دار الحرب ، واعتلوا بأن الملك لا يتم عليها إلا بالاستيلاء ، ولا يتم الاستيلاء إلا بإحرازها في دار الإسلام . وقال الجمهور : هو راجع إلى نظر الإمام واجتهاده ، وتام الاستيلاء يحصل بإحرازها بأيدي المسلمين . ويدل على ذلك أن الكفار لو أعتقوا حينئذ رقيقاً لم ينفذ عتقهم ، ولو أسلم عبد الحربى ولحق بالمسلمين صار حراً . ثم ذكر فيه طرفاً من حديث رافع وهو ابن خديج معلقاً ، وسيأتي بتمامه موصولاً مع شرحه في كتاب الذبائح ، وحديث أنس « اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين ، وهو طرف من حديثه المتقدم في الحج بهذا الإسناد ، وسيأتي في غزوة الحديبية أيضاً بتمامه ، وكلا الحديثين ظاهر فيما ترجم له .

باب

إِذَا غَنِمَ الْمُشْرِكُونَ مَالَ الْمُسْلِمِ ثُمَّ وَجَدَهُ الْمُسْلِمُ

[٣٠٦٧] ٢٩٦٥ - وقال ابن نمير : حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : ذهب فرسٌ له فأخذه

العدو، فظهر عليهم المسلمون فردّ عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه. وأبق عبد له فلحق بالروم، فظهر عليهم المسلمون فردّه عليه خالد بن الوليد بعد النبي صلى الله عليه.

[الحديث ٣٠٦٧ - طرفاه في: ٣٠٦٨، ٣٠٦٩.]

[٣٠٦٨] ٢٩٦٦ - حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا يحيى عن عبيد الله قال أخبرني نافع أن عبداً لابن عمر أبق فلحق بالروم، فظهر عليه خالد بن الوليد فردّه على عبد الله. وأن فرساً لابن عمر عار فلحق بالروم، فظهر عليه فردّوه على عبد الله. قال أبو عبد الله: عار: مشتق من العير، وهو حمار وحش، أي هرب.

[٣٠٦٩] ٢٩٦٧ - حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا زهير عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر: أنه كان على فرس يوم لقي المسلمون، وأمير المسلمين يومئذ خالد بن الوليد بعثه أبوبكر، فأخذه العدو، فلما هزم العدو ردّ خالد فرسه.

قوله (باب إذا غم المشركون مال المسلم ثم وجده المسلم) أي هل يكون أحق به، أو يدخل الغنيمة؟ وهذا مما اختلف فيه، فقال الشافعي وجماعة: لا يملك أهل الحرب بالغلبة شيئاً من مال المسلم، ولصاحبه أخذه قبل القسمة وبعدها. وعن علي والزهرى وعمرو بن دينار والحسن: لا يرد أصلاً، ويختص به أهل المغانم. وقال عمر وسليمان بن ربيعة وعطاء والليث ومالك وأحمد وآخرون، وهي رواية عن الحسن أيضاً ونقلها ابن أبي الزناد عن أبيه عن الفقهاء السبعة: إن وجده صاحبه قبل القسمة فهو أحق به، وإن وجده بعد القسمة فلا يأخذه إلا بالقسمة، واحتجوا بحديث عن ابن عباس مرفوعاً بهذا التفصيل أخرجه الدارقطني وإسناده ضعيف جداً، وعن أبي حنيفة كقول مالك إلا في الآبق فقال هو والثوري: صاحبه أحق به مطلقاً.

قوله (وقال ابن نمير) يعني عبد الله، وطريقه هذه وصلها أبو داود وابن ماجه و قوله (ذهب) وقوله فأخذه) في رواية الكشميهني «ذهب» وقال «فأخذها» والفرس اسم جنس يذكر ويؤنث.

قوله (في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم) كذا وقع في رواية ابن نمير أن قصة الفرس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقصة العبد بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وخالفه يحيى وهو القطان عن عبيد الله وهو العمري كما هي الرواية الثانية في الباب فجعلهما معاً بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا وقع في رواية موسى ابن عقبة عن نافع وهي الرواية الثالثة في الباب فصرح بأن قصة الفرس كانت في زمن أبي بكر، وقد وافق ابن نمير إسماعيل بن زكريا أخرجه الإسماعيلي من طريقه، وأخرجه من طريق ابن المبارك عن عبيد الله فلم يعين الزمان، لكن قال في روايته «إنه افتدى الغلام بروميين» وكأن هذا الاختلاف هو السبب في ترك المصنف

الجزم في الترجمة بالحكم لتردد الرواة في رفعه ووقفه ، لكن للقائل به أن يحتج بوقوع ذلك في زمن أبي بكر الصديق والصحابة متوافرون من غير نكير منهم . وقوله في رواية موسى بن عقبة « يوم لقي المسلمون » كذا هنا بحذف المفعول ، وبينه الإسماعيلي في روايته عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة وأبو نعيم من طريق أحمد ابن يحيى الحلواني كلاهما عن أحمد بن يونس شيخ البخاري فيه فقال فيه « يوم لقي المسلمون طيناً وأسداً » وزاد فيه سبب أخذ العدو لفرس ابن عمر فقيه « فافتحم الفرس بعبد الله بن عمر جرفاً فصصره وسقط ابن عمر فعار الفرس » والباقي مثله . وروى عبد الرزاق أن العبد الذي أبق لابن عمر كان يوم اليرموك ، أخرجه عن معمر عن أيوب عن نافع عنه .

قوله (قال أبو عبد الله عار) بمهمله وراء (مشتق من العير وهو حمار وحش ، أى هرب) قال ابن التين : أراد أنه فعل فعله في النفار . وقال الخليل : يقال عار الفرس والكلب عياراً أى أفلت وذهب . وقال الطبري : يقال ذلك للفرس إذا فعله مرة بعد مرة ، ومنه قيل للبطلان من الرجال الذي لا يثبت على طريقه : عيار ، ومنه سهم عاير إذا كان لا يدرى من أين أتى .

ب

مَنْ تَكَلَّمَ بِالْفَارْسِيَّةِ وَالرُّطَانَةِ

وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاخْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانَكُمْ﴾

وَقَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾

٢٩٦٨ - حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا حنظلة بن أبي سفيان قال أخبرنا سعيد بن ميناء قال سمعت جابر بن عبد الله قلت : يا رسول الله ، ذبحنا بهيمة لنا وطحن صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر . فصاح النبي صلى الله عليه فقال : « يا أهل الخندق : إن جابراً قد صنع سوراً ، فحي أهلاً بكم » . [الحديث ٣٠٧٠ - طرفاه في : ٤١٠١ ، ٤١٠٢ .]

٢٩٦٩ - حدثنا حبان بن موسى قال أخبرنا عبد الله عن خالد بن سعيد عن أبيه عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه مع أبي وعلي قميص أصفر ، قال رسول الله صلى الله عليه : « سنه سنه » : وهي بالحشيشية : حسنة . قالت : فذهبت ألعب بخاتم النبوة ، فزبرني أبي . قال رسول الله صلى الله عليه : « دعها » . ثم قال رسول الله صلى الله عليه : « أبلي وأخلفي ، ثم أبلي وأخلفي ، ثم أبلي وأخلفي » . قال عبد الله : فبقيت حتى ذكر . [الحديث ٣٠٧١ - أطرافه في : ٣٨٧٤ ، ٥٨٢٣ ، ٥٨٤٥ ، ٥٩٩٣ .]

٢٩٧٠ - حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن

أبي هريرة أن الحسن بن علي أخذ تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي صلى الله عليه :
« كخ ، كخ ، أما تعرف أننا لا نأكل الصدقة ؟ » .

قوله (باب من تكلم بالفارسية) أي بلسان الفرس ، قيل إنهم ينتسبون إلى فارس بن كورث ،
واختلف في كورث قيل إنه من ذرية سام بن نوح وقيل من ذرية يافث بن نوح وقيل إنه ولد آدم لصلبه وقيل
إنه آدم نفسه وقيل لهم الفرس لأن جدهم الأعلى ولد له سبعة عشر ولداً كان كل منهم شجاعاً فارساً فسموا
الفرس ، وفيه نظر لأن الاشتقاق يختص باللسان العربي والمشهور أن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول
من ذلت له الخيل ، والفروسية ترجع إلى الفرس من الخيل وأمة الفرس كانت موجودة .

قوله (والوطانة) بكسر الراء ويجوز فتحها ، هو كلام غير العربي ، قالوا : فقه هذا الباب يظهر
في تأمين المسلمين لأهل الحرب بالسنتهم ، وسيأتي مزيد لذلك في أواخر الجزية في « باب إذا قالوا صبأنا
ولم يقولوا أسلمنا » وقال الكرماني : الحديث الأول كان في غزوة الخندق والآخرا بالتبعية ، كذا قال ،
ولا يخفى بعده ، والذي أشرت إليه أقرب .

قوله (وقول الله عز وجل) واختلاف السنتكم وألوانكم وقال « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان
قومه » كأنه أشار إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف الألسنة لأنه أرسل إلى الأمم كلها على اختلاف
السنتهم فجميع الأمم قومه بالنسبة إلى عموم رسالته فاقتضى أن يعرف السنتهم ليفهم عنهم ويفهموا عنه ،
ويحتمل أن يقال : لا يستلزم ذلك نطقه بجميع الألسنة لإمكان الترجمان الموثوق به عندهم . ثم ذكر المصنف في
الباب ثلاثة أحاديث : أحدها طرف من حديث جابر في قصة بركة الطعام الذي صنعه بالخندق ، وسيأتي
بتمامه بهذا الإسناد مع شرحه في المغازي إن شاء الله تعالى ، والغرض منه قوله « أن جابراً قد صنع سوراً وهو
بضم المهملة وسكون الواو قال الطبري : السور بغير همز الصنيع من الطعام الذي يدعى إليه وقيل الطعام مطلقاً ،
وهو بالفارسية وقيل بالحبشية ، وبالمز بقية الشيء والأول هو المراد هنا . قال الإسماعيلي : السور كلمة
بالفارسية . قيل له أليس هو الفضلة ؟ قال لم يكن هناك شيء فضل ذلك منه ، إنما هو بالفارسية من أتى
دعوة . وأشار المصنف إلى ضعف ماورد من الأحاديث الواردة في كراهة الكلام بالفارسية كحديث « كلام
أهل النار بالفارسية » وكحديث « من تكلم بالفارسية زادت في خبثه ونقصت من مروءته » أخرجه الحاكم في
مستدركه وسنده واه ، وأخرج فيه أيضاً عن عمر رفعه « من أحسن العربية فلا يتكلم بالفارسية فإنه يورث
النفاق » الحديث وسنده واه أيضاً . ثانيها حديث أم خالد بنت خالد ، وسيأتي بهذا الإسناد في كتاب الأدب ،
ويأتي شرحه في اللباس ، والغرض منه قوله « سنه سنه » وهو بفتح النون وسكون الهاء ، وفي رواية الكشميهني
« سنه » بزيادة ألف والهاء فيهما للسكت وقد تحذف ، قال ابن قرقول : هو بفتح النون الخفيفة عند أبي ذر
وشدها الباقون وهي بفتح أوله للجميع إلا القابسي فكسره .

قوله في آخره (قال عبد الله فبقيت حتى ذكر) أي ذكر الراوي من بقائها أمداً طويلاً ، وفي نسخة

الصغاني وغيرها « حتى ذكرت » ول بعضهم « حتى دكن » بمهملة وآخره نون أى اتسخ ، وسيأتى فى كتاب الأدب . ووقع فى نسخة الصغاني هنا من الزيادة فى آخر الباب « قال أبو عبد الله هو المصنف : لم تعش امرأة مثل ما عاشت هذه يعنى أم خالد » . قلت : وإدراك موسى بن عقبة دال على طول عمرها لأنه لم يلق من الصحابة غيرها .

(تنبيه) : خالد بن سعيد المذكور فى السند شيخ عبد الله وهو ابن المبارك هو خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أخو إسحق بن سعيد وليس له فى البخارى سوى هذا الحديث الواحد ، وقد كرره عنه كما نبهت عليه . وفى طبقة خالد بن سعيد بن أبي مریم المدنى لكن لم يخرج له البخارى ولا لابن المبارك عنه رواية ، وأوهم الكرماني أن شيخ ابن المبارك هنا هو خالد بن الزبير بن العوام . ولا أدري من أين له ذلك ؟ بل لم أر لخالد بن الزبير رواية فى شيء من الكتب الستة . ثم راجعت كلامه فعلت مراده فإنه قال : لفظ خالد المذكور هنا ثلاث مرار ، والثاني غير الأول ، وهو خالد بن الزبير بن العوام ، والثالث غير الثاني وهو خالد بن سعيد بن العاص ، فقوله « والثاني » يوهم أن المراد خالد بن سعيد وإنما مراده خالد المذكور فى كنية أم خالد ، وكان يعنى عن هذا التطويل أن يقول : إن أم خالد سميت ولدها باسم والدها ، وكان الزبير بن العوام تزوجها فولدت له خالد بن الزبير ، فهذا يوضح المراد مع مزيد الفائدة . والذي نبه عليه ليس تحته كبير أمر ، فإن خالد بن سعيد الراوى عن أم خالد لا يظن أحد أنه أبوها إلا من يقف مع مجرد التجويز العقلي ، فإن من المقطوع به عند المحدثين أن عبد الله بن المبارك ما أدركها فضلا عن أن يروى عن أبيها ، وأبوها استشهد فى خلافة أبي بكر أو عمر فانحصرت الفائدة فى التنبيه على سبب كنية أم خالد . ثالثها حديث أبي هريرة « أن الحسن بن علي أخذ تمر من تمر الصدقة » الحديث والغرض منه قوله « كخ كخ » وهى كلمة زجر للصبي عما يريد فعله ، وقد تقدم شرحه فى أواخر كتاب الزكاة وقد نازع الكرماني فى كون الألفاظ الثلاثة عجمية ، لأن الأول يجوز أن يكون من توافق اللغتين ، والثاني يجوز أن يكون أصله « حسنه » فحذف أوله إيجازاً ، والثالث من أسماء الأصوات وقد أجاب عن الأخير ابن المنير فقال : وجه مناسبتة أنه صلى الله عليه وسلم خاطبه بما يفهمه مما لا يتكلم به الرجل مع الرجل ، فهو كمخاطبة العجمي بما يفهمه من لغته . قلت : وبهذا يجاب عن الباقي ، ويزاد بأن تجويزه حذف أول حرف من الكلمة لا يعرف ، وتشبيهه بقوله « كنى بالسيف شا » لا يتبعه ، لأن حذف الأخير معهود فى الترقيم ، والله أعلم .

باب الغُلُول، وقول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

٢٩٧١ - حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن أبي حيان قال حدثني أبوزرعة قال حدثني

[٣٠٧٣]

أبو هريرة قال : قام فينا النبي صلى الله عليه فذكر الغُلُول فعظمه وعظم أمره ، قال : « لا ألقين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، على رقبته فرس له حمحمة ، يقول : يا رسول الله ، أغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتكَ . وعلى رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله

أغثنني ، فأقول لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتكَ . على رقبتك صامت فيقول : يا رسول الله أغثنني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتكَ . على رقبتك رقاع تخفق ، فيقول : يا رسول الله أغثنني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ . وقال أيوب عن أبي حيان « فرس له حممة » .

قوله (باب الغلول) بضم المعجمة واللام أى الخيانة فى المغم ، قال ابن قتيبة : سمي بذلك لأن آخذه يغله فى متاعه أى يخفيه فيه . ونقل النووى الإجماع على أنه من الكبائر .

قوله (وقول الله عز وجل ﴿ ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ﴾) أورد فيه حديث أبى هريرة « قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فعظمه » الحديث ، ويحيى هو القطان ، وأبو حيان هو يحيى بن سعيد التيمي .

قوله (لا ألفين) بضم أوله وبالفاء أى لا أجد ، هكذا الرواية للأكثر بلفظ النفي المؤكد والمراد به النهي وبالفاء وكذا عند الحموي والمستمل ، لكن روى بفتح الهمزة وبالقاف من اللقاء وكذا لبعض رواة مسلم والمعنى قريب . ومنهم من حذف الألف على أن اللام للقسم وفى توجيهه تكلف ، والمعروف أنه بلفظ النفي المراد به النهي ، وهو وإن كان من نهى المرء نفسه فليس المراد ظاهره ، وإنما المراد نهى من يخاطبه عن ذلك وهو أبلغ .

قوله (أحدكم يوم القيامة على رقبتك) فى رواية مسلم « يحيى يوم القيامة وعلى رقبتك » وهو حال من الضمير فى يحيى ، و « شاة » فاعل الظرف لاعتماده أى هى حالة شنيعة ولا ينبغي لكم أن أراكم عليها يوم القيامة . وفى حديث عبادة بن الصامت فى السنن « إياكم والغلول ، فإنه عار على أهله يوم القيامة » .

قوله (على رقبتك شاة لها ثغاء) بضم المثلثة وتخفيف المعجمة وبالماء صوت الشاة يقال ثغت تثغو ، وقوله فرس له حممة يأتى فى آخر الحديث .

قوله (لا أملك لك شيئاً) أى من المغفرة ، لأن الشفاعة أمرها إلى الله ، وقوله « قد بلغتكَ » أى فليس لك عذر بعد الإبلاغ ، وكأنه صلى الله عليه وسلم أبرز هذا العيد فى مقام الزجر والتغليظ وإلا فهو فى القيامة صاحب الشفاعة فى مذنبى الأمة .

قوله (بعير له رغاء) بضم الراء وتخفيف المعجمة وبالماء صوت البعير .

قوله (صامت) أى الذهب والفضة ، وقيل ما لا روح فيه من أصناف المال . وقوله « رقاع تخفق » أى تتفقق وتضطرب إذا حركتها الرياح ، وقيل معناه تلمع والمراد بها الثياب قاله ابن الجوزى ، وقال الحميدى : المراد بها ما عليه من الحقوق المكتوبة فى الرقاع ، واستبعده ابن الجوزى لأن الحديث سبق لذكر الغلول الحسى فحملة على الثياب أنسب ، وزاد فى رواية مسلم « نفس لها صياح » وكأنه أراد بالنفس ما يغله من الرقيق من امرأة أو صبي قال المهلب : هذا الحديث وعيد لمن أنفذه الله عليه من أهل العاصي ، ويحتمل

أن يكون الحمل المذكور لا بد منه عقوبة له بذلك ليفتضح على رموس الأشهاد ، وأما بعد ذلك فيلج الله الأمر في تعذيبه أو العفو عنه ، وقال غيره : هذا الحديث يفسر قوله عز وجل ﴿ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى يأت به حاملا له على رقبتة ، ولا يقال إن بعض ما يسرق من النقد أخف من البعير مثلاً والبعير أرخص ثمناً فكيف يعاقب الأخف جناية بالأنقل وعكسه ؟ لأن الجواب أن المراد بالعقوبة بذلك فضيحة الحامل على رموس الإشهاد في ذلك الموقف العظيم لا بالثقل والخفة ، قال ابن المنير : أظن الأمراء فهموا تجريس السارق ونحوه من هذا الحديث ، وقد تقدم شرح بعض هذا الحديث في أوائل الزكاة .

(تكميل) قال ابن المنذر : أجمعوا على أن على الغال أن يعيد ما غل قبل القسمة ، وأما بعدها فقال الثوري والأوزاعي والليث ومالك : يدفع إلى الإمام خمسة ويتصدق بالباقي ، وكان الشافعي لا يرى بذلك ويقول إن كان ملكه فليس عليه أن يتصدق به ، وإن كان لم يملكه فليس له الصدقة بمال غيره ، قال : والواجب أن يدفعه إلى الإمام كالأموال الضائعة .

قوله (وقال أيوب عن أبي حيان فرس له حممة) كذا للأكثر في الموضعين « فرس له حممة » بمهملتين مفتوحتين بينهما ميم ساكنة ثم ميم قبل الهاء ، وهو صوت الفرس عند العلف ، وهو دون الصهيل . ووقع في رواية الكشميهني في الرواية الأولى « على رقبتة له حممة » بحذف لفظ فرس ، وكذا هو في رواية النسفي وأبي علي بن شويه فعلى هذا تكون فائدة ذكر طريق أيوب التنصيص على ذكر الفرس . ولمسلم من طريق ابن عليه عن أبي حيان بالإسناد الأول « فرس له حممة » وهو الموجود في الروايات كلها ، وطريق أيوب وصلها مسلم من طريق حماد ومن طريق عبد الوارث جميعا عن أيوب عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة ولم يسق لفظها ، وقد رويناها في كتاب الزكاة ليوסף القاضي بالحديث بتمامه وفيه « ويجيء رجل على عنقه فرس له حممة » ورأيت في بعض النسخ في الرواية الأولى « فرس له حممة بميم واحدة ولا معنى له ، فإن كان مضبوطاً فكأنه نبه بهذه الرواية المعلقة على وجه الصواب .

باب القليل من الغلول

ولم يذكر عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه أنه حرق متاعه ، وهذا أصح .

٢٩٧٢ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان عن عمرو عن سالم بن أبي الجعد عن [٣٠٧٤]

عبد الله بن عمرو قال : كان على ثقل النبي صلى الله عليه رجل يقال له كركرة ، فمات ، فقال رسول الله صلى الله عليه : « هو في النار » ، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها .

قال ابن سلام : كركرة يعني بفتح الكاف .

قوله (باب القليل من الغلول) أى هل يلتحق بالكثير في الحكم أم لا ؟ .

قوله (ولم يذكر عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حرق متاعه) يعني في حديثه

الذي ساقه في الباب في قصة الذي غل العباءة وقوله « وهذا أصح » أشار إلى تضعيف ما روى عن عبد الله بن عمرو في الأمر بحرق رحل الغال ، والإشارة بقوله هذا إلى الحديث الذي ساقه ، والأمر بحرق رحل الغال أخرجه أبو داود من طريق صالح بن محمد بن زائدة الليثي المدني أحد الضعفاء قال « دخلت مع مسلمة ابن عبد الملك أرض الروم فأتى برجل قد غل ، فسأل سالماً - أي ابن عبد الله بن عمر - عنه فقال : سمعت أبي يحدث عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا وجدتم الرجل قد غل فأحرقوا متاعه » ثم ساقه من وجه آخر عن سالم موقوفاً ، قال أبو داود : هذا أصح . وقال البخاري في التاريخ : يحتجون بهذا الحديث في إحراق رحل الغال ، وهو باطل ليس له أصل وراويه لا يعتمد عليه ، وروى الترمذي عنه أيضاً أنه قال : صالح منكر الحديث . وقد جاء في غير حديث ذكر الغال وليس فيه الأمر بحرق متاعه . قلت : وجاء من غير طريق صالح بن محمد أخرجه أبو داود أيضاً من طريق زهير بن محمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، ثم أخرجه من وجه آخر عن زهير بن عمرو بن شعيب موقوفاً عليه وهو الراجح ، وقد أخذ بظاهر هذا الحديث أحمد في رواية ، وهو قول مكحول والأوزاعي ، وعن الحسن : يحرق متاعه كله إلا الحيوان والمصحف ، وقال الطحاوي : لو صح الحديث لاحتمل أن يكون حين كانت العقوبة بالمال .

(تنبيه) : حكى بعض الشراح عن رواية الأصيلي أنه وقع فيها هنا « ويذكر عن عبد الله بن عمرو الخ » بدل قوله « ولم يذكر عبد الله بن عمرو » فإن كان كما ذكر فقد عرف المراد بذلك ويكون قوله هذا أصح إشارة إلى أن حديث الباب الذي لم يذكر فيه التحريق أصح من الرواية التي ذكرها بصيغة التريض وهي التي أشرت إليها من نسخة عمرو بن شعيب .

قوله (عن عمرو) هو ابن دينار ، وكذا هو عند ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان .

قوله (على ثقل) بثلاثة وقاف مفتوحتين : العيال وما يثقل حمله من الأمتعة .

قوله (كركرة) ذكر الواقدي أنه كان أسود يمسك دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال ، وروى أبو سعيد النيسابوري في « شرف المصطفى » أنه كان نوبياً أهده له هودة بن علي الحنفي صاحب البمامة فأعتقه ، وذكر البلاذري أنه مات في الرق أو اختلف في ضبطه فذكر عياض أنه يقال بفتح الكافين وبكسرهما ، وقال النووي إنما اختلف في كاهه الأولى وأما الثانية فكسورة اتفاقاً ، وقد أشار البخاري إلى الخلاف في ذلك بقوله في آخر الحديث « قال ابن سلام كركرة » وأراد بذلك أن شيخه محمد بن سلام رواه عن ابن عيينة بهذا الإسناد بفتح الكاف ، وصرح بذلك الأصيلي في روايته فقال : يعني بفتح الكاف والله أعلم . قال عياض : هو للأكثر بالفتح في رواية علي وبالكسر في رواية ابن سلام وعند الأصيلي بالكسر في الأول ، وقال القابسي : لم يكن عند المروزي فيه ضبط إلا أنني أعلم أن الأول خلاف الثاني . وفي الحديث تحريم قليل الغلول وكثيره ، وقوله « هو في النار » أي يعذب على معصيته ، أو المراد هو في النار إن لم يعف الله عنه .

باب ما يُكره من ذبح الإبل والغنم في المغانم

[٣٠٧٥] ٢٩٧٣ - حدثنا موسى قال حدثنا أبو عوانة عن سعيد بن مسروق عن عباية بن رفاع عن جده رافع قال: كُنَّا مع النبي صلى الله عليه بذي الحليفة فأصاب الناس جوعاً، وأصبنا إبلًا وغنماً - وكان النبي صلى الله عليه في أخريات الناس - فعجلوا فنصبوا القدور، فأمر بالقدر فأكفَّت ثم قسم، فعَدَلَ عشرة من الغنم ببيعير، فندَّ منها بيعير، وفي القوم خيلٌ يسير، فطلبوه فأعياهم، فأهوى إليه رجلٌ بسهم فحبسه الله، فقال: «هذه البهائم لها أوابدُ كأوابدِ الوحش، فما ندُّ عليكم فاصنعوا به هكذا». فقال جدِّي: إنا نرجو - ونخاف أن نلقى العدوَّ غدًا، وليس معنا مدى؛ أفندبحُ بالقصب؟ فقال: «ما أنهرَ الدم، وذكرَ اسمُ الله عليه فكل، ليس السنُّ والظفرُ. وسأحدثكم عن ذلك: أمَّا السنُّ فعظم، وأمَّا الظفرُ فمدى الحبشة».

قوله (باب ما يكره من ذبح الإبل والغنم في المغانم) ذكر فيه حديث رافع بن خديج في ذبحهم الإبل التي أصابوها لأجل الجوع ونصبهم، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإكفاء القدور، وفيه قصة البعير الذي ندَّ، وفيه السؤال عن الذبح بالقصب وسيأتي الكلام على شرحه مستوفى في كتاب الذبائح، وقد مضى في الشركة وغيرها، وموضع الترجمة منه أمره صلى الله عليه وسلم بإكفاء القدور فإنه مشعر بكرامة ما صنعوا من الذبح بغير إذن. وقال المهلب: إنما أكفأ القدور ليعلم أن الغنيمة إنما يستحقونها بعد قسمته لها، وذلك أن القصة وقعت في دار الإسلام لقوله فيها «بذي الحليفة» وأجاب ابن المنير بأنه قد قيل إن الذبح إذا كان على طريق التعدي كان المذبوح ميتة، وكان البخاري انتصر لهذا المذهب أو حمل الإكفاء على العقوبة بالمال وإن كان ذلك المال لا يختص بأولئك الذين ذبحوا، لكن لما تعلق به طمعهم كانت النكاية حاصلة لهم، قال: وإذا جوزنا هذا النوع من العقوبة فعقوبة صاحب المال في ماله أولى، ومن ثم قال مالك: يراق اللبن المغشوش ولا يترك لصاحبه وإن زعم أنه ينتفع به بغير البيع أدباً له، انتهى. وقال القرطبي: المأمور بإكفائه إنما هو المرق عقوبة للذين تعجلوا، وأما نفس اللحم فلم يتلف، بل يحمل على أنه جمع ورد إلى المغانم لأن النهي عن إضاعة المال تقدم، والجناية بطبخه لم تقع من الجميع إذ من جملتهم أصحاب الخمس ومن الغانمين من لم يباشر ذلك، وإذا لم ينقل أنهم أحرقوه وأتلفوه تعين تأويله على وفق القواعد الشرعية، ولهذا قال في الحمر الأهلية لما أمر بإراقها «أنها رجس» ولم يقل ذلك في هذه القصة، فدل على أن لحومها لم تترك بخلاف تلك والله أعلم. وسيأتي بيان ما أبيح للغازي من الأكل من المغانم ماداموا في بلاد العدو في «باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب» في أواخر فرض الخمس.

باب البشارة في الفتوح

[٣٠٧٦] ٢٩٧٤ - حدثنا محمد بن المثني قال حدثنا يحيى قال حدثنا إسماعيل قال حدثني قيس

قال: قال لي جرير بن عبد الله قال لي رسول الله صلى الله عليه: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» وكان بيتاً فيه خثعم يُسمى كعبة اليمانية. فانطلقت في خمسين ومائة من أحمر - وكانوا أصحاب خيل - فأخبرت النبي صلى الله عليه أني لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري، فقال: «اللهم ثبته، واجعله هادياً مهدياً». فانطلق إليها فكسرها وحرّقها، فأرسل إلى النبي صلى الله عليه يبشره، فقال رسول جرير لرسول الله صلى الله عليه: والذي بعثك بالحق، ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب. فبارك على خيل أحمر ورجالها خمس مرات وقال مسدد: بيت في خثعم.

قوله (باب البشارة في الفتح) ذكر فيه حديث جرير في قصة ذي الخلصة، وسيأتي شرحه في أواخر المغازي والمراد منه قوله في آخره «فأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبشره» وقوله في آخره «قال مسدد بيت في خثعم» يريد أن مسدداً رواه عن يحيى القطان بالإسناد الذي ساقه المصنف عن محمد بن المثنى عن يحيى فقال: بدل قوله «وكان بيتاً في خثعم» وهذه الرواية هي الصواب. وقد رواه أحمد في مسنده عن يحيى فقال «بيتاً لخثعم» وهي موافقة لرواية مسدد.

باب ما يُعطى البشير

وأعطى كعب بن مالك ثوبين حين بشر بالتوبة.

قوله (باب ما يعطى للبشير، وأعطى كعب بن مالك ثوبين حين بشر بالتوبة) يشير إلى حديثه الطويل في قصة تخلقه في غزوة تبوك، وسيأتي في المغازي، وهو ظاهر فيما ترجم له، وسيأتي أن البشير هو سلمة ابن الأكوع.

باب لا هجرة بعد الفتح

[٣٠٧٧] ٢٩٧٥ - حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا شيبان عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه يوم فتح مكة: «لا هجرة، ولكن جهاد ونية». وإذا استنفرتم فانفروا.

[٣٠٧٨] ٢٩٧٦ - حدثنا إبراهيم بن موسى قال أخبرنا يزيد بن زريع عن خالد عن أبي عثمان النهدي عن مجاشع بن مسعود قال: جاء مجاشع بأخيه مجالد بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه فقال: هذا مجالد يبايعك على الهجرة. فقال: «لا هجرة بعد فتح مكة، ولكن أبايعه على الإسلام».

[٣٠٨٠] ٢٩٧٧ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال عمرو وابن جريج سمعت عطاء يقول: ذهبت مع عبيد بن عمير إلى عائشة وهي مجاورة بثبير، فقالت لنا: انقطعت الهجرة قد فتح الله على نبيه مكة.

[الحديث ٣٠٨٠ - طرفاه في: ٣٩٠٠، ٤٣١٢].

قوله (باب لاهجرة بعد الفتح) أي فتح مكة أو المراد ما هو أعم من ذلك إشارة إلى أن حكم غير مكة في ذلك حكمها فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فن به من المسلمين أحد ثلاثة: الأول قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة، الثاني قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها ومعاونتهم وجهاد الكفار والأمن من غلهم والراحة من رؤية المنكر بينهم، الثالث عاجز يعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أجر. وقد ذكر المصنف في الباب ثلاثة أحاديث: أحدها حديث ابن عباس وقد تقدم في «باب وجوب النفير» في أوائل الجهاد. الثاني حديث مجاشع بن مسعود وقد تقدم في «باب البيعة في الحرب». الثالث حديث عائشة «انقطعت الهجرة منذ فتح الله على نبيه مكة» وسيأتي بآتم من هذا السياق في «باب الهجرة إلى المدينة» أول المغازي.

باب إذا اضطرَّ الرجلُ إلى النظرِ في شعورِ أهلِ الذِّمةِ والمؤمناتِ إذا عصينَ اللهَ، وتجرَّيدهنَّ

[٣٠٨١] ٢٩٧٨ - حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب الطائفي قال حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن وكان عثمانياً، فقال لابن عطية وكان علويّاً: إني لأعلم ما الذي جرّاً صاحبك على الدماء، سمعته يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه والزبير فقال: «اتوا روضة كذا، وتجحدون بها امرأة أعطاها حاطب كتاباً». فأتينا الروضة فقلنا: الكتاب. قالت: لم يعطني. قلنا: لتخرجن أو لأجرّدنك. فأخرجت من حُجرتِها. فأرسل إلى حاطب. فقال: لا تعجل، والله ما كفرت ولا ازددت للإسلام إلا حبّاً، ولم يكن أحدٌ من أصحابك إلا وله بمكة من يدفع الله به عن أهله وماله، ولم يكن لي أحدٌ، فأحببت أن أتخذ عندهم يداً. فصدقهُ النبي صلى الله عليه. قال عمر: دعني أضرب عنقه، فإنه قد نافق. فقال: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم». فهذا الذي جرّاه.

قوله (باب إذا اضطرَّ الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة، والمؤمنات إذا عصين الله، وتجرّيدهن) أورد فيه حديث على في قصة المرأة التي كتب معها حاطب إلى أهل مكة، ومناسبته للترجمة ظاهرة في رؤية الشعر

من قوله في الروايات الأخرى « فأخرجته من عقاصها » وهي ذوائبها المصفورة ، وفي التجريد من قول علي « لأجردنك » وقد تقدم في « باب الجاسوس » من وجه آخر عن علي ، ويأتي شرحه في تفسير سورة الممتحنة . وقوله في الإسناد « عن أبي عبد الرحمن » هو السلمي . وقوله « وكان عثمانيا » أي يقدم عثمان على علي في الفضل ، وقوله « فقال لابن عطية » هو حبان بكسر المهملة وبالموحدة على الصحيح كما سيأتي في استتابة المرتدين ، وقوله « وكان علويا » أي يقدم علياً في الفضل على عثمان وهو مذهب مشهور لجماعة من أهل السنة بالكوفة . قال ابن المنير : ليس في الحديث بيان هل كانت المرأة مسلمة أو ذمية ، لكن لما استوى حكمها في تحريم النظر لغير حاجة شملهما الدليل . وقال ابن التين : إن كانت مشركة لم توافق الترجمة ، وأجيب بأنها كانت ذات عهد فحكمها حكم أهل الذمة . وقوله « فأخرجت من حجزتها » كذا هنا بحذف المفعول ، وفي الأخرى « فأخرجته » والحجزة بضم المهملة وسكون الجيم بعدها زاي : معقد الإزار والسراويل ، ووقع في رواية القابسي « من حزتها » بحذف الجيم ، قيل هي لغة عامية ، وتقدم في « باب الجاسوس » أنها أخرجته من عقاصها ، وجمع بينهما بأنها أخرجته من حجزتها فأخفته في عقاصها ثم اضطرت إلى إخراجه أو بالعكس ، أو بأن تكون عقيصتها طويلة بحيث تصل إلى حجزتها فربطته في عقيصتها وعرزته بحجزتها وهذا الاحتمال أرجح . وأجاب بعضهم باحتمال أن يكون معها كتابان إلى طائفتين ، أو المراد بالحجزة العقدة مطلقاً وتكون رواية العقيصة أوضح من رواية الحجزة ، أو المراد بالحجزة الحبل لأن الحجز هو شد وسط يدي البعير بحبل ثم يخالف فتعقد رجلاه ثم يشد طرفاه إلى حقويه . ويسمى أيضا الحجاز .

باب استقبال الغزاة

[٣٠٨٢] ٢٩٧٩ - حدثنا عبد الله بن أبي الأسود قال حدثنا يزيد بن زريع وحميد بن الأسود عن حبيب بن الشهيد عن ابن أبي مليكة : قال ابن الزبير لابن جعفر : أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وآنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك .

[٣٠٨٣] ٢٩٨٠ - حدثنا مالك بن إسماعيل قال حدثنا ابن عيينة عن الزهري قال : قال السائب ابن يزيد : ذهبنا نتلقى رسول الله صلى الله عليه وآله مع الصبيان إلى ثنية الوداع .

[الحديث ٣٠٨٣ - طرفاه في : ٤٤٢٦ ، ٤٤٢٧ .]

قوله (باب استقبال الغزاة) أي عند رجوعهم .

قوله (حدثنا عبد الله بن الأسود) في رواية الكشميهني بن أبي الأسود ، وهو عبد الله بن محمد بن حميد الأسود وحميد جده يكنى أبا الأسود وهو الذي قرنه يزيد بن زريع فنسب تارة إلى جده وأخرى إلى جد أبيه ، وما لحמיד بن الأسود في البخاري سوى هذا الحديث وآخر في تفسير سورة البقرة . وقرنه فيه أيضاً يزيد بن زريع . وعبد الله شيخ البخاري يكنى أبا بكر وهو بها أشهر ، وكان من الحفاظ ، وهو ابن أخت عبد الرحمن بن مهدي .

قوله (قال ابن الزبير لابن جعفر) كل منهما يسمى عبد الله .

قوله (قال نعم فحملنا وتركك) ظاهره أن القائل « فحملنا » هو عبد الله بن جعفر وأن المتروك هو ابن الزبير ، وأخرجه مسلم من طريق أبي أسامة وابن علية كلاهما عن حبيب بن الشهيد بهذا الإسناد مقلوباً ولفظه « قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير » جعل المستفهم عبد الله بن جعفر والقائل « فحملنا » عبد الله بن الزبير والذي في البخارى أصح ، ويؤيده ما تقدم في الحج عن ابن عباس قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة استقبلته أغيلة من بنى عبد المطلب فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه » فإن ابن جعفر من بنى عبد المطلب بخلاف ابن الزبير وإن كان عبد المطلب جد أبيه لكنه جده لأمه . وأخرج أحمد والنسائي من طريق خالد بن سارة عن عبد الله بن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم حمله خلفه وحمل قثم بن عباس بين يديه ، وقد حكى ابن التين عن الداودى أنه قال : في هذا الحديث من الفوائد حفظ اليتيم ، يشير إلى أن جعفر بن أبي طالب كان مات فعطف النبي صلى الله عليه وسلم على ولده عبد الله فحسب بين يديه ، وهو كما قال . وأغرب ابن التين فقال : إن في الحديث النص بأنه صلى الله عليه وسلم حمل ابن عباس وابن الزبير ولم يحمل ابن جعفر ، قال : ولعل الداودى ظن أن قوله « فحملنا وتركك » من كلام ابن جعفر وليس كذلك ، كذا قال ، والذي قاله الداودى هو الظاهر من سياق البخارى ، فما أدري كيف قال بن التين إنه نص في خلافه ، وقد نبه عياض على أن الذى وقع في البخارى هو الصواب ، قال : وتأثرين رواية مسلم أن يجعل الضمير في « حملنا » لابن جعفر فيكون المتروك ابن الزبير ، قال ووقع على الصواب أيضاً عند ابن أبي شيبة وابن أبي خيثمة وغيرهما . قلت : وقد روى أحمد الحديث عن ابن علية فينبى سبب الوهم ولفظه مثل مسلم ، لكن زاد بعد قوله « قال نعم : قال فحملنا » قال أحمد « وحدثنا به مرة أخرى فقال فيه : قال نعم فحملنا » يعنى وأسقط « قال » التى بعد نعم . قلت : وبإثباتها توافق رواية البخارى وبخلفها تخالفها والله أعلم . وفي حديث ابن جعفر أيضاً جواز الفخر بما يقع من إكرام النبي صلى الله عليه وسلم ، وثبوت الصحبة له ولابن الزبير - وهما متقاربان في السن - وقد حفظا غير هذا ، ثم ذكر المصنف حديث السائب بن يزيد في الملاقاة ، وميائى في أواخر المغازى . ووقع لابن التين هنا في المراد بثنية الوداع شيء رده عليه شيخنا ابن الملقن ، والصواب مع ابن التين

بـ

مَا يَقُولُ إِذَا رَجَعَ مِنَ الْغَزْوِ

٢٩٨١ - حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه كان إذا قفل كبر ثلاثاً قال : « آيبن إن شاء الله ، تائبون ، عابدون ، حامدون ، لرَبنا ساجدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » . [٣٠٨٤]

٢٩٨٢ - حدثنا أبو معمر قال حدثنا عبد الوارث قال حدثنا يحيى بن أبي إسحاق عن أنس بن مالك قال : كنّا مع النبي صلى الله عليه مقفلة من عُسفان ورسول الله صلى الله عليه على [٣٠٨٥]

راحلتها، وقد أردف صفية بنت حيي، فعثرت به ناقته فصرعا جميعا، فاقتحم أبو طلحة فقال: يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: «عليك المرأة». فقلب ثوبا على وجهه وأتاها فألقاه عليها، وأصلح لهما مركبهما فركبا، واكتنفنا رسول الله صلى الله عليه. فلما أشرفنا على المدينة قال: «آيئون، تائبون، عابدون لربنا حامدون». فلم يزل يقول ذلك حتى دخل المدينة.

[٣٠٨٦] ٢٩٨٣ - حدثنا علي قال حدثنا بشر بن الفضل عن يحيى بن إسحاق عن أنس بن مالك أنه أقبل هو وأبو طلحة مع النبي صلى الله عليه، ومع النبي صلى الله عليه صفية بنت حيي يردفها على راحلتها. فلما كان ببعض الطريق عثرت الدابة فصرع النبي صلى الله عليه والمرأة، وإن أبا طلحة قال أحسب قال: اقتحم عن بغيره فقال: يا نبي الله، جعلني الله فداءك، هل أصابك من شيء؟ قال: «لا، ولكن عليك المرأة». فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه فقصد قصدها، فألقى ثوبه عليها، فقامت المرأة، فشدد لهما على راحلتها فركبا، فساروا حتى إذا كانوا بظهر المدينة - أو قال: أشرفوا على المدينة - قال النبي صلى الله عليه: «آيئون، تائبون، عابدون لربنا حامدون». فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة.

قوله (باب ما يقول إذا رجع من الغزو) ذكر فيه حديثين: أحدهما حديث ابن عمر في قوله «آيئون تائبون» الحديث، وقد تقدم شرحه في أواخر الحج. ثانيهما حديث أنس في قصة وقوع صفية عن الناقة أخرجه من وجهين الثاني منهما في رواية الكشميهني وحده، وسيأتي شرحه في غزوة خيبر إن شاء الله تعالى. وقوله فيه «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم مقفله من عسفان» قال الديلماني هذا وهم لأن غزوة عسفان إلى بني لحيان كانت سنة ست، وإرداف صفية كان في غزوة خيبر سنة سبع، وجوز بعضهم أن يكون في طريق خيبر مكان يقال له عسفان وهو مردود، والذي يظهر أن الراوي أضاف المقفل إلى عسفان لأن غزوة خيبر كانت عقبها وكأنه لم يعتد بالإقامة المتخللة بين الغزوتين لتقاربهما، وهذا كما قيل في حديث سلمة بن الأكوع الآتي في تحريم المتعة في غزوة أوطاس، وإنما كان تحريم المتعة بمكة فأضافها إلى أوطاس لتقاربهما، والعلم عند الله تعالى.

باب الصلاة إذا قدم من سفر

[٣٠٨٧] ٢٩٨٤ - حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن محارب بن دثار قال سمعت جابر بن عبد الله قال: كنت مع النبي صلى الله عليه في سفر فلما قدمنا المدينة قال لي: «ادخل المسجد فصل ركعتين».

[٣٠٨٨] ٢٩٨٥ - حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن

كعب عن أبيه وعمه عبيد الله بن كعب عن كعب: أن النبي صلى الله عليه كان إذا قدم من سفر ضحى دخل المسجد فصلى ركعتين قبل أن يجلس.

قوله (باب الصلاة إذا قدم من سفر) ذكر فيه حديث جابر في ذلك، وقد تقدم في أبواب الصلاة، وهو ظاهر فيما ترجم له، وكذا الذي بعده، وحديث كعب بن مالك تقدم في الصلاة أيضاً، وهو طرف من حديثه الطويل.

باب الطعام عند القدوم

وكان ابن عمر يفطر لمن يغشاه.

[٣٠٨٩] ٢٩٨٦ - حدثنا محمد قال أخبرنا وكيع عن شعبة عن محارب بن دثار عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه لما قدم المدينة نحر جزوراً أو بقرة. زاد معاذ عن شعبة عن محارب سمع جابر بن عبد الله: اشترى مني النبي صلى الله عليه بعيراً بأوقيتين ودرهم أو درهمين. فلما قدم صراراً أمر ببقرة فذبحت فأكلوا منها، فلما قدم المدينة أمرني أن آتي المسجد فأصلي ركعتين، ووزن ثمن البعير.

[٣٠٩٠] ٢٩٨٧ - حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن محارب بن دثار عن جابر قال: قدمت من سفر، فقال النبي صلى الله عليه: «صل ركعتين».

قوله (باب الطعام عند القدوم) أي من السفر، وهذا الطعام يقال له النقيعة بالنون والقاف، قيل اشتق من النقع وهو الغبار لأن المسافر يأتي وعليه غبار السفر، وقيل النقيعة من اللبن إذا برد، وقيل غير ذلك.

قوله (وكان ابن عمر يفطر لمن يغشاه) أي لأجل من يغشاه، والأصل فيه أن ابن عمر كان لا يصوم في السفر لا فرضاً ولا تطوعاً وكان يكثر من صوم التطوع في الحضر، وكان إذا سافر أفطر وإذا قدم صام إما قضاء إن كان سافر في رمضان وإما تطوعاً إن كان في غيره، لكنه يفطر أول قدومه لأجل الذين يغشونه للسلام عليه والتهنئة بالقدوم ثم يصوم. ووقع في رواية الكشميني «يصنع» بدل يفطر والمعنى صحيح، لكن الأول أصوب، فقد وصله إسماعيل القاضي في «كتاب أحكام القرآن» من طريق أيوب عن نافع قال «كان ابن عمر إذا كان مقيماً لم يفطر، وإذا كان مسافراً لم يصم، فإذا قدم أفطر أياماً لغاشيته ثم يصوم» قال ابن بطال: فيه إطعام الإمام والرئيس أصحابه عند القدوم من السفر، وهو مستحب عند السلف، ويسمى النقيعة بنون وقاف وزن عظيمة. ونقل عن المهلب أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر أطمع من يأتيه ويفطر معهم ويترك قضاء رمضان لأنه كان لا يصوم في السفر فإذا انتهى الطعام ابتداء قضاء رمضان. قال وقد جاء هذا مفسراً في «كتاب الأحكام» لإسماعيل القاضي، وتعقبه ابن بطال بأن الأثر الذي أخرجه إسماعيل ليس فيه

ما ادعاه المهلب ، يعنى من التقييد برمضان ، وإن كان يتناوله بعمومه ، وإنما حمل المهلب على ذلك ما جاء عن ابن عمر أنه كان يقول فيمن نوى الصوم ثم أفطر : أنه متلاعب وأنه دعى إلى وليمة فحضر ولم يأكل واعتلر بأنه نوى الصوم ، فاحتاج أن يقيده بقضاء رمضان ، والحق أنه لا يحتاج إلى ذلك إذا حمل على الصورة التي ابتدأت بها وهو أنه لا ينوى الصوم حينئذ بل يقصد الفطر لأجل ما ذكر ، ثم يستأنف الصوم تطوعاً كان أو قضاء ، والله أعلم . ثم ذكر المصنف حديث جابر في قصة بيع جملة من طريق محارب عنه باختصار ، والغرض منه قوله « فلما قدم صراراً أمر ببقرة فذبحت فأكلوا منها » الحديث ، وصرار بكسر المهملة والتخفيف ، ووهم من ذكره بمعجمة أوله ، وهو موضع بظاهر المدينة على ثلاثة أميال منها من جهة المشرق ، وقوله في أوله السند « حدثنا محمد » هو ابن سلام ، وقد حدث به عن وكيع ، ومن يسمى محمد من شيوخ البخارى محمد بن المثني ومحمد بن العلاء وغيرهما ، ولكن تقرر أن البخارى حيث يطلق محمد لا يريد إلا الدهلي أو ابن سلام ، ويعرف تعيين أحدهما من معرفة من يروى عنه والله أعلم . وقوله « زاد معاذ » أى ابن معاذ العنبري وهو موصول عند مسلم ، وأراد البخارى بإيراد طريق أبي الوليد الإشارة إلى أن القدر الذى ذكره طرف من الحديث ، وبهذا يندفع اعتراض من قال إن حديث أبي الوليد لا يطابق الترجمة ، وأن اللائق به الباب الذى قبله . والحاصل أن الحديث عند شعبة عن محارب ، فروى وكيع طرفاً منه وهو ذبح البقرة عند قديم المدينة ، وروى أبو الوليد وسليمان بن حرب عنه طرفاً منه وهو أمره جابرأً بصلاة ركعتين عند القلوم ، وروى عنه معاذ جميعه وفيه قصة البعير وذكر ثمنه لكن باختصار ، وقد تابع كلا من هؤلاء عن شعبة في سياقه جماعة .

(خاتمة) اشتمل كتاب الجهاد من أوله إلى هنا من الأحاديث المرفوعة على ثلاثمائة وستة وسبعين حديثاً ، المعلق منها أربعون طريقاً والبقية موصولة ، المكرر منها فيه وفيما مضى مائتان وستة وستون والخالص مائة وعشرة أحاديث وافقه مسلم على تخريجها سوى حديث أبي هريرة « الجنة مائة درجة » وحديثه « لولا أن رجلاً » وحديث جابر « اصطبغ ناس الحمر » وحديث المغيرة « بلغنا نبينا » وحديث سهل بن حنيف في قول عمر ، وحديث السائب بن يزيد عن طلحة ، وحديث أنس عن أبي طلحة ، وحديثه في قصة ثابت بن قيس ، وحديث سهل في أسماء الخيل وحديث أنس في العضباء لا تسبق ، وحديث سعد « إنما تنصرون بضعفائكم » وحديث سلمة « ارموا وأنا مع ابن الأدرع » وحديث أبي أسيد « إذا أكتبوكم » وحديث أبي أمامة في حلية السيوف ، وحديث ابن عمر « بعثت بين يدي الساعة » وحديث ابن عباس في الدعاء ببدر ، لكن أخرجه من طريق أخرى عن ابن عباس عن عمر ، وحديث عمرو بن تغلب في قتال الترك ، وحديث أبي هريرة في التحريق ، وحديث ابن مسعود فيما غبر من الدنيا ، وحديث قيس بن سعد في الترجيل ، وحديث العباس في الراية ، وحديث جابر في التسبيح ، وحديث أبي موسى « إذا مرض العبد » وحديث ابن عمر في السير وحده ، وحديث أبي هريرة في الأسارى ، وحديث ابن عباس مع علي ، وحديث أبي هريرة في قصة قتل خبيب ، وفيه حديث بنت عياض وحديث سلمة في عين المشركين ، وحديث عمر في هني ، وحديث عبد الله بن عمرو في قصة الغال ، وحديث السائب بن يزيد في الملاقاة . وفيه من الآثار عن الصحابة فن بعدهم سبعة وعشرون أثراً . والله أعلم .

باب فرض الخمس

[٣٠٩١] ٢٩٨٨ - حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يونس عن الزهري قال أخبرني علي بن الحسين أن حسين بن علي أخبره أن علياً قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي صلى الله عليه وآله أعطاني شارفاً من الخمس، فلما أردت أن ابني بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعهُ الصواغين وأستعين به في وليمة عرسي. فبينما أنا أجمع لشارفي متاعاً من الأقتاب والغرائر والحبال، وشارفاني مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، فرجعت حين جمعت ما جمعت، فإذا شارفاني قد أجبت أسنمتهم، وبقرت خواصرهما، وأخذ من أكبادهما، ولم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر منهما، فقلت: من فعل هذا؟ فقالوا: فعل حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار، فانطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله عليه وآله - وعنده زيد ابن حارثة - فعرف النبي صلى الله عليه وآله في وجهي الذي لقيت، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «مالك؟» فقلت: يا رسول الله، ما رأيت كالיום قط، عدا حمزة على ناقتي فأجب أسنمتهم، وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب. فدعا النبي صلى الله عليه وآله عليه بردائه فارتدى، ثم انطلق يمشي، واتبعته أنا وزيد بن حارثة، حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن، فأذنوا لهم، فإذا هم شرب، فطفق رسول الله صلى الله عليه وآله عليه يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة قد ثمل محمرة عيناه، فنظر حمزة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عليه، ثم صعد النظر، فنظر إلى ركبته، ثم صعد النظر فنظر إلى سرتة، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه. ثم قال حمزة: هل أنتم إلا عبيد لأبي؟ فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قد ثمل، فنكص رسول الله صلى الله عليه وآله عليه على عقبه القهقري، وخرجنا معه.

[٣٠٩٢] ٢٩٨٩ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله عليه أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله عليه مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه قال: «لا

(١) الرقمان ٣٠٩٢ و ٣٠٩٣ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

نُورَتْ، ما تركنا صدقةً». فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه ستة أشهر. قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه من خير وفدك، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، فأما صدقته بالمدينة فدفعتها عمر إلى علي وعباس، وأما خير وفدك فأمسكها عمر وقال: صدقة رسول الله صلى الله عليه، كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرهما إلى من ولي الأمر، قال: فهما على ذلك إلى اليوم.

قال أبو عبد الله: اعتراك، افتعلت، من عروته فأصبته، ومنه: يعروني، واعتراني.

[الحديث ٣٠٩٢ - أطرافه في: ٣٧١١، ٤٠٣٥، ٤٢٤٠، ٦٧٢٥].

قصة فدك

٢٩٩٠ - حدثنا إسحاق بن محمد الفروي قال حدثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان وكان محمد بن جبير ذكر لي ذكراً من حديثه ذلك، فانطلقت حتى أدخل على مالك بن أوس فسألته عن ذلك الحديث فقال مالك: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من آدم. فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مال، إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه، فاقسمه بينهم. قلت: يا أمير المؤمنين، لو أمرت به غيري، قال: فاقبضه أيها المرء. فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ وقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون. قال: نعم، فأذن لهم، فدخلوا، فسلموا وجلسوا، ثم جلس يرفأ يسيراً، ثم قال: هل لك في علي وعباس؟ قال: نعم، فأذن لهما، فدخلوا، فسلموا فجلسا فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا - وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من بني النضير فقال الرهط: - عثمان وأصحابه - يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرح

[٣٠٩٤]

أحدهما من الآخر. قال عمر: تعدكم؛ أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة؟» يريد رسول الله صلى الله عليه نفسه. قال الرهط: قد قال ذلك. فأقبل عمر على علي وعباس فقال: أنشدكما أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه قد قال ذلك؟ قال عمر: فإنني أحدثكم عن هذا الأمر: إن الله قد خص رسول الله في هذا الشيء لم يعطه أحدا غيره، ثم قرأ: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿قَدِيرٌ﴾ فكانت هذه خالصة لرسول الله صلى الله عليه، والله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموه وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله صلى الله عليه عليه ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعل له مال الله. فعمل رسول الله صلى الله عليه بذلك حياته. أنشدكم الله، هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم قال لعلي وعباس: أنشدكما الله هل تعلمان ذلك. قال عمر: ثم توفي الله نبيه فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه، فقبضها فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه، والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق. ثم توفي الله أبا بكر، فكنت أنا ولي أبي بكر، فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أنني فيها لصادق بار راشد تابع للحق. ثم جئتماني تكلّماني وكلمتكما واحدة وأمركما واحد، جئني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا - يريد عليا - يريد نصيب امرأته من أبيها. فقلت لكما: إن رسول الله صلى الله عليه قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعتهما إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه ليعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وبما عمل فيها أبو بكر وبما عملت فيها منذ وليتها. فقلتما: ادفعها إلينا فبذلك دفعتهما إليكما. فأنشدكم بالله، هل دفعتهما إليكما بذلك؟ قال الرهط: نعم. ثم أقبل على علي وعباس فقال: أنشدكما الله هل دفعتهما إليكما بذلك؟ قالوا: نعم، قال: فتلتمساني قضاء غير ذلك؟ فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك، فإن عجزتما عنها فادفعها إلي، فإنني أكفيكماها.

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب فرض الخمس) كذا وقع عند الإسماعيلي ، وللاكثر « باب » ، وحذفه بعضهم ، وثبتت البسملة للأكثر . و « الخمس » بضم المعجمة والميم ما يؤخذ من الغنيمة ، والمراد بقوله « فرض الخمس » أى وقت فرضه أو كيفية فرضه أو ثبوت فرضه ، والجمهور على أن ابتداء فرض الخمس كان بقوله تعالى ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شئء فإن لله خمسة وللرسول ﴾ الآية ، وكانت الغنائم تقسم على خمسة أقسام : فيعزل خمس منها يصرف فيمن ذكر في الآية ، وسيأتى البحث في مستحقه بعد أبواب ، وكان خمس هذا الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلف فيمن يستحقه بعده : فذهب الشافعي أنه يصرف في المصالح ، وعنه يرد على الأصناف الثمانية المذكورين في الآية ، وهو قول الحنفية مع اختلافهم فيهم كما سيأتى ، وقيل يختص به الخليفة ، ويقسم أربعة أخماس الغنيمة على الغانمين إلا السلب فإنه للقاتل على الراجح كما سيأتى . وذكر المصنف في الباب ثلاثة أحاديث : أحدها حديث على بن أبي طالب في قصة الشارفين .

قوله (كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر) الشارف المسن من النوق ، ولا يقال للذكر عند الأكثر ، وحكى إبراهيم الحربى عن الأصمعى جوازه ، قال عياض : جمع فاعل على فعل بضمين قليل .

قوله (وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفاً من الخمس) قال ابن بطال : ظاهره أن الخمس شرع يوم بدر ، ولم يختلف أهل السير أن الخمس لم يكن يوم بدر ، وقد ذكر إسماعيل القاضي في غزوة بنى قريظة قال : قيل إنه أول يوم فرض فيه الخمس ، قال : وقيل نزل بعد ذلك ، قال : ولم يأت مافيه بيان شاف ، وإنما جاء صريحاً في غنائم حنين . قال ابن بطال : وإذا كان كذلك فيحتاج قول على إلى تأويل ، قال : ويمكن أن يكون ما ذكر ابن إسحق في سرية عبد الله بن جحش التي كانت في رجب قبل بدر بشهرين ، وأن ابن إسحق قال : ذكر لى بعض آل جحش أن عبد الله قال لأصحابه إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخمس ، وذلك قبل أن يفرض الله الخمس ، فعزل له الخمس وقسم سائر الغنيمة بين أصحابه ، قال فوقع رضا الله بذلك ، قال فيحمل قول على « وكان قد أعطاني شارفاً من الخمس » أى من الذى حصل من سرية عبد الله بن جحش . قلت : ويعكر عليه أن فى الرواية الآتية فى المغازى « وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ » والعجب أن ابن بطال عزا هذه الرواية لأبى داود وجعلها شاهدة لما تأوله ، وغفل عن كونها فى البخارى الذى شرحه وعن كون ظاهرها شاهداً عليه لاه ، ولم أقف على ما نقله أهل السير صريحاً فى أنه لم يكن فى غنائم بدر خمس ، والعجب أنه يثبت فى غنيمة السرية التى قبل بدر الخمس ويقول إن الله رضى بذلك وينفيه فى يوم بدر مع أن الأنفال التى فيها التصريح بفرض الخمس نزل غالبها فى قصة بدر ، وقد جزم الداودى الشارح بأن آية الخمس نزلت يوم بدر ، وقال السبكي : نزلت الأنفال فى بدر وغنائمها . والذى يظهر أن آية قسمة الغنيمة نزلت بعد تفرقة الغنائم ، لأن أهل السير نقلوا أنه صلى الله عليه وسلم قسمها على السواء وأعطاهما لمن شهد الواقعة أو غاب لعذر تكراً منه ، لأن الغنيمة كانت أولاً بنص أول سورة الأنفال للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ولكن يعكر على ما قال أهل السير حديث على ، يعنى حديث الباب حيث قال « وأعطاني شارفاً من الخمس يومئذ فإنه ظاهر فى أنه كان فيها خمس . قلت : ويحتمل أن تكون قسمة غنائم بدر وقعت على السواء بعد أن أخرج الخمس للنبي صلى الله عليه وسلم على ما تقدم

من قصة سرية عبد الله بن جحش ، وأفادت آية الأنفال - وهي قوله تعالى ﴿ واعلموا أنما غنمتم ﴾ إلى آخرها - بيان مصرف الخمس لا مشروعية أصل الخمس والله أعلم . وأما ما نقله عن أهل السير فأخرجه ابن إسحق بإسناد حسن محتج بمثله عن عبادة بن الصامت قال « فلما اختلفنا في الغنيمة وساءت أخلاقنا انتزعها الله منا فجعلها لرسوله ، فقسمها على الناس عن سواء » أى على سواء ، ساقه مطولا ، وأخرجه أحمد والحاكم من طريقه ، وصححه ابن حبان من وجه آخر ليس فيه ابن إسحق .

قوله (أبنى بفاطمة) أى أدخل بها ، والبناء الدخول بالزوجة ، وأصله أنهم كانوا من أراد ذلك بنيت له قبة فخلا فيها بأهله . واختلف في وقت دخول على بفاطمة ، وهذا الحديث يشعر بأنه كان عقب وقعة بدر ، ولعله كان في شوال سنة اثنتين ، فإن وقعة بدر كانت في رمضان منها ، وقيل تزوجها في السنة الأولى ، ولعل قائل ذلك أراد العقد ، ونقل ابن الجوزى أنه كان في صفر سنة اثنتين ، وقيل في رجب ، وقيل في ذى الحجة ، قلت : وهذا الأخير يشبه أن يحمل على شهر الدخول بها ؛ وقيل تأخر دخوله بها إلى سنة ثلاث ، فدخل بها بعد وقعة أحد ، حكاه ابن عبد البر ، وفيه بعد .

قوله (واعدت رجلا صواغاً) بفتح الصاد المهملة والتشديد ، ولم أقف على اسمه . ووقع في رواية ابن جريج في الشرب طابع بمهملتين وموحدة وطالع بلام بدل الموحدة أى من يذله ويساعده ، وقد يقال إنه اسم الصائغ المذكور ، كذا قال بعضهم وفيه بعد .

قوله (مناختان) كذا للأكثر ، وهو باعتبار المعنى لأنهما ناقتان . وفي رواية كريمة « مناخان » باعتبار لفظ الشارف .

قوله (إلى جنب حجرة رجل من الأنصار) لم أقف على اسمه .

قوله (فرجعت حين جمعت ما جمعت) زاد في رواية ابن جريج عن ابن شهاب في الشرب « وحمة ابن عبد المطلب يشرب في ذلك البيت » أى الذى أناخ الشارفين بجانبه « ومعه قينة » بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها نون هى الجارية المغنية « فقالت : ألا يا حمز للشرف النواء » والشرف جمع شارف كما تقدم ، والنواء - بكسر النون والمد مخففاً - جمع ناوية وهى الناقة السمينة ، وحكى الخطابي أن ابن جرير الطبرى رواه « ذا الشرف » بفتح الشين وفسره بالرفعة وجعله صفة لحمزة ، وفتح نون النواء وفسره بالبعد أى الشرف البعيد أى مناله بعيد ، قال الخطابي : وهو خطأ وتصحيف . وحكى الإسماعيلي أن أبا يعلى حدثه به من طريق ابن جريج فقال « النواء » بالثاء المثثة ، قال فلم نضبطه . ووقع في رواية القابسى والأصيلي النوى بالقصر وهو خطأ أيضا ، وقال الداودى : النواء الخباء ، وهذا أفحش في الغلط . وحكى المرزبانى في معجم الشعراء أن هذا الشعر لعبد الله بن السائب بن أبى السائب المخزومى جد أبى السائب المخزومى المدنى ، وبقيته « وهن معقلات بالفناء » .

ضع السكين في اللبات منها وضرجهن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبها لشرب قديداً من طيبخ أو شواء

والشرب بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة جمع شارب ، كتاجر وتجر ، والفناء بكسر الفاء والمد : الجانب ، أى جانب الدار التى كانوا فيها . والقديد اللحم المطبوخ . والتضريح بمجمة وجيم : التاطيح ، فإن كان ثابتا فقد عرف بعض المبهم فى قوله « فى شرب من الأنصار » لكن المخزومى ليس من الأنصار ، وكأن قائل ذلك أطلقه عليهم بالمعنى الأعم . وأراد الذى نظم هذا الشعر وأمر القينة أن تغنى به أن يبعث همة حمزة لما عرف من كرمه على نحر الناقتين ليأكلوا من لحمها ، وكأنه قال : انهض إلى الشرف فانحرها ، وقد تبين ذلك من بقية الشعر . وفى قولها « للشرف » بصيغة الجمع مع أنه لم يكن هناك الإثنان دلالة على جواز إطلاق صيغة الجمع على الإثنين . وقوله « يا حمزة ترخيم وهو بفتح الزاى ويجوز ضمها .

قوله (قد أجبت) وقع مثله فى رواية عنبة فى المغازى ، وهو بضم أوله ، وفى رواية الكشميهنى هنا « قد جبت » بضم الجيم بغير ألف أى قطعت وهو الصواب ، وعند مسلم من طريق ابن وهب عن يونس « قد اجبت » وهو صواب أيضا ، والجب الاستئصال فى القطع .

قوله (وأخذ من أكبادهما) زاد ابن جريج « قلت لابن شهاب : ومن السنام ، قال : قد جب أسنمتها » والسنام ما على ظهر البعير . وقوله « بقر » بفتح الموحدة والقف أى شق .

قوله (فلم أملك عيني حين رأيت) فى رواية الكشميهنى « حيث رأيت » والمراد أنه بكى من شدة القهر الذى حصل له . وفى رواية ابن جريج « رأيت منظراً أفظعنى » بفاء وطاء مشالة معجمة ، أى نزل بى أمر مفظع أى مخيف مهول ، وذلك لتصوره تأخر الابتداء بزوجه بسبب فوات ما يستعان به عليه ، أو لخشية أن ينسب فى حقها إلى تقصير لا لمجرد فوات الناقتين .

قوله (حتى أدخل) كذا فيه بصيغة المضارع مبالغة فى استحضر صورة الحال .

قوله (فطفق يلوم حمزة) فى رواية ابن جريج « فدخل على حمزة فتغيظ عليه »

قوله (هل أنتم إلا عبيد لأبى) فى رواية ابن جريج « لآبائى » قيل أراد أن أباه عبد المطالب جد للنبي صلى الله عليه وسلم ولعل أيضا ، والجد يدعى سيداً ، وحاصله أن حمزة أراد الافتخار عليهم بأنه أقرب إلى عبد المطالب منهم .

قوله (الفقهرى) هو المشى إلى خلف ، وكأنه فعل ذلك خشية أن يزداد عبث حمزة فى حال سكره فينتقل من القول إلى الفعل فأراد أن يكون ما يقع من حمزة بمرأى منه ليدفعه إن وقع منه شيء .

قوله (وخرجنا معه) زاد ابن جريج « وذلك قبل تحريم الخمر » أى ولذلك لم يؤخذ النبي صلى الله عليه وسلم حمزة بقوله . وفى هذه الزيادة رد على من احتج بهذه القصة على أن طلاق السكران لا يقع ، فإنه إذا عرف أن ذلك كان قبل تحريم الخمر كان ترك المؤاخذة لكونه لم يدخل على نفسه الضرر ، والذى يقول يقع طلاق السكران يحتج بأنه أدخل على نفسه السكر وهو محرم عليه فعوقب بإمضاء الطلاق عليه ، فليس فى هذا الحديث حجة لإثبات ذلك ولا نفيه . قال أبو داود : سمعت أحمد بن صالح يقول : فى هذا الحديث أربع وعشرون سنة . قلت : وفيه أن الغانم يعطى من الغنيمة من جهتين : من الأربعة أخماس بحق الغنيمة ،

ومن الخمس إذا كان ممن له فيه حق ، وأن لما لك الناقة الانتفاع بها في الحمل عليها . وفيه الإناخة على باب الغير إذا عرف رضاه بذلك وعدم تضرره به ، وأن البكاء الذي يجلبه الحزن غير مذموم ، وأن المرء قد لا يملك دمه إذا غلب عليه الغيظ . وفيه ما ركب في الإنسان من الأسف على فوت ما فيه نفعه وما يحتاج إليه ، وأن استعداد المظلوم على من ظلمه وإخباره بما ظلم به خارج عن الغيبة والنميمة . وفيه قبول خبر الواحد ، وجواز الاجتماع في الشرب المباح ، وجواز تناول ما يوضع بين أيدي القوم ، وجواز الغناء بالمباح من القول ، وإنشاد الشعر والاستماع من الأمة ، والتخير فيما يأكله ، وأكل الكبد وإن كانت دما . وفيه أن السكر كان مباحاً في صدر الإسلام ، وهو رد على من زعم أن السكر لم يبيع قط ، ويمكن حمل ذلك على السكر الذي معه التمييز من أصله . وفيه مشروعية وليمة العرس ، وسيأتي شرحها في النكاح ، ومشروعية الصياغة والتكسب بها وقد تقدم في أوائل البيوع ، وجواز جمع الإذخر وغيره من المباحات والتكسب بذلك ، وقد تقدم في أوائل الشرب . وفيه الاستعانة في كل صناعة بالعارف بها ، قال المهلب : وفيه أن العادة جرت بأن جنابة ذوى الرحم مغتفرة . قلت : وفيه نظر لأن ابن أبي شيبه روى عن أبي بكر بن عياش أن النبي صلى الله عليه وسلم أغرم حمزة ثمن الناقتين ، وفيه علة تحريم الخمر ، وفيه أن للإمام أن يمضي إلى بيت من بلغه أنهم على منكر ليغيره ، وقال غيره : فيه حل تذكية الغاصب ، لأن الظاهر أنه ما بقر خواصرهما وجب أسنمتهما إلا بعد التذكية المعتبرة . وفيه سنة الاستئذان في الدخول ، وأن الإذن للرئيس يشمل أتباعه ، لأن زيد بن حارثة وعلياً دخلا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي كان استأذن فأذنوا له ، وأن السكران يلام إذا كان يعقل اللوم ، وأن للكبير في بيته أن يلقى رداءه تخفيفاً ، وأنه إذا أراد لقاء أتباعه يكون على أكمل هيئة لأنه صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يخرج إلى حمزة أخذ رداءه . وأن الصاحي لا ينبغي له أن يخاطب السكران ، وأن الذهاب من بين يدي زائل العقل لا يوليه ظهره كما تقدم . وفيه إشارة إلى عظم قدر عبد المطلب ، وجواز المبالغة في المدح لقول حمزة هل أنتم إلا عبيد لأبي ؟ ومراده كالعبيد ، ونكتة التشبيه أنهم كانوا عنده في الخضوع له وجواز تصرفه في ما لهم في حكم العبيد . وفيه أن الكلام يختلف باختلاف القائلين . قلت : وفي كثير من هذه الانتزاعات نظر والله أعلم . الثاني حديث عائشة في قصة فاطمة ،

قوله (عن صالح) هو ابن كيسان .

قوله (أن فاطمة سألت أبا بكر) زاد معمر عن الزهري « والعباس أتيا أبا بكر » وسيأتي في الفرائض .

قوله (ما ترك) هو بدل من قوله « ميراثها » وفي رواية الكشميني « مما ترك » وفي هذه القصة رد

على من قرأ قوله « لا يورث » بالتحتمانية أوله و « صدقة » بالنصب على الحال ، وهي دعوى من بعض الرافضة

فادعى أن الصواب في قراءة هذا الحديث هكذا ، والذي توارد عليه أهل الحديث في القديم والحديث

« لا نورث » بالنون و « صدقة » بالرفع ، وأن الكلام جملتان و « ما تركنا » في موضع الرفع بالابتداء

و « صدقة » خبره . ويؤيده وروده في بعض طرق الصحيح « ما تركنا فهو صدقة » وقد احتج بعض المحدثين

على بعض الإمامية بأن أبا بكر احتج بهذا الكلام على فاطمة رضي الله عنها فيما التمت منه من الذي خلفه رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الأراضى وهما من أفصح الفصحاء وأعلمهم بمدلولات الألفاظ ، ولو كان الأمر

كما يقرؤه الرافضي لم يكن فيما احتج به أبو بكر حجة ولا كان جوابه مطابقاً لسؤالها ، وهذا واضح لمن أنصف .

قوله (مما أفاء الله عليه) سيأتي بيانه قريباً .

قوله (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم) في رواية معمر « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهو يرد تأويل الداودي الشارح في قوله إن فاطمة حملت كلام أبي بكر على أنه لم يسمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما سمعه من غيره ، ولذلك غضبت ، وما قدمته من التأويل أولى .

قوله (فغضبت فاطمة فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة) في رواية معمر « فهجرت فاطمة فلم تكلمه حتى مات » ، ووقع عند عمر بن شبة من وجه آخر عن معمر « فلم تكلمه في ذلك المال » ، وكذا نقل الترمذي عن بعض مشايخه أن معنى قول فاطمة لأبي بكر وعمر لا أكلمكما أي في هذا الميراث ، وتعقبه الشاشي بأن قرينة قوله « غضبت » تدل على أنها امتنعت من الكلام جملة وهذا صريح الهجر ، وأما ما أخرجه أحمد وأبو داود من طريق أبي الطفيل قال « أرسلت فاطمة إلى أبي بكر : أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أهله ؟ قال : لا بل أهله ، قالت : فأين سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه جعلها للذي يقوم من بعده ، فرأيت أن أردّه على المسلمين . قالت : فأنت وما سمعته » فلا يعارض ما في الصحيح من صريح الهجران ، ولا يدل على الرضا بذلك . ثم مع ذلك ففيه لفظة منكورة وهي قول أبي بكر « بل أهله » فإنه معارض للحديث الصحيح « أن النبي لا يورث » نعم روى البيهقي من طريق الشعبي « أن أبا بكر عاد فاطمة ، فقال لها على : هذا أبو بكر يستأذن عليك . قالت : أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم ، فأذنت له ، فدخل عليها فقرضاها حتى رضيت » وهو وإن كان مرسلًا فإسناده إلى الشعبي صحيح ، وبه يزول الإشكال في جواز تمادى فاطمة عليها السلام على هجر أبي بكر . وقد قال بعض الأئمة : إنما كانت هجرتها انقباضاً عن لقائه والاجتماع به ، وليس ذلك من الهجران المحرم ، لأن شرطه أن يلتقيا فيعرض هذا وهذا ، وكأن فاطمة عليها السلام لما خرجت غضبي من عند أبي بكر تمادت في اشتغالها بحزنها ثم بمرضها . وأما سبب غضبها مع احتجاج أبي بكر بالحديث المذكور فلاعتقادها تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر ، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم في قوله « لا نورث » ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن تورث عنه ، وتمسك أبو بكر بالعموم ، واختلفا في أمر محتمل للتأويل ، فلما صمم على ذلك انقطعت عن الاجتماع به لذلك ، فإن ثبت حديث الشعبي أزال الإشكال ، وأخلق بالأمر أن يكون كذلك لما علم من وفور عقلها ودينها عليها السلام ، وسيأتي في الفرائض زيادة في هذه القصة ، ويأتي الكلام فيها إن شاء الله تعالى . وقد وقع في حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عند الترمذي « جاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت : من يرثك ؟ قال : أهلي وولدي ، قالت فما لي لا أرث أبي ؟ قال أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله » .

قوله (وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير وفدك وصدقته بالمدينة) هذا يؤيد ما تقدم من أنها لم تطلب من جميع ما خلف ، وإنما طلبت شيئاً مخصوصاً ، فأما خير ففى رواية معمر المذكورة « وسهمه من خير » ، وقد روى أبو داود بإسناد صحيح إلى سهل ابن أبي خيثمة قال « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نصفين : نصفها لنوائبه وحاجته ، ونصفها بين المسلمين : قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً » ورواه بمعناه من طرق أخرى عن بشير بن يسار مرسل ليس فيه سهل . وأما فدك وهى بفتح الفاء والمهمله بعدها كاف : بلد بينها وبين المدينة ثلاث مراحل ، وكان من شأنها ما ذكر أصحاب المغازى قاطبة أن أهل فدك كانوا من يهود ، فلما فتحت خير أرسل أهل فدك يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يتركوا البلد ويرحلوا ، وروى أبو داود من طريق ابن إسحاق عن الزهرى وغيره قالوا « بقيت بقية من خير تحصنوا ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسيرهم ففعل ، فسمع بذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك ، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة » ، ولأبى داود أيضاً من طريق معمر عن ابن شهاب « صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل فدك وقرى سماها وهو يحاصر قوماً آخرين » يعنى بسمية أهل خير . وأما صدقته بالمدينة فروى أبو داود من طريق معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فذكر قصة بنى النضير فقال فى آخره « وكانت نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاها إياه فقال ﴿ ما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ الآية . قال فأعطى أكثرها للمهاجرين ، وبقي منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى فى أبدي بنى فاطمة » ، وروى عمر بن شبة من طريق أبى عون عن الزهرى قال « كانت صدقة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أموالاً لخيريق بالمعجمة والقاف مصغر وكان يهودياً من بقايا بنى قينقاع نازلاً ببني النضير ، فشهد أحداً فقتل به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مخيريق سابق يهود ، وأوصى مخيريق بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم » ومن طريق الواقدي بسنده عن عبد الله بن كعب قال « قال مخيريق إن أصبت فأموالى لحمد يضعها حيث أراه الله » فهى عامة صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانت أموال مخيريق فى بنى النضير ، وعلى هذه فقوله فى الحديث الآتى « وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من بنى النضير » شمل جميع ذلك .

قوله (لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به) فى رواية شعيب عن الزهرى الآتية فى المناقب « وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التى كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذا تمسك به من قال : إن سهم النبي يصرفه الخليفة بعده لمن كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرفه له ، وما بقى منه يصرف فى المصالح ، وعن الشافعى يصرف فى المصالح وهو لا ينافى الذى قبله . وفى وجه : هو للإمام . وقال مالك والثورى : يجتهد فيه الإمام . وقال أحمد يصرف فى الخيل والسلاح . وقال ابن جرير يرد إلى الأربعة قال ابن المنذر : كان أحق الناس بهذا القول من يوجب قسم الزكاة بين جميع الأصناف ، فإن فقد صنف رد على الباقيين يعنى الشافعى . وقال أبو حنيفة يرد مع سهم ذوى القربى إلى الثلاثة ، وقيل : يرد خمس الخمس من الغنيمة إلى الغانمين ومن الفىء إلى المصالح .

قوله (فأما صدقته) أى صدقة النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله (فدفعها عمر إلى علي وعباس) سيأتى بيان ذلك فى الحديث الذى يليه .

قوله (وأما خير) أى الذى كان يخص النبي صلى الله عليه وسلم منها (وفدك فأمسكها عمر) أى لم

يدفعها لغيره ، وبين سبب ذلك . وقد ظهر بهذا أن صدقة النبي صلى الله عليه وسلم تختص بما كان من بنى النضير ، وأما سهمه من خير وفدك فكان حكمه إلى من يقوم بالأمر بعده . وكان أبو بكر يقدم نفقة نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها مما كان يصرفه فيصرفه من خير وفدك ، وما فضل من ذلك لمقاه فى المصالح . وعمل عمر بعده بذلك . فلما كان عثمان تصرف فى فدك بحسب ما رآه ، فروى أبو داود من طريق مغيرة بن مقسم قال « جمع عمر بن عبد العزيز بنى مروان فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفق من فدك على بنى هاشم ويزوج أيمهم ، وأن فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبى ، وكانت كذلك فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ، ثم أقطعها مروان يعنى فى أيام عثمان » قال الخطابى ، إنما أقطع عثمان فدك لمروان لأنه تأول أن الذى يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم يكون للخليفة بعده ، فاستغنى عثمان عنها بأمواله فوصل بها بعض قرابته . ويشهد لصنيع أبى بكر حديث أبى هريرة المرفوع الآتى بعد باب بلفظ « ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهو صدقة » فقد عمل أبو بكر وعمر بتفصيل ذلك بالدليل الذى قام لهما ، وسيأتى تمام البحث فى قوله « لانورث » فى كتاب الفرائض إن شاء الله تعالى .

قوله (فهما على ذلك إلى اليوم) هو كلام الزهرى أى حين حدث بذلك .

قوله (قال أبو عبد الله) أى المصنف (اعتراك : افتعلت) كذا فيه ، ولعله كان « افتعلك » وكذا وقع

فى « المجاز » لأبى عبيدة . وقوله « من عروته فأصبته ومنه يعروه واعترانى » أراد بذلك شرح قوله « يعروه » وبين تصاريفه وأن معناه الإصابة كيفما تصرف ، وأشار إلى قوله تعالى . « إن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء » وهذه عادة البخارى يفسر اللفظة الغريبة من الحديث بتفسير اللفظة الغريبة من القرآن . الحديث الثالث حديث عمر مع العباس وعلى ، وقع قبله فى رواية أبى ذر وحده قصة فدك ، وكأنها ترجمة لحديث من أحاديث الباب ، وقد بينت أمر فدك فى الذى قبله .

قوله (حدثنا إسحق بن محمد القروى) هو شيخ البخارى الذى تقدم قريباً فى « باب قتال اليهود » وقد

حدث عنه بواسطة كما تقدم فى الصلح ، وفى رواية ابن شويه عن الفربرى « حدثنا محمد بن إسحق القروى » وهو مقلوب ، وحكى عياض عن رواية القابسى مثله قال : وهو وهم . قلت : وهذا الحديث مما رواه مالك خارج الموطأ . وفى هذا الإسناد لطيفة من علوم الحديث مما لم يذكره ابن الصلاح وهى تشابه الطرفين ، مثاله ما وقع هنا : ابن شهاب عن مالك وعنه مالك ، الأعلى ابن أوس والأدنى ابن أنس .

قوله (وكان محمد بن جبير) أى ابن مطعم (قد ذكر لى ذكراً من حديثه ذلك) أى الآتى ذكره .

قوله (فانطلقت حتى أدخل) كذا فيه بصيغة المضارعة فى موضع الماضى فى الموضعين ، وهى مبالغة

لإرادة استحضار صورة الحال ، ويجوز ضم « أدخل » على أن حتى عاطفة ، أى انطلقت فدخلت . والفتح على أن حتى بمعنى إلى أن .

قوله (مالك بن أوس) ابن الحدثان بفتح المهملتين والمثلثة ، وهو نصرى بالنون المفتوحة والصاد المهملة الساكنة ، وأبوه صحابي ، وأما هو فقد ذكر في الصحابة ، وقال ابن أبي حاتم وغيره لاتصح له صحبة ، وحكى ابن أبي خيثمة عن مصعب أو غيره أنه ركب الخيل في الجاهلية . قلت : فعلى هذا لعله لم يدخل المدينة إلا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم كما وقع لقيس بن أبي حازم : دخل أبوه وصحب وتأخر هو مع إمكان ذلك ، وقد تشارك أيضا في أنه قيل في كل منهما إنه أخذ عن العشرة . وليس لمالك بن أوس هذا في البخارى سوى هذا الحديث وآخر في البيوع ، وفي صنيع ابن شهاب ذلك أصل في طلب علو الإسناد ، لأنه لم يقتنع بالحديث عنه حتى دخل عليه ليشافهه به ، وفيه حرص ابن شهاب على طلب الحديث وتحصيله .

(تنبيه) : ظن قوم أن الزهرى تفرد برواية هذا الحديث ، فقال أبو علي الكرابيسى : أنكره قوم وقالوا هذا من مستنكر ما رواه ابن شهاب ، قال : فإن كانوا علموا أنه ليس بفرد فهيات ، وإن لم يعلموا فهو جهل ، فقد رواه عن مالك بن أوس عكرمة بن خالد وأيوب بن خالد ومحمد بن عمرو بن عطاء وغيرهم .

قوله (حين متع النهار) بفتح الميم والمثناة الخفيفة بعدها مهملة أى علا وامتد ، وقيل هو ما قبل الزوال . ووقع في رواية مسلم من طريق جويرية عن مالك « حين تعالى النهار » وفي رواية يونس عن ابن شهاب عند عمر بن شبة « بعد ما ارتفع النهار » .

قوله (إذا رسول عمر) لم أقف على اسمه ، ويحتمل أن يكون هو يرفاً الحاجب الآتى ذكره .

قوله (على رمال سرير) بكسر الراء وقد تضم ، وهو ما ينسج من سعف النخل . وأغرب الداودى فقال : هو السرير الذى يعمل من الجريد ، وفي رواية جويرية « فوجدته في بيته جالسا على سرير مفضيا إلى رماله ، أى ليس تحته فراش ، والإفضاء إلى الشيء لا يكون بحائل ، وفيه إشارة إلى أن العادة أن يكون على السرير فراش .

قوله (فقال يا مال) كذا هو بالترخيم أى مالك ، ويجوز في اللام الكسر على الأصل ، والضم على أنه صار اسما مستقلا فيعرب إعراب المنادى المفرد .

قوله (إنه قدم علينا من قومك) أى من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن . وفي رواية جويرية عند مسلم « دف أهل أبيات » أى ورد جماعة بأهلهم شيئا بعد شيء يسرون قليلا قليلا ، والدفيق السير اللين ، وكأنهم كانوا قد أصابهم جرب في بلادهم فانتجعوا المدينة .

قوله (بوضح) بفتح الراء وسكون المعجمة بعدها خاء معجمة أى عطية غير كثيرة ولا مقدرة . وقوله (لو أمرت به غيرى) قاله تخرجنا من قبول الأمانة ، ولم يبين ماجرى له فيه اكتفاء بقريئة الحال ، والظاهر أنه قبضه لعزم عمر عليه ثانی مرة .

قوله (أتاه حاجبه يرفا) بفتح التحتانية وسكون الراء بعدها فاء مشبعة بغير همز وقد تهمز وهى روايتنا من طريق أبي ذر ، ويرفا هذا كان من موالى عمر أدرك الجاهلية ولا تعرف له صحبة ، وقد حج مع عمر في خلافة أبي بكر ، وله ذكر في حديث ابن عمر ، قال « قال عمر لمولى له يقال له يرفا إذا جاء طعام يزيد بن

أبي سفيان فأعلمني « فذكر قصة . وروى سعيد بن منصور عن أبي الأحوص عن أبي إسحق عن يرفا قال « قال لي عمر : إني أنزلت نفسي من مال المسلمين منزلة مال اليتيم » وهذا يشعر بأنه عاش إلى خلافة معاوية .

قوله (هل لك في عثمان) أي ابن عفان (وعبد الرحمن) ، ولم أر في شيء من طرفه زيادة على الأربعة المذكورين إلا في رواية للنسائي وعمر بن شبة من طريق عمرو بن دينار عن ابن شهاب وزاد فيها « وطلحة بن عبيد الله » وكذا في رواية الإمامي عن ابن شهاب عند عمر بن شبة أيضا ، وكذا أخرجه أبو داود من طريق أبي البخري عن رجل لم يسمه قال « دخل العباس وعلي » فذكر القصة بطولها وفيها ذكر طلحة ، لكن لم يذكر عثمان .

قوله (فأذن لهم فدخلوا) في رواية شعيب في المغازي « فأدخلهم » .

قوله (ثم قال : هل لك في علي وعباس) زاد شعيب يستأذنان .

قوله (فقال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا) زاد شعيب ويونس « فاستب علي وعباس » وفي رواية عقيل عن ابن شهاب في الفرائض « اقض بيني وبين هذا الظالم ؛ استبا » وفي رواية جويرية « وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن » ولم أر في شيء من الطرق أنه صدر من علي في حق العباس شيء بخلاف ما يفهم قوله في رواية عقيل « استبا » واستصوب المازري صنيع من حذف هذه الألفاظ من هذا الحديث وقال : لعل بعض الرواة وهم فيها ، وإن كانت محفوظة ، فأجود ما تحمل عليه أن العباس قالها دلالة على علي لأنه كان عنده بمنزلة الولد ، فأراد ردعه عما يعتقد أنه مخطئ فيه ، وأن هذه الأوصاف يتصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن عمد ، قال : ولا بد من هذا التأويل لوقوع ذلك بمحضر الخليفة ومن ذكر معه ولم يصدر منهم إنكار لذلك مع ما علم من تشدهم في إنكار المنكر .

قوله (وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من مال بني النضير) يأتي القول فيه قريبا .

قوله (فقال الرهط) في رواية مسلم « فقال القوم » وزاد « فقال مالك بن أوس : يجبل إلى أنهم قد كانوا قدموهم لذلك » . قالت : ورأيت في رواية معمر عن الزهري في مسند ابن أبي عمر « فقال الزبير بن العوام : اقض بينهما » فأفادت تعيين من باشر سؤال عمر في ذلك .

قوله (تيدكم) كذا في رواية أبي ذر بفتح المثناة وكسر التحتانية مهموز وفتح الدال ، قال ابن التين أصلها تيدكم ، والتؤدة : الرفق . ووقع في رواية الأصيلي بكسر أوله وضم الدال وهو اسم فعل كرويدا أي اصبروا وأمهلوا وعلى رسلكم . وقيل إنه مصدر تاديتد ، كما يقال سيروا سيركم ، ورد بأنه لم يسمع في اللغة . ويؤيد الأول ما وقع في رواية عقيل وشعيب « أتيدوا » أي تمهلوا ؛ وكذا عند مسلم وأبي داود . وللإسماعيلي من طريق بشر بن عمر عن مالك « فقال عمر ايتد » بلفظ الأمر للمفرد .

قوله (أنشد كما أنعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك) كذا فيه ، وفي رواية مسلم « قالا نعم » ومعنى أنشد كما أسألكما رافعا نشدي أي صوتي .

قوله (إن الله قد خص رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفئ بشيء) في رواية مسلم « بخاصة لم يخص

بها غيره » وفي رواية عمرو بن دينار عن ابن شهاب في التفسير « كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ، فكانت له خاصة ، وكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ، ثم يجعل ما بقى في السلاح والكراع عدة في سبيل الله » وفي رواية سفيان عن معمر عن الزهري الآتية في النفقات « كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم » أي ثمر النخل . وفي رواية أبي داود من طريق أسامة بن زيد عن ابن شهاب « كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا : بنو النضير ، وخيبر ، وفدك . فأما بنو النضير فكانت حبسا لنوائبه ، وأما فدك فكانت حبسا لابناء السبيل ، وأما خيبر فجزأها بين المسلمين ثم قسم جزءاً لنفقة أهله ، وما فضل منه جعله في فقراء المهاجرين » ولا تعارض بينهما لاحتمال أن يقسم في فقراء المهاجرين وفي مشترى السلاح والكراع ، وذلك مفسر لرواية معمر عند مسلم ، ويجعل ما بقى منه يجعل مال الله . وزاد أبو داود في رواية أبي البخري المذكورة « وكان ينفق على أهله ويتصدق بفضله » وهذا لا يعارض حديث عائشة « أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة على شعير » لأنه يجمع بينهما بأنه كان يدخر لأهله قوت سنتهم ثم في طول السنة يحتاج لمن بطرقه إلى إخراج شيء منه فيخرجه ، فيحتاج إلى أن يعوض من يأخذ منها عوضه ، فلذلك استدان .

قوله (ما اجتازها) كذا للأكثر بجاء مهمة وزاي معجمة ، وفي رواية الكشميني بجاء معجمة وراء مهمة ، هذا ظاهر في أن ذلك كان محتصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه واسى به أقرباءه وغيرهم بحسب حاجتهم . ووقع في رواية عكرمة ابن خالد عن مالك بن أوس عند النسائي ما يؤيد ذلك .

قوله (ثم قال لعلي وعباس : أنشد كما الله هل تعلمان ذلك ؟) زاد في رواية عقيل « قالا نعم » .
قوله (ثم توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبضها أبو بكر ، فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم) زاد في رواية عقيل « وأتما حينئذ - وأقبل على عليّ وعباس - تزعمان أن أبا بكر كذا وكذا » وفي رواية شعيب « كما تقولان » وفي رواية مسلم من الزيادة « فجتما ، تطلب ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نورث ما تركنا صدقة ، فرأيتما كاذباً آثماً غادراً خائناً » وكأن الزهري كان يحدث به تارة فيصرح ، وتارة فيكنى . وكذلك مالك . وقد حذف ذلك في رواية بشر بن عمر عنه عند الإسماعيلي وغيره . وهو نظير ما سبق من قول العباس لعلي . وهذه الزيادة من رواية عمر عن أبي بكر حذف من رواية إسحق الفروي شيخ البخاري . وقد ثبت أيضاً في رواية بشر بن عمر عنه عند أصحاب السنن والإسماعيلي وعمرو بن مرزوق وسعيد بن داود كلاهما عند الدارقطني عن مالك على ما قال جويرية عن مالك ، واجتماع هؤلاء عن مالك يدل على أنهم حفظوه . وهذا القدر المحذوف من رواية إسحق ثبت من روايته في موضع آخر من الحديث ، لكن جعل القصة فيه لعمر حيث قال « جئتني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك » وفيه « فقلت لكما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا نورث » فاشتمل هذا الفصل على مخالفة إسحق لبقية الرواة عن مالك في كونهم جعلوا القصة عند أبي بكر وجعلوا الحديث المرفوع من حديث أبي بكر من رواية عمر عنه « وإسحاق الفروي جعل القصة عند عمر وجعل الحديث المرفوع من روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم »

عليه وسلم بغير واسطة أبي بكر . وقد وقع في رواية شعيب عن ابن شهاب نظير ما وقع في رواية إسحق الفروي سواء ، وكذلك وقع في رواية يونس عن ابن شهاب عند عمر بن شبة ، وأما رواية عقيل الآتية في الفرائض فاقصر فيها على أن القصة وقعت عند عمر بغير ذكر الحديث المرفوع أصلاً ، وهذا يشعر بأن لسياق إسحق الفروي أصلاً ، فلعل القصتين محفرطتان ، واقتصر بعض الرواة على ما لم يذكره الآخر ، ولم يتعرض أحد من الشراح لبيان ذلك . وفي ذلك إشكال شديد وهو أن أصل القصة صريح في أن العباس وعلياً قد علماً بأنه صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث » فإن كانا سمعاه من النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يطلبانه من أبي بكر ؟ وإن كانا إنما سمعاه من أبي بكر أو في زمنه بحيث أفاد عندهما العلم بذلك فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر ؟ والذي يظهر - والله أعلم - حمل الأمر في ذلك على ما تقدم في الحديث الذي قبله في حق فاطمة ، وأن كلا من علي وفاطمة والعباس اعتقد أن عموم قوله « لا نورث » مخصوص ببعض ما يخلفه دون بعض ، ولذلك نسب عمر إلى علي وعباس أنهما كانا يعتقدان ظلم من خالفهما في ذلك . وأما مخاصمة علي وعباس بعد ذلك ثانياً عند عمر فقال إسماعيل القاضي فيما رواه الدارقطني من طريقه : لم يكن في الميراث ، إنما تنازعا في ولاية الصدقة وفي صرفها كيف تصرف ، كذا قال ، لكن في رواية النسائي وعمر بن شبة من طريق أبي البخري ما يدل على أنهما أراد أن يقسم بينهما على سبيل الميراث ، ولفظه في آخره « ثم جئناي الآن تحتصمان : يقول هذا أريد نصيبي من ابن أخي ، ويقول هذا أريد نصيبي من امرأتي ، والله لا أفضي بينكما إلا بذلك » أي إلا بما تقدم من تسليمها لهما على سبيل الولاية . وكذا وقع عند النسائي من طريق عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس نحوه . وفي السنن لأبي داود وغيره « أراد أن عمر يقسمها لينفرد كل منهما بنظر ما يتولاه ، فامتنع عمر من ذلك وأراد أن لا يقع عليها اسم قسم ولذلك أقسم على ذلك » وعلى هذا اقتصر أكثر الشراح واستحسنوه ، وفيه من النظر ما تقدم . وأعجب من ذلك جزم ابن الجوزي ثم الشيخ محيي الدين بأن علياً وعباساً لم يطلبوا من عمر إلا ذلك ، مع أن السياق صريح في أنهما جاءه مرتين في طلب شيء واحد ، لكن العذر لابن الجوزي والنووي أنهما شرحا اللفظ الوارد في مسلم دون اللفظ الوارد في البخاري والله أعلم . وأما قول عمر « جئتني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك » فإنما عبر بذلك لبيان قسمة الميراث كيف يقسم أن لو كان هناك ميراث ، لا أنه أراد الغض منهما بهذا الكلام . وزاد الإمامي عن ابن شهاب عند عمر بن شبة في آخره « فأصلحنا أمركما وإلا لم يرجع والله إليكما . فقاما وتركا الحصومة وأمضيت صدقة » وزاد شعيب في آخره « قال ابن شهاب فحدثت به عروة فقال : صدق مالك بن أوس ، أنا سمعت عائشة تقول » فذكر حديثاً . قال « وكانت هذه الصدقة بيد علي منعها عباساً فغلبه عليها ، ثم كانت بيد الحسن ثم بيد الحسين ثم بيد علي ابن الحسين والحسن بن الحسن ثم بيد زيد بن الحسن وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً » . وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري مثله وزاد في آخره : قال معمر ثم كانت بيد عبد الله بن حسن حتى ولى هؤلاء - يعني بني العباس - فقبضوها . وزاد إسماعيل القاضي أن إعراض العباس عنها كان في خلافة عثمان ، قال عمر بن شبة : سمعت أبا غسان هو محمد بن يحيى المدني يقول : أن الصدقة المذكورة اليوم بيد الخليفة يكتب في عهده يولى عليها من قبله من يقبضها ويفرقها في أهل الحاجة من أهل المدينة . قلت : كان ذلك علي

رأس المائتين ، ثم تغيرت الأمور والله المستعان . واختلف العلماء في مصرف النية فقال مالك : النية والخمس سواء ، يجعلان في بيت المال ويعطى الإمام أقارب النبي صلى الله عليه وسلم بحسب اجتهاده ، و فرق الجمهور بين خمس الغنيمة وبين النية فقال : الخمس موضوع فيما عينه الله فيه من الأصناف المسمين في آية الخمس من سورة الأنفال لا يتعدى به إلى غيرهم ، وأما النية فهو الذي يرجع النظر في مصرفه إلى رأى الإمام بحسب المصلحة . وانفرد الشافعى كما قال ابن المنذر وغيره بأن النية بخمس ، وأن أربعة أخماسه للنبي صلى الله عليه وسلم ، وله خمس الخمس كما في الغنيمة ، وأربعة أخماس الخمس لمستحق نظيرها من الغنيمة . وقال الجمهور : مصرف النية كله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتجوا بقول عمر « فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة » وتأول الشافعى قول عمر المذكور بأنه يريد الأخماس الأربعة . قال ابن بطال : مناسبة ذكر حديث عائشة في قصة فاطمة في « باب فرض الخمس » أن الذى سألت فاطمة أن تأخذه من جملته خير ، والمراد به سهمه صلى الله عليه وسلم منها وهو الخمس ، وسيأتى في المغازى بلفظ « مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خير » ، وفي حديث عمر أنه يجب أن يتولى أمر كل قبيلة كبيرهم لأنه أعرف باستحقاق كل رجل منهم ، وأن للإمام أن ينادى الرجل الشريف الكبير باسمه وبالترخيم حيث لم يرد بذلك تنقيصه . وفيه استعفاء المرء من الولاية ، وسؤاله الإمام ذلك بالرفق ، وفيه اتخاذ الحاجب ، والجلوس بين يدي الإمام ، والشفاعة عنده في إنفاذ حكم وتبيين الحاكم وجه حكمه . وفيه إقامة الإمام من ينظر على الوقف نيابة عنه ، والتشريك بين الاثنين في ذلك . ومنه يؤخذ جواز أكثر منهما بحسب المصلحة . وفيه جواز الادخار خلافاً لقول من أنكره من مشددي المتزهدين ، وأن ذلك لا ينافى التوكل . وفيه جواز اتخاذ العقار واستغلال منفعته ، ويؤخذ منه جواز اتخاذ غير ذلك من الأموال التى يحصل بها النماء والمنفعة من زراعة وتجارة وغير ذلك . وفيه أن الإمام إذا قام عنده الدليل صار إليه وقضى بمقتضاه ولم يحتج إلى أخذه من غيره . ويؤخذ منه جواز حكم الحاكم بعلمه ، وأن الأتباع إذا رأوا من الكبير انقباضاً لم يفتاحوه حتى يفتاحهم بالكلام . واستدل به على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يملك شيئاً من النية ولا خمس الغنيمة إلا قدر حاجته وحاجة من يمونه ، وما زاد على ذلك كان له فيه التصرف بالقسم والعطية . وقال آخرون لم يجعل الله لنبيه ملك رقة ما غنمه ، وإنما ملكه منافعه وجعل له منه قدر حاجته ، وكذلك القائم بالأمر بعده . وقال ابن الباقلاني في الرد على من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يورث : احتجوا بعموم قوله تعالى ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾ قال : أما من أنكر العموم فلا استغراق عنده لكل من مات أنه يورث ، وأما من أثبتته فلا يسلم دخول النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ولو سلم دخوله لوجب تخصيصه لصحة الخبر ، وخبر الآحاد يخصص وإن كان لا ينسخ ، فكيف بالخبر إذا جاء مثل مجيئ هذا الخبر وهو « لانورث » .

باب أداء الخمس من الإيمان

٢٩٩١ - حدثنا أبو النعمان قال حدثنا حماد عن أبي حمزة الضبعي قال : سمعت ابن عباس

[٣٠٩٥]

يقول : قدم وفد عبد القيس فقالوا : يا رسول الله ، إننا هذا الحي من ربيعة ، بيننا وبينك كفار مضر ،

فلسنا نصل إليك إلا في الشهر الحرام، فمُرنا بأمر نأخذ منه وندعو إليه من وراءنا. قال: «أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله - وعقد بيده - وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا لله خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدباء، والنَّقير والحَنتم، والمزَقَّت».

قوله (باب أداء الخمس من الدين) أورد فيه حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس، وقد تقدم شرحه في كتاب الإيمان، وترجم عليه هناك «أداء الخمس من الإيمان» وهو على قاعدته في ترادف الإيمان والإسلام والدين وقد تقدم في كتاب الإيمان من شرح ذلك ما فيه كفاية، وتقدم في أول الخمس بيان ما يتعلق به.

باب نفقة نساء النبي صلى الله عليه بعد وفاته

[٣٠٩٦] ٢٩٩٢ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي، ومؤونة عاملي، فهو صدقة».

[٣٠٩٧] ٢٩٩٣ - حدثنا عبد الله بن أبي شيبه قال حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي، فكلته، ففني.

[الحديث ٣٠٩٧ - ك طرفه في: ٦٤٥١].

[٣٠٩٨] ٢٩٩٤ - حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن سفيان قال حدثني أبو إسحاق قال سمعت عمرو بن الحارث قال: ما ترك النبي صلى الله عليه إلا سلاحه وبغلته البيضاء، وأرضاً تركها صدقة.

قوله (باب نفقة نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته) ذكر فيه ثلاثة أحاديث: أحدها حديث أبي هريرة «لا تقتسم ورثتي ديناراً» وقد تقدم بهذا الإسناد في أواخر الوقف، وقد تقدم ما يتعلق بشرحه قبل بياب، وسيأتي بقية ما يتعلق منه بالميراث في الفرائض. واختلف في المراد بقوله «عاملي» فقيل الخليفة بعده، وهذا هو المعتمد وهو الذي يوافق ما تقدم في حديث عمر. وقيل: يريد بذلك العامل على النخل، وبه جرم الطبري وابن بطال. وأبعد من قال: المراد بعامله حافر قبره عليه الصلاة والسلام. وقال ابن دحية في الخصائص: المراد بعامله خادمه. وقيل العامل على الصدقة. وقيل العامل فيها كالأجير. وقوله في هذه الرواية دينار «كذا وقع في رواية مالك عن أبي الزناد في الصحيحين، فقيل هو تنبيه بالأدنى على الأعلى».

وأخرجه مسلم من رواية سفيان بن عيينة عن أبي الزناد بلفظ « ديناراً ولا درهما » وهي زيادة حسنة ، وتابعه عليها سفيان الثوري عن أبي الزناد عند الترمذي في الشئان واستدل به على أجرة القسام . ثانيها حديث عائشة في قصة الشعير الذي كان في رفقها فكالته ففنى ، وسيأتي بسنده ومثله وشرحه في الرقاق ، وتقدم الإلمام بشيء من ذلك في « باب ما يستحب من الكيل » أوائل البيوع . قال ابن المنير : وجه دخول حديث عائشة في الترجمة أنها لو لم تستحق النفقة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لأخذ الشعير منها . ثالثها حديث أبي إسحق وهو السبيعي عن عمرو بن الحارث « ماترك النبي صلى الله عليه وسلم إلا سلاحه » الحديث وقد تقدم في الرصايا وأن شرحه يأتي مستوفى في أواخر المغازي ، ووقع عند القاسبي في أوله « حدثنا يحيى عن سفيان » فسقط عليه شيخ البخاري مسدد ولا بد منه ، نبه عليه الجياني ، ولو كان على ظاهر ما عنده لأمكن أن يكون يحيى هو ابن موسى أو ابن جعفر وسفيان هو ابن عيينة .

باب

ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وما نسب من البيوت إليهن
وقول الله عز وجل : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، و ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾

[٣٠٩٩] ٢٩٩٥ - حدثنا حبان بن موسى ومحمد قالوا : أخبرنا عبد الله قال أخبرنا معمر ويونس عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن أزواجه أن يمرضن في بيتي ، فأذن له .

[٣١٠٠] ٢٩٩٦ - حدثنا ابن أبي مريم قال حدثنا نافع قال سمعت ابن أبي مليكة قال : قالت عائشة توفي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي ، وفي نوبتي ، وبين سحري ونحري ، وجمع الله بين ريقى وريقه . قالت : دخل عبد الرحمن بسواك فضعف النبي صلى الله عليه وسلم عنه فأخذته فمضغته ثم سننته به .

[٣١٠١] ٢٩٩٧ - حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث قال حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن علي بن حسين أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه تزوره وهو معتكف في المسجد - في العشر الأواخر من رمضان - ثم قامت تنقلب فقام معها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا بلغ قريباً من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مر بهما رجلان من الأنصار فسَلَّما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نفذاً ،

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه: «على رسلكما». قالوا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما ذلك، فقال: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً».

[٣١٠٢] ٢٩٩٨ - حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا أنس بن عياض عن عبيد الله عن محمد بن يحيى بن حبان عن واسع بن حبان عن عبد الله بن عمر قال: ارتقيت فوق بيت حفصة فرأيت النبي صلى الله عليه يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام.

[٣١٠٣] ٢٩٩٩ - حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا أنس بن عياض عن هشام عن أبيه أن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه يصلي العصر والشمس لم تخرج من حجرتها.

[٣١٠٤] ٣٠٠٠ - حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله قال: قام النبي صلى الله عليه خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: «هنا الفتنة - ثلاثاً - من حيث يطلع قرن الشمس».

[الحديث ٣١٠٤ - أطرافه في: ٣٢٧٩، ٣٥١١، ٥٢٩٦، ٧٠٩٢، ٧٠٩٣].

[٣١٠٥] ٣٠٠١ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه أخبرتها أن رسول الله صلى الله عليه كان عندها، وأنها سمعت صوت إنسان يستأذن في بيت حفصة، فقلت: يا رسول الله، هذا رجل يستأذن في بيتك، فقال رسول الله صلى الله عليه: «أراه فلاناً - لعم حفصة من الرضاعة - الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة».

قوله (باب ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وما نسب من البيوت إليهن، وقول الله عز وجل ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ و ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ قال ابن المنير غرضه بهذه الترجمة أن يبين أن هذه النسبة تحقق دوام استحقاقهن للبيوت ما بقين، لأن نفقتهن وسكنانهن من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، والسرف فيه حبسهن عليه. ثم ذكر فيه سبعة أحاديث: الأول حديث عائشة «استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي» ذكره مختصراً. ثانياً حديثها «توفي في بيتي وفي نوبتي» وفيه ذكر السواك مع عبد الرحمن، وسيأتي الكلام عليهما مستوفى في أواخر المغازي إن شاء الله تعالى. ثالثاً حديث صفية بنت حيي أنها جاءت تزوره وهو معتكف، والغرض منه قولها فيه «عند باب أم سلمة» وقد تقدم شرحه في الاعتكاف. رابعاً حديث ابن عمر «ارتقيت فوق بيت حفصة» وقد تقدم شرحه في الطهارة. خامساً حديث عائشة كان يصلي

العصر والشمس لم تخرج من حجرتها وقد تقدم شرحه في المواقيت . سادسها حديث عبد الله وهو ابن عمر « الفتنة ههنا » وسيأتي شرحه في الفتن ، والغرض منه قوله « وأشار نحو مسكن عائشة » واعترض الإسماعيلي بأن ذكر المسكن لا يناسب ما قصد ، لأنه يستوى فيه المالك والمستعير وغيرهما . سابعها حديث عائشة « أنها سمعت صوت إنسان يستأذن في بيت حفصة » وقد تقدم بهذا الإسناد في الشهادات ، ويأتي شرحه في الرضاع . (تنبيه) : وقع في سياقه في الشهادات زيادة على سبيل الوهم في رواية أبي ذر ، وكذا في رواية الأصيلي عن شيخه ، وقد ضرب عليها في بعض نسخ أبي ذر والصواب حذفها ، ولفظ الزيادة « فقلت يا رسول الله أراه فلاناً لعم حفصة من الرضاعة فقالت عائشة » فهذا القدر زائد والصواب حذفه كما نبه عليه صاحب المشارق ، قال الطبري : قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم ملك كلاً من أزواجه البيت الذي هي فيه فسكن بعده فيهن بذلك التملك ، وقيل إنما لم ينازعهن في مساكنهن لأن ذلك من جملة مؤنهن التي كان النبي صلى الله عليه وسلم استثناهن مما كان بيده أيام حياته حيث قال « ما تركت بعد نفقة نسائي » قال : وهذا أرجح ، ويؤيده أن ورثتهن لم يرثن عنهن منازلهن ، ولو كانت البيوت ملكاً لهن لانتقلت إلى ورثتهن ، وفي ترك ورثتهن حقوقهم منها دلالة على ذلك ، ولهذا زيدت بيوتهن في المسجد النبوي بعد موتهن لعموم نفعه للمسلمين كما فعل فيما كان يصرف لهن من النفقات والله أعلم . وادعى المهلب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حبس عليهن بيوتهن ، ثم استدلل به على أن من حبس داراً جاز له أن يسكن منها في موضع . وتعقبه ابن المنير بمنع أصل الدعوى ، ثم على التزل لا يوافق ذلك مذهبه إلا إن صرح بالاستثناء ، ومن أين له ذلك ؟ .

باب ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وعصاه وسيفه وقدره وخاتمه

وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته

ومن شعره ونعله وآنيته مما تبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته

[٣١٠٦] ٣٠٠٢ - حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثنا أبي عن ثمامة عن أنس أن أبا بكر لما استخلف بعثه إلى البحرين ، وكتب له هذا الكتاب وختمه بخاتم النبي صلى الله عليه ، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر : محمد : سطر ، ورسول : سطر ، والله : سطر .

[٣١٠٧] ٣٠٠٣ - حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي قال حدثنا عيسى بن طهمان قال : أخرج إلينا أنس نعلين جرداوتين لهما قبالة ، فحدثني ثابت البناني بعد عن أنس أنهما نعلان النبي صلى الله عليه .

[الحديث ٣١٠٧ - طرفاه في : ٥٨٥٧ ، ٥٨٥٨ .]

[٣١٠٨] ٣٠٠٤ - حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الوهاب قال أخبرنا أيوب عن حميد بن هلال

عن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة كساءً ملبداً وقالت: في هذا نزع روح رسول الله صلى الله عليه وآله. وزاد سليمان عن حميد عن أبي بردة: أخرجت إلينا عائشة إزاراً غليظاً مما يصنع في اليمن، وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة.

[الحديث ٣١٠٨ - طرفه في: ٥٨١٨].

[٣١٠٩] ٣٠٠٥ - حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن عاصم عن ابن سيرين عن أنس بن مالك: أن قدح النبي صلى الله عليه وآله انكسر فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة. قال عاصم: رأيت القدح وشربت فيه.

[الحديث ٣١٠٩ - طرفه في: ٥٦٣٨].

[٣١١٠] ٣٠٠٦ - حدثنا سعيد بن محمد الجرمي قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا أبي أن الوليد ابن كثير حدثه عن محمد بن عمرو بن جلدلة الدؤلي حدثه أن ابن شهاب حدثه أن علي بن حسين حدثه أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل حسين بن علي لقيه المسور بن مخرمة فقال له: هل لك إلي من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا. فقال له: هل أنت معطي سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عليه فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتني لا يخلص إليهم أبداً حتى تبلغ نفسي. إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه يخطب الناس في ذلك على منبره هذا - وأنا يومئذ محتلم - فقال: «إن فاطمة مني، وأنا أتخوف أن تفتن في دينها». ثم ذكر صهرأ له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه قال: «حدثني فصدقني، ووعدني فوفاني، وإنني لست أحرّم حلالاً ولا أحلّ حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله أبداً».

[٣١١١] ٣٠٠٧ - حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن منذر عن ابن الحنفية قال: لو كان علي ذاكراً عثمان ذكره يوم جاءه ناس فشكوا سعاة عثمان، فقال لي علي: اذهب إلى عثمان فأخبره أنها صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عليه، فمر سعاتك يعملوا بها. فأتيتها بها فقال: أغنها عنا. فأتيت بها علياً فأخبرته فقال: ضعها حيث أخذتها.

[الحديث ٣١١١ - طرفه في: ٣١١٢].

[٣١١٢] ٣٠٠٨ - وقال الحميدي حدثنا سفيان قال حدثنا محمد بن سوقة قال سمعت منذراً الثوري عن ابن الحنفية قال: أرسلني أبي، خذ هذا الكتاب فاذهب به إلى عثمان، فإن فيه أمر النبي صلى الله عليه بالصدقة.

قوله (باب ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وسلم وعصاه وسيفه وقدره وخاتمه ، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك) الغرض من هذه الترجمة تثبيت أنه صلى الله عليه وسلم لم يورث ولا بيع موجوده ، بل ترك بيد من صار إليه للتبرك به ، ولو كانت ميراثاً لبيعت وقسمت ، ولهذا قال بعد ذلك « مما لم تذكر قسمته » وقوله « مما تبرك أصحابه » أي به ، وحذفه للعلم به ، كذا للأصيلي ، ولأبي ذر عن شيخه « شرك » بالشين من الشركة وهو ظاهر ، وفي رواية الكشميني « مما يتبرك به أصحابه » وهو يقوى رواية الأصيلي . وأما قول المهلب : أنه إنما ترجم بذلك ليتأسى به ولاية الأمور في اتخاذ هذه الآلات ، ففيه نظر ، وما تقدم أولى وهو الأليق لدخوله في أبواب الخمس . ثم ذكر فيه أحاديث ليس فيها مما ترجم به إلا الخاتم والنعل والسيف ، وذكر فيه الكساء والإزار ولم يصرح بهما في الترجمة ، فما ذكره في الترجمة ولم يخرج حديثه في الباب الدرع ، ولعله أراد أن يكتب فيها حديث عائشة « أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة » فلم يتفق ذلك ، وقد سبق في البيوع والرهن . ومن ذلك العصا ولم يقع لها ذكر في الأحاديث التي أوردها ، ولعله أراد أن يكتب حديث ابن عباس « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن بمحجن » وقد مضى في الحج وسيأتي في حديث علي في تفسير سورة ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ ذكر المحصرة وأنه صلى الله عليه وسلم جعل ينكت بها في الأرض ، وهي عصا يمسكها الكبير يتكى عليها ، وكان قضيبه صلى الله عليه وسلم من شرحط ، وكانت عند الخلفاء بعده حتى كسرها جهجاه الغفاري في زمن عثمان . ومن ذلك الشعر ، ولعله أراد أن يكتب فيه حديث أنس الماضي في الطهارة في قول ابن سيرين « عندنا شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم صار إلينا من قبل أنس » وأما قوله « وآتيته » بعد ذكر القدح فن عطف العام على الخاص ، ولم يذكر في الباب من الآنية سوى القدح ، وفيه كفاية لأنه يدل على ما عداه . وأما الأحاديث التي أوردها في الباب فالأول منها حديث أنس في الخاتم ، والغرض منه قوله فيه « أن أبا بكر ختم الكتاب بخاتم النبي صلى الله عليه وسلم » فإنه مطابق لقوله في الترجمة « وما استعمل الخلفاء من ذلك » وسيأتي في اللباس فيه من الزيادة أنه كان في يد أبي بكر وفي يد عمر بعده وأنه سقط من يد عثمان ، ويأتي شرحه مستوفى هناك إن شاء الله تعالى . الثاني حديثه « أنه أخرج نعلين جرداوين » بالجيم أي لا شعر عليهما ، وقيل خلقتين .

قوله (لهما) في رواية الكشميني « لها » (قبالة) بكسر القاف وتخفيف الموحدة .

قوله (فحدثني ثابت) القائل هو عيسى بن طهمان راوى الحديث عن أنس ، وكأنه رأى النعلين مع أنس ولم يسمع منه نسبتهما ، فحدثه بذلك ثابت عن أنس ، وسيأتي شرحه في اللباس أيضاً إن شاء الله تعالى . الثالث حديث عائشة .

قوله (عن أبي بردة) هو ابن أبي موسى .

قوله (كساء ملبداً) أى ثخن وسطه وصفى حتى صار يشبه اللبد ، ويقال المراد هنا المرقع

قوله (وزاد سليمان) هو ابن المغيرة (عن حميد) هو ابن هلال ، وصله مسلم عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة به ، وسيأتى بقية شرحه فى كتاب اللباس أيضاً . الرابع حديث أنس .

قوله (عن أبي حمزة) هو السكرى .

قوله (عن عاصم عن ابن سيرين) كذا للأكثر ، ووقع فى رواية أبي زيد المروزى باسقاط ابن سيرين وهو خطأ ، وقد أخرجه البزار فى مسنده عن البخارى بهذا الإسناد وقال لانعلم من رواه عن عاصم هكذا إلا أبا حمزة ، وقال الدارقطنى : خالفه شريك عن عاصم عن أنس لم يذكر ابن سيرين ، والصحيح قول أبي حمزة ، قلت : قد رواه أبو عوانة عن عاصم ففصل بعضه عن أنس وبعضه عن ابن سيرين عن أنس ، وسيأتى بيانه فى الأشربة ، ونبه على ذلك أبو على الجياني وسيأتى بيانه هناك إن شاء الله تعالى .

قوله (إن قدح النبي صلى الله عليه وسلم انكسر فاتخذ) فى رواية أبي زر بضم المثناة على البناء للمفعول ، وفى رواية غيره بفتحها على البناء للفاعل والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم أو لأنس ، وجزم بعض الشراح بالثانى واحتج برواية بلفظ « فجعلت مكان الشعب سلسلة » ولا حجة فيه لاحتمال أن يكون فجعلت بضم الجيم على البناء للمجهول فرجع إلى الاحتمال لإيهام الجاعل .

قوله (قال عاصم) هو الأحوال الراوى (رأيت القدح وشربت فيه) . الخامس حديث المسور بن مخرمة فى خطبة على بنت أبي جهل ، وسيأتى الكلام عليه مستوفى فى النكاح ، والغرض منه مادار بين المسور ابن مخرمة وعلى بن الحسين فى أمر سيف النبي صلى الله عليه وسلم ، وأراد المسور بذلك صيانة سيف النبي صلى الله عليه وسلم لئلا يأخذه من لا يعرف قدره . والذى يظهر أن المراد بالسيف المذكور ذو الفقار الذى تنفله يوم بدر ورأى فيه الرؤيا يوم أحد . وقال الكرماني : مناسبة ذكر المسور لقصة خطبة بنت أبي جهل عند طلبه للسيف من جهة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحترز عما يوجب وقوع التكدير بين الأقرباء ، أى فكذلك ينبغى أن تعطى السيف حتى لا يحصل بينك وبين أقربائك كدورة بسببه ، أو كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراعى جانب بنى عمه العبشميين فأتى أيضاً راع جانب بنى عمك النوفليين لأن المسور نوفلى ، كذا قال ، والمسور زهرى لا نوفلى ، قال : أو كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب رفاهية خاطر فاطمة عليها السلام فأنا أيضاً أحب رفاهية خاطر لك لكونك ابن ابنها فأعطى السيف حتى أحفظه لك . قلت : وهذا الأخير هو المعتمد وما قبله ظاهر التكلف ، وسأذكر إشكالا يتعلق بذلك فى كتاب المناقب إن شاء الله تعالى . السادس .

قوله (عن محمد بن سودة) بضم المهملة وسكون الواو ثقة عابد مشهور ، وهو وشيخه منذر بن يعلى أبو يعلى الثورى كوفيان قرينان من صغار التابعين .

قوله (لو كان على ذا كراً عثمان) زاد الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن قتيبة « ذا كراً عثمان بسوء » وروى ابن أبي شيبة من وجه آخر عن محمد بن سودة « حدثني منذر قال : كنا عند ابن الحنفية فنال بعض

القوم من عثمان فقال : مه ، فقلنا له أكان أبوك يسب عثمان ؟ فقال ما سبه ، ولو سبه يوما لسبه يوم جثته ، فذكره .

قوله (جاءه ناس فشكوا سعة عثمان) لم أقف على تعيين الشاكي ولا المشكو . والسعة جمع ساع وهو العامل الذي يسمى في استخراج الصدقة ممن يجب عليه ويحملها إلى الإمام .

قوله (فقال لي علي : اذهب إلى عثمان فأخبره أنها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي أن الصحيفة التي أرسل بها إلى عثمان مكتوب فيها بيان مصارف الصدقات ، وقد بين في الرواية الثانية أنه قال له « خذ هذا الكتاب فإن فيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم في الصدقة » وفي رواية ابن أبي شيبة « خذ كتاب السعة فاذهب به إلى عثمان » .

قوله (اغنيا) بهزة مفتوحة ومعجمة ساكنة وكسر النون أي اصرفها تقول : أغن وجهك غني أي اصرفه ، ومثله قوله (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي يصده ويصرفه عن غيره ، ويقال قوله « اغنيا عنا » بآلف وصل من الثلاثي وهي كلمة معناها الترك والإعراض ، ومنه (واستغنى الله) أي تركهم الله لأن كل من استغنى عن شيء تركه تقول غني فلان عن كذا فهو غان بوزن علم فهو عالم ، وفي رواية ابن أبي شيبة « لا حاجة لنا فيه » وقيل كان علم ذلك عند عثمان فاستغنى عن النظر في الصحيفة ، وقال الحميدي في « الجمع » : قال بعض الرواة عن ابن عيينة : لم يجد علي بدأ حين كان عنده علم منه أن ينبيه إليه ، ونرى أن عثمان إنما رده لأن عنده علماً من ذلك فاستغنى عنه ، ويستفاد من الحديث بذل النصيحة للأمرء وكشف أحوال من يقع منه الفساد من أتباعهم ولالإمام التقيب عن ذلك . ويحتمل أن يكون عثمان لم يثبت عنده ما طعن به على سماته ، أو ثبت عنده وكان التدبير يقتضي تأخير الإنكار ، أو كان الذي أنكره من المستحبات لا من الواجبات ولذلك عنده على ولم يذكره بسوء .

قوله (فأخبرته فقال : ضعها حيث أخذتها) في رواية ابن أبي شيبة « ضعه موضعه » .

قوله (وقال الحميدي الخ) هو في « كتاب النوادر » له بهذا الإسناد ، والحميدي من شيوخ البخاري في الفقه والحديث كما تقدم في أول هذا الكتاب وأراد بروايته هذه بيان تصريح سفيان بالتحديث ، وكذا التصريح بسامع محمد بن سوقة من منكر ، ولم أقف في شيء من طرقه على تعيين ما كان في الصحيفة ، لكن أخرج الخطابي في « غريب الحديث » من طريق عطية عن ابن عمر قال « بعث علي إلى عثمان بصحيفة فيها : لا تأخذوا الصدقة من الرخعة ولا من النخعة » قال الخطابي : النخعة بتون ومعجمة أولا الغم ، والرخعة براء ومعجمة أيضاً أولاد الإبل انتهى . وسنده ضعيف لكنه مما يحتمل .

باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين

وإيثار النبي صلى الله عليه وسلم عليه أهل الصفة والأرامل حين سألته فاطمة وشكت إليه الطحن

والرحى أن يخدمها من السبي ، فوكلها إلى الله عز وجل

٣٠٠٩ - حدثنا بدل بن المحبر قال أخبرنا شعبة قال أخبرني الحكم قال سمعت ابن

أبي ليلى قال حدثنا عليُّ أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحي مما تطحن، فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى بسبي، فأتته تسأله خادماً فلم توافقه، فذكرت لعائشة، فجاء النبي صلى الله عليه وآله عليه فذكرت ذلك عائشة له، فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال: «على مكانكما»، حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتماه؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، وسبحاً ثلاثاً وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما سألتما».

[الحديث ٣١١٣ - أطرافه في: ٣٧٠٥، ٥٣٦١، ٥٣٦٢، ٦٣١٨].

قوله (باب الدليل على أن الخمس) أي خمس الغنيمة (لنواب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين) النواب جمع نائبة وهو ما ينوب الإنسان من الأمر الحادث (وليثار النبي صلى الله عليه وسلم أهل الصفة والأرامل حين سأله فاطمة وشكت إليه الطحن) في رواية الكشمي «والطحين» (والرحي أن يخدمها من السبي، فوكلها إلى الله تعالى). ثم ذكر حديث علي «أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحي مما تطحن، فبلغها أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بسبي، فأتته تسأله خادماً» فذكر الحديث وفيه «ألا أدلكما على خير مما سألتما» فذكر الذكر عند النوم، وسيأتي شرحه في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى، وليس فيه ذكر أهل الصفة ولا الأرامل، وكأنه أشار بذلك إلى ما ورد في بعض طرق الحديث كعادته، وهو ما أخرجه أحمد من وجه آخر عن علي في هذه القصة مطولاً وفيه «والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم» وفي حديث الفضل بن الحسن الضمري عن ضباعة أم الحكم بنت الزبير قالت «أصاب النبي صلى الله عليه وسلم سبياً، فذهبت أنا وأختي فاطمة نسأله، فقال سبقكما يتامى بدر» الحديث أخرجه أبو داود، وتقدم من حديث ابن عمر في الهبة «أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر فاطمة أن ترسل الستر إلى أهل بيت بهم حاجة» قال إسماعيل القاضي: هذا الحديث يدل على أن للإمام أن يقسم الخمس حيث يرى، لأن الأربعة الأخماس استحقاق للغنائم، والذي يختص بالإمام هو الخمس، وقد منع النبي صلى الله عليه وسلم ابنته وأعز الناس عليه من أقربيه وصرفه إلى غيرهم، وقال نحوه الطبري: لو كان سهم ذوى القربى قسماً مفروضاً لأخدم ابنته ولم يكن ليدع شيئاً اختاره الله لها وامتن به على ذوى القربى، وكذا قال الطحاوي وزاد: وأن أبا بكر وعمر أخذوا بذلك وقسماً جميع الخمس ولم يجعلوا لذوى القربى منه حقاً مخصوصاً به بل بحسب ما يرى الإمام، وكذلك فعل علي. قلت: في الاستدلال بحديث علي هذا نظر، لأنه يحتمل أن يكون ذلك من النية، وأما خمس الخمس من الغنيمة فقد روى أبو داود من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي قال «قلت يا رسول الله إن رأيت أن توليني حقناً من هذا الخمس» الحديث، وله من وجه آخر عنه «ولأني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس الخمس فوضعت مواضعه حياته» الحديث، فيحتمل أن تكون قصة فاطمة وقعت قبل فرض الخمس والله أعلم. وهو بعيد، لأن قوله تعالى ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة﴾ الآية نزلت في غزوة بدر: وقد مضى قريباً أن الصحابة أخرجوا الخمس

من أول غنيمة غنموها من المشركين فيحتمل أن حصة خمس الخمس - وهو حق ذوى القربى من النىء المذكور - لم يبلغ قدر الرأس الذى طلبته فاطمة فكان حقها من ذلك يسيراً جداً ، يلزم منه أن لو أعطاها الرأس أثر فى حق بقية المستحقين ممن ذكر . وقال المهلب : فى هذا الحديث أن للإمام أن يؤثر بعض مستحقى الخمس على بعض ، ويعطى الأوكد فالأوكد . ويستفاد من الحديث حمل الإنسان أهله على ما يحمل عليه نفسه من التقلل والزهد فى الدنيا والقنوع بما أعد الله لأولياته الصابرين فى الآخرة . قلت : وهذا كله بناء على ما يقتضيه ظاهر الترجمة ، وأما مع الاحتمال الذى ذكرته أخيراً فلا يمكن أن يؤخذ من ذكر الإيثار عدم وقوع الاشتراك فى الشيء ، ففى ترك القسمة وإعطاء أحد المستحقين دون الآخر إيثار الآخذ على الممنوع ، فلا يلزم منه نفي الاستحقاق وسيأتى مزيد فى هذه المسألة بعد ثمانية أبواب .

باب قول الله عز وجل : ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾

يعني للرسول قسَمَ ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه : « إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَخَازِنٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْطِينِي » .

[٣١١٤] ٣٠١٠ - حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن سليمان ومنصور وقتادة سمعوا سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال : وَلِدَ لِرَجُلٍ مِّنَّا مِنَ الْأَنْصَارِ غُلَامٌ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْمِيَهُ مُحَمَّدًا - قَالَ شُعْبَةُ فِي حَدِيثٍ مِنْصُورٍ : إِنَّ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ : حَمَلْتُهُ عَلَى عُنُقِي ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ . وَفِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ : وَلِدَ لَهُ غُلَامٌ فَأَرَادَ أَنْ يَسْمِيَهُ مُحَمَّدًا - قَالَ : « سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكْنُوا بِكُنْيَتِي ، فَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ قَاسِمًا أَقْسَمُ بَيْنَكُمْ » . وَقَالَ حَصِينٌ : بُعِثْتُ قَاسِمًا أَقْسَمُ بَيْنَكُمْ . وَقَالَ عَمْرُو : أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : سَمِعْتُ سَالِمًا عَنْ جَابِرٍ : أَرَادَ أَنْ يَسْمِيَهُ الْقَاسِمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « سَمُّوا بِاسْمِي ، وَلَا تَكْنُوا بِكُنْيَتِي » .

[الحديث ٣١١٤ - أطرافه في : ٣١١٥ ، ٣٥٣٨ ، ٦١٨٦ ، ٦١٨٧ ، ٦١٨٩ ، ٦١٩٦] .

[٣١١٥] ٣٠١١ - حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : وَلِدَ لِرَجُلٍ مِّنَّا غُلَامٌ فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ وَلَا نَنعِمُكَ عَيْنًا . فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلِدَ لِي غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ الْقَاسِمَ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ وَلَا نَنعِمُكَ عَيْنًا . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « أَحْسَنْتِ الْأَنْصَارُ ، فَتَسَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكْنُوا بِكُنْيَتِي ، فَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ » .

[٣١١٦] ٣٠١٢ - حدثنا حبان قال أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يقول : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « مَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي

الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون».

[٣١١٧] ٣٠١٣ - حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال: «ما أعطيكُم ولا أمنعُكم، إنما أنا قاسمٌ أضعُ حيثُ أمرتُ».

[٣١١٨] ٣٠١٤ - حدثنا عبد الله بن يزيد قال حدثنا سعيد بن أبي أيوب قال حدثني أبو الأسود عن ابن أبي عياش - واسمه نعمان - عن خولة الأنصارية قالت: سمعتُ النبي صلى الله عليه يقول: «إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة».

قوله (باب قوله تعالى ﴿إِنْ لِلَّهِ خَمْسَةٌ وَلِلرَّسُولِ﴾ يعني وللرسول قسم ذلك) هذا اختيار منه لأحد الأقوال في تفسير هذا الآية، والأكثر على أن اللام في قوله «الرسول» للملك، وأن للرسول خمس الخمس من الغنيمة سواء حضر القتال أو لم يحضر، وهل كان يملكه أو لا؟ وجهان للشافعية، ومال البخاري إلى الثاني واستدل له. قال إسماعيل القاضي: لاحجة لمن ادعى أن الخمس يملكه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول﴾ لأنه تعالى قال ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ قل الأنفال لله والرسول ﴿واتفقوا على أنه قبل فرض الخمس كان يعطى الغنيمة للغنائم بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده، فاما فرض الخمس تبين للغنائم أربعة أخماس الغنيمة لا يشاركهم فيها أحد، وإنما خص النبي صلى الله عليه وسلم بنسبة الخمس إليه إشارة إلى أنه ليس للغنائم فيه حق بل هو مفوض إلى رأيه، وكذلك إلى الإمام بعده، وقد تقدم نقل الخلاف فيه في الباب الأول. وأجمعوا على أن اللام في قوله تعالى ﴿لِلَّهِ﴾ للتبرك إلا ما جاء عن أبي العالبة فإنه قال: تقسم الغنيمة خمسة أسهم ثم السهم الأول يقسم قسمين قسم لله وهو للفقراء وقسم الرسول له، وأما من بعده فيضعه الإمام حيث يراه.

قوله (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنا قاسم وخازن، والله يعطي) لم يقع هذا اللفظ في سياق واحد، وإنما هو مأخوذ من حديثين: أما حديث «إنما أنا قاسم» فهو طرف من حديث أبي هريرة المذكور في الباب. وتقدم في العلم من حديث معاوية بلفظ «إنما أنا قاسم والله يعطي» في أثناء حديث. وأما حديث «إنما أنا خازن والله يعطي» فهو طرف من حديث معاوية المذكور، ويأتي موصولا في الاعتصام بهذا اللفظ. ثم ذكر المصنف في الباب أربعة أحاديث: الأول حديث جابر ذكره من طرق.

قوله (عن سليمان) هو الأعمش، وبين البخاري الاختلاف على شعبة: هل أراد الأنصاري أن يسمى ابنه محمداً أو القاسم، وأشار إلى ترجح أنه أراد أن يسميه القاسم برواية سفيان - وهو الثوري - له عن الأعمش فسماه القاسم، ويترجح أنه أيضاً من حيث المعنى لأنه لم يقع الإنكار من الأنصار عليه إلا حيث لزم من تسمية ولده القاسم أن يصير يكنى أبا القاسم، وسيأتي البحث في هذه المسألة في كتاب الأدب إن شاء الله تعالى.

قوله (قال شعبة في حديث منصور إن الأنصاري قال : حملته على عني) هذا يقتضي أن يكون الحديث من رواية جابر عن الأنصاري ، بخلاف رواية غيره فإنها من مسند جابر .

قوله (وقال حصين بعثت قاسماً أقسم بينكم) هو من رواية شعبة عن حصين أيضاً كما سيأتي في الأدب .
قوله (وقال عمرو) هو ابن مرزوق وهو من شيوخ البخاري ، وطريقه هذه وصلها أبو نعيم في « المستخرج » وكان شعبة كان تارة يحدث به عن بعض مشايخه دون بعض وتارة يجمعهم ويفصل ألقاظهم ، وقوله « لا تكنوا » وقع في رواية الكشميني « ولا تكنوا » بفتح الكاف وتشديد النون ، وقوله في رواية سفيان عن الأعمش « لا تكنيك ولا تنعمك عينا » وقع في رواية الكشميني بالجزم فيهما في الموضعين ، ومعنى قوله « لا تنعمك عينا » لا تكرمك ولا تقر عينك بذلك ، وسيأتي في الأدب من الزيادة من وجه آخر عن جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأنصاري : سم ابنك عبد الرحمن » . الثاني حديث معاوية ، وهو يشتمل على ثلاثة أحكام « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وقد تقدم شرح صدره في كتاب العلم ، ويأتي شرح الأخير منه في الاعتصام ، والفرض منه قوله « والله المعطى وأنا القاسم » وهذا مطابق لأحاديث الباب . الحديث الثالث حديث أبي هريرة .

قوله (ما أعطيك ولا أمنعكم) في رواية أحمد عن شريح بن النعمان عن فليح في أوله « والله المعطى » والمعنى لا أتصرف فيكم بعطية ولا منع برأيي ، وقوله « إنما أنا القاسم أضع حيث أمرت » أي لا أعطى أحداً ولا أمنع أحداً إلا بأمر الله ، وقد أخرجه أبو داود من طريق همام عن أبي هريرة بلفظ « إن أنا إلا خازن » . الرابع .

قوله (حدثنا عبد الله بن يزيد) هو أبو عبد الرحمن المقرئ .

قوله (حدثنا سعيد) زاد المستملي « ابن أبي أيوب » وأبو الأسود هو النوفلي الذي يقال له يتم عروة ، والنعمان بن أبي عياش بالتحانية والمعجمة أنصاري ، وهو زرقى ، وبذلك وصفه الدورقي ، واسم أبي عياش عبيد ، وقيل زيد بن معاوية بن الصامت .

قوله (عن خولة الأنصارية) في رواية الإسماعيلي بنت ثامر الأنصارية ، وزاد في أوله « الدنيا خضرة حلوة » ، وإن رجالا « وأخرجه الترمذي من طريق سعيد المقبري عن أبي الوليد سمعت خولة بنت قيس وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن هذا المال خضرة حلوة ، من أصابه بحقه بورك له فيه ، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار » قال الترمذي : حسن صحيح ، وأبو الوليد اسمه عبيد . قلت : فرق غير واحد بين خولة بنت ثامر وبين خولة بنت قيس ، وقيل إن قيس بن قهد بالقاف لقبه ثامر وبذلك جزم على بن المديني ، فعلى هذا فهي واحدة ، وقوله « خضرة » أنت على تأويل الغنيمة بدليل قوله « من مال الله » ويحتمل ما هو أعم من ذلك . وقوله « خضرة » أي مشتهاة ، والنفوس تميل إلى ذلك . وقوله « من مال الله » مظهر أقيم مقام المضمرة إشعاراً بأنه لا ينبغي التخوض في مال الله ورسوله والتصرف فيه بمجرد التشهي ، وقوله « ليس له يوم القيامة إلا النار » حكم مرتب

على الوصف المناسب وهو الخوض في مال الله ، ففيه إشعار بالغلبة .

قوله (يتخوضون) بالمعجمتين (في مال الله بغير حق) أى يتصرفون في مال المسلمين بالباطل ، وهو أعم من أن يكون بالقسمة وبغيرها ، وبذلك تناسب الترجمة .

(تنبيه) : قال الكرمانى مناسبة حديث خولة للترجمة خفية ، ويمكن أن تؤخذ من قوله « يتخوضون في مال الله بغير حق » أى بغير قسمة حق ، واللفظ وإن كان عاماً لكن خصصناه بالقسمة لفهم منه الترجمة . قلت : ولا تحتاج إلى قيد الاعتذار لأن قوله « بغير » يدخل في عموم الصورة المذكورة فيصح الاحتجاج به على شرطية القسمة في أموال النوى والغنيمة بحكم العدل واتباع ماورد في الكتاب والسنة ، وكان المصنف أراد بإيراده تخويف من يخالف ذلك . ويستفاد من هذه الأحاديث أن بين الاسم والمسمى به مناسبة ، لكن لا يلزم اطراد ذلك ، وأن من أخذ من الغنائم شيئاً بغير قسم الإمام كان عاصياً وفيه ودع الولاية أن يأخذوا من المال شيئاً بغير حقه أو يمنعوه من أهله .

باب قول النبي صلى الله عليه : «أَحَلَّتْ لَكُمْ الْغَنَائِمُ»

وقال الله عز وجل : ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ الآية . فهي للعامة حتى يبينه الرسول .

[٣١١٩] ٣٠١٥ - حدثنا مسدد قال حدثنا خالد قال حدثنا حصين عن عامر عن عروة البارقي عن النبي صلى الله عليه قال : «الخیل معقود في نواصيها الخير الأجر والمغنم إلى يوم القيامة» .

[٣١٢٠] ٣٠١٦ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب قال حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال : «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» .

[٣١٢١] ٣٠١٧ - حدثني إسحاق سمع جريراً عن عبد الملك عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه : «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» .

[الحديث ٣١٢١ - طرفاه في : ٣٦١٩ ، ٦٦٢٩] .

[٣١٢٢] ٣٠١٨ - حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا هشيم قال أخبرنا سيار قال حدثنا يزيد الفقير قال حدثنا جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه : «أَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ» .

[٣١٢٣] ٣٠١٩- حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يُخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه من أجر أو غنيمة».

[٣١٢٤] ٣٠٢٠- حدثنا محمد بن العلاء قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها. فغزا. فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم، فجاءت -يعني النار- لتأكلها فلم تطعمها، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها. ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا».

[الحديث ٣١٢٤- طرفه في: ٥١٥٧].

قوله (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أحلت لكم الغنائم) كذا للجميع، ووقع عند ابن التين «أحلت لي» وهو أشبه، لأنه ذكر بهذا اللفظ في هذا الباب، وهذا الثاني طرف من حديث جابر الماضي في التيمم، وقد تقدم بيان ما كان من قبلنا يصنع في الغنيمة.

قوله (وقال الله عز وجل ﴿وعندكم الله مغنم كثيرة تأخذونها﴾ الآية) هذه الآية نزلت في أهل الحديبية بالاتفاق، ولما انصرفوا من الحديبية فتحوا خيبر كما سيأتي في مكانه.

قوله (فهى للعامة) أى الغنيمة لعموم المسلمين ممن قاتل.

قوله (حتى يبينه الرسول) أى حتى يبين الرسول من يستحق ذلك ممن لا يستحقه، وقد وقع بيان ذلك بقوله تعالى ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة﴾ الآية، ثم ذكر فيه ستة أحاديث: أحدها حديث عروة البارقي في الخيل، وقد تقدم الكلام عليه في الجهاد، والغرض منه قوله في آخره «الأجر والمغنم». ثانيها حديث أبي هريرة «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وسيأتى الكلام عليه في علامات النبوة، والغرض منه قوله «لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» وقد أنفقت كنوزهما في المغنم. ثالثها حديث جابر بن سمرة مثله، وإسحق هو ابن راهويه وجريير هو ابن عبد الحميد وعبد الملك هو ابن عمير. وذكر أبو علي الجياني أنه لم ير إسحق هذا منسوباً لأحد من الرواة، لكن وجدناه بعده في مسند إسحق بهذا السياق، فغلب على الظن أنه المراد.

رابعها حديث جابر بن عبد الله ذكره مختصراً بلفظ « أحلت لي الغنائم » وقد تقدم شرحه مستوفى في التيمم .
خامسها حديث أبي هريرة « تكفل الله لمن جاهد في سبيله » وقد تقدم شرحه في أوائل الجهاد ، والغرض منه قوله في آخره « من أجر أو غنيمة » . سادسها حديثه في قصة النبي الذي غزا القرية .

قوله (عن ابن المبارك) كذا في جميع الروايات ، لكن قال أبو نعيم في المستخرج « أخرجه البخاري عن محمد بن العلاء عن ابن المبارك أو غيره » وهذا الشك إنما هو من أبي نعيم ، فقد أخرجه الإسماعيلي عن أبي يعلى عن محمد بن العلاء عن ابن المبارك وحده به .

قوله (غزا نبي من الأنبياء) أى أراد أن يغزو ، وهذا النبي هو يوشع بن نون كما رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار وبين تسمية القرية كما سيأتى ، وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجه أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليألى سار إلى بيت المقدس » وأغرب ابن بطلال فقال في « باب استئذان الرجل الإمام » : في هذا المعنى حديث لداود عليه الصلاة والسلام أنه قال في غزوة خرج إليها « لا يتبعني من ملك بضع امرأة ولم يبن بها ، أو بنى داراً ولم يسكنها » ولم أقف على ما ذكره مسنداً ، لكن أخرج الخطيب في « ذم النجوم » له من طريق أبي حذيفة والبخاري في « المبتدأ » له بإسناد له عن علي قال « سأل قوم يوشع منه أن يطلعهم على بدء الخلق وآجالهم ، فأراهم ذلك في ماء من غمامة أمطرها الله عليهم ، فكان أحدهم يعلم متى يموت ، فبقوا على ذلك إلى أن قاتلهم داود على الكفر ، فأخرجوا إلى داود من لم يحضر أجله فكان يقتل من أصحاب داود ولا يقتل منهم ، فشكى إلى الله ودعاه فحبست عليهم الشمس فزيد في النهار فاختلفت الزيادة بالليل والنهار ، فاختلف عليهم حسابهم » . قلت : وإسناده ضعيف جداً ، وحديث أبي هريرة المشار إليه عند أحمد أولى ، فإن رجال إسناده محتج بهم في الصحيح ، فالمتعمد أنها لم تحبس إلا ليوشع ، ولا يعارضه ما ذكره ابن إسحق في « المبتدأ » من طريق يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه « أن الله لما أمر موسى بالمسير ببني إسرائيل أمره أن يحمل تابوت يوسف فلم يدل عليه حتى كاد الفجر أن يطلع ، وكان وعد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر ، فدعا ربه أن يؤخر الطلوع حتى فرغ من أمر يوسف ففعل ، لأن الحصر إنما وقع في حق يوشع بطلوع الشمس فلا ينفي أن يحبس طلوع الفجر لغيره ، وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام في قصيدة :

فوالله لا أدرى أحلام نائم أملت بنا أم كان في الركب يوشع

ولا يعارضه أيضاً ما ذكره يونس بن بكير في زياداته في مغازي ابن إسحق « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر قريشاً صبيحة الإسراء أنه رأى العير التي لهم وأنها تقدم مع شروق الشمس ، فدعا الله فحبست الشمس حتى دخلت العير » وهذا منقطع ، لكن وقع في « الأوسط للطبراني » من حديث جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار » وإسناده حسن ، ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فلم تحبس الشمس إلا ليوشع وليس فيه نفي أنها تحبس بعد ذلك

لنبينا صلى الله عليه وسلم . وروى الطحاوى والطبرانى فى « الكبير » والحاكم والبيهقى فى « الدلائل » عن أسماء بنت عميس أنه صلى الله عليه وسلم دعا لما نام على ركة على ففاته صلاة العصر فردت الشمس حتى صلى على ثم غربت ، وهذا أبلغ فى المعجزة وقد أخطأ ابن الجوزى بإيراده له فى « الموضوعات » وكذا ابن تيمية فى « كتاب الرد على الروافض » فى زعم وضعه والله أعلم . وأما ما حكى عياض أن الشمس ردت للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق لما شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر - كذا قال وعزاه للطحاوى ، والذي رأيته فى « مشكل الآثار للطحاوى » ما قدمت ذكره من حديث أسماء . فإن ثبت ما قال فهذه قصة ثالثة والله أعلم . وجاء أيضاً أنها حبست لموسى لما حمل تابوت يوسف كما تقدم قريباً . وجاء أيضاً أنها حبست لسليمان بن داود عليهما السلام وهو فيما ذكره الثعلبى ثم البغوى عن ابن عباس قال « قال لى على : ما بلغك فى قول الله تعالى حكاية عن سليمان عليه الصلاة والسلام » (ردوها على) ؟ فقلت : قال لى كعب : كانت أربعة عشر فرساً عرضها ، فغابت الشمس قبل أن يصلى العصر ، فأمر بردها فضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها ، فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنه ظلم الخيل بقتلها ، فقال على : كذب كعب ، وإنما أراد سليمان جهاد عدوه فتشاغل بعرض الخيل حتى غابت الشمس فقال للملائكة الموكلين بالشمس بإذن الله لم : ردوها على ، فردوها عليه حتى صلى العصر فى وقتها ، وأن أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم . قلت : أورد هذا الأثر جماعة ساكتين عليه جازمين بقولهم « قال ابن عباس قلت لعل » وهذا لا يثبت عن ابن عباس ولا عن غيره ، والثابت عن جمهور أهل العلم بالتفسير من الصحابة ومن بعدهم أن الضمير المؤنث فى قوله « (ردوها) » للخيل والله أعلم .

قوله (بضع امرأة) بضم الموحدة وسكون المعجمة البضع يطلق على الفرج والتزويج والجماع ، والمعانى الثلاثة لائحة هنا ، ويطلق أيضاً على المهر وعلى الطلاق ، وقال الجوهري : قال ابن السكيت البضع النكاح يقال ملك فلان بضع فلانة .

قوله (ولما بين بها) أى ولم يدخل عليها لكن التعبير بلما يشعر بتوقع ذلك قاله الزمخشري فى قوله تعالى « ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم » ووقع فى رواية سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عند النسائي وأبى عوانة وابن حبان « لا ينبغي لرجل بنى داراً ولم يسكنها أو تزوج امرأة ولم يدخل بها » وفى التقييد بعدم الدخول ما يفهم أن الأمر بعد الدخول بخلاف ذلك فلا يخفى فرق بين الأمرين ، وإن كان بعد الدخول ربما استمر تعلق القلب ، لكن ليس هو كما قبل الدخول غالباً .

قوله (ولم يرفع سقوفها) فى صحيح مسلم ومسند أحمد « ولما يرفع سقوفها » وهو بضم القاف والفاء لتوافق هذه الرواية ، ووهم من ضبط بالإسكان وتكافى فى توجيه الضمير المؤنث للسقف .

قوله (أو خلفات) بفتح المعجمة وكسر اللام بعدها فاء خفيفة جمع خلفه وهى الحامل من النوق ، وقد يطلق على غير النوق ، و « أو » فى قوله غنما أو خلفات للتنويع ويكون قد حذف وصف الغنم بالحمل للدلالة الثانى عليه ، أو هو على إطلاقه لأن الغنم يقل صبرها فيخشى عليها الضياع بخلاف النوق فلا يخشى عليها إلا مع الحمل ، ويحتمل أن يكون قوله « أو » للشك أى هل قال غنما بغير صفة أو خلفات أى بصفة أنها

حوامل ، كذا قال بعض الشراح ، والمعتمد أنها للتنويع ، فقد وقع في رواية أبي يعلى عن محمد بن العلاء « ولا رجل له غم أو بقر أو خلفات » .

قوله (وهو ينتظر ولادها) بكسر الواو وهو مصدر ولد ولاداً وولادة .

قوله (فغزا) أى بمن تبعه ممن لم يتصف بتلك الصفة .

قوله (فدنا من القرية) هى أريجاً بفتح الهمزة وكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة ومهملة مع القصر ، سماها الحاكم في روايته عن كعب ، وفي رواية مسلم « فأدنى للقرية » أى قرب جيوشه لها .

قوله (فقال للشمس إنك مأمورة) في رواية سعيد بن المسيب (فلقى العلو عند غيبوبة الشمس » وبين الحاكم في روايته عن كعب سبب ذلك فإنه قال « أنه وصل إلى القرية وقت عصر يوم الجمعة ، فكادت الشمس أن تغرب ويدخل الليل » وبهذا يتبين معنى قوله « وأنا مأمور » والفرق بين المأمورين أن أمر الجهادات أمر تسخير وأمر العقلاء أمر تكليف ، وخطابه للشمس يحتمل أن يكون على حقيقته وأن الله تعالى خلق فيها تمييزاً وإدراكاً كما سيأتى البحث فيه في الفتن في سجودها تحت العرش واستئذانها من أن تطلع ، ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل استحضاره في النفس لما تقرر أنه لا يمكن تحولها عن عاداتها إلا بخرق العادة ، وهو نحو قول الشاعر « شكى إلى جملى طول السرى » ومن ثم قال « اللهم احبسها » ويؤيد الاحتمال الثانى أن في رواية سعيد بن المسيب فقال « اللهم إنها مأمورة وإنى مأمور فأحبسها على حتى تقضى بينى وبينهم ، فحبسها الله عليه » .

قوله (اللهم احبسها علينا) في رواية أحمد « اللهم احبسها على شيناً » وهو منصوب نصب المصدر ، أى قدر ما تنقضى حاجتنا من فتح البلد ، قال عياض : اختلف في حبس الشمس هنا ، فقيل ردت على أدراجها ، وقيل وقفت ، وقيل بطئت حركتها ، وكل ذلك محتمل والثالث أرجح عند ابن بطال وغيره . ووقع في ترجمة هارون بن يرسف الرمادى أن ذلك كان في رابع عشرى حزيران وحينئذ يكون النهار في غاية الطول .

قوله (فحبست حتى فتح الله عليه) في رواية أبي يعلى « فواقع القوم فظفر » .

قوله (فجمع الغنائم فجاءت يعنى النار) في رواية عبد الرزاق عند أحمد ومسلم « فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار » زاد في رواية سعيد بن المسيب « وكانوا إذا غنموا غنيمة بعث الله عليها النار فتأكلها » .

قوله (فلم تطعمها) أى لم تذق لها طعاماً ، وهو بطريق المبالغة .

قوله (فقال إن فيكم غلولا) هو السرقة من الغنيمة كما تقدم .

قوله (فليبايعنى من كل قبيلة رجل فلزقت) فيه حذف يظهر من سياق الكلام أى فبايعوه فلزقت .

قوله (فلزقت يد رجلين أو ثلاثة) في رواية أبي يعلى « فلزقت يد رجل أو رجلين » وفي رواية سعيد

ابن المسيب « رجلان » بالجزم ، قال ابن المنير جعل الله علامة الغلول إلزاق يد الغال ، وفيه تنبيه على أنها يد عليها حق يطلب أن يتخلص منه ، أو أنها يد ينبغي أن يضرب عليها ويحبس صاحبها حتى يؤدي الحق إلى الإمام ، وهو من جنس شهادة اليد على صاحبها يوم القيامة .

قوله (فيكم الغلول) زاد في رواية سعيد بن المسيب « فقالوا أجل غلنا » .

قوله (فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها ، فجاءت النار فأكلتها ثم أحل الله لنا الغنائم) في رواية النسائي « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : أن الله أطعمنا الغنائم رحمة رحمتها وتخفيفاً خففه عنا » .

قوله (رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا) في رواية سعيد بن المسيب « لما رأى من ضعفنا » وفيه إشعار بأن إظهار العجز بين يدي الله تعالى يستوجب ثبوت الفضل ، وفيه اختصاص هذه الأمة بحل الغنيمة وكان ابتداء ذلك من غزوة بدر . وفيها نزل قوله تعالى ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾ فأحل الله لهم الغنيمة ، وقد ثبت ذلك في الصحيح من حديث ابن عباس ، وقد قدمت في أوائل فرض الخمس أن أول غنيمة خست غنيمة السرية التي خرج فيها عبد الله بن جحش ، وذلك قبل بدر بشهرين ، ويمكن الجمع بما ذكر ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم أخر غنيمة تلك السرية حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم بدر . قال المهلب : في هذا الحديث أن قن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع ومحبة البقاء ، لأن من ملك بضع امرأة ولم يدخل بها أو دخل بها وكان على قرب من ذلك فإن قلبه متعلق بالرجوع إليها ويجد الشيطان السبيل إلى شغل قلبه عما هو عليه من الطاعة ، وكذلك غير المرأة من أحوال الدنيا ، وهو كما قال ، لكن تقدم ما يعكر على إلحاقه بما بعد الدخول وإن لم يطل بما قبله ، ويدل على التعميم في الأمور الدنيوية ما وقع في رواية سعيد بن المسيب من الزيادة « أو له حاجة في الرجوع » وفيه أن الأمور المهمة لا ينبغي أن تفوض إلا لحازم فارغ البال لها ، لأن من له تعلق ربما ضعفت عزيمته وقلت رغبته في الطاعة ، والقلب إذا تفرق ضعف فعل الجوارح وإذا اجتمع قوى . وفيه أن من مضى كانوا يغزون ويأخذون أموال أعدائهم وأسلابهم ، لكن لا يتصرفون فيها بل يجمعونها ، وعلامة قبول غزوهم ذلك أن تنزل النار من السماء فتأكلها ، وعلامة عدم قبوله أن لا تنزل . ومن أسباب عدم القبول أن يقع فيهم الغلول ، وقد من الله على هذه الأمة ورحمها لشرف نبيها عنده فأحل لهم الغنيمة ، وستر عليهم الغلول ، فطوى عنهم فضيحة أمر عدم القبول ، فله الحمد على نعمه تترى . ودخل في عموم أكل النار الغنيمة والسبي ، وفيه بعد لأن مقتضاه إهلاك الذرية ومن لم يقاتل من النساء ، ويمكن أن يستثنوا من ذلك ، ويلزم استثناءهم من تحريم الغنائم عليهم ، ويؤيده أنهم كانت لهم عبيد وإماء فلم يجز لهم السبي لما كان لهم أرقاء . ويشكل على الحصر أنه كان السارق يسترى كما في قصة يوسف ، ولم أر من صرح بذلك . وفيه معاقبة الجماعة بفعل سفهاها . وفيه أن أحكام الأنبياء قد تكون بحسب الأمر الباطن كما في هذه القصة ، وقد تكون بحسب الأمر الظاهر كما في حديث « إنكم تختصمون إلي » الحديث ، واستدل به ابن بطال على جواز إحراق أموال المشركين ، وتعقب بأن ذلك كان في تلك الشريعة وقد نسخ بحل الغنائم لهذه الأمة ، وأجيب عنه بأنه لا يخفى عليه ذلك ولكنه استنبط من إحراق الغنيمة بأكل النار جواز إحراق أموال الكفار إذا لم يوجد السبيل إلى أخذها غنيمة ، وهو ظاهر لأن هذا القدر لم يرد التصريح بنسخة فهو محتمل على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخه . واستدل به أيضاً على أن قتال آخر النهار أفضل من أوله ، وفيه نظر لأن ذلك في هذه القصة إنما وقع اتفاقاً كما تقدم ، نعم في قصة النعمان بن مقرن مع المغيرة بن شعبه في قتال الفرس التصريح باستحباب القتال حين تزول الشمس وتهب الرياح ، فالاستدلال به يغني عن هذا .

باب الغنيمة لمن شهد الوقعة

[٣١٢٥]

٣٠٢١ - حدثنا صدقة قال حدثنا عبد الرحمن عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال عمر : لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها كما قسم النبي صلى الله عليه .

قوله (باب) بالتنوين . (الغنيمة لمن شهد الوقعة) هذا لفظ أثر أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن طارق بن شهاب « أن عمر كتب إلى عمار أن الغنيمة لمن شهد الوقعة » ذكره في قصة .

قوله (حدثنا صدقة) هو ابن الفضل وقد تقدم هذا الحديث سنداً وامتناً في المزارعة ، ووجه أخذه من الترجمة أن عمر في هذا الحديث أيضاً قد صرح بما دل عليه هذا الأثر إلا أنه عارض عنده حسن النظر لآخر المسلمين فيما يتعلق بالأرض خاصة فوقفها على المسلمين وضرب عليها الخراج الذي يجمع مصلحتهم ، وتأول قوله تعالى ﴿ والذين جاءوا من بعدهم ﴾ الآية ، وروى أبو عبيد في « كتاب الأموال » من طريق ابن إسحق عن حارثة بن مضرب عن عمر « أنه أراد أن يقسم السواد ، فشاور في ذلك ، فقال له علي : دعهم يكونوا مادة للمسلمين ، فتركهم » ومن طريق عبد الله بن أبي قيس « أن عمر أراد قسمة الأرض ، فقال له معاذ : إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم يتبدرون فيصير إلى الرجل الواحد أو المرأة ، ويأتى القوم يسدون من الإسلام مسداً فلا يجدون شيئاً فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم ، فاقضى رأى عمر تأخير قسم الأرض ، وضرب الخراج عليها للغانمين ولمن يجيئ بعدهم » فبقى ماعداً ذلك على اختصاص الغانمين به وبه قال الجمهور وذهب أبو حنيفة إلى أن الجيش إذا فصلوا من دار الإسلام مدداً لجيش آخر فوافوهم بعد الفتح أنهم يشتركون معهم في الغنيمة ، واحتج بما قسم صلى الله عليه وسلم للأشعرين لما قدموا مع جعفر من خيبر ، وبما قسم النبي صلى الله عليه وسلم لمن لم يحضر الوقعة كعثمان في بدر ونحو ذلك ، فأما قصة الأشعرين فسيأتى سياقها في غزوة خيبر ، والجواب عنها سيأتى بعد أبواب ، وأما الجواب عن مثل قصة عثمان فأجاب الجمهور عنها بأجوبة : أحدها أن ذلك خاص به لا بمن كان مثله ، ثانيها أن ذلك حيث كانت الغنيمة كلها للنبي صلى الله عليه وسلم عند نزول ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ ثم نزلت بعد ذلك ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ﴾ فصارت أربعة أخماس الغنيمة للغانمين . ثالثها على تقدير أن يكون ذلك بعد فرض الخمس فهو محمول على أنه إعطاء من الخمس ، وإلى ذلك جنح المصنف كما سيأتى . رابعها التفرقة بين من كان في حاجة تتعلق بمنفعة الجيش أو باذن الإمام فيسهم له بخلاف غيره ، وهذا مشهور مذهب مالك . وقال ابن بطال : لم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم في غير من شهد الوقعة إلا في خيبر ، فهي مستثناة من ذلك فلا يجعل أصلاً يقاس عليه . فإنه قسم لأصحاب السفينة لشدة حاجتهم ، ولذلك أعطى الأنصار عوض ما كانوا أعطوا المهاجرين أول ما قدموا عليهم . قال الطحاوي : ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم استطاب أنفس أهل الغنيمة بما أعطى الأشعرين وغيرهم ، وهذا كله في الغنيمة المنقولة ، وقد تقدم في المزارعة بيان الاختلاف في الأرض التي يملكها المسلمون عنوة ، قال ابن المنذر : ذهب الشافعي إلى أن عمر استطاب أنفس الغانمين الذين افتتحوا أرض السواد ، وأن

الحكم في أرض العنوة أن تقسم كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خير ، وتعقب بأنه مخالف لتعليل عمر بقوله « لولا آخر المسلمين » ، لكن يمكن أن يقال : معناه لولا آخر المسلمين ما استطبت أنفس الغانمين ، وأما قول عمر « كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير » فإنه يريد بعض خير لا جميعها ، قاله الطحاوي ، وأشار إلى ما روى عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قسم خير عزل نصفها لنوابه وما ينزل به ، وقسم النصف الباقي بين المسلمين ، فلم يكن لهم عمال فدفعوها إلى اليهود ليعملوها على نصف ما يخرج منها » الحديث ، والمراد بالذي عزله ما افتتح صلحاً ، وبالذي قسمه ما افتتح عنوة ، وسيأتي بيان ذلك بأدلته في المغازي إن شاء الله تعالى . قال ابن المنير : ترجم البخاري بأن الغنيمة لمن شهد الواقعة ، وأخرج قول عمر المقتضي لوقف الأرض المغنومة وهذا ضد ما ترجم به ، ثم أجاب بأن المطابق لترجمته قول عمر « كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير » فأوماً البخاري إلى ترجيح القسمة الناجزة ، والحجة فيه أن الآتي الذي لم يوجد بعد لا يستحق شيئاً من الغنيمة الحاضرة ، بدليل أن الذي يغيب عن الواقعة لا يستحق شيئاً بطريق الأولى ، قلت : ويحتمل أن يكون البخاري أراد التوفيق بين ما جاء عن عمر أن الغنيمة لمن شهد الواقعة ، وبين ما جاء عنه أنه يرى أن توقف الأرض ، بحمل الأول على أن عمومهم مخصوص بغير الأرض ، قال ابن المنير : وجه احتجاج عمر بقوله تعالى ﴿ والذين جاءوا من بعدهم ﴾ أن الواو عاطفة فيحصل اشتراك من ذكر في الاستحقاق والجملة في قوله تعالى ﴿ يقولون ﴾ في موضع الحال فهي كالشرط للاستحقاق ، والمعنى أنهم يستحقون في حال الاستغفار ، ولو أعربناها استثنائية للزم أن كل من جاء بعدهم يكون مستغفراً لهم والواقع بخلافه فتعين الأول ، واختلف في الأرض التي أبقاها عمر بغير قسمة ، فذهب الجمهور إلى أنه وقفها لنواب المسلمين وأجرى فيها الخراج ومنع بيعها وقال بعض الكوفيين : أبقاها ملكاً لمن كان بها من الكفرة وضرب عليهم الخراج ، وقد اشد نكير كثير من فقهاء أهل الحديث على هذه المقالة ، ولبسطها موضع غير هذا ، والله أعلم .

باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره

[٣١٢٦]

٣٠٢٢ - حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن عمرو قال :

سمعت أبا وائل قال حدثنا أبو موسى الأشعري قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، ويقاتل ليرى مكانه ، من في سبيل الله ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

قوله (باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره) ؟ ذكر فيه حديث أبي موسى « قال أعرابي للنبي

صلى الله عليه وسلم : الرجل يقاتل للمغنم » الحديث ، وقد تقدم شرحه في أثناء الجهاد ، قال ابن المنير : أراد البخاري أن قصد الغنيمة لا يكون منافياً للأجر ولا منقصاً إذا قصد معه إعلاء كلمة الله ، لأن السبب لا يستلزم الحصر ، ولهذا يثبت الحكم الواحد بأسباب متعددة ، ولو كان قصد الغنيمة يناهض قصد الإعلاء لما جاء الجواب عاماً ولقال مثلاً : من قاتل للمغنم فليس هو في سبيل الله . قلت : وما ادعى أن مراد البخاري

فيه بعد ، والذي يظهر أن التقص من الأجر أمر نسبي كما تقدم تحرير ذلك في أوائل الجهاد ، فليس من قصد إعلاء كلمة الله محضاً في الأجر مثل من ضم إلى هذا القصد قصداً آخر من غنيمة أو غيرها . وقال ابن المنير في موضع آخر : ظاهر الحديث أن من قاتل للمغمم - يعني خاصة - فليس في سبيل الله وهذا لا أجر له البتة ، فكيف يترجم له بنقص الأجر ؟ وجوابه ما قلتمته .

باب قِسْمَةِ الإِمَامِ مَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ ، وَيَخْبَأُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ أَوْ غَابَ عَنْهُ

[٣١٢٧] ٣٠٢٣ - حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة أن النبي صلى الله عليه وسلم أهديت له أقبية من ديباج مزرودة بالذهب ، فقسمها في ناس من أصحابه ، وعزل منها واحداً مخزومة بن نوفل ، فجاء ومعه ابنه المسور بن مخزومة ، فقام على الباب ، فقال : ادع لي ، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته فأخذ قباءً فتلقاها واستقبله بأزراره فقال : « يا أبا المسور خبأت هذا لك ، يا أبا المسور خبأت هذا لك » ، وكان في خلقه شدة . ورواه ابن علية عن أيوب . وقال حاتم بن وردان حدثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخزومة : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم أقبية . تابعه الليث عن ابن أبي مليكة .

قوله (باب قسمة الإمام ما يقدم عليه) أى من جهة أهل الحرب .

قوله (ويخبأ لمن لم يحضره) أى في مجلس القسمة ، أو غاب عنه أى في غير بلد القسمة . قال ابن المنير : فيه رد لما اشتهر بين الناس أن الهدية لمن حضر . قلت : قد سبق الكلام في الهبة على شيء من ذلك .

قوله (عن عبد الله بن أبي مليكة أن النبي صلى الله عليه وسلم) هذا هو المعتمد أنه من هذا الوجه مرسل ، ووقع في رواية الأصيلي عن ابن أبي مليكة عن المسور ، وهو وهم ، ويدل عليه أن المصنف قال في آخره « رواه ابن علية عن أيوب » أى مثل الرواية الأولى ، قال وقال حاتم بن وردان عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن المسور ، وتابعه الليث عن ابن أبي مليكة « فاتفق اثنان عن أيوب هلى إرساله ووصله ثالث عن أيوب ، ووافقه آخر عن شيخهم ، واعتمد البخارى الموصول لحفظ من وصله ، ورواية إسماعيل بن علية تأتي موصولة في الأدب ، ورواية حاتم بن وردان تقدمت موصولة في الشهادات ، ورواية الليث تقدمت موصولة في الهبة وسيأتى شرح الحديث في كتاب اللباس إن شاء الله تعالى ، والفرض منه قوله « أن النبي صلى الله عليه وسلم أهديت له أقبية » وقوله فيه « خبأت لك هذا » وهو مطابق لما ترجم له ، قال ابن بطال : ما أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين فحلل له أخذه لأنه فيء ، وله أن يهب منه ما شاء ويؤثر به من شاء كالنبيء ، وأما من بعده فلا يجوز له أن يختص به لأنه إنما أهدى إليه لكونه أميرهم ، وقد مضى ما يتعلق بذلك في كتاب الهبة .

باب كيف قسم النبي صلى الله عليه قريظة والنضير

وما أعطى من ذلك من نوائبه

[٣١٢٨] ٣٠٢٤ - حدثنا عبد الله بن أبي الأسود قال حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنس بن مالك يقول: كان الرجل يجعل للنبي صلى الله عليه النخلات حتى افتتح قريظة والنضير، وكان بعد ذلك يرد عليهم.

قوله (باب كيف قسم النبي صلى الله عليه وسلم قريظة والنضير، وما أعطى من ذلك من نوائبه) ذكر فيه حديث أنس «كان الرجل يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم النخلات حتى افتتح قريظة والنضير» وهو مختصر من حديث سيأتي بتمامه مع بيان الكيفية المترجم بها في المغازي، وتقدم التنبيه عليه في أواخر الهبة. ومحصل القصة أن أرض بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله وكانت له خالصة، لكنه أثر بها المهاجرين وأمرهم أن يعيدوا إلى الأنصار ما كانوا واسوهم به لما قدموا عليهم المدينة ولا شيء لهم، فاستغنى الفريقان جميعاً بذلك، ثم فتحت قريظة لما نقضوا العهد فحوصروا فزلوا على حكم سعد بن معاذ وقسمها النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه وأعطى من نصيبه في نوائبه - أي في نفقات أهله ومن يظراً عليه - ويجعل الباقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله كما ثبت في الصحيحين من حديث مالك بن أوس عن عمر في بعض طرقه مختصراً.

باب

بركة الغازي في ماله حياً وميتاً، مع النبي صلى الله عليه وولادة الأمر

[٣١٢٩] ٣٠٢٥ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال قلت لأبي أسامة: أحدثكم هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمْتُ إلى جنبه فقال: يا بني لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنِّي لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لديني، أفترى ديننا يُبقي من ماله شيئاً فقال: يا بني بع مالنا، واقض ديني، وأوصى بالثلث، وثلثه لبنيه - يعني بني عبد الله بن الزبير، يقول: ثلث الثلث - فإن فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين شيء فثلثه لولدك. قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير - خبيب وعباد - وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بني، إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه مولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله. قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقض عنه دينه، فيقضيه. فقتل الزبير ولم يدع ديناراً ولا درهماً، إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة داراً

بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر. وقال: وإنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف، فإني أخشى عليه الضيعة. وما ولي إمارَةً قط ولا جباية خراج ولا شيئاً إلا أن يكون في غزوة مع رسول الله صلى الله عليه أو مع أبي بكر وعمر وعثمان. قال عبد الله بن الزبير: فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف. قال: فلقني حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير قال: يا ابن أخي: كم على أخي من الدين؟ فكتمه وقال: مائة ألف. فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تسع لهذه. فقال له عبد الله: أفرأيتك إن كان ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي. قال: وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف. فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف، ثم قال: فقال: من كان له على الزبير حق فليؤافنا بالغابة. فأتاه عبد الله بن جعفر - وكان له على الزبير أربعمائة ألف - فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم. قال عبد الله: لا. قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم. فقال عبد الله: لا. قال: فاقطعوا لي قطعة. فقال عبد الله: لك من ها هنا إلى ها هنا. قال: فباع منها فقصى دينه فأوفاه، وبقي منها أربعة أسهم ونصف، فقدم على معاوية - وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير، وابن زمعة - فقال له معاوية: كم قومت الغابة؟ قال: كل سهم مائة ألف. قال: كم بقي؟ قال: أربعة أسهم ونصف. فقال المنذر: قد أخذت سهماً بمائة ألف. وقال عمرو بن عثمان: قد أخذت سهماً بمائة ألف. وقال ابن زمعة: قد أخذت سهماً بمائة ألف. فقال معاوية كم بقي؟ قال: سهم ونصف. قال: أخذته بخمسين ومائة ألف. قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف. قال: فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير: أقسم بيننا ميراثنا. قال: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه: قال: فجعل كل سنة ينادي بالموسم. فلما مضى أربع سنين قسم بينهم. قال: وكان للزبير أربع نسوة، ورفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف. فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف.

قوله (باب بركة الغازي في ماله) هو بالموحدة من البركة، وصحفيها بعضهم فقال «تركه» بالمشاة، قال عياض: وهي وإن كانت متجهة باعتبار أن في القصة ذكر ما خلفه الزبير، لكن قوله «حياً وميتاً مع النبي صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر» يدل على أن الصواب ما وقع عند الجمهور بالموحدة، وقصة الزبير ابن العوام في دينه وما جرى لابنه عبد الله في وفاته من الأحاديث المذكورة في غير مظنتها، والذي يدخل في

المرفوع منه قول ابن الزبير « وما ولي إمارة قط ولا جباية خراج ولا شيئاً ، إلا أن يكون في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم » وهذا القدر هو المطابق للترجمة ، وما عدا ذلك كله موقوف . وقد ذكره في مسند الزبير ، والأولى أن يذكر في مسند عبد الله بن الزبير ، إلا أن يحمل على أنه تلقى ذلك عن أبيه ، ومع ذلك فلا بد من ذكره في حديث عبد الله بن الزبير لأن أكثره موقوف عليه ، وقد روى الترمذي من وجه آخر عن هشام بن عروة عن أبيه قال « أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله يوم الجمل وقال : ما مني عضو إلا وقد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وقوله « قلت لأبي أسامة أحدثكم هشام بن عروة الخ » لم يقل في آخره نعم ، وهو ثابت في مسند إسحق بن راهويه بهذا الإسناد ، ولم أر هذا الحديث بتمامه إلا من طريق أبي أسامة ، وقد ساقه أبو ذر الهروي في روايته من وجه آخر عنه عالياً فقال « حدثنا أبو إسحق المستملي حدثنا محمد بن عبيد حدثنا جويرية بن محمد حدثنا أبو أسامة » ووقفت على قطع منه من رواية علي بن مسهر وغيرها سائينها إن شاء الله تعالى .

قوله (لما وقف الزبير يوم الجمل) يريد الوقعة المشهورة التي كانت بين علي بن أبي طالب ومن معه وبين عائشة رضي الله عنها ومن معها ومن جملتهم الزبير ، ونسبت الوقعة إلى الجمل لأن يعلى بن أمية الصحابي المشهور كان معهم فأركب عائشة على جمل عظيم اشتراه بمائة دينار - وقيل ثمانين وقيل أكثر من ذلك - فوقفت به في الصف ، فلم يزل الذين معها يقاتلون حول الجمل حتى عقر الجمل فوقعت عليهم الهزيمة ، هذا ملخص القصة ، وسيأتي الإلمام بشيء من سببها في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى : وكان ذلك في جمادى الأولى أو الآخرة سنة ست وثلاثين .

قوله (لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم) قال ابن بطال : معناه ظالم عند خصمه مظلوم عند نفسه لأن كلا من الفريقين كان يتأول أنه على الصواب ، وقال ابن التين : معناه أنهم إما صحابي متأول فهو مظلوم وإما غير صحابي قاتل لأجل الدنيا فهو ظالم ، وقال الكرمانى : إن قيل جميع الحروب كذلك فالجواب أنها أول حرب وقعت بين المسلمين . قلت : ويحتمل أن تكون « أو » للشك من الراوى ، وأن الزبير إنما قال أحد اللفظين ، أو للتنويع والمعنى لا يقتل اليوم إلا ظالم بمعنى أنه ظن أن الله يعجل للظالم منهم العقوبة ، أو لا يقتل اليوم إلا مظلوم بمعنى أنه ظن أن الله يعجل له الشهادة ، وظن على التقديرين أنه يقتل مظلوماً إما لاعتقاده أنه كان مصيباً وإما لأنه كان سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ما سمع على وهو قوله لما جاءه قاتل الزبير « بشر قاتل ابن صفية بالنار » ورفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه أحمد وغيره من طريق زر بن حبیش عن علي بإسناد صحيح ، ووقع عند الحاكم من طريق عثام بن علي عن هشام بن عروة في هذا الحديث مختصراً قال « والله لئن قتلت لاقتلن مظلوماً ، والله ما فعلت وما فعلت » يعنى شيئاً من المعاصي .

قوله (وإنى لا أراى) بضم الهمزة من الظن ، ويجوز فتحها بمعنى الاعتقاد ، وظنه أنه سيقول مظلوماً قد تحقق لأنه قتل غلراً بعد أن ذكره على فأنصرف عن القتال فنام بمكان ففتك به رجل من بني تميم يسمى عمرو بن جرموز بضم الجيم والميم بينهما راء ساكنة وآخره زاي ، فروى ابن أبي خيثمة في تاريخه من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى قال « إنا لمع على لما التقى الصفان فقال : أين الزبير ؟ فجاء الزبير ، فجعلنا ننظر إلى يد على يشير بها إذ ولي الزبير قبل أن يقع القتال » وروى الحاكم من طرق متعددة أن علياً ذكر الزبير بأن

النبي صلى الله عليه وسلم قال له لتقاتلن علياً وأنت ظالم له ، فرجع لذلك . وروى يعقوب بن مفيان وخليفة في تاريخهما من طريق عمرو بن جاوران بالجيم قال : فانطلق الزبير منصرفاً فقتله عمرو بن جرموز بوادي السباع .

قوله (وأن من أكبرهم لديني) في رواية عثام « انظر يا بني ديني ، فإني لا أدع شيئاً أهم إلى منه »
قوله (وأوصي بالثلاث) أي ثلاث ماله (وثلاثة) أي ثلاث الثلث ، وقد فسرته في الخبر .

قوله (فإن فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين فثلاثة لولدك) قال المهلب : معناه ثلاث ذلك الفضل الذي أوصى به من الثلث لبنه ، كذا قال ، وهو كلام معروف من خارج لكنه لا يوضح اللفظ الوارد ، وضبط بعضهم قول « فثلاثة لولدك » بتشديد اللام بصيغة الأمر من التثنية وهو أقرب .

قوله (قال هشام) هو ابن عروة راوى الخبر ، وهو متصل بالإسناد المذكور .

قوله (وكان بعض ولد عبد الله) أي ابن الزبير (قد وازى) بالزاي أي ساوى ، وفيه استعمال وازى بالواو خلافاً للجوهري فإنه قال يقال آزى بالهمز ولا يقال وازى والمراد أنه ساواهم في السن . قال ابن بطال يحتمل أنه ساوى بنو عبد الله في أنصبتهم من الوصية أولاد الزبير في أنصبتهم من الميراث ، قال : وهذا أولى « وإلا لم يكن لذكر كثرة أولاد الزبير معنى . قلت : وفيه نظر لأنه في تلك الحالة لم يظهر مقدار المال الموروث ولا الموصى به ، وأما قوله « لا يكون له معنى » فليس كذلك لأن المراد أنه إنما خص أولاد عبد الله دون غيرهم لأنهم كبروا وتأهلوا حتى ساووا أعمامهم في ذلك ، فجعل لهم نصيباً من المال ليتوفر على أبيهم حصته . وقوله « خبيب » بالمعجمة والموحدين مصغر وهو أكبر ولد عبد الله بن الزبير وبه كان يكنى من لا يريد تعظيمه لأنه كنى في الأول بكنية جده لأمه أبي بكر ، وقوله « خبيب وعباد » بالرفع أي هم خبيب وعباد وغيرهما واقتصر عليهما كالمثال وإلا ففي أولاده أيضاً من ساوى بعض ولد الزبير في السن ، ويجوز جره على أنه بيان للبعض وقوله « وله » أي للزبير وأغرب الكرماني فجعله ضميراً لعبد الله فلا يغير به : وقوله « تسعة بنين وتسع بنات » فأما أولاد عبد الله إذ ذاك فهم خبيب وعباد وقد ذكرا ، وهاشم وثابت ، وأما سائر ولده فولدوا بعد ذلك ، وأما أولاد الزبير فالتسعة المذكور هم عبد الله وعروة والمنذر أمهم أسماء بنت أبي بكر ، وعمر وخالد أمهما أم خالد بنت خالد بن سعيد ، ومصعب وحزرة أمهما الرباب بنت أنيف ، وعبيدة وجعفر أمهما زينب بنت بشر ، وسائر ولد الزبير غير هؤلاء ماتوا قبله والتسع الإناث هن خديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة أمهن أسماء بنت أبي بكر ، وحبيبة وسودة وهند أمهن أم خالد ، ورملة أمها الرباب ، وحفصة أمها زينب ، وزينب أمها أم كلثوم بنت عقبة .

قوله (ألا أرضين منها الغابة) كذا فيه ، وصوابه « منهما » بالتثنية . والغابة بالغين المعجمة والموحدة الخفيفة أرض عظيمة شهيرة من عوالى المدينة .

قوله (وداراً بمصر) استدل به على أن مصر فتحت صلحاً ، وفيه نظر لأنه لا يلزم من قولنا فتحت عنوة امتناع بناء أحد الغامنين ولا غيرهم فيها .

قوله (لا ولكنه سلف) أى ما كان يقبض من أحد وديعة إلا إن رضى صاحبها أن يجعلها فى ذمته ، وكان غرضه بذلك أنه كان يخشى على المال أن يضيع فيظن به التقصير فى حفظه فرأى أن يجعله مضموناً فيكون أوثق لصاحب المال وأبقى لمروءته . زاد ابن بطلال : وليطيب له ربح ذلك المال . قلت : وروى الزبير بن بكار من طريق هشام بن عروة أن كلا من عثمان وعبد الرحمن بن عرف ومطيع بن الأسود وأبى العاص بن الربيع وعبد الله بن مسعود والمقداد بن عمرو أوصى إلى الزبير بن العوام .

قوله (وماولى خراجاً قط الخ) أى أن كثرة ماله ما حصلت من هذه الجهات المقتضية لظن سوء بأصحابها . بل كان كسبه من الغنيمة ونحوها . وقد روى الزبير بن بكار بإسناده أن الزبير كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، وروى يعقوب بن سفيان مثله من وجه آخر .

قوله (قال عبد الله بن الزبير) هو متصل بالإسناد المذكور . وقوله (فحسبت) بفتح السين المهملة من الحساب .

قوله (فلقى حكيم بن حزام) بالرفع على الفاعلية ، وعبد الله بالنصب على المفعولية . قال ابن بطلال : إنما قال له مائة ألف وكنم الباقي لثلاثي استعظم حكيم ما استدان به الزبير فيظن به عدم الحزم وبعبد الله عدم الوفاء بذلك فينظر إليه بعين الاحتياج إليه ، فلما استعظم حكيم أمر مائة ألف احتاج عبد الله أن يذكر له الجميع ويعرفه أنه قادر على وفائه ، وكان حكيم بن حزام ابن عم الزبير بن العوام قال ابن بطلال : ليس فى قوله مائة ألف وكنمائه الزائد كذب ، لأنه أخبر ببعض ما عليه وهو صادق قلت : لكن من يعتبر مفهرم العدد يراه إخباراً بغير الواقع ، ولهذا قال ابن التين فى قوله « فإن عجزتم عن شيء فاستعينوا بى » مع قوله فى الأول ما أراكم تطيقون هذا « بعض التجوز ، وكذا فى كتمان عبد الله بن الزبير ما كان على أبيه ، وقد روى يعقوب بن سفيان من طريق عبد الله بن المبارك أن حكيم بن حزام بذل لعبد الله بن الزبير مائة ألف إعانة له على وفاء دين أبيه فامتنع ، فبذل له مائتي ألف فامتنع إلى أربعمائة ألف ثم قال : لم أرد منك هذا ، ولكن تنطلق معى إلى عبد الله بن جعفر . فانطلق معه وبعبد الله بن عمر يستشفع بهم عليه ، فلما دخلوا عليه ، قال : أجئت بهؤلاء تستشفع بهم على ؟ هى لك . قال : لا أريد ذلك . قال فأعطني بها نعليك هاتين أو نحوها ، قال : لا أريد . قال فهى عليك إلى يرم القيامة ؟ قال : لا . قال : فحكمتك . قال : أعطيك بها أرضاً . فقال نعم . فأعطاه . قال فرغب معاوية فيها فاشتراها منه بأكثر من ذلك .

قوله (وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبد الله) أى ابن الزبير (بألف ألف وستمائة ألف) كأنه قسمها ستة عشر سهماً لأنه قال بعد ذلك لمعاوية إنها قومت كل سهم بمائة ألف .

قوله (فأتاه عبد الله بن جعفر) أى ابن أبى طالب .

قوله (وقال عبد الله) أى ابن الزبير .

قوله (فباع منها) أى من الغابة والدور لا من الغابة وحدها لأنه تقدم أن الدين ألف ألف ومائتا ألف وأنه باع الغابة بألف ألف وستمائة ألف ، وقد جاء من وجه آخر أنه باع نصيب الزبير من الغابة

لعبد الله بن جعفر في دينه ، فذكر الزبير بن بكار في ترجمة حكيم بن حزام عن عمه مصعب بن عبد الله ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال « سمعت أبي يقول : قال عبد الله بن الزبير قتل أبي وترك ديناً كثيراً ، فأثبت حكيم بن حزام أستعين برأيه وأستشير به فذكر قصة وفيها : فقال ابن أخي ذكرت دين أبيك فإن كان ترك مائة ألف فنصفها على ، قلت أكثر من ذلك ، إلى أن قال : الله أنت ! كم ترك أبوك ؟ قال فذكرت له أنه ترك ألفي ألف قال : ما أراد أبوك إلا أن يدعنا عالة . قلت فإنه ترك وفاء وإنما جئت أستشيرك فيها بسبعائة ألف لعبد الله بن جعفر وله شرك في الغابة ، فقال : اذهب فقاسمه فإن سألك البيع قبل القسمة فلا تبعه ثم أعرض عليه فإن رغب فبعه ، قال فجئت فجعل أمر القسمة إلى فقسمتها وقلت : اشتر مني إن شئت ، فقال : قد كان لي دين وقد أخذتها منك به ، قال قلت : هي لك ، فبعث معاوية فاشتراها كلها منه بألفي ألف . ويمكن الجمع بإطلاق الكل على المعظم ، فقد تقدم أنه كان بقي منها بغير بيع أربعة أسهم ونصف بأربعمائة ألف وخمسين ألفاً فيكون الحاصل من ثمنها إذ ذاك ألف ألف ومائة ألف وخمسين ألفاً خاصة فيبقى من الدين ألف ألف وخمسون ألفاً ، وكأنه باع بها شيئاً من الدور ، وقد وقع عند أبي نعيم في « المستخرج » من طريق علي بن مسهر عن هشام بن عروة قال « توفي الزبير وترك عليه من الدين ألفي ألف فضمنها عبد الله بن الزبير فأداها ، ولم تقع في التركة داره التي بمكة ولا التي بالكوفة ولا التي بمصر » هكذا أورده مختصراً » فأفاد أنه كان له دار بمكة ولم يقع ذكرها في الحديث الطويل ويستفاد منه ما أولته ، لأنه تقدم أنه كان له إحدى عشرة داراً بالمدينة وداران بالبصرة غير ما ذكر وروى أبو العباس السراج في تاريخه « حدثنا أحمد بن أبي السفر حدثنا أبو أسامة بسنده المذكور قال : لما قدم - يعني عبد الله بن الزبير مكة فاستقر عنده أي ثبت قتل الزبير نظر فيما عليه من الدين فجاءه عبد الله بن جعفر فقال : إنه كان لي على أخي شيء ولا أحسبه ترك به وفاء أفتحب أن أجعله في حل ؟ فقال له ابن الزبير : وكم هو ؟ قال : أربعمائة ألف قال : فإنه ترك بها وفاء بحمد الله . »

قوله (فقدم على معاوية) أي في خلافته ، وهذا فيه نظر لأنه ذكر أنه آخر القسمة أربع سنين استبراء للدين كما سيأتي فيكون آخر الأربع سنة أربعين وذلك قبل أن يجتمع الناس على معاوية ، فلعل هذا القدر من الغابة كان ابن الزبير أخذه من حصته أو من نصيب أولاده ، ويؤيده أن في سياق القصة ما يؤخذ منه أن هذا القدر دار بينهم بعد وفاء الدين ، ولا يمنع قوله بعد ذلك « فلما فرغ عبد الله من قضاء الدين » لأنه يحمل على أن قصة وفادته على معاوية كانت بعد وفاء الدين ، وما اتصل به من تأخر القسمة بين الورثة لاستبراء بقية من له دين ، ثم وفد بعد ذلك ، وبهذا يندفع الإشكال المتقدم وتكون وفادته على معاوية في خلافته جزماً والله أعلم .

قوله (وقال ابن زمة) هو عبد الله (قد أخذت سهماً مائة ألف) هو بنصب مائة على نزع الحافض قوله (فباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية) أي بعد ذلك (بستائة ألف) أي فربح مائتي ألف . قوله (وكان للزبير أربع نسوة) أي مات عنهن ، وهن أم خالد والرباب وزينب المذكورات

قبل ، وعاتكة بنت زيد أخت سعيد بن زيد أحد العشرة ، وأما أسماء وأم كلثوم فكانا طلقهما ، وقيل أعاد أسماء وطلق عاتكة فقتل وهي في عدتها منه فصولحت كما سيأتي .

قوله (ورفع الثلث) أى الموصى به .

قوله (فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف) هذا يقتضى أن الثمن كان أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف .

قوله (فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف) فى رواية أبى نعيم من طريق أبى مسعود الراوى عن أبى أسامة أن ميراث الزبير قسم على خمسين ألف ألف ومائتى ألف ونيف ، زاد على رواية إسحق ونيف ، وفيه نظر لأنه إذا كان لكل زوجة ألف ألف ومائتا ألف فنصيب الأربع أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وهذا هو الثمن ، ويرتفع من ضربه فى ثمانية وثلاثون ألف ألف وأربعمائة ألف وهذا القدر هو الثلثان ، فإذا ضم إليه الثلث الموصى به وهو قدر نصف الثلثين وجملته تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف كان جملة ماله على هذا سبعة وخمسين ألف ألف وستمائة ألف . وقد نبه على ذلك قديماً ابن بطال ولم يجب عنه ، لكنه وهم فقال : وتسعمائة ألف . وتعقبه ابن المنير فقال : الصواب وتسعمائة ألف ، وهو كما قال ابن التين : نقص عن التحرير سبعة آلاف ألف وأربعمائة ألف يعنى خارجاً عن قدر الدين ، وهو كما قال ، وهذا تفاوت شديد فى الحساب . وقد ساق البلاذرى فى تاريخه هذا الحديث عن الحسين بن على بن الأسود عن أبى أسامة بسنده فقال فيه « وكان للزبير أربع نسوة فأصاب كل امرأة من ثمن عقاراته ألف ألف ومائة ألف ، وكان الثمن أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف ، وكان ثلثا المال الذى اقتسمه الورثة خمسة وثلاثين ألف ألف ومائتى ألف ، وكذلك أخرجه ابن سعد عن أبى أسامة ، فعلى هذا إذا انضم إليه نصفه وهو سبعة عشر ألف ألف وستمائة ألف كان جميع المال اثنين وخمسين ألف ألف وثمانمائة ألف فيزيد عما وقع فى الحديث ألفى ألف وستمائة ألف وهو أقرب من الأول فلعل المراد أن القدر المذكور وهو أن لكل زوجة ألف ألف ومائة ألف كان لو قسم المال كله بغير وفاء الدين لكن خرج الدين من حصة كل أحد منهم فيكون الذى يورث ماعدا ذلك ، وبهذا التقرير يخف الوهم فى الحساب ويبقى التفاوت أربعمائة ألف فقط . لكن روى ابن سعد بسند آخر ضعيف عن هشام بن عروة عن أبيه أن تركه الزبير بلغت أحداً أو اثنين وخمسين ألف ألف وهذا أقرب من الأول ، لكنه أيضاً لا تحرير فيه ، وكأن القوم أتوا من عدم إلقاء البال لتحرير الحساب . إذ الغرض فيه ذكر الكثرة التى نشأت عن البركة فى تركه الزبير إذ خلف ديناً كثيراً ولم يخلف إلا العتار المذكور ، ومع ذلك فبرك فيه حتى تحصل منه هذا المال العظيم . وقد جرت للعرب عادة بإلغاء الكسور تارة وجبرها أخرى فهذا من ذاك ، وقد وقع إلغاء الكسور فى هذه القصة فى عدة روايات بصيغ مختلفة ، فى رواية على بن مسهر عن هشام عن أبى نعيم « بلغ ثمن نساء الزبير ألف ألف ، وترك عليه من الدين ألفى ألف » وفى رواية عثام بن على عن هشام عن يعقوب بن سفيان « أن الزبير قال لابنه : أنظر ديني وهو ألف ألف ومائتا ألف » وفى رواية أبى معاوية عن هشام أن قيمة ما تركه الزبير كان خمسين ألف ألف وفى رواية السراج أن جملة ما حصل من عقاره نيف وأربعون ألف ألف ، وعند

ابن سعد من حديث ابن عيينة أن ميراثه قسم على أربعين ألف ألف ، وهكذا أخرجه الحميدى فى النوادر عن سفيان عن هشام بن عروة ، وفى المجالسة للدينورى من طريق محمد بن عبيد عن أبى أسامة أن الزبير ترك من العروض قيمة خمسين ألف ألف ، والذي يظهر أن الرواة لم يقصدوا إلى التحرير البالغ فى ذلك كما تقدم ، وقد حكى عياض عن ابن سعد ماتقدم ثم قال : فعلى هذا يصح قوله إن جميع المال خمسون ألف ألف ويبقى الوهم فى قوله ومائتا ألف ، قال فإن الصواب أن يقول مائة ألف واحدة ، قال وعلى هذا فقد وقع فى الأصل الوهم فى لفظ مائتا ألف حيث وقع فى نصيب الزوجات ، وفى الجملة فإنما الصواب مائة ألف واحدة حيث وقع فى الموضعين . قلت : وهو غلط فاحش يتعجب من وقوع مثله فيه مع تيقظه للوهم الذى فى الأصل وتفرغ باله للجمع والقسمة ، وذلك أن نصيب كل زوجة إذا كان الف الف ومائة ألف لا يصح معه أن يكون جميع المال خمسين ألف ألف ومائة ألف ، بل إنما يصح أن يكون جميع المال خمسين ألف ألف ومائة ألف إذا كان نصيب كل زوجة ألف ألف وثلاثة وأربعين ألفاً وسبعائة وخمسين على التحرير ، وقرأت بخط القطب الحلبي عن الدمياطى أن الوهم إنما وقع فى رواية أبى أسامة عند البخارى فى قوله فى نصيب كل زوجة إنه ألف ألف ومائتا ألف وأن الصواب أنه ألف ألف سواء بغير كسر ، وإذا اختص الوهم بهذه اللفظة وحدها خرج بقية مافيه على الصحة لأنه يقتضى أن يكون الثمن أربعة آلاف ألف فيكون ثمناً من أصل اثنين وثلاثين ، وإذا انضم إليه الثلث صار ثمانية وأربعين ، وإذا انضم إليها الدين صار الجميع خمسين ألف ألف ومائتى ألف ، فلعل بعض رواته لما وقع له ذكر مائتا ألف عند الجملة ذكرها عند نصيب كل زوجة سهواً ، وهذا توجيه حسن ، ويؤيده ما روى أبو نعيم فى « المعرفة » من طريق أبى معشر عن هشام عن أبيه قال « ورثت كل امرأة للزبير ربع الثمن ألف ألف درهم » وقد وجهه الدمياطى أيضاً بأحسن منه فقال ما حاصله : أن قوله فجميع مال الزبير خمسون ألف ألف ومائتا ألف صحيح والمراد به قيمة ما خلفه عند موته ، وأن الزائد على ذلك وهو تسعة آلاف وستمائة ألف بمقتضى ما يحصل من ضرب ألف ألف ومائتى ألف وهو ربع الثمن فى ثمانية مع ضم الثلث كما تقدم ثم قدر الدين حتى يرتفع من الجميع تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف حصل هذا الزائد من نماء العقار والأراضى فى المدة التى آخر فيها عبد الله بن الزبير قسم التركة استبراء للدين كما تقدم ، وهذا التوجيه فى غاية الحسن لعدم تكلفه وتبقيته الرواية الصحيحة على وجهها ، وقد تلقاه الكرماني فذكر ملخصاً ولم ينسبه لقائله ولعله من توارد الخواطر والله أعلم . وأما ما ذكره الزبير بن بكار فى النسب فى ترجمة عاتكة وأخرجه الحاكم فى « المستدرک » أن عبد الله بن الزبير صالح عاتكة بنت زيد عن نصيبها من الثمن على ثمانين ألفاً فقد استشكله الدمياطى وقال : بينه وبين ما فى الصحيح بون بعيد ، والعجب من الزبير كيف ماتصدى لتحرير ذلك . قلت : ويمكن الجمع بأن يكون القدر الذى صولحت به قدر ثلثي العشر من استحقاقها وكان ذلك برضاها ، ورد عبد الله بن الزبير بقية استحقاقها على من صالحها له ، ولا ينافى ذلك أصل الجملة ، وأما ما أخرجه الواقدي عن أبى بكر ابن أبى سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قيمة ما ترك الزبير أحد وخمسون ألف ألف فلا يعارض ما تقدم لعدم تحريره ، وقال ابن عيينة قسم مال الزبير على أربعين ألف ألف أخرجه ابن سعد ، وهو محمول على إلغاء الكسر . وفى هذا الحديث من الفوائد ندب الوصية عند حضور أمر يخشى منه الفتور ، وأن

لرصى تأخير قسمة الميراث حتى توفي ديون الميت وتنفذ وصاياه إن كان له ثلث ، وأن له أن يستبرئ أمر الديون وأصحابها قبل القسمة ، وأن يؤخرها بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده ، ولا يخفى أن ذلك يتوقف على إجازة الورثة وإلا فن طلب القسمة بعد وفاء الدين الذي وقع العلم به وصمم عايباً أجيب إليها ولم يتربص به انتظار شيء متوهم ، فإذا ثبت بعد ذلك شيء استعبد منه ، وبهذا يتبين ضعف من استدل بهذه القصة لمالك حيث قال : أن أجل المفقود أربع سنين ، والذي يظهر أن ابن الزبير إنما اختار التأخير أربع سنين لأن المدين الواسعة التي يؤتى الحجاز من جهتها إذ ذاك كانت أربعاً : اليمن والعراق والشام ومصر ، فبنى على أن كل قطر لا يتأخر أهله في الغالب عن الحج أكثر من ثلاثة أعوام فيحسن استيعابهم في مدة الأربع ، ومنهم في طول المدة يبلغ الخبر من وراءهم من الأقطار . وقيل لأن الأربع هي الغاية في الأحاد بحسب ما يمكن أن يتركب منه العشرات لأن فيها واحداً واثنين وثلاثة وأربعة ومجموع ذلك عشرة ، واختار الموسم لأنه مجمع الناس من الآفاق ، وفيه جواز التربص بوفاء الدين إذا لم تكن التركة نقداً ولم يختار صاحب الدين إلا النقد ، وفيه جواز الوصية للأحفاد إذا كان من يحجبهم من الآباء موجوداً ، وفيه أن الاستدانة لا تكره لمن كان قادر على الوفاء ، وفيه جواز شراء الوارث من التركة ، وأن الهبة لا تملك إلا بالقبض ، وأن ذلك لا يخرج المال عن ملك الأول لأن ابن جعفر عرض على ابن الزبير أن يحللهم من دينه الذي كان على الزبير فامتنع ابن الزبير . وفيه بيان جود ابن جعفر لسماحته بهذا المال العظيم ، وأن من عرض على شخص أن يهبه شيئاً فامتنع أن الواهب لا يعد راجعاً في هبته ، وأما امتناع ابن الزبير فهو محمول على أن بقية الورثة وافقوه على ذلك وعلم أن غير البالغين ينفذون له ذلك إذا بلغوا ، وأجاب ابن بطلان بأن هذا ليس من الأمر المحكوم به عند التشاح ، وإنما يؤمر به في شرف النفس ومحاسن الأخلاق اه . والذي يظهر أن ابن الزبير تحمل بالدين كله على ذمته والتزم وفاءه ورضى الباقيون بذلك كما تقدمت الإشارة إليه قريباً ، لأنهم لو لم يرضوا لم يقدم ترك بعض أصحاب الدين دينه لنقص الموجود في تلك الحالة عن الوفاء لظهور قلته وعظم كثرة الدين ، وفيه مبالغة الزبير في الإحسان لأصدقائه لأنه رضى أن يخفف لهم ودائعهم في غيبتهم ، ويقوم بوصاياهم على أولادهم بعد موتهم ، ولم يكتف بذلك حتى احتاط لأموالهم وديعة أو وصية بأن كان يتوصل إلى تصييرها في ذمته مع عدم احتياجه إليها غالباً ، وإنما ينقلها من اليد للذمة مبالغة في حفظها لهم . وفي قول ابن بطلان المتقدم كان يفعل ذلك « ليطيب له ربح ذلك المال » نظراً لأنه يتوقف على ثبوت أنه كان يتصرف فيه بالتجارة وأن كثرة ماله إنما زادت بالتجارة ، والذي يظهر خلاف ذلك ، لأنه لو كان كذلك لكان الذي خلفه حال موته يفي بالدين ويزيد عليه ، والواقع أنه كان دون الديون بكثير إلا أن الله تعالى بارك فيه بأن أتى في قلب من أراد شراء العقار الذي خلفه الرغبة في شرائه حتى زاد على قيمته أضعافاً مضاعفة ، ثم سرت تلك البركة إلى عبد الله بن جعفر لما ظهر منه في هذه القصة من مكارم الأخلاق حتى ربح في نصيبه من الأرض ما أربحه معاوية . وفيه أن لا كراهة في الاستكثار من الزوجات والخدم . وقال ابن الجوزي : فيه رد على من كره جمع الأموال الكثيرة من جهلة المتزهدين ، وتعقب بأن هذا الكلام لا يناسب مقامه من حيث كونه لهجاً بالوعظ ، فإن من شأن الواعظ التحريض على الزهد في الدنيا والتقليل منها ، وكون مثل هذا لا يكره للزبير وأنظاره لا يطرده . وفيه بركة العقار والأرض لما فيه من النفع العاجل والآجل بغير كثير

تعب ولا دخول في مكروه كاللغو الواقع في البيع والشراء ، وفيه إطلاق اللفظ المشترك لمن يظن به معرفة المراد ، والاستفهام لمن لم يتبين له ، لأن الزبير قال لابنه « استعن عليه مولاي » والمولى لفظ مشترك فجوز ابن الزبير أن يكون أراد بعض عتقائه مثلاً فاستفهمه فعرف حينئذ مراده ، وفيه منزلة الزبير عند نفسه ، وأنه في تلك الحالة كان في غاية الوثوق بالله والإقبال عليه والرضا بحكمه والاستعانة به ، ودل ذلك على أنه كان في نفسه محققاً مصيباً في القتال ولذلك قال « إن أكبر همه دينه » ولو كان يعتقد أنه غير مصيب أو أنه آثم باجتهاده ذلك لكان اهتمامه بما هو فيه من أمر القتال أشد ، ويحتمل أن يكون اعتمد على أن المجتهد يؤجر على اجتهاده ولو أخطأ . وفيه شدة أمر الدين ، لأن مثل الزبير مع ما سبق له من السوابق وثبت له من المناقب رهب من وجوه مطالبة من له في جهته حق بعد الموت . وفيه استعمال التجوز في كثير من الكلام كما تقدم ، وقد وقع ذلك أيضاً في قوله « أربع سنين في المواسم » لأنه إن عد موسم سنة ست وثلاثين فلم يؤخر ذلك إلا ثلاث سنين ونصفاً ، وإن لم يعده فقد أخر ذلك أربع سنين ونصفاً ، ففيه إلغاء الكسر أو جبره . وفيه قوة نفس عبد الله بن الزبير لعدم قبله ما سأله حكيم بن حزام من المعاونة ، وما سأله عبد الله بن جعفر من المحالة .

باب إذا بعث الإمام رسولا في حاجة ، أو أمره بالمقام ، هل يسهم له ؟

٣٠٢٦ - حدثنا موسى قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا عثمان بن موهب عن ابن عمر قال : إنما تغيب عثمان عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه ، وكانت مريضة ، فقال له النبي صلى الله عليه : « إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه » .

[الحديث ٣١٣٠ - أطرافه في : ٣٦٩٨ ، ٣٧٠٤ ، ٤٠٦٦ ، ٤٥١٣ ، ٤٥١٤ ، ٤٦٥٠ ، ٤٦٥١ ، ٧٠٩٥ .]

قوله (باب إذا بعث الإمام رسولا في حاجة ، أو أمره بالمقام) أي بيلده (هل يسهم له) أي مع الغانمين أم لا ؟

قوله (حدثنا موسى) هو ابن إسماعيل ، وقوله عثمان بن موهب بوزن جعفر ، قال أبو علي الجبائي : وقع في نسخة أبي محمد عن أبي أحمد - يعني الأصبلي - عن الجرجاني عمرو بن عبد الله وهو غلط وذكر الحديث عن ابن عمر مختصراً في قصة تحلف عثمان عن بدر ، وسيأتي مطولاً بهذا الإسناد على الصواب في مناقب عثمان ، وقد تقدم بيان الاختلاف في هذه المسألة في « باب الغنيمة لمن شهد الواقعة »

باب

قال : ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين ما سأل هوازن النبي صلى الله عليه - برضاعه فيهم - فتحلل من المسلمين ، وما كان النبي صلى الله عليه يعد الناس أن يعطيهم من الفبيء والأنفال من الخمس ، وما أعطى الأنصار ، وما أعطى جابر بن عبد الله تمر خبير .

[٣١٣١] ٣٠٢٧ - حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثني الليث قال حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: وزعم عروة أن مروان بن الحكم والمصور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله صلى الله عليه قال حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه: «أحب الحديث إلي أصدقاه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال، وقد كنت استأنيت بهم» - وقد كان رسول الله صلى الله عليه انتظر آخرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف - فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: فإننا نختار سبينا، فقام رسول الله صلى الله عليه في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين، وإنني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، من أحب أن يطيب فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل». فقال الناس: قد طيبنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه: «إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم»، فرجع الناس فكلّمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا. فهذا الذي بلغنا عن سبي هوازن.

[٣١٣٣] ٣٠٢٨ - حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال حدثنا حماد عن أيوب عن أبي قلابة. قال وحدثني القاسم بن عاصم الكلبي - وأنا لحديث القاسم بن عاصم أحفظ - عن زهدم قال: كنا عند أبي موسى فأتى ذكر دجاجة وعنده رجل من بني تميم الله أحمر كأنه من الموالي، فدعاه للطعام فقال: إنني رأيته يأكل شيئا فقد رثته فحلفت أن لا آكل. فقال: هلم فأحدثكم: إنني أتيت رسول الله صلى الله عليه في نفر من الأشعرين نستحم له، فقال: «والله لا أحملكم، وما عندي ما أحملكم». وأتى رسول الله صلى الله عليه بنهب إبل فسأل عنا فقال: «أين النفر الأشعريون؟» فأمر لنا بخمس ذود غر الذرى، فلما انطلقنا قلنا: ما صنعنا؟ لا يبارك لنا. فرجعنا إليه فقلنا: إننا سألناك أن تحملنا، فحلفت أن لا تحملنا، أفنسيك؟ قال: «لست أنا حملتكم، ولكن الله حملكم، وإنني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وتحملتها».

[الحديث ٣١٣٣ - أطرافه في: ٤٣٨٥، ٤٤١٥، ٥٥١٧، ٥٥١٨، ٦٦٤٩، ٦٦٧٨، ٦٦٨٠، ٦٧١٨، ٦٧١٩،

[٣١٣٤] ٣٠٢٩ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه بعث سرية فيها عبد الله بن عمر قبل نجد فغنموا إبلاً كثيراً، فكانت سهامهم اثنا عشر بعيراً أو أحد عشر بعيراً ونقلوا بعيراً بعيراً.

[الحديث ٣١٣٤ - طرفه في: ٤٣٣٨].

[٣١٣٥] ٣٠٣٠ - حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه كان ينتفل بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش.

[٣١٣٦] ٣٠٣١ - حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا أبو أسامة قال حدثنا بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه - أنا وأخوان لي أنا أصغرهم: أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم - إنا قال: في بضع، وإنا قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحشة، ووافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله صلى الله عليه بعثنا هنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا. فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي صلى الله عليه حين افتتح خيبر، فأسهم لنا - أو قال: فأعطانا - منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً، إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم.

[الحديث ٣١٣٦ - أطرافه في: ٣٨٧٦، ٤٢٣٠، ٤٢٢٣].

[٣١٣٧] ٣٠٣٢ - حدثنا علي قال حدثنا سفيان قال حدثنا ابن المنكدر سمع جابر بن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه: «لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا». فلم يجر حتى قبض. فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر منادياً فنادى: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه دين أو عدة فليأتنا فأتيت فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه قال لي كذا وكذا. فحثا لي ثلاثاً. وجعل سفيان يحشو بكفيه جميعاً، ثم قال لنا: هكذا قال لنا ابن المنكدر. وقال مرة: فأتيت أبا بكر فسألته فلم يعطني ثم أتيت فلم يعطني، ثم أتيت الثالثة فقلت: سألتك فلم تعطني، ثم سألتك فلم تعطني، فإما أن تعطني وإما أن تبخل عني. قال: قلت: تبخل عني، ما

منعتك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك ، قال سفيان : حدثنا عمرو عن محمد بن علي عن جابر فحثا لي حثية وقال : عُدّها ، فوجدتها خمسمائة قال : فخذ مثليها مرتين ، وقال - يعني ابن المنكدر - : وأي داء أدوا من البخل .

[٣١٣٨] ٣٠٣٣ - حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا قرّة بن خالد قال حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنيمة بالجعرانة إذ قال له رجل : اعدل . فقال : « لقد شقيت إن لم أعدل » .

قوله (باب) بالتونين (ومن الدليل) هو عطف على الترجمة التي قبل ثمانية أبواب حيث قال « الدليل على أن الخمس لنواب رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال هنا « لنواب المسلمين » ، وقال بعد باب « ومن الدليل على أن الخمس للإمام » والجمع بين هذه التراجم أن الخمس لنواب المسلمين وإلى النبي صلى الله عليه وسلم مع تولى قسمته أن يأخذ منه ما يحتاج إليه بقدر كفايته ، والحكم بعده كذلك يتولى الإمام ما كان يتولاه ، هذا محصل ما ترجم به المصنف ، وقد تقدم توجيهه وتبيين الاختلاف فيه ، وجوز الكرمانى أن تكون كل ترجمة على وفق مذهب من المذاهب ، وفيه بعد ، لأن أحداً لم يقل أن الخمس للمسلمين دون النبي صلى الله عليه وسلم ودون الإمام ولا للنبي صلى الله عليه وسلم دون المسلمين وكذا للإمام ، فالتوجيه الأول هو اللائق ، وقد أشار الكرمانى أيضاً إلى طريق الجمع بينها فقال : لا تفاوت من حيث المعنى إذ نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم نواب المسلمين والتصرف فيه له وللإمام بعده . قلت : والأولى أن يقال : ظاهر لفظ التراجم التخالف ، ويرتفع بالنظر في المعنى إلى التوافق ، وحاصل مذاهب العلماء أكثر من ثلاثة : أحدها قول أئمة المخالفة الخمس يؤخذ من سهم الله ثم يقسم الباقي خمسة كما في الآية . الثاني : عن ابن عباس خمس الخمس لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم وأربعة للمذكورين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد سهم الله ورسوله لذوى القربى ولا يأخذ لنفسه شيئاً . الثالث قول زين العابدين : الخمس كله لذوى القربى ، والمراد باليتامى يتامى ذوى القربى وكذلك المساكين وابن السبيل ، أخرجه ابن جرير عنه ، لكن السند إليه واه . الرابع هو للنبي صلى الله عليه وسلم فخمسه لخاصته وباقيه لتصرفه . الخامس هو للإمام ويتصرف فيه بالمصلحة كما يتصرف في الشيء . السادس يرصد لمصالح المسلمين . السابع يكون بعد النبي صلى الله عليه وسلم لذوى القربى ومن ذكر بعدهم في الآية .

قوله (ما سأل هوازن النبي صلى الله عليه وسلم برضاعه فيهم فتحلل من المسلمين) هوازن فاعل والمراد القبيلة وأطلقها على بعضهم مجازاً ، والنبي بالنصب على المفعولية ، وقوله « برضاعه » أى بسبب رضاعه ، لأن حليلة السعدية مرضعته كانت منهم ، وقد ذكر قصة سؤال هوازن من طريق المسور بن مخرمة ومروان موصولة ، ولكن ليس فيها تعرض لذكر الرضاع ، وإنما وقع ذلك فيما أخرجه ابن إسحق في المغازى من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فذكر القصة مطولة وفيها شعر زهير بن صرد حيث قال فيه :

امن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها الدرر
وسياتى بيان ما فى سياقه من فائدة زائدة عند الكلام على حديث المسور فى المغازى إن شاء الله تعالى.
وتقدم شرح بعض ألفاظه فى أواخر العتق .

قوله (وما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعد الناس أن يعطيهم من الفىء والأنفال من الخمس
وما أعطى الأنصار وما أعطى جابر بن عبد الله من تمر خيبر) أما حديث الوعد من الفىء فيظهر من سياق
حديث جابر ، وأما حديث الأنفال من الخمس فمذكور فى الباب من حديث ابن عمر ، وأما حديث إعطاء
الأنصار فتقدم من حديث أنس قريباً ، وأما حديث إعطاء جابر من تمر خيبر فهو فى حديث أخرجه أبو
داود ، وظهر من سياقه أن حديث جابر الذى ترجم به المصنف للباب طرف منه . ثم ذكر المصنف فى
الباب سبعة أحاديث : الأول حديث المسور وقد نبهت عليه وتقدم بعضه بهذا الإسناد بعينه فى الوكالة . الثانى
حديث أبى موسى الأشعرى .

قوله (قال وحدثني القاسم بن عاصم الكليني) بموحدة مصغر ، والقائل ذلك هو أيرب ، بين ذلك
عبد الوهاب الثقفى عن أيوب كما سياتى فى الإيمان والنذور .

قوله (فأتى ذكر دجاجة) كذا لأبى ذر « فأتى » بصيغة الفعل الماضى من الإتيان و « ذكر » بكسر
الذال وسكون الكاف و « دجاجة » بالجر والتنوين على الإضافة وكذا للنسفى ، وفى رواية الأصيل « فأتى »
بضم الهمزة على البناء لما لم يسم فاعله و « ذكر » بفتحيتين و « دجاجة » بالنصب والتنوين على المفعولية ،
كأن الراوى لم يستحضر اللفظ كله وحفظ منه لفظ دجاجة ، قال عياض : وهذا أشبه لقوله فى الطريق
الأخرى « فأتى بلحم دجاج » ولقوله فى حديث الباب « فدعاه للطعام » أى الذى فى الدجاجة ، وسياتى فى
النذور بلفظ « فأتى بطعام فيه دجاج » وهو المراد .

قوله (وعنده رجل من بنى تيم الله) هو نسبة إلى بطن من بنى بكر بن عبد مناة وسياتى الكلام على
شرحه مستوفى فى الإيمان والنذور ، وأبين هناك ما قيل فى اسمه ومناسبته للترجمة من جهة أنهم سألوه فلم يجد
ما يحملهم عليه ، ثم حضر شىء من الغنائم فحملهم منها ، وهو محمول على أنه حملهم على ما يختص بالخمسة ،
وإذا كان له التصرف بالتنجيز من غير تعليق فكذا له التصرف بتنجير معلق . الثالث حديث ابن عمر .
قوله (بعث سرية) ذكرها المصنف فى المغازى بعد غزوة الطائف ، وسياتى بيان ذلك فى مكانه .

قوله (قبل نجد) بكسر القاف وفتح الموحدة أى جهتها .

قوله (فغنموا إبلا كثيرة) فى رواية عند مسلم « فأصبنا إبلا وغنما » .

قوله (فكانت سهمانهم) أى أنصباؤهم ، والمراد أنه بلغ نصيب كل واحد منهم هذا القدر ، وتوهم
بعضهم أن ذلك جميع الأنصباء قال النووى وهو غلط .

قوله (انى عشر بعيراً أو أحد عشر بعيراً) وهكذا رواه مالك بالشك والاختصار وإيهام الذى
نفلهم ، وقد وقع بيان ذلك فى رواية ابن إسحق عن نافع عند أبى داود ولفظه « فخرجت فيها فأصبنا نعما

كثيراً وأعطانا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان ، ثم قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فقسم بيننا غنيمتنا فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس . وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق شعيب بن أبي حمزة عن نافع ولفظه « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش قبل نجد وأتبعته سرية من الجيش ، وكان سهمان الجيش اثني عشر بعيراً اثني عشر بعيراً ، ونفل أهل السرية بعيراً بعيراً ، فكانت سهمانهم ثلاثة عشر بعيراً ثلاثة عشر بعيراً » . وأخرجه ابن عبد البر من هذا الوجه وقال في روايته « إن ذلك الجيش كان أربعة آلاف » قال ابن عبد البر : اتفق جماعة رواة الموطأ على روايته بالشك ، إلا الوليد بن مسلم فإنه رواه عن شعيب ومالك جميعاً فلم يشك ، وكأنه حمل رواية مالك على رواية شعيب . قلت : وكذا أخرجه أبو داود عن القعنبى عن مالك والليث بغير شك ، فكانه أيضاً حمل رواية مالك على رواية الليث . قال ابن عبد البر : وقال سائر أصحاب نافع « اثني عشر بعيراً » بغير شك لم يقع الشك فيه إلا من مالك .

قوله (ونفلوا بعيراً بعيراً) بلفظ الفعل الماضي من غير مسمى ، والنفل زيادة يزادها الغازى على نصيبه من الغنيمة ، ومنه نفل الصلاة وهو ما عدا الفرض . واختلاف الرواة في القسم والتنفل هل كانا جميعاً من أمير ذلك الجيش أو من النبي صلى الله عليه وسلم أو أحدهما من أحدهما ، فرواية ابن إسحق صريحة أن التنفل كان من الأمير والقسم من النبي صلى الله عليه وسلم ، وظاهر رواية الليث عن نافع عند مسلم أن ذلك صدر من أمير الجيش ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان مقررراً لذلك . مجيزاً له لأنه قال فيه « ولم يغيره النبي صلى الله عليه وسلم » وفي رواية عبد الله بن عمر عنده أيضاً « ونفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيراً بعيراً » ، وهذا يمكن أن يحمل على التقرير فتجتمع الروايتان . قال النووي : معناه أن أمير السرية نفلهم فأجازهم النبي صلى الله عليه وسلم فجازت نسبته لكل منهما . وفي الحديث أن الجيش إذا انفرد منه قطعة فغنموا شيئاً كانت الغنيمة للجميع ، قال ابن عبد البر : لا يختلف الفقهاء في ذلك ، أى إذا خرج الجيش جميعه ثم انفردت منه قطعة انتهى . وليس المراد الجيش القاعد في بلاد الإسلام فإنه لا يشارك الجيش الخارج إلى بلاد العدو ، بل قال ابن دقيق العيد : إن الحديث يستدل به على أن المنقطع عن الجيش عن الجيش الذى فيه الإمام ينفرد بما يغنمه ، قال : وإنما قالوا بمشاركة الجيش لهم إذا كانوا قريباً منهم يلحقهم عونهم وغوثهم لو احتاجوا انتهى . وهذا القيد في مذهب مالك . وقال إبراهيم النخعي : للإمام أن ينفل السرية جميع ما غنمته دون بقية الجيش مطلقاً ، وقيل أنه انفرد بذلك . وفيه مشروعية التنفل ، ومعناه تخصيص من له أثر في الحرب بشيء من المال ، لكنه خصه عمرو ابن شعيب بالنبي صلى الله عليه وسلم دون من بعده ، نعم وكره مالك أن يكون بشرط من أمير الجيش كأن يحرض على القتال وبعد بأن ينفل الربع إلى الثلث قبل القسم ، واعتل بأن القتال حينئذ يكون للدنيا ، قال فلا يجوز مثل هذا انتهى . وفي هذا رد على من حكى الإجماع على مشروعيته . وقد اختلف العلماء هل هو من أصل الغنيمة أو من الخمس أو من خمس الخمس أو مما عدا الخمس على أقوال ، واثلاثة الأول مذهب والشافعى والأصح عندهم أنها من خمس الخمس ، ونقله منذر بن سعيد عن مالك وهو شاذ عندهم . قال ابن بطال : وحديث الباب يرد على هذا لأنهم نفوا نصف السدس وهو أكثر من خمس الخمس وهذا واضح ، وقد زاده ابن المنير إيضاحاً فقال : لو فرضنا أنهم كانوا مائة لكان قد حصل لهم ألف ومائتا

بغير ويكون الخمس من الأصل ثلاثمائة بغير وخمسة ستون ، وقد نطق الحديث بأنهم نفلوا بغيراً بغيراً فتكون جملة ما نفلوا مائة بغير ، وإذا كان خمس الخمس ستين لم يف كله بغير بغير لكل من المائة ، وهكذا كيفما فرضت العدد . قال : وقد أجزأ هذا الإلزام بعضهم فادعى أن جميع ما حصل للغنائم كان اثني عشر بغيراً فليل له فيكون خمسها ثلاثة أبعرة فيلزم أن تكون السرية كلها ثلاثة رجال كذا قيل ، قال ابن المنير : وهو سهو على التفريغ المذكور ، بل يلزم يكون أقل من رجل بناء على أن النفل من خمس الخمس . وقال ابن التين : قد انفصل من قال من الشافعية بأن النفل من خمس الخمس بأوجه : منها أن الغنيمة لم تكن كلها أبعرة بل كان فيها أصناف أخرى ، فيكون التنفيل وقع من بعض الأصناف دون بعض ، ثانياً أن يكون نفلهم من سهمه من هذه الغزاة وغيرها فضم هذا إلى هذا فلذلك زادت العدة ، ثالثاً أن يكون نفل بعض الجيش دون بعض . قال : وظاهر السياق يرد هذه الاحتمالات . قال وقد جاء أنهم كانوا عشرة ، وأنهم غنموا مائة وخمسين بغيراً فخرج منها الخمس وهو ثلاثون وقسم عليهم البقية فحصل لكل واحد اثنا عشر بغيراً ثم نفلوا بغيراً بغيراً فعلى هذا فقد نفلوا ثلث الخمس . قلت : إن ثبت هذا لم يكن فيه رد للاحتيال الأخير لأنه يحتمل أن يكون الذين نفلوا ستة من العشرة والله أعلم . قال الأوزاعي وأبو ثور وغيرهم : النفل من أصل الغنيمة . وقال مالك وطائفة لا نفل إلا من الخمس . وقال الخطابي : أكثر ما روى من الأخبار يدل على أن النفل من أصل الغنيمة . والذي يقرب من حديث الباب أنه كان من الخمس لأنه أضاف الإثني عشر إلى سهمانهم ، فكأنه أشار إلى أن ذلك قد تقرر لهم استحقاقه من الأخماس الأربعة الموزعة عليهم فيبقى للنفل من الخمس . قلت : ويؤيده ما رواه مسلم في حديث الباب من طريق الزهري قال « بلغني عن ابن عمر قال : نفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بعثها قبل نجد من إبل جاءوا بها نفلاً سوى نصيبهم من المغنم » لم يسق مسلم لفظه وساقه الطحاوي ويؤيده أيضاً ما رواه مالك عن عبد ربه بن سعيد عن عمرو بن شعيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مالي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس ، وهو مردود عليكم » وصله النسائي من وجه آخر حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وأخرجه أيضاً بإسناد حسن من حديث عبادة ابن الصامت فإنه يدل على أن ما سوى الخمس للمقاتلة . وروى مالك أيضاً عن أبي الزناد أنه سمع سعيد بن المسيب قال « كان الناس يعطفون النفل من الخمس . قلت : وظاهره اتفاق الصحابة على ذلك . وقال ابن عبد البر : إن أراد الإمام تفضيل بعض الجيش لمعنى فيه فذلك من الخمس لا من رأس الغنيمة ، وإن انفردت قطعة فأراد أن ينفلها مما غنمت دون سائر الجيش فذلك من غير الخمس بشرط أن لا يزيد على الثلث انتهى . وهذا الشرط قال به الجمهور . وقال الشافعي لا يتحدد ، بل هو راجع إلى ما يراه الإمام من المصلحة ، ويدل له قوله تعالى ﴿ قُلِ الْإِنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ففرض إليه أمرها ، والله أعلم . وقال الأوزاعي : لا ينفل من أول الغنيمة ، ولا ينفل ذهباً ولا فضة . وخالفه الجمهور . وحديث الباب من رواية ابن إسحاق يدل لما قالوا واستدل به على تعيين قسمة أعيان الغنيمة لا أثمانها ، وفيه نظر لاحتمال أن يكون وقع ذلك اتفاقاً أو بياناً للجواز . وعند المالكية فيه أقوال ثالثاً التخيير ، وفيه أن أمير الجيش إذا فعل مصلحة لم ينقضها الإمام . الرابع حديثه « كان ينفل بعض من يبعث من سرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش . وأخرجه مسلم وزاد في آخره : والخمس واجب في ذلك كله ، وليس فيه حجة لأن النفل من الخمس لا من غيره ، بل هو محتمل

لكل من الأقوال . نعم فيه دليل على أنه يجوز تخصيص بعض السرية بالتنفيل دون بعض ، قال ابن دقيق العيد : للحديث تعلق بمسائل الإخلاص في الأعمال ، وهو موضع دقيق المأخذ ، ووجه تعلقه به أن التنفيل يقع للترغيب في زيادة العمل والمخاطرة في الجهاد ، ولكن لم يضرهم ذلك قطعاً لكونه صدر لهم من النبي صلى الله عليه وسلم فيدل على أن بعض المقاصد الخارجة عن محض التعبد لا تندح في الإخلاص ، لكن ضبط قانونها وتمييزها مما تضر مداخلته مشكل جداً . الخامس حديث أبي موسى في مجيئهم من الحبشة وفي آخره « وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه ، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم ، وسيأتي شرحه مستوفى في غزوة خيبر من كتاب المغازي ، والغرض منه هذا الكلام الأخير . قال ابن المنير : أحاديث الباب مطابقة لما ترجم به ، إلا هذا الأخير فإن ظاهره أنه عليه الصلاة والسلام قسم لهم من أصل الغنيمة لا من الخمس ، إذ لو كان من الخمس لم يكن لهم بذلك خصوصية ، والحديث ناطق بها ، قال : لكن وجه المطابقة أنه إذا جاز للإمام أن يجتهد وينفذ اجتهاده في الأخماس الأربعة المختصة بالغانمين فيقسم منها لمن لم يشهد الواقعة ، فلأن ينفذ اجتهاده في الخمس الذي لا يستحقه معين وإن استحقه صنف مخصوص أولى . وقال ابن التين : يحتمل أن يكون أعطاهم برضا بقية الجيش انتهى . وهذا جزم به موسى ابن عقبة في مغازيه . ويحتمل أن يكون إنما أعطاهم من الخمس ، وبهذا جزم أبو عبيد في « كتاب الأموال » وهو الموافق لترجمة البخاري ، وأما قول ابن المنير لو كان من الخمس لم يكن هناك تخصيص فظاهر ، لكن يحتمل أن يكون من الخمس وخصهم بذلك دون غيرهم ممن كان من شأنه أن يعطى من الخمس ، ويحتمل أن يكون أعطاهم من جميع الغنيمة لكونهم وصلوا قبل قسمة الغنيمة وبعد حوزها ، وهو أحد القولين للشافعي . وهذا الاحتمال يترجح بقوله « أسهم لهم » لأن الذي يعطى من الخمس لا يقال في حقه أسهم له إلا تجزأ ، ولأن سياق الكلام يقتضي الافتخار ويستدعي الاختصاص بما لم يقع لغيرهم كما تقدم والله أعلم . السادس حديث جابر .

قوله (حدثنا علي) هو ابن عبد الله المدني ، وسفيان هو ابن عيينة .

قوله (لو قد جاءنا مال البحرين) سيأتي ذلك في أول « باب الجزية » من حديث عمرو بن عوف وأنه من الجزية ، لكن فيه « فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين » فيحمل على أن الذي وعد به النبي صلى الله عليه وسلم جابراً كان بعد السنة التي قدم فيها أبو عبيدة بالمال ، وظهر بذلك جهة المال المذكور وأنه من الجزية ، فأغنى ذلك عن قول ابن بطلال : يحتمل أن يكون من الخمس أو من النى .

قوله (أمر أبو بكر منادياً فنادى) لم أقف على اسمه ، ويحتمل أن يكون بلالا .

قوله (فحى لى) بالمهمل والمثلثة .

قوله (وقال مرة) القائل هو سفيان بهذا السند ، وقد تقدم الحديث في الهبة بالسند الأول بدون هذه الزيادة إلى آخرها ، وتقدمت الزيادة بهذا الإسناد في الكفالة والحرالة إلى قوله « خذ مثلها » .

قوله (قال سفيان) هو متصل بالسند المذكور ، وعمرو هو ابن دينار ، ومحمد بن علي أي ابن الحسين ابن علي . وظهر من هذه الرواية المراد من قوله في رواية ابن المنكدر « فحى لى ثلاثاً » لكن قوله « فحى لى

حثة « مع قوله في الرواية التي قبلها « وجعل سفيان يحنو بكفيه » يقتضى أن الحثة ما يؤخذ باليدين جميعاً ، والذي قاله أهل اللغة أن الحثة ما يملأ الكف ، والحفة ما يملأ الكفين . نعم ذكر أبو عبيد الهروى أن الحثة والحفة بمعنى « وهذا الحديث شاهد لذلك . وقوله « حثة » من حثى يحنى ، ويجوز حثوة من حثا يحنو وهما لغتان ، وقوله « تبخل عني » أى من جهتي .

قوله (وقال يعنى ابن المنكدر) الذى قال « وقال » هو سفيان الذى قال « يعنى » هو على ابن المدينى **قوله (وأى داء أدوى من البخل)** قال عياض : كذا وقع « أدوى » غير مهموز ، من دوى إذا كان به مرض فى جوفه ، والصواب أدواً بالهمز لأنه من الداء ، فيحمل على أنهم سهلوا الهمزة ، ووقع فى رواية الحميدى فى مسنده عن سفيان فى هذا الحديث « وقال ابن المنكدر فى حديثه » فظهر بذلك اتصاله إلى أبى بكر بخلاف رواية الأصيلي فإنها تشعر بأن ذلك من كلام ابن المنكدر وقد روى حديث « أى داء أدواً من البخل » ، وقد تقدم فى الكفالة توجيه وفاء أبى بكر لعدات النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذا فى كتاب الهبة ، وأن وعده صلى الله عليه وسلم لا يجوز إخلافه فنزل منزلة الضمان فى الصحة ، وقيل : إنما فعله أبو بكر على سبيل التطوع ، ولم يكن يلزمه قضاء ذلك ، وما تقدم فى « باب من أمر بإنجاز الوعد » من كتاب الشهادات أولى ، وأن جابراً لم يدع أن له ديناً فى ذمة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يطالبه أبو بكر ببينة ووفى ذلك له من بيت المال الموكول الأمر فيه إلى اجتهاد الإمام ، وعلى ذلك يحوم المصنف وبه ترجم ، وإنما أخر أبو بكر إعطاء جابر حتى قال له ما قال إما لأمر أهم من ذلك ، أو خشية أن يحمله ذلك على الحرص على الطلب ، أو لئلا يكثر الطالبون لمثل ذلك ، ولم يرد به المنع على الإطلاق ، ولهذا قال « مامن مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك » وسيأتى فى أوائل الجزية بيان الخلاف فى مصرفها ، وظاهر إيراد البخارى هذا الحديث هنا أن مصرفها عند مصرف الخمس ، والله أعلم . الحديث السابع .

قوله (حدثنا قره) بضم القاف وتشديد الراء ثم هاء ، وفى الإسناد بصريان هو والراوى عنه ، وحجازيان شيخه والضحاك ، وقد خالف زيد بن الحباب مسلم بن إبراهيم فيه فقال : عن قره عن أبى الزبير « يدل عمرو بن دينار أخرجه مسلم ، وسياقه أتم ، ورواية البخارى أرجح فقد وافق شيخه على ذلك عن قره عثمان بن عمرو عند الإسماعيلي والنضر بن شميل عند أبى نعيم ، فاتفق هؤلاء الحفاظ الثلاثة أرجح من انفراد زيد بن الحباب عنهم ، ويحتمل أن يكون الحديث عند قره عن شيخين بدليل أن فى رواية أبى الزبير زيادة على ما فى رواية هؤلاء كلهم عن قره عن عمرو ، وسيأتى شرحه مستوفى فى استنباط المرتدين عند الكلام على حديث أبى سعيد فى المعنى ، وفى حديث أبى سعيد بيان تسميته القائل المذكور ، وقوله فى هذه الرواية « لقد شقيت » بضم المثناة للأكثر ومعناه ظاهر ولا محذور فيه ، والشرط لا يستلزم الوقوع لأنه ليس ممن لا يعدل حتى يحصل له الشقاء ، بل هو عادل فلا يشقى . وحكى عياض فتحها ورجحه النووى وحكاها الإسماعيلي عن رواية شيخه المنيعى من طريق عثمان بن عمر عن قره ، والمعنى لقد شقيت أى ضللت أنت أيها التابع حيث تقتدى بمن لا يعدل ، أو حيث تعتقد فى نبيك هذا القول الذى لا يصدر عن مؤمن .

باب

مَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الْأَسَارَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخْمَسَ

[٣١٣٩] ٣٠٣٤ - حدثنا إسحاق بن منصور قال أخبرنا عبد الرزاق وقال أخبرنا معمر عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه أن النبي صلى الله عليه قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم ابن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهن له».

[الحديث ٣١٣٩ - طرفه في: ٤٠٢٤].

قوله (باب ما من النبي صلى الله عليه وسلم على الأسارى من غير أن يخمس) أراد بهذه الترجمة أنه كان له صلى الله عليه وسلم أن يتصرف في الغنيمة بما يراه مصلحة فينفل من رأس الغنيمة وتارة من الخمس ، واستدل على الأول بأنه كان يمن على الأسارى من رأس الغنيمة وتارة من الخمس ، فدل على أنه كان له أن ينفل من رأس الغنيمة ، وقد تقدم بيان الاختلاف في ذلك ، وذكر فيه حديث جبير بن مطعم « لو كان المطعم حياً وكلمني في هؤلاء النتنى لتركتهن له » ، قال ابن بطال : وجه الاحتجاج به أنه صلى الله عليه وسلم لا يجوز في حقه أن يخبر عن شيء لو وقع لفعله وهو غير جائز ، فدل على أن للإمام أن يمن على الأسارى بغير فداء خلافاً لمن منع ذلك كما تقدم ، واستدل به على أن الغنائم لا يستقر ملك الغانمين عليها إلا بعد القسمة وبه قال المالكية والحنفية . وقال الشافعي : يملكون بنفس الغنيمة ، والجواب عن حديث الباب أنه محمول على أنه كان يستطيع أنفس الغانمين ، وليس في الحديث ما يمنع ذلك فلا يصلح للاحتجاج به . وللقرية احتجاجات أخرى وأجوبة تتعلق بهذه المسألة لم أطل بها هنا لأنها لا تؤخذ من حديث الباب لانقياً ولا إثباتاً ، واستبعد ابن المنير الحمل المذكور فقال : إن طيب قلوب الغانمين بذلك من العقود الاختيارية فيحتمل أن لا يدعن بعضهم ، فكيف بت القول بأنه يعطيه إياهم مع أن الأمر موقوف على اختيار من يحتمل أن لا يسمع؟ قلت : والذي يظهر أن هذا كان باعتبار ما تقدم في أول الأمر أن الغنيمة كانت للنبي صلى الله عليه وسلم يتصرف فيها حيث شاء ، وفرض الخمس إنما نزل بعد قسمة غنائم بدر كما تقرر فلا حجة إذا في هذا الحديث لما ذكرنا . وقد أنكر الداودي دخول التخمس في أسارى بدر فقال : لم يقع فيهم غير أمرين إما المن بغير فداء وإما الفداء بمال ، ومن لم يكن له مال علم أولاد الأنصار الكتابة ، وأطال في ذلك ، ولم يأت بطائل . ولا يلزم من وقوع شيء أو شيئين مما خير فيه منع التخيير ، وقد قتل النبي صلى الله عليه وسلم منهم عقبة بن أبي معيط وغيره ، وادعاه أن قريشاً لا يدخلون تحت الرق يحتاج إلى دليل خاص ، وإلا فأصل الخلاف هل يشرق العربي أو لا ثابت مشهور والله أعلم ، وسيأتي بقية شرحه في غزوة بدر إن شاء الله تعالى . وقوله « النتنى » بنونين مفتوحتين بينهما ساكنة مقصور جمع نتن أو نتين كزمن وزمنى أو جريج وجرحى ، وروى بمهملة فوحدة ساكنة وهو تصحيف ، وأبعد من جعله هو الصواب .

ب

ومن الدليل على أن الخمس للإمام، وأنه يُعطي بعض قرابته دون بعض ما قسم النبي صلى الله عليه وآله لبني المطلب وبني هاشم من خمس خبير. قال عمر بن عبد العزيز، لم يعمهم بذلك ولم يخص قريباً دون من أحوج إليه، وإن كان الذي أعطى لما تشكو إليه من الحاجة، ولما مسهم في جنبه من قومهم وحلفائهم.

[٣١٤٠] ٣٥٣ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، أعطيت بني المطلب وتركتنا، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد». وقال الليث: حدثني يونس وزاد قال جبير: ولم يقسم النبي صلى الله عليه وآله لبني عبد شمس ولا لبني نوفل. قال ابن إسحاق: عبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأم. وأمهم عاتكة بنت مرة. وكان نوفل أخاهم لأبيهم. [الحديث ٣١٤٠ - طرفاه في: ٣٥٠٢، ٤٢٢٩].

قوله (باب ومن الدليل على أن الخمس للإمام) تقدم توجيه ذلك قبل باب.

قوله (وقال عمر بن عبد العزيز لم يعمهم) أي لم يعم قريشاً. وقوله «ولم يخص قريباً دون من أحوج إليه» أي دون من هو أحوج إليه، قال ابن مالك: فيه حذف العائد على الموصول وهو قليل، ومنه قراءة يحيى بن يعمر: تماماً على الذي أحسن، بضم النون أي الذي هو أحسن، قال: وإذا طال الكلام فلا ضعف ومنه وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أي وفي الأرض هو إله.

قوله (وإن كان الذي أعطى) أي أبعد قرابة ممن لم يعط، ووقع في هذا اختصار اقتضى توقفنا في فهمه، وقد من الله وله الحمد بتوجيهه، وسياقه عند عمر بن شبة في «أخبار المدينة» موصولاً مطولاً فقال فيه «وقسم لهم قسماً لم يعم عامتهم ولم يخص به قريباً دون من أحوج منه، ولقد كان يومئذ فيمن أعطى من هو أبعد قرابة أي ممن لم يعط. وقوله «لما يشكو» تعليل لعطية الأبعد قرابة، وقوله «في جنبه» أي جانبه، وقوله «من قومهم وحلفائهم» أي وحلفاء قومهم بسبب الإسلام، وأشار بذلك إلى ما لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بمكة من قريش بسبب الإسلام، وسيأتي بسطه في موضعه إن شاء الله تعالى.

قوله (عن ابن المسيب) في رواية يونس عن ابن شهاب عند أبي داود «وأخبرني سعيد بن المسيب».

قوله (عن جبير بن مطعم) في المغازي من رواية يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب «أن جبير بن مطعم أخبره».

قوله (مشيت أنا وعثمان بن عفان) زاد أبو داود والنسائي من طريق يونس عن ابن شهاب «فيما قسم من الخمس بين بني هاشم وبني المطلب» ولها من رواية ابن إسحاق عن ابن شهاب «وضع سهم فوي

القربى من بنى هاشم وبنى المطلب وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس وإنما اختص جبير وعثمان بذلك لأن عثمان من بنى عبد شمس وجبير بن مطعم من بنى نوفل ، وعبد شمس ونوفل وهاشم والمطلب سواء الجميع بنو عبد مناف . فهذا معنى قولها « ونحن وهم منك بمنزلة واحدة » أى فى الانتساب إلى عبد مناف . ووقع فى عبد مناف . ووقع فى رواية أبى داود المذكورة « وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة ، وله فى رواية ابن إسحق « فقلنا يارسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للمرضع الذى وضعك الله مهم ، فما بال إخواننا بنى المطلب أعطيتهم وتركنا .

قوله (شئ واحد) للأكثر بالشين المعجمة المفتوحة والهمزة ، وقال عياض ، رويناه هكذا فى البخارى بغير خلاف انتهى . وقد وجدته فى أصلى هنا من رواية الكشميين وفى المغازى من رواية المستملى وفى مناقب قريش من روايته وفى رواية الحموي بكسر المهملة وتشديد التحتانية ، وكذلك كان يرويه يحيى بن معين وحده ، قال الخطابى : هو أجود فى المعنى ، وحكاها عياض رواية خارج الصحيح وقال : الصواب رواية الكافة لقوله فيه « وشبك بين أصابعه » وهذا دليل على الاختلاط والامتزاج كالشئ الواحد لا على التمثيل والتنظير . وهذه الزيادة التى أشار إليها وقعت فى رواية ابن إسحق المذكورة ولفظه « فقال : إنا وبنو المطلب لم نفرق فى جاهلية ولا إسلام ، وإنما نحن وهم شئ واحد ، وشبك بين أصابعه » ووقع فى رواية أبى زيد المروزى « شئ أحد » بغير واو بهمز الألف ، فقليل هما بمعنى ، وقيل لأحد الذى ينفرد بشئ لا يشاركه فيه غيره والواحد أول العدد ، وقيل الأحد المنفرد بالمعنى والواحد المنفرد بالذات ، وقيل الأحد لئنى ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتاح العدد من جنسه ، وقيل لا يقال أحد إلا الله تعالى ، حكاها جميعه عياض .

قوله (وقال الليث حدثني يونس) أى بهذا الإسناد (وزاد قال جبير ولم يقسم النبى صلى الله عليه وسلم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل) هو عندى من رواية عبد الله بن يوسف أيضاً عن الليث فهو متصل ، ويحتمل أن يكون معلقاً ، وقد وصله المصنف فى المغازى عن يحيى بن بكير عن الليث عن يونس بن مائة ، وزاد أبو داود فى رواية يونس بهذا الإسناد « وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غير أنه لم يكن يعطى قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عمر يعطيهم منه وعثمان بعده » وهذه الزيادة بين الذهلى فى « جمع حديث الزهرى » أنها مدرجة من كلام الزهرى ، وأخرج ذلك مفصلاً من رواية الليث عن يونس ، وكأن هذا هو السر فى حذف البخارى هذه الزيادة مع ذكره لرواية يونس . وروى مسلم وأبو داود والنسائى وغيرهم من طريق ابن شهاب عن يزيد عن هرمز عن ابن عباس فى سهم ذوى القربى قال « هو لقربى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمه لهم النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان عمر عرض علينا من ذلك شيئاً رأيناه دون حقنا ، فرددناه » وللنسائى من وجه آخر « وقد كان عمر دعانا أن ينكح أيماناً ويخدم عائلتنا ويقضى عن غارمنا فأبيناه إلا أن يسلمه لنا ، قال فتركناه » .

قوله (وقال ابن إسحق الخ) وصله المصنف فى التاريخ ، وقوله « عاتكة بنت مرة » أى ابن هلال من بنى سليم « وقوله « وكان نوفل أخاهم لأبيهم » لم يسم أمه وهى واقدة بالقاف بنت أبى عدى واسمه نوفل

ابن عبادة ، من بني مازن بن صعصعة . وذكر الزبير بن بكار في النسب أنه كان يقال لهاشم والمطلب البدران ، ولعبد شمس ونوفل الأبهرا ، وهذا يدل على أن بين هاشم والمطلب ائتلافاً سرى في أولادهما من بعدهما ، ولهذا لما كتبت قريش الصحيفة بينهم وبين بني هاشم وحصروهم في الشعب دخل بنو المطلب مع بني هاشم ولم تدخل بنو نوفل وبنو عبد شمس ، وستأتي الإشارة إلى ذلك في أول المبعث إن شاء الله تعالى . وفي الحديث حجة للشافعي ومن وافقه أن سهم ذوى القربى لبني هاشم والمطلب خاصة دون بقية قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من قريش ، وعن عمر بن عبد العزيز هم بنو هاشم خاصة ، وبه قال زيد بن أرقم وطائفة من الكوفيين ، وهذا الحديث يدل لإلحاق بني المطالب بهم ، وقيل هم قريش كلها لكن يعطى الإمام منهم من يراه ، وبهذا قال أصبغ ، وهذا الحديث حجة عليه ، وفيه توهين قول من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أعطاهم بعلة الحاجة إذ لو أعطاهم بعلة الحاجة لم يخص قوماً دون قوم ، والحديث ظاهر في أنه أعطاهم بسبب النصرة وما أصابهم بسبب الإسلام من بقية قومهم الذين لم يسلموا ، والمخلص أن الآية نصت على استحقاق قربي النبي صلى الله عليه وسلم وهي متحققة في بني عبد شمس لأنه شقيق ، وفي بني نوفل إذا لم تعتبر قرابة الأم . واختلف الشافعية في سبب إخراجهم فقيل : العلة القرابة مع النصرة فلذلك دخل بنو هاشم وبنو المطلب ولم يدخل بنو عبد شمس وبنو نوفل لفقدان جزء العلة أو شرطها ؛ وقيل : الاستحقاق بالقرابة ، ووجد بنو عبد شمس ونوفل مانع لكونهم انحازوا عن بني هاشم وحاربوهم . والثالث أن القربي عام مخصوص وبينته السنة . قال ابن بطال : وفيه رد لقوله الشافعي أن خمس الخمس يقسم بين ذوى القربى لا يفضل غنى على فقر ، وأنه يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين . قلت : ولا حجة فيه لما ذكر لا إثباتاً ولا نفياً ، أما الأول فليس في الحديث إلا أنه قسم خمس الخمس بين بني هاشم والمطلب ولم يتعرض لتفضيل ولا عدمه ، وإذا لم يتعرض فالأصل في القسمة إذا أطلقت التسوية والتعميم ، فالحديث إذاً حجة للشافعي لا عليه . ويمكن التوصل إلى التعميم بأن يأمر الإمام نائبه في كل إقليم بضبط من فيه ويجوز النقل من مكان إلى مكان للحاجة ، وقيل لا بل يختص كل ناحية بمن فيها . وأما الثاني فليس فيه تعرض لكيفية القسم ، لكن ظاهره التسوية وبها قال المزني وطائفة ، فيحتاج من جعل سبيله سبيل الميراث إلى دليل ، والله أعلم . وذهب الأكثر إلى تعميم ذوى القربى في قسمة سهمهم عليهم بخلاف اليتامى فيخصص الفقراء منهم عند الشافعي وأحمد ، وعن مالك يعمهم في الإعطاء ، وعن أبي حنيفة يختص الفقراء من الصنفين ، وحجة الشافعي أنهم لما منعوا الزكاة عموا بالسهم ولأنهم أعطوا بجهة القرابة إكراماً لهم ، بخلاف اليتامى فإنهم أعطوا لسد الحاجة . واستدل به على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة ، فإن ذوى القربى لفظ عام خص بني هاشم والمطلب ، قال ابن الحاجب : ولم ينقل اقتران إجمالي مع أن الأصل عدمه .

ب

مَنْ لَمْ يُخَمِّسْ الْأَسْلَابَ

وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ مِنْ غَيْرِ الْخُمْسِ، وَحُكْمُ الْإِمَامِ فِيهِ

[٣١٤١] ٣٠٣٦- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ الْمَاجْشُونِ عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغَلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةَ أَسْنَانِهِمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمُّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أَخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سُوَادِي سُوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا. فَتَعَجَّبْتُ لَذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضْرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَاهُ. فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» فَقَالَا: لَا. فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ: «كَلَاكُمَا قَتَلَهُ». سَلْبُهُ لِمَعَاذِ بْنِ عَمْرٍو وَبَنِي الْجُمُوحِ. وَكَانَا مَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ وَمَعَاذُ بْنُ عَمْرٍو وَبَنِي الْجُمُوحِ. قَالَ مُحَمَّدٌ: سَمِعَ يَوْسُفُ بْنُ صَالِحٍ وَإِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ. [الْحَدِيثُ ٣١٤١- طَرَفَاهُ فِي: ٣٩٦٤، ٣٩٨].

[٣١٤٢] ٣٠٣٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ ابْنِ أَفْلَحٍ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَامَ حَنِينٍ: فَلَمَّا التَقِينَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنَ الْمَشْرُكِينَ عَلَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَدْرَتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ حَتَّى ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضِمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَأَرْسَلَنِي، فَلَحَقْتُ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ: مَا بَالُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَمْرُ اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا، وَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ». فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ. ثُمَّ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ». فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ الْثَالِثَةُ مِثْلَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَسَلْبُهُ عِنْدِي، فَأَرْضِهِ عَنِّي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: لَا هَا اللَّهُ إِذَا لَا يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ يِقَاتِلُ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ يَعْطِيكَ سَلْبَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «صَدَقَ». فَأَعْطَاهُ، فَبَعَثَ الدَّرْعَ فَابْتَعَتْ مَخْرَفًا فِي بَنِي سَلْمَةَ، فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ مَا تَأَثَّلَتْهُ فِي الْإِسْلَامِ.

قوله (باب من لم يخمس الأسلاب) السلب بفتح المهملة واللام بعدها موحدة هو ما يوجد مع المحارب من ملبوس وغيره عند الجمهور، وعن أحمد: لا تدخل الدابة، وعن الشافعي يختص بأداة الحرب.

قوله (ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس، وحكم الإمام فيه) أما قوله «ومن قتل قتيلاً فله سلبه» فهو قطعة من حديث أبي قتادة ثاني حديثي الباب، وقد أخرجه المصنف بهذا القدر حسب من حديث أنس، وأما قوله «من غير أن يخمس» فهو من تفقّهه، وكأنه أشار بهذه الترجمة إلى الخلاف في المسألة وهو شهير، وإلى ما تضمنته الترجمة ذهب الجمهور، وهو أن القاتل يستحق السلب سواء قال أمير الجيش قبل ذلك من قتل قتيلاً فله سلبه أو لم يقل ذلك، وهو ظاهر حديث أبي قتادة ثاني حديثي الباب. وقال: إنه فتوى من النبي صلى الله عليه وسلم وإخبار عن الحكم الشرعي، وعن المالكية والحنفية لا يستحقه القاتل إلا إن شرط له الإمام ذلك. وعن مالك ينخير الإمام بين أن يعطى القاتل السلب أو يخمسه واختاره إسماعيل القاضي، وعن إسماعيل إذا كثرت الأسلاب خمست، ومكحول والثوري بخمس مطلقاً، وقد حكى عن الشافعي أيضاً وتمسكوا بعموم قوله ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه﴾ ولم يستثن شيئاً، واحتج الجمهور بقوله صلى الله عليه وسلم «من قتل قتيلاً فله سلبه» فإنه خصص ذلك العموم، وتعقب بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقل من قتل قتيلاً فله سلبه إلا يوم حنين، قال مالك: لم يبلغني ذلك في غير حنين. وأجاب الشافعي وغيره بأن ذلك حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن، منها يوم بدر كما في أول حديثي الباب، ومنها حديث حاطب بن أبي بلتعة أنه قتل رجلاً يوم أحد فسلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه أخرجه البيهقي، ومنها حديث جابر أن عقيل بن أبي طالب قتل يوم مؤتة رجلاً فنقله النبي صلى الله عليه وسلم درعه. ثم كان ذلك مقررًا عند الصحابة كما روى مسلم من حديث عوف بن مالك في قصته مع خالد بن الوليد وإنكاره عليه أخذه السلب من القاتل. الحديث بطوله، وكما روى الحاكم والبيهقي بإسناد صحيح عن سعد ابن أبي وقاص «أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد تعال بنا ندعو، فدعا سعد فقال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً بأسه فأقاتله ويقاتلي ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله وأخذ سلبه» الحديث، وكما روى أحمد بإسناد قوى عن عبد الله بن الزبير قال «كانت صفية في حصن حسان بن ثابت يوم الخندق» فذكر الحديث في قصة قتلها اليهودي، وقولها لحسان «أنزل فاسلبه» فقال: مالي بسلبه حاجة» وكما روى ابن إسحاق في المغازي في قصة قتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود يوم الخندق أيضاً فقال له عمرو «هلا استلبت درعه فإنه ليس للعرب خير منها» فقال: إن اتقاني بسواته» وأيضاً فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما قال ذلك يوم حنين بعد أن فرغ القتال، كما هو صريح في ثاني حديثي الباب، حتى قال مالك يكره للإمام أن يقول من قتل قتيلاً فله سلبه لئلا تضعف نيات المجاهدين، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك إلا بعد انقضاء الحرب. وعن الحنفية لا كراهة في ذلك، وإذا فاله قبل الحرب أو في أثناءها استحق القاتل. ثم أخرج المصنف فيه حديثين: أحدهما حديث عبد الرحمن بن عوف في قصة قتل أبي جهل، والغرض منه هنا قوله في آخره «كلا كما قتله» سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح» فقد احتج به من قال إن إعطاء القاتل السلب مفوض إلى رأي الإمام، وقرره الطحاوي وغيره بأنه لو كان يجب للقاتل لكان السلب مستحقاً بالقتل ولكان جعله

بينهما لا شتر اكهما في قتله ، فلما خص به أحدهما دل على أنه لا يستحق بالقتل وإنما يستحق بتعيين الإمام . وأجاب الجمهور بأن في السياق دلالة على أن السلب يستحقه من أثخن في القتل ولو شاركه غيره في الضرب أو الطعن ، قال المهلب : نظره صلى الله عليه وسلم في السيفين واستلله لهما هو ليرى ما بلغ الدم من سيفيهما ومقدار عمق دخولهما في جسم المقتول ليحكم بالسلب لمن كان في ذلك أبلغ ، ولذلك سألهما أولاً هل مسحتهما سيفيكما أم لا ؟ لأنهما لو مسحاهما لما تبين المراد من ذلك وإنما قال كلا كما قتله وإن كان أحدهما هو الذي أثخنه ليطيب نفس الآخر . وقال الإسماعيلي : أقول إن الأنصاريين ضرباه فأثخناه وبلغاه به المبلغ الذي يعلم معه أنه لا يجوز بقاؤه على تلك الحال إلا قدر ما يطفأ ، وقد دل قوله « كلا كما قتله » على أن كلاهما وصل إلى قطع الحشوة وإبانتهما أو بما يعلم أن عمل كل من سيفيهما كعمل الآخر ، غير أن أحدهما سبق بالضرب فصار في حكم المثبت لجراحه حتى وقعت به ضربة الثاني فاشتركا في القتل ، إلا أن أحدهما قتله وهو ممتنع والآخر قتله وهو مثبت فلذلك قضى بالسلب للسابق إلى إثخانته ، وسيأتي شرحه في غزوة بدر مع قول ابن مسعود إنه قتله ، وتأتي كيفية الجمع هناك إن شاء الله تعالى .

قوله (حديثه) بالجر صفة للغلامين و « أسنانهما » بالرفع .

قوله (بين أضلع منهما) كذا للأكثر بفتح أوله وسكون المعجمة وضم اللام فجمع ضلع ، وروى بضم اللام وفتح العين من الضلعة وهي القوة ، ووقع في رواية الحموي وحده « بين أصلح منهما » بالصاد والحاء المهملتين ونسبه ابن بطل لمسد شيخ البخاري ، وقد خالفه إبراهيم بن حمزة عند الطحاوي وموسى ابن إسماعيل عند ابن سنجر وعفان عند ابن أبي شيبة يعني كلهم عن يوسف شيخ البخاري فيه فقالوا « أضلع » بالضاد المعجمة والعين ، قال واجتماع ثلاثة من الحفاظ أولى من انفراد واحد انتهى . وقد ظهر أن الخلاف على الرواية عن الفربري فلا يليق الجزم بأن مسدداً نطق به هكذا ، وقد رواه أحمد في مسنده وأبو يعلى عن عبيد الله القواريري وبشر بن الوليد وغيرهما كلهم عن يوسف كالجاعة ؛ وكذلك أخرجه الإسماعيلي من طريق عثمان بن أبي شيبة عن عفان كذلك .

قوله (لا يفارق سواده) بفتح السين وهو الشخص .

قوله (حتى يموت الأعجل منا) أي الأقرب أجلاً ، وقيل إن لفظ الأعجل تحريف وإنما هو الأعجز ، وهو الذي يقع في كلام العرب كثيراً ، والصواب ما وقع في الرواية لوضوح معناه .

قوله (قال محمد هو المصنف) سمع يوسف (يعني ابن الماجشون صالحاً) يعني ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المذكور في الإسناد (وسمع إبراهيم أباه عبد الرحمن بن عوف) وهذه الزيادة لأبي ذر وأبي الوقت هنا ، وتقدم في الوكالة في حديث آخر بهذا الإسناد مثله وبينت هناك سماع إبراهيم من أبيه . وأما سماع يوسف من صالح فوقع في رواية عفان عند الإسماعيلي . ولعل البخاري أشار إلى أن الذي أدخل بين يوسف وصالح في هذا الحديث رجلاً لم يضبط ، وذلك فيما أخرجه البزار ، والرجل هو عبد الواحد ابن أبي عون ، ويحتمل أن يكون يوسف سمعه من صالح وثبته فيه عبد الواحد والله أعلم . الحديث الثاني حديث أبي قتادة وسيأتي شرحه مستوفى في المغازي ، وقوله فيه « عن ابن أفلح » نسبه إلى جده ، وهو عمر

ابن كثير بن أفلح ، وفي الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق وكلهم مدنيون إلا الراوى عن مالك وقد نزلها ، وقوله « فاستدبرت » كذا للأكثر وللشميني « فاستدبرت » بغير موحدة .

قوله (فقال رجل : صدق يا رسول الله ، وسلبه عندي) لم أقف على اسمه ، واستدل به على دخول من لا يسهم له في عموم قوله « من قتل قتيلا » وعن الشافعي في قول ، وبه قال مالك لا يستحق السلب إلا من استحق السهم لأنه قال إذا لم يستحق السهم فلا يستحق السلب بطريق الأولى ، وعورض بأن السهم علق على المظنة ، والسلب يستحق بالفعل فهو أولى ، وهذا هو الأصل ، واستدل به على أن السلب للقاتل في كل حال حتى قال أبو ثور وابن المنذر : يستحقه ولو كان المقتول منهزماً ، وقال أحمد لا يستحقه إلا بالمبارزة ، وعن الأوزاعي إذا التقى الزحفان فلا سلب ، واستدل به على أنه مستحق للقاتل الذي أثخنه بالقتل دون من ذهب عليه كما سيأتي في قصة ابن مسعود مع أبي جهل في غزوة بدر ، واستدل به على أن السلب يستحقه القاتل من كل مقتول حتى لو كان المقتول امرأة ، وبه قال أبو ثور وابن المنذر ، وقال الجمهور : شرطه أن يكون المقتول من المقاتلة ، واتفقوا على أنه لا يقبل قول من ادعى السلب إلا ببينة تشهد له بأنه قتله ، والحجة فيه قوله في هذا الحديث « له عليه بينة » ففهمه أنه إذا لم تكن له بينة لا يقبل ، وسياق أبي قتادة يشهد لذلك ، وعن الأوزاعي يقبل قوله بغير بينة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه لأبي قتادة بغير بينة . وفيه نظر لأنه وقع في « مغازي الواقدي » أن أوس بن خولى شهد لأبي قتادة ، وعلى تقدير أن لا يصح فيحمل على أن النبي صلى الله عليه وسلم علم أنه القاتل بطريق من الطرق ، وأبعد من قال من المالكية : أن المراد بالبينة هنا الذي أقر له أن السلب عنده فهو شاهد ، والشاهد الثاني وجرد السلب فإنه بمنزلة الشاهد على أنه قتله ولذلك جعل لوثاً في « باب القسامة » ، وقيل إنما استحقه أبو قتادة بإقرار الذي هو بيده ، وهذا ضعيف لأن الإقرار إنما يفيد إذا كان المال منسوباً لمن هو بيده فيؤخذ بإقراره ، والمال هنا منسوب لجميع الجيش . ونقل ابن عطية عن أكثر الفقهاء أن البينة هنا شاهد واحد يكتفى به .

ب

ما كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه
رواه عبد الله بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

[٣١٤٣]

٣٠٣٨ - حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير أن حكيم بن حزام قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال لي : « يا حكيم ، إن هذا المال خضرٌ حلوٌ ، فمن أخذه بسخاوة نفس بُورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى » . قال حكيم : فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى

أفارق الدنيا، فكان أبوبكر يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل، فقال: يا معشر المسلمين، إنني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد النبي صلى الله عليه حتى توفي.

[٣١٤٤] ٣٠٣٩ - حدثنا أبو النعمان قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله، إنه كان عليّ اعتكاف يوم في الجاهلية، فأمره أن يفى به. قال: وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة، قال: فمن رسول الله صلى الله عليه علي سبي حنين، فجعلوا يسعون في السكك، قال عمر: يا عبد الله، انظر ما هذا؟ قال: فقال: من رسول الله صلى الله عليه علي السبي، قال: اذهب فأرسل الجاريتين. قال نافع: ولم يعتمر رسول الله صلى الله عليه من الجعرانة، ولو اعتمر لم يخف على عبد الله. وزاد جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر وقال: من الخمس. ورواه معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر في النذر ولم يقل يوم.

[٣١٤٥] ٣٠٤٠ - حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا جرير بن حازم قال حدثني الحسن قال حدثني عمرو بن تغلب قال: أعطى رسول الله صلى الله عليه قومًا ومنع آخرين، فكانهم عتبوا عليه فقال: «إنني أعطي قومًا أخاف ظلعهم وجزعهم، وأكل أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى، منهم عمرو بن تغلب». فقال عمرو بن تغلب: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه حمرة النعم. زاد أبو عاصم عن جرير قال: سمعت الحسن يقول حدثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله صلى الله عليه أتى بجال - أو بسبي - فقسمة.. بهذا.

[٣١٤٦] ٣٠٤١ - حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه: «إنني أعطي قريشًا أتألفهم، لأنهم حديث عهد بجاهلية».

[الحديث ٣١٤٦ - أطرافه في: ٣١٤٧، ٣٥٢٨، ٣٧٧٨، ٣٧٩٣، ٤٣٣١، ٤٣٣٢، ٤٣٣٣، ٤٣٣٤، ٤٣٣٧،

٥٨٦٠، ٦٧٦٢، ٧٤٤١].

[٣١٤٧] ٣٠٤٢ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك أن ناسًا من الأنصار قالوا لرسول الله صلى الله عليه حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه، يعطي

قريشاً ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم. قال أنس: فحدث رسول الله صلى الله عليه بمقاتلتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم، ولم يدع معهم أحداً غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه فقال: «ما كان حديث بلغني عنكم؟» قال له فقهاؤهم: أما ذوو رأينا برسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما أناس منّا حديثاً أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويترك الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال رسول الله صلى الله عليه: «إني أعطي رجالاً حديثي عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون إلى رجالكم برسول الله، فوالله ما تنقلبون به خيراً مما ينقلبون به». قالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا. فقال لهم: «إنكم سترون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض». قال أنس: فلم نصبر.

[٣١٤٨]

٣٠٤٣ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى قال حدثنا إبراهيم عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم أن محمد بن جبير قال: أخبرني جبير بن مطعم أنه بينا هو مع رسول الله صلى الله عليه ومعه الناس مقبلاً من حنين علق برسول الله صلى الله عليه الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف رسول الله صلى الله عليه فقال: «أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاه لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً».

[٣١٤٩]

٣٠٤٤ - حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبه ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

[الحديث ٣١٤٩ - طرفاه في: ٨٠٩، ٦٠٨٨].

[٣١٥٠]

٣٠٤٥ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال: لما كان يوم حنين أثر النبي صلى الله عليه أناساً في القسمة: أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في

القسمة. قال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها أو ما أريد فيها وجه الله. فقلت: والله لأخبرن النبي صلى الله عليه. فأتيته فأخبرته. فقال: «فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى. قد أودى بأكثر من هذا فصبر».

[الحديث ٣١٥٠ - أطرافه في: ٣٤٠٥، ٤٣٣٥، ٤٣٣٦، ٦٠٥٩، ٦١٠٠، ٦٢٩١، ٦٣٣٦].

[٣١٥١] ٣٠٤٦ - حدثنا محمود بن غيلان قال حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام قال أخبرني أبي عن أسماء بنت أبي بكر قالت: كنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعها رسول الله صلى الله عليه عليه على رأسي. وهي مني على ثلثي فرسخ. وقال أبو ضمرة عن هشام عن أبيه أن النبي صلى الله عليه عليه أقطع الزبير أرضاً من أموال بني النضير.

[الحديث ٣١٥١ - طرفه في: ٥٢٢٤].

[٣١٥٢] ٣٠٤٧ - حدثنا أحمد بن المقدم قال حدثنا الفضيل بن سليمان قال حدثنا موسى بن عقبة قال أخبرني نافع عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله صلى الله عليه عليه لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها. وكانت الأرض - لما ظهر عليها - لليهود وللرسول وللمسلمين. فسأل اليهود رسول الله صلى الله عليه عليه أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر. فقال رسول الله صلى الله عليه عليه: «نتركهم على ذلك ما شئنا». فأقروا. حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء أو أريحاء.

قوله (باب ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفه قلوبهم) سيأتي بيانهم، وأنهم من أسلم ونيته ضعيفة، أو كان يتوقع بإعطائه إسلام نظرائه في تفسير براءة. قوله (وغيرهم) أي غير المؤلفه ممن تظهر له المصلحة في إعطائه.

قوله (من الخمس ونحوه) أي من مال الخراج والجزية والنفى، قال إسماعيل القاضي: في إعطاء النبي صلى الله عليه وسلم للمؤلفه من الخمس دلالة على أن الخمس إلى الإمام يفعل فيه ما يرى من المصلحة. وقال الطبري استدلالاً بهذه الأحاديث من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي من أصل الغنيمة لغير المقاتلين، قال: وهو قول مردود بدليل القرآن والآثار الثابتة. واختلف بعد ذلك من أين كان يعطي المؤلفه؟ فقال مالك وجماعة: من الخمس، وقال الشافعي وجماعة من خمس الخمس، قيل ليس في أحاديث الباب شيء صريح بالإعطاء من نفس الخمس.

قوله (رواه عبد الله بن زيد عن النبي) صلى الله عليه وسلم يشير إلى حديثه الطويل في قصة حنين،

وسياتى هناك موصولا مع الكلام عليه ، والغرض منه هنا قوله « لما أفاء الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم » الحديث . ثم أورد في الباب تسعة أحاديث : أحدها حديث حكيم بن حزام « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني » الحديث بطوله ، وفيه قصته مع عمر ، وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى في كتاب الزكاة . ثانيا حديث ابن عمر في نذر عمر في الجاهلية وفيه « وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين وهو موضع الترجمة .

قوله (عن نافع أن عمر قال : يا رسول الله إنه كان على اعتكاف يوم) كذا رواه حماد بن زيد عن أيوب عن نافع مرسل ليس فيه ابن عمر ، وسياتى في المغازى أن البخارى نقل أن بعضهم رواه عن حماد بن زيد موصولا ، وهو عند مسلم وابن خزيمة لكن في القصة الثالثة المتعلقة بعمر الجعرانة لا في جميع الحديث ، وذكر هنا أن معمرأ وصله أيضاً عن أيوب ، ورواية معمر وصلها في المغازى وهو في قصة النذر فقط ، وذكر في المغازى أيضاً أن حماد بن سلمة رواه موصولا ، وسياتى بيان ذلك واضحاً أيضاً هناك وأنه أيضاً في النذر فقط ، ويأتى الكلام على ما يتعلق منه بالنذر في كتاب الأيمان والنور ، والذي قدمته اتفق عليه جميع رواة البخارى إلا الجرجاني فقال « عن نافع عن ابن عمر » وهو وهم منه ، ويظهر ذلك من تصرف البخارى هنا ، وهو في المغازى ، وبذلك جزم أبو على الجياني ، وقال الدارقطني : حديث حماد بن زيد مرسل وحديث جرير بن حازم موصول ، وحماد أثبت في أيوب من جرير ، فأما رواية معمر الموصولة فهي في قصة النذر فقط دون قصة الجاريتين ، قال : وقد روى سفيان بن عيينة عن أيوب حديث الجاريتين فوصله عنه قوم وأرسله آخرون .

قوله (فأمره) ، في رواية جرير بن حازم عند مسلم أن سؤاله لذلك وقع وهو بالجعرانة بعد أن رجع إلى الطائف .

قوله (وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين) أى من هوازن ، لم أر من سماهما ، وفي رواية ابن عيينة عند الإسماعيلي موصولا أن عمر قال ، فذكر حديث النذر ، قال « فأمرني أن أعتكف فلم أعتكف حتى كان بعد حنين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني جارية ، فبينما أنا معتكف إذ سمعت تكبيراً » الحديث .

قوله (قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبي) سأتى صفة ذلك في المغازى ، وفي هذا السياق حذف تقديره فنظر أو سأل عن سبب سعيهم في السكك ف قيل له فقال لعمر ، وفي رواية ابن عيينة المذكورة « فقلت ما هذا ؟ فقالوا السبي أسلموا فأرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت والجارية فأرسلها » **قوله (قال اذهب فأرسل الجاريتين)** يستفاد منه الأخذ بنجر الواحد .

(تنبيه) : اتفقت الروايات كلها على أن قوله « ورواه معمر » بفتح الميمين بينهما مهملة ساكنة ، وحكى بعض الشراح أنه بضم الميم وبعد العين مثناة مفتوحة ثم ميم مكسورة وهو تصحيف .

قوله (قال نافع : ولم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ولو اعتمر لم يخف على عبد الله) هكذا رواه أبو النعمان شيخ البخارى مرسل ، ووصله مسلم وابن خزيمة جميعاً عن أحمد بن عبدة عن حماد بن

زيد فقال في روايته عن نافع « ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة فقال : لم يعتمر منها » وقد ذكرت في أبواب العمرة الأحاديث الواردة في اعتباره من الجعرانة ، وتقدم في أواخر الجهاد في « باب من قسم الغنيمة في غزوه » أيضاً حديث أنس في ذلك ، وذكرت في أبواب العمرة سبب خفاء عمرة النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة على كثير من أصحابه فليراجع منه ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ . قال ابن التين : ليس كل ما علمه ابن عمر حدث به نافعاً ، ولا كل ما حدث به نافعاً حفظه . قلت : وهذا يردده رواية مسلم التي ذكرتها ، فإن حاصله أن ابن عمر كان يعرفها ولم يحدث بها نافعاً . ودلت رواية مسلم على أن ابن عمر كان ينفيا . قال « وليس كل ما علمه ابن عمر لم يدخل عليه فيه نسيان » انتهى . وهذا أيضاً يقتضى أنه كان عرف بها ونسيها ، وليس كذلك بل لم يعرف بها لاهو ولا عدد كثير من الصحابة . ثالثاً حديث عمرو بن تغلب بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام بعدها موحدة وهو النرى بفتح النون والميم .

قوله (أخاف ظلمهم) بفتح الظاء المعجمة المشالة واللام وبالمهمله أى اعوجاجهم (وجزعهم) بالجيم والزاي بوزنه ، وأصل الظلم الميل ، وأطلق هنا على مرض القلب وضعف اليقين .

قوله (والفناء) بفتح المعجمة ثم النون ومد وهو الكفاية ، وفي رواية الكشميهني بالكسر والقصر بلفظ ضد الفقر ، وقوله « بكامة رسول الله صلى الله عليه وسلم » أى التي قالها في حقه وهي إدخاله إياه في أهل الخير والفناء ، وقيل المراد الكلمة التي قالها في حق غيره ، فالمعنى لا أحب أن يكون لى حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لى أو يكون لى ذلك ، وتقال تلك الكلمة في حق .

قوله (زاد أبو عاصم عن جرير) هو ابن حازم ، وقد تقدم موصولا في أواخر الجمعة عن محمد بن معمر عن أبي عاصم ، وهو من المواضع التي تمسك بها من زعم أن البخارى قد يعلق عن بعض شيوخه ما بينه وبينهم فيه واسطة مثل هذا ، فإن أبا عاصم شيخه وقد علق عنه هذا هنا ، ولما ساقه موصولا أدخل بينه وبين أبي عاصم واسطة .

قوله (أو بسى) في رواية الكشميهني « بشىء » وهو أشمل ، رابعها حديث أنس في عطية المؤلفين يوم حنين ، ذكره مطولا ومختصراً ، وسيأتى شرحه مستوفى في غزوة حنين فقد ذكره هناك من أربعة أوجه عن أنس . خامسها حديث جبير بن مطعم ، وإبراهيم في إسناده هو ابن سعد ، وصالح هو ابن كيسان ، وعمر بن محمد بن جبير تقدم ذكره في أوائل الجهاد في « باب الشجاعة في الحرب » مع الكلام على بعض شرح المتن ، وقوله « مقفله من حنين » أى مرجعه ، كذا للكشميهني ، ووقع لغيره هنا « مقبلا » وهو منصوب على الحال . و « السمرة » بفتح المهمله وضم الميم شجرة طويلة متفرقة الرأس قليلة الظل صغيرة الورق والشوك صلبة الخشب قاله ابن التين ، وقال القزاز : والعضاه شجر الشوك كالطاح والعوسج والسدر ، وقال الداودى : السمرة هى العضاه ، وقال الخطابي : ورق السمرة أثبت وظلها أكثف ، ويقال هى شجرة الطلح . واختلف في واحدة العضاه فقل عضه بفتحيتين مثل شفة وشفاه ، والأصل عضه وشفهه فحذفت الهاء ، وقيل واحدا عضاهة .

قوله (فخطفت رداءه) في مرسل عمرو بن سعيد عند عمر بن شبة في كتاب مكة « حتى عدلوا بناقته عن الطريق ، فر بسمرات فانتھسن ظهره وانتزعن رداءه فقال : ناولوني ردائي » فذكر نحو حديث جبير بن مطعم وفيه « فنزل ونزل الناس معه ، فأقبلت هوازن فقالوا : جئنا نستشفع بالمؤمنين إليك ، ونستشفع بك إلى المؤمنين » فذكر القصة . وفيه ذم الخصال المذكورة وهي البخل والكذب والجبن ، وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها . وفيه ما كان في النبي صلى الله عليه وسلم من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر على جفاة الأعراب . وفيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة كخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك ، ولا يكون ذلك من الفخر المذموم . وفيه رضا السائل للحق بالوعد إذا تحقق عن الواعد التنجيز . وفيه أن الإمام مخير في قسم الغنيمة إن شاء بعد فراغ الحرب وإن شاء بعد ذلك ، وقد تقدم البحث فيه . سادسها حديث أنس في قصة الأعرابي الذي جذب رداء النبي صلى الله عليه وسلم وهو في معنى الذي قبله . ونجران بنون وجيم وزن شعبان بلدة مشهورة ، وسيأتي شرحه في الأدب ، والغرض منه قوله « ثم أمر له بعطاء » . سابعها حديث ابن مسعود قال « لما كان يوم حنين أثر النبي صلى الله عليه وسلم أناساً في القسمة » الحديث ، وسيأتي شرحه في غزوة حنين إن شاء الله تعالى وعينة بمهملة وتحتانية مصغراً هو ابن حصن الفزاري . ثامنها حديث أسماء بنت أبي بكر « كنت أنقل النوى من أرض الزبير » الحديث ، وسيأتي في كتاب النكاح بآتم من هذا السياق ، ويأتي شرحه هناك . وقوله « وقال أبو ضمرة » هو أنس بن عياض ، وهشام هو ابن عروة بن الزبير ، والغرض بهذا التعليق بيان فائدتين : إحداهما أن أبا ضمرة خالف أبا أسامة في وصله فأرسله ، ثانيتهما أن في رواية أبي ضمرة تعيين الأرض المذكورة وأنها كانت مما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير فأقطع الزبير منها ، وبذلك يرتفع استشكل الخطابي حيث قال : لا أدري كيف أقطع النبي صلى الله عليه وسلم أرض المدينة وأهلها قد أسلموا راغبين في الدين ، إلا أن يكون المراد ما وقع من الأنصار أنهم جعلوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما لا يبلغه المأمن من أرضهم ، فأقطع النبي صلى الله عليه وسلم من شاء منه . تاسعها حديث ابن عمر في معاملة أهل خيبر ، وفيه قصة إجلاء عمر لهم باختصار ، وقد مر شرحه في كتاب المزارعة ، وقوله فيه « نترككم » من الترك ، وفي رواية الكشميني « نترككم » من التقرير . وقوله هنا « وكانت الأرض لما ظهر عليها لليهود وللرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين » كذا للأكثر ، وفي رواية ابن السكن « لما ظهر عليها لله وللرسول وللمسلمين » ؛ فقد قيل إن هذا هو الصواب ، وقال ابن أبي صفرة والذي في الأصل صحيح أيضاً ، قال : والمراد بقوله « لما ظهر عليها » أي لما ظهر على فتح أكثرها قبل أن يسأله اليهود أن يصالحوه فكانت لليهود ، فلما صالحهم على أن يسلموا له الأرض كانت لله ولرسوله ، ويحتمل أن يكون على حذف مضاف أي ثمرة الأرض ، ويحتمل أن يكون المراد بالأرض ما هو أعم من المفتحة وغير المفتحة ، والمراد بظهوره عليها غلبته لهم فكان حينئذ بعض الأرض لليهود وبعضها للرسول وللمسلمين . وقال ابن المنير : أحاديث الباب مطابقة للترجمة إلا هذا الأخير فليس فيه للعطاء ذكر ، ولكن فيه ذكر جهات مطابقة للترجمة قد علم من مكان آخر أنها كانت جهات عطاء ، فهذه الطريق تدخل تحت الترجمة ، والله أعلم .

باب ما يُصيبُ من الطعام في أرض الحرب

[٣١٥٣] ٣٠٤٨ - حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل قال: كنا محاصرين قصر خيبر، فرمى إنسان بجراب فيه شحم، فنزوت لأخذه فالتفت فإذا النبي صلى الله عليه، فاستحييت منه.

[الحديث ٣١٥٣ - طرفاه في: ٤٢٢٤، ٥٥٠٨].

[٣١٥٤] ٣٠٤٩ - حدثنا مسدد قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع أن ابن عمر قال: كنا نصاب في مغازينا العسل والعنب، فنأكله ولا نرفعه.

[٣١٥٥] ٣٠٥٠ - حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا الشيباني قال سمعت ابن أبي أوفى يقول: أصابتنا مجاعة ليالي خيبر، فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الأهلية فانتحرناها، فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه: أكفئوا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئاً.

قال عبد الله: فقلنا: إنما نهى النبي صلى الله عليه لأنها لم تخمس. قال: وقال آخرون: حرّمها ألبتة.

وسألت سعيد بن جبير فقال: حرّمها ألبتة.

[الحديث ٣١٥٥ - أطرافه في: ٤٢٢٠، ٤٢٢٢، ٤٢٢٤، ٥٥٢٦].

قوله (باب ما يصيب) أي المجاهد (من الطعام في أرض الحرب) أي هل يجب تخميسه في الغنائم، أو يباح أكله للمقاتلين؟ وهي مسألة خلاف، والجمهور على جواز أخذ الغنائم من القوت وما يصلح به وكل طعام يعتاد أكله عموماً، وكذلك علف الدواب، سواء كان قبل القسمة أو بعدها، بإذن الإمام وبغير إذنه. والمعنى فيه أن الطعام يعز في دار الحرب فأبيح للضرورة. والجمهور أيضاً على جواز الأخذ ولو لم تكن الضرورة ناجزة، واتفقوا على جواز ركوب دوابهم ولبس ثيابهم واستعمال سلاحهم في حال الحرب، ورد ذلك بعد انقضاء الحرب وشرط الأوزاعي فيه إذن الإمام، وعليه أن يرده كلما فرغت حاجته، ولا يستعمله في غير الحرب، ولا ينتظر برده انقضاء الحرب لئلا يعرضه للهلاك، وحجته حديث روي عن ابن ثابت مرفوعاً «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يأخذ دابة من المغنم فيركبها حتى إذا أعجفها ردها إلى المغنم» وذكر في الثوب مثل ذلك، وهو حديث حسن أخرجه أبو داود والطحاوي، ونقل عن أبي يوسف أنه حمله على ما إذا كان الأخذ غير محتاج يبق دابته أو ثوبه بخلاف من ليس له ثوب ولا دابة. وقال الزهري: لا يأخذ شيئاً من الطعام ولا غيره إلا بإذن الإمام، وقال سليمان بن موسى: يأخذ إلا إن نهى الإمام. وقال ابن المنذر: قد وردت الأحاديث الصحيحة في التشديد في الغلول، واتفق علماء الأمصار

على جواز أكل الطعام ، وجاء الحديث بنحو ذلك فليقتصر عليه ، وأما العلف فهو في معناه . وقال مالك :
يباح ذبح الأنعام للأكل كما يجوز أخذ الطعام ، وقيده الشافعي بالضرورة إلى الأكل حيث لا طعام ، وقد
تقدم في « باب ما يكره من ذبح الإبل » في أواخر الجهاد شيء من ذلك . ثم ذكر المصنف في الباب ثلاثة
أحاديث : أحدها .

قوله (عن عبد الله بن مغفل) بالمعجمة والفاء وزن محمد ، وفي رواية بهز بن أسد عن شعبة عند
مسلم « سمعت عبد الله بن مغفل » وفي رواية سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال « حدثني عبد الله بن مغفل »
والإسناد كله بصريون .

قوله (فرمى إنسان) لم أقف على اسمه ولأبي داود من طريق سليمان بن المغيرة « دلى بجراب يوم خير
فالتزمته » .

قوله (بجراب) بكسر الجيم .

قوله (فتزوت) بالنون والزاي أى وثبت مسرعاً ، ووقع في رواية سليمان بن المغيرة « فالتزمته »
فقلت لا أعطي اليوم أحداً من هذا شيئاً » وقد أخرج ابن وهب بسند معضل « أن صاحب المغام كعب بن
عمرو بن زيد الأنصاري أخذ منه الجراب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل بينه وبين جرابه » وبهذا يتبين
معنى قوله « فاستحييت من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ولعله استحيا من فعله ذلك ومن قوله معاً ،
وموضع الحجة منه عدم إنكار النبي صلى الله عليه وسلم ، بل في رواية مسلم ما يدل على رضاه فإنه قال فيه
« فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متبسماً » وزاد أبو داود الطيالسي في آخره « فقال هو لك » وكأنه عرف
شدة حاجته إليه فسوغ له الاستئثار به . وفي قوله « فاستحييت » إشارة إلى ما كانوا عليه من توقير النبي
صلى الله عليه وسلم ، ومن معاناة التنزه عن خوارم المروءة . وفيه جواز أكل الشحوم التي توجد عند اليهود ،
وكانت محرمة على اليهود ، وكرهها مالك . وعن أحمد تحريمها ، وسيأتي ذلك في باب مفرد في كتاب
الذبائح إن شاء الله تعالى . ثانيها حديث ابن عمر « كنا نصيب في مغازينا العسل والعنب فنأكله ولا نرفعه »
رواه يرنس بن محمد عند أبي نعيم وأحمد بن إبراهيم عند الإسماعيلي عن حماد بن زيد فزاد فيه « والفواكه »
ورواه الإسماعيلي من طريق ابن المبارك عن حماد بن زيد بلفظ « كنا نصيب العسل والسمن في المغازي فنأكله »
ومن طريق جرير بن حازم عن أيوب بلفظ « أصبنا طعاماً وأغنماً يوم اليرموك فلم يقسم » وهذا الموقوف
لا يغاير الأول لاختلاف السياق ، وللأول حكم المرفوع للتصريح بكونه في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وأما يوم اليرموك فكان بعده فهو موقوف يوافق المرفوع .

قوله (ولا نرفعه) أى ولا نحمله على سبيل الادخار ، ويحتمل أن يريد ولا نرفعه إلى متولى أمر
الغنيمة أو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا نستأذنه في أكله اكتفاء بما سبق منه من الإذن . ثالثها حديث عبد الله
ابن أبي أوفى في ذبحهم الحمر الأهلية يوم خير ، وفيه الأمر بإراقها ، وفيه اختلافهم في سبب النهي هل هو
لكونها لم تخمس أو لتحريم الحمر الأهلية ، وسيأتي البحث في ذلك في كتاب الذبائح ، والغرض منه هنا أنه
يشعر بأن عادتهم جرت بالإسراع إلى المأكولات وانطلاق الأيدي فيها ولولا ذلك ما قدموا بحضرة النبي

صلى الله عليه وسلم على ذلك ، وقد ظهر أنه لم يأمرهم بإراقة لحوم الحمر إلا لأنها لم تخمس ، وأما حديث ثعلبة بن الحكم قال « أصبنا يوم خيبر غنماً » فذكر الأمر بكفائها وفيه « فإنها لا تنحل النبهة » قال ابن المنذر إنما كان ذلك لأجل ما وقع من النبهة ، لأن أكل نعم أهل الحرب غير جائز . ومن أحاديث الباب حديثه عبد الله بن أبي أوفى أيضاً « أصبنا طعاماً يوم خيبر ، فكان الرجل يجيء فيأخذ منه مقدار ما يكفيه ثم ينصرف » أخرجه أبو داود والحاكم والطحاوي ولفظه « فيأخذ منه حاجته » .

قوله (قال عبد الله) هو ابن أبي أوفى راوى الحديث ، وبين ذلك في المغازى من وجه آخر عن الشيباني بلفظ « قال ابن أبي أوفى فتحدثنا » فذكر نحوه ، ولمسلم من طريق علي بن مسهر عن الشيباني قال « فتحدثنا بيننا » أى الصحابة . وقوله « وقال آخرون » أى من الصحابة . والحاصل أن الصحابة اختلفوا في علة النهي عن لحم الحمر هل هو لذاتها أو لعارض ، وسيأتى في المغازى في هذا الحديث قول من قال : لأنها كانت تأكل العذرة .

قوله (وسألت سعيد بن جبير) قائل ذلك هو الشيباني ورواية الشيباني عن سعيد بن جبير لغير هذا الحديث عند النسائي .

ب

الجزية والمواذعة مع أهل الذمة والحرب

وقول الله عز وجل: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ ﴾

إلى: ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ يعني: أذلاء

والمسكنة: مصدر المسكين، أسكن من فلان: أحوج منه. ولم يذهب إلى السكون

وما جاء في أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس والعجم

وقال ابن عينة عن ابن أبي نجيح: قلت لمجاهد: ما شأن أهل الشام عليهم أربعة دنانير،

[٣١٥٦] وأهل اليمن عليهم دينار؟ قال: جعل ذلك من قبل اليسار.

٣٠٥١- حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال سمعتُ عمرًا قال: كنتُ جالسًا

مع جابر بن زيد وعمرو بن أوس فحدثتهما بجملة سنة سبعين - عام حج مصعب بن الزبير بأهل

البصرة - عند درج زمزم قال: كنتُ كاتبًا لجزء بن معاوية عم الأحنف، فأتانا كتابُ عمر بن

[٣١٥٧] الخطاب قبل موته سنة: فرّقوا بين كل ذي محرم من المجوس. ولم يكن عمر أخذ الجزية من

[٣١٥٨] المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه أخذها من مجوس هجر.

٣٠٥٢- حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني عروة بن الزبير

عن المسور بن مخرمة أنه أخبره أن عمرو بن عوف الأنصاري - وهو حليف لبني عامر بن لؤي،

وكان شهد بدرًا - أخبره أن رسول الله صلى الله عليه بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي

بجزيتها، وكان رسول الله صلى الله عليه هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن

الحضرمي، فقدم أبو عبيدة فوافقت صلاة الصبح مع رسول الله صلى الله عليه، فلما صلى بهم

الفجر انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صلى الله عليه حين رآهم وقال: «أظنكم قد

سمعتُم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء»، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم،

(١) الرقمان ٣١٥٦ و ٣١٥٧ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم».

[٣١٥٩]

٣٠٥٣- حدثنا الفضل بن يعقوب قال حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي قال حدثنا المعتمر ابن سليمان قال حدثنا سعيد بن عبيد الله الثقفي قال حدثنا بكر بن عبد الله المزني وزياد بن جبير عن جبير بن حية قال: بعث عمر الناس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين، فأسلم الهرمزان، فقال: إني مستشيرك في مغازي هذه، قال: نعم، مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له رأس وله جناحان وله رجلان، فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس، فإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس. فإن شدخ الرأس ذهبت الرجلان والجناحان والرأس. فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس. فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى.

وقال بكر وزياد جميعاً عن جبير بن حية قال: فندبنا عمر. واستعمل علينا النعمان بن مقرن. حتى إذا كنا بأرض العدو، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم. فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية. وأخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط. ومن بقي منا ملك رقابكم، فقال النعمان: ربما أشهدك الله مثلها مع النبي صلى الله عليه فلم يندمك ولم يخزك، ولكني شهدت القتال مع رسول الله صلى الله عليه، كان إذا لم يقاتل في أول النهار انتظر حتى تهب الأرواح. وتحضر الصلوات.

[الحديث ٣١٥٩ - طرفه في: ٧٥٣٠].

(١) الرقمان ٣١٥٩ و ٣١٦٠ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

قوله (باب الجزية) كذا للأكثر ، ووقع عند ابن بطلال وأبي نعيم « كتاب الجزية » ووقع لجميعهم البسملة أوله سوى أبي ذر .

قوله (الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب) فيه لف ونشر مرتب ، لأن الجزية مع أهل الذمة ، والموادعة مع أهل الحرب . والجزية من جزأت الشيء إذا قسمته ثم سهلت الهمزة ، وقيل من الجزاء أى لأنها جزاء تركهم ببلاد الإسلام ، أو من الإجزاء لأنها تكفى من توضع عليه في عصمة دمه . والموادعة المتاركة ، والمراد بها متاركة أهل الحرب مدة معينة لمصلحة . قال ابن المنير : وليس في أحاديث الباب ما يوافقها إلا الحديث الأخير في تأخير النعمان بن مقرن القتال وانتظاره زوال الشمس . قلت : وليست هذه الموادعة المعروفة ، والذي يظهر أن الصواب ما وقع عند أبي نعيم من إثبات لفظ « كتاب » في صدر هذه الترجمة ويكون الكتاب معقوداً للجزية والمهادنة ، والأبواب المذكورة بعد ذلك مفرعة عنه ، والله أعلم . قال العلماء : الحكمة في وضع الجزية أن الذل الذي يلحقهم ويحملهم على الدخول في الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الاطلاع على محاسن الإسلام . واختلف في سنة مشروعتها فقيل في سنة ثمان ، وقيل في سنة تسع .

قوله (وقول الله عز وجل : قاتلوا الذين الخ) هذه الآية هي الأصل في مشروعية الجزية ، ودل منطوق الآية على مشروعتها مع أهل الكتاب ، ومفهومها أن غيرهم لا يشار كهم فيها .

قوله (يعنى أذلاء) هو تفسير « وهم صاغرون » قال أبو عبيدة في المجاز : الصاغر الذليل الحقير . قال : وقوله « عن يد » أى عن طيب نفس ، وكل من أطاع لقاها وأعطاها عن طيب نفس من يد فقد أعطاها عن يد . وقيل معنى قوله « عن يد » أى نعمة منكم عليهم ، وقيل يعطيها من يده ولا يبعث بها ، وعن الشافعي : المراد بالصغار هنا التزام حكم الإسلام ، وهو يرجع إلى التفسير اللغوي . لأن الحكم على الشخص بما لا يعتقده ويضطر إلى احتماله يستلزم الذل .

قوله (والمسكنة مصدر المسكين ، فلان أسكن من فلان أحوج منه ، ولم يذهب إلى السكون) هذا الكلام ثبت في كلام أبي عبيدة في المجاز ، والقاتل « ولم يذهب إلى السكون » قيل هو الفربري الراوى عن البخارى ، أراد أن ينبه على أن قول البخارى « أسكن » من المسكنة لا من السكون ، وإن كان أصل المادة واحداً ، ووجه ذكر المسكنة هنا أنه لما فسر الصغار بالذلة وجاء في وصف أهل الكتاب أنهم « ضربت عاهم الذلة والمسكنة » ناسب ذكر المسكنة عند ذكر الذلة .

قوله (وما جاء في أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس والعجم) هذه بقية الترجمة ، قيل وعطف العجم على من تقدم ذكره من عطف الخاص على العام ، وفيه نظر ، والظاهر أن بينهما خصوصاً وعموماً وجهياً ، فأما اليهود والنصارى فهم المراد بأهل الكتاب بالاتفاق ، وأما المجوس فقد ذكر مستنده في الباب ، وفرق الحنفية فقالوا : تؤخذ من مجوس العجم دون مجوس العرب ، وحكى الطحاوى عنهم تقبل الجزية من أهل الكتاب ومن جميع كفار العجم ولا يقبل من مشركى العرب إلا الإسلام أو السيف ، وعن مالك تقبل من جميع الكفار إلا من ارتد ، وبه قال الأوزاعي وفقهاء الشام ، وحكى ابن القاسم عنه لا تقبل من

قريش ، وحكى ابن عبد البر الاتفاق على قبولها من المجوس ، لكن حكى ابن التين عن عبد الملك أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى فقط ، ونقل أيضاً الاتفاق على أنه لا يحل نكاح نسائهم ولا أكل ذبائحهم ، لكن حكى غيره عن أبي ثور حل ذلك ، قال ابن قدامة : هذا خلاف إجماع من تقدمه . قلت : وفيه نظر ، فقد حكى ابن عبد البر عن سعيد بن المسيب أنه لم يكن يرى بذبيحة المجوسى بأساً إذا أمره المسلم بذبحها ، وروى ابن أبي شبة عنه وعن عطاء وطاوس وعمر بن دينار أنهم لم يكونوا يرون بأساً بالتسرى بالمجوسية ، وقال الشافعى : تقبل من أهل الكتاب عرباً كانوا أو عجماء ويلتحق بهم المجوس فى ذلك ، واحتج بالآية المذكورة فإن مفهومها أنها لا تقبل من غير أهل الكتاب وقد أخذها النبى صلى الله عليه وسلم من المجوس فدل على إلحاقهم بهم واقتصر عليه . وقال أبو عبيد : ثبتت الجزية على اليهود والنصارى بالكتاب وعلى المجوس بالسنة ، واحتج غيره بعموم قوله فى حديث بريده وغيره « فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا وإلا فالجزية » واحتجوا أيضاً بأن أخذها من المجوس يدل على ترك مفهوم الآية ، فلما انتفى تخصيص أهل الكتاب بذلك دل على أن لا مفهوم لقرله « من أهل الكتاب » ، وأجيب بأن المجوس كان لهم كتاب ثم رفع ، وروى الشافعى وغيره فى ذلك حديثاً عن على ، وسيأتى فى هذا الباب ذكره . وتعقب بقوله تعالى ﴿ إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ﴾ ، وأجيب بأن المراد مما اطلع عليه القائلون وهم قريش لأنهم لم يشتهر عندهم من جميع الطوائف من له كتاب إلا اليهود والنصارى ، وليس فى ذلك نفي بقية الكتب المنزلة كالزبور وصحف إبراهيم وغير ذلك .

قوله (وقال ابن عينة الخ) وصله عبد الرزاق عنه به وزاد بعد قوله أهل الشام « من أهل الكتاب تؤخذ منهم الجزية الخ » وأشار بهذا الأثر إلى جواز التفاوت فى الجزية ، وأقل الجزية عند الجمهور دينار لكل سنة ، وخصه الحنفية بالفقير ، وأما المتوسط فعليه ديناران وعلى الغنى أربعة ، وهو موافق الأثر مجاهد كما دل عليه حديث عمر ، وعند الشافعية أن للإمام أن يماكس حتى يأخذها منهم وبه قال أحمد ، روى أبو عبيد من طريق أبي إسحق عن حارثة بن مضرب « عن عمر أنه بعث عثمان بن حنيف بوضع الجزية على أهل السواد ثمانية وأربعين وأربعة وعشرين واثني عشر » وهذا على حساب الدينار باثنى عشر . وعن مالك لا يزداد على الأربعين ، وينقص منها عن لا يطبق ، وهذا محتمل أن يكون جعله على حساب الدينار بعشرة ، والقدر الذى لا بد منه دينار ، وفيه حديث مسروق عن معاذ أن النبى صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن قال : خذ من كل حالم ديناراً » أخرجه أصحاب السنن وصححه الترمذى والحاكم ، واختلف السلف فى أخذها من الصبى فالجمهور لا على مفهوم حديث معاذ ، وكذا لا تؤخذ من شيخ فان ولا زمن ولا امرأة ولا مجنون ولا عاجز عن الكسب ولا أجير ولا من أصحاب الصوامع والديارات فى قول ، والأصح عند الشافعية للوجوب على من ذكر آخرأ . ثم ذكر المصنف فى الباب ثلاثة أحاديث يشتمل الأخير على حديثين : أحدها حديث عبد الرحمن بن عوف .

قوله (سمعت عمرأ) هو ابن دينار .

قوله (كنت جالساً مع جابر بن زيد) هو أبو الشعثاء البصرى (وعمر بن أوس) هو الثقفى المتقدم

ذكر روايته عن عبد الرحمن بن أبي بكر في الحج وعن عبد الله بن عمرو في التهجيد ، وليست له هنا رواية ، بل ذكره عمرو بن دينار ليبين أن بحالة لم يقصده بالتحديث وإنما حدث غيره فسمعه هو ، وهذا وجه من وجوه التحمل بالاتفاق ، وإنما اختلفوا هل يسوغ أن يقول « حدثنا » ؟ والجمهور على الجواز ، ومنع منه النسائي وطائفة قليلة ، وقال البرقاني : يقول « سمعت فلاناً » .

قوله (فحدثهما بحالة) هو بفتح الموحدة والجيم الخفيفة تابعي شهير كبير تميمي بصرى وهو ابن عبدة بفتح المهملة والموحدة ، ويقال فيه عبد بالسكون بلا هاء ، وماله في البخارى سوى هذا الموضع .

قوله (عام حج مصعب بن الزبير بأهل البصرة) أى وحج حينئذ بحالة معه ، وبذلك صرح أحمد في روايته عن سفيان ، وكان مصعب أميراً على البصرة من قبل أخيه عبد الله بن الزبير . وقتل مصعب بعد ذلك بسنة أو سنتين .

قوله (كنت كاتباً لجزء) بفتح الجيم وسكون الزاى بعدها همزة هكذا يقوله المحدثون ، وضبطه أهل النسب بكسر الزاى بعدها تحتانية ساكنة ثم همزة . ومن قاله بلفظ التصغير فقد صحف . وهو ابن معاوية ابن حصن بن عبادة التميمي السعدي ، عم الأحنف بن قيس . وهو معدود في الصحابة . وكان عامل عمر على الأهواز . ووقع في رواية الترمذي أنه كان على تنادر (قلت) هي من قرى الأهواز . وذكر البلاذري أنه عاش إلى خلافة معاوية ، وولى لزياد بعض عمله .

قوله (قبل موته بسنة) كان ذلك سنة اثنتين وعشرين ، لأن عمر قتل سنة ثلاث .

قوله (فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس) زاد مسدد وأبو يعلى في روايتهما « اقتلوا كل ساحر . قال : فقتلنا في يوم ثلاث سواحر ، وفرقنا بين المحارم منهم ، وصنع طعاماً فدعاهم وعرض السيف على فخذيه ، فأكلوا بغير زمزمة » قال الخطابي : أراد عمر بالتفرقة بين المحارم من المجوس منعهم من إظهار ذلك وإفشاء عقودهم به ، وهو كما شرط على النصارى أن لا يظهروا صليبيهم . قلت قد روى سعيد بن منصور من وجه آخر عن بحالة ما يبين سبب ذلك ولفظه « أن فرقوا بين المجوس وبين محارمهم كيما نلحقهم بأهل الكتاب » فهذا يدل على أن ذلك عند عمر شرط في قبول الجزية منهم ، وأما الأمر بقتل الساحر فهو من مسائل الخلاف ، وقد وقع في رواية سعيد بن منصور المذكورة من الزيادة « واقتلوا كل ساحر وكاهن » وسيأتى الكلام على حكم الساحر في « باب هل يعفى عن الذمى إذا سحر » .

قوله (ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف) قلت : إن كان هذا من جملة كتاب عمر فهو متصل وتكون فيه رواية عمر عن عبد الرحمن بن عوف ، وبذلك وقع التصريح في رواية الترمذي ولفظه « فجاءنا كتاب عمر : انظر مجوس من قبلك فخذ منهم الجزية ، فإن عبد الرحمن ابن عوف أخبرني » فذكره . لكن أصحاب الأطراف ذكروا هذا الحديث في ترجمة بحالة بن عبدة عن عبد الرحمن ابن عوف ، وليس بجيد ، وقد أخرج أبو داود من طريق قشير بن عمرو عن بحالة عن ابن عباس قال « جاء رجل من مجوس هجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما خرج قلت له : ما قضى الله ورسوله فيكم ؟

قال . شر ، الإسلام أو القتل . قال : وقال عبد الرحمن بن عوف : قبل منهم الجزية . قال ابن عباس فأخذ الناس بقول عبد الرحمن وتركوا ما سمعت ؛ وعلى هذا فبجالة يرويه عن ابن عباس سماعا وعن عمر كتابة كلاهما عن عبد الرحمن بن عوف ، وروى أبو عبيد بإسناد صحيح عن حذيفة « لولا أني رأيت أصحابي أخذوا الجزية من المجوس ما أخذتها » وفي الموطأ عن جعفر بن محمد عن أبيه « أن عمر قال : لا أدري ما أصنع بالمجوس ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وهذا منقطع مع ثقة رجاله ، ورواه ابن المنذر والدارقطني في « الغرائب » من طريق أبي علي الحنفى عن مالك فزاد فيه « عن جده » وهو منقطع أيضاً لأن جده علي بن الحسين لم يلحق عبد الرحمن بن عوف ولا عمر ، فإن كان الضمير في قوله « عن جده » يعود على محمد بن علي فيكون متصلاً لأن جده الحسين بن علي سمع من عمر بن الخطاب ومن عبد الرحمن بن عوف ، وله شاهد من حديث مسلم بن العلاء بن الحضرمي أخرجه الطبراني في آخر حديث بلفظ « سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب » قال أبو عمر : هذا من الكلام العام الذي أريد به الخاص ، لأن المراد سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية فقط . قلت : وقع في آخر رواية أبي علي الحنفى « قال مالك في الجزية : واستدل بقوله سنة أهل الكتاب على أنهم ليسوا أهل كتاب » لكن روى الشافعي وعبد الرزاق وغيرهما بإسناد حسن عن علي « كان المجوس أهل كتاب يقرؤونه وعلم يدرسونه ، فشرب أميرهم الخمر فوقع على أخته ، فلما أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم وقال : إن آدم كان ينكح أولاده بناته ، فأطاعوه وقتل من خالفه فأسرى على كتابهم وعلى ما في قلوبهم منه فلم يبق عندهم منه شيء » وروى عبد بن حميد في تفسير سورة البروج بإسناد صحيح عن ابن أبيزى « لما هزم المسلمون أهل فارس قال عمر : اجتمعوا . فقال : إن المجوس ليسوا أهل كتاب فنضع عليهم ، ولا من عبدة الأوثان فنجرى عليهم أحكامهم فقال علي : بل هم أهل كتاب » فذكر نحوه لكن قال « وقع على ابنته » وقال في آخره « فوضع الأخدود لمن خالفه » فهذا حجة لمن قال كان لهم كتاب ، وأما قول ابن بطلال : لو كان لهم كتاب ورفع لرفع حكمه ولما استثنى حل ذبائحهم ونكاح نسائهم ، فالجواب أن الاستثناء وقع تبعاً للأثر الوارد في ذلك لأن في ذلك شبهة تقتضى حقن الدم ، بخلاف النكاح فإنه مما يحتاط له . وقال ابن المنذر : ليس تحريم نسائهم وذبائحهم متفقاً عليه ، ولكن الأكثر من أهل العلم عليه . وفي الحديث قبول خبر الواحد ، وأن الصحابي الجليل قد يغيب عنه علم ما اطلع عليه غيره من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأحكامه ، وأنه لا نقص عليه في ذلك . وفيه التمسك بالمفهوم لأن عمر فهم من قوله « أهل الكتاب » اختصاصهم بذلك حتى حدثه عبد الرحمن بن عوف بإلحاق المجوس بهم فرجع إليه . ثانيها حديث عمرو بن عوف .

قوله (الأنصارى) المعروف عند أهل المغازى أنه من المهاجرين وهو موافق لقوله هنا « وهو حليف لبني عامر بن لؤى » لأنه يشعر بكونه من أهل مكة ، ويحتمل أن يكون وصفه بالأنصارى بالمعنى الأعم ، ولا مانع أن يكون أصله من الأوس والخزرج ونزل مكة وحالف بعض أهلها فهذا الاعتبار يكون أنصارياً مهاجرياً ، ثم ظهر لي أن لفظة الأنصارى وهم ، وقد تفرد بها شعيب عن الزهري ، ورواه أصحاب الزهري كلهم عنه بدونها في الصحيحين وغيرهما ، وهو معدود في أهل بدر بانفاقهم ، ووقع عند موسى بن عقبة

في المغازي أنه عمير بن عوف بالتصغير ، وسيأتي في الرقاق من طريق موسى بن عقبة عن الزهري بغير تصغير ، وكأنه كان يقال فيه بالوجهين ، وقد فرق العسكري بين عمير بن عوف وعمرو بن عوف والصواب الوحدة .

قوله (بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين) أي البلد المشهور بالعراق ، وهي بين البصرة ومجر ، وقوله « يأتى بجزيته » أي بجزية أهلها ، وكان غالب أهلها إذ ذاك المجوس ، ففيه تقوية للحديث الذي قبله ، ومن ثم ترجم عليه النسائي « أخذ الجزية من المجوس » ، وذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد قسمة الغنائم بالجرانة أرسل العلاء إلى المنذر بن ساوى عامل البحرين يدعوه إلى الإسلام فأسلم وصالح مجوس تلك البلاد على الجزية .

قوله (وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين) كان ذلك في سنة الوفود سنة تسع من الهجرة ، والعلاء بن الحضرمي صحابي شهير واسم الحضرمي عبد الله بن مالك بن ربيعة ، وكان من أهل حضرموت فقدم مكة فخالف بها بني مخزوم ، وقيل كان اسم الحضرمي في الجاهلية زهرمز ، وذكر عمر ابن شبة في « كتاب مكة » عن أبي غسان عن عبد العزيز بن عمران أن كسرى لما أغار بنو تميم وبنو شيان على ماله أرسل إليهم عسكرياً عليهم زهرمز فكانت وقعة ذى قار فقتلوا الفرس وأسروا أميرهم ، فاشتراه صخر بن رزين الدبلي فسرقة منه رجل من حضرموت فتبعه صخر حتى افتداه منه فقدم به مكة ، وكان صناعاً فعتق وأقام بمكة وولد له أولاد نجباء وتزوج أبو سفيان ابنته الصعبة فصارت دعواهم في آل حرب ، ثم تزوجها عبيد الله بن عثمان والد طلحة أحد العشرة فولدت له طلحة . قال وقال غير عبد العزيز أن كلثوم ابن رزين أو أخاه الأسود خرج تاجراً فرأى بحضرموت عبداً فارساً نجاراً يقال له زهرمز فقدم به مكة ثم اشتراه من مولاه وكان حميراً يكنى أبا رفاعه فأقام بمكة فصار يقال له الحضرمي حتى غاب على اسمه ، فجاور أبا سفيان وانقطع إليه ، وكان آل رزين حلفاء لحرب بن أمية ، وأسلم العلاء قديماً ومات الثلاثة المذكورون أبو عبيدة والعلاء باليمن وعمرو بن عوف في خلافة عمر رضي الله عنهم .

قوله (فقدم أبو عبيدة) تقدم في كتاب الصلاة بيان المال المذكور وقدره وقصة العباس في الأخذ منه وهي التي ذكرت هنا أيضاً .

قوله (فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافقت صلاة الصبح) يؤخذ منه أنهم كانوا لا يجتمعون في كل الصلوات في التجميع إلا لأمر بطراً ، وكانوا يصلون في مساجدهم ، إذ كان لكل قبيلة مسجد يجتمعون فيه ، فلأجل ذلك عرف النبي صلى الله عليه وسلم أنهم اجتمعوا لأمر ، ودلت القرينة على تعيين ذلك الأمر وهو احتياجهم إلى المال للتوسعة عليهم فأبوا إلا أن يكون للمهاجرين مثل ذلك ، وقد تقدم هناك من حديث أنس ، فلما قدم المال رأوا أن لهم فيه حقاً . ويحتمل أن يكون وعدهم بأن يعطيهم منه إذا حضر ، وقد وعد جابرأ بعد هذا أن يعطيه من مال البحرين فوفى له أبو بكر .

قوله (فعرضوا له) أي سأله بالإشارة .

قوله (قالوا أجل يا رسول الله) قال الأخفش : أجل في المعنى مثل نعم ، لكن نعم يحسن أن يقال جواب الاستفهام ، وأجل أحسن من نعم في التصديق .

قوله (فأبشروا) أمر معناه الإخبار بحصول المقصود .

قوله (فتنافسوها) يأتي الكلام عليه في كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى . وفي هذا الحديث أن طلب العطاء من الإمام لا غضاضة فيه ، وفيه البشري من الإمام لأتباعه وتوسيع أملهم منه ، وفيه من أعلام النبوة إخباره صلى الله عليه وسلم بما يفتح عليهم ، وفيه أن المنافسة في الدنيا قد تجر إلى هلاك الدين . ووقع في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم مرفوعاً « تنافسون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون » أو نحو ذلك ، وفيه إشارة إلى أن كل خصلة من المذكورات مسببة عن التي قبلها ، وسيأتي بقية الكلام على ذلك في الرقاق إن شاء الله تعالى .

ثالثها ، قوله (حدثنا المعتمر بن سليمان) كذا في جميع النسخ بسكون العين المهملة وفتح المثناة وكسر الميم ، وكذا وقع في مستخرج الإسماعيلي وغيره في هذا الحديث ، وزعم الدمياطي أن الصواب المعمر بفتح المهملة وتشديد الميم المفتوحة بغير مثناة قال : لأن عبد الله بن جعفر الرقي لا يروى عن المعتمر البصري ، وتعقب بأن ذلك ليس بكاف في رد الروايات الصحيحة ، وهب أن أحدهما لم يدخل بلد الآخر أما يجوز أن يكونا التقيا مثلاً في الحج أو في الغزو ؟ وما ذكره معارض بمثله ، فإن المعمر بن سليمان رقي وسعيد بن عبيد الله بصرى فهما استبعدا من لقاء الرقي البصري جاء مثله في لقاء الرقي للبصري ، وأيضاً فالذين جمعوا رجال البخاري لم يذكروا فيهم المعمر بن سليمان الرقي وأطبقوا على ذكر المعتمر بن سليمان التيمي البصري ، وأغرب الكرمانى فحكى أنه قيل : الصواب في هذا معمر بن راشد يعني شيخ عبد الرزاق . قلت : وهذا هو الخطأ بعينه ، فليست لعبد الله بن جعفر الرقي عن معمر بن راشد رواية أصلاً ، والله المستعان . ثم رأيت سلف الدمياطي فيما جزم به فقال ابن قرقول في المطالع : وقع في التوحيد وفي الجزية عن الفضل بن يعقوب عن عبد الله بن جعفر عن معتمر بن سليمان عن سعيد بن عبيد الله كذا للجميع في الموضعين ، قالوا وهو وهم ، وإنما هو المعمر بن سليمان الرقي ، وكذا كان في أصل الأصيلي فزاد فيه التاء وأصلحه في الموضعين ، قال الأصيلي : المعتمر هو الصحيح ، وقال غيره : المعمر هو الصحيح والرقي لا يروى عن المعتمر ، قال : ولم يذكر الحاكم ولا الباجي في رجال البخاري المعمر بن سليمان ، بل قال الباجي في ترجمة عبد الله بن جعفر : يروى عن المعتمر ، ولم يذكر له البخاري عنه رواية .

قوله (حدثنا سعيد بن عبيد الله الثقفي) هو ابن جبير بن حية المذكور بعد ، وزباد بن جبير شيخه هو ابن عمه .

قوله (عن جبير بن حية) هو جد زباد وحية أبوه بمهملة وتحتانية مثقلة ، وهو من كبار التابعين ، واسم جده مسعود بن معتب بمهملة ومثناة ثم موحدة ، ومنهم من عده في الصحابة وليس ذلك عندى ببعيد ، لأن من شهد الفتوح في وسط خلافة عمر يكون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مميزاً ، وقد نقل ابن عبد البر أنه لم يبق في سنة حجة الوداع من قريش وثقيف أحد إلا أسلم وشهدا وهذا منهم ، وهو من بيت كبير فإن عمه عروة بن مسعود كان رئيس ثقيف في زمانه والمغيرة بن شعبة ابن عمه ، ووقع في رواية الطبري من طريق مبارك بن فضالة عن زباد بن جبير « حدثني أبي » ولسعيد حفيده رواية أخرى في الأشربة والتوحيد ،

وعنه زياد بن جبير تقدمت له روايات أخرى في الصوم والحج ، وذكر أبو الشيخ أن جبير بن حية ولى إمرة أصبهان ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان .

قوله (بعث عمر الناس فى أفناء الأمصار) أى فى مجموع البلاد الكبار ، والأفناء بالفاء والنون ممدود جمع فنو بكسر الفاء وسكون النون ، ويقال فلان من أفناء الناس إذا لم تعين قبيلته . والمصر المدينة العظيمة ، ووقع عند الكرمانى « الأنصار » بالنون بدل الميم وشرح عليه ثم قال : وفى بعضها الأمصار .

قوله (فأسلم الهرمزان) فى السياق اختصار كثير لأن إسلام الهرمزان كان بعد قتال كثير بينه وبين المسلمين بمدينة تستر ، ثم نزل على حكم عمر فأسره أبو موسى الأشعرى وأرسل به إلى عمر مع أنس فأسلم فصار عمر يقربه ويستشيره ، ثم اتفق أن عبيد الله - بالتصغير - ابن عمر بن الخطاب اتهمه بأنه واطأ أبا لؤلؤة على قتل عمر فعدا على الهرمزان فقتله بعد قتل عمر ، وستأتى قصة إسلام الهرمزان بعد عشرة أبواب . وهو بضم الهاء وسكون الراء وضم الميم بعدها زاي ، وكان من زعماء الفرس .

قوله (إني مستشيرك فى مغازى) بالتشديد ، وهذه إشارة إلى ما فى قصده ، ووقع فى رواية ابن أبي شيبه من طريق معقل بن يسار « أن عمر شاور الهرمزان فى فارس وأصبهان وأذربيجان » أى بأبها يبدأ ، وهذا يشعر بأن المراد أنه استشاره فى جهات مخصوصة ، والهرمزان كان من أهل تلك البلاد وكان أعلم بأحوالها من غيره ، وعلى هذا فى قوله فى حديث الباب « فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس » نظر ، لأن كسرى هو رأس أهل فارس ، وأما قيصر صاحب الروم فلم يكن كسرى رأساً لهم . وقد وقع عند الطبرى من طريق مبارك بن فضالة المذكورة قال « فإن فارس اليوم رأس وجناحان » وهذا موافق لرواية ابن أبي شيبه وهو أولى ، لأن قيصر كان بالشام ثم ببلاد الشمال ولا تعلق لهم بالعراق وفارس والمشرق . ولو أراد أن يجعل كسرى رأس الملوك وهو ملك المشرق وقيصر ملك الروم دونه ولذلك جعله جناحان لكان المناسب أن يجعل الجناح الثانى ما يقابله من جهة اليمين كملوك الهند والصين مثلاً ، لكن دلت الرواية الأخرى على أنه لم يرد إلا أهل بلاده التى هو عالم بها ، وكأن الجيوش إذ ذاك كانت بالبلاد الثلاثة ، وأكثرها وأعظمها بالبلدة التى فيها كسرى لأنه كان رأسهم .

قوله (فر المسلمين فلينفروا إلى كسرى) فى رواية مبارك أن الهرمزان قال « فاقطع الجناحين يلى لك الرأس » فأنكر عليه عمر فقال « بل أقطع الرأس أولاً » فيحتمل أنه لما أنكر عليه عاد فأشار عليه بالصواب .

قوله (واستعمل علينا النعمان بن مقرن) بالقاف وتشديد الراء وهو المزنى ، وكان من أفاضل الصحابة هاجر هو وإخوة له سبعة وقيل عشرة ، وقال ابن مسعود « أن للإيمان بيوتاً ، وإن بيت آل مقرن من بيوت الإيمان » وكان النعمان قدم على عمر بفتح القادسية فى رواية ابن أبي شيبه المذكورة « فدخل عمر المسجد فإذا هو بالنعمان يصلى فقدم ، فلما فرغ قال : إني مستعملك ، قال أما جابياً فلا ، ولكن غازياً ، قال : فإنك غاز ، فخرج معه الزبير وحذيفة وابن عمرو والأشعث وعمرو بن معد يكرب » وفى رواية الطبرى المذكورة « فأراد عمر المسير بنفسه ، ثم بعث النعمان ومعه ابن عمر وجماعة ، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بأهل

البصرة ، وإلى حذيفة أن يسير بأهل الكوفة ، حتى يجتمعوا بنهاوند ، وهي بفتح النون والهاء والواو وسكون الثانية ، قال : وإذا التقيتم فأمركم النعمان بن مقرن .

قوله (حتى إذا كنا بأرض العدو) وقد عرف من رواية الطبري أنها نهاوند .

قوله (خرج علينا عامل كسرى) سماه مبارك بن فضالة في روايته بندار ، وعند ابن أبي شيبة أنه ذو الجناحين ، فلعل أحدهما لقبه .

قوله (فقام ترجمان) في رواية الطبري من الزيادة « فلما اجتمعوا أرسل بندار إليهم أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ، فأرسلوا إليه المغيرة » وفي رواية ابن أبي شيبة « وكان بينهم نهر . فسرح إليهم المغيرة ، فعبر النهر ، فشاور ذو الجناحين أصحابه كيف نقعد للرسول ؟ فقالوا له : اقعد في هيئة الملك وبهجته ، فقعد على سريره ووضع التاج على رأسه وقام أبناء الملك حوله سماطين عليهم أساور الذهب والقرطة والديباج ، قال فأذن للمغيرة فأخذ بضبعيه رجلان ومعه رمحه وسيفه ، فجعل يطعن برمحه في بسطهم ليتطيروا » وفي رواية الطبري « قال المغيرة : فضيت ونكست رأسي فدفعت فقلت لهم : إن الرسول لا يفعل به هذا » .

قوله (ما أنتم) هكذا خاطبه بصيغة من لا يعقل احتقاراً له ، وفي روايته ابن أبي شيبة « فقال إنكم معشر العرب أصابكم جوع وجهد فجئتم ، فإن شئتم مرناكم » بكسر الميم وسكون الراء أى أعطيناكم الميرة أى الزاد ورجعتم . وفي رواية الطبري « إنكم معشر العرب أطول الناس جوعاً وأبعد الناس من كل خير ، وما معنى أن أمر هؤلاء الأساورة أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجساً لجيفكم » قال « فحمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت : ما أخطأت شيئاً من صفتنا ، كذلك كنا ، حتى بعث الله إلينا رسوله » .

قوله (نعرف أباه وأمه) زاد في رواية ابن أبي شيبة « في شرف منا ، أوسطنا حسباً ، وأصدقنا حديثاً »

قوله (فأمرنا نبينا رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية) هذا القدر هو الذى يحتاج إليه فى هذا الباب ، وفيه إخبار المغيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتال المجوس حتى يؤدوا الجزية ، ففيه دفع لقول من زعم أن عبد الرحمن بن عوف تفرد بذلك ، وزاد فى رواية الطبري « وإنا والله لانرجع إلى ذلك الشقاء حتى تغلبكم على ما فى أيديكم » .

قوله (فقال النعمان) هكذا وقع فى هذه الرواية مختصراً ، قال ابن بطال : قول النعمان للمغيرة « ربما أشهدك الله مثلها » أى مثل هذه الشدة ، وقوله « فلم يندمك » أى مالقيت معه من الشدة « ولم يحزنك » أى لو قتلت معه لعلمك بما تصير إليه من النعيم وثواب الشهادة ، قال وقوله « ولكني شهدت الخ » كلام مستأنف وابتداء قصة أخرى اه ، وقد بين مبارك بن فضالة فى روايته عن زياد بن جبير ارتباط كلام النعمان بما قبله ، وبسياقه يتبين أنه ليس قصة مستأنفة ، وحاصله أن المغيرة أنكر على النعمان تأخير القتال فاعتذر النعمان بما قاله ، وما أول به قوله « فلم يندمك الخ » فيه أيضاً نظر ، والذى يظهر أنه أراد بقوله « فلم يندمك » أى على التأني والصبر حتى تزول الشمس ، وقوله « ولم يحزنك » شرحه على أنه بالمهمة والنون من الحزن وفى رواية المستملى بالخاء المعجمة بغير نون وهو أوجه لوفاق ما قبله ، وهو نظير ما تقدم فى وفد عبد القيسى

« غير خزايا ولا ندامى » ولفظ مبارك ملخصاً أنهم « أرسلوا إليهم إما أن تعبروا إلينا النهر أو نعبر إليكم » قال النعمان اعبروا إليهم ، قال فتلاقوا وقد قرن بعضهم بعضاً وألقوا حسك الحديد خلفهم لئلا يفروا ، قال فرأى المغيرة كثرتهم فقال لم أر كالיום فشلا أن عدونا يتركون يتأهبون ، أما والله لو كان الأمر إلى لقد أعجلتهم . وفي رواية ابن أبي شيبة « فصافقناهم ، فرشقونا حتى أسرعوا فينا ، فقال المغيرة للنعمان أنه قد أسرع في الناس فلو حملت ، فقال النعمان : إنك لنذو مناقب ، وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله » الله عليه وسلم مثلها » وفي رواية الطبري « قد كان الله أشهدك أمثالها ، والله ما منعتني أن أناجزهم إلا شيء شهدته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله (حتى تهب الأرواح) جمع ربح وأصله الواو ، لكن لما انكسر ما قبل الواو الساكنة انقلبت ياء والجمع يرد الأشياء إلى أصولها ، وقد حكى ابن جني جمع ربح على أرياح .

قوله (وتخصر الصلوات) في رواية ابن أبي شيبة « وتزول الشمس » وهو بالمعنى ؛ وزاد في رواية الطبري « ويطيب القتال » وفي رواية ابن أبي شيبة « وينزل النصر » وزاد معاً واللفظ لمبارك بن فضالة عن زياد بن جبير « فقال النعمان : اللهم إني أسألك أن تقرر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل الكفر والشهادة لي » ثم قال « إني هاز اللراء فتيسروا للقتال » ، وفي رواية ابن أبي شيبة « فليقض الرجل حاجته وليتوطأ ، ثم هازه الثانية فتأهبوا » وفي رواية ابن أبي شيبة « فلينظر الرجل إلى نفسه ويرمي من سلاحه ، ثم هازه الثالثة فاحملوا ، ولا يلوين أحد على أحد ، ولو قتلت ، فإن قتلت فعلى الناس حذيفة . قال فحمل وحمل الناس ، فوالله ما علمت أن أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر . فثبتوا لنا ، ثم انهزموا ، فجعل الواحد يقع على الآخر فيقتل سبعة ، وجعل الحسك الذي جعلوه خلفهم يعقرهم » وفي رواية ابن أبي شيبة « ووقع ذو الجناحين عن بغلة شهباء فانشق بطنه ، ففتح الله على المسلمين » وفي رواية الطبري « وجعل النعمان يتقدم باللواء ، فلما تحقق الفتح جاءتته نشابة في خاصرته فصرعته ، فسجاه أخوه معقل ثوباً وأخذ اللواء ، ورجع الناس فزلوا وباعوا حذيفة ، فكتب بالفتح إلى عمر مع رجل من المسلمين » قلت : وسماه سيف في « الفتوح » طريف بن سهم ، وعند ابن أبي شيبة من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان هو النهدي أنه ذهب بالبشارة إلى عمر ، فيمكن أن يكونا ترافقا ، وذكر الطبري أن ذلك كان سنة تسع عشرة وقيل سنة إحدى وعشرين ، وفي الحديث منقبة للنعمان ومعرفة المغيرة بالحرب وقوة نفسه وشهامته وفصاحته وبلاغته ، ولقد اشتمل كلامه هذا الوجيز على بيان أحوالهم الدنيوية من المطعم والملبس ونحوهما ، وعلى أحوالهم الدينية أولاً وثانياً ، وعلى معتقداتهم من التوحيد والرسالة والإيمان بالمعاد ، وعلى بيان معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وإخباره بالمغيبات ووقوعها كما أخبر ، وفيه فضل المشورة وأن الكبير لا نقص عليه في مشاورة من هو دونه ، وأن المفضل قد يكون أميراً على الأفضل ، لأن الزبير بن العوام كان في جيش عليه فيه النعمان بن مقرن والزبير أفضل منه اتفاقاً ، ومثله تأمير عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر وعمر كما سيأتي في أواخر المغازي ، وفيه ضرب المثل وجودة تصور الهرمزان ولذلك استشاره عمر ، وتشبيه لغائب المجوس بحاضر محسوس لتقريبه إلى الفهم ، وفيه البداة بقتال الأهم فالأهم ، وبيان ما كان العرب

عليه في الجاهلية من الفقر وشظف العيش ، والإرسال إلى الإمام بالبشارة ، وفضل القتال بعد زوال الشمس على ما قبله ، وقد تقدم ذلك في الجهاد ، ولا يعارضه ما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يغير صباحاً لأن هذا عند المصاففة وذاك عند الغارة .

باب إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لبقيتهم؟

[٣١٦١] ٣٠٥٤ - حدثنا سهل بن بكار قال حدثنا وهيب عن عمرو بن يحيى عن عباس الساعدي عن أبي حميد الساعدي قال : غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهدى ملك أيلة للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء ، فكساه برداً ، وكتب له ببحرهم .

قوله (باب إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لبقيتهم) ؟ أى لبقية أهل القرية ، أورد فيه طرفاً من حديث أبي حميد الساعدي « غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم تبوك فأهدى ملك أيلة بغلة » الحديث ، وقد تقدم بتمامه في كتاب الزكاة ، وقوله « وكساه برداً » كذا فيه بالواو ، ولأبي ذر بالقاء وهو أولى لأن فاعل كسا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله « ببحرهم » أى بقريتهم ، قال ابن المنير : لم يقع في لفظ الحديث عند البخاري صيغة الأمان ولا صيغة الطلب لكنه بناه على العادة في أن الملك الذي أهدى إنما طلب إبقاء ملكه ، وإنما يبقى ملكه ببقاء رعيته ، فيؤخذ من هذا أن موادعته موادعة لرعيته . قالت : وهذا القدر لا يكفي في مطابقة الحديث للترجمة ، لأن العادة بذلك معروفة من غير الحديث ، وإنما جرى البخاري على عادته في الإشارة إلى بعض طرق الحديث الذي يورده ، وقد ذكر ذلك ابن إسحق في السيرة فقال « لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه بحنة بن روبة صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فهو عندهم : بسم الله الرحمن الرحيم . هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله لبحنة بن روبة وأهل أيلة » فذكره . قال ابن بطال : العلماء مجمعون على أن الإمام إذا صالح ملك القرية أنه يدخل في ذلك الصالح بقتهم ، واختلفوا في عكس ذلك هو ما إذا استأمن لطائفة معينة هل يدخل هو فيهم ؟ فذهب الأكثر إلى أنه لا بد من تعيينه لفظاً ، وقال أصبغ ومخنون : لا يحتاج إلى ذلك ، بل يكفي بالقرينة ، لأنه لم يأخذ الأمان لغيره إلا وهو يقصد إدخال نفسه .

باب الوصاة بأهل ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذمة : العهد ، والآل : القرابة

[٣١٦٢] ٣٠٥٥ - حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا شعبة قال حدثنا أبو جمرة قال سمعت جويرية بن قدامة التميمي قال : سمعت عمر بن الخطاب ، قلنا : أوصنا يا أمير المؤمنين . قال : أوصيكم بذمة الله ، فإنه ذمة نبيكم ، ورزق عيالكم .

قوله (باب الوصاة بأهل ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم) الوصاة بفتح الواو والمهملة مخففاً بمعنى الوصية ، تقرر وصيته وأوصيته توصية والاسم الوصاة والوصية . وقد تقدم بسطه في أول كتاب الوصايا .

قوله (والذمة العهد والإل القاربة) هو تفسير الضحاك في قوله تعالى ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ﴾ وهو كقول الشاعر :

وأشهد أن إلك من قريش كإل السقب من رآل النعام

وقال أبو عبيدة في « المجاز » الإل العهد والميثاق واليمين ، ومجاز الذمة التذم والجمع ذمم . وقال غيره : يطاق الإل أيضاً على العهد وعلى الجوار . وعن مجاهد : الإل الله ، وأكره عليه غير واحد .

قوله (حدثنا أبو جرة) هر بالجيم والراء الضبعي صاحب ابن عباس ، وجويرية بن قدامة بالجيم مصغر ماله في البخاري سوى هذا الموضع ، وهو مختصر من حديث طويل في قصة مقتل عمر ، وسأذكر ما فيه من فائدة زائدة في الكلام على حديث عمر المذكور في مناقبه ، وقيل إن جويرية هذا هو جارية بن قدامة الصحابي المشهور ، وقد بينت في كتابي في الصحابة ما يقويه ، فإن ثبت وإلا فهو من كبار التابعين :

قوله (أوصيكم بذمة الله فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم) في رواية عمرو بن ميمون « وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من وراءهم وأن لا يكلفوا إلا طاقهم » قلت : ويستفاد من هذه الزيادة أن لا يؤخذ من أهل الجزية إلا قدر ما يطيق المأخوذ منه . وقوله في هذه الرواية « ورزق عيالكم » أي ما يؤخذ منهم من الجزية والخراج ، قال المهلب : في الحديث والحض على الوفاء بالعهد ، وحسن النظر في عواقب الأمور ، والإصلاح لمعانى المال وأصول الاكتساب .

باب ما أقطع النبي صلى الله عليه من البحرين ، وما وعد من البحرين والجزية ، ولمن يقسم الفية والجزية ؟

[٣١٦٣] ٣٠٥٦ - حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا زهير عن يحيى بن سعيد قال : سمعت أنساً قال : دعا النبي صلى الله عليه الأنصار ليكتب لهم بالبحرين ، فقالوا : لا والله حتى تكتب لإخواننا من قريش بمثلها ، فقال : « ذاك لهم ما شاء الله على ذلك يقولون له » . قال : « فإنكم سترون بعدي أثره ، فاصبروا حتى تلقوني » .

[٣١٦٤] ٣٠٥٧ - حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال أخبرني روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله : كان رسول الله صلى الله عليه قال لي : « لو قد جاءنا مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » . فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وجاء مال البحرين قال أبو بكر : من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه عدة فليأتني ، فأتيته فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه قد كان قال لي : « لو قد جاءنا مال البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » . فقال لي : احشه ، فحثوت حشيه . فقال لي : عدّها . فعددتّها ، فإذا هي خمسمائة ، فأعطاني خمسمائة وأعطاني ألفاً وخمسمائة .

[٣١٦٥]

٣٠٥٨- وقال إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال: «انثروه في المسجد»، فكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله، أعطني، إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً. فقال: «خذ» فحثا في ثوبه، ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال: أمر بعضهم يرفعه إلي. قال: «لا». قال: فارفعه أنت علي، قال: «لا». فنثر منه، ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال: أمر بعضهم يرفعه إلي، قال: «لا». قال: فارفعه أنت علي، قال: «لا». فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق، فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا، عجباً من حرصه، فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم.

قوله (باب ما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم من البحرين ، وما وعد من مال البحرين والجزية ، ولمن يقسم الفئ والجزية) اشتملت هذه الترجمة على ثلاثة أحكام ، وأحاديث الباب ثلاثة موزعة عليها على الترتيب . فأما إقطاعه صلى الله عليه وسلم من البحرين فالحديث الأول دال على أنه صلى الله عليه وسلم هم بذلك وأشار على الأنصار به مراراً فلما لم يقبلوا تركه ، فنزل المصنف ما بالقوة منزلة ما بالفعل ، وهو في حقه صلى الله عليه وسلم واضح لأنه لا يأمر إلا بما يجوز فعله والمراد بالبحرين البلد المشهور بالعراق ، وقد تقدم في فرض الخمس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان صالحهم وضرب عليهم الجزية ، وتقدم في كتاب الشرب في الكلام على هذا الحديث أن المراد بإقطاعها للأنصار تخصيصهم بما يتحصل من جزيتها وخراجها لا تملك رقبته لأن أرض الصلح لا تقسم ولا تقطع . وأما ما وعد من مال البحرين والجزية فحديث جابر دال عليه وقد مضى في الخمس مشروحاً . وأما مصرف النىء والجزية فعطف الجزية على النىء من عطف الخاص على العام لأنها من جملة النىء ، قال الشافعي وغيره من العلماء : النىء كل ما حصل للمسلمين مما لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب ، وحديث أنس المعلق يشعر بأنه راجع إلى نظر الإمام بفضل من شاء بما شاء ، وقد تقدم الحديث بهذا الإسناد المعلق بعينه في المساجد من كتاب الصلاة ، وذكرت هناك من وصله وبعض فوائده ، وأعادته في الجهاد وغيره بأخصر من هذا ، وتقدم في الخمس أن المال الذي أتى به من البحرين كان من الجزية وأن مصرف الجزية مصرف النىء ، وتقدم بيان الاختلاف في مصرف النىء ، وأن المصنف يختار أنه إلى نظر الإمام والله أعلم . وروى عبد الرزاق في حديث عمر الطويل حين دخل عليه العباس وعلى يختصمان قال «قرأ عمر ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» الآية ، فقالوا : استوعبت هذه المسلمين «ورواه أبو عبيدة من وجه آخر وقال فيه «فاستوعبت هذه الآية الناس ، فلم يبق أحد إلا له فيها حق ، إلا بعض من تملكون من أرقائكم» قال أبو عبيد : حكم النىء والخراج والجزية واحد ، ويلتحق بما يؤخذ من مال أهل الذمة من العشر إذا تجروا في بلاد الإسلام ، وهو حق المسلمين يعم به الفقير والغني وتصرف منه أعطية المقاتلة وأرزاق النرية وما ينوب الإمام من جميع ما فيه صلاح الإسلام والمسلمين . واختلف

الصحابة في قسم النىء : فذهب أبو بكر إلى التسوية وهو قول على وعطاء واختيار الشافعى ، وذهب عمر وعثمان إلى التفضيل وبه قال مالك ، وذهب الكوفيون إلى أن ذلك إلى رأى الإمام إن شاء فضل وإن شاء سوى ، قال ابن بطلال : أحاديث الباب حجة لمن قال بالتفضيل ، كذا قال ، والذي يظهر أن من قال بالتفضيل يشترط التعميم بخلاف من قال إنه إلى نظر الإمام وهو الذى تدل عليه أحاديث الباب والله أعلم . وروى أبو داود من حديث عوف بن مالك « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه في قسمة من يومه ، فأعطى الأهل حظين وأعطى الأعزب حظاً واحداً . وقال ابن المنذر : انفرد الشافعى بقوله إن في النىء الخمس كخمس الغنيمة ، ولا يحفظ ذلك عن أحد من الصحابة ولا من بعدهم ، لأن الآيات التاليات الآية النىء معطوفات على آية النىء من قوله ﴿ للفقراء المهاجرين ﴾ إلى آخرها فهى مفسرة لما تقدم من قوله ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ ، والشافعى حمل الآية الأولى على أن القسمة إنما وقعت ، لمن ذكر فيها فقط ، ثم لما رأى الإجماع على أن أعطية المقاتلة وأرزاق النرية وغير ذلك من مال النىء تأول أن الذى ذكر في الآية هو الخمس فجعل خمس النىء واجباً لهم ، وخالفه عامة أهل العلم اتباعاً لعمر والله أعلم . وفي قصة العباس دلالة على أن سهم ذوى القربى من النىء لا يختص بفقيرهم لأن العباس كان من الأغنياء ، قال إسحق بن منصور : قلت لأحمد في قول عمر « ما على الأرض مسلم إلا وله من هذا النىء حق إلا ما ملكت أيماكم » قال يقول : النىء للفقير وللغنى وللغنى وللغنى ، وكذا قال إسحق بن راهويه .

باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم

[٣١٦٦]

٣٠٥٩- حدثنا قيس بن حفص قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا الحسن بن عمرو قال حدثنا مجاهد عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه قال : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً » .

[الحديث ٣١٦٦- طرفه في : ٦٩١٤] .

قوله (باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم) كذا قيده في الترجمة ، وليس التقييد في الخبر ، لكنه مستفاد من قواعد الشرع ، ووقع منصوصاً في رواية أبي معاوية الآتى ذكرها بلفظ « بغير حق » وفيما أخرجه النسائي وأبو داود من حديث أبي بكرة بلفظ « من قتل نفساً معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة » وسيأتى الكلام على المتن في الديات فإنه ذكره فيه بهذا الإسناد بعينه . وعبد الواحد شيخ شيخه هو ابن زياد ، والحسن ابن عمرو هو الفقيمي بالفاء والقاف مصغراً كوني ثقة ماله في البخارى سوى هذا الحديث وآخر في الأدب .

قوله (مجاهد عن عبد الله بن عمرو) أى ابن العاص ، كذا قال عبد الواحد عن الحسن بن عمرو ، وتابعه أبو معاوية عند ابن ماجه وعمرو بن عبد الغفار الفقيمي عند الإسماعيلي فهؤلاء ثلاثة رووه هكذا ، وخالفهم مروان بن معاوية فرواه عن الحسن بن عمرو فزاد فيه رجلاً بين مجاهد وعبد الله بن عمرو وهو جنادة بن أبي أمية أخرجه من طريقه النسائي ، ورجح الدارقطني رواية مروان لأجل هذه الزيادة ، لكن سماع مجاهد

من عبد الله بن عمرو ثابت ، وليس بمدلس فيحتمل أن يكون مجاهد سمعه أولاً من جنادة ثم لقي عبد الله بن عمرو ، أو سمعاه معاً وثبته فيه جنادة فحدث به عن عبد الله بن عمرو تارة وحدث به عن جنادة أخرى ، ولعل السر في ذلك ما وقع بينهما من زيادة أو اختلاف لفظ فإن لفظ النسائي من طريقه « من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يجد ربح الجنة » فقال « من أهل الذمة » ولم يقل معاهداً وهو بالمعنى ، ووقع في رواية أبي معاوية « بغير حق » كما تقدم ، ووقع في رواية الجميع « أربعين عاماً » إلا عمرو بن عبد الغفار فقال « سبعين » ووقع مثله في حديث أبي هريرة عند الترمذي .

(تبيين) : أحدهما اتفقت النسخ على أن الحديث من مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ، إلا ما رواه الأصيلي عن الجرجاني عن القريبي فقال « عبد الله بن عمر » بضم العين بغير واو ، وهو تصحيف نبه عليه الجاني . ثانيهما قوله « لم يربح » بفتح الياء والراء وأصله يراح أى وجد ربح ، وحكى ابن التين ضم أوله وكسر الراء ، قال : والأول أجود وعليه الأكثر ، وحكى ابن الجوزي ثالثة وهو فتح أوله وكسر ثانيه من راح يربح ، والله أعلم .

باب إخراج اليهود من جزيرة العرب

وقال عمر عن النبي صلى الله عليه : « أقركم بما أقركم الله به » .

[٣١٦٧] ٣٠٦٠ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا الليث قال حدثني سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : بينما نحن في المسجد خرج النبي صلى الله عليه فقال : « انطلقوا إلى يهود » ، فخرجنا حتى إذا جئنا بيت المدراس فقال : « أسلموا تسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ورسوله ، وإنني أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله » .

[الحديث ٣١٦٧ - طرفاه في : ٦٩٤٤ ، ٧٣٤٨] .

[٣١٦٨] ٣٠٦١ - حدثنا محمد قال أخبرنا ابن عيينة عن سليمان بن أبي مسلم سمع سعيد بن جبیر سمع ابن عباس يقول : يوم الخميس وما يوم الخميس . ثم بكى حتى بل دمه الحصى . قلت : يا أبا عباس ، وما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وجعه فقال : « اتنوني بكتف أكتب لكم كتاباً بالآ تضلوا بعده أبداً » . فتنازعوا . ولا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا : ماله ؟ أهجر ؟ استفهموه . فقال : « ذروني ، الذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه » . فأمرهم بثلاث فقال : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » ، والثالثة إما سكت عنها ، وإما أن قالها فنسيها . قال سعيد : هذا من قول سليمان .

قوله (باب إخراج اليهود من جزيرة العرب) تقدم الكلام على جزيرة العرب في «باب هل يستشفع إلى أهل الذمة» من كتاب الجهاد، وتقدم فيه حديث ابن عباس ثاني حديثي الباب ولفظه «أخرجوا المشركين» وكان المصنف اقتصر على ذكر اليهود لأنهم يوحدون الله تعالى إلا القليل منهم ومع ذلك أمر بإخراجهم فيكون إخراج غيرهم من الكفار بطريق الأولى.

قوله (وقال عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أقرم ما أقرمكم الله) هو طرف من قصة أهل خيبر، وقد تقدم موصولا في المزارعة مع الكلام عليه، ثم ذكر فيه حديثين: أحدهما حديث أبي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لليهود «أسلموا تسلموا» وسيأتي بآتم من هذا السياق في كتاب الإكراه وفي الاعتصام، ولم أر من صرح بنسب اليهود المذكورين والظاهر أنهم بقايا من اليهود تأخروا بالمدينة بعد إجلاء بني قينقاع وقريظة والنضير والفراخ من أمرهم، لأنه كان قبل إسلام أبي هريرة، وإنما جاء أبو هريرة بعد فتح خيبر كما سيأتي بيان ذلك كله في المغازي، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم يهود خيبر على أن يعملوا في الأرض كما تقدم، واستمروا إلى أن أجلاهم عمر، ويحتمل والله أعلم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن فتح ما بقي من خيبر هم بإجلاء من بقي ممن صالح من اليهود ثم سألوهم أن يقيمهم ليعملوا في الأرض فبقاهم، أو كان قد بقي بالمدينة من اليهود المذكورين طائفة استمروا فيها معتمدين على الرضا بإبقائهم للعمل في أرض خيبر ثم منعهم النبي صلى الله عليه وسلم من سكنى المدينة أصلا والله أعلم، بل سياق كلام القرطبي في شرح مسلم يقتضي أنه فهم أن المراد بذلك بنو النضير، ولكن لا يصح ذلك لتقدمه على مجيء أبي هريرة، وأبو هريرة يقول في هذا الحديث إنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم، وبيت المدراس بكسر أوله هو البيت الذي يدرس فيه كتابهم، أو المراد بالمدراس العالم الذي يدرس كتابهم، والأول أرجح لأن في الرواية الأخرى «حتى أتى المدراس» وقوله «أسلموا تسلموا»؛ من الجناس الحسن لسهولة لفظه وعدم تكلفه، وقد تقدم نظيره في كتاب هرقل «أسلم تسلم» وقوله «اعلموا» جملة مستأنفة كأنهم قالوا في جواب قوله أسلموا تسلموا: لم قلت هذا وكررت؟ فقال: اعلموا أني أريد أن أجليكم فإن أسلمتم سلمتم من ذلك ومما هو أشق منه. وقرئهم «قد بلغت» كلمة مكر ومداجاة ليدفعوه بما يوهمه ظاهرها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذلك أريد» أي التبليغ.

قوله (فمن يجد منكم بماله) من الوجدان أي يجد مشترياً، أو من الوجد أي المحبة أي يحبه، والغرض أن منهم من يشق عليه فراق شيء من ماله مما يعسر تحويله فقد أذن له في بيعه. ثانيهما حديث ابن عباس فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاته، والغرض منه قوله «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» ووقع في رواية الجرجاني «أخرجوا اليهود» والأول أثبت.

قوله (حدثنا محمد حدثنا ابن عيينة) محمد هذا هو ابن سلام، وقد تقدم في كتاب الوضوء في حديث آخر «حدثنا محمد بن سلام حدثنا ابن عيينة» وسيأتي الكلام على شرح المتن في الوفاة آخر المغازي إن شاء الله تعالى. قال الطبري: فيه أن على الإمام إخراج كل من دان بغير دين الإسلام من كل بلد غلب عليها المسلمون عنوة إذا لم يكن بالمسلمين ضرورة إليهم كعمل الأرض ونحو ذلك، وعلى ذلك أقر عمر من أقر بالسواد

والشام ، وزعم أن ذلك لا يختص بجزيرة العرب بل يلتحق بها ما كان على حكمها .

باب

إِذَا غَدَرَ الْمُشْرِكُونَ بِالْمُسْلِمِينَ هَلْ يُعْفَى عَنْهُمْ؟

[٣١٦٩] ٣٠٦٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «اجْمَعُوا لِي مَا كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودٍ»، فَجَمَعُوا لَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟» قَالُوا: فُلَانٌ. فَقَالَ: «كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ». قَالُوا: صَدَقْتَ. قَالَ: «فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذَبْنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبْنَانَا. فَقَالَ لَهُمُ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟» قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُقُونَا فِيهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا نَخْلُقُكُمْ فِيهَا أَبَدًا». قَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟» فَقَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟» قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرْكَ.

[الحديث ٣١٦٩ - طرفاه في: ٤٢٤٩، ٥٧٧٧].

قوله (باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم) ذكر فيه حديث أبي هريرة في قصة اليهود في سم الشاة بعد فتح خيبر ، وسيأتي الكلام عليه مستوفى في المغازي ، ولم يجزم البخاري بالحكم إشارة إلى ما وقع من الاختلاف في معاقبة المرأة التي أهدت السم ، وسيأتي بسطه هناك إن شاء الله تعالى .

باب

دَعَاءُ الْإِمَامِ عَلَى مَنْ نَكَثَ عَهْدًا

[٣١٧٠] ٣٠٦٣ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسًا عَنِ الْقَنُوتِ قَالَ: قَبْلَ الرُّكُوعِ. فَقُلْتُ: إِنْ فَلَانًا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ، فَقَالَ: كَذِبٌ، ثُمَّ حَدَّثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَنَتَ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ قَالَ: بَعَثَ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ - يَشْكُ فِيهِ - مِنَ الْقُرَاءِ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَعَرَضَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ فَقَتَلُوهُمْ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَهْدٌ، فَمَا رَأَيْتُهُ وَجَدَ عَلَى أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَيْهِمْ.

قوله (باب دعاء الإمام علي من نكث عهداً) ذكر فيه حديث أنس في القنوت ، وقد سبق شرحه مستوفى في كتاب الوتر . وقوله (حدثنا ثابت بن يزيد) أوله تحتانية ، ووهم من قال فيه زيد بغير ياء ، وعاصم شيخه هو الأحول ، والإسناد كله بصريون .

باب أمان النساء وجوارهن

[٣١٧١] ٣٠٦٤ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول : ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره ، فسلمت عليه . فقال : « من هذه ؟ » فقلت : أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال : « مرحباً بأم هانئ » ، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفاً في ثوب واحد . فقلت : يا رسول الله ، زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلاً قد أجرته ؛ فلان ابن هبيرة . فقال رسول الله صلى الله عليه : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » قالت أم هانئ : وذلك ضحى .

قوله (باب أمان النساء وجوارهن) الجوار بكسر الجيم وضمها المجاورة ، والمراد هنا الإجارة ، تقول جاورته أجاوره مجاورة وجواراً ، وأجرته أجيره إجاراً وجواراً . ذكر فيه حديث أم هانئ وقد تقدم في أوائل الصلاة ما يتعلق بالمراد بفلان ابن هبيرة وغير ذلك من فوائده ، ووقع هنا للداودي الشارح وهم ، فإنه قال : قوله عام الحديبية وهم من عبد الله بن يوسف والذي قاله غيره يوم الفتح ، وتعقبه ابن التين بأن الروايات كلها على خلاف ما قال الداودي وليس فيها إلا يوم الفتح على الصواب . قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة ، إلا شيئاً ذكره عبد الملك - يعني ابن الماجشون صاحب مالك - لا أحفظ ذلك عن غيره قال : إن أمر الأمان إلى الإمام ، وتأول ماورد مما يخالف ذلك على قضايا خاصة ، قال ابن المنذر : وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم « يسعى بذمتهم أدناهم » دلالة على إغفال هذا القائل انتهى . وجاء عن سحنون مثل قول ابن الماجشون فقال : هو إلى الإمام ، إن أجازته جاز وإن رده رد .

باب ذمة المسلمين وجوارهم وأحدتهم ، يسعى بها أدناهم

[٣١٧٢] ٣٠٦٥ - فامحمد قال نا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : خطبنا علي فقال : ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة ، قال : فيها الجراحات ، وأسنان الإبل ، والمدينة حرم ما بين غير إلى كذا ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن تولّى غير مواليه فعليه مثل ذلك ، وذمة المسلمين وأحدتهم ، فمن أخفر مسلماً فعليه مثل ذلك .

قوله (باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة يسمى بذمتهم أدناهم) ذكر فيه حديث عليّ في الصحيفة ، ومحمد شيخه هر ابن سلام نسبة ابن السكن ، والغرض منه قوله فيه « وذمة المسلمين واحدة ، فمن أخضر مسلماً فعليه مثل ذلك » أى مثل ما ذكر من الوعيد في حق من أحدث في المدينة حدثاً ، وهو ظاهر فيما يتعلق بصدر الترجمة . وأما قوله « يسمى بذمتهم أدناهم » فأشار به إلى ما ورد في بعض طرقه ، وقد تقدم بيانه في فضل المدينة في أواخر الحج ، ويأتى بهذا اللفظ بعد خمسة أبواب ، ودخل في قوله « أدناهم » أى أقلهم كل وضع بالنص وكل شريف بالفحوى فدخل في أدناهم المرأة والعبد والصبي والمجنون . فأما المرأة فتقدم في الباب الذي قبله ، وأما العبد فأجاز الجمهور أمانه قاتل أو لم يقاتل ، وقال أبو حنيفة : إن قاتل جاز أمانه وإلا فلا ، وقال سحنون : إذا أذن له سيده في القتال صح أمانه وإلا فلا . وأما الصبي فقال ابن المنذر : أجمع أهل العلم أن أمان الصبي غير جائز قلت : وكلام غيره يشعر بالتفرقة بين المراهق وغيره وكذلك المميز الذي يعقل ، والخلاف عن المالكية والحنابلة . وأما المجنون فلا يصح أمانه بلا خلاف كالكافر . لكن قال الأوزاعي : إن غزا الذمي مع المسلمين فأمن أحداً فإن شاء الإمام أمضاه وإلا فليرده إلى مأمنه ، وحكى ابن المنذر عن الثوري أنه استثنى من الرجال الأحرار الأسير في أرض الحرب فقال : لا ينفذ أمانه ، وكذلك الأجير . وقد مضى كثير من فوائد هذا الحديث في فضل المدينة ، وتأتى بقيته في كتاب الفرائض إن شاء الله تعالى .

إِذَا قَالُوا : صَبَّأْنَا وَلَمْ يُحَسِّنُوا أَسْلَمْنَا

وقال ابن عمر : فجعل خالد يقتل ، فقال النبي صلى الله عليه : « أبرأ إليك مما صنع خالد » .

وقال عمر : إذا قال : مترس فقد أمنه ، إن الله يعلم الألسنة كلها . أو قال : تكلم . لا بأس .

قوله (باب إذا قالوا) أى المشركون حين يقاتلون (صَبَّأْنَا) أى وأرادوا الإخبار بأنهم أسلموا (ولم يحسنوا أسلمنا) أى جرياً منهم على لغتهم ، هل يكون ذلك كافياً في رفع القتال عنهم أم لا ؟ قال ابن المنير : مقصود الترجمة أن المقاصد تعتبر بأداتها كيفما كانت الأدلة لفظية أو غير لفظية بأى لغة كانت .

قوله (وقال ابن عمر : فجعل خالد يقتل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبرأ إليك مما صنع خالد) هذا طرف من حديث طويل أخرجه المؤلف في غزوة الفتح من المغازي ، ويأتى الكلام عليه مستوفى هناك ، وحاصله أن خالد بن الوليد غزا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم قوماً فقالوا صَبَّأْنَا وأرادوا أسلمنا ، فلم يقبل خالد ذلك منهم وقتلهم بناء على ظهر اللفظ ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فأنكره ، فدل على أنه يكتفى من كل قوم بما يعرف من لغتهم . وقد عذر النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في اجتهاده ، ولذلك لم يقد منه . وقال ابن بطال : لا خلاف أن الحاكم إذا قضى بجور أو بخلاف قول أهل العلم أنه مردود ، لكن ينظر فإن كان على وجه الاجتهاد فإن الإثم ساقط ، وأما الضمان فيلزم عند الأكثر .

وقال الثوري وأهل الرأي وأحمد وإسحق : ما كان في قتل أو جراح في بيت المال . وقال الأوزاعي والشافعي وصاحبنا أي حنيفة : على العاقلة . وقال ابن الماجشون لا يلزم فيه ضمان . وسيأتي البحث في ذلك في كتاب الأحكام ، وهذا من المواضع التي يتمسك بها في أن البخاري يترجم ببعض ماورد في الحديث وإن لم يورده في تلك الترجمة فإنه ترجم بقوله « صباناً » ولم يوردها ، واكتفى بطرف الحديث الذي وقعت هذه اللفظة فيه .

قوله (وقال عمر : إذا قال « مترس » فقد آمنه ، إن الله يعلم الألسنة كلها) وصله عبد الرزاق من طريق أبي وائل قال « جاءنا كتاب عمر ونحن نحاصر قصر فارس فقال : إذا حاصرتم قصرأ فلا تقولوا انزل على حكم الله فإنكم لا تدرون ما حكم الله ، ولكن أنزلوهم على حكمكم ثم اقصوا فيهم ، وإذا لقي الرجل الرجل فقال لا تخف فقد آمنه ، وإذا قال مترس فقد آمنه ، إن الله يعلم الألسنة كلها » وأول هذا الأثر أخرجه مسلم من طريق بريدة مرفوعاً في حديث طويل . و « مترس » كلمة فارسية معناها لا تخف وهي بفتح الميم وتشديد المثناة وإسكان الراء بعدها مهملة وقد تخفف التاء وبه جزم بعض من لقيناه من العجم ، وقيل بإسكان المثناة وفتح الراء ووقع في الموطأ رواية يحيى بن يحيى الأندلسي مطرس بالطاء بدل المثناة ، قال ابن قرقول : هي كلمة أعجمية ، والظاهر أن الراوي فخم المثناة فصارت تشبه الطاء كما يقع من كثير من الأندلسيين .

قوله (وقال تكلم لا بأس) فاعل قال هو عمر ، وروى ابن أبي شبة ويعقوب بن سفيان في تاريخه من طرق بإسناد صحيح عن أنس بن مالك قال « حاصرنا تستر ، فزل الهرمزان على حكم عمر ، فلما قدم به عليه استعجم ، فقال له عمر : تكلم لا بأس عليك ، وكان ذلك تأمناً من عمر » ورويناه مطولاً في سنن سعيد ابن منصور حدثنا هشيم أخبرنا حميد ، وفي نسخة إسماعيل بن جعفر من طريق ابن خزيمة عن علي بن حجر عنه عن حميد عن أنس قال « بعث معي أبو موسى بالهرمزان إلى عمر ، فجعل عمر يكلمه فلا يتكلم ، فقال له : تكلم ، قال : أكلام حي أم كلام ميت ؟ قال تكلم لا بأس » فذكر القصة ، فأل فأراد قتله فقات : لاسبيل إلى ذلك ، قد قلت له تكلم لا بأس ، فقال من يشهد لك ؟ فشهد لي الزبير بمثل ذلك ، فتركه فأسلم ، وفرض له في العطاء . قال ابن المنير . يستفاد منه أن الحاكم إذا نسي حكمه فشهد عنده اثنان به نفيه ، وأنه إذا توقف في قبول شهادة الواحد فشهد الثاني بوفقه انتفت الريبة ولا يكون ذلك قدحاً في شهادة الأول ، وتوله « إن الله يعلم الألسنة كلها » المراد اللغات ، ويقال إنها ثنتان وسبعون لغة : ستة عشر في ولد سام ، ومثلها في ولد حام ، والبقية في ولد يافث .

باب المَوَادَعَةِ وَالْمَصَالِحَةِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ ، وَإِثْمُ مَنْ لَمْ يَفِ بِالْعَهْدِ ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا ﴾ : طلبوا ﴿ لِلْسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ الآية .

٣٠٦٦ - نا مسدد قال نا بشر هو ابن الفضل قال نا يحيى غن بشير بن يسار عن سهل [٣١٧٣]

ابن أبي حثمة قال : انطلق عبد الله بن سهل ومحبيصة بن مسعود بن زيد إلى خيبر ، وهي يومئذ صلح ، فتفرقا ، فأتى محبيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دم قتيلاً ، فدفنه ، ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحبيصة وحويصة ابنا مسعود إلى النبي صلى الله عليه ،

فذهب عبد الرحمن يتكلم، فقال: «كَبُرَ كَبْرٌ» - وهو أحدثُ القوم - فسكت، فتكلما، فقال: «أتحلفون وتستحقون دم قاتلكم - أو صاحبكم -» قالوا: كيف نحلف ولم نشهد ولم نر؟ قال: «فتبريكم يهودُ بخمسين». فقالوا: كيف نأخذُ أيمان قوم كفار؟ فعقله النبي صلى الله عليه من عنده.

قوله (باب الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره) أى كالأسرى .
قوله (وإن جنحوا للسلم - جنحوا طلبوا السلم - فاجنح لها) أى أن هذه الآية دالة على مشروعية المصالحة مع المشركين ، وتفسير جنحوا بطلبوا هو للمصنف ، وقال غيره : معنى جنحوا مالوا ، وقال أبو عبيدة : السلم والسلم واحد وهو الصلح . وقال أبو عمر : والسلم بالفتح الصلح ، والسلم بالكسر الإسلام . ومعنى الشرط فى الآية أن الأمر بالصلح مقيد بما إذا كان الأحظ للإسلام المصالحة ، أما إذا كان الإسلام ظاهراً على الكفر ولم تظهر المصلحة فى المصالحة فلا . ذكر فيه حديث سهل بن أبى حثمة فى قصة عبد الله ابن سهل وقتله بخير . والغرض منه قوله « انطلق إلى خير وهى يومئذ صلح » وفهم المهلب من قوله فى آخره « فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده » أنه يوافق قوله فى الترجمة « والمصالحة مع المشركين بالمال » فقال : إنما وداه من عنده استئلاً لليهود وطمعاً فى دخولهم فى الإسلام . وهذا الذى قاله يردده ما فى نفس الحديث من غير هذه الطريق « فكره النبي صلى الله عليه وسلم أن يبطل دمه » فإنه مشعر بأن سبب إعطائه ديته من عنده كان تطيباً لقلوب أهله . ويحتمل أن يكون كل منهما سنياً لذلك . وبهذا تم الترجمة . وأما أصل المسألة فاختلف فيه . فقال الوليد بن مسلم سألت الأوزاعى عن موادعة إمام المسلمين أهل الحرب على مال يؤدونه إليهم فقال : لا يصلح ذلك إلا عن ضرورة كشغل المسلمين عن حربهم . وقال لا بأس أن يصلحهم على غير شىء يؤدونه إليهم كما وقع فى الحديبية . وقال الشافعى : إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين جازت لهم مهادبتهم على غير شىء يعطونهم ، لأن القتل للمسلمين شهادة ، وإن الإسلام أعز من أن يعطى المشركون على أن يكفروا عنهم ، إلا فى حالة مخافة اصطلام المسلمين لكثرة العدو ، لأن ذلك من معانى الضرورات ، وكذلك إذا أسر رجل مسلم فلم يطلق إلا بفدية جاز . وأما قول المصنف « وإثم من لم يف بالعهد » فليس فى حديث الباب ما يشعر به ، وسيأتى البحث فيه فى كتاب القسامة من كتاب الديات إن شاء الله تعالى .

(تنبيه) قوله فى نسب محيصة بن مسعود « ابن زيد » يقال إن الصواب « كعب » بدل زيد .

باب فضل الوفاء بالعهد

٣٠٦٧ - نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة أخبره أن عبد الله بن عباس أخبره أن أباسفیان بن حرب بن أمية أخبره : أن هرقل أرسل

إليه في ركب من قريش كانوا تجاراً بالشام في المدة التي مادَّ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله بأسفيان في كفار قريش.

قوله (باب فضل الوفاء بالعهد) ذكر فيه طرفاً من حديث أبي سفيان في قصة هرقل ، قال ابن بطلال : أشار البخاري بهذا إلى أن الغدر عند كل أمة قبيح مذموم ، وليس هو من صفات الرسل .

هل يعفى عن الذمي إذا سحر

وقال ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب سئل : أعلی من سحر من أهل العهد قتل؟ قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد صنع له ذلك فلم يقتل من صنعه ، وكان من أهل الكتاب .

[٣١٧٥] ٣٠٦٨ - فامحمد بن المثنى قال نا يحيى قال نا هشام قال ني أبي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله سحر حتى كان يخيل إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه .

[الحديث ٣١٧٥ - أطرافه في : ٣٢٦٨ ، ٥٧٦٣ ، ٥٧٦٥ ، ٥٧٦٦ ، ٦٠٦٣ ، ٦٣٩١ .]

قوله (باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر) قال ابن بطلال : لا يقتل ساحر أهل العهد لكن يعاقب ، إلا إن قتل بسحره فيقتل ، أو أحدث حدثاً فيؤخذ به . وهو قول الجمهور . وقال مالك : إن أدخل بسحره ضرراً على مسلم نقض عهده بذلك . وقال أيضاً : يقتل الساحر ولا يستتاب ، وبه قال أحمد وجماعة ، وهو عندهم كالزناديق . وقوله « وقال ابن وهب الخ » وصله ابن وهب في جامعه هكذا .

قوله (وكان من أهل الكتاب) قال الكرمانى : ترجم بلفظ الذمي وسئل الزهري بلفظ أهل العهد وأجاب بلفظ أهل الكتاب ، فالأولان متقاربان ، وأما أهل الكتاب فراده من له منهم عهد ، وكان الأمر في نفس الأمر كذلك . قال ابن بطلال : لا حجة لابن شهاب في قصة الذي سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان لا ينتقم لنفسه ، ولأن السحر لم يضره في شيء من أمور الوحي ولا في بدنه ، وإنما كان اعتراه شيء من التخيل ، وهذا كما تقدم أن عفريتاً تفلت عليه ليقطع صلاته فلم يتمكن من ذلك ، وإنما ناله من ضرر السحر ما ينال المريض من ضرر الحمى . قلت : ولهذا الاحتمال لم يجزم المصنف بالحكم . ثم ذكر طرفاً من حديث عائشة « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سحر » وأشار بالترجمة إلى ما وقع في بقية القصة « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما عوفي أمر بالبئر فردمت وقال : كرهت أن أثير على الناس شراً » وسيأتى الكلام على شرحه مستوفى حيث ذكره المصنف تاماً في كتاب الطب إن شاء الله تعالى .

ب

ما يُحذَرُ مِنَ الْغَدْرِ

وقول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ﴾ الآية.

[٣١٧٦] ٣٠٦٩ - نا الحميدي قال نا الوليد بن مسلم قال نا عبد الله بن العلاء بن زبر قال سمعت

بسر بن عبيد الله أنه سمع أبا إدريس قال سمعت عوف بن مالك قال: أتيت النبي صلى الله عليه في غزوة تبوك - وهو في قبة آدم - فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً».

قوله (باب ما يحذر) بضم أوله مخففاً ومثقلاً (من الغدر).

قوله (وقول الله عز وجل) ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ﴾ الآية (هو بالجر عطفاً على لفظ الغدر، وحسب بإسكان المهملة أى كاف. وفي هذه الآية إشارة إلى أن احتمال طلب العدو للصلح خديعة لا ينبغي من الإجابة إذا ظهر للمسلمين، بل يعزم ويتوكل على الله سبحانه.

قوله (سمعت بسر بن عبيد الله) بضم الموحدة وسكون المهملة، والإسناد كله شاميون إلا شيخ البخاري. وفي تصريح عبد الله بن العلاء بالسماع له من بسر دلالة على أن الذي وقع في رواية الطبراني من طريق دحيم عن الوليد عن عبد الله بن العلاء عن زيد بن واقد عن بسر بن عبيد الله، فزاد في الإسناد زيد بن واقد فهو من المزيدي في منصل الأسانيد. وقد أخرجه أبو داود وابن ماجه والإسماعيلي وغيرهم من طرق ليس فيها زيد بن واقد.

قوله (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم) زاد في رواية المؤمل بن الفضل عن الوليد عند أبي داود «فسلمت فرد. فقال ادخل. فقلت: أكل يارسول الله؟ قال: كلك. فدخلت» فقال الوليد قال عثمان بن أبي العاتكة إنما قال ذلك من صغر القبة.

قوله (ستاً) أى ست علامات لقيام الساعة، أو لظهور أشراتها المقتربة منها.

قوله (ثم موتان) بضم الميم وسكون الواو، قال القزاز: هو الموت. وقال غيره المرات الكثير الوقوع، ويقال بالضم لغة تميم وغيرهم يفتحونها. ويقال للبليد موتان القاب بفتح الميم والسكون، وقال ابن الجوزي: يغلط بعض المحدثين فيقول موتان بفتح الميم والواو، وإنما ذاك اسم الأرض التي لم تحي بالزرع والإصلاح.

(تنبيه) في رواية ابن السكن « ثم موتان » بلفظ التثنية وحيث أنه فهو بفتح الميم .

قوله (كعقاص الغم) بضم العين المهملة وتخفيف القاف وآخره مهملة ، هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة . قال أبو عبيدة : ومنه أخذ الإقعاص وهو القتل مكانه . وقال ابن فارس : العقاص داء يأخذ في الصدر كأنه يكسر العنق . ويقال أن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس .

قوله (ثم استفاضة المال) أي كثرته ، وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة ، والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان ، واستمرت الفتن بعده ، والسادسة لم تجئ بعد .

قوله (هدنة) بضم الهاء وسكون المهملة بعدها نون هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه .
قوله (بنى الأصفر) هم الروم .

قوله (غاية) أي راية ، وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف . ووقع في حديث ذي مخبر بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الموحدة عند أبي داود في نحو هذا الحديث بانغظ « راية » بدل غاية . وفي أوله « ستصالحون الروم صلحاً آمناً ، ثم تغزون أنتم وهم عدواً فتنصرون ، ثم تنزلون مرجاً فيرفع رجل من أهل الصليب الصليب فيقول غلب الصلاب ، فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدفعه ، فعند ذلك تغدر الروم ويجمعون للملحمة فيأتون » فذكره . ولابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعاً « إذا وقعت الملاحم بعث الله بعثاً من الموالى يؤيد الله بهم الدين » وله من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً « الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر » وله من حديث عبد الله بن بسر رفعه « بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ، ويخرج الدجال في السابعة » وإسناده أصح من إسناد حديث معاذ ، قال ابن الجوزي : رواه بعضهم « غاية » بموحدة بدل التحتانية والغاية الأجمة كأنه شبه كثرة الرماح بالأجمة . وقال الخطابي : الغاية الغضة ، فاستعيرت للرايات ترفع لرؤساء الجيش لما يشرع معها من الرماح ، وجملة العدد المشار إليه تسعمائة ألف وستون ألفاً ، ولعل أصله ألف ألف فألغيت كسوره . ووقع مثله في رواية ابن ماجه من حديث ذي مخبر ولفظه « فيجتمعون للملحمة ، فيأتون تحت ثمانين غابة تحت كل غابة اثنا عشر ألفاً » ، ووقع عند الإسماعيلي من وجه آخر عن الوليد بن مسلم قال : تذاكرنا هذا الحديث وشيخنا من شيوخ المدينة فقال : أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان يقول في هذا الحديث مكان فتح بيت المقدس « عمران بيت المقدس » قال : المهلب فيه أن الغدر من أشراط الساعة . وفيه أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرها . وقال ابن المنير : أما قصة الروم فلم يجمع إلى الآن ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد فهي من الأمور التي لم تقع بعد . وفيه بشارة ونذارة ، وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش ، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه . ووقع في رواية للحاكم من طريق الشعبي عن عوف بن مالك في هذا الحديث « أن عوف بن مالك قال لمعاذ في طاعون عمواس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : اعدد ستاً بين يدي الساعة ، فقد وقع منهن ثلاث ، يعني موته صلى الله عليه وسلم وفتح

بيت المقدس والطاعون ، قال وبقي ثلاث فقال له معاذ : أن لهذا أهلاً . ووقع في الفتن لنعيم بن حماد أن هذه القصة تكون في زمن المهدي على يد ملك من آل هرقل .

باب كيف ينبذ إلى أهل العهد؟

وقول الله عز وجل : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾

٣٠٧٠ - نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى : لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . ويوم الحج الأكبر يوم النحر ، وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس الحج الأصغر ، فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام ، فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه النبي صلى الله عليه مشرك . [٣١٧٧]

قوله (باب كيف ينبذ إلى أهل العهد ، وقول الله عز وجل ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾) أي اطرح إليهم عهدهم ، وذلك بأن يرسل إليهم من يعينهم بأن العهد انتقض ، قال ابن عباس : أي على مثل ، وقيل على عدل ، وقيل أعلمهم أنك قد حاربتهم حتى يصيروا مثلك في العلم بذلك . وقال الأزهرى : المعنى إذا عاهدت قوماً فخشيت منهم النقض فلا توقع بهم بمجرد ذلك حتى تعلمهم . ثم ذكر فيه حديث أبي هريرة « بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى » الحديث ، وقد تقدم شرحه في الحج وأنه سيشرح في تفسير براءة ، قال المهلب : خشي رسول الله صلى الله عليه وسلم غدر المشركين فلذلك بعث من ينادى بذلك .

باب

إثم من عاهد ثم غدر

﴿ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ ﴾ الآية

٣٠٧١ - نا قتيبة بن سعيد قال نا جرير عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « أربع خلال من كن فيه كان منافقاً خالصاً : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها . » [٣١٧٨]

٣٠٧٢ - نا محمد بن كثير قال أنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبيه عن علي [٣١٧٩]

قال: ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه إلا القرآن، وما في هذه الصحيفة، قال النبي صلى الله عليه: «المدينة حرام ما بين غير إلى كذا، فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف». ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل. ومن والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل».

[٣١٨٠] ٣٠٧٣ - قال: وقال أبو موسى نا هاشم بن القاسم قال نا إسحاق بن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قال: كيف أنتم إذا لم تحتبوا ديناراً ولا درهماً؟ ف قيل له: وكيف ترى ذلك كائناً يا أبا هريرة؟ قال: إي والذي نفس أبي هريرة بيده، عن قول الصادق المصدوق. قالوا: عم ذلك؟ قال: «تنتهك ذمة الله وذمة رسوله، فيشد الله قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم».

قوله (باب إثم من عاهد ثم غدر) الغدر حرام باتفاق، سواء كان في حق المسلم أو الذمي. قوله (وقول الله عز وجل: ﴿الذين عاهدت منهم﴾) ذكر فيه ثلاثة أحاديث: أحدها حديث عبد الله بن عمرو في علامات المنافق وهو ظاهر فيما ترجم له، وقد مضى شرحه في كتاب الإيمان. ثانيها حديث علي «ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا القرآن» الحديث، وقد تقدم التنبيه عليه قريباً، والمراد منه قوله «من أخفر مسلماً» وهو بالخاء المعجمة والفاء أي نقض عهده. ثالثها حديث أبي هريرة.

قوله (وقال أبو موسى) هو محمد بن المثنى شيخ البخاري، وقد تكرر نقل الخلاف في هذه الصيغة هل تقوم مقام العنينة فتحمل على السماع أو لا تحمل على السماع، إلا ممن جرت عادته أن يستعملها فيه؟ وبهذا الأخير جزم الخطيب. وهذا الحديث قد وصله أبو نعيم في «المستخرج» من طريق موسى بن عباس عن أبي موسى مثله، ووقع في بعض نسخ البخاري «حدثنا أبو موسى» والأول هو الصحيح وبه جزم الإسماعيلي وأبو نعيم وغيرهما، (واسحق بن سعيد) أي ابن عمرو بن سعيد بن العاص، وقد وافقه أخوه خالد ابن سعيد أخرجه الإسماعيلي من طريقه بنحوه.

قوله (إذا لم تحتبوا) من الجباية بالجيم والموحدة وبعد الألف تحتانية، أي لم تأخذوا من الجزية والخراج شيئاً.

قوله (تنتهك) بضم أوله أي تناول مما لا يحل من الجور والظلم.

قوله (فيمنعون ما في أيديهم) أي يمتنعون من أداء الجزية، قال الحميدي: أخرج مسلم معنى هذا الحديث من وجه آخر عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة رفعه «منعت العراق درهماً وقفيزها» وصاق الحديث

بلفظ الفعل الماضي ، والمراد به ما يستقبل مبالغة في الإشارة إلى تحقق وقوعه ، ولمسلم عن جابر أيضاً مرفوعاً « يوشك أهل العراق أن لا يجتبي إليهم بغير ولا درهم ، قالوا : مم ذلك ؟ قال : من قبل العجم يمنعون ذلك » وفيه علم من أعلام النبوة ، والتوصية بالوفاء لأهل الذمة لما في الجزية التي تؤخذ منهم من نفع المسلمين ، وفيه التحذير من ظلمهم وأنه متى وقع ذلك نقضوا العهد فلم يجتب المسلمون منهم شيئاً فتضيق أحوالهم . وذكر ابن حزم أن بعض المالكية احتج بقوله في حديث أبي هريرة « منعت العراق درهما » الحديث على أن الأرض المغنومة لا تقسم ولا تباع وأن المراد بالمنع منع الحراج ، ورده بأن الحديث ورد في الإنذار بما يكون من سوء العاقبة وأن المسلمين سيمنعون حقوقهم في آخر الأمر ، وكذلك وقع .

ب

[٣١٨١] ٣٠٧٤- نا عبدان قال نا أبو حمزة قال سمعت الأعمش قال : سألت أبا وائل : شهدت صفين ؟ قال : نعم ، فسمعت سهل بن حنيف يقول : اتهموا رأيكم ، رأيتني يوم أبي جندل فلو أستطيع أن أرد أمر النبي صلى الله عليه وآله لرددته ، وما وضعنا أسياقنا على عواتقنا لأمر يفظعنا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه غير أمرنا هذا .

[الحديث ٣١٨١ - أطرافه في : ٣١٨٢ ، ٤١٨٩ ، ٤٨٤٤ ، ٧٣٠٨] .

[٣١٨٢] ٣٠٧٥- نا عبد الله بن محمد قال نا يحيى بن آدم قال نا يزيد بن عبد العزيز عن أبيه قال نا حبيب بن أبي ثابت قال نا أبو وائل قال : كنا بصفين ، فقام سهل بن حنيف فقال : أيها الناس اتهموا أنفسكم ، فإننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا ، فجاء عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، ألسنا على الحق وهم على باطل ؟ فقال : « بلى » . فقال : أليس قتلنا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : « بلى » . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ أنرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : « يا ابن الخطاب ، إني رسول الله ، ولن يضيعني الله أبداً » . فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وآله ، فقال : إنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولن يضيعه الله أبداً . فنزلت سورة الفتح ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على عمر إلى آخرها ، قال عمر : يا رسول الله ، أو فتح هو ؟ قال : « نعم » .

[٣١٨٣] ٣٠٧٦- نا قتيبة بن سعيد قال نا حاتم بن إسماعيل عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله ومدتهم مع أبيها ، فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة ، فأصلها ؟ قال : « نعم ، صليها » .

قوله (باب) كذا هو بلا ترجمة عند الجميع ، وهو كالفصل من الباب انذى قبله ، وذكر فيه حديثين : أحدهما عن سهل بن حنيف في قصة الحديبية ، وذكره من وجهين ، والطريق الأولى منهما مختصرة ، وقد ساقه منها بتمامه في الاعتصام ، وقد تقدمت الإشارة إلى فوائده في الكلام على حديث المسور في كتاب الشروط ، وسيأتى ما يتعلق منه بصفين في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى . والثاني حديث أسماء بنت أبي بكر في وفود أمها ، ووجه تعلق الأول من جهة ما آل إليه أمر قريش في نقضها العهد من الغلبة عليهم وقهرهم بفتح مكة ، فإنه يوضح أن مآل الغدر مذموم ومقابل ذلك ممدوح ، ومن هنا يتبين تعلق الحديث الثاني ، ووجهه أن عدم الغدر اقتضى جواز صلة القريب ولو كان على غير دين الواصل ، وقد تقدم حديث أسماء في الهبة مشروحاً ، وقول سهل بن حنيف « يوم أبي جندل » أراد به يوم الحديبية ، وإنما نسبته لأبي جندل لأنه لم يكن فيه على المسلمين أشد من قصته كما تقدم بيانه ، وعبد العزيز بن سياه في إسناده بالمهملة المكسورة بعدها تحتانية خفيفة وبالهاء وصلاً ووقفاً ، وهو مصروف مع أنه أعجمي ، وكأنه ليس بعلم عندهم . وإنما قال سهل بن حنيف لأهل صفين ما قال لما ظهر من أصحاب على كراهية التحكيم فأعلمهم بما جرى يوم الحديبية من كراهة أكثر الناس للصلح ، ومع ذلك فأعقب خيراً كثيراً وظهر أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم في الصلح أتم وأحد من رأيهم في المناجزة ، وسيأتى بقية فوائده في كتاب التفسير والاعتصام إن شاء الله تعالى .

باب المصالحة على ثلاثة أيام أو وقت معلوم

[٣١٨٤] ٣٠٧٧ - نا أحمد بن عثمان قال ني شريح بن مسلمة قال نا إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق قال ني أبي عن أبي إسحاق قال ني البراء أن النبي صلى الله عليه لما أراد أن يعتمر أرسل إلى أهل مكة يستأذنهم ليدخل مكة ، فاشترطوا عليه أن لا يقيم بها إلا ثلاث ليال ، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح ، ولا يدعو منهم أحداً . قال : فأخذ يكتب الشرط بينهم علي بن أبي طالب ، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقالوا : لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك ، ولبايعناك ، ولكن اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . فقال : « أنا والله محمد بن عبد الله ، وأنا والله رسول الله » . قال : وكان لا يكتب ، قال فقال لعلي : « امح رسول الله » . فقال علي : والله لا أمحاه أبداً . قال : « فأرنيه » ، فأراه إياه ، فمحاها النبي صلى الله عليه بيده . فلما دخل ومضى الأيام أتوا علياً فقالوا : مر صاحبك فليرتحل . فذكر ذلك علي لرسول الله صلى الله عليه ، فقال : « نعم » . ثم ارتحل .

قوله (باب المصالحة على ثلاثة أيام أو وقت معلوم) أى يستفاد من وقوع المصالحة على ثلاثة أيام

جوازها في وقت معلوم ولم تكن ثلاثة ، وأورد فيه حديث البراء في العمرة وقد تقدم في الصلح ، وسيأتي شرح ما يتعلق بكتابة الصلح منه في كتاب المغازي إن شاء الله تعالى .

باب الموادعة من غير وقت

وقول النبي صلى الله عليه : «أقركم على ما أقركم الله» .

قوله (باب الموادعة من غير وقت ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : أقركم على ما أقركم الله) هو طرف من حديث معاملة أهل خيبر ، وقد تقدم شرحه في المزارعة وبيان الاختلاف في أصل المسألة ، وأما ما يتعلق بالجهاد فالموادعة فيه لأحد لها معلوم لا يجوز غيره ، بل ذلك راجع إلى رأى الإمام بحسب ما يراه الأحظ والأحوط للمسلمين .

باب

طرح جيف المشركين في البئر ، ولا يؤخذ لهم ثمن

٣٠٧٨ - نا عبد الله بن عثمان قال أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال : بينا النبي صلى الله عليه ساجد وحوله ناس من قريش إذ جاءه عقبة بن أبي معيط بسلى جزور وقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه ، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فأخذت من ظهره ودعت على من صنع ذلك ، فقال : «اللهم عليك الملاء من قريش ، اللهم عليك أباجهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وعقبة بن أبي معيط ، وأمّية بن خلف - أو أبي بن خلف -» فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر ، غير أمّية - أو أبي - فإنه كان رجلاً ضخماً ، فلما جرّوه تقطعت أوصاله قبل أن يلقي في البئر .

[٣١٨٥]

قوله (باب طرح جيف المشركين في البئر ، ولا يؤخذ لهم ثمن) ذكر فيه حديث ابن مسعود في دعاء

النبي صلى الله عليه وسلم على أبي جهل بن هشام وغيره من قريش وفيه « فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر » وقد تقدم بهذا الإسناد في « باب الطهارة » ومضى شرحه أيضاً . ويأتي في المغازي مزيد لذلك .

قوله (ولا يؤخذ لهم ثمن) أشار به إلى حديث ابن عباس « أن المشركين أرادوا أن يشتروا جسد رجل

من المشركين فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم » أخرجه الترمذي وغيره ، وذكر ابن إسحق في المغازي « أن المشركين سألو النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسد نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، وكان اقتحم

الخنزق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا بثمنه ولا جسده » فقال ابن هشام : بلغنا عن الزهري

أنهم بذلوا فيه عشرة آلاف ، وأخذه من حديث الباب من جهة أن أهل قتلى بدر لو فهموا أنه

يقبل منهم فداء أجسادهم لبذلوا فيها ما شاء الله ، فهذا شاهد لحديث ابن عباس ، وإن كان إسناده غير قوى .

باب إثم الغادر للبر والفاجر

[٣١٨٦] ٣٠٧٩- نا أبو الوليد قال نا شعبة عن سليمان الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله - وعن ثابت عن أنس - عن النبي صلى الله عليه قال : « لكل غادر لواء يوم القيامة » ، قال أحدهما : « ينصب » ، وقال الآخر : « يرى يوم القيامة يعرف » .

[٣١٨٨] ٣٠٨٠- نا سليمان بن حرب قال نا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت النبي صلى الله عليه يقول : « لكل غادر لواء ينصب بغدرته » .

[الحديث ٣١٨٨ - أطرافه في : ٦١٧٧ ، ٦١٧٨ ، ٦٩٦٦ ، ٧١١١ .]

[٣١٨٩] ٣٠٨١- نا علي بن عبد الله قال نا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » ، وقال يوم فتح مكة : « إن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة : لا يعصد شوكة ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلي خلوة » . فقال العباس : يا رسول الله ، إلا الإذخر ، فإنه لقينهم وليوتهم . قال : « إلا الإذخر » .

قوله (باب إثم الغادر للبر والفاجر) أى سواء كان من بر لفاجر أو بر ، أو من فاجر لبر أو فاجر . وبين هذه الترجمة والترجمة السابقة بثلاثة أبواب عموم وخصوص ، ذكر فيه أربعة أحاديث : أحدهما وثانيها حديث ابن مسعود وأنس معاً « لكل غادر لواء » . وقوله « وعن ثابت » قائل ذلك هو شعبة بينه مسلم في روايته من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن ثابت عن أنس ، وقد أخرجه الإسماعيلي عن أبي خزيمة عن أبي الوليد شيخ البخاري فيه بالإسنادين معاً « قال في موضعين : وبهذا يرد على من جوز أن يكون ذلك معطوفاً على قوله « عن أبي الوليد » فيكون من رواية الأعمش عن ثابت ، وليس كذلك ، ولم يرقم المزى في التهذيب في رواية الأعمش عن ثابت رقم البخاري .

قوله (قال أحدهما ينصب وقال الآخر - يرى - يوم القيامة يعرف به) ليس في رواية مسلم المذكورة ينصب ولا يرى ، وقد زاد مسلم من طريق غندر عن شعبة « يقال هذه غدرة فلان » وله من حديث أبي سعيد « يرفع له بقدر غدرة » وله من حديثه من وجه آخر « عند استه » قال ابن المنير كأنه عومل بنقيض قصده لأن عادة اللواء أن يكون على الرأس فنصب عند السفلى زيادة في فصيحته ، لأن الأعين غالباً تمتد إلى

الأولية فيكون ذلك سبباً لامتدادها إلى التي بدت له ذلك اليوم فيزداد بها فضيحتة . ثالثة حديث ابن عمر في ذلك .

قوله (ينصب يوم القيامة بغدرته) أي بقدر غدرته كما في رواية مسلم ، قال القرطبي هذا خطاب منه للعرب بنحر ما كانت تفعل ، لأنهم كانوا يرفعون للوفاء راية بيضاء ، وللغدر راية سوداء ، ليلزموا الغادر ويذموا ، فاقتضى الحديث وقوع مثل ذلك للغادر ليشتهر بصفته في القيامة فيذمه أهل الموقف ، وأما الوفاء فلم يرد فيه شيء ولا يبعد أن يقع كذلك ، وقد ثبت لواء الحمد لنبينا صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم تفسير الغدر قريباً والكلام على اللواء وما الفرق بينه وبين الراية في باب مفرد في كتاب الجهاد . وفي الحديث غاظ تحريم الغدر لاسيما من صاحب الولاية العامة لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثير ، ولأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الرفاء ، وقال عياض : المشهور أن هذا الحديث ورد في ذم الإمام إذا غدر في عهده لرعيته أو لمقاتلته أو للإمامة التي تقلدها والتزم القيام بها ، فتن خان فيها أو ترك الرفق فقد غدر بعهده . وقيل المراد نهى الرعية عن الغدر بالإمام فلا تخرج عليه ولا تتعرض لمعصيته لما يترتب على ذلك من الفتنة . قال : والصحيح الأول . قلت : ولا أدري ما المانع من حمل الخبر على أعم من ذلك ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في كتاب الفتن حيث أورده المصنف فيه أتم مما هنا وأن الذي فهمه ابن عمرو روى الحديث هو هذا والله أعلم . وفيه أن الناس يدعون يوم القيامة بأبائهم لقوله فيه « هذه غدرة فلان ابن فلان » وهي رواية ابن عمر الآتية في الفتن ، قال ابن دقيق العيد : وإن ثبت أنهم يدعون بأبائهم فقد يخص هذا من العموم . وتمسك به قوم في ترك الجهاد مع ولاية الجور الذين يغدرون كما حكاه الباجي . رابعها حديث ابن عباس « لا هجرة بعد الفتح ساقه بتمامه ، وقد تقدم شرحه في أواخر الجهاد وباقيه في الحج ، وفي تعلقه بالترجمة غموض ، قال ابن بطال : وجهه أن محارم الله عهرده إلى عباده ، فمن انتهك منها شيئاً كان غادراً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة أمن الناس ، ثم أخبر أن القتال بمكة حرام ، فأشار إلى أنهم آمنون من أن يغدر بهم أحد فيما حصل لهم من الأمان . وقال ابن المنير : وجهه أن النص على أن مكة اختصت بالحرمة إلا في الساعة المستثناة لا يختص بالمؤمن البر فيها » إذ كل بقعة كذلك ، فدل على أنها اختصت بما هو أعم من ذلك . وقال الكرمانى : يمكن أن يؤخذ من قوله « وإذا استنفرتهم فأنفروا » إذ معناه لا تغدروا بالأئمة ولا تخالفوهم ، لأن إيجاب الوفاء بالخروج مستلزم لتحريم الغدر ، أو أشار إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغدر باستحلال القتال بمكة ، بل كان بإحلال الله له ساعة ، ولولا ذلك لما جاز له . قلت : ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع من سبب الفتح الذي ذكر في الحديث وهو غدر قريش بخزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لما تحاربوا مع بني بكر حلفاء قريش ، فأمدت قريش بني بكر وأعانوهم على خزاعة وبيتوهم فقتلوا منهم جماعة ، وفي ذلك يقول شاعرهم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم :

إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وسيأتي شرح ذلك في المغازى مفصلاً ، فكان عاقبة نقض قريش العهد بما فعلوه أن غزاهم المسلمون حتى فتحوا مكة واضطروا إلى طلب الأمان وصاروا بعد العز والقوة في غابة الرهن إلى أن دخلوا في الإسلام

وأكثرهم لذلك كاره ، ولعله أشار بقوله في الترجمة « بالبر » إلى المسلمين « وبالفاجر » إلى خزاعة لأن أكثرهم إذ ذاك لم يكن أسلم بعد ، والله أعلم .

(خاتمة) : اشتملت أحاديث فرض الخمس والجزية والمواذعة - وهي في التحقيق بقايا الجهاد ، وإنما أفردتها زيادة في الإيضاح ، كما أفردت العمرة وجزاء الصيد من كتاب الحج - من الأحاديث المرفوعة على مائة وستة عشر حديثاً ، المعلق منها سبعة عشر طريقاً والبقية موصولة ، المكرر منها فيها وفيما مضى سبعة وستون حديثاً والبقية خالصة ، وافقه مسلم على نخرجها سوى حديث أنس في صفة نقش الخاتم ، وحديثه في النعلين ، وحديثه في القدح ، وحديث أبي هريرة « ما أعطاكم ولا أمنعكم » وحديث خوله « إن رجلاً يخوضون » وحديث تركة الزبير وحديث سؤال هوازن من طريق عمرو بن شعيب ، وحديث إعطاء جابر من تمر خيبر ، وحديث ابن عمر « لم يعتمر من الجعرانة » ، وحديثه « كنا نصيب في مغازينا العسل » فهذه في الخمس ، وحديث عبد الرحمن بن عوف في المجوس ، وحديث عمر فيه ، وحديث ابن عمرو « من قتل معاهداً » وحديث ابن شهاب فيمن سحر ، وحديث عوف في الملاحم ، وحديث أبي هريرة « كيف أنتم إذا لم تجتبوا دينارا ولا درهما » . وفيها من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم عشرون أثراً . والله أعلم .

كتاب بدء الخلق

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب بدء الخلق) كذا للأكثر ، وسقطت البسمة لأبي ذر ، وللتنسي « ذكر » بدل كتاب ، وللصغاني « أبواب » بدل كتاب . و « بدء الخلق » بفتح أوله وبالهمز أى ابتداءه والمراد خلق المخلوق .

باب

ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾

وقال الربيع بن خثيم والحسن : كلُّ عليه هين . هين وهين : مثل : لين ولين ، وميت وميت . ﴿ أَفَعَيْنَا ﴾ : أفأعيا علينا . حين أنشأكم وأنشأ خلقكم . ﴿ لُغُوبٌ ﴾ : النصب . ﴿ أَطْوَارًا ﴾ : طورًا كذا ، وطورًا كذا . عدا طوره : قدره .

[٣١٩٠] ٣٠٨٢ - نا محمد بن كثير قال نا سفيان عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال : جاء نفر من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه فقال : « يا بني تميم ، أبشروا » . فقالوا : بشرتنا فأعطنا . فتغير وجهه . فجاءه أهل اليمن ، فقال : « يا أهل اليمن ، اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم » . قالوا : قبلنا . فأخذ النبي صلى الله عليه يحدث بدء الخلق والعرش . فجاء رجل فقال : يا عمران راحلتك تفلتت . ليتني لم أقم .

[الحديث ٣١٩٠ - أطرافه في : ٣١٩١ ، ٤٣٦٥ ، ٤٣٨٦ ، ٧٤١٨ .]

[٣١٩١] ٣٠٨٣ - نا عمر بن حفص بن غياث قال نا أبي قال نا الأعمش قال نا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وعقلت ناقتي بالباب . فأتاه ناس من بني تميم فقال : « اقبلوا البشرى يا بني تميم » . قالوا : قد بشرتنا فأعطنا (مرتين) . ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن أن لم يقبلها بنو تميم » . قالوا : قد قبلنا يا رسول الله . قالوا : جئنا لنسألك عن هذا الأمر . قال : « كان الله ولم

يكن شيء غيره. وكان عرشه على الماء. وكتب في الذكر كل شيء. وخلق السماوات والأرض». فنادى مناد: ذهب نأقتك يا ابن الحصين. فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب. فوالله لو ددت أني كنت تركتها.

[٣١٩٢] ٣٠٨٤- وروى عيسى عن رقية عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر يقول: قام فينا النبي صلى الله عليه مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه.

[٣١٩٣] ٣٠٨٥- فاعبد الله بن أبي شيبه عن أبي أحمد عن سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه: «قال الله: شتمني ابن آدم. وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني وما ينبغي له. أما شتمه فقول: إن لي ولداً. وأما تكذيبه فقول: ليس يعيدني كما بداني».

[الحديث ٢١٩٣- طرفاه في: ٩٤٧٤، ٤٩٧٥].

[٣١٩٤] ٣٠٨٦- فاقتيبة قال نا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي».

[الحديث ٣١٩٤- أطرافه في: ٧٤٠٤، ٧٤١٢، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤].

قوله (باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾) وقال الربيع ابن خيثم (بالمعجمة والمثلثة مصغر، وهو كوفي من كبار التابعين، والحسن هو البصري). قوله (كل عليه هين) أي البدء والإعادة، أي أنهما حملاً أهون على غير التفضيل وأن المراد بها الصفة كقوله الله أكبر و كقول الشاعر «لعمرك ما أدري وإنى لأوجل» أي وإنى لرجل، وأثر الربيع وصله الطبري من طريق منذر الثوري عنه نحوه، وأما أثر الحسن فروى الطبري أيضاً من طريق قتادة وأظنه عن الحسن ولكن لفظه «وإعادته أهون عليه من بدئه»، و كل على الله هين «وظاهر هذا اللفظ إبقاء صيغة أفعل على بابها، وكذا قال مجاهد فيما أخرجه ابن أبي حاتم وغيره وقد ذكر عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة أن ابن مسعود كان يقرأها «وهو عليه هين» وحكى بعضهم عن ابن عباس أن الضمير للمخلوق لأنه ابتدئ نطفة ثم علقه ثم مضغة، والإعادة أن يقول له كن فيكون، فهو أهون على المخلوق، انتهى. ولا يثبت هذا عن ابن عباس بل هو من تفسير الكلبي كما حكاه الفراء، لأنه يقتضى تخصيصه بالحيوان ولأن الضمير الذي بعده وهو قوله ﴿وله المثل الأعلى﴾ يصير معطوفاً على غير المذكور قبله قريباً. وقد روى

ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد صحيح في قوله ﴿أهون عليه﴾ أيسر . وقال الزجاج : خوطب العباد بما يعقون لأن عندهم أن البعث أهون من الابتداء فجعله مثلاً وله المثل الأعلى ، وذكر الربيع عن الشافعي في هذه الآية قال ﴿هو أهون عليه﴾ أى في القدرة عليه ، لا أن شيئاً يعظم على الله ، لأنه يقول : لما لم يكن كن فيخرج متصلاً ، وأخرجه أبو نعيم ، وأخرج ابن أبي حاتم نحوه عن الضحاك وإليه نحو الفراء ، والله أعلم

قوله (وهين وهين مثل لين ولين وميت وميت وضيق وضيق) الأول بالتشديد والثاني بالتخفيف في الجميع ، قال أبو عبيدة في تفسير الفرقان في قوله تعالى ﴿فأحييناه به بلدة ميتا﴾ هى مخفة بمنزلة هين ولين وضيق بالتخفيف فيها والتشديد ، وسيأتى ذلك أيضاً في آخر تفسير سورة النحل ، وعن ابن الأعرابي : أن العرب تمدح بالهين اللين مخففاً وتذم بهما مثقلاً ، فالهين بالتخفيف من الهرن وهو السكينة والوقار ومنه ﴿يمشرون هوناً﴾ وعينه واو ، بخلاف الهين بالتشديد .

قوله (أفعيننا) أفاعينا علينا حين أنشأكم وأنشأ خنقكم . كأنه أراد أن معنى قوله ﴿أفعينا﴾ استفهام إنكار ، أى ما أعجزنا الخلق الأول حين أنشأناكم ، وكأنه عدل عن التكلم إلى الغيبة لمراعاة اللفظ الوارد في القرآن في قوله تعالى ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ وقد روى الطبرى من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿أفعينا بالخلق الأول﴾ يقول : أفاعيا علينا إنشاؤكم خلقاً جديداً فتشكوا في البعث ؟ وقال أهل اللغة : عيت بالأمر إذا لم أعرف وجهه ، ومنه العى في الكلام .

قوله (لغوب النصب) أى تفسير قوله ﴿وما مسنا من لغوب﴾ أى من نصب ، والنصب التعب وزناً ومعنى ، وهذا تفسير مجاهد فيما أخرجه ابن أبي حاتم ، وأخرج من طريق قتادة قال : أكذب الله جل وعلا اليهود في زعمهم أنه استراح في اليوم السابع فقال ﴿وما مسنا من لغوب﴾ أى من إعياء ، وغفل الداودى الشارح فظن أن النصب في كلام المصنف بسكون الصاد وأنه أراد ضبط اللغوب فقال متعقباً عليه ، لم أر أحداً نصب اللام في الفعل ، قال وإنما هو بالنصب الأحمق .

قوله (أطواراً طوراً كذا وطوراً كذا) يريد تفسير قوله تعالى ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ والأطوار الأحوال المختلفة واحداً طور بالفتح ، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في معنى الأطوار كونه مرة نطفة ومرة علقة الخ ، وأخرج الطبرى عن ابن عباس وجماعة نحوه وقال : المراد اختلاف أحوال الإنسان من صحة وسقم ، وقيل معناه أصنافاً في الألوان واللغات . ثم ذكر المصنف في الباب أربعة أحاديث : أحدها حديث عمران بن حصين .

قوله (عن صفوان بن محرز عن عمران) في رواية أبي عاصم عن سفيان في المغازى «حدثنا صفوان حدثنا عمران» .

قوله (جاء نفر من بني تميم) يعنى وفدهم وسيأتى بيان وقت قدومهم ومن عرف منهم في أواخر المغازى قوله (أبشروا) بهزة قطع من البشارة .

قوله (فقالوا بشرتنا) القائل ذلك منهم الأقرع بن حابس ، ذكره ابن الجوزى .

قوله (فتغير وجهه) إما للأسف عليهم كيف آثروا الدنيا ، وإما لكونه لم يحضره ما يعطيهم فينالهم به ، أو لكل منهما .

قوله (فجاء أهل اليمن) هم الأشعريون قوم أبي موسى ، وقد أورد البخارى حديث عمران هذا وفيه ما يستأنس به لذلك . ثم ظهر لي أن المراد بأهل اليمن هنا نافع بن زيد الحميرى مع من وفد معه من أهل حمير ، وقد ذكرت مستند ذلك فى « باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن » وأن هذا هو السر فى عطف أهل اليمن على الأشعريين مع أن الأشعريين من جملة أهل اليمن ، لما كان زمان قدوم الطائفتين مختلفاً ولكل منهما قصة غير قصة الآخرين وقع العطف .

قوله (اقبلوا البشرى) بضم أوله وسكون المعجمة والقصر أى اقبلوا مى ما يقتضى أن تبشروا إذا أخذتم به بالجنة ، كالفقه فى الدين والعمل به ، وحكى عياض أن فى رواية الأصيلي « اليسرى » بالتحتمانية والمهملة ، قال : والصواب الأول .

قوله (إذا لم يقبلها) فى الرواية الأخرى « أن لم يقبلها » وهو بفتح « أن » أى من أجل تركهم لها ويروى بكسر إن .

قوله (فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يحدث بدء الخلق والعرش) ، أى عن بدء الخلق وعن حال العرش ، وكأنه ضمن « يحدث » معنى يذكر ، وكأنهم سألوا عن أحوال هذا العالم وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكونوا سألوا عن أول جنس المخلوقات ، فعلى الأول يقتضى السياق أنه أخبر أن أول شيء خلق منه السموات والأرض ، وعلى الثانى يقتضى أن العرش والماء تقدم خلقهما قبل ذلك ، ووقع فى قصة نافع بن زيد « نسألك عن أول هذا الأمر » .

قوله (قالوا جئنا نسألك) كذا الكشميهنى ، ولغيره « جئناك لنسألك » وزاد فى التوحيد « ونتفقه فى الدين » وكذا هى فى قصة نافع بن زيد التى أشرت إليها آنفاً .

قوله (عن هذا الأمر) أى الحاضر الموجود ، والأمر يطلق ويراد به المأمور ويراد به الشأن والحكم والحث على الفعل غير ذلك .

قوله (كأن الله ولم يكن شيء غيره) فى الرواية الآتية فى التوحيد « ولم يكن شيء قبله » وفى رواية غير البخارى « ولم يكن شيء معه » والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى ، ولعل راويها أخذها من قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه فى صلاة الليل — كما تقدم من حديث ابن عباس — « أنت الأول فليس قبلك شيء » لكن رواية الباب أصرح فى العدم ، وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما ، لأن كل ذلك غير الله تعالى « ويكون قبله » وكان عرشه على الماء « معناه أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء ، وقد وقع فى قصة نافع بن زيد الحميرى بلفظ « كان عرشه على الماء ثم خلق القلم فقال : اكتب ما هو كائن ، ثم خلق السموات والأرض وما فىهن » فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش .

قوله (وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض) هكذا جاءت هذه الأمور الثلاثة معطوفة بالواو ، ووقع في الرواية التي في التوحيد « ثم خلق السموات والأرض » ولم يقع بلفظ « ثم » إلا في ذكر خلق السموات والأرض ، وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً « أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وهذا الحديث يؤيد رواية من روى « ثم خلق السموات والأرض » باللفظ الدال على الترتيب .

(تنبيه) : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث « كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان » وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث ، نبه على ذلك العلامة تقي الدين بن تيمية ، وهو مسلم في قوله ، « وهو الآن » إلى آخره ، وأما لفظ « ولا شيء معه » فرواية الباب بلفظ « ولا شيء غيره » بمعناها . ووقع في ترجمة نافع بن زيد الحميري المذكور « كان الله لا شيء غيره » بغير واو .

قوله (وكان عرشه على الماء) قال الطيبي : هو فصل مستقل لأن القديم من لم يسبقه شيء ، ولم يعارضه في الأولوية ، لكن أشار بقوله « وكان عرشه على الماء » إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقاً قبل خلق السموات والأرض ، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء . ومحصل الحديث أن مطلق قوله « وكان عرشه على الماء » مقيد بقوله « ولم يكن شيء غيره » والمراد بكان في الأول الأزلية وفي الثاني الحدوث بعد العدم . وقد روى أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً « أن الماء خلق قبل العرش » وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة « أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء » وأما ما رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً « أول ما خلق الله القلم ، ثم قال اكتب ، فجري بما هو كائن إلى يوم القيامة » فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة ، أي أنه قيل له اكتب أول ما خلق ، وأما حديث « أول ما خلق الله العقل » فليس له طريق ثبت ، وعلى تقدير ثبوته فهذا التقدير الأخير هو تأويله والله أعلم . وحكى أبو العلاء الهمداني أن للعلماء قولين في أيهما خلق أولاً العرش أو القلم ؟ قال : والأكثر على سبق خلق العرش ، واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني ، وروى ابن أبي حازم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة خمسمائة عام ، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش : اكتب ، فقال وما أكتب ؟ قال علمي في خلقي إلى يوم القيامة » ذكره في تفسير سورة سبحان ، وليس فيه سبق خلق القلم على العرش ، بل فيه سبق العرش . وأخرج البيهقي في « الأسماء والصفات » من طريق الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال « أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ، فقال : يارب وما أكتب ؟ قال اكتب القدر ، فجري بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة » وأخرج سعيد بن منصور عن أبي عوانة عن أبي بشر عن مجاهد قال « بدء الخلق العرش والماء والهواء ، وخلقت الأرض من الماء » والجمع بين هذه الآثار واضح .

قوله (وكتب) أي قدر (في الذكر) أي في محل الذكر أي في اللوح المحفوظ (كل شيء) أي من الكائنات ، وفي الحديث جواز السؤال عن مبدأ الأشياء والبحث عن ذلك وجواز جواب العالم بما يستحضره من ذلك ، وعليه الكف إن خشي على السائل ما يدخل على معتقده . وفيه أن جنس الزمان ونوعه حادث ،

وأن الله أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن ، لا عن عجز عن ذلك بل مع القدرة . واستنبط بعضهم من سؤال الأشعرين عن هذه القصة أن الكلام في أصول الدين وحدث العلم مستمران في ذريتهم حتى ظهر ذلك منهم في أبي الحسن الأشعري ، أشار إلى ذلك ابن عساكر .

قوله (فنادى مناد) في الرواية الأخرى « فجاء رجل فقال : يا عمران » ولم أقف على اسمه في شيء من الروايات .

قوله (ذهبت ناقتك يا ابن الحصين) أي انقلبت ، ووقع في الرواية الأولى « فجاء رجل فقال : يا عمران راحلتك » أي أدرك راحلتك فهو بالنصب ، أو ذهبت راحلتك فهو بالرفع ، ويؤيده الرواية الأخرى ولم أقف على اسم هذا الرجل . وقوله « تفلت » بالفاء أي شردت .

قوله (فاذا هي يقطع) بفتح أوله (دونها السراب) بالضم أي يحول بيني وبين رؤيتها ، والسراب بالمهملة معروف ، وهو ما يرى نهراً في القلاة كأنه ماء .

قوله (فوالله لو ددت أني كنت تركتها) في التوحيد « أنها ذهبت ولم أقم » يعني لأنه قام قبل أن يكمل النبي صلى الله عليه وسلم حديثه في ظنه ، فتأسف على ما فاتته من ذلك . وفيه ما كان عليه من الحرص على تحصيل العلم . وقد كنت كثير التطلب لتحصيل ما ظن عمران أنه فاتته من هذه القصة إلى أن وقفت على قصة نافع بن زيد الحميري فقوى في ظني أنه لم يفته شيء من هذا القصة بخصوصها لخلو قصة نافع بن زيد عن قدر زائد على حديث عمران ، إلا أن في آخره بعد قوله وما فيهن « واستوى على عرشه عز وجل » . الحديث الثاني حديث عمر قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم » الحديث .

قوله (وروى عيسى عن رقية) كذا للأكثر وسقط منه رجل فقال ابن الفلكي : ينبغي أن يكون بين عيسى ورقبة أبو حمزة ، وبذلك جزم أبو مسعود ، وقال الطرقي : سقط أبو حمزة من كتاب القريبي وثبت في رواية حماد بن شاكر فعنده عن البخاري « روى عيسى عن أبي حمزة عن رقية قال » وكذا قال ابن وميخ عن القريبي ، قلت : وبذلك جزم أبو نعيم في « المستخرج » وهو يروى الصحيح عن الجرجاني عن القريبي ، فالاختلاف فيه حينئذ عن القريبي ، ثم رأيت أنه أسقط أيضاً من رواية النسفي ، لكن جعل بين عيسى ورقبة ضبة ، ويغلب على الظن أن أبا حمزة ألحق في رواية الجرجاني وقد وصفوه بقلة الإتيان ، وعيسى المذكور هو ابن موسى البخاري ولقبه غنجار بمعجمة مضمومة ثم نون ساكنة ثم جيم ، وليس له في البخاري إلا هذا الموضع ، وقد وصل الحديث المذكور من طريق عيسى المذكور عن أبي حمزة وهو محمد ابن ميمون السكري عن رقية الطبراني في مسند رقية المذكور ، وهو بفتح الراء والقاف والموحدة الخفيفة ابن مصقلة بفتح الميم وسكون الصاد المهمة وقد تبدل سيناً بعدها قاف ، ولم ينفرد به عيسى فقد أخرجه أبو نعيم من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن أبي حمزة نحوه ، لكن بإسناد ضعيف .

قوله (حتى دخل أهل الجنة) هي غاية قوله « أخبرنا » أي أخبرنا عن مبتدأ الخلق شيئاً بعد شيء إلى أن انتهى الأخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار ، ووضع الماضي موضع المضارع مبالغة للتحقق

المستفاد من خبر الصادق ، وكان السياق يقتضي أن يقول : حتى يدخل ، ودل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتدئت إلى أن تفتى إلى أن تبعث ، فشمّل ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاش والمعاد ، وفي تفسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم ، ويقرب ذلك مع كون معجزاته لا مزية في كثرتها أنه صلى الله عليه وسلم أعطى جوامع الكلم ، ومثل هذا من جهة أخرى ما رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان ، فقال للذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجعل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال للذي في شماله مثله في أهل النار ، وقال في آخر الحديث « فقال بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد ، فريق في الجنة وفريق في السعير » وإسناده حسن . ووجه الشبه بينهما أن الأول فيه تفسير القول الكثير في الزمن القليل ، وهذا فيه تفسير الجرم الواسع في الظرف الضيق ، وظاهر قوله فنبذهما بعد قوله وفي يده كتابان أنهما كانا مرثيين لهم والله أعلم . ولحديث الباب شاهد من حديث حذيفة سيأتي في كتاب القدر إن شاء الله تعالى ، ومن حديث أبي زيد الأنصاري أخرجه أحمد ومسلم قال « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، فصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فصلى بنا الظهر . ثم صعد المنبر فخطبنا ثم صلى العصر كذلك حتى غابت الشمس ، فحدثنا بما كان وما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا » لفظ أحمد . وأخرجه من حديث أبي سعيد مختصراً ومطولاً ، وأخرجه الترمذي من حديثه مطولاً ، وترجم له « باب ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم مما هو كائن إلى يوم القيامة » ثم ساقه بلفظ « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة العصر ثم قام يحدثنا فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به ، حفظه من حفظه ونسبه من نسبه » ثم ساق الحديث وقال : حسن . وفي الباب عن حذيفة وأبي زيد بن أخطب وأبي مریم والمغيرة بن شعبة انتهى . ولم يقع له حديث عمر حديث الباب وهو على شرطه ، وأفاد حديث أبي زيد بيان المقام المذكور زماناً ومكاناً في حديث عمر رضي الله عنه وأنه كان على المنبر من أول النهار إلى أن غابت الشمس ، والله أعلم . ثالثاً حديث أبي هريرة ، وهو من الإلهيات .

قوله (عن أبي أحمد) هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري وسفيان هو الثوري .

قوله (يشتمني ابن آدم) بكسر التاء من « يشتمني » والشم هو الـ صف بما يقتضي النقص ، ولا شك أن دعوى الولد لله يستلزم الإمكان المستدعي للحدوث ، وذلك غاية النقص في حق الباري سبحانه وتعالى ، والمراد من الحديث هنا قوله ليس يعيدني كما بدأتني وهو قول منكري البعث من عباد الأوثان . رابعها حديث أبي هريرة أيضاً .

قوله (لما قضى الله الخلق) أي خالق الخلق كقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) أو المراد أوجد جنسه ، وقضى يطلق بمعنى حكم وأتقن وفرغ وأمضى .

قوله (كتب في كتابه) أي أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ ، وقد تقدم في حديث عبادة بن

الصامت قريباً « فقال للقلم اكتب » فجرى بما هو كائن » ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللفظ الذي قضاه ، وهو كقوله تعالى ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ .

قوله (فهو عنده فوق العرش) قيل معناه دون العرش ، وهو كقوله تعالى ﴿ بعوضة فما فوقها ﴾ ، والحامل على هذا التأويل استبعاد أن يكون شيء من المخلوقات فوق العرش ، ولا محذور في إجراء ذلك على ظاهره لأن العرش خلق من خلق الله ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله « فهو عنده » أى ذكره أو علمه فلا تكون العندية مكانية بل هى إشارة إلى كمال كونه مخفياً عن الخلق مرفوعاً عن حيز إدراكهم ، وحكى الكرمانى أن بعضهم زعم أن لفظ « فوق » زائد كقوله ﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين ﴾ والمراد اثنتان فصاعداً ، ولم يتعقبه زهو متعقب ، لأن محل دعوى الزيادة ما إذا بقى الكلام مستقيماً مع حذفها كما فى الآية ، وأما فى الحديث فإنه يبقى مع الحذف ، فهو عنده العرش وذلك غير مستقيم .

قوله (إن رحمتى) بفتح أن على أنها بدل من كتب ، وبكسرها على حكاية مضمون الكتاب

قوله (غلبت) فى رواية شعيب عن أبى الزناد فى التوحيد « سبقت » بدل غلبت ، والمراد من الغضب لازمه وهو إرادة إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب ، لأن السبق والغلبة باعتبار التعاقب ، أى تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب ، لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث ، وبهذا التقرير يندفع استشكال من أورد وقوع العذاب قبل الرحمة فى بعض المراتب ، كمن يدخل النار من الموحدين ثم يخرج بالشفاعة وغيرها . وقيل معنى الغلبة الكثرة والشمول ، تقول غلب على فلان الكرم أى أكثر أفعاله ، وهذا كله بناء على أن الرحمة والغضب من صفات الذات ، وقال بعض العلماء الرحمة والغضب من صفات الفعل لا من صفات الذات ، ولا مانع من تقدم بعض الأفعال على بعض فتكون الإشارة بالرحمة إلى إسكان آدم الجنة أول ما خلق مثلاً ومقابلها ما وقع من إخراجها منها ، وعلى ذلك استمرت أحوال الأمم بتقديم الرحمة فى خلقهم بالتوسع عليهم من الرزق وغيره ، ثم يقع بهم العذاب على كفرهم . وأما ما أشكل من أمر من يعذب من الموحدين فالرحمة سابقة فى حقهم أيضاً ، ولولا وجودها لخلدوا أبداً . وقال الطيبي فى سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق ، فالرحمة تشمل الشخص جنيهاً ورضيعاً وفطيماً وناشئاً قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة ، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك .

ب

ما جاء فى سبع أرضين

وقول الله عز وجل : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ الآية
و ﴿ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ : السماء . ﴿ سَمَكُهَا ﴾ : بناها . و ﴿ الْحَبْك ﴾ : استواؤها وحسنها .

﴿أَذْنَتْ﴾ : سمعت وأطاعت . ﴿وَأَلْقَتْ﴾ : أخرجت ما فيها من الموتى . ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ : عنهم .
﴿طَحَاها﴾ : دحأها . ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ : وجه الأرض ، كان فيها الحيوان نومهم وسهرهم .

[٣١٩٥] ٣٠٨٧- نا علي قال أنا ابن علية عن علي بن المبارك قال نا يحيى بن أبي كثير عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن - وكانت بينه وبين أناس خصومة في أرض ، فدخل على عائشة فذكر لها ذلك - فقالت : يا أبا سلمة اجتنب الأرض ، فإن رسول الله صلى الله عليه قال : «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين» .

[٣١٩٦] ٣٠٨٨- نا بشر بن محمد قال أنا عبد الله عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه قال : قال النبي صلى الله عليه : «من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» .

[٣١٩٧] ٣٠٨٩- نا محمد بن المثني قال نا عبد الوهاب قال نا أيوب عن محمد عن ابن أبي بكرة عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه قال : «الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض . السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات - ذوالقعدة وذوالحجة والمحرّم - ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» .

[٣١٩٨] ٣٠٩٠- حدثنا عبيد بن إسماعيل قال نا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل : أنه خاصمته أروى - في حق زعمت أنه انتقصه لها - إلى مروان ، فقال سعيد : أنا أنتقص من حقها شيئاً ؟ أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين» . قال ابن أبي الزناد عن هشام عن أبيه قال لي سعيد بن زيد : دخلت على النبي صلى الله عليه ...

قوله (باب ما جاء في سبع أرضين) أو في بيان وضعها .

قوله (وقول الله سبحانه وتعالى ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ الآية) قال الداودي : فيه دلالة على أن الأرضين بعضها فوق بعض مثل السماوات ونقل عن بعض المتكلمين أن المثلية في العدد خاصة وأن السبع متجاوزة ، وحكى ابن التين عن بعضهم أن الأرض واحدة ، قال وهو مردود بالقرآن والسنة . قلت : لعله القول بالتجاوز ، وإلا فيصير صريحاً في المخالفة ، ويدل للقول الظاهر ما رواه ابن جرير من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في هذه الآية ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ قال : في كل أرض مثل إبراهيم ، ونحو ما على الأرض من الخلق ، هكذا أخرجه مختصراً وإسناده

صحيح . وأخرجه الحاكم والبيهقي من طريق عطاء بن السائب عن أبي الضحى مطولا وأوله أى سبع أرضين « فى كل أرض كآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وإبراهيم كإبراهيمكم وعيسى كعيسى ونبي كنبيكم » قال البيهقي : إسناده صحيح ، إلا أنه شاذ بمرة . وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : لو حدثكم بتفسير هذه الآية لكفرتكم وكفركم تكذيبكم بها . ومن طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نحوه وزاد وهن مكتوبات بعضهن على بعض . وظاهر قوله تعالى ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ يرد أيضاً على أهل الهيئة قولهم أن لا مسافة بين كل أرض وأرض وإن كانت فوقها ، وأن السابعة صماء لاجوف لها ، وفى وسطها المركز وهى نقطة مقدرة متوهمة ، إلى غير ذلك من أقوالهم التى لا برهان عليها . وقد روى أحمد والترمذى من حديث أبي هريرة مرفوعاً « إن بين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وأن سمك كل سماء كذلك ، وأن بين كل أرض وأرض خمسمائة عام » وأخرجه إسحاق بن راهويه والبخاري من حديث أبي ذر نحوه ، ولأبي داود والترمذى من حديث العباس بن عبد المطلب مرفوعاً « بين كل سماء وسماء إحدى أو اثنتان وسبعون سنة » وجمع بين الحديثين بأن اختلاف المسافة بينهما باعتبار بطء السير وسرعته .

قوله (والسقف المرفوع : السماء) هو تفسير مجاهد ، أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وغيرهما : من طريق ابن أبي نجيح عنه ، ومن طريق قتادة نحوه ، وسيأتى عن عليّ مثله فى « باب الملائكة » ولابن أبي حاتم من طريق الربيع بن أنس « السقف المرفوع : العرش ، كذا قال ، والأول أكثر ، وهو يقتضى الرد على من قال إن السماء كرية لأن السقف فى اللغة العربية لا يكون كريباً .

قوله (سمكها) بفتح المهملة وسكون الميم (بناءها) بالمد ، يريد تفسير قوله تعالى ﴿ رفع سمكها ﴾ أى رفع بنيانها ، وهو تفسير ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه ، ومن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وزاد « بغير عمد » ومن طريق قتادة مثله .

قوله (والحبك : استراؤها وحسناها) هو تفسير ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عنه ، وأخرج من طريق سعد الإسكافي عن عكرمة عنه بلفظ « ذات الحبك » أى البهاء والجمال ، غير أنها كالبرد المسلسل » ومن طريق علي بن أبي طلحة عنه قال « ذات الحبك أى الخلق الحسن » والحبك بضمين جمع خبيكة كطرق وطريقة وزناً ومعنى ، وقيل واحداً حبك كمثل ومثل ، وقيل الحبك الطريق التى ترى فى السماء من آثار الغيم ، وروى الطبري عن الضحاك نحوه ، وقيل هى النجوم أخرجه الطبري بإسناد حسن عن الحسن ، وروى الطبري عن عبد الله بن عمرو أو المراد بالسماء هنا السماء السابعة .

قوله (أذنت : سمعت وأطاعت) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ إذا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحقت ﴾ ومعنى سمعها وإطاعتها قبولها ما يراد منها ، وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : ﴿ وأذنت لربها ﴾ أى أطاعت ، ومن طريق الضحاك ﴿ أذنت لربها ﴾ أى سمعت ، ومن طريق سعيد بن جبيرة ﴿ وحقت ﴾ أى حق لها أن تطيع .

قوله (وألفت) أخرجت ما فيها من المولى (ونحات) أى (عنهم) يريد تفسير بقية الآيات ، وهو

عند ابن أبي حاتم من طريق مجاهد نحوه ، ومن طريق سعيد بن جبير ألفت ما استودعها الله من عباده وتخلت عنهم إليه .

قوله (طحاها : دحاها) هو تفسير مجاهد أخرجه عبد بن حميد وغيره من طريقه ، والمعنى بسطها يمينا وشمالا من كل جانب ، وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً من طريق ابن عباس والسدي وغيرهما : دحاها أى بسطها .

قوله (بالساهرة : وجه الأرض ، كان فيها الحيوان نومهم وسهرهم) هو تفسير عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم ، أو المراد بالأرض أرض القيامة ، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق مصعب بن ثابت عن أبي حازم عن سهل بن سعد في قوله ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ قال : أرض بيضاء عفراء كالخبزة ، وسيأتى من وجه آخر عن أنى حازم مرفوعاً في الرقاق لكن ليس فيه تفسير الساهرة . ثم ذكر المصنف في الباب أربعة أحاديث : أحدها حديث عائشة « من ظلم قيد شبر » وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب المظالم . ثانيها حديث ابن عمر في المعنى ، وقد تقدم هناك أيضاً ، وعبد الله في إسناده هو ابن المبارك ، والراوى عنه بشر بن محمد مروزى سمع من ابن المبارك بخراسان ، وهو يؤيد البحث الذى قدمته من أنه لا يلزم من كون هذا الحديث ليس في كتب ابن المبارك بخراسان أن لا يكون حدث به هناك ، ويحتمل أن يكون بشر صحب ابن المبارك فسمعه منه بالبصرة فيصح أنه لم يحدث به إلا بالبصرة والله أعلم . ثالثها حديث أبي بكر « أن الزمان قد استدار كهيئته » وسيأتى بآتم من هذا السياق في آخر المغازى في الكلام على حجة الوداع ، ويأتى شرحه في تفسير براءة ، ومضى شرح أكثره في العلم وبعضه في الحج .

قوله (عن محمد بن سيرين عن ابن أبي بكرة عن أبي بكرة) اسم ابن أبي بكرة عبد الرحمن كما تقدم في « باب رب مبلغ أوعى من سامع » في كتاب العلم من وجه آخر عن أيوب ، وذكر أبو على الجياني أنه سقط من نسخة الأصيلي هنا عن ابن أبي بكرة وثبت لسائر الرواة عن الفربري ، قلت : وكذا ثبت في رواية النسفي عن البخاري ، قال الجياني : ووقع في رواية القاسبي هنا عن أيوب عن محمد بن أبي بكرة ، وهو وهم فاحش . قلت : وافق الأصيلي لكن صحف « عن » فصارت « ابن » فلذلك وصفه بفحش الوهم وسيأتى هذا الحديث بالسند المذكور هنا في « باب حجة الوداع » من كتاب المغازى على الصراب للجماعة أيضاً حتى الأصيلي ، واستمر القاسبي على وهمه فقال هناك أيضاً « عن محمد بن أبي بكرة » . رابعها حديث سعيد بن زيد في قصته مع أروى بنت أنيس في مخاصمتها له في الأرض ، وقد تقدمت مباحثه مستوفاة في كتاب المظالم .

قوله (كهيئته) الكاف صفة مصدر مخدوف تقديره استدار استدارة مثل صفته يوم خلق السماء . والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره ، وزعم يوسف بن عبد الملك في كتابه « تفضيل الأزمنة » أن هذه المقالة صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم في شهر مارس وهو آذار وهو برمهات بالقبطية ، وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل .

قوله (وقال ابن أبي الزناد عن هشام) أى ابن عروة (عن أبيه قال لي سعيد بن زيد) أراد المصنف بهذا التعليق بيان لقاء عروة سعيداً ، وقد لقي عروة من هو أقدم وفاة من سعيد كوالده الزبير وعلي وغيرهما .

باب في النجوم

وقال قتادة: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾: خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. قال ابن عباس: ﴿هَشِيمًا﴾: متغيراً. والأب: ما تأكل الأنعام. الأنام: الخلق. برزخ: حاجر. وقال مجاهد: ﴿أَلْفَافًا﴾: ملتفة. والغلب: الملتفة: فراشاً: مهاداً. كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾، ﴿نَكِدًا﴾: قليلاً.

قوله (باب في النجوم. وقال قتادة الخ) وصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه به وزاد في آخره «وأن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من غرس بنجم كذا كان كذا ومن سافر بنجم كذا كان كذا ولعمري ما من النجوم نجم إلا ويولد به الطويل والقصير والأحمر والأبيض والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر شيء من هذا الغيب انتهى. وبهذه الزيادة تظهر مناسبة إيراد المصنف ما أورده من تفسير الأشياء التي ذكرها من القرآن وإن كان ذكر بعضها وقع استطراداً والله أعلم. قال الداودي: قول قتادة في النجوم حسن، إلا قوله «أخطأ وأضاع نفسه» فإنه قصر في ذلك، بل قائل ذلك كافر انتهى. ولم يتعين الكفر في حق من قال ذلك، وإنما يكفر من نسب الاختراع إليها، وأما من جعلها علامة على حدوث أمر في الأرض فلا، وقد تقدم تقرير ذلك وتفصيله في الكلام على حديث زيد ابن خالد فيمن قال «مطرنا بزرء كذا» في «باب الاستسقاء» وقال أبو علي الفارسي في قوله تعالى ﴿وجعلناها رجوماً﴾: الضمير للسماء؛ أي وجعلناها شهباً رجوماً على حذف مضاف، فصار الضمير للمضاف إليه. وذكر ابن دحية في «التنوير» من طريق أبي عثمان النهدي عن سليمان الفارسي قال: النجوم كلها معلقة كالقناديل من السماء الدنيا كتعليق القناديل في المساجد.

قوله (وقال ابن عباس هشيماً متغيراً) لم أره عنه من طريق موصولة. لكن ذكره إسماعيل بن أبي زياد في تفسيره عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: قوله ﴿هَشِيمًا﴾ أي يابساً متفتتاً، و﴿تندروه الرياح﴾ أي تفرقه. قوله (والأب ما تأكل الأنعام) هو تفسير ابن عباس أيضاً، وصله ابن أبي حاتم من طريق عاصم بن كليب عن أبيه عنه قال: الأب ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا تأكله الناس، ومن طريق ابن عباس قال: الأب الحشيش، ومن طريق عطاء والضحاك: الأب هو كل شيء ينبت على وجه الأرض، زاد الضحاك: إلا الفاكهة، وروى ابن جرير من طريق إبراهيم التيمي «أن أبا بكر الصديق سئل عن الأب فقال: أي سماء تظلي وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم» وهذا منقطع. وعن عمر أنه قال «عرفنا الفاكهة فما الأب» ثم قال «إن هذا هو التكلف» فهو صحيح عنه، أخرجه عبد بن حميد من طرق صحيحة عن أنس عن عمر، وسيأتي بيان ذلك في كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى.

قوله (والأنام: الخلق) هو تفسير ابن عباس أيضاً، أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة

عنه في قوله تعالى ﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾ قال : للخلق ، والمراد بالخلق المخلوق ، ومن طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : الأنام الناس ، وهذا أخص من الذي قبله ، ومن طريق الحسن قال : الجن والإنس . وعن الشعبي قال : هو كل ذي روح .

قوله (برزخ : حاجب) في رواية المستمل والكشميني « حاجز » بالزاي ، وهذا تفسير ابن عباس أيضاً وصله ابن أبي حاتم من الوجه المذكور إلا قوله (وقال مجاهد ألفافا : ملتفة ، والغلب : الملتفة) وصلهما عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد قال ﴿ وجنات ألفافا ﴾ قال : ملتفة . ومن طريقه قال ﴿ وحدائق غالباً ﴾ أي ملتفة ، وروى ابن أبي حاتم من طريق عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس : الحدائق : ما التفت والغلب : ما غلظ . ومن طريق عكرمة عنه الغلب شجر بالجبل لا يحمل يستظل به . ومن طريق علي بن أبي طلحة عنه قال ﴿ وجنات ألفافا ﴾ أي مجتمعة . وقال أهل اللغة : الألفاف جمع لف أو ليف . وعن الكسائي : هو جمع الجمع . وقال الطبري : اللفاف جمع لفيفة وهي الغليظة ، وليس الالتفاف من الغلظ في شيء إلا أن يراد أنه غلظ بالالتفاف .

قوله (فراشاً : مهاداً كقوله : ولكم في الأرض مستقر) هو قول قتادة والربيع بن أنس وصله الطبري عنهما ، ومن طريق السدي بأسانيدہ ﴿ فراشا ﴾ هي فراش يمشى عليها وهي المهاد والقرار .

قوله (نكدأ قليلاً) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق السدي قال (لا يخرج إلا نكدأ) قال : النكد الشيء القليل الذي لا ينفع ، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : هذا مثل ضرب للكفار كالبلد السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة .

باب صفة الشمس والقمر

﴿ بحُسابان ﴾ قال مجاهد : كحسابان الرّحى . وقال غيره : بحساب ومنازل لا يعدوانها . حسابان : جماعة الحساب ، مثل : شهاب وشهبان . ضحاها : ضوءها . أن تدرك القمر : لا يستر ضوء أحدهما ضوء الآخر ، ولا ينبغي لهما ذلك . سابق النهار : يتطالبان حثيثين . ينسلخ : يخرج أحدهما من الآخر ، ويجري كل واحد منهما . واهية : وهيها تشققها . أرجائها : ما لم ينشق منها ، فهو على حافتيه كقولك : على أرجاء البئر . أغطش وجن : أظلم . وقال الحسن : كورت تكور حتى يذهب ضوءها . والليل وما وسق : أي جمع من دابة . اتسق : استوى . بروجاً : منازل الشمس والقمر . الحرور بالنهار مع الشمس . وقال الحسن : الحرور بالليل ، والسّموم بالنهار . يقال : يولج ، يكور وليجة ، كل شيء أدخلته في شيء .

٣٠٩١ - نا محمد بن يوسف قال نا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن

أبي ذر قال: قال النبي صلى الله عليه لأبي ذر حين غربت الشمس: «تدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها. فذلك قوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾».

[الحديث ٣١٩٩ - أطرافه في: ٤٨٠٢، ٤٨٠٣، ٧٤٢٤، ٧٤٣٣].

[٣٢٠٠] ٣٠٩٢ - نا مسدد قال نا عبد العزيز بن المختار قال نا عبد الله الداناج قال ني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة».

[٣٢٠١] ٣٠٩٣ - نا يحيى بن سليمان قال ني ابن وهب قال أخبرني عمرو أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه عن أبيه عن عبد الله بن عمر أنه كان يخبر عن النبي صلى الله عليه قال: «إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آية من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا».

[٣٢٠٢] ٣٠٩٤ - نا إسماعيل قال ني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيت ذلك فاذكروا الله».

[٣٢٠٣] ٣٠٩٥ - نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه يوم خسفت الشمس قام فكبر وقرأ قراءة طويلة، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: «سمع الله لمن حمده» وقام كما هو فقرأ قراءة طويلة وهي أدنى من القراءة الأولى، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهي أدنى من الركعة الأولى، ثم سجد سجوداً طويلاً، ثم فعل في الركعة الآخرة مثل ذلك، ثم سلم وقد تجلت الشمس، فخطب الناس فقال في كسوف الشمس والقمر: «إنهما آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة».

[٣٢٠٤] ٣٠٩٦ - نا محمد بن المثنى قال نا يحيى عن إسماعيل قال ني قيس عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه قال: «الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا».

قوله (باب صفة الشمس والقمر بحسبان) أى تفسير ذلك ، وقوله « قال مجاهد كحسبان الرحي » وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، ومراده أنهما يجريان على حسب الحركة الرحوية الدورية وعلى وضعها ، وقوله (وقال غيره بحساب ومنازل لا يعدوانها) ، ووقع في نسخة الصغاني هو ابن عباس وقد وصله عبد بن حميد من طريق أبي مالك وهو الغفاري مثله ، وروى الحرابي والطبري عن ابن عباس نحوه بإسناد صحيح وبه جزم الفراء .

قوله (حسان جماعة الحساب) يعنى أن حسان جماعة الحساب كشهبان جمع شهاب ، وهذا قول أبي عبيدة في المجاز ، وقال الإسماعيلي من جعله من الحساب احتمال الجمع واحتمل المصدر ، تقول حسب حساباً ، ثم هو من الحساب بالفتح ومن الظن بالكسر أى في الماضي .

قوله (ضحاها ضوءها) وصله عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ﴿ والضحا والضحاها ﴾ قال : ضوءها . قال الإسماعيلي : يريد أن الضحى يقع في صدر النهار وعنده تشتت إضاءة الشمس ، وروى ابن أبي حاتم من طريق قتادة والضحاك قال : ضحاها النهار .

قوله (أن تترك القمر : لا يستر ضوء أحدهما ضوء الآخر الخ) وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بنامه .

قوله (نسلخ نخرج الخ) وصله الفريابي من طريقه أيضاً بلفظ يخرج أحدهما من الآخر ويجرى كل منهما في فلك .

قوله (واهية : وهيا تشققها) هو قول الفراء ، وروى الطبري عن ابن عباس في قوله ﴿ واهية ﴾ قال متمزقة ضعيفة .

قوله (أرجائها : مالم تنشق منها فهو على حافتها) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ والمالك على أرجائها ﴾ ووقع في رواية الكشميनी : فهو على حافتها ، وكأنه أفرد باعتبار لفظ الملك وجمع باعتبار الجنس ، وروى عبد بن حميد من طريق قتادة في قوله ﴿ والمالك على أرجائها ﴾ أى على حافات السماء « وروى الطبري عن سعيد بن المسيب مثله ، وعن سعيد بن جبير : على حافات الدنيا ، وصوب الأول ، وأخرج عن ابن عباس قال والمالك على حافات السماء حين تنشق ، والأرجاء بالمد جمع رجا بالقصر والمراد النواحي .

قوله (أغطش وجن : أظلم) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ أغطش ليلاً ﴾ وتفسير قوله ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ أى أظلم في الموضعين ، والأول تفسير قتادة أخرجه عبد بن حميد من طريقه قال : قوله ﴿ أغطش ليلاً ﴾ أى أظلم ليلاً ، وقد توقف فيه الإسماعيلي فقال : معنى أغطش ليلاً جعله مظلماً ، وأما أغطش غير متعد فإن ساغ فهو صحيح المعنى ولكن المعروف أظلم الرقت جاءت ظلمته وأظلمنا وقعنا في ظلمة . قلت : لم يرد البخاري القاصر لأنه في نفس الآية متعد وإنما أراد تفسير قوله أغطش فقط ، وأما الثاني فهو تفسير أبي عبيدة قال في قوله تعالى ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ أى غطي عليه وأظلم .

قوله (وقال الحسن : كورت تكور حتى يذهب ضوءها) وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي رجاء عنه ، وكأن هذا كان بقوله قبل أن يسمع حديث أبي سلمة عن أبي هريرة الآتي ذكره في هذا الباب ، وإلا فعنى

التكوير اللف تقول كورت العمامة تكويراً إذا لفتها ، والتكوير أيضاً الجمع تقول كورته إذا جمعته ، وقد أخرج الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ يقول : أظلمت ، ومن طريق الربيع بن خثيم قال : فورت أي رمى بها ، ومن طريق أبي يحيى عن مجاهد كررت قال : اضمحلت . الطبري : التكوير في الأصل الجمع وعلى هذا فالمراد أنها تلف ويرمى بها فيذهب ضوؤها .

قوله (والليل وما وسق أي جمع من دابة) وصله عبد بن حميد من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن نحوه .

قوله (اتسق : استوى) وصله عبد بن حميد أيضاً من طريق منصور عنه في قوله ﴿ والقمر إذا اتسق ﴾

قال : استوى .

قوله (بروج : منازل الشمس والقمر) وصله ابن حميد ، وروى الطبري من طريق مجاهد قال :

البروج الكواكب ومن طريق أبي صالح قال هي النجوم الكبار ، وقيل هي قصور في السماء رواه عبد بن حميد من طريق يحيى بن رافع ، ومن طريق قتادة قال هي قصور على أبواب السماء فيها الحرس ، وعند أهل الهيئة أن البروج غير المنازل ، فالبروج اثنا عشر والمنازل ثمانية وعشرون ، وكل برج عبارة عن منزلتين وثلاث منها .

قوله (فالحرور بالنهار مع الشمس) وصله إبراهيم الحربي عن الأثرم عن أبي عبيدة قال : الحرور

بالنهار مع الشمس ، وقال الفراء : الحرور الحر الدائم ليلاً كان أو نهاراً ، والسموم بالنهار خاصة .

قوله (وقال ابن عباس ورؤية : الحرور بالليل والسموم بالنهار) أما قول ابن عباس فلم أره موصولاً

عنه بعد ، وأما قول رؤية وهو ابن العجاج التيمى الراجز المشهور فذكره أبو عبيدة عنه في المجاز ، وقال

السدي : المراد بالظل والحرور في الآية الجنة والنار أخرجه ابن أبي حاتم عنه .

قوله (يقال يولج يكور) كذا في رواية أبي ذر ، ورأيت في رواية ابن شويه « يكون » بنون وهو

أشبهه ، وقال أبر عبيدة : يولج أي ينقص من الليل فيزيد في النهار وكذلك النهار ، وروى عبد بن حميد من

طريق مجاهد قال : ما نقص من أحدهما دخل في الآخر يتقاصان ذلك في الساعات . ومن طريق قتادة نحوه قال :

يولج ليل الصيف في نهاره أي يدخل ، ويدخل نهار الشتاء في ليله .

قوله (وليجة : كل شيء أدخلته في شيء) هو قول عبيدة قال قوله « من دون الله ولا رسوله

ولا المؤمنين وليجة » كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة ، والمعنى لا تتخذوا أولياء ليس من

المسلمين . ثم ذكر المصنف في الباب ستة أحاديث : أولها حديث أبي ذر في تفسير قوله تعالى ﴿ والشمس

تجرى لمستقرها ﴾ وسيأتي شرحه مستوفى في تفسير سورة يس ، والغرض منه هنا بيان سير الشمس في كل

يوم وليلة ، وظاهره مغاير لقول أهل الهيئة أن الشمس مرصعة في الفلك ، فإنه يقتضي أن الذي يسير هو

الفلك وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجرى ، ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿ كل في فلك يسبحون ﴾

أي يدورون ، قال ابن العربي : أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن ، وتأوله قوم على ما هي عليه من التسخير

الدائم ، ولا مانع أن تخرج عن مجراها فتسجد ثم ترجع . قلت : إن أراد بالخروج الوقوف فواضح ، وإلا فلا

دليل على الخروج ، ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة ، أو تسجد بصورة

الحال فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك الحين . ثانيها حديث أبي هريرة .
قوله (عن عبد الله الداناج) بتخفيف الذن وآخره جيم هو لقبه ومعناه العالم بلغة الفرس ، وهو في الأصل دانه فـعرب ، وعد الله المذكور تابعي صغير ، واسم أبيه فيروز ، وذكر البزار أنه لم يرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن غير هذا الحديث ، ووقع في روايته من طريق يونس بن محمد عن عبد العزيز ابن المختار عنه سمعت أبا سامة يحدث في زمن خالد القسري في هذا المسجد وجاء الحسن أي البصري فجلس إليه ، فقال أبو سلمة : حدثنا أبو هريرة « فذكره » ، ومثله أخرجه الإسماعيلي وقال « في مسجد البصرة » ولم يقل خالد القسري ، وأخرجه الخطابي من طريق يونس بهذا الإسناد فقال « في زمن خالد بن عبد الله أي ابن أسيد أي بفتح الهمزة وهو أصبح فإن خالداً هذا كان قد ولي البصرة لعبد الملك قبل الحجاج بخلاف خالد القسري .

قوله (مكوران) زاد في رواية البزار ومن ذكر معه « في النار ، فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال أبو سلمة أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول وما ذنبهما » قال البزار لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه انتهى . وأخرج أبو يعلى معناه من حديث أنس وفيه « ليراهما من عبدهما » كما قال تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ ﴾ . وأخرجه الطيالسي من هذا الوجه مختصراً وأخرج ابن وهب في « كتاب الأهوال » عن عطاء بن يسار في قوله تعالى ﴿ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ ﴾ قال : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار ، ولابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه موقوفاً أيضاً ، قال الخطابي : ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك ، ولكنه تبكيت لمن كان يعبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لها كانت باطلا . وقيل لئلهما خلقا من النار فأعيدا فيها . وقال الإسماعيلي : لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما ، فإن لله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذاباً وآلة من آلات العذاب وما شاء الله من ذلك ، فلا تكون هي معذبة . وقال أبو موسى المديني في « غريب الحديث » لما وصفا بأنهما يسبحان في قوله ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ وأن كل من عبد من دون الله إلا من سبقت له الحسنى يكون في النار وكانا في النار يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحان منهما فصارا كأنهما ثوران عقيران . ثالثاً بقية الأحاديث عن عبد الله بن عمرو ومن بعده في ذكر الكسوف ، وقد تقدمت كلها مشروحة في كتاب الكسوف ، وقوله في الحديث الأخير « عن أبي مسعود كذا في الأصول بأداة الكنية ، وهو أبو مسعود البدرى ، ووقع في بعض النسخ « عن ابن مسعود » بالوحدة والنون وهو تصحيف .

باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ نَشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (١)
 قاصفاً : تقصف كل شيء . لواقح : ملاقح ملقحة . إعصار : ريح عاصف تهب من الأرض إلى السماء كعمود فيه نار . صر : برد . نشراً : متفرقة .

٣٠٩٧ - نَا آدَمُ قَالَ نَا شَعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[٣٢٠٥]

(١) ﴿ بُشْراً ﴾ : قرأ الحرميان والبصري : ﴿ نُشْراً ﴾ ، والشامي : ﴿ نُشْراً ﴾ ، وعاصم : ﴿ بُشْراً ﴾ ، والأخوان : ﴿ نُشْراً ﴾ .

قال : « نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور » .

[٣٢٠٦] ٣٠٩٨ - نا مكي بن إبراهيم قال نا ابن جريج عن عطاء عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه ، فإذا أمطرت السماء سري عنه ، فعرفته عائشة ذلك فقال النبي صلى الله عليه : « وما أدري لعله كما قال قوم : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ﴾ الآية .

[الحديث ٣٢٠٦ - طرفه في : ٤٨٢٩] .

قوله (باب ماجاء في قوله تعالى : وهو الذي يرسل الرياح نشرأ بين يدي رحمته) نشرأ بضم النون والمعجمة وسيأتي تفسيره في الباب .

قوله (قاصفاً تقصف كل شيء) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ فيرسل عليكم قاصفاً من الريح ﴾ قال أبو عبيدة هي التي تقصف كل شيء أي تحطم ، وروى الطبري من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس القاصف التي تفرق ، هكذا ذكره منقطعاً .

قوله (لواقح ملاقح ملقحة) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ وأن أصل لواقح ملاقح وواحداه ملقحة ، وهو قول أبي عبيدة وفاقاً لابن إسحق ، وأنكره غيرهما قالوا لواقح جمع لاقحة ولاقح ، وقال الفراء : فإن قيل الريح ملقحة لأنها تلقح الشجر فكيف قيل لها لواقح ؟ فالجواب على وجهين : أحدهما أن تجعل الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح فيقال ريح لاقح كما يقال ماء ملاقح ، ويؤيده وصف ريح العذاب بأنها عقيم . ثانيهما أن وصفها باللقح لكون اللقح يقع فيها كما تقول : ليل نائم ، وقال الطبري : الصواب أنها لاقحة من وجه ملقحة من وجه لأن لقحها حملها الماء ، وإلقاحها عملها في السحاب . ثم أخرج من طريق قوى عن ابن مسعود قال « يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتلقح السحاب ، وتمر به فتدر كما تدر اللقحة ، ثم تمطر » وقال الأزهري : جعل الريح لافحاً لأنها تقل السحاب وتصرفه ، ثم تمر به فتستدره ، والعرب تقول للريح الجنوب : لافح وحامل ، وللشمال : حائل وعقيم .

قوله (إعصار : ريح عاصف تهب من الأرض إلى السماء كعمود فيه نار) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ فأصابها إعصار ﴾ وهو تفسير أبي عبيدة بلفظه ، وروى الطبري عن السدي قال : الإعصار الريح ، والنار السموم . وعن الضحاك قال : الإعصار ريح فيها برد شديد . والأول أظهر لقواه تعالى ﴿ فيه نار ﴾ .

قوله (صر : برد) يريد تفسير قوله تعالى (ريح فيها صر) قال أبو عبيدة : الصر شدة البرد . وقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق معمر قال كان الحسن يقول ﴿ فأصابها إعصار ﴾ يقول صر برد . كذا قال .

قوله (نشرأ متفرقة) هو مقتضى كلام أبي عبيدة فإنه قال : قوله (نشرأ) أي من كل مهب وتجانب وناحية . ثم ذكر المصنف في الباب حديثين : أحدهما حديث ابن عباس ، قوله (عن الحكم) هو ابن عتيبة بالمشاة والموحدة مصغر .

قوله (نصرت بالصبا) بفتح المهملة وتخفيف المرحدة مقصور هي الريح الشرقية ، والدبور بفتح أوله وتخفيف الموحدة المضمومة مقابلها ، يشير صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى في قصة الأحزاب ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾ وروى الشافعي بإسناد فيه انقطاع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نصرت بالصبا ، وكانت عذاباً على من كان قبلنا » وقيل إن الصبا هي التي حملت ريح قميص يوسف إلى يعقوب قبل أن يصل إليه ، قال ابن بطال : في هذا الحديث تفضيل بعض المخلوقات على بعض ، وفيه إخبار المرء عن نفسه بما فضله الله به على سبيل التحدث بالنعمة لا على الفخر ، وفيه الإخبار عن الأمم الماضية وإهلاكها . ثانيهما حديث عائشة وقد تقدم شرحه في كتاب الاستسقاء ، وقوله فيه (مخيلة) بفتح الميم وكسر المعجمة بعدها تحتانية ساكنة هي السحابة التي يخال فيها المطر .

قوله (فإذا أمطرت السماء سرى عنه) فيه رد على من زعم أنه لا يقال أمطرت إلا في العذاب ، وأما الرحمة فيقال مطرت ، وقوله « سرى عنه » بضم المهملة وتشديد الراء بلفظ المجهول أى كشف عنه . وفي الحديث تذكر ما يذهل المرء عنه مما وقع للأمم الخالية ، والتحذير من السير في سبيلهم خشية من وقوع مثل ما أصابهم . وفيه شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ورأفته بهم كما وصفه الله تعالى . قال ابن العربي : فإن قيل كيف يخشى النبي صلى الله عليه وسلم أن يعذب القوم وهو فيهم مع قوله تعالى ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ والجواب أن الآية نزلت بعد هذه القصة ، ويتعين الحمل على ذلك لأن الآية دلت على كرامة له صلى الله عليه وسلم ورفعته فلا يتخيل انحطاط درجته أصلاً . قلت : ويعكر عليه أن آية الأنفال كانت في المشركين من أهل بدر ، وفي حديث عائشة إشعار بأنه كان يواظب على ذلك من صنيعه ، كان إذا رأى فعل كذا . والأولى في الجواب أن يقال إن في آية الأنفال احتمال التخصيص بالمدكورين أو بوقت دون وقت أو مقام الخوف يقتضى غلبة عدم الأمن من مكر الله ، وأولى من الجميع أن يقال خشى على من ليس هو فيهم أن يقع بهم العذاب ، أما المؤمن فشفقتة عليه لإيمانه ، وأما الكافر فلرجاء إسلامه ، وهو بعث رحمة للعالمين .

باب ذكر الملائكة

وقال أنس : قال عبد الله بن سلام للنبي صلى الله عليه : إن جبريل عدو اليهود من الملائكة ، قال ابن عباس : ﴿ لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴾ : الملائكة .

[٣٢٠٧] ٣٠٩٩ - نا هبة بن خالد قال نا همام عن قتادة ... ح . وقال لي خليفة نا يزيد بن زريع قال نا سعيد وهشام قالا : نا قتادة قال نا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال النبي صلى الله عليه : « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر بين الرجلين - فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً ، فشق من النحر إلى مرق البطن ، ثم غسل البطن بماء زمزم ، ثم ملئ حكمة وإيماناً ،

وَأَتَيْتُ بَدَابَّةً أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبَرَّاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جَبْرِيلَ، حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ؛ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنْبِيٍّ. فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى، وَيَحْيَى، فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِ وَنْبِيٍّ. فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جَبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ فَسَلَّمْتُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِ وَنْبِيٍّ. فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جَبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا مِنْ أَخِ وَنْبِيٍّ. فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جَبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِ وَنْبِيٍّ. فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جَبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِ وَنْبِيٍّ. فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكِي، فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، هَذَا الْغَلَامُ الَّذِي بَعَثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي. فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جَبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنْبِيٍّ. فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ. وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ. فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: الْفِرَاتُ وَالنَّيْلُ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ. قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَاجَلْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ،

فارجع إلى ربك فاسأله. فرجعت فسألتُهُ، فجعلها أربعين، ثم مثله ثم ثلاثين، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشرين. فأتيت موسى فقال مثله فجعلها خمسا: فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسا. فقال مثله. قلت: سلمت. فنودي: إني قد أمضيت فريضتي. وخففت عن عبادي، وأجزى الحسنة عشرين».

وقال همام عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه: «في البيت المعمور».

[الحديث ٣٢٠٧ - أطرافه في: ٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧].

٣١٠٠ - نا الحسن بن الربيع قال نا أبو الأحوص عن الأعمش عن زيد بن وهب قال عبد الله: نا رسول الله صلى الله عليه - وهو الصادق المصدوق - قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا ويؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد. ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار. ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة».

[الحديث ٣٢٠٨ - أطرافه في: ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤].

٣١٠١ - نا ابن سلام قال نا مخلص، قال أنا ابن جريج قال أخبرني موسى بن عقبة عن نافع قال: قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه. وتابعه أبو عاصم عن ابن جريج قال أخبرني موسى بن عقبة عن نافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل. فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض».

[الحديث ٣٢٠٩ - طرفاه في: ٦٠٤٠، ٧٤٨٥].

٣١٠٢ - نا محمد قال نا ابن أبي مريم قال أنا الليث قال نا ابن أبي جعفر عن محمد ابن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه: «إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضي في

السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم».

[الحديث ٣٢١٠ - أطرافه في: ٣٢٨٨، ٥٧٦٢، ٦٢١٣، ٧٥٦١].

[٣٢١١] ٣١٠٣ - نا أحمد بن يونس قال نا إبراهيم بن سعد قال نا ابن شهاب عن أبي سلمة والأعرج عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر».

[٣٢١٢] ٣١٠٤ - نا علي بن عبد الله قال نا سفيان قال نا الزهري عن سعيد بن المسيب قال: مر عمر في المسجد وحسان ينشد فقال: كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك. ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «أجب عني، اللهم أيده بروح القدس»؟ قال: نعم.

[٣٢١٣] ٣١٠٥ - نا حفص بن عمر قال نا شعبة عن عدي بن ثابت عن البراء قال: قال النبي صلى الله عليه لحسان: «اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك».

[الحديث ٣٢١٣ - أطرافه في: ٤١٢٣، ٤١٢٤، ٦١٥٣].

[٣٢١٤] ٣١٠٦ - نا إسحاق قال أنا وهب بن جرير قال نا أبي قال سمعت حميد بن هلال عن أنس بن مالك قال: كأني أنظر إلى غبار ساطع في سكة بني غنم. زاد موسى: موكب جبريل.

[٣٢١٥] ٣١٠٧ - نا فروة قال نا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن الحارث ابن هشام سأل النبي صلى الله عليه: كيف يأتيك الوحي؟ قال: «كل ذلك. يأتي الملك أحياناً في مثل صلصلة الجرس، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وهو أشده علي، ويتمثل لي الملك أحياناً رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول».

[٣٢١٦] ٣١٠٨ - نا آدم قال نا شيبان قال نا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه يقول: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعت خزنة الجنة: أي فل هلم». فقال أبوبكر: ذاك الذي لا توى عليه. فقال النبي صلى الله عليه: «أرجو أن تكون منهم».

[٣٢١٧] ٣١٠٩ - حدثنا عبد الله بن محمد قال نا هشام قال أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه قال لها: «يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام» فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تريد النبي صلى الله عليه. [الحديث ٢٢١٧ - أطرافه في: ٣٧٦٨، ٦٢٠١، ٦٢٤٩، ٦١٥٣].

[٣٢١٨] ٣١١٠ - نا أبو نعيم قال نا عمر بن ذر... ح. وحدثني يحيى قال نا وكيع عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟» قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية. [الحديث ٣٢١٨ - طرفاه في: ٤٧٣١، ٧٤٥٥].

[٣٢١٩] ٣١١١ - نا إسماعيل قال نا سليمان عن يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه قال: «أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف». [الحديث ٣٢١٩ - طرفه في: ٤٩٩١].

[٣٢٢٠] ٣١١٢ - نا ابن مقاتل قال أنا عبد الله قال أنا يونس عن الزهري قال نا عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله صلى الله عليه حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.

وعن عبد الله قال أنا معمر بهذا الإسناد نحوه، وروى أبو هريرة وفاطمة عن النبي صلى الله عليه: «أن جبريل كان يعارضه القرآن».

[٣٢٢١] ٣١١٣ - نا قتيبة قال نا ليث عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخر العصر شيئاً، فقال له عروة: أما إن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله صلى الله عليه. فقال عمر: اعلم ما تقول يا عروة، قال: سمعت بشير بن أبي مسعود يقول سمعت أبا مسعود يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «نزل جبريل فأمني فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات».

[٣٢٢٢] ٣١١٤- فامحمد بن بشار قال نا ابن أبي عدي عن شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد ابن وهب عن أبي ذر قال: قال النبي صلى الله عليه: قال لي جبريل: «من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، أو لم يدخل النار». قال: «إن زنى وإن سرق؟» قال: «وإن».

[٣٢٢٣] ٣١١٥- فابواليمان قال أنا شعيب قال نا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه: «الملائكة يتعاقبون: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو يعلم - فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فقالوا: تركناهم يصلون، وأتيناهم يصلون».

قوله (باب ذكر الملائكة) جمع ملك بفتح اللام، فقليل مخفف من مالك وقيل مشتق من الألوكه وهى الرسالة وهذا قول سيويه والجمهور، وأصله لأك، وقيل أصله الملك بفتح ثم سكون وهو الأخذ بقوة وحينئذ لا مدخل للميم فيه، وأصل وزنه مفعل فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال وظهرت في الجمع وزيدت الهاء إما للمبالغة وإما لتأنيث الجمع، وجمع على القلب وإلا لقليل ماله، وعن أبي عبيدة الميم في الملك أصلية وزنه فعل كأسد هو من الملك بالفتح وسكون اللام وهو الأخذ بقوة، وعلى هذا فوزن ملائكة فعائلة ويؤيده أنهم جوزوا في جمعه أملاك، وأفعال لا يكون جمعا لما في أوله ميم زائدة، قال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السموات، وأبطل من قال إنها الكواكب أو أنها الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها. وقد جاء في صفة الملائكة وكثرتهم أحاديث: منها ما أخرجه مسلم عن عائشة مرفوعاً «خلقت الملائكة من نور» الحديث، ومنها ما أخرجه الترمذي وابن ماجه والبخاري من حديث أبي ذر مرفوعاً «أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد» الحديث، ومنها ما أخرجه الطبراني من حديث جابر مرفوعاً «ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد» وللطبراني نحوه من حديث عائشة. وذكر في «زبيح الأبرار» عن سعيد بن المسيب قال الملائكة ليسوا ذكوراً ولا إناثاً ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون. قلت وفي قصة الملائكة مع إبراهيم وسارة ما يؤيد أنهم لا يأكلون، وأما ما وقع في قصة الأكل من الشجرة أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة فليس بثابت، وفي هذا وما ورد من القرآن رد على من أنكر وجود الملائكة من الملاحدة. وقدم المصنف ذكر الملائكة على الأنبياء لا لكونهم أفضل عنده بل لتقدمهم في الخلق ولسبق ذكرهم في القرآن في عدة آيات كقوله تعالى ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾، ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾، ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين﴾ وقد وقع في حديث جابر الطويل عند مسلم في صفة الحج «ابدؤا بما بدأ الله به» ورواه النسائي بصيغة الأمر «ابدأ

بما بدأ الله به ، ولأنهم وسائط بين الله وبين الرسل في تبليغ الوحي والشرائع فتناسب أن يقدم الكلام فيهم على الأنبياء ، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا أفضل من الأنبياء ، وقد ذكرت مسألة تفضيل الملائكة في كتاب التوحيد عند شرح حديث ذكرته في ملاً خير منهم ، والله أعلم . ومن أدلة كثرتهم ما يأتي في حديث الإسراء « أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون »

قوله . (وقال أنس قال عبد الله بن سلام الخ) هو طرف من حديث وصله المصنف في كتاب الهجرة ؛ وسيأتي بآتم من هذا السياق هناك مع شرحه .

قوله (وقال ابن عباس (لنحن الصافون) الملائكة) وصله عبد الرزاق من طريق سماك عن عكرمة عنه ، وللطبراني عن عائشة مرفوعاً « ما في السماء موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو ساجد ، فذلك قوله تعالى (وإنا لنحن الصافون) . ثم ذكر المصنف في الباب أحاديث تزيد على ثلاثين حديثاً ، وهو من نوادر ما وقع في هذا الكتاب ، أعني كثرة ما فيه من الأحاديث ، فإن عادة المصنف غالباً يفصل الأحاديث بالتراجم ولم يصنع ذلك هنا . وقد اشتملت أحاديث الباب على ذكر بعض من اشتهر من الملائكة كجبريل ، ووقع ذكره في أكثر أحاديثه ، وميكائيل وهو في حديث سمرة وحده ، والملك الموكل بتصوير ابن آدم ، ومالك خازن النار ، وملك الجبال ، والملائكة الذين في كل سماء ، والملائكة الذين ينزلون في السحاب ، والملائكة الذين يدخلون البيت المعمور ، والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة ، وخزنة الجنة ، والملائكة الذين يتعاقبون . ووقع ذكر الملائكة على العموم في كونهم لا يدخلون بيتاً فيه تصاوير ، وأنهم يؤمنون على قراءة المصلي ويقولون : ربنا ولك الحمد ؛ ويدعون لمنتظر الصلاة ، ويلعنون من هجرت فراش زوجها ، وما بعد الأول محتمل أن يكون المراد خاصاً منهم ، فأما جبريل فقد وصفه الله تعالى بأنه روح القدس وبأنه الروح الأمين وبأنه رسول كريم ذو قوة مكين مطاع أمين ، وسيأتي في التفسير أن معناه عبد الله ، وهو وإن كان سريانياً لكنه وقع فيه موافقة من حيث المعنى للغة العرب لأن الجبر هو إصلاح ما وهي ، وجبريل موكل بالوحي الذي يحصل به الإصلاح العام ، وقد قيل أنه عربي وأنه مشتق من جبروت الله ، واستبعد للاتفاق على منع صرفه وفي اللفظة ثلاث عشرة لغة أولها جبريل بكسر الجيم وسكون الموحدة وكسر الراء وسكون التحتانية بغير همز ثم لام خفيفة وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر ونافع ورواية عن عاصم ، ثانيها بفتح الجيم قرأها ابن كثير ، ثالثها مثله لكن بفتح الراء ثم همزة قرأها حمزة والكسائي ، رابعها مثله بحذف ما بين الهمزة واللام قرأها يحيى بن يعمر ورويت عن عاصم . خامسها بتشديد اللام ورويت عن عاصم . سادسها بزيادة ألف بعد الراء ثم همزة ثم ياء ثم لام خفيفة قرأها عكرمة . سابعها مثلها بغير همز قرأها الأعمش . ثامنها مثل السادسة إلا أنها بياء قبل الهمز . تاسعها جبرال بفتح ثم سكون وألف بعد الراء ولام خفيفة . عاشرها مثله لكن بياء بعد الألف قرأها طلحة بن مصرف . حادي عشرها جرین مثل كثير لكن بنون . ثاني عشرها مثله لكن بكسر الجيم . ثالث عشرها مثل حمزة لكن بنون بدل اللام لخصته من « إعراب السمين » وروى الطبري عن أبي العالية قال : جبريل من الكروبيين وهم سادة الملائكة وروى الطبراني من حديث ابن عباس

قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل على أي شيء أنت ؟ قال على الريح والجند ، قال وعلى أي شيء ميكائيل ؟ قال على النبات والقطر ، قال : وعلى أي شيء ملك الموت ؟ قال على قبض الأرواح » الحديث وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد ضعف أسره حفظه ولم يترك . وروى الترمذي من حديث أبي سعيد مرفوعاً وزيد أي من أهل السماء جبريل وميكائيل الحديث . وفي الحديث الذي أخرجه الطبراني في كيفية خلق آدم ما يدل على أن خلق جبريل كان قبل خلق آدم ، وهو مقتضى عموم قوله تعالى ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ وفي التفسير أيضاً أنه يموت قبل مرت ملك الموت بعد فناء العالم ، والله أعلم . وأما ميكائيل فروى الطبراني عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لم أر ميكائيل ضاحكاً ؟ قال ما ضحك منذ خلقت النار » وأما ملك التصوير فلم أقف على اسمه . وأما مالك خازن النار فيأتي ذكره في تفسير سورة الزخرف إن شاء الله تعالى ، وأما ملك الجبال فلم أقف على اسمه أيضاً ، ومن مشاهير الملائكة إسرافيل ولم يقع له ذكر في أحاديث الباب ، وقد روى النقاش أنه أول من سجد من الملائكة فجوزى بولاية اللوح المحفوظ ، وروى الطبراني من حديث ابن عباس أنه الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فخبره بين أن يكون نبياً عبداً أو نبياً ملكاً ، فأشار إليه جبريل أن تواضع ، فاختر أن يكون نبياً عبداً ، وروى أحمد والترمذي عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جبهته وانتظر أن يؤذن له » الحديث ، وقد اشتمل « كتاب العظمة لأبي الشيخ » من ذكر الملائكة على أحاديث وآثار كثيرة فليطلبها منه من أراد الوقوف على ذلك ، وفيه عن علي أنه ذكر الملائكة فقال « منهم الأمناء على وحيه ، والحفظة لعباده ، والسدنة لجنانه ، والثابتة في الأرض السفلى أقدامهم ، المارقة من السماء العليا أعناقهم ، الخارجة عن الأقطار أكتافهم ، الماسة لقوائم العرش أكتافهم » . الحديث الأول حديث الإسراء أورده بطوله من طريق قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة ، وسأذكر شرحه في السيرة النبوية قبيل أبواب الهجرة إن شاء الله تعالى ، والغرض منه هنا ما يتعلق بالملائكة ، وقد ساقه هنا على لفظ خليفة ، وهناك على لفظ هدية بن خالد ، وسأبين ما بينهما من التفاوت إن شاء الله تعالى . وقوله « بطست من ذهب ملآن » كذا الأكثر ، وللكشيميني « ملأى » والتذكير باعتبار الإناء والتأنيث باعتبار الطست لأنها مؤنثة ، ووجدت بخط الديماطي « ملأى » بضم الميم على لفظ الفعل الماضي ، فعلى هذا لا تغاير بينه وبين قوله « ملآن » وقوله « مراق البطن » بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف هو ما سفل من البطن ورق من جلده ، وأصله مراقق ، وسميت بذلك لأنها مريض رقة الجلد . وقوله « بدابة أبيض » ذكره باعتبار كونه مركوباً ، وقوله في آخره « وقال همام عن قتادة الخ » يريد أن هماماً فصل في سياقه قصة البيت المعمور من قصة الإسراء ، فروى أصل الحديث عن قتادة عن أنس ، وقصة البيت عن قتادة عن الحسن ، وأما سعيد وهو ابن أبي عروبة وهشام وهو الدستوائي فأدرجا قصة البيت المعمور في حديث أنس ، والصواب رواية همام وهي مرصولة هنا عن هدية عنه ، وروى الحسن بن سفيان في مسنده الحديث بطوله عن هدية فاقتصر الحديث إلى قوله « فرفع لي البيت المعمور » قال قتادة « فحدثنا الحسن عن أبي هريرة أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون فيه » وأخرجه الإسماعيلي عن

الحسن بن سفيان وأبي يعلى والبغوى وغير واحد كلهم عن هدية به مفصلاً ، وعرف بذلك مراد البخارى بقوله « فى البيت المعمور » وأخرج الطبرى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البيت المعمور مسجد فى السماء بجذاء الكعبة لو نخر نحر عليها ، يدخله سبعون ألف ملك كل يوم إذا خرجوا منه لم يعودوا » وهذا وما قبله يشعر بأن قتادة كان تارة يدرج قصة البيت المعمور فى حديث أنس وتارة يفصلها ، وحين يفصلها تارة يذكر سندها وتارة يبهمه ، وقد روى إسحق فى مسنده والطبرى وغير واحد من طريق خالد بن عرعة عن على « أنه سئل عن الشقف المرفوع قال : السماء ، وعن البيت المعمور قال : بيت فى السماء بحيال البيت حرمته فى السماء كحرمة هذا فى الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه » وفى رواية للطبرى أن السائل عن ذلك هو عبد الله بن الكوا ولا بن مردويه عن ابن عباس نحوه وزاد « وهو على مثل البيت الحرام لو سقط لسقط عليه » من حديث عائشة ، ونحوه بأسناد صالح ، ومن حديث عبد الله بن عمرو نحوه بأسناد ضعيف وهو عند الفاكهى فى « كتاب مكة » بإسناد صحيح عنه لكن موقوفاً عليه ، وروى ابن مردويه أيضاً وابن أبى حاتم من حديث أبى هريرة مرفوعاً نحو حديث على وزاد « وفى السماء نهر يقال له نهر الخيران يدخله جبريل كل يوم فيغمس ثم يخرج فينتفض فيخر عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا ، فهم الذين يصلون فيه ثم لا يعودون إليه » وإسناده ضعيف ، وقد روى ابن المنذر نحوه بدون ذكر النهر من طريق صحيحة عن أبى هريرة لكن موقوفاً ، وجاء عن الحسن ومحمد بن عباد بن جعفر أن البيت المعمور هو الكعبة ، والأول أكثر وأشهر ، وأكثر الروايات أنه فى السماء السابعة . وجاء من وجه آخر عن أنس مرفوعاً أنه فى السماء الرابعة . وبه جزم شيخنا فى القاموس ، وقيل هو فى السماء السادسة ، وقيل هو تحت العرش ، وقيل إنه بناء آدم لما أهبط إلى الأرض ثم رفع زمن الطرفان ، وكان هذا شبهة من قال إنه الكعبة ، ويسمى البيت المعمور الضراح والضرير . الحديث الثانى حديث ابن مسعود « حدثنا الصادق المصدوق » وسيأتى شرحه فى كتاب القدر ، والغرض منه قوله فيه « ثم يبعث الله ملكاً ويؤمر بأربع كلمات » فإن فيه أن الملك موكل بما ذكر عند تصوير الآدمى ، وسيأتى ما وقع فيه من الاختلاف هناك ، والمراد بقوله « الصادق » أى فى قوله و« المصدوق » أى فيما وعده به ربه . الحديث الثالث حديث أبى هريرة أورده من طريقين موصولة ومعلقة وساقه على لفظ المعلقة ، وهى متابعة أبى عاصم ، وقد وصلها فى الأدب عن عمرو بن على عن أبى عاصم ، وساقه على لفظه هنا ، وهو أحد المواضع التى يستدل بها على أنه قد يعلق عن بعض مشايخه ما هو عنده عنه بواسطة ، لأن أبا عاصم من شيوخه .

قوله (إذا أحب الله العبد الخ) زاد روح بن عبادة عن ابن جريج فى آخره عند الإسماعيلى « وإذا أبغض فثل ذلك » وقد أخرجه أحمد عن روح بدون الزيادة ، وسيأتى تمام شرحه فى كتاب الأدب إن شاء الله تعالى . الحديث الرابع حديث عائشة .

قوله (حدثنا محمد حدثنا ابن أبى مریم) قال الجياني : محمد هذا هو الذهلى ، كذا قال ، وقد قال أبو ذر بعد أن ساقه : محمد هذا هو البخارى ، وهذا هو الأرجح عندى ، فإن الإسماعيلى وأبا نعيم لم يجدا

الحديث من غير رواية البخارى فأخرجاه عنه ، ولو كان عند غير البخارى لما ضاق عليهما مخرجه ، ونصف هذا الإسناد الأعلى مدينون ونصفه الأدنى مصريون ، وليث في هذا الحديث شيخ آخر سيأتى في صفة إبليس قريباً ، ويأتى شرحه مستوفى في الطب ، وقوله « العنان » هو السحاب وزناً ومعنى وواحد عانة كسحابة كذلك ، وقوله وهو السحاب من تفسير بعض الرواة أدرجه في الخبر . الحديث الخامس حديث أبي هريرة ، وقد تقدم شرحه في الجمعة ، وقوله فيه « عن أبي سلمة » هو ابن عبد الرحمن ، وقوله « والأغر » كذا الأكثر بالمعجمة والراء الثقيلة ، ووقع في رواية الكشميني والأعرج بالعين المهملة الساكنة وآخره جيم ، والأول أوجح فإنه مشهور من رواية الأغر ، نعم أخرج النسائي من وجهين آخرين عن الزهري عن الأعرج وحده . ورواية يحيى بن سعيد الأنصارى عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب وأبي عبد الله الأغر ثلاثهم عن أبي هريرة ، أفاده الجياني عن ابن السكن قال : وبان بذلك أن الحديث حديث الأغر لا الأعرج . قلت : بل ورد من رواية الأعرج أيضاً أخرجه النسائي من طريق عقيل ، ومن طريق عمرو بن الحارث كلاهما عن الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة ، فظهر أن الزهري حمله عن جماعة ، وكان تارة يفرده عن بعضهم وتارة يذكره عن اثنين منهم وتارة عن ثلاثة ، والله أعلم . وقد تقدم في الجمعة من رواية ابن أبي ذئب . وأخرجه مسلم من رواية يونس عن الزهري عن الأغر وحده ، وأخرجه النسائي أيضاً من رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهري عن أبي سلمة والأغر جمع بينهما كإبراهيم بن سعد ، وأخرجه مسلم والنسائي من طريق سفيان عن الزهري عن سعيد وحده ، ورواه مالك عن الزهري عن ابن سلمة وحده . الحديث السادس حديث أبي هريرة في الدعاء لحسان ، والغرض منه ذكر روح القدس ، وقد تقدم شرحه في المساجد من كتاب الصلاة وبينت أنه من رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أو عن حسان وأنه لم يحضر مراجعته لحسان . وقد أخرجه الإسماعيلي من رواية عبد الجبار بن العلاء عن سفيان قال : ما حفظت عن الزهري إلا عن سعيد عن أبي هريرة ، فعلى هذا فكأن أبا هريرة حدث سعيداً بالقصة بعد وقوعها بمدة ، ولهذا قال الإسماعيلي : سياق البخارى صورته صورة الإرسال ، وهو كما قال ، وقد ظهر الجواب عنه بهذه الرواية .

الحديث السابع حديث البراء بن عازب في ذكر حسان أيضاً والغرض منه الإشارة إلى أن المراد بروح القدس في الحديث الذى قبله جبريل ، وسيأتى شرحه في كتاب الأدب ، وقوله « قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان » يقتضى أنه من مسند البراء بن عازب ، ولكن أخرجه الترمذى من رواية يزيد بن زريع عن سعيد فجعله من رواية البراء عن حسان . الحديث الثامن حديث أنس « كأتى أنظر إلى غبار ساطع في سكة بنى غنم » السكة بكسر المهملة والتشديد الزقاق ، وبنو غنم بفتح المعجمة وسكون الكون بطن من الخزرج . وهم بنو غنم بن مالك بن النجار . منهم أبو أيوب الأنصارى وآخرون . ووهم من زعم أن المراد بهم هنا بنو غنم حى من بنى تغلب بفتح المثناة وسكون المعجمة فإن أولئك لم يكونوا بالمدينة يومئذ .

قوله (زاد موسى موكب جبريل) موسى هو ابن إسماعيل التبوذكى . ومراده أنه روى هذا الحديث عن جرير بن حازم بالإسناد المذكور فزاد في المتن هذه الزيادة . وطريق موسى هذه موصولة في المغازى عنه وهو مما يدل على أنه قد يعلق عن بعض مشايخه ما سمعه منه فلم يطرده له في ذلك عمل مستمر فإن كلا من

أبي عاصم وموسى من مشايخه ، وقد علق عن أبي عاصم ما أخذه عنه بواسطة ، وعلق عن موسى ما أخذه عنه بغير واسطة ، ففيه رد على من قال : كل ما يعلقه عن مشايخه محمول على أنه سمعه منهم ، وفيه رد على من قال : إن الذى يذكر عن مشايخه من ذلك يكون مما حمله عنهم بالمناولة لأنه صرح فى المغازى بتحديث موسى له بهذا الحديث ، فلو كان مناولة لم يصرح بالتحديث . وقوله « موكب جبريل » يجوز فيه الحركات الثلاث كمنظائره ، ورجح ابن التين الخفض . وإسحق المذكور فى الرواية الأولى هو ابن راهويه كما بينه ابن السكن وجزم به الكلاباذى ، وسيأتى بقية شرح المتن فى كتاب المغازى إن شاء الله تعالى . الحديث التاسع حديث عائشة « أن الحارث بن هشام سأل عن كيفية مجىء الوحي » وقد تقدم شرحه فى أول الكتاب ، وقدمت أن عامر بن صالح الزبيرى رواه عن هشام فجعله من رواية عائشة عن الحارث بن هشام ، وإني وجدت له متابعا على ذلك عند ابن منده ، وهو يتضمن الرد على الحاكم حيث زعم أن عامر بن صالح تفرد بالزيادة المذكورة ، والمتابع المذكور أخرجه ابن منده من طريق عبد الله بن الحارث عن هشام عن عائشة عن الحارث بن هشام قال « سألت » . الحديث العاشر حديث أبي هريرة « من أنفق زوجين » وقد تقدم الكلام عليه فى أول الجهاد والغرض منه ذكر خزنة الجنة وقوله فى الإسناد « حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة » قال الإسماعيلي فى الجهاد : أدخل الأوزاعى بين يحيى وأبي سلمة فى هذا الحديث محمد بن إبراهيم التيمى . قلت : روايته عنه عند النسائى ، ويحيى معروف بالرواية عن أبي سلمة فلعل محمدا أثبتته فى هذا الحديث . الحديث الحادى عشر حديث عائشة فى سلام جبريل ، وسيأتى الكلام عليه فى المناقب ، وإسماعيل شيخ البخارى فيه هو ابن أبي أويس وسليمان هو ابن بلال ، ويونس هو ابن يزيد الأيلي ، وقد خالفه معمر عن الزهرى فى إسناده فقال عن عروة عن عائشة أخرجه النسائى وقال : هذا خطأ والصواب رواية يونس . الحديث الثانى عشر حديث ابن عباس فى نزول قوله تعالى ﴿ وما تنزل إلا بأمر ربك ﴾ وسيأتى شرحه فى تفسير سورة مريم ، وسيأقنه هنا على لفظ وكيع ، ويحيى الراوى عنه هو ابن موسى ، ويقال ابن جعفر وعمر بن ذر بضم العين اتفاقاً ، وغلط من قال فيه عمرو . الحديث الثالث عشر حديثه فى الأحرف السبعة ، وسيأتى شرحه فى فضائل القرآن . الحديث الرابع عشر حديثه فى مدارس جبريل فى رمضان ، وقد تقدم شرحه فى كتاب الصيام ، وقوله « وعن عبد الله أخبرنا معمر بهذا الإسناد » هو موصول عن محمد بن مقاتل وكان ابن المبارك كان يفصل الرواية فيه عن شيخه ، وقد تقدم نظير ذلك فى بدء الوحي . الحديث الخامس عشر والسادس عشر قوله « وروى أبو هريرة وفاطمة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل كان يعارضه القرآن . أما حديث أبي هريرة فوصله فى فضائل القرآن ويأتى شرحه هناك إن شاء الله تعالى ، وأما حديث فاطمة فوصله فى علامات النبوة ويأتى شرحه هناك أيضاً إن شاء الله تعالى . الحديث السابع عشر حديث أبي مسعود فى صلاة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وتقدم مشروحاً فى أوائل الصلاة ، وقوله « فصلى أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم » بفتح الهمزة من أمام ، وحكى ابن مالك أنه روى بالكسر واستشكله ، لأن « إمام » معرفة والموضع موضع الحال فوجب جعله نكرة بالتأويل . الحديث الثامن عشر حديث أبي ذر وقد تقدم مضموماً إلى حديث آخر فى كتاب الاستقراض ،

ويأتي مطولا في الاستئذان ويأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى . وقوله هنا « قال وإن زنى » لم يعين القائل ، وبين في تلك الرواية أنه أبو ذر الراوى ، وقوله في آخره « قال وإن » فيه دلالة على جواز حذف فعل الشرط والاكتفاء بحرفه ، قاله ابن مالك ، وفيه نظر لأنه يتبين بالرواية الأخرى أن هذا من تصرف بعض الرواة . الحديث التاسع عشر حديث أبي هريرة « الملائكة يتعاقبون » تقدم مشروحا في أوائل الصلاة .

ب

إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: « آمِينَ » وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ
فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ

[٣٢٢٤] ٣١١٦- نا محمد قال أنا مخلص قال أنا ابن جريج عن إسماعيل بن أمية أن نافعاً حدثه أن القاسم بن محمد حدثه عن عائشة قالت: حشوت وسادة للنبي صلى الله عليه فيها تماثيل كأنها نمرقة، فجاء فقام على بين البابين وجعل يتغير وجهه، فقلت: ما لنا يا رسول الله؟ قال: « ما بال هذه الوسادة؟ » قالت: وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها. قال: « أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة؟ » وأن من صنع هذه الصور يعذب يوم القيامة فيقول: أحيوا ما خلقتكم .

[٣٢٢٥] ٣١١٧- نا ابن مقاتل قال أنا عبد الله قال أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله سمع ابن عباس يقول: سمعت أبا طلحة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل » .

[الحديث ٣٢٢٥ - أطرافه في: ٣٢٢٦، ٣٣٢٢، ٤٠٠٢، ٥٩٤٩، ٥٩٥٨.]

[٣٢٢٦] ٣١١٨- نا أحمد قال نا ابن وهب قال أنا عمرو أن بكير بن الأشج حدثه أن بسر بن سعيد حدثه أن زيد بن خالد الجهني حدثه - ومع بسر بن سعيد عبيد الله الخولاني الذي كان في حجر ميمونة زوج النبي صلى الله عليه - حدثهما زيد بن خالد أن أبا طلحة حدثه أن النبي صلى الله عليه قال: « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة » . قال بسر: فمرض زيد بن خالد، فعُدناه، فإذا نحن في بيته بستر فيه تصاوير، فقلت: لعبيد الله الخولاني: ألم يحدثنا في التصاوير؟ فقال: إنه قال: « إلا رقم في ثوب » ألا سمعته؟ قلت: لا . قال: بلى قد ذكر .

[٣٢٢٧] ٣١١٩- نا يحيى بن سليمان قال نا ابن وهب قال نا عمر عن سالم عن أبيه: وعد

النبي صلى الله عليه جبريل فقال: «إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب».

[الحديث ٣٢٢٧ - طرفه في: ٥٩٦٠].

٣١٢٠ - نا إسماعيل قال ني مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال: «إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

[٣٢٢٨]

٣١٢١ - نا إبراهيم بن المنذر قال نا محمد بن فليح قال نا أبي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، والملائكة تقول: اللهم اغفر له وارحمه، ما لم يقم من صلاته أو يحدث».

[٣٢٢٩]

٣١٢٢ - نا علي بن عبد الله قال نا سفيان عن عمرو عن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ﴾ قال سفيان: في قراءة عبد الله: ونادوا يا مال.

[٣٢٣٠]

[الحديث ٣٢٣٠ - طرفاه في: ٣٢٦٦، ٤٨١٩].

٣١٢٣ - نا عبد الله بن يوسف قال أنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال ني عروة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك: وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم، على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. قال النبي صلى الله عليه: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً».

[٣٢٣١]

[الحديث ٣٢٣١ - طرفه في: ٧٣٨٩].

٣١٢٤ - نا قتيبة قال نا أبو عوانة قال نا أبو إسحاق الشيباني قال: سألت زراً بن حبيش عن

[٣٢٣٢]

قول الله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿﴾ قال: نا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح.

[الحديث ٣٢٣٢ - طرفاه في: ٤٨٥٦، ٤٨٥٧].

٣١٢٥ - نا حفص بن عمر قال نا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ قال: رأى رفرفا خضرا سدا أفق السماء.

[الحديث ٣٢٣٣ - طرفه في: ٤٨٥٨].

٣١٢٦ - نا محمد بن عبد الله بن إسماعيل قال نا محمد بن عبد الله الأنصاري عن ابن عون قال أنبأنا القاسم عن عائشة قالت: من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلقه سادا ما بين الأفق.

[الحديث ٣٢٣٤ - أطرافه في: ٣٢٣٥، ٤٦١٢، ٤٨٥٥، ٧٣٨٠، ٧٥٣١].

٣١٢٧ - نا محمد بن يوسف قال نا أبو أسامة قال نا زكرياء بن أبي زائدة عن ابن الأشوع عن الشعبي عن مسروق قال: قلت لعائشة: فأين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾؟ قالت: ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، قد سد الأفق.

٣١٢٨ - نا موسى قال نا جرير قال نا أبو رجاء عن سمرة قال: قال النبي صلى الله عليه: «رأيت الليلة رجلين أتياني قالوا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل».

٣١٢٩ - نا مسدد قال نا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح». تابعه شعبة وأبو حمزة وابن داود وأبو معاوية عن الأعمش.

[الحديث ٣٢٣٧ - طرفاه في: ٥١٩٣، ٥١٩٤].

٣١٣٠ - نا عبد الله بن يوسف قال نا الليث قال ني عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع النبي صلى الله عليه يقول: «ثم فتر الوحي عني

فترة، فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي قد جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجثت منه حتى هويت إلى الأرض، فجثت أهلي فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان.

[٣٢٣٩]

٣١٣١- فامحمد بن بشار قال نا غندر قال نا شعبة عن قتادة... ح. وقال لي خليفة نا يزيد بن زريع قال نا سعيد عن قتادة عن أبي العالية قال نا ابن عم نبيكم صلى الله عليه - يعني ابن عباس - عن النبي صلى الله عليه قال: «رأيت ليلة أُسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار، والدجال في آيات أراهن الله، فلا تكن في مرية من لقائه». قال أنس وأبوبكرة عن النبي صلى الله عليه: «تحرس الملائكة المدينة من الدجال».

[الحديث ٣٢٣٩ - طرفه في: ٣٣٩٦].

الحديث العشرون حديث أبي هريرة «إذا قال أحدكم آمين» الحديث وهو بإسناد الذي قبله عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عنه، ووقع في كثير من النسخ هنا «باب إذا قال أحدكم» إلى آخر الحديث فصار ترجمة بغير حديث وصارت الأحاديث التي تتلوه لاتعلق لها به فأشكل أمره جداً، وسقط لفظ «باب» من رواية أبي ذر فخف الإشكال لكن لو قال وبهذا الإسناد أو وبه قال أو نحو ذلك لزال الإشكال، وقد صنع ذلك الإسماعيلي فإنه ساق حديث «يتعاقبون» فلما فرغ قال «وبهذا الإسناد إذا قال أحدكم» فساقه من طريقين عن أبي الزناد كذلك، وظهر بهذا أن هذا الحديث وما بعده من الأحاديث بقية ترجمة ذكر الملائكة والله أعلم. الحديث الحادي والعشرون حديث عائشة «حشوت وسادة» تقدم في البيوع ويأتي شرحه في اللباس، ومحمد شيخ البخاري فيه هو ابن سلام، وقد تقدم قبل أبواب حديث آخر قال فيه «حدثنا ابن سلام حدثنا محمد بن يزيد». الحديث الثاني والعشرون حديث أبي طلحة، وشيخ البخاري فيه هو أحمد بن صالح كما جزم به أبو نعيم، قال الدارقطني: لم يذكر الأوزاعي ابن عباس في إسناده، يعني حيث رواه عن الزهري عن عبيد الله، قال: والقول قول من أثبتته، قال: ورواه سالم أبو النضر عن عبيد الله نحو رواية الأوزاعي. قلت: هو عند الترمذي والنسائي من طريق أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الله قال «دخلت على أبي طلحة» نحوه، وأخرج النسائي رواية الأوزاعي فأثبت ابن عباس تارة وأسقطه تارة ورجح رواية من أثبتته، وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب اللباس إن شاء الله تعالى. الحديث الثالث والعشرون حديث ابن عمر.

قوله (حدثني عمرو) كذا للأكثر، وظن بعضهم أنه ابن الحارث، وهو خطأ لأنه لم يدرك سالماً

والصواب عمر بضم العين بغير واو ، وهو ابن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وثبت كذلك في رواية الكشميني ، وكذا وقع في اللباس عن يحيى بن سليمان بهذا الإسناد ، وقوله « وعد النبي صلى الله عليه وسلم جبريل فقال إنا لا ندخل » كذا أورده هنا مختصراً وساقه في اللباس بتمامه ، وسيأتى شرحه هناك إن شاء الله تعالى . الحديث الرابع والعشرون حديث أبي هريرة « إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده » تقدم مشروحاً في صفة الصلاة . الحديث الخامس والعشرون حديثه « أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه » وقد تقدم مشروحاً أيضاً في صفة الصلاة ، وابن فليح هو محمد ، ووقع في بعض النسخ ابن أفلاح وهو تصحيف . الحديث السادس والعشرون حديث يعلى بن أمية .

قوله (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة ، وعمرو هو ابن دينار ، وعطاء هو ابن أبي رباح ، وصفوان ابن يعلى أى ابن أمية ، وفي الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق وهم مكيون .

قوله (يقرأ على المنبر : ونادوا يامال) في رواية الكشميني . (ونادوا يا مالك) وسيأتى الكلام عليه في التفسير .

قوله (قال سفيان) هو ابن عيينة (في قراءة عبد الله) أى ابن مسعود (ونادوا يامال) يعنى بغير كاف . الحديث السابع والعشرون حديث عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم « هل أتى عليكم يوم أشد من يوم أحد » الحديث .

قوله (ابن عبد ياليل) بتحتانية وبعد الألف لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام (ابن عبد كلال) بضم الكاف وتخفيف اللام وآخره لام واسمه كنانة ، والذي في المغازى أن الذى كلمه هو عبد ياليل نفسه ، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه وأنه عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف ، ويقال اسم ابن عبد ياليل مسعود وله أخ أعشى له ذكر في السيرة في قذف النجوم عند المبعث النبوى ، وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف ، وقد روى عبد بن حميد في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ على رجل من القريتين عظيم ﴾ قال نزلت في عتبة بن ربيعة وابن عبد ياليل الثقفى ، ومن طريق قتادة قال : هما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود ، ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن مجاهد وقال فيه : يعنى كنانة . وروى الطبرى من طريق السدى قال : هما الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير عظيم أهل الطائف . وقد ذكر موسى بن عقبة وابن إسحق أن كنانة بن عبد ياليل وفد مع وفد الطائف سنة عشر فأسلموا ، وذكره ابن عبد البر في الصحابة لذلك ، لكن ذكر المدينى أن الوفد أسلموا إلا كنانة فخرج إلى الروم ومات بها بعد ذلك والله أعلم . وذكر موسى بن عقبة في المغازى عن ابن شهاب أنه صلى الله عليه وسلم لما مات أبو طالب توجه إلى الطائف رجاء أن يؤوه ، فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم سادتهم وهم إخوة عبد ياليل وحبيب ومسعود بنو عمرو فعرض عليهم نفسه وشكى إليهم ما انتهك منه قومه فردوا عليه أقبح رد ، وكذا ذكره ابن إسحق بغير إسناد مطولا ، وذكر ابن سعد أن ذلك كان في شوال سنة عشر من المبعث وأنه كان بعد موت أبي طالب وخديجة .

قوله (على وجهى) أى على الجهة المواجهة لى .

قوله (بقرن الثعالب) هو ميقات أهل نجد ويقال له قرن المنازل أيضاً ، وهو على يوم وليلة من مكة ، وقرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير ، وحكى عياض أن بعض الرواة ذكره بفتح الراء قال : هو غلط ، وحكى القابسي أن من سكن الراء أراد الجبل ومن حر كها أراد الطريق التى بقرب منه ، وأفاد ابن سعد أن مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بالطائف كانت عشرة أيام .

قوله (ملك الجبال) أى الموكل بها .

قوله (فسلم على ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت إن شئت) كذا لأبى ذر عن شيخه ، وله عن الكشميين مثله إلا أنه قال « فما شئت » . وقد رواه الطبرانى عن مقدم بن داود عن عبد الله بن يوسف شيخ البخارى فقال « يا محمد إن الله بعثنى إليك وأنا ملك الجبال لتأمرنى بأمرك فيما شئت إن شئت » قوله « ذلك » مبتدأ وخبره محذوف تقديره كما علمت أو كما قال جبريل ، وقوله « ماشئت » استفهام وجزاؤه مقدر أى إن شئت فعلت .

قوله (الأخشين) بالمعجمتين هما جبلا مكة أبو قبيس والذى يقابله وكأنه قعيقعان ، وقال الصغانى بل هو الجبل الأحمر الذى يشرف على قعيقعان ، ووهم من قال هو ثور كالكرمانى ، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتها ، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة ، ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقاً واحداً .

قوله (بل أرجو) كذا لأكثرهم ، وللكشميين « أنا أرجو » وفى هذا الحديث بيان شفقة النبى صلى الله عليه وسلم على قومه ، ومزيد صبره وحمله ، وهو موافق لقوله تعالى ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ وقوله ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . الحديث الثامن والعشرون حديث ابن مسعود فى قوله تعالى ﴿ فكان قاب قوسين ﴾ وسيأتى الكلام عليه فى تفسير سورة النجم . الحديث التاسع والعشرون حديثه فى قوله تعالى ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ وسيأتى الكلام عليه أيضاً فى تفسير سورة النجم ، وقوله فيه « رأى رفرراً أخضر » كذا للأكثر ، وفى رواية الحمويّ والمستمل « خضراً » وهو بفتح أوله وكسر ثانيه مصروفاً يقولون أخضر خضر كما قالوا : أعور عور ، ول بعضهم بسكون ثانية بلفظ التأنيث ، ويحتاج إلى ثبوت أن الرفرر يؤنث ، وقد زعم بعضهم أنه جمع رفررة فعلى هذا فيتجه . وقال الكرمانى تبعاً للخطابى : يحتمل أن يكون جبريل بسط أجنحته كما يبسط الثوب ، وهذا لا يلقى بعده . الحديث الثلاثون حديث عائشة ، ذكره عن وجهين : أحدهما من رواية القاسم عنها قالت « من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم » أى دخل فى أمر عظيم ، أو الخبر محذوف والثانى من رواية مسروق قال « قلت لعائشة : فأين قوله ثم دنى فتدلى » الحديث نحوه ، ومحمد بن يوسف شيخه فيه هو البيهقى كما جزم به أبو على الجبائى ، وابن أشوع بالمعجمة وزن أحمد واسمه سعيد بن عمرو بن أشوع نسبة لجدّه ، ولأكثر ابن الأشوع ، ووهم من قال هنا عن أبى الأشوع فإنها ليست كنيته ، وسيأتى شرحه أيضاً فى تفسير سورة النجم . الحديث الحادى والثلاثون حديث سمرة « رأيت الليلة رجلين أتياى » ذكره مختصراً جداً ، وقد مضى مطولاً فى أواخر الجنايز ، والمقصود منه ذكر

مالك خازن النار وجبريل وميكائيل . الحديث الثاني والثلاثون حديث أبي هريرة « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه » الحديث .

قوله (تابعه شعبة وأبو حمزة وابن داود وأبو معاوية عن الأعمش) أى عن أبي حازم عن أبي هريرة ، فأما متابعة شعبة فوصلها المؤلف في النكاح وسيأتى شرح المتن هناك ، وأما متابعة أبي حمزة فلم أجدها ، وأما متابعة ابن داود وهو عبد الله الحريبي بالمعجمة والراء والموحدة مصغر فوصلها مسدد في مسنده الكبير عنه ، وأما متابعة أبي معاوية فوصلها مسلم والنسائي من طريقه . الحديث الثالث والثلاثون حديث جابر في فترة الوحي ، وقد تقدم مشروحاً في بدء الوحي . الحديث الرابع والثلاثون حديث ابن عباس في رؤية الأنبياء ومالك خازن النار وغير ذلك ، وسيأتى شرحه في أحاديث الأنبياء إن شاء الله تعالى . قال الإسماعيلي : جمع البخاري بين روايتي شعبة وسعيد وساقه على لفظ سعيد ، وفي روايته زيادة ظاهرة على رواية شعبة . قلت : سأبين ذلك هناك إن شاء الله تعالى . الحديث الخامس والثلاثون والسادس والثلاثون .

قوله (قال أنس وأبو بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : تحرس الملائكة المدينة من الدجال) أما حديث أنس فوصله المؤلف في فضل المدينة أواخر الحج وتقدم الكلام عليه هناك . وكذا حديث أبي بكرة وقد وصله المؤلف أيضاً في الفتن ، ويأتى الإلمام بما يتعلق به هناك إن شاء الله تعالى . وقوله (آدم طوالاً) هو بعد ألف آدم كلفظ جد البشر ، والمراد هنا وصف موسى بالأدمة وهي لون بين البياض والسواد .

باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة

قال أبو العالية : ﴿ مطهرة ﴾ : من الحيض والبول والبصاق . ﴿ كلما رزقوا ﴾ : أتوا بشيء ، ثم أتوا بآخر . ﴿ قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ : أوتينا من قبل . ﴿ وأتوا به متشابها ﴾ : يشبه بعضه بعضاً ويختلف في الطعم . ﴿ قطوفها ﴾ : يقطفون كيف شاؤوا . ﴿ دانية ﴾ : قريبة . ﴿ الأرائك ﴾ : السرر . وقال الحسن : النضرة في الوجه ، والسرور في القلب . وقال مجاهد : ﴿ سلسيلاً ﴾ : حديدة الجريرة . ﴿ غول ﴾ : وجع البطن . ﴿ ينزفون ﴾ : لا تذهب عقولهم . وقال ابن عباس : ﴿ دهاقاً ﴾ : ممتلئاً . ﴿ كواعب ﴾ : نواهد . (الرحيق) : الخمر . (التسنيم) : يعلو شراب أهل الجنة . ﴿ ختامه ﴾ : طينه ﴿ مسك ﴾ . ﴿ نضاختان ﴾ : فياضتان . يقال : (موضونة) : منسوجة ، منه « وضيئ الناقة » . و (الكوب) : ما لا أذن له ولا عروة ، و (الأباريق) : ذوات الأذان والعُرى . ﴿ عرباً ﴾ : مثقلة ، واحدها عروب ، مثل : صبور وصبر ، تسميها أهل مكة : (العربة) وأهل المدينة : (الغنجة) وأهل العراق : (الشكلة) . وقال مجاهد : ﴿ روح ﴾ : جنة ورخاء . ﴿ والرِيحَان ﴾ : الرزق . و (المنضود) : الموز . و (الخضود) : الموقر حملاً ، يقال أيضاً : لا شوك له .

والعُرب: المحبباتُ إلى أزواجهن. يقالُ: ﴿مُسْكُوبٌ﴾: جارٍ. ﴿وَفُرْشٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾: بعضها فوق بعضٍ. ﴿لَغَوًّا﴾: باطلاً. ﴿تَأْثِيمًا﴾: كذبًا. ﴿أَفْنَانٌ﴾: أغصان. ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ﴾: ما يُجتنى قريب. ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾: سوداوان من الرِّيِّ.

[٣٢٤٠] ٣١٣٢- نا أحمد بن يونس قال نا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار».

[٣٢٤١] ٣١٣٣- نا أبو الوليد قال نا سلم بن زهير قال نا أبو رجاء عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه قال: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

[الحديث ٣٢٤١- أطرافه في: ٥١٩٨، ٦٤٤٩، ٦٥٤٦].

[٣٢٤٢] ٣١٣٤- نا سعيد بن أبي مريم قال أنا الليث قال ني عُقَيْلٌ عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: بينا نحن عند النبي صلى الله عليه إذ قال: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرتُ غيرته، فولَّيتُ مدبراً». فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟

[الحديث ٣٢٤٢- أطرافه في: ٣٦٨٠، ٥٢٢٧، ٧٠٢٣، ٧٠٢٥].

[٣٢٤٣] ٣١٣٥- نا حجاج بن منهال قال نا همام قال سمعتُ أبا عمران الجوني يحدث عن أبي بكر ابن عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه قال: «الخيمة درُّ مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون».

قال أبو عبد الصمد والحارث بن عبيد عن أبي عمران: ستون ميلاً.

[الحديث ٣٢٤٣- طرفه في: ٤٨٧٩].

[٣٢٤٤] ٣١٣٦- نا الحميدي قال نا سفيان قال نا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «قال الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذُن سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر. واقْرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾».

[الحديث ٣٢٤٤- أطرافه في: ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٧٤٩٨].

[٣٢٤٥] ٣١٣٧- نا محمد بن مقاتل قال أنا عبد الله قال أنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون. آتيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك. ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن. لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا».

[الحديث ٣٢٤٥ - أطرافه في: ٣٢٤٦، ٣٢٥٤، ٣٣٢٧].

[٣٢٤٦] ٣١٣٨- نا أبو اليمان قال أنا شعيب قال نا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان: كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن. يسبحون الله بكرة وعشيا. لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون. آتيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة - قال أبو اليمان: يعني العود - ورشحهم المسك».

وقال مجاهد: الإبكار أول الفجر، والعشي ميل الشمس إلى أن - أراه - تغرب.

[٣٢٤٧] ٣١٣٩- نا محمد بن أبي بكر المدمي قال نا فضيل بن سليمان عن أبي حازم عن سهل ابن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه قال: «ليدخلن من أمتي سبعون ألفاً - أو سبعمائة ألف - لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر».

[الحديث ٣٢٤٧ - طرفاه في: ٦٥٤٣، ٦٥٥٤].

[٣٢٤٨] ٣١٤٠- نا عبد الله بن محمد الجعفي قال نا يونس بن محمد قال نا شيبان عن قتادة قال نا أنس قال: أهدي للنبي صلى الله عليه جبة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا».

[الحديث ٣٢٤٨ - أطرافه في: ٣٨٠٢، ٥٨٣٦، ٦٦٤٠].

[٣٢٤٩] ٣١٤١- نا مسدد قال نا يحيى بن سعيد عن سفيان قال نا أبو إسحاق قال سمعت البراء ابن عازب قال: أتى رسول الله صلى الله عليه بثوب من حرير، فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه،

فقال رسول الله صلى الله عليه: «لناديل سعد في الجنة أفضل من هذا».

[الحديث ٣٢٤٩ - أطرافه في: ٣٨٠٢، ٥٨٣٦، ٦٦٤٠].

٣١٤٢ - نا علي بن عبد الله قال نا سفيان عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال: [٣٢٥٠]

قال رسول الله صلى الله عليه: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها».

٣١٤٣ - نا روح بن عبد المؤمن قال نا يزيد بن زريع قال نا سعيد عن قتادة قال نا أنس بن مالك [٣٢٥١]

عن النبي صلى الله عليه قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

٣١٤٤ - نا محمد بن سنان قال نا فليح بن سليمان قال نا هلال بن علي عن عبد الرحمن [٣٢٥٢]

ابن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في (١)

ظلها مائة سنة، واقرؤوا إن شئتم ﴿وَزُلْ مَمْدُودٌ﴾ وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدُكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ [٣٢٥٣]

عليه الشمس أو تغرب».

[الحديث ٣٢٥٢ - طرفه في: ٤٨٨١].

٣١٤٥ - نا إبراهيم بن منذر قال نا محمد بن فليح قال نا أبي عن هلال عن عبد الرحمن [٣٢٥٤]

ابن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة

القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب

واحد، لا تباغض بينهم ولا تحاسد، لكل امرئ زوجتان من الحور العين، يرى مخ سوقهن من وراء

العظم واللحم».

٣١٤٦ - نا حجاج بن منهال قال نا شعبة قال عدي بن ثابت أخبرني قال سمعت البراء [٣٢٥٥]

عن النبي صلى الله عليه قال لما مات إبراهيم قال: «إن له مرضعاً في الجنة».

٣١٤٧ - نا عبد العزيز بن عبد الله قال نا مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار [٣٢٥٦]

عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم

كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم». قالوا: يا

رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله

وصدقوا المرسلين».

[الحديث ٣٢٥٦ - طرفه في: ٦٥٥٦].

قوله (باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) أى موجودة الآن ، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلا يوم القيامة ، وقد ذكر المصنف في الباب أحاديث كثيرة دالة على ما ترجم به : فمنها ما يتعلق بكونها موجودة الآن ، ومنها ما يتعلق بصفتها . وأصرح مما ذكره في ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها » الحديث .

قوله (وقال أبو العالية : مطهرة من الحيض والبول والبصاق ، كلما رزقوا منها الخ) وصله ابن أبي حاتم من طريقه مفرقاً دون أوله ، وأخرج من طريق مجاهد نحوه وزاد « ومن المنى والولد » ومن طريق قتادة لكن قال « من الأذى والإثم » وروى هذا عن قتادة موصولاً قال : عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً ، ولا يصح إسناده . وأخرج الطبري نحو ذلك عن عطاء وأتم منه ، وروى ابن أبي حاتم أيضاً من طريق يحيى بن أبي كثير قال « يطوف الولدان على أهل الجنة بالفواكه فيأكلونها ، ثم يؤتون بمثلها ، فيقول أهل الجنة هذا الذي أتيتمونا به آنفاً ، فيقولون لهم كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف » وقيل المراد بالقلبية هنا ما كان في الدنيا . وروى ابن أبي حاتم أيضاً والطبري ذلك من طريق السدي بأسانيده قال « أتوا بالثمرة في الجنة ، فلما نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا » ورجح هذا الطبري من جهة ما دلت عليه الآية من عموم قولهم ذلك في كل ما رزقوه قال فيدخل في ذلك أول رزق رزقوه فيتعين أن لا يكون قبله إلا ما كان في الدنيا .

قوله (يشبه بعضه بعضاً ويختلف في الطعم) هو كقول ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء . وقال الحسن : معنى قوله « متشابهاً » أى خياراً لا رداءة فيه .

(تنبيه) : وقع في رواية الكشميणी « هذا الذي رزقنا من قبل أتينا » ولغيره « أوتينا » وهو الصواب ، قال ابن التين : هو من أوتيته بمعنى أعطيته ، وليس من أتيته بالقصر بمعنى جثته .

قوله (قطوفها : يقطفون كيف شاعوا . دانية : قريبة) أما قوله « يقطفون كيف شاعوا » فرواه عبد بن حميد من طريق إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال في قوله قطوفها دانية قال : يتناول منها حيث شاء ، وأما قوله دانية قريبة فرواه ابن أبي حاتم من طريق الثوري عن أبي إسحق عن البراء أيضاً ، ومن طريق قتادة قال : دنت فلا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك .

قوله (الأرائك : السرر) رواه عبد بن حميد بإسناد صحيح من طريق حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال : الأرائك السرر في الحجال . ومن طريق منصور عن مجاهد نحوه ولم يذكر ابن عباس . ومن طريق الحسن ومن طريق عكرمة جميعاً أن الأريكة هي الحجلة على السرير . وعن ثعلب الأريكة لا تكون إلا سريراً متخذاً في قبة عليه شواره .

قوله (وقال الحسن : النضرة في الوجه والسرور في القلب) رواه عبد بن حميد من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله تعالى ﴿ ولقاهم نضرة وسروراً ﴾ فذكره .

قوله (وقال مجاهد : سلسيلاً حديدية الجرية) وصله سعيد بن منصور وعبد بن حميد من طريق مجاهد ، وحديدة بفتح المهملة وبدالين مهملتين أيضاً أى قوية الجرية ، وذكر عياض أن القابسي رواها « حريدة » براء بدل الدال الأولى وفسرها بليئة ، قال : والذي قاله لا يعرف وإنما فسروا السلسيل بالسهلة اللينة الجرية . قلت : يشير بذلك إلى تفسير قتادة ، رواه عبد بن حميد عنه قال في قوله تعالى ﴿ عينا فيها تسمى سلسيلاً ﴾ قال سلسلة لهم يصرفونها حيث شاءوا . وقد روى عبد بن حميد أيضاً عن مجاهد قال : تجري شبه السيل ، وهذا يؤيد رواية الأصيلي أنه أراد : قوة الجرى ، والذي يظهر أنهما لم يتواردوا على محل واحد بل أراد مجاهد صفة جرى العين ، وأراد قتادة صفة الماء . وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : السلسيل اسم العين المذكورة وهو ظاهر الآية ، ولكن استبعد لوقوع الصرف فيه ، وأبعد من زعم أنه كلام مفصول من فعل أمر واسم مفعول .

قوله (غول : وجع البطن . ينزفون : لا تذهب عقولهم) رواه عبد بن حميد من طريق مجاهد قال في قوله لافيا غول ولا هم عنها ينزفون فذكره .

قوله (وقال ابن عباس : دهاقاً ممتلئة) وصله عبد بن حميد من طريق عكرمة عنه قال : الكأس الدهاق الممتلئة المتابعة ، وسيأتي في أيام الجاهلية من وجه آخر .

قوله (كواعب : نواهد) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال في قوله تعالى ﴿ كواعب أترابا ﴾ قال : نواهد انتهى . وهو جمع ناهد والناهد التي بدا نهدا .

قوله (الرحيق : الخمر) وصله ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ رحيق مختوم ﴾ قال الخمر ختم بالمسك ، وقيل : الرحيق هو الخالص من كل شيء .

قوله (التسنيم يعلو شراب أهل الجنة) وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : التسنيم يعلو شراب أهل الجنة ، وهو صرف للمقربين ، ويمزج لأصحاب اليمين .

قوله (ختامه : طينه مسك) وصله ابن أبي حاتم من طريق مجاهد في قوله ﴿ ختامه مسك ﴾ قال : طينه مسك . قال ابن القيم في « حادي الأرواح » تفسير مجاهد هذا يحتاج إلى تفسير ، والمراد ما يبقى آخر الإناء من اللردى مثلاً . قال وقال بعض الناس معناه آخر شربهم يتختم برائحة المسك . قلت : هذا أخرجه ابن أبي حاتم أيضاً من طريق أبي اللرداء قال في قوله ختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم ، وعن سعيد بن جبير : ختامه آخر طعمه .

قوله (نضاختان : فياضتان) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . قوله (يقال موضونة منسوجة ، منه وضين الناقة) هو قول الفراء ، قال في قوله « موضونة » أي منسوجة ، وإنما سمعت العرب وضين الناقة وضيناً لأنه منسوج . وقال أبو عبيدة في المجاز في قوله ﴿ علي

سرر موضونة ﴿ يقال متداخلة كما يوصل حلق الدرع بعضها في بعض مضاعفة . قال : والوضين البطان إذا نسج بعضه على بعض مضاعفاً ، وهو وضين في موضع موضون . وروى ابن أبي حاتم من طريق الضحاك في قوله (موضونة) قال : التوضين التشبيك والنسج ، يقول وسطها مشبك منسوج . ومن طريق عكرمة في قوله ﴿ موضونة ﴾ قال : مشبكة بالدر والياقوت .

قوله (والكوب ما لا أذن له ولا عروة ، والأباريق ذوات الآذان والعري) هو قول الفراء سواء ، وروى عن عبد بن حميد من طريق قتادة قال : الكوب الذي دون الإبريق ليس له عروة .

قوله (عرباً مثقلة) أي مضمونة الرائ (واحداً عروب مثل صبور وصبر) أي على وزنه ، وهذا قول الفراء ، وحكى عن الأعمش قال : كنت أسمعهم يقولون (عرباً) بالتخفيف وهو كالرسل والرسل بالتخفيف في لغة تميم وبكر ، قال الفراء والوجه الثقيل لأن كل فعول أو فعيل أو فعال جمع على هذا المثال فهو مثقل مذكراً كان أو مؤنثاً ، قلت : مرادهم بالثقيل الضم وبالتخفيف الإسكان .

قوله (يسميها أهل مكة العربية الخ) جزم الفراء بأنها الغنجة . وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة ومن طريق بريدة قال : هي الشكلة بلغة أهل مكة والمغنوجة بلغة أهل المدينة ، ومثله في « كتاب مكة للفاكهي » وروى ابن أبي حاتم من طريق زيد بن أسلم قال : هي الحسنة الكلام ، ومن طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرفوعاً « العرب كلامهن عربي » وهو ضعيف منقطع ، وأخرج الطبري من طريق تميم بن حذام في قوله « عرباً » قال : العربية الحسنة التبعيل « كانت العرب تقول إذا كانت المرأة حسنة التبعيل أنها لعربية . ومن طريق عبد الله بن عبيد بن عمير المكي قال : العربية التي تشهى زوجها ، ألا ترى أن الرجل يقول للناقة إنها لعربية .

قوله (وقال مجاهد : روح جنة ورخاء ، والريحان الرزق) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ فروح وريحان ﴾ قال الفريابي : حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿ فروح ﴾ قال جنة ﴿ وريحان ﴾ قال رزق . وأخرجه البيهقي في الشعب من طريق آدم عن ورقاء بسنده بلفظ ﴿ فروح وريحان ﴾ قال الروح جنة ورخاء ، والريحان رزق .

قوله (والمنضود الموز والمنضود الموقر حملاً ، ويقال أيضاً الذي لاشوك هـ) وصله الفريابي والبيهقي عن مجاهد في قوله ﴿ وطلح منضود ﴾ قال الموز المتراكم . والسدر المنضود الموقر حملاً . ويقال أيضاً الذي لاشوك فيه ، وذلك لأنهم كانوا يعجبون بوج وظلاله من طلع وسدر . قلت : وج بفتح الواو وتشديد الجيم بالطائف ، وكأن عياضاً لم يقف على ذلك فزعم في أواخر المشارق أن الذي وقع في البخاري تخليط ، قال : والصواب والطلع الموز والمنضود الموقر حملاً الذي نضد بعضه على بعض من كثرة حملة . كذا قال ، وقد نقل الطبري القولين عن جمع من العلماء بأسانيده إليهم ، فنقل الأول عن مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير ، ونقل الثاني عن ابن عباس وعتادة وعكرمة وقسامة بن زهير وغيرهم ، وكأن عياضاً استبعد تفسير المنضود بالثقل لأن المنضود في اللغة القطع ، وقد نقل أهل اللغة أيضاً أن المنضود الثني ، وعليه يحمل التأويل

الأول أى أنه من كثرة حمله انثنى ، وأما التأويل الذى ذكره هو فقد نقل الطبرى اتفاق أهل التأويل من الصحابة والتابعين على أن المراد بالطلع المنضود الموز ، وأسند عن على أنه كان يقولها والطلع بالعين ، قال فليل له : أفلا تغيرها ؟ قال : إن القرآن لا يهاج اليوم فظهر بذلك فساد الاعتراض ، وأن الذى وقع فى الأصل هو الصواب والله أعلم .

قوله (والعرب المحبيات إلى أزواجهن) كذا أخرجه عبد بن حميد والفرىابى والطبرى وغيرهم من طريق مجاهد وغيره ، ورواه الفرىابى من وجه آخر عن مجاهد قال : العرب العواشق ، وأخرج الطبرى نحوه عن أم سلمة مرفوعاً .

قوله (مسكوب جار) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ وماء مسكوب ﴾ وقوله ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ بعضها فوق بعض ، وصله والذى قبله الفرىابى أيضاً عن مجاهد . وقال أبو عبيدة فى المجاز : المرفوعة العالية ، تقول بناء مرتفع أى عال . وروى ابن حبان والترمذى من حديث أبي سعيد الخدرى فى قوله وفرش مرفوعة قال : ارتفاعها مسيرة خمسمائة عام ، قال القرطبي : معناه أن الفرش الدرجة وهذا القدر ارتفاع ، قال : وقيل المراد بالفرش المرفوعة النساء المرتفعات القنر بحسنهن وجمالهن .

قوله (لغواً باطلاً ، تأثيماً كذباً) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً ﴾ وقد وصله أيضاً الفرىابى عن مجاهد كذلك .

قوله (أفنان أغصان) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ ذواتا أفنان ﴾ وقوله ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ مايجتنى من قريب ، وصل ذلك الطبرى عن مجاهد ، وعن الضحاك يعنى أفنان ألوان من الفاكهة وواحدها على هذا فن وعلى الأول فن ، وقوله ﴿ مدهامتان ﴾ سوداوان من الرى ، وصله الفرىابى عن مجاهد بلفظ « مسوادتان » ، وقال الفراء : قوله ﴿ مدهامتان ﴾ يعنى خضراوان إلى السواد من الرى ، وعن عطية : كادت أن تكونا سوداوين من شدة الرى وهما خضراوان إلى السواد . ثم ذكر المصنف فى الباب ستة عشر حديثاً : الأول حديث ابن عمر فى عرض مقعد الميت عليه ، وقد تقدم شرحه فى أواخر الجنائز ، وهو من أوضح الأدلة على مقصود الترجمة ، وقوله فى آخر « فن أهل النار » زاد إبراهيم بن شريك عن أحمد بن يونس شيخ البخارى فيه « حتى يبعثه الله يوم القيامة » أخرجه الإسماعيلي ، وقد تقدمت هذه الزيادة أيضاً والكلام عليها فى الجنائز . الثانى حديث أبي رجاء وهو العطاردى عن عمران بن حصين فى أكثر أهل الجنة ، وسيأتى شرحه فى كتاب الرقاق مع بيان الاختلاف فيه على أبي رجاء ، والغرض منه هنا قوله « اطلعت فى الجنة » فإنه يدل على أنها موجودة حالة اطلاعه ، وهو مقصود الترجمة . و « سلم » بفتح المهملة وسكون اللام « زير » بوزن عظيم أوله زاي بعدها راء وآخره راء أيضاً . الثالث حديث أبي هريرة فى قصة القصر الذى رأى لعمر فى الجنة وسيأتى شرحه فى مناقبه ، والغرض منه قوله « رأيتنى فى الجنة » وهذا وإن كان مناماً لكن رؤيا الأنبياء حق ، ومن ثم أعمل حكم غيره عمر حتى امتنع من دخول القصر . وقد روى أحمد من حديث معاذ قال « إن عمر من أهل الجنة » وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مايرى فى يقظته أو نومه سواء ، وأنه قال « بينا أنا فى الجنة إذ رأيت فيها جارية فقلت : لمن هذه ؟ فقيل لعمر بن الخطاب » . الرابع حديث أبي موسى « الخيمة

درة مجوفة طولها « كذا للأكثر وللرخسى والمستملى » در مجوف طولها « وقع عندهما بصيغة المذكر ، ووجهه أن المقصود معنى الخيمة وهو الشيء الساتر ونحو ذلك ، وسيأتى شرح هذا الحديث في تفسير سورة الرحمن ، وقوله « وقال أبو عبد الصمد والحارث بن عبيد عن أبي عمران ستون ميلا » يعنى أنهما روى هذا الحديث بهذا الإسناد فقالا « ستون » بدل قول همام « ثلاثون » وطريق أبي عبد الصمد وهو عبد العزيز ابن عبد الصمد العمى وصلها المؤلف هناك ، وطريق الحارث بن عبيد وهو ابن قدامة وصلها مسلم ولفظه « أن للعبد في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلا » . الحديث الخامس حديث أبي هريرة فيما أعد لأهل الجنة سيأتى شرحه في تفسير سورة السجدة . الحديث السادس والسابع حديث أبي هريرة في صفة أهل الجنة أورده من طريقين ، وقد ذكره من طريق ثالثة سيأتى في هذا الباب أيضاً ، وقد ذكر بعضه في صفة آدم من وجه رابع .

قوله (أول زمرة) أى جماعة .

قوله (صورتهم على صورة القمر ليلة البدر) أى فى الإضاءة ، وسيأتى بيان ذلك فى الرقاق بلفظ « يدخل الجنة من أمى سبعون ألفاً تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » وفى الرواية الثانية هنا « والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة » زاد مسلم فى رواية أخرى « ثم هم بعد ذلك منازل » .

قوله (لا يصبقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون) زاد فى صفة آدم « ولا يبولون ولا يتفلون » وفى الرواية الثانية « لا يسقمون » وقد اشتمل ذلك على نفي جميع صفات النقص عنهم . ولمسلم من حديث جابر « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون طعامهم ، ذلك جشاء كريح المسك » وكأنه مختصر مما أخرجه النسائي من حديث زيد بن أرقم قال « جاء رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ، قال نعم ، إن أحدهم يعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع ، قال : الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى ، قال : تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك ، وسمى الطبرانى فى روايته هذا السائل ثعلبة بن الحارث ، قال ابن الجوزى : لما كانت أغذية أهل الجنة فى غاية اللطافة والاعتدال لم يكن فيها أذى ولا فضلة تستقدر ، بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ربيع وأحسنه .

قوله (أنيتهم فيها الذهب) زاد فى الرواية الثانية « والفضة » وقال فى الأمشاط عكس ذلك ، وكأنه اكتفى فى الموضوعين بذكر أحدهما عن الآخر فإنه يحتمل أن يكون الصنفان لكل منهم ، ويحتمل أن يكون أحد الصنفين لبعضهم والآخر للبعض الآخر ، ويؤيده حديث أبي موسى مرفوعاً « جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما » الحديث متفق عليه ، ويؤيد الأول ما أخرجه الطبرانى بإسناد قوى عن أنس مرفوعاً أن أدنى أهل الجنة درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صفتان واحدة من ذهب والآخرى من فضة الحديث .

(تنبيه) : المشط بتثليث الميم والأفصح ضمها .

قوله (ومجامرهم الألوة) الألوة العود الذى يبخر به ، قيل جعلت مجامرهم نفس العود ، لكن فى

الرواية الثانية « ووقود مجامرهم الألوة » فعلى هذا في رواية الباب تجوز ، ووقع في رواية الصغاني بعد قوله الألوة « قال أبو اليمان يعني العود » والمجامر جمع جمرة وهي المبخرة سميت جمرة لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور ، والألوة بفتح الهمزة ويجوز ضمها وبضم اللام وتشديد الواو وحكى ابن التين كسر الهمزة وتخفيف الواو والهمزة أصلية وقيل زائدة ، قال الأصمعي أراها فارسية عربت . وقد يقال إن رائحة العود إنما تفوح بوضعه في النار والجنة لا نار فيها ومن ثم قال الإسماعيلي بعد تخريج الحديث المذكور : ينظر هل في الجنة نار ؟ ويجاب باحتمال أن يشتعل بغير نار بل بقوله كن ، وإنما سميت جمرة باعتبار ما كان في الأصل ، ويحتمل أن يشتعل بنار لا ضرر فيها ولا إحراق ، أو يفوح بغير اشتعال ، ونحو ذلك ما أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود مرفوعاً « أن الرجل في الجنة ليشتهي الطير فيخر بين يديه مشوياً » وفيه الاحتمالات المذكورة ، وقد ذكر نحو ذلك ابن القيم في الباب الثاني والأربعين من « حادي الأرواح » وزاد في الطير أو يشوى خارج الجنة أو بأسباب قدرت لإنضاجه ولا تتعين النار ، قال : وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿ هم وأزواجهم في ظلال أكلها دائم وظلها ﴾ وهي لا شمس فيها ، وقال القرطبي : قد يقال أي حاجة لهم إلى المشط وهم مرد وشعورهم لا تنسخ ؟ وأي حاجة لهم إلى البخور وربحهم أطيب من المسك ؟ قال : ويجاب بأن نعم أهل الجنة من أكل وشرب وكسوة وطيب ليس عن ألم جوع أو ظمأ أو عرى أو تن ، وإنما هي لذات متتالية ونعم متوالية ، والحكمة في ذلك أنهم ينعمون بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا وقال النووي : مذهب أهل السنة أن تنعم أهل الجنة على هيئة أتنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة ، ودل الكتاب والسنة على أن نعيمهم لا انقطاع له .

قوله (ولكل واحد منهم زوجتان) أي من نساء الدنيا ، فقد روى أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً في صفة أدنى أهل الجنة منزلة « وإن له من الحور العين اثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا » وفي سنده شهر بن حوشب وفيه مقال ، ولأبي يعلى في حديث الصور الطويل من وجه آخر عن أبي هريرة في حديث مرفوع « فيدخل الرجل على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وزوجتين من ولد آدم » ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد رفعه « إن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم وثلثان وسبعون زوجة » وقال غريب ، ومن حديث المقدام بن معد يكرب عنده « للشهيد ست خصال » الحديث وفيه « ويتزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين » ، وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه والدارمي رفعه « ما أحد يدخل الجنة إلا زوجه الله ثنتين وسبعين من الحور العين وسبعين وثلثين من أهل الدنيا » وسنده ضعيف جداً ، وأكثر ما وقفت عليه من ذلك ما أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » والبيهقي في « البعث » من حديث عبد الله بن أبي أوفى رفعه « أن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء أو أنه ليفضي إلى أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب » وفيه راو لم يسم ، وفي الطبراني من حديث ابن عباس « أن الرجل من أهل الجنة ليفضي إلى مائة عذراء » وقال ابن القيم : ليس في الأحاديث الصحيحة زيادة على زوجتين سوى ما في حديث أبي موسى « أن في الجنة للمؤمن نخيمة من لؤلؤة فيها أهلون يطوف عليهم » . قلت : الحديث الأخير صححه الضياء ، وفي حديث أبي سعيد عند مسلم في صفة أدنى أهل الجنة ثم يدخل عليه زوجاته ، والذي يظهر أن المراد أن

أقل ما لكل واحد منهم زوجتان ، وقد أجاب بعضهم باحتمال أن تكون الثنية تنظيراً لقوله جتان وعينان ونحو ذلك ؛ أو المراد ثنية الكثير والتعظيم نحو ليك وسعديك ، ولا يخفى ما فيه . واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه ، وهو واضح لكن يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الكسوف المتقدم ، « رأيتكن أكثر أهل النار » ويجاب بأنه لا يلزم من أكثريتهن في النار نفي أكثريتهن في الجنة ، لكن بشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر اطلعت في الجنة فرأيت أقل ساكنها النساء ، ويحتمل أن يكون الراوى رواه بالمعنى الذى فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه أن يكن أقل ساكني الجنة ، وليس ذلك بلازم لما قدمته ، ويحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة ، والله أعلم .

(تنبيه) : قال النووي كذا وقع زوجتان بقاء التأنيث وهي لغة تكررت في الحديث والأكثر خلافها وبه جاء القرآن . وذكر أبو حاتم السجستاني أنه الأصمعى كان ينكر زوجة ويقول إنما هي زوج ، قال فأنشدناه قول الفرزدق :

وأن الذى يسعى ليفسد زوجتى لساع إلى أسد الشرى يستنيلها

قال فسكت . ثم ذكر له شواهد أخرى .

قوله (مخ سوقهما من وراء اللحم) في الرواية الثالثة « والعظم » والمخ بضم الميم وتشديد المعجمة ما في داخل العظم ، والمراد به وصفها بالصفاء البالغ وأن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد . ووقع عند الترمذى « ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى نحرها » ونحوه لأحمد من حديث أبي سعيد وزاد ينظر وجهه في خدها أصنى من المرأة .

قوله (قلب واحد) في رواية الأكثر بالإضافة ، وللمستملى بالتنوين « قلب واحد » وهو من التشبيه الذى حذفت أدواته أى كقلب رجل واحد ، وقد فسر به بقوله « لا نحاسد بينهم ولا اختلاف » أى أن قلوبهم طهرت عن مذموم الأخلاق .

قوله (يسبحون الله بكرة وعشياً) أى قلدهما ، قال القرطبي : هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام ، وقد فسر به جابر في حديثه عند مسلم بقوله « يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس » ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه ولا بد له منه ، فجعل تنفسهم تسبيحاً ، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه وامتلاأت بحبه ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره . وقد وقع في خبر ضعيف « أن تحت العرش ستارة معلقة فيه ثم تطوى ، فإذا نشرت كانت علامة البكور ، وإذا طويت كانت علامة العشى » .

قوله (في آخر الرواية الثانية قال مجاهد : الإبكار أول الفجر والعشى ميل الشمس إلى أن - أراه - تغرب) كذا في الأصل ، وكأن المصنف شك في لفظ تغرب فأدخل قبلها أراه وهو بضم الهمزة أى أظنه فهي جملة معترضة بين أن والفعل ، وقد وصله عبد بن حميد والطبري وغيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ « إلى أن تغيب » وهو بالمعنى الذى ظنه المصنف ، قال الطبري « الإبكار » مصدر تقول أبكر فلان

في حاجته يبكر إيكاراً إذا خرج من بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى ، وأما العشى فمن بعد الزوال قال الشاعر :

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه ولا النىء من برد العشى يذوق

قال : والنىء يكون من عند زوال الشمس ويتناهى بمغيبها . الحديث الثامن حديث سهل بن سعد في عدد من يدخل الجنة بغير حساب ، وسيأتى شرحه في الرقاق إن شاء الله تعالى . الحديث التاسع حديث أنس « أهدى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس » الحديث ، وسيأتى شرحه في كتاب اللباس ومضى معظمه في كتاب الهبة ، والغرض منه هنا ذكر مناديل سعد بن معاذ في الجنة . الحديث العاشر حديث البراء بن عازب في ذلك ، وذكره عقب حديث أنس لأن في حديث أنس تعجب الناس منها ، وبين ذلك في حديث البراء حيث وقع فيه « فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه » وسيأتى شرحه أيضاً في اللباس إن شاء الله تعالى . الحديث الحادى عشر حديث سهل بن سعد « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها » وقد تقدم شرحه في أول الجهاد من حديث أنس . الحديث الثانى عشر حديث أنس « أن في الجنة لشجرة » .

قوله (حدثنا روح بن عبد المؤمن) هو بفتح الراء وهو بصرى مشهور وكذا بقية رجال الإسناد وسعيد هو ابن أبى عروبة ، وليس لروح بن عبد المؤمن في البخارى سوى هذا الحديث الواحد ، وقد أخرجه الترمذى من طريق معمر عن قتادة وزاد في آخر الحديث « وإن شتم فاقرعوا وظل ممدود » . الحديث الثالث عشر حديث أبى هريرة في ذلك ، وفيه الزيادة المشار إليها ، وفيه « ولقاب قوس » وهذا الأخير تقدم في الجهاد مع الكلام عليه ، والشجرة المذكورة قال ابن الجوزى : يقال إنها طوبى .

(قلت) وشاهد ذلك في حديث عتبة بن عبد السلمي عند أحمد والطبرانى وابن حبان ، فهذا هو المعتمد خلافاً لمن قال إنما نكرت للتنبيه على اختلاف جنسها بحسب شهوات أهل الجنة .

قوله (يسير الراكب) أى أى راكب فرض ، ومنهم من حمله على الوسط المعتدل ، قوله « في ظلها » أى في نعيمها وراحتها ومنه قولهم عيش ظليل ، وقيل معنى ظلها ناحيتها وأشار بذلك إلى امتدادها ومنه قولهم أنا في ظلك أى ناحيتك ، قال القرطبي والمحوج إلى هذا التأويل أن الظل في عرف أهل الدنيا ما بقى من حر الشمس وأذاها وليس في الجنة شمس ولا أذى ، وروى ابن أبى حاتم وابن أبى الدنيا في صفة الجنة عن ابن عباس قال : الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام من كل نواحيها فيخرج أهل الجنة يتحدثون في ظلها فيشتمى بعضهم اللهو فيرسل الله ريحاً فيحرك تلك الشجرة بكل هو كان في الدنيا . الحديث الرابع عشر تقدم في السادس . الحديث الخامس عشر حديث البراء . « لما مات إبراهيم - يعنى ابن النبي صلى الله عليه وسلم - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن له مرضعاً في الجنة » وقد تقدم الكلام عليه في الجنائز . الحديث السادس عشر حديث أنس سعيد في تفاضل أهل الجنة .

قوله (عن صفوان بن سليم) عند مسلم في رواية ابن وهب عن مالك أخبرنى صفوان ، وهذا من صحيح أحاديث مالك التى ليست في الموطأ ، وهم أيوب بن سويد فرواه عن مالك عن زيد بن أسلم بدل صفوان ذكره الدارقطنى في « الغرائب » وكأنه دخل له إسناد حديث في إسناد حديث ، فإن رواية مالك عن زيد

بدل صفوان ، فهذا السند وقفت عليه في حديث آخر سيأتي في أواخر الرقاق وفي التوحيد .

قوله (عن أبي سعيد) في رواية فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة أخرجه الترمذى وصححه وابن خزيمة ، ونقل الدارقطنى في « الغرائب » عن الذهلى أنه قال : لست أدفع حديث فليح ، يجوز أن يكون عطاء بن يسار حدث به عن أبي سعيد وعن أبي هريرة انتهى . وقد رواه أيوب بن سويد عن مالك فقال عن أبي حازم عن سهل بن سعد ذكره الدارقطنى في « الغرائب » وقال إنه وهم فيه أيضاً ، قلت ولكنه له أصل من حديث سهل بن سعد عند مسلم ويأتى أيضاً في « باب صفة أهل الجنة والنار » في الرقاق من حديث سهل أيضاً لكنه مختصر عند الشيخين .

قوله (يترءون) في رواية لمسلم « يرون » والمعنى أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل ، حتى أن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم . وقد بين ذلك في الحديث بقوله « لتفاضل ما بينهم » .

قوله (الدرى) هو النجم الشديد الإضاءة ، وقال الفراء : هو النجم العظيم المقدار ، وهو بضم المهملة وكسر الراء المشددة بعدها تحتانية ثقيلة وقد تسكن وبعدها همزة ومد وقد يكسر أوله على الحالين فتلك أربع لغات ، ثم قيل إن المعنى مختلف ، فبالتشديد كأنه منسوب إلى الدر لبياضه وضيائه ، وبالهمز كأنه مأخوذ من درأ أى دفع لاندفاعه عند طلوعه . ونقل ابن الجوزى عن الكسائى تثليث الدال قال : فبالضم نسبة إلى الدر وبالكسر الجارى وبالفتح اللامع .

قوله (الغابر) كذلك للأكثر وفي رواية الموطأ الغابر بالتحتمية بدل الموحدة ، قال عياض كأنه الداخل في الغروب . وفي رواية الترمذى « الغارب » وفي رواية الأصيلى بالمهملة والزأى ، قال عياض : معناه الذى يبعد للغروب ، وقيل معناه الغائب ، ولكن لا يحسن هنا لأن المراد أن بعده عن الأرض كبعد غرف الجنة عن ربضها في رأى العين ، والرواية الأولى هي المشهورة ، ومعنى الغابر هنا الذهاب ، وقد فسره في الحديث بقوله « من المشرق إلى المغرب » والمراد بالأفق السماء وفي رواية مسلم من الأفق من المشرق أو المغرب ، قال القرطبى من الأولى لابتداء الغاية أو هي للظرفية ، ومن الثانية مبينة لها ، وقد قيل أنها ترد لانتهاء الغاية أيضاً قال : وهو خروج عن أصلها وليس معروفاً عند أكثر النحويين ، قال : ووقع في نسخ البخارى « إلى المشرق » وهو أوضح ، ووقع في رواية سهل بن سهل عند مسلم « كما ترءون الكواكب الدرى في الأفق الشرقى أو الغربى » واستشكله ابن التين وقال إنما تغور الكواكب في المغرب خاصة فكيف وقع ذكر المشرق ؟ وهذا مشكل على رواية الغابر بالتحتمية ، وأما بالموحدة فالغابر يطلق على الماضى والباقي فلا إشكال .

قوله (قال بلى) قال القرطبى : بلى حرف جواب وتصديق ، والسياق يقتضى أن يكون الجواب بالإضراب عن الأول وإيجاب الثانى ، فلعلها كانت بل فغيرت ببلى ، وقوله « رجال » خبر مبتدأ محذوف

تقديره وهم رجال ، أى تلك المنازل منازل رجال آمنوا . قلت : حكى ابن التين أن فى رواية أبى ذر « بل » بدل بلى ، ويمكن توجيه « بلى » بأن التقدير نعم هى منازل الأنبياء بإيجاب الله تعالى لهم ذلك . ولكن قد يفضل الله تعالى على غيرهم بالوصول إلى تلك المنازل . وقال ابن التين : يحتمل أن تكون بلى جواب النفى فى قولهم لا يبلغها غيرهم ، وكأنه قال : بلى يبلغها رجال غيرهم .

قوله (وصدقوا المرسلين) أى حق تصديقهم وإلا لكان كل من آمن بالله وصدق رسله وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك ، ويحتمل أن يكون التنكير فى قوله رجال يشير إلى ناس مخصوصين موصوفين بالصفة المذكورة ، ولا يلزم أن يكون كل من وصف بها كذلك لاحتمال أن يكون لمن بلغ تلك المنازل صفة أخرى ، وكأنه سكت عن الصفة التى اقتضت لهم ذلك ، والسرف فيه أنه قد يبلغها من له عمل مخصوص ، ومن لا عمل له كان بلوغها إنما هو برحمة الله تعالى . وقد وقع فى رواية الترمذى من وجه آخر عن أبى سعيد « وأن أبابكر وعمر لمنهم وأنما » ، وروى الترمذى أيضاً عن على مرفوعاً « أن فى الجنة لغرفاً ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها . فقال أعرابي لمن هى يارسول الله ؟ قال : هى لمن ألان الكلام وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » ، وقال ابن التين : قيل أن المعنى أنهم يبلغون درجات الأنبياء . وقال الداودى يعنى أنهم يبلغون هذه المنازل التى وصف ، وأما منازل الأنبياء فإنها فوق ذلك . قلت : وقع فى حديث أبى هريرة عند أحمد والترمذى « قال بلى والذى نفسى بيده ، وأقوام آمنوا بالله ورسوله » ، هكذا فيه بزيادة الواو العاطفة ففسد تأويل الداودى ، والله المستعان . ويحتمل أن يقال : إن الغرف المذكورة لهذه الأمة ، وأما من دونهم فهم الموحدون من غيرهم ، أو أصحاب الغرف الذين دخلوا الجنة من أول وهلة ، ومن دونهم من دخل بالشفاعة . ويؤيد الذى قبله قوله فى صفتهم « هم الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وتصديق جميع المرسلين إنما يتحقق لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف من قبلهم من الأمم فإنهم وإن كان فيهم من صدق بمن سيجىء من بعده من الرسل فهو بطريق التوقع لا بطريق الواقع ، والله أعلم .

باب صفة أبواب الجنة

٣١٤٨ - نا سعيد بن أبى مریم قال نا محمد بن مطرف قال ني أبو حازم عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه قال : « فى الجنة ثمانية أبواب ، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » .

وقال النبي صلى الله عليه : « من أنفق زوجين دعى من باب الجنة » . فيه عبادة عن النبي صلى الله عليه .

قوله (باب صفة أبواب الجنة) هكذا ترجم بالصفة ، ولعله أراد بالصفة العدد أو التسمية ، فإنه أورد فيه حديث سهل بن سعد مرفوعاً « فى الجنة ثمانية أبواب » الحديث ، وقال فيه « قال النبي صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين فى سبيل الله دعى من باب الجنة » وأشار بهذا إلى حديث أسنده فى الصيام وفى

الجهاد من حديث أبي هريرة وفيه « فن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة » الحديث ، وقد سبق شرح حديث سهل بن سعد في الصيام ، وحديث أبي هريرة فيه وفي الجهاد ، ويأتي بقية شرحه في فضل أبي بكر إن شاء الله تعالى .

قوله (فيه عبادة) كأنه يشير إلى ما وصله هو في ذكر عيسى من أحاديث الأنبياء من طريق جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من شهد أن لا إله إلا الله » الحديث وفيه « أدخله الله من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء » ، وقد وردت هذه العدة لأبواب الجنة في عدة أحاديث : منها حديث أبي هريرة المعلق في الباب . ومنها حديث عبادة المعلق فيه أيضاً وعن عمر عند أحد وأصحاب السنن ، وعن عتبة بن عبد عند الترمذي وابن ماجه ، وورد في صفة أبواب الجنة أن مابين المصراعين مسيرة أربعين سنة ، ومن حديث أبي سعيد ومعاوية بن حيدة ولقيط بن عامر ، وأحاديث الثلاثة عند أحمد وهي مرفوعة ، ولها شاهد عند مسلم من حديث عتبة بن غزوان لكنه موقوف .

(تنبيه) : وقع حديث سهل المسند مقدماً على الحديثين المعلقين في رواية أبي ذر ، ووقع لغيره تأخير المسند عن المعلقين .

ب

صفة النار وأنها مخلوقة

﴿ غَسَّاقًا ﴾ : يقال : غسقت عينه . ويغسق الجرح ، كأن الغساق والغسيق واحد .
 ﴿ غَسْلِينَ ﴾ : كلُّ شيء غسلته فهو غسلين ، فعلين من الغسل ، من الجرح والدبر . وقال عكرمة :
 ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ : حطب بالحشية . وقال غيره : ﴿ حَاصِبًا ﴾ : الريح العاصف ، والحاصب ما ترمي به الريح ، ومنه حصب جهنم : يرمي به في جهنم . هم حصبها ، ويقال : حصب في الأرض : ذهب ، والحصب مشتق من حصباء الحجارة . ﴿ صَدِيدٍ ﴾ : قيح ودم . ﴿ خَبَتْ ﴾ : طفئت .
 ﴿ تُورُونَ ﴾ : تستخرجون ، أوريئت : أوقدت . ﴿ لِلْمُقْوِينَ ﴾ : للمسافرين . والقي : القفر . وقال ابن عباس : ﴿ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ : سواء الجحيم ووسط الجحيم . ﴿ لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ : يخلط طعامهم ويساط بالحميم . ﴿ زَفِيرٌ وَشَهيقٌ ﴾ : صوت شديد وصوت ضعيف . ﴿ وَرْدًا ﴾ : عطاشاً . ﴿ غِيًّا ﴾ : خسراً . قال مجاهد : ﴿ يُسْجَرُونَ ﴾ : توقد بهم النار . ﴿ وَنُحَاسٌ ﴾ : الصفرة يصب على رؤوسهم . يقال : ﴿ ذُوقُوا ﴾ : باشروا وجربوا ، وليس هذا من ذوق الفم . ﴿ مَارِجٍ ﴾ : خالص من النار ، مرج الأمير رعيته إذا خلاهم يعدو بعضهم على بعض . ﴿ مَرِيحٍ ﴾ : ملتبس . مرج أمر الناس : اختلط . ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ ، مرجت دابتك : تركتها .

- [٣٢٥٨] ٣١٤٩- نا أبو الوليد قال نا شعبة عن مهاجر أبي الحسن قال سمعت زيد بن وهب يقول: سمعت أباذر يقول: كان النبي صلى الله عليه في سفر فقال: «أبرد»، ثم قال: قال: «أبرد»، حتى فاء الفيء - يعني التلؤلؤ - ثم قال: «أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم».
- [٣٢٥٩] ٣١٥٠- نا محمد بن يوسف قال نا سفيان عن الأعمش عن ذكوان عن أبي سعيد قال النبي صلى الله عليه: «أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم».
- [٣٢٦٠] ٣١٥١- نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن الزهري قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير».
- [٣٢٦١] ٣١٥٢- نا عبد الله بن محمد قال نا أبو عامر هو العقدي قال نا همام عن أبي حمزة الضبي قال: كنت أجالس ابن عباس بمكة، فأخذتني الحمى فقال: أبردوها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله صلى الله عليه قال: «هي من فيح جهنم، فأبردوها بالماء» أو: «بماء زمزم». شك همام.
- [٣٢٦٢] ٣١٥٣- نا عمرو بن عباس قال نا عبد الرحمن قال نا سفيان عن أبيه عن عباية بن رفاع قال: أخبرني رافع بن خديج قال سمعت النبي صلى الله عليه يقول: «الحمى من فيح جهنم، فأبردوها عنكم بالماء».
- [الحديث ٣٢٦٢ - طرفه في: ٥٧٢٦].
- [٣٢٦٣] ٣١٥٤- نا مالك بن إسماعيل قال نا زهير قال نا هشام عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه قال: «الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء».
- [الحديث ٣٢٦٣ - طرفه في: ٥٧٢٥].
- [٣٢٦٤] ٣١٥٥- نا مسدد عن يحيى عن عبيد الله قال نا نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه قال: «الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء».
- [الحديث ٣٢٦٤ - طرفه في: ٥٧٢٣].
- [٣٢٦٥] ٣١٥٦- نا إسماعيل قال نا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله

صلى الله عليه قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال: «فُضِّلَتْ عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها».

[٣٢٦٦] ٣١٥٧ - ناقتيبة بن سعيد قال نا سفيان عن عمرو سمع عطاء يخبر عن صفوان بن يعلى عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ﴾.

[٣٢٦٧] ٣١٥٨ - نا علي قال نا سفيان قال نا الأعمش عن أبي وائل قال: قيل لأُسامة: لو أتيت فلاناً فكلَّمته، قال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، إني أكلمه في السرِّ دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه، ولا أقول لرجل - أن كان عليّ أميراً - إنه خير الناس، بعد شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه. قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية».

رواه غندر عن شعبة عن الأعمش.

[الحديث ٣٢٦٧ - طرفه في: ٧٠٩٨].

قوله (باب صفة النار وأنها مخلوقة) القول فيه كالقول في «باب صفة الجنة» سواء.

قوله (غساقاً، يقال غسقت عينه، ويغسق الجرح) وهذا مأخوذ من كلام أبي عبيدة، فإنه قال في قوله تعالى ﴿إِلَّا حِمِيماً وَغَسَقاً﴾: الحميم الماء الحار، والغساق ما همى وسال، يقال غسقت من العين ومن الجرح، ويقال عينه تغسق أى تسيل، والمراد في الآية ما سال من أهل النار من الصيد، رواه الطبري من قول قتادة ومن قول إبراهيم وعطية بن سعد وغيرهم، وقيل من دموعهم أخرجه أيضاً من قول عكرمة وغيره، وقيل الغساق البارد الذي يحرق ببرده رواه أيضاً من قول ابن عباس ومجاهد وأبي العالية، قال أبو عبيد الهروي: من قرأه بالتشديد أراد السائل، ومن قرأه بالتخفيف أراد البارد. وقيل الغساق المتن رواه الطبري عن عبد الله بن بريدة وقال: أنها بالطخارية، وله شاهد من حديث أبي سعيد أخرجه الترمذي والحاكم مرفوعاً «لو أن دلواً من غساق يهراق إلى الدنيا لأنتن أهل الدنيا» وأخرج الطبري من حديث عبد الله ابن عمر موقوفاً: الغساق القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب لأنتن أهل المشرق.

قوله (وكان الغساق والغسق واحد) كذا لأبي ذر، والغسيق بوزن فعيل، ولغيره والغسق بفتحتين، قال الطبري في قوله تعالى ﴿وَمَنْ شَرَّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق الليل إذا لبس الأشياء وغطاها، وإنما أريد

بذلك هجومه على الأشياء هجوم السيل ، وكان المراد بالآية السائل من الصيد الجامع بين شدة البرد وشدة
النن وبهذا تجتمع الأقوال والله أعلم .

قوله (غسلين كل شيء غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين ، فعلين من الغسل من الجرح والدبر)
كلام أبي عبيدة في المجاز ، وقد روى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : الغسلين
صديد أهل النار ، والدبر بفتح المهملة والموحدة هو ما يصيب الإبل من الجراحات .

(تنبيه) : قوله تعالى في هذه الآية ﴿ ولا طعام إلا من غسلين ﴾ يعارضه ظاهر قوله تعالى في الآية
الأخرى ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾ وجمع بينهما بأن الضريع من الغسلين ، وهذا يرد ما سيأتي في التفسير
أن الضريع نبات ، وقيل الاختلاف بحسب من يطعم من أهل النار ، فن اتصف بالصفة الأولى فطعامه من
غسلين ، ومن اتصف بالثانية فطعامه من ضريع ، والله أعلم .

قوله (وقال عكرمة : حصب جهنم حطب بالحشية . وقال غيره : حاصبا الريح العاصف ، والحاصب
ما يرمى به الريح ، ومنه حصب جهنم يرمى به في جهنم هم حصبها) أما قول عكرمة فوصله ابن أبي حاتم من
طريق عبد الملك بن أبجر سمعت عكرمة بهذا ، وروى الطبري عن مجاهد مثله لكن لم يقل بالحشية ، وروى
الفراء عن علي وعائشة أنهما قرآها «حطب» بالطاء ، وروى الطبري عن ابن عباس أنه قرأها بالضاد المعجمة
قال : وكأنه أراد أنهم الذين تسجر بهم النار لأن كل شيء هيجت به النار فهو حصب لها ، وأما قول
غيره فقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ أو يرسل عليكم حاصباً ﴾ : أي ريحاً عاصفاً يحصب ، وفي قوله ﴿ حصب
جهنم ﴾ : كل شيء ألقته في النار فقد حصبتها به ، وروى الطبري عن الضحاك قال في قوله ﴿ حصب جهنم ﴾
قال تحصب بهم جهنم وهو الرمي يقول يرمى بهم فيها .

قوله (ويقال حصب في الأرض ذهب ، والحصب مشتق من حصباء الحجارة) روى الطبري عن
ابن جريج في قوله (أو يرسل عليكم حاصباً) قال مطر الحجارة .

قوله (صديد : قيح ودم) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ قال : الصديد
القيح والدم .

قوله (خبت طفئت) أخرج الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ كلما خبت ﴾
قال : طفئت ، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : سكنت ، ومثله قال أبو عبيدة ورجح لأنهم
يقولون للنار إذا سكن لها وعلا الجمر رماد : خبت ، فإن طوى معظم الجمر قالوا خمدت ، فإن طوى كله
قالوا همدت ، ولا شك أن نار جهنم لا تطفأ .

قوله (تورون : تستخرجون ، أوريت : أوقدت) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ أفرايتم النار التي تورون ﴾
وهو قول أبي عبيدة قال في قوله تعالى ﴿ تورون ﴾ أي تستخرجون من أوريت ، قال : وأكثر ما يقال ورئت .

قوله (للمقوين : للمسافرين ، والقي : الفقر) روى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس قال ﴿ للمقوين ﴾ للمسافرين ، ومن طريق قتادة والضحاك مثله ، ومن طريق مجاهد قال : للمقوين

أى المستمتعين المسافر والحاضر ، وقال الفراء : قوله تعالى ﴿ ومتاعاً للمقوين ﴾ أى منفعة للمسافرين إذا نزلوا بالأرض ، والأرض التى — يعنى بكسر القاف والتشديد — الفقر الذى لا شىء فيه ، ورجح هذا الطبرى واستشهد على ذلك .

قوله (وقال ابن عباس) صراط الجحيم (سواء الجحيم ووسط الجحيم) روى الطبرى من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ فاطلع فرآه فى سواء الجحيم ﴾ قال : فى وسط الجحيم ، ومن طريق قتادة والحسن مثله .

قوله (لشوباً من حميم : يخاطط طعامهم ويساط بالجحيم) روى الطبرى من طريق السدى قال فى قوله تعالى ﴿ ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ﴾ الشوب الخيط وهو المزج ، وقال أبو عبيدة تقول العرب كل شىء خلطته بغيره فهو مشوب .

قوله (زفير وشهيق : صوت شديد وصوت ضعيف) هو تفسير ابن عباس أخرجه الطبرى وابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عنه ، ومن طريق أبى العالية قال : الزفير فى الحلق والشهيق فى الصدر ، ومن طريق قتادة قال : هو كصوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق ، وقال الداودى : الشهيق هو الذى يبنى بعد الصوت الشديد من الحمار .

قوله (ورداً : عطاشاً) روى ابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ قال : عطاشاً ، ومن طريق مجاهد قال : منقطعة أعناقهم من الظمأ ، وقوله ورداً هو مصدر وردت والتقدير درى ورد وهذا ينافى العطش ، لكن لا يلزم من الورود على الماء الوصول إلى تناوله ، فسيأتى فى حديث الشفاعة « أنهم يشكون العطش فترفع لهم جهنم سراب ماء فيقال : ألا تردون ؟ فيردونها فيتساقطون فيها » .

قوله (غياً : خسراناً) أخرجه ابن أبى حاتم من هذا الوجه فى قوله تعالى ﴿ فسوف يلقون غياً ﴾ قال : خسراناً ، وروى ابن أبى حاتم من طريق أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه فى هذه الآية قال : واد فى جهنم بعيد القعر خبيث الطعم .

قوله (وقال مجاهد : يسجرون توقد لهم النار) كذا فى رواية أبى ذر ولغيره « بهم » وهو أوضح ، وكذا أخرجه عبد بن حميد من طريق بن أبى نجيح عن مجاهد به .

قوله (ونحاس الصفر يصب على رموسهم) أخرجه عبد بن حميد من طريق منصور عن مجاهد فى قوله تعالى ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ﴾ قال قطعة من نار حمراء ، ونحاس قال يذاب الصفر فيصب على رموسهم .

قوله (يقال ذوقوا باشروا وجربوا ، وليس هذا من ذوق الفم) لم أر هذا لغير المصنف وهو كما قال ، والنوق يطلق ويراد به حقيقته وهو ذوق الفم ، ويطلق ويراد به اللوق المعنوى وهو الإدراك وهو المراد فى قوله ﴿ ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ وقوله ﴿ ذلكم فلووقوه ﴾ وقوله ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾

وكذلك في قوله ﴿ لا يدوقون فيها الموت ﴾ وبلغني عن بعض علماء العصر أنه فسر هـنا بمعنى التخيل وجعل الاستثناء متصلاً وهو دقيق ، وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي برزة الأسلمي مرفوعاً والطبري من حديث عبد الله بن عمرو موقوفاً « لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية : فذوقوا فلن تزيدكم إلا عذاباً » .

قوله (مارج خالص من النار) روى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وخلق الجن من مارج من نار ﴾ قال : من خالص النار ، ومن طريق الضحاك عن ابن عباس قال : خلقت الجن من مارج ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب ، وسيأتي قول مجاهد في ذلك في تفسير سورة الرحمن إن شاء الله تعالى . وقال الفراء : المارج نار دون الحجاب ، ويروى خلق السماء منها ومنها هذه الصواعق .

قوله (مرج الأمير رعيته إذا خلاهم يعلو بعضهم على بعض ، فهم في أمر مريج أمر ملتبس أمر الناس اختلط) في رواية الكشميني « أمر منتشر » وهو تصحيف قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ فهم في أمر مريج ﴾ أي مختلط يقال مرج أمر الناس أي اختلط وأهمل ، وروى الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فهم في أمر مريج ﴾ قال مختلط ، ومن طريق سعيد بن جبير ومجاهد قال : ملتبس ، ومن طريق قتادة قال : من ترك الحق مرج عليه رأيه والتبس عليه دينه .

قوله (مرج البحرين : مرجت دابتك تركتها) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما ﴾ هو كقولك مرجت دابتك خليت عنها وتركتها ، وقال الفراء : قوله ﴿ مرج البحرين يلتقيان ﴾ قال أرسلهما ثم يلتقيان بعد ، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : المراد بالبحرين هنا بحر السماء والأرض يلتقيان كل عام ، ومن طريق سعيد بن جبير وابن أبي عمير مثله ، ومن طريق قتادة والحسن قال : هما بحرا فارس والروم ، قال الطبري : والأول أولى لأنه سبحانه وتعالى قال بعد ذلك ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ وإنما يخرج اللؤلؤ من أصداف بحر الأرض عن قطر السماء . قلت : وفي هذا دفع لمن جزم بأن المراد بهما البحر الحلو والبحر المالح وجعل قوله « منهما » من مجاز التغليب . ثم ذكر المصنف في الباب عشرة أحاديث ، الأول حديث أبي ذر في الأمر بالإيراد ، وفيه قصة وقد تقدم شرحه في المواقيت من كتاب الصلاة ، والغرض منه قوله « فإن شدة الحر من فيح جهنم » . الثاني حديث أبي سعيد في ذلك وليس فيه قصة وقد تقدم كذلك . الثالث حديث أبي هريرة « اشتكت النار إلى ربها » الحديث ، وقد تقدم كذلك . وهذه الأحاديث من أقوى الأدلة على ما ذهب إليه الجمهور من أن جهنم موجودة الآن . الرابع حديث ابن عباس في أن الحمى من فيح جهنم . الخامس حديث رافع بن خديج في ذلك . السادس حديث عائشة في ذلك . السابع حديث ابن عمر في ذلك ، وسيأتي شرح الجميع في الطب إن شاء الله تعالى . الثامن حديث أبي هريرة .

قوله (ناركم جزء) زاد مسلم في روايته « جزء واحد » قوله (من سبعين جزءاً) في رواية لأحمد « من مائة جزء » والجمع بأن المراد المبالغة في الكثرة لا العدد الخاص أو الحكم للزائد ، زاد الترمذي من حديث أبي سعيد « لكل جزء منها حرها » .

قوله (إن كانت لكافية) « إن » هي الخففة من الثقيلة أى إن نار الدنيا كانت مجزئة لتعذيب العصاة .
قوله (فضلت عليهن) كذا هنا والمعنى على نيران الدنيا ، وفي رواية مسلم « فضلت عليها » أى على النار ، قال الطيبي ما محصله : إنما أعاد صلى الله عليه وسلم حكاية تفضيل نار جهنم على نار الدنيا إشارة إلى المنع من دعوى الإجزاء ، أى لا بد من الزيادة ليميز ما يصدر من الخالق من العذاب على ما يصدر من خلقه .
قوله (مثل حرها) زاد أحمد وابن حبان من وجه آخر عن أبي هريرة « وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما انتفع بها أحد » ونحوه للحاكم وابن ماجه عن أنس وزادا « فإنها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها » وفي « الجامع لابن عيينة » عن ابن عباس رضى الله عنهما « هذه النار ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد » . التاسع حديث يعلى بن أمية ، وقد تقدمت الإشارة إليه في « باب الملائكة » .
العاشر حديث أسامة بن زيد .

قوله (لو أتيت فلاناً فكلمته) هو عثمان كما في صحيح مسلم ، وسيأتى بيان ذلك وبيان السبب فيه في كتاب الفتن ، وكذا طريق غندر عن شعبة التي علقها المصنف هنا فقد وصلها هناك ، والله أعلم .

باب صفة إبليس وجنوده

وقال مجاهدٌ : ﴿ وَيَقْدِفُونَ ﴾ : يرمون . ﴿ دُحُورًا ﴾ : مطرودين . ﴿ وَأَصْبَّ ﴾ : دائم . وقال ابن عباسٍ : ﴿ مَدْحُورًا ﴾ : مطروداً ، يقال ﴿ مَرِيدًا ﴾ : مُتَمَرِّدًا . ﴿ بَتَّكَهْ ﴾ : قَطَّعَهُ . ﴿ وَأَسْتَفْزِرُ ﴾ : استخف . ﴿ بِخَيْلِكَ ﴾ : الفرسان . و(الرجلُ) : الرجالة ، واحدها راجل ، مثلُ صاحب وصاحب ، وتاجر وتجر . ﴿ لِأَحْتَكِنَنَّ ﴾ : لأستأصلن . ﴿ قَرِينٌ ﴾ : شيطان .

٣١٥٩ - نا إبراهيم بن موسى قال أنا عيسى عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : سحر النبي صلى الله عليه . قال : وقال الليث : كتب إلي هشام أنه سمعه ووعاه عن أبيه عن عائشة قالت : سحر النبي صلى الله عليه حتى كان يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال : « أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي ؟ أتاني رجلان فقعده أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما للآخر : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم . قال : فيما ذا ؟ قال : في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذروان » . فخرج إليها النبي صلى الله عليه ، ثم رجع فقال لعائشة حين رجع : « نخلها

كَأَنَّهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ». فَقُلْتُ: اسْتَخْرِجَتْهُ؟ فَقَالَ: «لَا. أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَشِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا». ثُمَّ دُفِنْتُ الْبُئْرُ.

[٣٢٦٩] ٣١٦٠- نَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ نِي أَخِي عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ - إِذَا هُوَ نَامَ - ثَلَاثَ عَقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عَقْدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ. فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عَقْدُهُ كُلُّهَا فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانٌ».

[٣٢٧٠] ٣١٦١- نَا عَثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ نَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ».

[٣٢٧١] ٣١٦٢- نَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ نَا هَمَّامٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ كُرَيْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «أَمَّا إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَرُزَقْنَا وَلَدًا، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ».

[٣٢٧٢] ٣١٦٣- نَا مُحَمَّدٌ قَالَ أَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ»، «وَلَا تَحِينُوا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ». أَوْ الشَّيْطَانِ، لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَ هِشَامٌ.

[٣٢٧٤] ٣١٦٤- نَا أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ نَا عَبْدُ الْوَارِثِ قَالَ نَا يُونُسُ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هَلَالٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «إِذَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ شَيْءٌ وَهُوَ يَصَلِّي فَلْيَمْنَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيَمْنَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيَقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ».

[٣٢٧٥] ٣١٦٥- قَالَ: وَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ نَا عَوْفٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذَتْهُ

(١) الرقمان ٣٢٧٢ و ٣٢٧٣ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين .

فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه - فذكر الحديث فقال: - إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي صلى الله عليه: «صدقك وهو كذوب، ذاك الشيطان».

[٣٢٧٦] ٣١٦٦- نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته».

[٣٢٧٧] ٣١٦٧- نا يحيى بن بكير قال نا الليث قال ني عقيل عن ابن شهاب قال ني ابن أبي أنس مولى التيميين أن أباه حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين».

[٣٢٧٨] ٣١٦٨- نا الحميدي قال نا سفيان قال نا عمرو قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس فقال: نا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه يقول: «إن موسى قال لفتاه آتنا غداءنا، وقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾^(١)، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به».

[٣٢٧٩] ٣١٦٩- نا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه يشير إلى المشرق فقال: «ها إن الفتنة هاهنا، ها إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان».

[٣٢٨٠] ٣١٧٠- نا يحيى بن جعفر قال نا محمد بن عبد الله الأنصاري قال ني ابن جريج قال أخبرني عطاء عن جابر عن النبي صلى الله عليه قال: «إذا استجنح - أو كان جنح الليل - فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة عن العشاء فخلوهم، وأغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله، وخمر إناءك واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئاً».

[الحديث ٣٢٨٠ - أطرافه في: ٣٣٠٤، ٣٣١٦، ٥٦٢٣، ٥٦٢٤، ٦٢٩٥، ٦٢٩٦].

[٣٢٨١] ٣١٧١- نا محمود قال نا عبد الرزاق قال أنا معمر عن الزهري عن علي بن حسين عن

(١) ﴿أَنسَانِيهِ﴾: قرأ حفص بالضم: ﴿أَنسَانِيهِ﴾، والباقون بالكسر: ﴿أَنسَانِيهِ﴾.

صفية بنت حيي قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفاً، فأتته أزوره ليلاً، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقبني - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد - فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعَا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «على رسلكما، إنها صفية بنت حيي». فقالا: سبحان الله يا رسول الله. قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً». أو قال: «شيئاً».

[٣٢٨٢] ٣١٧٢- نا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن سليمان بن صرد قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان، فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد». فقالوا له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعوذ بالله من الشيطان»، قال: وهل بي جنون؟

[الحديث ٣٢٨٢ - طرفاه في: ٦٠٤٨، ٦١١٥].

[٣٢٨٣] ٣١٧٣- نا آدم قال نا شعبة قال نا منصور عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو أن أحدهم إذا أتى أهله قال: جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني، فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه». قال: ونا الأعمش عن سالم عن كريب عن ابن عباس مثله.

[٣٢٨٤] ٣١٧٤- نا محمود قال نا شبابة قال نا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى صلاة فقال: «إن الشيطان عرض لي فشد عليّ يقطع الصلاة عليّ، فأمكنني الله منه...» فذكره.

[٣٢٨٥] ٣١٧٥- نا محمد بن يوسف قال نا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا قضي أقبل، فإذا ثوب بها أدبر، فإذا قضي أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه فيقول: اذكر كذا وكذا، حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً، فإذا لم يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً سجد سجدتي السهو».

[٣٢٨٦] ٣١٧٦- نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال

النبي صلى الله عليه: «كلُّ بني آدم يطعنُ الشيطانُ في جنبه بإصبعيه حين يولدُ، غيرَ عيسى بن مريم ذهبَ يطعنُ فطعنَ في الحجاب».

[الحديث ٣٢٨٦ - طرفاه في: ٣٤٣١، ٤٥٤٨].

٣١٧٧- نا مالكُ بنُ إسماعيلَ قال نا إسرائيلُ عن المغيرة عن إبراهيم عن علقمة قال: قدمتُ الشامَ، قالوا: أبو الدرداءِ، قال: أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه.

نا سليمانُ قال نا شعبة عن مغيرة قال: الذي أجاره الله على لسان نبيه، يعني عماراً.

[الحديث ٣٢٨٧ - أطرافه في: ٣٧٤٢، ٣٧٤٣، ٣٧٦١، ٤٩٤٣، ٤٩٤٤، ٦٢٧٨].

٣١٧٨- قال: وقال الليثُ ني خالدُ بنُ يزيدَ عن سعيد بن أبي هلالٍ أن أبا الأسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه قال: «الملائكةُ تحدُّثُ في العنان - والعنان: الغمام - بالأمرِ يكونُ في الأرضِ، فتستمعُ الشياطينُ الكلمة فتقرُّها في آذان الكاهن كما تقرُّ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة».

٣١٧٩- نا عاصمُ بنُ عليٍّ قال نا ابنُ أبي ذئبٍ عن سعيدِ المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «التثاؤبُ من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليردّه ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها ضحك الشيطان».

[الحديث ٣٢٨٩ - طرفاه في: ٦٢٢٣، ٦٢٢٦].

٣١٨٠- نا زكرياء بن يحيى قال نا أبو أسامة قال هشامُ أنا عن أبيه عن عائشة قالت: لما كان يومُ أحدٍ هُزمَ المشركون، فصاح إبليسُ: أي عباد الله، أخراكم، فرجعتُ أولاهم فاجتلدتُ هي وأخراهم، فنظرَ حذيفةُ فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله، أبي أبي. فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: غفر الله لكم.

قال عروة: فما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله.

[الحديث ٣٢٩٠ - أطرافه في: ٣٨٢٤، ٤٠٦٥، ٦٦٦٨، ٦٨٨٣، ٦٨٩٠].

٣١٨١- نا الحسن بن الربيع قال نا أبو الأحوص عن أشعث عن أبيه عن مسروق قال:

قالت عائشة: سألت النبي صلى الله عليه عن التفات الرجل في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم».

[٣٢٩٢] ٣١٨٢ - نا أبوالمغيرة قال نا الأوزاعي قال ني يحيى عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه... ح. وحدثني سليمان بن عبد الرحمن قال نا أبو الوليد قال نا الأوزاعي قال ني يحيى بن أبي كثير قال ني عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها، فإنها لا تضره».

[الحديث ٣٢٩٢ - أطرافه في: ٥٧٤٧، ٦٩٨٤، ٦٩٨٦، ٦٩٩٥، ٦٩٩٦، ٧٠٠٥، ٧٠٤٤].

[٣٢٩٣] ٣١٨٣ - نا عبد الله بن يوسف قال أنا مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك».

[الحديث ٣٢٩٣ - طرفه في: ٦٤٠٣].

[٣٢٩٤] ٣١٨٤ - نا علي بن عبد الله قال نا يعقوب بن إبراهيم قال نا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد أن محمد بن سعد بن أبي وقاص أخبره أن أباه سعد بن أبي وقاص قال: استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر فممن يتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه ورسول الله صلى الله عليه يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، قال: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب». قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن. ثم قال: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه. قال رسول الله صلى الله عليه: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك».

[الحديث ٣٢٩٤ - طرفاه في: ٣٦٨٣، ٦٠٨٥].

٣١٨٥- فا إبراهيم بن حمزة قال حدثني ابن أبي حازم عن يزيد عن محمد بن إبراهيم عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً ، فإن الشيطان يبيت على خيشومه » .

قوله (باب صفة إبليس وجنوده) إبليس اسم أعجمي عند الأكثر ، وقيل مشتق من أبلس إذا أيس ، قال ابن الأنباري : لو كان عربياً لصرف كالكيل ، وقال الطبري : إنما لم يصرف وإن كان عربياً لقلة نظيره في كلام العرب فشبهوه بالعجمي ، وتعقب بأن ذلك ليس من موانع الصرف وبأن له نظائر كإخريط وإصليت ، واستبعد كونه مشتقاً أيضاً بأنه لو كان كذلك لكان إنما سمي إبليس بعد يأسه من رحمة الله بطرده ولعنه ، وظاهر القرآن أنه كان يسمى بذلك قبل ذلك ، كذا قيل ولا دلالة فيه ، لجواز أن يسمى بذلك باعتبار ما سيقع له ، نعم روى الطبري وابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال : كان اسم إبليس حيث كان مع الملائكة عزازيل ثم إبليس بعد . وهذا يؤيد ذلك القول والله أعلم . ومن أسمائه الحارث والحكم ، وكنيته أبو مرة . وفي كتاب « ليس لابن خالويه » كنيته أبو الكرويين ، وقوله « وجنوده » كأنه يشير بذلك إلى حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً قال « إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول : من أضل مسلماً ألبسته التاج » الحديث أخرجه ابن حبان والحاكم والطبراني ولمسلم من حديث جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « عرش إبليس على البحر ، فيبعث سراياه فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة » . واختلف هل كان من الملائكة ثم مسخ لما طرد أو لم يكن منهم أصلاً ؟ على قولين مشهورين سيأتي بيانها في التفسير إن شاء الله تعالى .

قوله (وقال مجاهد : ويقذفون يرمون ، دحوراً : مطرودين) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ ويقذفون من كل جانب دحوراً ﴾ الآية ، وقد وصله عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد كذلك ، وهذه صفة من يسترى السمع من الشياطين ، وسيأتي بيانه في التفسير أيضاً .

قوله (وقال ابن عباس : مدحوراً مطروداً) يريد تفسير قوله تعالى ﴿ فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ وقد وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة ، وإنما ذكره البخاري هنا استطراداً لذكره دحوراً قبله وإن كان لا يتعلق بإبليس وجنوده .

قوله (ويقال مريداً متمرداً) هو قول أبي عبيدة قال في قوله تعالى ﴿ وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ﴾ أي متمرداً .

قوله (بتكه قطعه) قال أبو عبيدة في قوله ﴿ فليبتكن آذان الأنعام ﴾ أي ليقطعن ، يقال بتكه قطعه . **قوله (واستغرز : استخف ، بخيلك الفرسان ، والرجل الرجالة واحداً راجل مثل صاحب وصاحب وتاجر ونجر)** هو كلام أبي عبيدة أيضاً .

قوله (لأحتكن : لأستأصلن) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ لأحتكن ذريته إلا قليلاً ﴾ يقول لأستميلنهم ولأستأصلنهم يقال احتك فلان ما عند فلان إذا أخذ جميع ما عنده .

قوله (قرين : شيطان) روى ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ قال قائل منهم إني كان لي قرين ﴾ قال شيطان وعن غير مجاهد خلافة ، وروى الطبري عن مجاهد والسدي في قوله تعالى ﴿ وقبضنا لهم قرناء ﴾ قال شياطين . ثم ذكر المصنف في الباب سبعة وعشرين حديثاً : الأول حديث عائشة قالت « سحر النبي صلى الله عليه وسلم » الحديث ، وسيأتي شرحه في كتاب الطب ، ووجه إيرادها هنا من جهة أن السحر إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك ، وسيأتي إيضاح ذلك هناك ، وقد أشكل ذلك على بعض الشراح .

قوله (وقال الليث كتب إلى هشام بن عروة الخ) رويناه موصولاً في نسخة عيسى بن حماد رواية أبي بكر بن أبي داود عنه . الحديث الثاني حديث أبي هريرة في عقد الشيطان على رأس النائم ، تقدم شرحه في صلاة الليل ، وأخو إسماعيل هو أبو بكر عبد الحميد بن أبي أويس ، ووهم من سماه عبد الله . الحديث الثالث حديث ابن مسعود في بول الشيطان في أذن النائم عن الصلاة ، تقدم شرحه في صلاة الليل أيضاً . الحديث الرابع حديث ابن عباس في الندب إلى التسمية عند الجماع ، يأتي شرحه في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى . الحديث الخامس حديث ابن عمر في النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس ، تقدم شرحه في الصلاة ، والقائل « لا أدرى أى ذلك قال هشام » هو عبدة بن سليمان الراوى عنه ، وقوله « حاجب الشمس » هو طرف قرصها الذي يبدو عند طلوع الشمس ويبقى عند الغروب ، وقرنا الشيطان جانباً رأسه ، يقال إنه ينتصب في محاذة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين جانبي رأسه لتقع السجدة له إذا سجد عبدة الشمس لها وكذا عند غروبها ، وعلى هذا فقوله « تطلع بين قرني الشيطان » أى بالنسبة إلى من يشاهد الشمس عند طلوعها ، فلو شاهد الشيطان لراه منتصباً عندها . وقد تمسك به من رد على أهل الهيئة القائلين بأن الشمس في السماء الرابعة والشياطين قد منعوا من ولوج السماء ، ولا حجة فيه لما ذكرنا ، والحق أن الشمس في الفلك الرابع ، والسموات السبع عند أهل الشرع غير الإفلاك خلافاً لأهل الهيئة . ومحمد شيخ البخارى فيه هو ابن سلام ثبت كذلك عند ابن السكن وبه جزم أبو نعيم والجيانى . السادس حديث أبي سعيد في الإذن بقتل المار بين يدي المصلي تقدم شرحه في الصلاة . السابع حديث أبي هريرة في حفظ زكاة رمضان ، تقدم شرحه في كتاب الوكالة . الثامن حديث « يأتي الشيطان » .

قوله (من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) أى عن الاسترسال معه في ذلك ، بل يلجأ إلى الله في دفعه ، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة ، فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها ، قال الخطابي : وجه هذا الحديث أن الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله منه وكف عن مطاولته في ذلك اندفع ، قال : وهذا بخلاف ما لو تعرض أحد من البشر بذلك فإنه يمكن قطعه بالحجة والبرهان ، قال : والفرق بينهما أن الآدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجواب والحال معه محصور ، فإذا راعى الطريقة وأصاب الحجة انقطع ، وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء ، بل كلما ألزم حجة زاغ إلى غيرها إلى أن يفضى بالمرء إلى الخيرة ، نعوذ بالله من ذلك . قال الخطابي : على أن قوله من خلق ربك كلام متهافت ينقض آخره أوله لأن الخالق يستحيل أن يكون مخلوقاً ، ثم لو كان السؤال متجهاً لاستلزم التسلسل وهو محال ،

وقد أثبت العقل أن المحدثات مفتقرة إلى محدث . فلو كان هو مفتقراً إلى محدث لكان من المحدثات ، انتهى .
والذى نحنا إليه من التفرقة بين وسوسة الشيطان ومخاطبة البشر فيه نظر ، لأنه ثبت في مسلم من طريق هشام ابن عروة عن أبيه في هذا الحديث « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمن بالله » فسوى في الكف عن الخوض في ذلك بين كل سائل عن ذلك من بشر وغيره . وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة قال : سألت عنهما اثنان ، وكان السؤال عن ذلك لما كان واهياً لم يستحق جواباً ، أو الكف عن ذلك نظير الأمر بالكف عن الخوض في الصفات والذات . قال المازري : الخواطر على قسمين : فالتى لاتستقر ولا يجليها شبهة هي التى تندفع بالإعراض عنها ، وعلى هذا ينزل الحديث ، وعلى مثلها ينطلق اسم وسوسة ، وأما الخواطر المستقرة الناشئة عن الشبهة فهى التى لاتندفع إلا بالنظر والاستدلال وقال الطيبي : إنما أمر بالاستعاذة والاشتغال بأمر آخر ولم يأمر بالتأمل والاحتجاج لأن العلم باستغناء الله جل وعلا عن الموجد أمر ضرورى لا يقبل المناظرة ، ولأن الاسترسال في الفكر في ذلك لا يزيد المرء إلا حيرة ، ومن هذا حاله فلا علاج له إلا الملجأ إلى الله تعالى والاعتصام به ، وفي الحديث إشارة إلى ذم كثرة السؤال عما لا يعنى المرء وعما هو مستغن عنه ، وفيه علم من أعلام النبوة لإخباره بوقوع ما سيقع فوقه ، وسيأتى مزيد لهذا في كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى . الحديث التاسع حديث أبي هريرة « إذا دخل رمضان صفدت الشياطين » تقدم شرحه في الصيام . العاشر حديث أبي بن كعب في قصة موسى والخضر سيأتى شرحه في التفسير . الحديث الحادى عشر حديث ابن عمر في طلوع الفتن من قبل المشرق ، سيأتى شرحه في الفتن ، وحاصله أن منشأ الفتن من جهة المشرق وكذا وقع . الثانى عشر حديث جابر ، ومحمد بن عبد الله الأنصارى المذكور في السند هو من شيوخ البخارى ، وحدث عنه هنا بواسطة .

قوله (إذا استجنح الليل أو كان جنح الليل) في رواية الكشميهنى « أو قال جنح الليل » وهو بضم الجيم وبكسر ها ، والمعنى إقباله بعد غروب الشمس ، يقال جنح الليل أقبل واستجنح حان جنحه أو وقع وحكى عياض أنه وقع في رواية أبي ذر « استنجع » بالعين المهملة بدل الحاء وهو تصحيف ، وعند الأصمبلى « أول الليل » بدل قوله أو كان جنح الليل ، و « كان » في قوله « وكان جنح الليل » تامة أى حصل .

قوله (فخلوهم) كذا للأكثر بفتح الحاء المعجمة ، وللسرخسى بضم الحاء المهملة ، قال ابن الجوزى : إنما خيف على الصبيان في تلك الساعة لأن النجاسة التى تلوذ بها الشياطين موجودة معهم غالباً ، والذكر الذى يحرز منهم مفقود من الصبيان غالباً والشياطين عند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم التعلق به ، فلذلك خيف على الصبيان في ذلك الوقت . والحكمة في انتشارهم حينئذ أن حركتهم في الليل أمكن منها لهم في النهار . لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية من غيره ، وكذلك كل سواد . ولهذا قال في حديث أبي ذر « فما يقطع الصلاة ؟ قال : الكاب الأسود شيطان » أخرجه مسلم .

قوله (وأغلق بابك) هو خطاب لمفرد ، والمراد به كل أحد ، فهو عام بحسب المعنى ، ولا شك أن مقابلة المفرد بالمفرد تفيد التوزيع ، وسيأتى بقية الكلام على فوائد هذا الحديث في كتاب الأدب إن شاء الله تعالى . الثالث عشر حديث صفية تقدم في الاعتكاف ، وفيه « إن الله جعل للشيطان قوة على التوصل إلى باطن

الإنسان « وقيل ورد على سبيل الاستعارة أى أن وسوسته تصل في مسام البدن مثل جرى الدم من البدن . الرابع عشر حديث سايان بن صرد في الاستعاذة ، يأتى في الأدب . والودج بفتح الدال وبالجم عرق في العنق . الخامس عشر حديث ابن عباس تقدم في الرابع ، وقوله « قال وحدثنا الأعمش » قائل ذلك هو شعبة فله فيه شيخان . السادس عشر حديث أبي هريرة .

قوله (حدثنا محمود) هو ابن غيلان ، وقد تقدم هذا الحديث بهذا الإسناد في أواخر الصلاة ، وقوله هنا « فذكره » أى ذكر تمام الحديث ، وتماه هناك « فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية » الحديث . وقد تقدم هناك شرح قوله « فذعته » ويأتى الكلام على بقية فوائده في أحاديث الأنبياء في ترجمة سليمان عليه السلام ، ويأتى الكلام على إمكان رؤية الجن في أول الباب الذى يلى هذا . وفي الحديث إباحة ربط من يخشى هربه ممن في قتله حق ، وفيه إباحة العمل اليسير في الصلاة ، وأن المخاطبة فيها إذا كانت بمعنى الطلب من الله لاتعد كلاماً فلا يقطع الصلاة ، لقوله صلى الله عليه وسلم في بعض طرق هذا الحديث « أعوذ بالله منك » كما سيأتى إن شاء الله تعالى . الحديث السابع عشر حديث أبي هريرة « إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان » وقد تقدم شرحه في أواخر الصلاة في الكلام على سجود السهو . الحديث الثامن عشر حديثه « كل بنى آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعيه » وسيأتى شرحه في ترجمة عيسى بن مريم من أحاديث الأنبياء ، وقوله « في جنبه » كذا للأكثر بالإفراد ، ولأبى ذر الجرجاني « جنبه » بالثنية ، وذكر عياض أن في كتابه من رواية الأصيلي « جنبه » بالإفراد لكن بياء مثناة من تحت بدل الموحدة قال وهو تصحيف . قلت : لعل نقطته سقطت من القلم فلا ينبغي أن يعد ذلك رواية ؛ والله المستعان . والمراد بالحجاب الجلدة التى فيها الجنين أو الثوب الملفوف على الطفل . الحديث التاسع عشر حديث أبي الدرداء في فضل عمار ، أورده مختصراً جداً من وجهين ، وسيأتى بتمامه في المناقب ، والغرض منه قوله « الذى أجاره الله من الشيطان » فإنه يشعر بأن له مزية بذلك على غيره ، ومقتضاه أن للشيطان تسلطاً على من لم يحججه الله منه . الحديث العشرون حديث عائشة في ذكر الكهان أورده معلقاً عن الليث ، وقد تقدمت الإشارة إليه في صفة الملائكة ، وقد وصله أبو نعيم في المستخرج من طريق أبي حاتم الرازى عن أبي صالح كاتب الليث عنه وقال : يقال إن البخارى حمله عن عبد الله بن صالح . الحديث الحادى والعشرون حديث أبي هريرة في الثاؤب ، وسيأتى شرحه في الأدب وبيان الاختلاف فيه على سعيد المقبرى هل هو عنده عن أبي هريرة بلا واسطة أو بواسطة أبيه . الحديث الثانى والعشرون حديث عائشة في قصة قتل والد حذيفة ، وسيأتى شرحها في غزوة أحد . الحديث الثالث والعشرون حديثها في الالتفات في الصلاة ، وقد تقدم شرحه في الصلاة . الحديث الرابع والعشرون حديث أبي قتادة « الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان » الحديث ، وأورده من وجهين ، وسيأتى شرحه في التعبير ، وفائدة الطريق الثانية وإن كانت الأولى أعلى منها التصريح فيها بتحديث عبد الله بن أبي قتادة ليحيى ابن أبي كثير . الحديث الخامس والعشرون حديث أبي هريرة في فضل قول لا إله إلا الله ، وسيأتى شرحه في الدعوات ، الحديث السادس والعشرون حديث سعد « استأذن عمر على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة » الحديث ، وسيأتى شرحه في المناقب ، الحديث السابع والعشرون حديث أبي هريرة في الأمر بالاستئثار ،

وفيه « فإن الشيطان يبيت على خيشومه » والخيشوم بفتح الخاء المعجمة وبسكون الياء التحتانية وضم المعجمة وسكون الواو هو الأنف ، وقيل المنخر ، وقوله « فليستنثر » أكثر فائدة من قوله « فليستنشق » لأن الاستنثار يقع على الاستنشاق بغير عكس ، فقد يستنشق ولا يستنثر ، والاستنثار من تمام فائدة الاستنشاق ، لأن حقيقة الاستنشاق جذب الماء بريح الأنف إلى أقصاه والاستنثار إخراج ذلك الماء ، والمقصود من الاستنشاق تنظيف داخل الأنف والاستنثار يخرج ذلك الوسخ مع الماء فهو من تمام الاستنشاق ، وقيل إن الاستنثار مأخوذ من النثرة وهي طرف الأنف ، وقيل الأنف نفسه ، فعلى هذا فمن استنشق فقد استنثر لأنه يصدق أنه تناول الماء بأنفه أو بطرف أنفه ، وفيه نظر . ثم إن ظاهر الحديث أن هذا يقع لكل نائم ويحتمل أن يكون مخصوصاً بمن لم يحترس من الشيطان بشيء من الذكر ، لحديث أبي هريرة المذكور قبل حديث سعد فإن فيه « فكانت له حرزاً من الشيطان » وكذلك آية الكرسي ، وقد تقدم فيه « ولا يقربك شيطان » ويحتمل أن يكون المراد بنى القرب هنا أنه لا يقرب من المكان الذي يرسوس فيه وهو القلب فيكون مبيته على الأنف ليتوصل منه إلى القلب إذا استيقظ ، فمن استنثر منعه من التوصل إلى ما يقصد من الوسوسة ، فحينئذ فالحديث متناول لكل مستيقظ . ثم إن الاستنشاق من سنن الوضوء اتفاقاً لكل من استيقظ أو كان مستيقظاً ، وقالت طائفة بوجوبه في الغسل وطائفة بوجوبه في الوضوء أيضاً ، وهل تتأدى السنة بمجرد استنثار أم لا خلاف ؟ وهو محل بحث وتأمل . والذي يظهر أنها لا تتم إلا به لما تقدم . والله أعلم .

باب

ذكر الجن وثوابهم وعقابهم

لقوله تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ الآية .
 ﴿ بَخْسًا ﴾ : نقصاً . وقال مجاهد : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيبًا ﴾ : قال كفار قريش : الملائكة بنات الله وأمهاتهم بنات سروات الجن ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ : ستحضر للحساب . ﴿ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ : عند الحساب .

٣١٨٦ - فاقتيبة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري عن أبيه أنه أخبره أن أباسعيد الخدري قال له : إني أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء ، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة . قال أبوسعيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه .

قوله (باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم) أشار بهذه الترجمة إلى إثبات وجود الجن وإلى كونهم مكلفين ، فأما إثبات وجودهم فقد نقل إمام الحرمين في « الشامل » عن كثير من الفلاسفة والزنادقة والقدرية

أنهم أنكروا وجودهم رأساً ، قال : ولا يتعجب ممن أنكر ذلك من غير المشرعين ، إنما العجب من المشرعين مع نصوص القرآن والأخبار المتواترة ، قال : وليس في قضية العقل ما يقدح في إثباتهم . قال وأكثر ما استروح إليه من نفاهم حضورهم عند الإنس بحيث لا يرونهم ولو شاءوا لأبدوا أنفسهم ، قال : وإنما يستبعد ذلك من لم يحط علماً بعجائب المقدورات . وقال القاضي أبو بكر : وكثير من هؤلاء يثبتون وجودهم وينفونه الآن ، ومنهم من يثبتهم وينفي تسلطهم على الإنس . وقال عبد الجبار المعتزلي : الدليل على إثباتهم السمع دون العقل ، إذ لا طريق إلى إثبات أجسام غائبة لأن الشيء لا يدل على غيره من غير أن يكون بينهما تعلق ، ولو كان إثباتهم باضطرار لما وقع الاختلاف فيه ، إلا أنا قد علمنا بالاضطرار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتدين بإثباتهم ، وذلك أشهر من أن يتشاغل بإيراده . وإذا ثبت وجودهم فقد تقدم في أوائل صفة النار تفسير قوله تعالى ﴿ وخلق الجن من نار ﴾ واختلف في صفتهم فقال القاضي أبو بكر الباقلاني قال بعض المعتزلة : الجن أجساد رقيقة بسيطة ، قال : وهذا عندنا غير ممتنع إن ثبت به سمع . وقال أبو يعلى بن الفراء : الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ، يجوز أن تكون رقيقة وأن تكون كثيفة خلافاً للمعتزلة في دعواهم أنها رقيقة « وأن امتناع رؤيتنا لهم من جهة رقتها . وهو مردود ، فإن الرقة ليست بممانعة عن الرؤية . ويجوز أن يخفى عن رؤيتنا بعض الأجسام الكثيفة إذا لم يخلق الله فينا إدراكها . وروى البيهقي في « مناقب الشافعي » بإسناده عن الربيع سمعت الشافعي يقول : من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته ، إلا أن يكون نبياً . انتهى . وهذا محمول على من يدعى رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها ، وأما من ادعى أنه يرى شيئاً منهم بعد أن يتطور على صور شتى من الحيوان فلا يقدح فيه ، وقد تواردت الأخبار بتطورهم في الصور ، واختلف أهل الكلام في ذلك فقيل : هو تخيل فقط ولا ينتقل أحد عن صورته الأصلية ، وقيل بل ينتقلون لكن لا باقتدارهم على ذلك بل بضرب من الفعل إذا فعله انتقل كالسحر وهذا قد يرجع إلى الأول ، وفيه أثر عن عمر أخرجه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح « أن الغيلاني ذكروا عند عمر فقال : أن أحد لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها ، ولكن لهم سحرة كسحرتكم ، فإذا رأيتم ذلك فاذنوا » وإذا ثبت وجودهم فقد اختلف في أصلهم فقيل : إن أصلهم من ولد إبليس ، فمن كان منهم كافراً سمي شيطاناً ، وقيل إن الشياطين خاصة أولاد إبليس ومن عداهم ليسوا من ولده ، وحديث ابن عباس الآتي في تفسير سورة الجن يقوى أنهم نوع واحد من أصل واحد ، واختلف صنفه فمن كان كافراً سمي شيطاناً وإلا قيل له جني ، وأما كونهم مكلفين فقال ابن عبد البر : الجن عند الجماعة مكلفون ، وقال عبد الجبار : لا نعلم خلافاً بين أهل النظر في ذلك ، إلا ما حكى زرقان عن بعض الحشوية أنهم مضطرون إلى أفعالهم وليسوا بمكلفين ، قال : والدليل للجماعة ما في القرآن من ذم الشياطين والتحرز من شرهم وما أعد لهم من العذاب ، وهذه الحصا لا تكون إلا لمن خالف الأمر وارتكب النهي مع تمكنه من أن لا يفعل ، والآيات والأخبار الدالة على ذلك كثيرة جداً ، وإذا تقرر كونهم مكلفين فقد اختلفوا هل كان فيهم نبي منهم أم لا ؟ فروى الطبري من طريق الضحاك بن مزاحم إثبات ذلك ، قال : ومن قال بقول الضحاك احتج بأن الله تعالى أخبر أن من الجن والإنس رسلاً أرسلوا إليهم ، فلو جاز أن المراد برسل الجن رسل الإنس لجاز عكسه وهو

فاسد انتهى . وأجاب الجمهور عن ذلك بأن معنى الآية أن رسل الإنس رسل من قبل الله إليهم ، ورسل الجن بهم الله في الأرض فسمعوا كلام الرسل من الإنس وبلغوا قومهم ، ولهذا قال قائلهم ﴿ إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ﴾ الآية ، واحتج ابن حزم بأنه صلى الله عليه وسلم قال « وكان النبي يبعث إلى قومه » قال وليس الجن من قوم الإنس ، فثبت أنه كان منهم أنبياء إليهم ، قال : ولم يبعث إلى الجن من الإنس نبي إلا نبينا صلى الله عليه وسلم لعموم بعثته إلى الجن والإنس باتفاق انتهى ، وقال ابن عبد البر : « لا يختلفون أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى الإنس والجن » وهذا مما فضل به على الأنبياء ، ونقل عن ابن عباس في قوله تعالى في سورة غافر ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ﴾ قال : هو رسول الجن ، وهذا ذكره .

وقال إمام الحرمين في « الإرشاد » في أثناء الكلام مع العيسوية : وقد علمنا ضرورة أنه صلى الله عليه وسلم ادعى كونه مبعوثاً إلى الثقلين ، وقال ابن تيمية : اتفق على ذلك علماء السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، قلت وثبت التصريح بذلك في حديث « وكان النبي يبعث إلى قومه وبعث إلى الإنس والجن » فيما أخرجه البزار بلفظ : وعن ابن الكلبي كان النبي يبعث إلى الإنس فقط ، وبعث محمد إلى الإنس والجن وإذا تقرر كونهم مكلفين فهم مكلفون بالتوحيد وأركان الإسلام ، وأما ما عده من الفروع فاختلف فيه لما ثبت من النهي عن الروث والعظم وأنها زاد الجن ، وسيأتي في السيرة النبوية حديث أبي هريرة وفي آخره « فقلت ما بال الروث والعظم ؟ قال هما طعام الجن » الحديث ، فدل على جواز تناولهم للروث وذلك حرام على الإنس ، وكذلك روى أحمد والحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال « خرج رجل من خيبر فتبعه رجلان وآخر يتلوها يقول ارجعا حتى ردهما ، ثم لحقه فقال له إن هذين شيطانان فإذا أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرا عليه السلام وأخبره أنا في جمع صدقاتنا ، ولو كانت تصلح له لبعثنا بها إليه . فلما قدم الرجل المدينة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فنهى عن الخلوة ، أي السفر منفرداً » واختلف أيضاً هل يأكلون ويشربون ويتناكحون أم لا ؟ فقيل بالنفي وقيل بمقابله ، ثم اختلفوا فقيل أكلهم وشربهم تشمم واسترواح لامضغ ولا بلع ، وهو مردود بما رواه أبو داود من حديث أمية بن محشى قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ورجل يأكل ولم يسم ثم سمي في آخره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مازال الشيطان يأكل معه فلما سمي استقاء ما في بطنه » وروى مسلم من حديث ابن عمر قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكلن أحدكم بشماله ويشرب بشماله ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله » وروى ابن عبد البر عن وهب بن منبه أن الجن أصناف فخالصهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون ، وجنس منهم يقع منهم ذلك ومنهم السعال والغول والقطرب ، وهذا إن ثبت كان جامعاً للقولين الأولين ، ويؤيده ما روى ابن حبان والحاكم من حديث أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجن على ثلاثة أصناف : صنف لهم أجنحة يطفرون في الهراء ، وصنف حيات وعقارب وصنف يحلون ويظعنون » وروى ابن أبي الدنيا من حديث أبي اللرداء مرفوعاً نحوه لكن قال في الثالث « وصنف عليهم الحساب والعقاب » وسيأتي شيء من هذا في الباب الذي يليه ، وروى ابن أبي الدنيا من طريق يزيد بن يزيد بن جابر أحد ثقات الشاميين من صغار التابعين قال : ما من أهل بيت إلا وفي سقف بيتهم من الجن ، وإذا وضع

الغداء نزلوا فتغذوا معهم والعشاء كذلك . واستدل من قال بأنهم يتناكحون بقوله تعالى ﴿ لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان ﴾ وبقوله تعالى ﴿ أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ والدلالة من ذلك ظاهرة . واعتل من أنكر ذلك بأن الله تعالى أخبر أن الجان خلق من نار ، وفي النار من اليبوسة والخفة ما يمنع معه التوالد . والجواب أن أصلهم من النار كما أن أصل الآدمي من التراب ، وكما أن الآدمي ليس طيناً حقيقة كذلك الجنى ليس ناراً حقيقة ، وقد وقع في الصحيح في قصة تعرض الشيطان للنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « فأخذته فخنقته حتى وجدت برد ريقه على يدي » قلت : وبهذا الجواب يندفع إيراد من استشكل قوله تعالى ﴿ إلا من خطف الحطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾ فقال كيف تحرق النار النار ؟ وأما قول المصنف « وثرابهم وعقابهم » فلم يختلف من أثبت تكليفهم أنهم يعاقبون على المعاصي ، واختلف هل يثابون ؟ فروى الطبري وابن أبي حاتم من طريق أبي الزناد موقوفاً قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال الله للمؤمن الجن وسائر الأمم أي من غير الإنس : كونوا تراباً . فحينئذ يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً » وروى ابن أبي الدنيا عن ليث ابن أبي سليم قال : ثواب الجن أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا تراباً . وروى عن أبي حنيفة نحو هذا القول . وذهب الجمهور إلى أنهم يثابون على الطاعة ، وهو قول الأئمة الثلاثة والأوزاعي وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهم ، ثم اختلفوا هل يدخلون مدخل الإنس ؟ على أربعة أقوال : أحدها نعم ، وهو قول الأكثر ، وثانيها يكونون في ربض الجنة وهو منقول عن مالك وطائفة ، وثالثها أنهم أصحاب الأعراف ، ورابعها التوقف عن الجواب في هذا . وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي يوسف قال : قال ابن أبي ليلى في هذا لهم ثواب ، قال فوجدنا مصداق ذلك في كتاب الله تعالى ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ قلت : وإلى هذا أشار المصنف بقوله قبلها ﴿ يا معشر الجن ألم يأتكم رسل منكم ﴾ فإن قوله ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ يلي الآية التي بعد هذه الآية ، واستدل بهذه الآية أيضاً ابن عبد الحكم ، واستدل ابن وهب بمثل ذلك بقوله تعالى ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ﴾ الآية ، فإن الآية بعدها أيضاً ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ وروى أبو الشيخ في تفسيره عن مغيث بن سمي أحد التابعين قال : ما من شيء إلا وهو يسمع زفير جهنم إلا الثقلين الذين عليهم الحساب والعقاب . ونقل عن مالك أنه استدل على أن عليهم العقاب ولهم الثواب بقوله تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ ثم قال ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ والخطاب للإنس والجن ، فإذا ثبت أن فيهم مؤمنين والمؤمن من شأنه أن يخاف مقام ربه ثبت المطلوب والله أعلم .

قوله (بخساً : نقصاناً) يريد تفسير قوله تعالى حكاية عن الجن ﴿ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ﴾ قال يحيى الفراء : البخس النقص ، والرهق الظلم ، ومفهوم الآية أن من يكفر فإنه يخاف ، فدل ذلك على ثبوت تكليفهم .

قوله (وقال مجاهد : وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً الخ) وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد به وفيه « فقال أبو بكر : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : بنات سروات الجن الخ » وفيه « قال علمت الجن أنهم سيحضرون للحساب » . قلت : وهذا الكلام الأخير هو يمتثل بالترجمة ، وسروات بفتح المهملة والراء جمع سرية بتخفيف الراء أي شريفة ، ووقع هنا في رواية أبي ذر « وأمهاهن » ولغيره « وأمهاهن »

وهو أصوب ، ووقع أيضاً لغير الكشميين (جند محضرون) بالإفراد وروايته أشبه .
 قوله (جند محضرون عند الحساب) وصله القريباني أيضاً بالإسناد المذكور عن مجاهد . ثم ذكر
 المصنف حديث أبي سعيد « لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس إلا شهد له » وقد تقدم مشروحاً في
 كتاب الأذان ، والغرض منه هنا أنه يدل على أن الجن يحشرون يوم القيامة ، والله أعلم .

باب قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ ﴾ إلى قوله : ﴿ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾
 ﴿ مَصْرُفًا ﴾ : معدلاً . ﴿ صَرَفْنَا ﴾ : وجهنا

قوله (باب قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ ﴾ - إلى قوله - أولئك في ضلال مبين)
 سيأتي القول في تعيينهم وتعيين بلدهم في التفسير إن شاء الله تعالى .
 قوله (صرفنا أي وجهنا) هو تفسير المصنف ، وقوله (مصرفاً معدلاً) هو تفسير أبي عبيدة ،
 واستشهد بقول أبي كبير بالموحدة الهذلي :

أزهير هل عن ميتة من مصرف أم لا خلود لباذل متكلف

(تنبيه) : لم يذكر المصنف في هذا الباب حديثاً ، واللاق به حديث ابن عباس الذي تقدم في صفة
 الصلاة في توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عكاظ واستماع الجن لقراءته ، وسيأتي شرحه بتمامه في التفسير
 إن شاء الله تعالى . وقد أشار إليه المصنف بالآية التي صدر بها هذا الباب .

باب قول الله عز وجل : ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾

قال ابن عباس : الثعبان : الحية الذكر منها ، يُقال : الحياتُ أجناسٌ : الجانُّ والأفاعي
 والأساود . ﴿ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ : في ملكه وسلطانه . ويُقال : ﴿ صَاقَاتٍ ﴾ : بُسَطُ أَجْنَحَتِهِنَّ .
 ﴿ يَقْبِضُنَّ ﴾ : يضربن بأجْنَحَتِهِنَّ .

٣١٨٧ - قال عبد الله بن محمد قال نا هشام بن يوسف قال أنا معمر عن الزهري عن سالم
 عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول : « اقتلوا الحيات ، اقتلوا ذا
 الطفتين والأبتر ، فإنهما يطمسان البصر ويستسقطان الحبل » . [٣٢٩٧]

[الحديث ٣٢٩٧ - أطرافه في : ٣٣١٠ ، ٣٣١٢ ، ٤٠١٦ .]

٣١٨٨ - قال عبد الله : فبينما أنا أطارد حية لأقتلها ، فناداني أبولبابة : لا تقتلها . فقلت : إن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل الحيات . فقال : إنه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت ، وهي
 العوامر . [الحديث ٣٢٩٨ - طرفاه في : ٣٣١١ ، ٣٣١٣ .] [٣٢٩٨]

[٣٢٩٩]

٣١٨٩- وقال عبد الرزاق عن معمر: فرآني أبولبابة، أو زيد بن الخطاب. وتابعه يونس وابن عيينة وإسحاق الكلبي والزبيدي. وقال صالح وابن أبي حفصة وابن مجمع عن الزهري عن سالم عن ابن عمر: فرآني أبولبابة وزيد بن الخطاب.

قوله (باب قول الله تعالى : وبث فيها من كل دابة) كأنه أشار إلى سبق خاق الملائكة والجن على الحيوان ، أو سبق جميع ذلك على خلق آدم ، والدابة لغة ما دب من الحيوان ، واستثنى بعضهم الطير لقوله تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ والأول أشهر لقوله تعالى ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ ، وعرفا ذوات الأربع ، وقيل يختص بالفرس وقيل بالحصان ، والمراد هنا المعنى اللغوي . وفي حديث أبي هريرة عند مسلم « إن خلق الدواب كان يوم الأربعاء » وهو دال على أن ذلك قبل خلق آدم .
قوله (قال ابن عباس : الثعبان الحية الذكر) وصله ابن أبي حاتم من طريقه ، وقيل الثعبان الكبير من الحيات ذكر أو أنثى .

قوله (يقال الحيات أجناس ، الجان والأفاعي والأسود) في رواية الأصيلي « الجان أجناس قال عياض : الأول هو الصواب ، قلت هو قول أبي عبيدة قاله في تفسير سورة القصص ، قال في قوله ﴿ كأنها جان ﴾ وفي قوله ﴿ حية تسعى ﴾ كأنها جان من الحيات أو من حية الجان ، فجرى على أن ذلك شيء واحد ، وقيل كانت العصا في أول الحال جانا وهي الحية الصغيرة ثم صارت ثعباناً ، فحينئذ ألقي العصا . وقيل اختلف وصفها باختلاف أحوالها : فكانت كالحية في سعيها وكالجان في حركتها وكالثعبان في ابتلاعها ، والأفاعي جمع أفعى وهي الأنثى من الحيات ، والذكر منها أفعوان بضم الهمزة والعين ، وكنية الأفعوان أبو حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة ، وهو الشجاع الأسود الذي يواثب الإنسان ، ومن صفة الأفعى إذا فقت عينها عادت ولا تغمض حدقتها البتة ، والأسود جمع أسود قال أبو عبيد هي حية فيها سواد . وهي أخبث الحيات . ويقال له أسود سالخ لأنه يسلم جلد كل عام . وفي سنن أبي داود والنسائي عن ابن عمر مرفوعاً « أعوذ بالله من أسد وأسود » وقيل هي حية رقيقة رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس وربما كانت ذات قرنين والهاء في الحية للوحدة ، كدجاجة ، وقد عدلها ابن خالويه في « كتاب ليس » سبعين اسماً .
قوله (آخذ بناصيتها في ملكه وسلطانه) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ أى في قبضته وملكه وسلطانه ، وخص الناصية بالذكر على عادة العرب في ذلك تقول : ناصية فلان في يد فلان إذا كان في طاعته ، ومن ثم كانوا يجزون ناصية الأسير إذا أطلقوه .

قوله (ويقال صافات : بسط أجنحتهن) وقوله (يقبضن : يضربن بأجنحتهن) هو قول أبي عبيدة أيضاً ، قال في قوله تعالى ﴿ أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ﴾ أى باسطات أجنحتهن ﴿ ويقبضن ﴾ يضربن بأجنحتهن ، وروى ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ صافات ﴾ قال : بسط أجنحتهن . ثم ذكر المصنف في الباب أحاديث : الأول حديث أبي لبابة .

قوله (واقتلوا ذا الطفتين) تثنية طفية بضم الطاء المهملة وسكون الفاء وهي خوصة المقل ، والطفى خوص المقل ، شبه به الخط الذى على ظهر الحية ، وقال ابن عبد البر : يقال إن ذا الطفتين جنس من الحيات يكون على ظهره خطان أبيضان .

قوله (والأبتر) هو مقطوع الذنب ، زاد النضر بن شميل أنه أزرق اللون لا تنظر إليه حامل إلا ألفت ، وقيل الأبتر الحية القصيرة الذنب ، قال الداودى : هي الأفعى التي تكون قدر شبر أو أكبر قليلا ، وقوله « والأبتر » يقتضى التغير بين ذى الطفتين والأبتر ، ووقع في الطريق الآتية « لا تقتلوا الحيات إلا كل أبتر ذى طفتين » وظاهره اتحادهما ، لكن لا ينبنى المغايرة .

قوله (فإنهما يطمسان البصر) أى بمحوان نوره ، وفي رواية ابن أبى مليكة عن ابن عمر « ويذهب البصر » وفي حديث عائشة « فإنه يلتمس البصر » .

قوله (ويستسقطان الجبل) هو بفتح المهملة والموحدة الجنين ، وفي رواية ابن أبى مليكة عن ابن عمر الآتية بعد أحاديث « فإنه يسقط الولد » وفي حديث عائشة الآتى بعد أحاديث « ويصيب الجبل » وفي رواية أخرى عنها « ويذهب الجبل » وكلها بمعنى .

قوله (قال عبد الله) هو ابن عمر ، وفي رواية يونس عن الزهرى التي يأتى التنبيه عليها « قال ابن عمر : فكنت لا أترك حية إلا قتلها ، حتى طاردت حية من ذوات البيوت » الحديث ، وقوله « أطارد » أى أتبع وأطلب .

قوله (فنادانى أبو لبابة) بضم اللام وبموحدين صحابى مشهور اسمه بشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة وقيل مصغر وقيل بتحتانية ومهملة مصغر وقيل رقاعة وقيل بل اسمه كنيته ورفاعة وبشير أخواه ، واسم جده زبیر بزای ونون وموحدة وزن جعفر ، وهو أوسى من بنى أمية بن زيد ، وشذ من قال اسمه مروان ، وليس له في الصحيح إلا هذا الحديث ، وكان أحد النقباء وشهد أحدا ، ويقال شهد بدرآ ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة ، وكانت معه راية قومه يوم الفتح ، ومات في أول خلافة عثمان على الصحيح .

قوله (أنه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت) أى اللاتي يوجدن في البيوت ، وظاهره التعميم في جميع البيوت ، وعن مالك تخصيصه ببيوت أهل المدينة ، وقيل يختص بيوت المدن دون غيرها ، وعلى كل قول فتقتل في البرارى والصحارى من غير إنذار ، وروى الترمذى عن ابن المبارك أنها الحية التي تكون كأنها فصة ولا تلتوى في مشيتها .

قوله (وهى العوامر) هو كلام الزهرى أدرج في الخبر ، وقد بينه معمر في روايته عن الزهرى فساق الحديث وقال في آخره « قال الزهرى وهى العوامر » قال أهل اللغة عمار البيوت سكناها من الجن ، وتسميتهن عوامر لطول لبثهن في البيوت مأخوذ من العمر وهو طول البقاء ، وعند مسلم من حديث أبى سعيد مرفوعاً « أن لهذه البيوت عوامر ، فإذا رأيتم منها شيئاً فخرجوا عليه ثلاثاً ، فإن ذهب وإلا فاقتلوه » واختلف

في المراد بالثلاث قليل ثلاث مرات ، وقيل ثلاثة أيام ، ومعنى قوله خرجوا عليهن أن يقال لهن أنتن في ضيق وخرج إن لبثت عندنا أو ظهرت لنا أو عدت إلينا .

قوله (وقال عبد الرزاق عن معمر : فرآني أبو لبابة أو زيد بن الخطاب) يريد أن معمر راواه عن الزهري بهذا الإسناد على الشك في اسم الذي لقي عبد الله بن عمر ، وروايته هذه أخرجها مسلم ولم يسق لفظها ، وساقه أحمد والطبراني من طريقه .

قوله (وتابعه يونس) أي ابن يزيد ، وابن عيينة أي سفيان ، وإسحق الكلبي والزبيدي ، أي أن هؤلاء الأربعة تابعوا معمرًا على روايته بالشك المذكور . فأما رواية يونس فوصلها مسلم ولم يسق لفظها وساقه أبو عوانة ، وأما رواية ابن عيينة فأخرجها أحمد والحميدي في مسنديهما عنه ، ووصلها مسلم وأبو داود من طريقه ، وفي رواية مسلم « وكان ابن عمر يقتل كل حية وجدها ، فأبصره أبو لبابة بن عبد المنذر أو زيد بن الخطاب » وأما رواية إسحق وهو ابن يحيى الكلبي فرويناها في نسخته ، وأما رواية الزبيدي وهو محمد بن الوليد الحمصي فوصلها مسلم ، وفي روايته « قال عبد الله بن عمر : فكنت لا أترك حية أراها إلا قتلها » وزاد في روايته « قال الزهري وترى ذلك من سميتها » .

قوله (وقال صالح وابن أبي حفصة وابن مجمع الخ) يعني أن هؤلاء الثلاثة رووا الحديث عن الزهري فجمعوا فيه بين أبي لبابة وزيد بن الخطاب ، فأما رواية صالح وهو ابن كيسان فوصلها مسلم ولم يسق لفظها وساقه أبو عوانة ، وأما رواية ابن أبي حفصة واسمه محمد فرويناها في نسخته من طريق أبي أحمد بن عدي موصولة ، وأما رواية ابن مجمع وهو إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بالجيم وتشديد الميم الأنصاري المدني فوصلها البغوي وابن السكن في « كتاب الصحابة » قال ابن السكن لم أجد من جمع بين أبي لبابة وزيد بن الخطاب إلا ابن مجمع هذا وجعفر بن برقان ، وفي روايتهما عن الزهري مقال . انتهى . وغفل عما ذكره البخاري وهو عنده عن الفربري عنه فسبحان من لا يذهل ، ويحتمل أنه لم تقع له موصولة من رواية ابن أبي حفصة وصالح ، فصار من رواه بالجمع أربعة ، لكن ليس فيهم من يقارب الخمسة الذين رووه بالشك إلا صالح بن كيسان ، وسيأتي في الباب الذي يليه من وجه آخر أن الذي رأى ابن عمر هو أبو لبابة بغير شك ، وهو يرجح ما جنح إليه البخاري من تقديمه لرواية هشام بن يوسف عن معمر المقتصرة على ذكر أبي لبابة ، والله أعلم . وليس لزيد بن بن الخطاب - أخى عمر - رواية في الصحيح إلا في هذا الموضع ، وزعم الداودي أن الجن لا تتمثل بذى الطفتين والأبتر ، فلذلك أذن في قتلها . وسيأتي التعقب عليه بعد قليل . وفي الحديث النهي عن قتل الحيات التي في البيوت إلا بعد الإنذار ، إلا أن يكون أبتر أو ذا طفتين فيجوز قتله بغير إنذار ، ووقع في حديث أبي سعيد عند مسلم الأذن في قتل غيرهما بعد الإنذار ، وفيه « فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر » قال القرطبي : والأمر في ذلك للإرشاد ، نعم ما كان منها محقق الضرر وجب دفعه .

باب خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ

٣١٩٠ - نا إسماعيل قال ني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي

صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن».

[٣٣٠١] ٣١٩١- فابعد الله بن يوسف قال أنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال: «رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الإبل، والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم».

[الحديث ٣٣٠١ - أطرافه في: ٣٤٩٩، ٤٣٨٨، ٤٣٨٩، ٤٣٩٠.]

[٣٣٠٢] ٣١٩٢- فامسدد قال نا يحيى عن إسماعيل قال نا قيس عن عتبة بن عمرو أبي مسعود قال: أشار رسول الله صلى الله عليه بيده نحو اليمن فقال: «الإيمان يمان هاهنا، ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذنان الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر».

[الحديث ٣٣٠٢ - أطرافه في: ٣٤٩٨، ٤٣٨٧، ٥٣٠٣.]

[٣٣٠٣] ٣١٩٣- فاقتيبة قال نا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه قال: «إذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا».

[٣٣٠٤] ٣١٩٤- فإسحاق قال أنا روح قال أنا ابن جريج قال أخبرني عطاء سمع جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه: «إذا كان جنح الليل -أو أمسيتم- فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا». وأخبرني عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله نحو ما أخبرني عطاء ولم يذكر: «اذكروا اسم الله».

[٣٣٠٥] ٣١٩٥- فاموسى بن إسماعيل قال نا وهيب عن خالد عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدري ما فعلت، وإنني لا أراها إلا الفأر؛ إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت»، فحدثت كعبا فقال: أنت سمعت النبي صلى الله عليه يقوله؟ قلت: نعم. فقال لي مرارا، قلت: أفأقرأ التوراة؟

- [٣٣٠٦] ٣١٩٦- نا سعيد بن عفير عن ابن وهب قال ني يونس عن ابن شهاب عن عروة يحدث عن عائشة أن النبي صلى الله عليه قال للوزع: الفويسق. ولم أسمع أمر بقتله. وزعم سعد ابن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه أمر بقتله.
- [٣٣٠٧] ٣١٩٧- نا صدقة بن الفضل قال أنا ابن عينة قال نا عبد الحميد بن جبير بن شيبه عن سعيد بن المسيب أن أم شريك أخبرته أن النبي صلى الله عليه أمر بقتل الأوزاع.
- [الحديث ٣٣٠٧- طرفه في: ٣٣٥٩].
- [٣٣٠٨] ٣١٩٨- نا عبيد بن إسماعيل قال نا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه: «اقتلوا ذا الطفتين، فإنه يلتمس البصر ويصيب الحبل».
- تابع حماد بن سلمة: بأأسامة.
- [الحديث ٣٣٠٨- طرفه في: ٣٣٠٩].
- [٣٣٠٩] ٣١٩٩- نا مسدد قال نا يحيى عن هشام قال ني أبي عن عائشة أمر النبي صلى الله عليه بقتل الأبر و قال: «إنه يصيب البصر ويذهب الحبل».
- [٣٣١٠] ٣٢٠٠- نا عمرو بن علي قال نا ابن أبي عدي عن أبي يونس القشيري عن ابن أبي مليكة أن ابن عمر كان يقتل الحيات، ثم نهى قال: إن النبي صلى الله عليه هدم حائطاً له فوجد فيه سلخ حية فقال: «انظروا أين هو» فنظروا فقال: «اقتلوه»، فكنتم أقتلها لذاك، فلقيت أبالبابة فأخبرني أن النبي صلى الله عليه قال: «لا تقتلوا الجنان إلا كل أبر ذي طفتين، فإنه يسقط الولد ويذهب البصر فاقتلوه».
- [٣٣١٢] ٣٢٠١- نا مالك بن إسماعيل قال نا جرير بن حازم عن نافع عن ابن عمر أنه كان يقتل الحيات، فحدثه أبو لبابة أن النبي صلى الله عليه نهى عن قتل جنان البيوت، فأمسك عنها.
- [٣٣١٣] الثاني حديث أبي سعيد الخدري «يوشك أن يكون خير مال المسلم» الحديث، وقد تقدم في أوائل الإيمان، ويأتي شرحه في كتاب الفتن.

(١) الرقمان ٣٣١٠ و ٣٣١١ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

(٢) الرقمان ٣٣١٢ و ٣٣١٣ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

(تنبيهان) : الأول ذكر المزي في « الأطراف » تبعاً لأبي مسعود أن البخاري أورد الحديث من هذه الطريق في الجزية ، وهو وهم ، وإنما هو في بدء الخلق . الثاني وقع في أكثر الروايات قبل حديث أبي سعيد هذا « باب خير مال المسلم غم يتبع بها شغف الجبال » وسقطت هذه الترجمة من رواية النسفي ، ولم يذكرها الإسماعيلي أيضاً ، وهو اللائق بالحال ، لأن الأحاديث التي تلي حديث أبي سعيد ليس فيها ما يتعلق بالغم إلا حديث أبي هريرة المذكور بعده . الثالث حديث أبي هريرة .

قوله (رأس الكفر نحو المشرق) في رواية الكشميهني « قبل المشرق » وهو بكسر القاف وفتح الموحدة أي من جهته ، وفي ذلك إشارة إلى شدة كفر الجوس ، لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة ، وكانوا في غاية القسوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في موضعه ، واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سيأتي بيانه واضحاً في الفتن .

قوله (والفخر) بالخاء المعجمة معروف ، ومنه الإعجاب بالنفس ، (والخيلاء) بضم المعجمة وفتح التحتانية والمد : الكبر واحتقار الغير .

قوله (الفدادين) بتشديد الدال عند الأكثر ، وحكى أبو عبيد عن أبي عمرو الشيباني أنه خففها وقال : إنه جمع فدان ، والمراد به البقر التي يحرق عليها ، وقال الخطابي : الفدان آلة الحرث والسكة ، فعلى الأول فالفدادون جمع فدان وهو من يعلو صوته في إبله وخيله وحرثه ونحو ذلك ، والفديد هو الصوت الشديد ، وحكى الأخفش ووهاه أن المراد بالفدادين من يسكن الفدافد جمع فدفد وهي البراري والصحاري ، وهو بعيد . وحكى أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الفدادين هم أصحاب الإبل الكثيرة من المائتين إلى الألف ، وعلى ما حكاه أبو عمرو الشيباني من التخفيف فالمراد أصحاب الفدادين على حذف مضاف ، ويؤيد الأول لفظ الحديث الذي بعده « وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذنان الإبل » وقال أبو العباس : الفدادون هم الرعاة والجمالون ، وقال الخطابي : إنما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمور دينهم وذلك يفضي إلى قساوة القلب .

قوله (أهل الوبر) بفتح الواو والموحدة ، أي ليسوا من أهل المدر ، لأن العرب تعبر عن أهل الحضر بأهل المدر وعن أهل البادية بأهل الربر ، واستشكل بعضهم ذكر الوبر بعد ذكر الخيل وقال : إن الخيل لا وبر لها ، ولا إشكال فيه لأن المراد ما بيته . وقوله في آخر الحديث « في ربيعة ومضر » أي في الفدادين منهم . قوله (والسكينة) تطلق على الطمأنينة والسكون والوقار والتواضع . قال ابن خالويه لانظير لها أي في وزنها إلا قولهم على فلان ضريبة أي خراج معلوم ، وإنما خص أهل الغنم بذلك لأنهم غالباً دون أهل الإبل في التوسع والكثرة وهما من سبب الفخر والخيلاء ، وقيل أراد بأهل الغنم أهل اليمن لأن غالب مواشيهم الغنم ، بخلاف ربيعة ومضر فإنهم أصحاب إبل ، وروى ابن ماجه من حديث أم هانئ « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها اتخذي الغنم فإن فيها بركة » . الرابع حديث أبي مسعود .

قوله (حدثنا يحيى) هو القطان ، وإسماعيل هو ابن أبي خالد وقيس هو ابن أبي حازم .

قوله (أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال : الإيمان) فيه تعقب على من زعم أن المراد بقوله « يمان » الأنصار ، لكون أصلهم من أهل اليمن لأن في إشارته إلى جهة اليمن ما يدل على أن المراد به أهلها حينئذ لا الذين كان أصلهم منها ، وسبب الثناء على أهل اليمن إسماعهم إلى الإيمان وقبولهم وقد تقدم قبولهم البشرى حين لم تقبلها بنو تميم في أول بدء الخلق ، وسيأتي بقية شرحه في أول المناقب ، وبيان الاختلاف بقوله « الإيمان يمان » وقوله « قرنا الشيطان » أي جانباً رأسه ، قال الخطابي : ضرب المثل بقرني الشيطان فيما لا يحمد من الأمور ، وقوله « أرق أفئدة » أي أن غشاء قلب أحدهم رقيق ، وإذا رق الغشاء أسرع نفوذ الشيء إلى ما وراءه . الحديث الخامس حديث أبي هريرة .

قوله (عن جعفر بن ربيعة) هذا الحديث مما اتفق الأئمة الخمسة أصحاب الأصول على إخرجه عن شيخ واحد وهو قتيبة بهذا الإسناد .

قوله (إذا سمعتم صباح الديكة) بكسر المهملة وفتح التحتانية جمع ديك وهو ذكر الدجاج ، والديك خصيصة ليست لغيره من معرفة الوقت الليلي ، فإنه يقسط أصواته فيها تقسيطاً لا يكاد يتفاوت ، ويوالى صباحه قبل الفجر وبعده لا يكاد يخطئ ، سواء أطل الليل أم قصر ، ومن ثم أفق بعض الشافعية باعتماد الديك المحرب في الوقت ، ويؤيده الحديث الذي سأذكره عن زيد بن خالد .

قوله (فلإنها رأت ملكاً) بفتح اللام ، قال عياض : كان السبب فيه رجاء تأمين الملائكة على دعائه واستغفارهم له وشهادتهم له بالإخلاص ، ويؤخذ منه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين تبركاً بهم ، وصحح ابن حبان - وأخرجه أبو داود وأحمد - من حديث زيد بن خالد رفعه « لاتسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة » وعند البزار من هذا الوجه سبب قوله صلى الله عليه وسلم ذلك وأن ديكاً صرخ فلعنه رجل فقال ذلك ، قال الحلیمی : يؤخذ منه أن كل من استفيد منه الخير لا ينبغي أن يسب ولا أن يستهان به ، بل يكرم ويحسن إليه . قال : وليس معنى قوله « فإنه يدعو إلى الصلاة » أن يقول بصوته حقيقة صلوا أو حانت الصلاة ، بل معناه أن العادة جرت بأنه يصرخ عند طلوع الفجر وعند الزوال فطرة فطره الله عليها .

قوله (وإذا سمعتم نفاق الحمير) زاد النسائي والحاكم من حديث جابر « ونباح الكلاب » . قوله (فلإنها رأت شيطانا) روى الطبراني من حديث أبي رافع رفعه « لاینهق الحمار حتى يرى شيطانا أو يتمثل له شيطان ، فإذا كان ذلك فاذكروا الله وصلوا على » قال عياض : وفائدة الأمر بالتعوذ لما يخشى من شر الشيطان وشر وسوسته ، فيلجأ إلى الله في دفع ذلك . قال الداودي : يتعلم من الديك خمس خصال : حسن الصوت ، والقيام في السحر ، والغيرة ، والسخاء ، وكثرة الجماع . السادس حديث جابر أورده من وجه آخر ، وسيأتي شرحه في أثناء هذا الباب ، والقائل « قال وأخبرني عمرو » هو ابن جريج ، وإسحق المذكور في أوله هو ابن راهويه كما عند أبي نعيم ، ويحتمل أن يكون ابن منصور ، وقد أهمل المزني في الأطراف تبعاً لخلف عزوه إلى هذا الموضع . السابع حديث أبي هريرة .

قوله (عن خالد) هو الحذاء ، ومحمد هو ابن سيرين ، والإسناد كله بصريون إلى أبي هريرة . قوله (وإني لا أراها إلا الفأر) بإسكان الهمزة ، وعند مسلم من طريق أخرى عن ابن سيرين

بلفظ « الفأرة مسخ ، وآية ذلك أنه يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه ، ويوضع بين يديها لبن الإبل فلا فلا تشربه » .

قوله (فحدثت كعباً) قائل ذلك هو أبو هريرة ، ووقع في رواية مسلم « فقال له كعب أنت سمعت هذا » .

قوله (فقلت أفأفرا التوراة) هو استنهام إنكار ، وفي رواية مسلم أفأنزلت على التوراة ، وفيه أن أبا هريرة لم يكن يأخذ عن أهل الكتاب ، وأن الصحابي الذي يكون كذلك إذا أجبر بما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه يكون للحديث حكم الرفع ، وفي سكوت كعب عن الرد على أبي هريرة دلالة على تورعه ، وكأنهما جميعاً لم يبلغهما حديث ابن مسعود ، قال « وذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم القردة والخنازير فقال : إن الله لم يجعل للمسوخ نسلًا ولا عقبا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك » وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم « لا أراها إلا الفأر » ، وكأنه كان يظن ذلك ثم أعلم بأنها ليست هي ، قال ابن قتيبة : إن صح هذا الحديث وإلا فالقردة والخنازير هي المسوخ بأعيانها توالت . قلت : الحديث صحيح ، وسيأتي مزيد لذلك في أواخر أحاديث الأنبياء . الثامن حديث عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للوزغ فويسق ولم أسمعه أمر بقتله » هو قول عائشة رضي الله عنها ، قال ابن التين : هذا لاحجة فيه ، لأنه لا يلزم من عدم سماعها عدم الوقوع . وقد حفظ غيرها كما ترى . قلت : قد جاء عن عائشة من وجه آخر عند أحمد وابن ماجه أنه كان في بيتها رمح موضوع ، فسئلت فقالت : نقتل به الوزغ ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم لما ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه النار ، إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها انتهى . والذي في الصحيح أصح ، ولعل عائشة سمعت ذلك من بعض الصحابة ، وأطلقت لفظ أخبرنا مجازاً أي أخبر الصحابة ، كما قال ثابت البناني « خطبنا عمران » وأراد أنه خطب أهل البصرة ، فإنه لم يسمع منه ، والله أعلم .

قوله (وزعم سعد بن أبي وقاص) قائل ذلك يحتمل أن يكون عروة فيكون متصلاً فإنه سمع من سعد ، ويحتمل أن تكون عائشة فيكون من رواية القرين عن قرينه ، ويحتمل أن يكون من قول الزهري فيكون منقطعاً ، وهذا الاحتمال الأخير أرجح فإن الدارقطني أخرجه في « الغرائب » من طريق ابن وهب عن يونس ومالك معاً عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للوزغ فويسق » وعن ابن شهاب عن سعد بن أبي وقاص « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ » وقد أخرج مسلم والنسائي وابن ماجه وابن حبان حديث عائشة من طريق ابن وهب ، وليس عندهم حديث سعد ، وقد أخرج مسلم وأبو داود وأحمد وابن حبان من طريق معمر عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقاً » وكان الزهري وصله لمعمر وأرسله ليونس ، ولم أر من نبه على ذلك من الشراح ولا من أصحاب الأطراف فله الحمد . التاسع حديث أم شريك « أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الأوزاغ هكذا أورده مختصراً وسيأتي بآتم من هذا في قصة إبراهيم من أحاديث الأنبياء ، وقد تقدم في الذي قبله حديث عائشة بآتم منه ، وأم شريك اسمها غزية بالمعجمتين مصغر ، وقيل غزيلة ، يقال هي

عامرية قرشية ، ويقال أنصارية ويقال روسية . العاشر حديث عائشة في قتل ذى الطفتين والأبتر ، أورده بإسنادين إليها في كل واحد منهما ، وأورده بعده حديث ابن عمر في ذلك عن أبي لبابة من وجهين ، وقد تقدم من وجه آخر في أول الباب .

قوله في أول طريق حديث عائشة (تابعه حماد بن سلمة) يريد أن حماداً تابع أبا أسامة في روايته إياه عن هشام ، واسم أبي أسامة أيضاً حماد ، ورواية حماد بن سلمة وصلها أحمد عن عفان عنه .
قوله (عن أبي يونس القشيري) هو حاتم بن أبي صغيرة ، وهو بصرى ومن دونه ، وأما من فوقه فلدنى .

قوله (أن ابن عمر كان يقتل الحيات ثم نهى) هو بفتح النون ، وفاعل نهى هو ابن عمر ، وقد بين بعد ذلك سبب نهيه عن ذلك . وكان ابن عمر أولاً يأخذ بعموم أمره صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات . وقد أخرج أبو داود من حديث عائشة مرفوعاً « اقتلوا الحيات ، فمن تركهن مخافة تأرهن فليس منى » .

قوله (أن النبي صلى الله عليه وسلم هدم حائطاً له فوجد فيه سلخ حية) هو بكسر السين المهملة وسكون اللام بعدها معجمة وهو جلدها ، كذا وقع هنا مرفوعاً ، وأخرجه مسلم من وجه آخر موقوفاً فأخرج من طريق الليث عن نافع « أن أبا لبابة كلم ابن عمر ليفتح له باباً في داره يستقرب بها إلى المسجد ، فوجد الغلمان جلد جان . فقال ابن عمر : التمسوه فأقتلوه ، فقال أبو لبابة : لا تقتلوه » ومن طريق يحيى بن سعيد وعمر ابن نافع عن نافع نحوه . ويحتمل أن تكون القصة وقعت مرتين . ويدل لذلك قول ابن عمر في هذه الرواية « وكنت أقتلها لذلك » وهو القاتل « فلقيت أبا لبابة » .

قوله (لا تقتلوا الجنان إلا كل ذى طفتين) إن كان الاستثناء متصلاً ففيه تعقب على من زعم أن ذا الطفتين والأبتر ليس من الجنان ، ويحتمل أن يكون منقطعاً ، أى لكن كل ذى طفتين فاقتلوه . والجنان بكسر الجيم وتشديد النون جمع جان وهي الحية الصغيرة ، وقيل الرقيقة الخفيفة ، وقيل الدقيقة البيضاء ، الحادى عشر حديث عائشة وابن عمر في الخمس التي لا جناح على المحرم في قتلهن ، وقع في حديث عائشة « الحديا » وفي حديث ابن عمر « الحداة » والحديا بصيغة التصغير ، وقد أنكر ثابت في الدلائل هذه الصيغة وقال الصواب الحدياه أو الحدية أى بهمة وزياة هاء أو بالتشديد بغير همز ، قال : والصواب أن الحدياه ليس من هذا ، وإنما هو من التحدى يقولون : فلان يتحدى فلاناً أى ينازعه ويغاله . وعن ابن أبي حاتم : أهل الحجاز يقولون لهذا الطائر الحديا ويجمعونه الجدادى ، وكلاهما خطأ ، وأما الأزهرى فصوبه وقال : الحدياه تصغير الحدى . وقد تقدم شرح الحديث مستوفى في كتاب الحج .

ب

إذا وَقَعَ الذبابُ في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داءٌ وفي الأخرى شفاءً ، وخمسٌ من الدوابِّ فواسقٌ يقتلن في الحرم .

٣٢٠٢ - نا مسدد قال نا يزيد بن زريع قال نا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة عن

النبي صلى الله عليه قال: «خمس فواسق يقتلن في الحرم: الفأرة والعقرب والحديا والغراب والكلب العقور».

[٣٣١٥] ٣٢٠٣ - نا عبد الله بن مسلمة قال نا مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه قال: «خمس من الدواب من قتلهن وهو محرم فلا جناح عليه: العقرب والفأرة والكلب العقور والغراب والحداة».

[٣٣١٦] ٣٢٠٤ - نا مسدد قال نا حماد بن زيد قال نا كثير عن عطاء عن جابر بن عبد الله رفعه قال: «خمروا الآنية، وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، واكفتوا صبيانكم عند المساء، فإن للجن انتشاراً وخطفة، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد فإن الفويسقة ربما اجتريت الفتيلة فأحرقت أهل البيت».

قال ابن جريج وحبيب عن عطاء: فإن للشياطين.

[٣٣١٧] ٣٢٠٥ - نا عبدة بن عبد الله قال أخبرني يحيى بن آدم عن إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه في غار، فنزلت ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ فَإِنَّا لَنَتَلَقَاهَا مِنْ فِيهِ إِذْ خَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ جَحْرِهَا، فَاِبْتَدَرْنَاهَا لَنَقْتَلَهَا، فَمَسَقْنَاهَا فَدَخَلَتْ جَحْرَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «وَقَيْتُ شَرْكُمُ كَمَا وَقَيْتُمْ شَرْهَا».

وعن إسرائيل عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله. مثله. قال: وإنا لنتلقاها من فيه رطبة.

وتابعه أبو عوانة عن مغيرة. وقال حفص وأبومعاوية وسليمان بن قرم عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله.

[٣٣١٨] ٣٢٠٦ - نا نصر بن علي قال نا عبد الأعلى قال نا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض».

ونا عبيد الله عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه مثله.

[٣٣١٩] ٣٢٠٧ - نا إسماعيل قال نا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله

صلى الله عليه قال : « نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة ، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ، ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار ، فأوحى الله إليه : فهلا نملة واحدة ؟ » .

(نفيه) : وقع في رواية السرخسي هنا « باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه » ولا معنى لذكره هنا ، ووقع عنده أيضاً « باب خمس من اللواب فواسق » وسقط من رواية غيره وهو أولى . الثاني عشر حديث جابر .

قوله (حدثنا كثير) هو ابن شنظير — بكسر المعجمة وسكون النون بعدها ظاء معجمة — بصرى قد قال فيه ابن معين : ليس بشيء ، قال الحاكم : مراده بذلك أنه ليس له من الحديث ما يشتغل به . وقد قال فيه ابن معين مرة : صالح ، وكذا قال أحمد : وقال ابن عدى : أرجو أن تكرن أحاديثه مستقيمة . قلت وما له في البخارى سوى هذا الحديث ، قد توبع عليه كما تراه في آخر الحديث ، وآخر في السلام على المصلى ، وله متابع عند مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر .

قوله (رفعه) كذا هنا ، ووقع عند الإسماعيلي من وجهين عن حماد بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله (لمروا الآنية) أى غطوها . ومضى في الرواية التى في صفة إبليس « وحر إناءك واذكر اسم الله ولو أن تعرض عليه شيئاً » وهو بضم الراء وبكسرهما وسيأتى مزيد لذلك فى الأشربة .

قوله (وأوكنوا) بكسر الكاف بعدها همزة أى اربطوها وشدوها ، والوكاء اسم ما يسد به فم القربة . قوله (وأجيفوا) بالجيم والفاء أى أغلقوها تقول : أجفت الباب إذا أغلقته . وقال القزاز : تقول جفأت الباب أغلقته . قال ابن التين : لم أر من ذكره هكذا غيره ، وفيه نظر فإن أجيفوا لامة فاء ، وجفأت لامة همزة . زاد فى الرواية الماضية « وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً » . قوله (وأكفوا) بهمزة وصل وكسر الفاء ويجوز ضمها بعدها مثناة أى ضمهم إليكم ، والمعنى امنعهم من الحركة فى ذلك الوقت .

قوله (عند المساء) فى الرواية المتقدمة فى هذا الباب « إذا جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم » . قوله (فإن للجن انتشاراً وخطفة) بفتح الحاء المعجمة والطاء المهملة والفاء ، فى الرواية الماضية « فإن الشياطين تنتشر حينئذ وإذا ذهب ساعة من الليل » وفى رواية الكشميهنى « فإذا ذهب » وكأنه ذكره باعتبار الوقت .

قوله (فإن الفويسقة) هى الفأرة قد تقدم فى تفسير ذلك فى الحج .

قوله (اجترت) بالجيم وتشديد الراء ، فى رواية الإسماعيلي « ربما جرت » وسيأتى فى الاستئذان حديث ابن عمر مرفوعاً « لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تناموا » قال النووى هذا عام يدخل فيه نار السراج وغيره ، وأما القناديل المعلقة فإن خيف بسببها حريق دخلت فى ذلك ، وإن حصل الأمن منها كما هو الغالب

فلا بأس بها لانتفاء العلة . وقال القرطبي : جميع أوامر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة ، ويحتمل أن تكون للندب ، ولا سيما في حق من يفعل ذلك بنية امتثال الأمر . وقال ابن العربي : ظن قوم أن الأمر بغلق الأبواب عام في الأوقات كلها ، وليس كذلك وإنما هو مقيد بالليل ؛ وكأن اختصاص الليل بذلك لأن النهار غالباً محل التيقظ بخلاف الليل ، والأصل في جميع ذلك يرجع إلى الشيطان فإنه هو الذي يسوق الفأرة إلى حرق الدار .

قوله (قال ابن جريج وحبيب عن عطاء فإن للشياطين) يعني أن ابن جريج وحبيباً - وهو المعلم - روى هذا الحديث عن عطاء عن عائشة كما رواه كثير بن شنظير ، إلا أنهما قالوا في روايتهما « فإن للشيطان » بدل قول كثير في روايته « فإن للجن » ورواية ابن جريج قد تقدمت موصولة في أوائل هذا الباب ، ورواية حبيب وصلها أحمد وأبو يعلى من طريق حماد بن سلمة عن حبيب المذكور . الحديث الثالث عشر حديث ابن مسعود في قصة الحية .

قوله (وعن إسرائيل عن الأعمش) يعني أن يحيى بن آدم رواه عن إسرائيل عن شيخين أفردهما ، ولم يختلف عليه في أنه من رواية إبراهيم وهو النخعي عن علقمة .

قوله (رطبة) أي غضة طرية في أول ما تلاها ووصفت هي بالرطوبة ، والمراد بالرطوبة رطوبة فيه أي أنهم أخذوها عنه قبل أن يجف ريقه من تلاوتها ، ويحتمل أن يكون وصفها بالرطوبة لسهولة تناولها ، والأول أشبه . وقوله « وقيت شركم ووقيت شرها » أي قتلتم إياها هو شر بالنسبة إليها وإن كان خيراً بالنسبة إليهم ، وفيه جواز قتل الحية في الحرم ، وجواز قتلها في حجرها ، والجحر بضم الجيم وسكون المهملة معروف . الحديث الرابع عشر والخامس عشر حديث ابن عمر وأبي هريرة معاً ، وهو من طريق عبيد الله بالتصغير وهو ابن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر وعن سعيد المقبري عن أبي هريرة ، والقائل « قال » و « حدثنا » عبيد الله هو ابن عبد الأعلى المذكور في الإسناد المذكور وهو ابن عبد الأعلى البصري .

قوله (وتابعه أبو عوانة عن مغيرة) أي عن إبراهيم ، وطريق أبي عوانة ستأتي في تفسير « المرسلات » .

قوله (وقال حفص) هو ابن غياث (وأبو معاوية وسليمان بن قزم عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله) يعني أن هؤلاء الثلاثة خالفوا إسرائيل فجعلوا « الأسود » بدل علقمة . ورواية حفص وصلها المؤلف في الحج ، وأما رواية أبي معاوية فأخرجها أحمد عنه وهي عند مسلم ، وأما رواية سليمان بن قزم فلم أقف عليها موصولة .

قوله (دخلت امرأة) لم أقف على اسمها ، ووقع في رواية أنها حميرية ، وفي أخرى أنها من بني إسرائيل ، وكذا لمسلم ، ولا تضاد بينهما لأن طائفة من حمير كانوا قد دخلوا في اليهودية فنسبت إلى دينها تارة وإلى قبيلتها أخرى ، وقد وقع ما يدل على ذلك في « كتاب البعث للبيهقي » وأبداه عياض احتمالاً ، وأغرب النووي فأنكره .

قوله (في هرة) أي بسبب هرة . ووقع في رواية همام عن أبي هريرة عند مسلم من جرّاء هرة وهو

بمعناه ، وجرا بفتح الجيم وتشديد الراء مقصور ويجوز فيه المد ، والهرة أنثى السنور والهز الذكر ، ويجمع الهز على هرة كهمرد وقردة وتجمع الهرة على هزر كقربة وقرب . ووقع في حديث جابر الماضي في الكسوف « وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تعذب في هرة لها » الحديث .

قوله (من خشاش الأرض) بفتح المعجمة ويجوز ضمها وكسرها وبمعجمتين بينهما ألف الأولى خفيفة ، والمراد هوام الأرض وحشراتنا من فأرة ونحوها ، وحكى النووى أنه روى بالحاء المهملة ، والمراد نبات الأرض ، قال : وهو ضعيف أو غلط ، وظاهر هذا الحديث أن المرأة عذبت بسبب قتل هذه الهرة بالحبس ، قال عياض : يحتمل أن تكون المرأة كافرة فعذبت بالنار حقيقة ، أو بالحساب لأن من نوقش الحساب عذب . ثم يحتمل أن تكون المرأة كافرة فعذبت بكفرها وزيدت عذاباً بسبب ذلك ، أو مسلمة وعذبت بسبب ذلك . قال النووى : الذى يظهر أنها كانت مسلمة وإنما دخلت النار بهذه المعصية ، كذا قال ، ويؤيد كونها كافرة ما أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » من حديث عائشة وفيه قصة لها مع أبي هريرة ، وهو بتامه عند أحمد ، وفيه جواز اتخاذ الهرة ورباطها إذا لم يهمل إطعامها وسقيها ، ويلتحق بذلك غير الهرة في معناها ، وأن الهز لا يملك ، وإنما يجب إطعامه على من حبسه ، كذا قال القرطبي ، وليس في الحديث دلالة على ذلك . وفيه وجوب نفقة الحيوان على مالكة ، كذا قال النووى ، وفيه نظر لأنه ليس في الخبر أنها كانت في ملكها ، لكن في قوله « هرة لها » كما هي رواية همام ما يقرب من ذلك . الحديث السادس عشر حديث أبي هريرة .

قوله (حدثنا إسماعيل) هو ابن أبي أويس .

قوله (نزل نبي من الأنبياء) قيل هو العزيز ، وروى الحكيم الترمذى في « النوادر » أنه موسى عليه السلام ، وبذلك جزم الكلاباذى في « معاني الأخبار » والقرطبي في التفسير .

قوله (فللدغته) بالدال المهملة والغين المعجمة أى قرصته ، وليس هو بالدال المعجمة والعين المهملة فإن ذلك معناه الإحراق .

قوله (فأمر بجهازه) بفتح الجيم ويجوز كسرها بعدها زاي أى متاعه .

قوله (ثم أمر بيئها فأحرق) أى بيت النمل ، وفي رواية الزهرى الماضية في الجهاد فأمر بقرية النمل فأحرق ، وقرية النمل موضع اجتماعهن ، والعرب تفرق في الأوطان فيقولون لمسكن الإنسان وطن ، ولمسكن الإبل عطن . وللأسد عرين وغابة ، وللظبي كناس ، وللضب وجار ، وللطائر عش ، وللزبور كور ، ولليربوع نافق ، وللنمل قرية .

قوله (فهلا نملة واحدة) يجوز فيه النصب على تقدير عامل مخوف تقديره فهلا أحرق نملة واحدة وهى التى آذنتك بخلاف غيرها فلم يصدر منها جناية . واستدل بهذا الحديث على جواز إحراق الحيوان المؤذى بالنار من جهة أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت في شرعنا ما يرفعه ولا سيما إن ورد على لسان الشارع ما يشعر باستحسان ذلك ، لكن ورد في شرعنا النهى عن التعذيب بالنار ، قال النووى : هذا الحديث محمول على أنه كان جائزاً في شرع ذلك النبي جواز قتل النمل وجواز التعذيب بالنار ، فإنه لم يقع عليه العتب في

أصل القتل ولا في الإحراق بل في الزيادة على النملة الواحدة ، وأما في شرعنا فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار إلا في القصاص بشرطه ، وكذا لا يجوز عندنا قتل النمل لحديث ابن عباس في السنن « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النملة والنحلة » انتهى ، وقد قيد غيره كالخطابي النهى عن قتله من النمل بالسلياني ، وقال البغوي : النمل الصغير الذي يقال له الذر يجوز قتله ، ونقله صاحب « الاستقصاء » عن الصيمري وبه جزم الخطابي . وفي قوله أن القتل والإحراق كان جائزاً في شرع ذلك النبي نظر ، لأنه لو كان كذلك لم يعاتب أصلاً ورأساً إذا ثبت أن الأذى طبعه . وقال عياض : في هذا الحديث دلالة على جواز قتل كل مؤذ . ويقال إن لهذه القصة سبباً ، وهو أن هذا النبي مر على قرية أهلكها الله تعالى بذنوب أهلها فوقف متعجباً فقال : يارب قد كان فيهم صبيان ودواب ومن لم يقترف ذنباً ، ثم نزل تحت شجرة فجرت له هذه القصة ، فنبهه الله جل وعلا على أن الجنس المؤذى يقتل وإن لم يؤذ ، وتقتل أولاده وإن لم تبلغ الأذى انتهى . وهذا هو الظاهر وإن ثبتت هذه القصة تعين المصير إليه . والحاصل أنه لم يعاتب إنكاراً لما فعل بل جواباً له وإيضاحاً لحكمة شمول الهلاك لجميع أهل تلك القرية ، فضرب له المثل بذلك أي إذا اختلط من يستحق الإهلاك بغيره وتعين إهلاك الجميع طريقاً إلى إهلاك المستحق جاز إهلاك الجميع ، ولهذا نظائر كترس الكفار بالمسلمين وغير ذلك والله سبحانه أعلم . وقال الكرمانى النمل غير مكلف فكيف أشير في الحديث إلى أنه لو أحرقت نملة واحدة جاز مع أن القصاص إنما يكون بالمثل لقوله تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ ثم أجاب بتجويز أن التحريق كان جائزاً عنده ، ثم قال يرد على قولنا كان جائزاً لو كان كذلك لما ذم عليه . وأجاب بأنه قد يذم الرفيع القدر على خلاف الأولى انتهى . والتعبير بالذم في هذا لا يليق بمقام النبي فينبغي أن يعبر بالعتاب . وقال القرطبي : ظاهر هذا الحديث أن هذا النبي إنما عاتبه الله حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمع آذاه منه واحد ، وكان الأولى به الصبر والصفح ، وكأنه وقع له أن هذا النوع مؤذ لبني آدم وحرمة بني آدم أعظم من حرمة الحيوان ، فلما انفرد هذا النظر ولم ينضم إليه التشفي لم يعاتب . قال : والذي يؤيد هذا التمسك بأصل عصمة الأنبياء وأنهم أعلم بالله وبأحكامه من غيرهم وأشدهم له خشية انتهى .

(تكملة) : النملة واحدة النمل وجمع الجمع نمل . والنمل أعظم الحيوانات حيلة في طلب الرزق . ومن عجيب أمره أنه إذا وجد شيئاً ولو قل أنذر الباقيين ، ويحتكر في زمن الصيف للشتاء ، وإذا خاف العفن على الحب أخرجته إلى ظاهر الأرض وإذا حفر مكانه اتخذها تعاريج لئلا يجرى إليها ماء المطر ، وليس في الحيوان ما يحمل أثقل منه غيره ، والذر في النمل كالزنبور في النحل .

قوله (أمة من الأمم مسبحة) استدل به على أن الحيوان يسبح الله تعالى حقيقة ، ويتأيد به قول من حمل قوله ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ على الحقيقة . وتعقب بأن ذلك لا يمنع الحمل على المجاز بأن يكون سبباً للتسبيح .

ب

إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء.

[٣٣٢٠] ٣٢٠٨ - نا خالد بن مخلد قال نا سليمان بن بلال قال ني عتبة بن مسلم قال أخبرني عبيد بن حنين قال سمعت أبا هريرة يقول: قال النبي صلى الله عليه: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء».

[الحديث ٣٣٢٠ - طرفه في: ٥٧٨٢].

[٣٣٢١] ٣٢٠٩ - نا الحسن بن صباح قال نا إسحاق الأزرق قال نا عوف عن الحسن وابن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه قال: «غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث، قال: كاد يقتله العطش - فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك».

[الحديث ٣٣٢١ - طرفه في: ٣٤٦٧].

[٣٣٢٢] ٣٢١٠ - نا علي بن عبد الله قال نا سفيان قال حفظته من الزهري كما أنك هاهنا، قال أخبرني عبيد الله عن ابن عباس عن أبي طلحة عن النبي صلى الله عليه قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة».

[٣٣٢٣] ٣٢١١ - نا عبد الله بن يوسف قال أنا مالك عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه أمر بقتل الكلاب.

[٣٣٢٤] ٣٢١٢ - نا موسى بن إسماعيل قال نا همام عن يحيى قال ني أبو سلمة أن أبا هريرة حدثه قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «من أمسك كلباً ينقص من عمله كل يوم قيراط، إلا كلب حرث أو كلب ماشية».

[٣٣٢٥] ٣٢١٣ - نا عبد الله بن مسلمة قال نا سليمان قال أخبرني يزيد بن خصيفة قال أخبرني السائب بن يزيد سمع سفيان بن أبي زهير الشنوي أنه سمع النبي صلى الله عليه يقول: «من اقتنى كلباً لا يغني عنه زرعاً ولا ضرعاً نقص من عمله كل يوم قيراط». فقال السائب: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه؟ قال: إي ورب هذه القبلة.

الحديث السابع عشر حديث أبي هريرة في الذباب إذا وقع في الإناء ، وسيأتي شرحه في كتاب الطب .

(تنبيه) : وقع قبل هذا الحديث في رواية أبي ذر عن بعض شيوخه « باب إذا وقع الذباب » ومما يلفظ الحديث ، وحذف عند الباقيين وهو أولى فإن الأحاديث التي بعده لا تعلق لها بذلك كما تقدم نظيره .
الحديث الثامن عشر حديث أبي هريرة في المرأة التي سقت الكلب . وسيأتي شرحه في أواخر أحاديث الأنبياء في ترجمة عيسى بن مريم .
الحديث التاسع عشر حديث أبي طلحة في الصررة ، وسيأتي شرحه في كتاب اللباس .
الحديث العشرون حديث ابن عمر قال « أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب » ، وسيأتي شرحه في كتاب الصيد .
الحديث الحادي والعشرون حديث أبي هريرة « من أمسك كلباً ينقص من عماله » وقد تقدم شرحه في المزارعة .
الحديث الثاني والعشرون حديث سفيان بن أبي زهير في المعنى ، وسبق شرحه هناك أيضاً .

(خاتمة) : اشتمل كتاب بدء الخلق من الأحاديث المرفوعة على مائة وستين حديثاً ، المعلق منها اثنان وعشرون طريقاً والبقية موصولة ، المكرر منها فيه وفيما مضى ثلاثة وتسعون حديثاً والخالص سبعة وستون حديثاً ، وافقه مسلم على تخريجها سوى حديث عمران بن حصين في بدء الخلق ، وحديث عمر فيه ، وحديث أبي هريرة « تكور الشمس والقمر » وحديث ابن عباس في زيارة جبريل ، وحديث ابن عمر في الكلب ، وحديث يعلى بن أمية « ونادوا يا مال » وحديث ابن مسعود في رؤية جبريل ، وحديث عائشة في حديث عمران « اطلعت في الجنة » وحديث سهل في درجات الجنة ، وحديث أنس « في الجنة شجرة » وحديث أبي هريرة فيه ، وحديث ابن عباس في الحمى ، وحديث عائشة في قتل والد حذيفة ، وحديث أبي هريرة « إذا وقع الذباب في الإناء » وفيه عن الصحابة ومن بعدهم أربعون أثراً . والله جل وعلا أعلم .

ب

خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتَهُ

﴿صَلَّالٌ﴾ : طِينٌ خَلَطَ بِرَمْلٍ ، فَصَلَّصَ كَمَا يُصَلَّصُ الْفَخَّارُ ، وَيُقَالُ : مَنْتَنٌ يَرِيدُونَ بِهِ صَلًّا ، كَمَا تَقُولُ : صَرََّ الْبَابُ وَصَرَّصَ عِنْدَ الْإِغْلَاقِ ، مِثْلُ : كُبِكَبْتَهُ يَعْنِي : كَبَبْتُهُ . ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ : اسْتَمَرَّ بِهَا الْحَمْلُ فَأَتَمَّتْهُ . ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ : أَنْ تَسْجُدَ . وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ : إِلَّا عَلَيْهَا . ﴿فِي كَبَدٍ﴾ : فِي شِدَّةٍ خَلَقَ . ﴿وَرِيشًا﴾ : الْمَالُ . وَقَالَ غَيْرُهُ : الرِّيشُ وَالرِّيشُ وَاحِدٌ وَهُوَ مَا ظَهَرَ مِنَ اللِّبَاسِ . ﴿مَا تُمْنُونَ﴾ : النُّطْفَةُ فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ : النُّطْفَةُ فِي الْإِحْلِيلِ . كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فَهُوَ شَفَعٌ ، السَّمَاءُ شَفَعٌ . ﴿وَالْوَتْرُ﴾ : اللَّهُ . ﴿تَقْوِيمٌ﴾ : فِي أَحْسَنِ خَلْقٍ . ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ : إِلَّا مِنْ آمَنَ . ﴿خُسْرٍ﴾ : ضَلَالٍ ، ثُمَّ اسْتَشْنَى فَقَالَ : إِلَّا مِنْ آمَنَ . ﴿لَا زَبٍ﴾ : لَا زَمَ . ﴿نُنَشِّكُكُمْ﴾ : فِي أَيِّ خَلْقٍ نَشَاءُ . ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ : نُعَظِّمُكَ . وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ﴾ : هُوَ قَوْلُهُ : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ . وَقَالَ : ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ : اسْتَزَلَّهُمَا . ﴿يَتَسَنَّهُ﴾ : يَتَغَيَّرُ . الْمُسْنُونُ : الْمَتَغَيَّرُ . ﴿حَمَاءٌ﴾ : جَمْعُ حَمَاءَةٍ وَهُوَ الطِّينُ الْمَتَغَيَّرُ . ﴿يَخْصِفَانِ﴾ : أَخْجَذُ الْخَصَافِ ، ﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ : يُؤَلَّفَانِ الْوَرَقَ يَخْصِفَانِ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ . ﴿سَوَاءُ تَهُمَا﴾ : كُنَايَةٌ عَنْ فَرْجِيهِمَا . ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ : هَاهُنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الْحِينُ عِنْدَ الْعَرَبِ : مِنْ سَاعَةٍ إِلَى مَا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ . ﴿قَبِيلُهُ﴾ : جِيلُهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُمْ .

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب أحاديث الأنبياء) كذا في رواية كريمة في بعض النسخ ، وفي رواية أبي علي بن شبيب نحوه ، وقدم الآية الآتية في الترجمة على الباب ، ووقع في ذكر عدد الأنبياء حديث أبي ذر مرفوعاً « أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر » صححه ابن حبان . والأنبياء جمع نبي ، وقد قرئ بالهمز فقل هو الأصل وتركه تسهيل ، وقيل الذي بالهمز من الأنبياء والذي بغير همز من النبوة وهي الرفعة ، والنبوة نعمة بمن بها على من يشاء ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كشفه ولا يستحقها باستعداد ولايته ، ومعناها الحقيقي شرعاً من حصلت له النبوة . وليست راجعة إلى جسم النبي ولا إلى عرض من أعراضه ، بل ولا إلى علمه بكونه نبياً ، بل المرجع إلى إعلام الله له بأن نبأتك أو جعلتك نبياً . وعلى هذا فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة .

قوله (باب خلق آدم وذريته) ذكر المصنف آثاراً ، ثم أحاديث تتعلق بذلك ، ومما لم يذكره ما رواه الترمذى والنسائى والبزار وصححه ابن حبان من طريق سعيد المقبرى وغيره عن أبى هريرة مرفوعاً « إن الله خلق آدم من تراب فجعله طيناً ثم تركه ، حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره ثم تركه ، حتى إذا كان صالصالاً كالفخار كان إبليس يمر به فيقول : لقد خلقت لأمر عظيم ؛ ثم نفخ الله فيه من روحه . وكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه ، فعطس فقال : الحمد لله ، فقال الله : يرحمك ربك » الحديث . وفى الباب عدة أحاديث : منها حديث أبى موسى مرفوعاً « أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض » الحديث أخرجه أبو داود والترمذى وصححه ابن حبان . ومنها حديث أنس رفعه « لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه ، فجعل إبليس يطيف به ؛ فلما رآه أجوف عرف أنه لا يئالك » رواه أحمد ومسلم . وآدم اسم سريانى وهو عند أهل الكتاب آدام بإشباع فتحة الدال بوزن خانام وزنة فاعال ، وامتنع صرفه للعجمة والعلمية . وقال الثعلبى التراب بالعبرانية آدام فسمى آدم به ، وحذفت الألف الثانية ، وقيل هو عربى جزم به الجوهري والجوالقي . وقيل هو بوزن أفعل من الأدمة وقيل من الأديم لأنه خلق من أديم الأرض وهذا عن ابن عباس ، ووجهه بأنه يكون كأعين ومنع الصرف للوزن والعلمية ، وقيل هو من أدمت بين الشيتين إذا خلطت بينهما لأنه كان ماء وطيناً فخلطاً جميعاً .

قوله (صلصال : طين خلط يرسل فصلصل كما يصلصل الفخار) هو تفسير الفراء ، هكذا ذكره وقال أبو عبيدة : الصلصال اليابس الذى لم تصبه نار ، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة ، فإذا طبخ بالنار فهو فخار . وكل شيء له صوت فهو صلصال . وروى الطبرى عن قتادة بإسناده صحيح نحوه .

قوله (ويقال منتن يريدون به صل كما يقولون صر الباب وصرصر عند الإغلاق ، مثل كبكبه يعنى كببته) أما تفسيره بالمنتن فرواه الطبرى عن مجاهد ، وروى عن ابن عباس أن المنتن تفسيره المسنون ، وأما بقيته فكأنه من كلام المصنف .

قوله (فرت به استمر بها الحمل فأتته) هو قول أبى عبيدة .

قوله (أن لا تسجد : أن تسجد) يعنى أن « لا » زائدة ، وأخذه من كلام أبى عبيدة ، وكذا قاله وزاد « لا » من حروف الزوائد كما قال الشاعر :

وتلحينى فى اللهو أن لا أحبه وللهو داع دائب غير غافل

وقيل ليست زائدة ، بل فيه حذف تقديره مامنعك من السجود فحملك على أن لا تسجد ؟

قوله (وقول الله عز وجل : وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة) كذا وقع هنا ، ووقع فى رواية أبى على بن شبيه فى صدر الترجمة وهو أولى ومثله للنسبى ، ولبعضهم هنا «باب» والمراد بالخليفة آدم أسنده الطبرى من طريق ابن سابط مرفوعاً قال : والأرض مكة ، وذكر الطبرى أن مقتضى ما نقله السدى عن مشايخه أنه خليفة الله فى الأرض ، ومن وجه آخر أنهم يعنون بنى آدم يخلف بعضهم بعضاً ، ومن ثم قالت الملائكة « أنجعل فيها من يفسد فيها » الآية ، وحكى الماوردى قولين آخرين أنه خليفة الملائكة

أو خليفة الجن وكل منهما بناء على أنه كان في الأرض من سكنها قبل آدم ، وذكر الطبري قال : زعم أبر عبيدة أن « إذ » في قوله ﴿ وإذ قال ربك ﴾ صلة ، ورد عليه فقال القرطبي : أن جميع المفسرين ردوه حتى قال الزجاج أنها جرأة من أبي عبيدة .

قوله (لما عليها حافظ إلا عليها حافظ) وصله ابن أبي حاتم وزاد إلا عليها حافظ من الملائكة ، وقال أبو عبيدة في قوله ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ ما زائدة .

قوله (في كبد : في شدة خلق) هو قول ابن عباس أيضاً ، رويناه في تفسير ابن عينة بإسناد صحيح ، وزاد في آخره « ثم ذكر مولده ونبات أسنانه » وأخرجه الحاكم في « المستدرک » وقال أبو عبيدة الكبد الشدة ، قال ليبد :

يا عين هلا بكيت أربد إذ قنا وقام الحصوم في كبد

قوله (ورياشاً : المال) هو قول ابن عباس أيضاً ، وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه .

قوله (وقال غيره الرياش والريش واحد ، وهو ما ظهر من اللباس) هو قول أبي عبيدة ، وزاد : تقول أعطاني ريشه أي كسوته ، قال : والرياش أيضاً المعاش .

قوله (ما تمنون : النطفة في أرحام النساء) هو قول الفراء قال : يقال أمني ومنى ، والأول أكثر وقوله « تمنون » يعني النطف إذا قذفت في أرحام النساء ﴿ أنتم تخلقون ذلك أم نحن ﴾ .

قوله (وقال مجاهد) على رجعه لقادر (النطفة في الأحليل) وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عنه ، وقيل : معناه قادر على رجع النطفة التي في الأحليل إلى الصلب وهو محتمل ، ويعكر على تفسير مجاهد أن بقية الآيات دالة على أن الضمير للإنسان ورجعه يوم القيامة لقوله ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ الخ .

قوله (كل شيء خلقه فهو شفع ، السماء شفع والوتر الله) وهو قول مجاهد أيضاً ، وصله الفريابي والطبري ولفظه « كل خلق الله شفع : السماء والأرض ، والبر والبحر ، والجن والإنس ، والشمس والقمر ونحو هذا شفع ، والوتر الله وحده » وبهذا زال الإشكال ، فإن ظاهر إيراد المصنف في اقتصاره على قوله « السماء » شفع « يعترض عليه بأن السموات سبع والسبع ليس بشفع ، وليس ذلك مراد مجاهد وإنما مراده أن كل شيء له مقابل يقابله ويذكر معه فهو بالنسبة إليه شفع ، كالسما والأرض والإنس والجن الخ ، وروى الطبري عن مجاهد أيضاً قال في قوله تعالى ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ الكفر والإيمان ، والشقاء والسعادة ، والهدى والضلالة ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، والجن والإنس ، والوتر الله . وروى من طريق أبي صالح نحوه . وأخرج عن ابن عباس من طريق صحيحه أنه قال : الوتر يوم عرفة والشفع يوم الذبح ، وفي رواية أيام الذبح . وهذا يناسب ما فسروا به قوله قبل ذلك ﴿ وليال عشر ﴾ أن المراد بها عشر ذى الحجة .

قوله (في أحسن تقويم : في أحسن خلق . أسفل سافلين إلا من آمن) هو تفسير مجاهد أخرجه الفريابي أيضاً .

قوله (خسر : ضلال . ثم استثنى فقال إلا من آمن) هو تفسير مجاهد أخرجه الفريابي أيضاً ، قال

في قوله ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ يعني في ضلال ، ثم استثنى فقال «إلا من آمن» وكأنه ذكره بالمعنى ، وإلا فالتلاوة ﴿إلا الذين آمنوا﴾ .

قوله (لازب : لازم) يريد تفسير قوله تعالى ﴿فاستفتحهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا . إنا خلقناهم من طين لازب﴾ وقد روى الطبري عن مجاهد في قوله ﴿من طين لازب﴾ قال لازق . ومن طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : من التراب والماء يصير طيناً يلزق . وأما تفسيره باللازم فكأنه بالمعنى ، وهو تفسير أبي عبيدة قال : معنى اللازب اللازم ، قال النابغة «ولا يحسبون الشر ضرباً لازب» أي لازم .

قوله (ننشئكم في أي خلق نشاء) كأنه يريد تفسير قوله تعالى ﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ وقوله ﴿في أي خلق نشاء﴾ هو تفسير قوله ﴿فيما لا تعلمون﴾ .

قوله (نسبح بحمدك : نعظمك) هو تفسير مجاهد ، نقله الطبري وغيره عنه .

قوله (وقال أبو العالية فتلقى آدم هو قوله تعالى : ربنا ظلمنا أنفسنا) وصله الطبري بإسناد حسن ، واستشكل بأن ظاهر الآيات أن هذا التلقي كان قبل الهبوط لأن بعده ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ ويمكن الجواب بأن قوله قلنا اهبطوا كان سابقاً للتلقي ، وليس في الآيات صيغة ترتيب .

قوله (وقال فآزلها : استزلها ، ويتسنه : يتغير . آسن : المسنون المتغير . حمأ : جمع حمأة وهو الطين المتغير) كذا وقع عند أبي ذر ، وهو يوهم أنه من كلام أبي العالية ، وليس كذلك بل هي من تفسير أبي عبيدة ، وكأنه كان في الأصل : وقال غيره . ووقع في رواية الأصيل وغيره بحذف «قال» فكان الأمر فيه أشكل . وقوله «فآزلها» أي دعاها إلى الزلة ، وإيراد قوله «يتسنه يتغير» في أثناء قصة آدم ذكر بطريق التبعية للمسنون لأنه قد يقال أنه مشتق منه ، قال الكرمانى هنا بعد أن قال أن تفسير يتسنه وآسن : لعله ذكره بالتبعية لقوله مسنون ، وفي هذا تكثير لحجم الكتاب لا لتكثير الفوائد ، والله أعلم بمقصوده . قلت : وليس من شأن الشارح أن يعترض على الأصل بمثل هذا ، ولا ارتباب في أن إيراد شرح غريب الألفاظ الواردة في القرآن فوائد ، وادعائه نفي تكثير الفائدة مردود ، وهذا الكتاب وإن كان أصل موضوعه إيراد الأحاديث الصحيحة فإن أكثر العلماء فهموا من إيراده أقوال الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار أن مقصوده أن يكون كتابه جامعاً للرواية والدراية ، ومن جملة الدراية شرح غريب الحديث . وجرت عادته أن الحديث إذا وردت فيه لفظة غريبة وقعت أو أصلها أو نظيره في القرآن أن يشرح اللفظة القرآنية فيفيد تفسير القرآن وتفسير الحديث معاً ، ولما لم يجد في بدء الخلق وقصص الأنبياء ونحو ذلك أحاديث توافق شرطه سد مكانها ببيان تفسير الغريب الواقع في القرآن ، فكيف يسوغ نفي الفائدة عنه .

قوله (يخصفان أخذ الخصاص من ورق الجنة يؤلفان الورق ويخصفان بعضه إلى بعض) هو تفسير أبي عبيدة ، وروى الطبري عن مجاهد في قوله ﴿يخصفان﴾ قال : يرقعان كهيئة الثوب ، وتقول العرب خصفت النعل أي خرزتها .

قوله (سواتهما كناية عن فرجهما) هو تفسير أبي عبيدة أيضاً .

قوله (ومتاع إلى حين : الحين عند العرب من ساعة إلى مالا يحصى عدده ، وهو هنا إلى يوم القيامة) قال أبو عبيدة في قوله ومتاع إلى حين : أى إلى وقت يوم القيامة ، ورواه الطبرى من طريق ابن عباس نحوه .

قوله (قبيله : جيله الذى هو منهم) هر تفسير أبى عبيدة أيضاً وروى الطبرى عن مجاهد في قوله (وقبيلة) قال : الجن والشياطين . ثم ذكر المصنف في الباب أحد عشر حديثاً أفرد الأخير منها بباب في بعض النسخ .

[٣٣٢٦] ٣٢١٤ - نا عبد الله بن محمد قال نا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ، قال : اذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك تحتك وتحيّة ذريتك . فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . فزادوه : ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن . »

[الحديث ٣٣٢٦ - طرفه في : ٦٢٢٧] .

[٣٣٢٧] ٣٢١٥ - نا قتيبة بن سعيد قال نا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة ، الألنجوج : عود الطيب ، وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء . »

[٣٣٢٨] ٣٢١٦ - نا مسدد قال نا يحيى عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة أن أم سليم قالت : يا رسول الله ، إن الله لا يستحي من الحق ، فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت ؟ قال : « نعم ، إذا رأت الماء . » فضحكت أم سلمة فقالت : تحتلم المرأة ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه : « فيما يشبه الولد ؟ » .

[٣٣٢٩] ٣٢١٧ - نا ابن سلام قال أنا الفزاري عن حميد عن أنس قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه المدينة ، فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، قال : ما

أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ إِلَى أَخَوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنَفًا جَبْرِيلُ». قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فزِيَادَةُ كَبِدِ حَوْتٍ وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا اسْتَبَقَتْ كَانَ الشَّبَهُ لَهَا». قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بِهِتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِهِتُونِي عِنْدَكَ. فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟» قَالُوا: أَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمْنَا، وَأَخِيرُنَا وَابْنُ أَخِيرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا. وَوَقَعُوا فِيهِ.

[الحديث ٣٣٢٩ - أطرافه في: ٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠].

[٣٣٣٠] ٣٢١٨ - نا بشر بن محمد قال أنا عبد الله قال أنا معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه نحوه، يعني: «لولا بنو إسرائيل لم يخزن اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها».

[٣٣٣١] ٣٢١٩ - نا أبو كريب وموسى بن حزام قالنا نا حسين بن علي عن زائدة عن ميسرة الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء».

[الحديث ٣٣٣١ - طرفاه في: ٥١٨٤، ٥١٨٦].

[٣٣٣٢] ٣٢٢٠ - نا عمر بن حفص قال نا أبي قال نا الأعمش قال نا زيد بن وهب قال نا عبد الله قال نا رسول الله صلى الله عليه وهو الصادق المصدق: «وإن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغه مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا بأربع

كلمات : فيكتب عمله ، ورزقه ، وأجله ، وشقي أو سعيد . ثم ينفخ فيه الروح . فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار .

[٣٣٣٣]

٣٢٢١ - نا أبو النعمان قال نا حماد بن زيد عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه قال : « إن الله وكّل في الرحم ملكاً فيقول : يا رب نطفة ، يا رب علقة ، يا رب مضغة ، فإذا أراد أن يخلقها قال : يا رب أذكر أم أنثى ؟ يا رب أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه . »

[٣٣٣٤]

٣٢٢٢ - نا قيس بن حفص قال نا خالد بن الحارث قال نا شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس يرفعه : « إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً : لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به ؟ قال : نعم . قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي ، فأبيت إلا الشرك . »

[الحديث ٣٣٣٤ - طرفاه في : ٦٥٣٨ ، ٦٥٥٧ .]

[٣٣٣٥]

٣٢٢٣ - نا عمر بن حفص بن غياث قال نا أبي قال نا الأعمش قال نا عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل . »

[الحديث ٣٣٣٥ - طرفاه في : ٦٨٦٧ ، ٧٣٢١ .]

الحديث الأول حديث أبي هريرة « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً » كذا في وقع من هذا الوجه ، وعبد الله الراوى عن معمر هو ابن المبارك ، وقد رواه عبد الرزاق عن معمر فقال « خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً » ، وهذه الرواية تأتي في أول الاستئذان « وقد تقدم الكلام على معنى هذه اللفظة في أثناء كتاب العتق ، وهذه الرواية تؤيد قول من قال أن الضمير لآدم ، والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته بل خلقه الله رجلاً كاملاً سويّاً من أول ما نفخ فيه الروح ، ثم عقب ذلك بقوله « وطوله ستون ذراعاً » فعاد الضمير أيضاً على آدم ، وقيل معنى قوله « على صورته » أى لم يشاركه في خلقه أحد ، إبطالا لقول أهل الطبائع . وخص بالذكر تنبيهاً بالأعلى على الأدنى ، والله أعلم .

قوله (ستون ذراعاً) يحتمل أن يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين ، والأول أظهر

لأن ذراع كل أحد بقدر ربعه فلو كان بالذراع المعهود لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده .
قوله (فلما خلقه قال : اذهب فسلم) سيأتي شرحه في أول الاستئذان .

قوله (فكل من يدخل الجنة على صورة آدم) أى على صفته ، وهذا يدل على أن صفات النقص من سواد وغيره تنتفى عند دخول الجنة ، وقد تقدم بيان ذلك في « باب صفة الجنة » وزاد عبد الرزاق في روايته هنا « وطوله ستون ذراعاً » وإثبات الواو فيه لثلاثتهم أن قوله « طوله » تفسير لقوله « على صورة آدم » وعلى هذا فقوله « وطوله » الخ من الخاص بعد العام ، ووقع عند أحمد من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً « كان طول آدم ستين ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً » وأما ما روى عبد الرزاق من وجه آخر مرفوعاً « أن آدم لما أهبط كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، فحطه الله إلى ستين ذراعاً » فظاهره أنه كان مفرط الطول في ابتداء خلقه ، وظاهر الحديث الصحيح أنه خلق في ابتداء الأمر على طول ستين ذراعاً وهو المعتمد ، وروى ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن أبي بن كعب مرفوعاً « أن الله خلق آدم رجلاً طويلاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق » .

قوله (فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) أى أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذى قبله ، فأنهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك . وقال ابن التين قوله « فلم يزل الخلق ينقص » أى كما يزيد الشخص شيئاً فشيئاً ، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين ، فكذلك هذا الحكم في النقص ، ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديار نمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق ، ولا شك أن عهدهم قديم ، وأن الزمان الذى بينهم وبين آدم دون الزمان الذى بينهم وبين أول هذه الأمة ، ولم يظهر لى إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال . الحديث الثانى حديث أبي هريرة في صفة الجنة وقد تقدم في « باب صفة الجنة » وقوله « الألنجوج » بفتح الهمزة واللام وسكون النون بجيمين الأولى مضرومة والواو ساكنة : هر العود الذى يتبخر به ، ولفظ الألنجوج هنا تفسير الألوة ، والعود تفسير التفسير ، وقوله في آخره « على خلق رجل واحد » هو بفتح أول خلق لا بضمه ، وقوله « ستون ذراعاً في السماء » أى في العلو والارتفاع . الحديث الثالث حديث أم سلمة في سؤالها عن غسل المرأة إذا احتلمت وقد تقدم الكلام عليه في الطهارة ، والغرض منه قوله في آخره « فم يشبه الولد » . الحديث الرابع حديث أنس في قصة إسلام عبد الله بن سلام ، وسيأتى بآتم من هذا السياق في أوائل الهجرة ، والغرض منه بيان سبب الشبه ، وقد علله هنا بالسبق ، وفي حديث ثوبان عند مسلم بالعلو ، وسأذكر وجه الجمع بينهما في المكان المذكور إن شاء الله تعالى . الحديث الخامس حديث أبي هريرة .

قوله (عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه) لم يسبق للمتن المذكور طريق يعود عليها هذا الضمير ، وكأنه يشير به إلى أن اللفظ الذى حدثه به شيخه هو بمعنى اللفظ الذى ساقه ، فكأنه كتب من حفظه وتردد في بعضه ، ويؤيده أنه وقع في نسخة الصغاني بعد قوله « نحوه » يعنى ولم أره من طريق ابن المبارك عن معمر إلا عند المصنف ، وسيأتى عنده في ذكر موسى عليه السلام من رواية عبد الرزاق عن معمر بهذا اللفظ ، إلا أنه زاد في آخره « الدهر » .

قوله (لولا بنو إسرائيل لم يختز اللحم) يختز بفتح أوله وسكون الحاء وكسر النون وبفتحها أيضاً بعدها زاي أى ينتن ، والختز التغير والتن ، قيل أصله أن بنى إسرائيل ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك حكاه القرطبي وذكره غيره عن قتادة . وقال بعضهم : معناه لولا أن بنى إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أنتن لما ادخر فلم ينتن ، وروى أبو نعيم في « الحلية » عن وهب بن منبه قال : في بعض الكتب لولا أنى كتبت الفساد على الطعام لخزنه الأغنياء عن الفقراء .

قوله (ولولا حواء) أى امرأة آدم وهى بالمد ، قيل سميت بذلك لأنها أم كل حى ، وسياق صفة خلقها في الحديث الذى بعده ، وقوله « لم تخن أنثى زوجها » فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزويجها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك ، فعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم ، ولما كانت هى أم بنات آدم أشبهها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول ، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا . ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له ، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها . وقريب من هذا حديث « جحد آدم فجحدت ذريته » وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نساءهم بما وقع من أمهن الكبرى ، وأن ذلك من طبعهن فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور ، وينبغى لمن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن ، والله المستعان . الحديث السادس .

قوله (موسى بن حزام) بكسر المهملة بعدها زاي خفيفة ، وهو ترمذى نزل بلخ ، وثقه النسائي وغيره ، وكان زاهداً عالماً بالسنة ، وماله في البخارى إلا هذا الموضع .

قوله (عن ميسرة) هو ابن عمارة الأشجعي الكوفي ، وماله في البخارى سوى هذا الحديث ، وقد ذكره في النكاح من وجه آخر . وله حديث آخر في تفسير آل عمران .

قوله (استوصوا) قيل معناه تواصلوا بهن ، والباء للتعدية والاستفعال بمعنى الأفعال كالاستجابة بمعنى الإجابة ، وقال الطيبي : السين للطلب وهو للمبالغة أى اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن ، أو اطلبوا الوصية من غيركم بهن كمن يعود مريضاً فيستحب له أن يحثه على الوصية والوصية بالنساء أكد تضعفهن واحتياجهن إلى من يقوم بأمرهن ، وقيل معناه اقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن . قلت : وهذا أوجه الأوجه في نظري ، وليس مخالفاً لما قال الطيبي .

قوله (خلقت من ضلع) بكسر المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها ، قيل فيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر وقيل من ضلعه القصير ، أخرجه ابن إسحق وزاد « اليسرى » من قبل أن يدخل الجنة وجعل مكانه لحم . ومعنى خلقت أى أخرجت كما تخرج النخلة من النواة ، قال القرطبي : يحتمل أن يكون معناه أن المرأة خلقت من مبلغ ضلع فهى كالضلع ، زاد في رواية الأعرج عن أبي هريرة عند مسلم « لن تستقيم لك على طريقة » .

قوله (وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه) قيل فيه إشارة إلى أن أعوج مافي المرأة لسانها ، وفي استعمال أعوج استعمال لأفعل في العيوب وهو شاذ ، وفائدة هذه المقدمة أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فلا ينكر أعوجاجها ، أو الإشارة إلى أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبله .

قوله (فإن ذهبت تقيمه كسرته) قيل هو ضرب مثل للطلاق أى إن أردت منها أن تترك أعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها ، ويؤيده قوله في رواية الأعرج عن أبي هريرة عند مسلم « وإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها » ويستفاد من حديث الباب أن الضلع مذكر خلافاً لمن جزم بأنه مؤنث واحتج برواية مسلم ولا حجة فيه لأن التأنيث في روايته للمرأة ، وقيل إن الضلع يذكر ويؤنث وعلى هذا فاللفظان صحيحان . الحديث السابع حديث عبد الله وهو ابن مسعود « يجمع خلق أحدكم في بطن أمه » الحديث بتمامه ، وسيأتى شرحه في كتاب القدر مستوفى إن شاء الله تعالى ، ومناسبته للترجمة من قوله فيها « ذريته » فإن فيه بيان خلق ذرية آدم . الحديث الثامن حديث أنس في ذلك وسيأتى أيضاً هناك . الحديث التاسع حديث أنس .

قوله (يرفعه) هي لفظة يستعملها المحدثون في موضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك .
قوله (أن الله تعالى يقول لأهون أهل النار عذاباً) يقال هو أبر طالب ، وسيأتى شرحه في أواخر كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى ، ومناسبته للترجمة من قوله « وأنت في صلب آدم » فإن فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ﴾ الآية . الحديث العاشر حديث عبد الله هو ابن مسعود « لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها » وسيأتى شرحه في القصص ، وأورده هنا ليلمح بقصة ابني آدم حيث قتل أحدهما الآخر ، ولم يصح على شرطه شيء من قصتهما ، وفيما قصه الله علينا في القرآن من ذلك كفاية عن غيره . واختلف في اسم القاتل فالمشهور قاييل بوزن المقتول لكن أوله هاء وقيل اسم المقتول « قين » بلفظ الحداد وقيل « قين » بزيادة ألف . وذكر السدي في تفسيره عن مشايخه بأمانيده أن سبب قتل قاييل لأخيه هابيل أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن من ولده بأنثى الآخر ، وأن أخت قاييل كانت أحسن من أخت هابيل فأراد قاييل أن يستأثر بأخته فمنعه آدم ، فلما ألح عليه أمرهما أن يقربا قرباناً فقرب قاييل حزمة من زرع وكان صاحب زرع ، وقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب مواش ، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل دون قاييل ، وكان ذلك سبب الشر بينهما وهذا هو المشهور . ونقل الثعلبي بسند واه عن جعفر الصادق أنه أنكر أن يكون آدم زوج ابنا له بابتة له وإنما زوج قاييل جنية . وزوج هابيل حورية فغضب قاييل فقال : يا بني ما فعلته إلا بأمر الله ، فقربا قرباناً . وهذا لا يثبت عن جابر ولا عن غيره ، ويلزم منه أن بنى آدم من ذرية إبليس لأنه أبو الجن كلهم أو من ذرية الحور العين . وليس لذلك أصل ولا شاهد .

ب

الأرواح جنود مجنّدة

[٣٣٣٦]

٣٢٢٤- قال وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت سمعت النبي صلى الله عليه يقول: «الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». قال يحيى بن أيوب: ني يحيى بن سعيد بهذا.

قوله (باب الأرواح جنود مجنّدة) كذا ثبتت هذه الترجمة في معظم الروايات، وهي متعلقة بترجمة خلق آدم وذريته، للإشارة إلى أنهم ركبوا من الأجسام والأرواح.

قوله (وقال الليث) وصله المصنف في «الأدب المفرد» عن عبد الله بن صالح عنه.

قوله (الأرواح جنود مجنّدة الخ) قال الخطابي: يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد، وأن الخير من الناس يحن إلى شكله والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت. ويحتمل أن يراد الإخبار عن بدء الخلق في حال الغيب على ما جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجسام، وكانت تلتقى فتتشاء، فلما حلت بالأجسام تعارفت بالأمر الأول فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم. وقال غيره: المراد أن الأرواح أول ما خلقت خلقت على قسمين، ومعنى تقابلها أن الأجساد التي فيها الأرواح إذا التقت في الدنيا ائتلفت أو اختلفت على حسب ما خلقت عليه الأرواح في الدنيا إلى غير ذلك بالتعارف. قلت: ولا يعكر عليه أن بعض المتناكرين ربما ائتلفا، لأنه محمول على مبدأ التلاق، فإنه يتعلق بأصل الحلقة بغير سبب. وأما في ثاني الحال فيكون مكتسباً لتجدد وصف يقتضي الألفة بعد النفرة كالإيمان الكافر وإحسان المسيء. وقوله «جنود مجنّدة» أي أجناس مجنّسة أو جموع مجمعة، قال ابن الجوزي: ويستفاد من هذا الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضى لذلك ليسعى في إزالته حتى يتخلص من الوصف المذموم، وكذلك القول في عكسه. وقال القرطبي: الأرواح وإن اتفقت في كونها أرواحاً لكنها تمايز بأمور مختلفة تتنوع بها، فتتشاكل أشخاص النوع الواحد وتناسب بسبب ما اجتمعت فيه من المعنى الخاص لذلك النوع للمناسبة، ولذلك نشاهد أشخاص كل نوع تألف نوعها وتنفر من مخالفها. ثم إنا نجد بعض أشخاص النوع الواحد يتآلف وبعضها يتنافر، وذلك بحسب الأمور التي يحصل الاتفاق والانفراد بسببها.

قوله (وقال يحيى بن أيوب) هو المصري (حدثني يحيى بن سعيد بهذا) يعني مثل الذي قبله، وقد وصله الإسماعيلي من طريق سعيد بن أبي مريم عن يحيى بن أيوب به، ورويناه موصولاً في مسند أبي يعلى وفيه قصة في أوله عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت «كانت امرأة مزاحمة بمكة فنزلت على امرأة مثلها في المدينة، فبلغ ذلك عائشة فقالت: صدق حيي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «فذكر مثله». ورويناه

في فوائد أبي بكر بن زبور من طريق الليث أيضاً بسنده الأول بهذه القصة بمعناها ، قال الإسماعيلي : أبو صالح ليس من شرط هذا الكتاب ولا يحيى بن أيوب في الأصول ، وإنما يخرج له البخاري في الاستشهاد ، فأورد البخاري هذا الحديث من الطريقتين بلا إسناد فصار أقوى مما لو ساقه بإسناد اهـ . وكان سبب ذلك أن الناظر في كتابه ربما اعتقد أن له عنده إسناداً آخر ، ولا سيما وقد ساقه بصيغة الجزم فيعتقد أنه على شرطه ، وليس الأمر كذلك . قلت : وللمتن شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم .

باب قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾

قال ابن عباس : ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ : ما ظهر لنا . ﴿ أَقْلَعِي ﴾ : أمسكي . ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ : نبع الماء .

وقال عكرمة : وجه الأرض .

وقال مجاهد : ﴿ الْجُودِي ﴾ : جبل بالجزيرة . ﴿ دَابَّ ﴾ : حال . ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ إلى آخر السورة .

[٣٣٣٧] ٣٢٢٥ - نا عبدان قال أنا عبد الله عن يونس عن الزهري قال سالم : وقال ابن عمر : قام رسول الله صلى الله عليه في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : «إني لأُنذركموه ، وما من نبي إلا أنذره قومه ، لقد أنذر نوح قومه ، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه : تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور» .

[٣٣٣٨] ٣٢٢٦ - نا أبو نعيم قال نا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة قال سمعت أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه : «ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه : إنه أعور ، وإنه يجيء معه بمشال الجنة والنار ، فالتى يقول إنها الجنة هي النار ، وإنني أنذركم كما أنذر به نوح قومه» .

[٣٣٣٩] ٣٢٢٧ - نا موسى بن إسماعيل قال نا عبد الواحد بن زياد قال نا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه : «يجيء نوح وأمته ، فيقول الله : هل بلغت ؟ فيقول : نعم أي رب . فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : لا ، ما جاءنا من نبي . فيقول لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، فنشهد أنه قد بلغ ، وهو قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ » والوسط : العدل .

[٣٣٤٠] ٣٢٢٨ - نا إسحاق بن نصر قال نا محمد بن عبيد قال نا أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: كنا مع النبي صلى الله عليه في دعوة، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة وقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة. هل تدرون بم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم. فيأتونه فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة. ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيت. نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً. أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله. نفسي نفسي، ائتوا النبي. فيأتوني. فأسجد تحت العرش، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسل تعطه».

قال محمد بن عبيد: لا أحفظ سائره.

[الحديث ٣٣٤٠ - طرفاه في: ٣٣٦١، ٤٧١٢].

[٣٣٤١] ٣٢٢٩ - نا نصر بن علي بن نصر قال نا أبو أحمد عن سفيان عن أبي إسحاق عن الأسود ابن يزيد عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه قرأ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ مثل قراءة العامة.

[الحديث ٣٣٤١ - أطرافه في: ٣٣٤٥، ٣٣٧٦، ٤٨٦٩، ٤٨٧٠، ٤٨٧١، ٤٨٧٢، ٤٨٧٣، ٤٨٧٤].

قوله (باب قول الله تعالى: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) كذا لأبي ذر ويؤيده ما وقع في الترجمة من شرح الكلمات اللاتي من هذه القصة في سورة هود وفي رواية الحفصي ﴿واتل عليهم نبأ نوح - إلى قوله - من المسلمين﴾ وللباقيين ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم﴾ إلى آخر السورة، وقد ذكر بعض هذا الأخير في رواية أبي ذر قبل الأحاديث المرفوعة. ونوح هو ابن ملك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ابن متوشلخ بفتح الميم وتشديد المثناة المضمومة بعدها واو ساكنة وفتح الشين المعجمة واللام بعدها معجمة ابن خنوخ بفتح المعجمة وضم النون الخفيفة بعدها واو ساكنة ثم معجمة وهو لإدريس فيما يقال. وقد ذكر ابن جرير أن مولد نوح كان بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عاماً، وأنه بعث

وهو ابن ثلاثمائة وخمسين وقيل غير ذلك ، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين ، وقيل أن مدة عمره ألف سنة إلا خمسين عاماً قبل البعثة وبعدها وبعد الفرق فآله أعلم . وصحح ابن حبان من حديث أبي أمامة « أن رجلاً قال : يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال : نعم . قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال عشرة قرون » .

قوله (قال ابن عباس بادی الرأي ما ظهر لنا) وصله ابن أبي حاتم عن طريق عطاء عنه أي أول النظر قبل التأمل .

قوله (أقلمي : أمسكى ، وفار التنور : نبع الماء) وصل ذلك ابن أبي حاتم أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

قوله (وقال عكرمة وجه الأرض) وصله ابن جرير من طريق أبي إسحق الشيباني عن عكرمة في قوله ﴿ وفار التنور ﴾ قال وجه الأرض .

قوله (وقال مجاهد : الجودي جبل بالجزيرة) وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عنه وزاد « تشاغت الجبال يوم الفرق وبواضع هو لله فلم يفرق وأرست عليه سفينة نوح » .

قوله (دأب حال) وصله الفريابي من طريق مجاهد أيضاً . ثم ذكر المصنف في الباب خمسة أحاديث : الأول حديث ابن عمر في ذكر الدجال وسيأتي شرحه في الفتن ، والغرض منه قوله فيه « ولقد أنذره نوح قومه » وخص نوماً بالذكر لأنه أول من ذكره ، وهو أول الرسل المذكورين في قوله تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ﴾ . الثاني حديث أبي هريرة في المعنى كذلك . الثالث حديث أبي سعيد في شهادة أمة محمد صلى الله عليه وسلم لنوح بالتبليغ ، وسيأتي شرحه في تفسير سورة البقرة ، ويأتي في تفسير سورة نوح بيان السبب في عبادة قوم نوح الأصنام . الرابع حديث أبي هريرة في الشفاعة .

قوله فيه (دعوة) بضم أوله الولاية . وقوله (فرفعت إليه الذراع) أي ذراع الشاة وسيأتي بيان ذلك في الأطعمة .

قوله (ففس) بنون ومهملة أي أخذ منها بأطراف أسنانه ، ووقع في رواية أبي ذر في المعجمة وهو قريب من المهمل .

قوله (أنا سيد الناس يوم القيامة) خصه بالذكر لظهور ذلك له يومئذ حيث تكون الأنبياء كلهم تحت لوائه ويبعثه الله المقام المحمود كما سيأتي بيانه في الرقاق مع تنمة شرح الحديث إن شاء الله تعالى . والغرض منه هنا قوله « فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً » فأما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبياً وبالضرورة تعلم أنه كان على شريعة من العبادة وأن أولاده أخذوا ذلك عنه فعلى هذا فهو رسول إليهم فيكون هو أول رسول ، فيحتمل أن تكون الأولوية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم إلى أهل الأرض لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالترية

للأولاد ، ويحتمل أن يكون المراد أنه رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أرسل إليهم مع تفرقهم في عدة بلاد ، وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة ، واستشكله بعضهم بإدريس ، ولا يرد لأنه اختلف في كونه جد نوح كما تقدم ، وقد تقدم شيء من هذا في أول كتاب التيمم فيما يتعلق بخصوصية نبينا بعموم البعثة عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام . وأما قولهم « وسماك الله عبداً شكورا » فإشارة إلى قوله تعالى ﴿ إنه كان عبداً شكورا ﴾ وروى عبد الرزاق بسند مقطوع « أن نوحاً كان إذا ذهب إلى الغائط قال : الحمد لله الذي رزقني لذته ، وأبقى في قوته ، وأذهب عني أذاه » . الخامس حديث ابن مسعود في قراءة ﴿ فهل من مدكر ﴾ وسيأتي في تفسير اقتربت .

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِلَى ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ، قال ابن عباس : يذكر بخير . ﴿ سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴾ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ .
يذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس .

قوله (باب : وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون - إلى - وتركنا عليه في الآخرين)
سقط لفظ « باب » من رواية أبي ذر ، وكان المصنف رجح عنده كون إدريس ليس من أجداد نوح فلماذا ذكره بعده ، وسأذكر ما في ذلك في الباب الذي يليه . وإلياس بهمة قطع وهو اسم عبراني . وأما قوله تعالى ﴿ سلام على الياسين ﴾ فقرأه الأكثر بصورة الاسم المذكور وزيادة ياء ونون في آخره ، وقرأ أهل المدينة « آل ياسين » بفصل آل من ياسين ، وكان بعضهم يتأول أن المراد سلام على آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو بعيد ، ويؤيد الأول أن الله تعالى إنما أخبر في كل موضع ذكر فيه نبياً من الأنبياء في هذه السورة بأن السلام عليه فكذلك السلام في هذا الموضع على إلياس المبدأ بذكره ، وإنما زيدت فيه الياء والنون كما قالوا في إدريس إدراسين والله أعلم .

قوله (قال ابن عباس) وصله ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ سلام على الياسين ﴾ يذكر بخير .

قوله (ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس) أما قول ابن مسعود فوصله عبد بن حميد وابن أبي حاتم بإسناد حسن عنه قال : إلياس هو إدريس ، ويعقوب هو إسرائيل . وأما قول ابن عباس فوصله جويبير في تفسيره عن الضحاك عنه وإسناده ضعيف ، ولهذا لم يجزم به البخاري . وقد أخذ أبو بكر بن العربي من هذا أن إدريس لم يكن جدّاً لنوح وإنما هو من بني إسرائيل لأن إلياس قد ورد أنه من بني إسرائيل ، واستدل على ذلك بقوله عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم « مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح » ولو كان من أجداده لقال له كما قال له آدم وإبراهيم « والابن الصالح » وهو استدلال جيد إلا أنه قد يجاب عنه بأنه قال ذلك على سبيل التواضع والتلطف فليس ذلك نصاً فيما زعم . وقد قال ابن إسحق في أول

السيرة النبوية لما ساق النسب الكريم فلما بلغ إلى نوح قال : ابن ملك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون ، وأشار بذلك إلى أن هذا القول مأخوذ عن أهل الكتاب . واختلف في ضبطه فالأكثر خنوخ بمعجمتين بعد الأول نون بوزن ثمود ، وقيل بزيادة ألف في أوله وسكون المعجمة الأولى ، وقيل غير ذلك لكن بحذف الواو ، وقيل كذلك لكن بدل الحاء الأولى هاء ، وقيل كالثاني لكن بدل المعجمة مهملة . واختلف في لفظ إدريس فقيل هو عربي واشتقاقه من الدراسة وقيل له ذلك لكثرة درسه الصحف ، وقيل بل هو سرياني ، وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه ابن حبان أنه كان سريانياً ، ولكن لا يمنع ذلك كون لفظ إدريس عربياً إذا ثبت بأن له اسمين .

إدريس

وقول الله عز وجل : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

[٣٣٤٢]

٣٢٣٠ - نا عبدان قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا يونس عن الزهري ... ح .

ونا أحمد بن صالح قال نا عنبسة قال نا يونس عن ابن شهاب قال : قال أنس بن مالك : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه قال : « فرج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء ، فلما جاء إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح . قال : من هذا ؟ قال : جبريل ، قال : معك أحد ؟ قال : معي محمد ، قال : أرسل إليه ؟ قال : نعم ، فافتح . فلما علونا السماء إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسَمُ بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى . ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها : افتح ، فقال له خازنها مثل ما قال الأول ، ففتح . قال أنس : فذكر أنه وجد في السماوات إدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ، ولم يثبت لي كيف منازلهم ، غير أنه قد ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السادسة . وقال أنس : « فلما مر جبريل بإدريس قال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا إدريس . ثم مررت بموسى فقال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى . ثم مررت بعيسى فقال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ

الصالح . فقلت : من هذا ؟ قال : عيسى . ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم . قال : وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأباحبة الأنصاري كانا يقولان : قال النبي صلى الله عليه : « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقلام » . فقال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي صلى الله عليه : « ففرض الله علي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى : ما الذي فرض علي أمتك ؟ قلت : فرض عليهم خمسون صلاة ، قال : فراجع ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فرجعت ، فراجع ربك ، فوضع شطرها . فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك ، فذكر مثله فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى فقال : ذلك ، ففعلت فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال : راجع ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فرجعت فراجع ربك فقال : هي خمس وهي خمسون ، لا يبدل القول لدي ، فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك ، فقلت : قد استحيت من ربي . ثم انطلق حتى أتى بي السدرة المنتهى ، فغشيها ألوان لا أدري ما هي . ثم أدخلت فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » .

قوله (باب ذكر إدريس) سقط لفظ « باب » من رواية أبي ذر وزاد في رواية الحفصي « وهو جد أبي نوح وقيل جد نوح » . قلت : الأول أولى من الثاني ما تقدم ، ولعل الثاني أطلق ذلك مجازاً لأن جد الأب جد . ونقل بعضهم الإجماع على أنه جد لنوح ، وفيه نظر لأنه إن ثبت ما قال ابن عباس أن إلياس هو إدريس لزم أن يكون إدريس من ذرية نوح لا أن نوحاً من ذريته لقوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان ﴾ إلى أن قال - وعيسى وإلياس ﴿ فدل على أن إلياس من ذرية نوح سواء قلنا إن الضمير في قوله « ومن ذريته » لنوح أو لإبراهيم ، لأن إبراهيم من ذرية نوح فمن كان من ذرية إبراهيم فهو من ذرية نوح لا محالة . وذكر ابن إسحق في « المبتدأ » أن إلياس هو ابن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون أخى موسى بن عمران فالله أعلم . وذكر وهب في « المبتدأ » أن إلياس عمر كما عمر الخضر وأنه يبق إلى آخر الدنيا في قصة طويلة ، وأخرج الحاكم في « المستدرک » من حديث أنس أن إلياس اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وأكلا جميعاً وأن طوله ثلاثمائة ذراع وأنه قال إنه لا يأكل في السنة إلا مرة واحدة ، أورده الذهبي في ترجمة يزيد بن يزيد البلري وقال : إنه خبر باطل .

قوله (وقوله تعالى : ﴿ ورفعهنا مكاناً علياً ﴾) ثم ساق حديث الإسراء من رواية أبي ذر ، وقد تقدم شرحه في أوائل الصلاة ، وكأنه أشار بالترجمة إلى ما وقع فيه أنه وجده في السماء الرابعة ، وهو مكان على غير شك ، واستشكل بعضهم ذلك بأن غيره من الأنبياء أرفع مكاناً منه ثم أجاب بأن المراد أنه لم يرفع إلى السماء من هو

حي غيره ، وفيه نظر لأن عيسى أيضاً قد رفع وهو حي على الصحيح ، وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية ، وقد روى الطبري أن كعباً قال لابن عباس في قوله تعالى ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ أن إدريس سأل صديقاً له من الملائكة فحمله بين جناحيه ثم صعد به ، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت فقال له أريد أن تعلمني كم بقي من أجل إدريس ؟ قال : وأين إدريس ؟ قال : هو معي ، فقال : إن هذا شيء عجيب ، أمرت بأن أقبض روحه في السماء الرابعة فقلت : كيف ذلك وهو في الأرض ؟ فقبض روحه ، فذلك قوله تعالى ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ وهذه من الإسرائيليات ، والله أعلم بصحة ذلك . وذكر ابن قتيبة أن إدريس رفع وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة . وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه ابن حبان أن إدريس كان نبياً رسولاً وأنه أول من خط بالقلم ، وذكر ابن إسحق له أوليات كثيرة ، منها أنه أول من خاط الثياب .

(تنبيه) : وقع في أكثر الروايات « وقال عبدان » وفي روايتنا من طريق أبي ذر « حدثنا عبدان » وصله أيضاً الجوزقي من طريق محمد بن الليث عن عبد الله بن عثمان وهو عبدان به .

ب

قول الله عز وجل : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُم هُودًا ﴾

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ إلى قوله : ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾

فيه عن عطاء وسليمان عن النبي صلى الله عليه .

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ : شديد ﴿ عاتية ﴾ .

قال ابن عينة : عتت على الخزان ﴿ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ : متتابعة ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ الآية . أصولها ، ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ بقية .

٣٢٣١ - نا محمد بن عرعر قال نا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه قال : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا ، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالْدَّبُورِ » . [٣٣٤٣]

٣٢٣٢ - قال : وقال ابن كثير عن سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد قال : بعث علي إلى النبي صلى الله عليه بذهيبة ، فقسمها بين أربعة ، الأقرع بن حابس الحنظلي ثم الحاشعي ، وعيينة بن بدر الفزاري ، وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان ، وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب . فغضبت قريش والأنصار قالوا : يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا . قال : إنما أتألفهم . فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين نأتى الجبين كث اللحية مخلوق فقال : اتق الله [٣٣٤٤]

يا محمد، فقال: «من يُطع الله إذا عصيت؟ أيامني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني؟» فسأله رجل قتلته - أحسبه خالد بن الوليد - فمنعه، فلما ولى قال: «إن من ضئضى هذا - أو في عقب هذا - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد».

[الحديث ٣٣٤٤ - أطرافه في: ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١، ٦٩٣٣، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢].

[٣٣٤٥] ٣٢٣٣ - نا خالد بن يزيد قال نا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود قال: سمعت عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه يقرأ: ﴿فهل من مدكر﴾.

قوله (باب قول الله تعالى: وإلى عاد أخاهم هوداً) هو هود بن عبد الله بن رباح بن جاور بن عاد ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح. وسماه أخاً لهم لكونه من قبيلتهم لا من جهة أخوة الدين، هذا هو الراجع في نسبه. وأما ابن هشام فقال اسمه عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

قوله (إذ أنذر قومه بالأحقاف - إلى قوله - كذلك نجزي القوم المجرمين) الأحقاف جمع حقف بكسر المهملة وهو المعوج من الرمل، والمراد به هنا مساكن عاد، وروى عبد بن حميد من طريق قتادة أنهم كانوا ينزلون الرمل بأرض الشحر وما والاها، وذكر ابن قتيبة أنهم كانوا ثلاثة عشر قبيلة ينزلون الرمل بالدو والذهناء وعالج ووبار وعمان إلى حضرموت، وكانت ديارهم أخصب البلاد وأكثرها جناناً فلما سخط الله جل وعلا عليهم جعلها مفاوز.

قوله (فيه عطاء وسليمان عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم) انتهى، أما رواية عطاء وهو ابن أبي رباح فوصلها المؤلف في «باب ذكر الريح» من بدء الخلق وأوله «كان إذا رأى نجيلاً أقبل وأدبر» وفي آخره «وما أدري لعله كما قال قوم عاد» ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم﴾ الآية، وأما رواية سليمان وهو ابن يسار فوصلها المؤلف في تفسير سورة الأحقاف، ويأتي بقية الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى.

قوله (وقول الله عز وجل) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر - شديدة - عاتية قال ابن عينة (عتت على الخزان) أما تفسير الصرصر بالشديدة فهو قول أبي عبيدة في الحجاز، وأما تفسير ابن عينة فرويناه في تفسيره رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عنه عن غير واحد في قوله ﴿عاتية﴾ قال: عتت على الخزان، وما خرج منها إلا مقدار الخاتم، وقد وقع هذا متصلاً بحديث ابن عباس الذي في هذا الباب عند الطبراني من طريق مسلم الأعور عن مجاهد عن ابن عباس، وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن مسلم الأعور فيين أن الزيادة مدرجة من مجاهد، وجاء نحوها عن علي موقوفاً أخرجه ابن أبي حاتم من طريقه قال «لم ينزل الله شيئاً من الريح إلا بوزن على يدي ملك. إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان فعبت على الخزان» ومن طريق قبيصة بن ذؤيب أحد كبار التابعين نحوه بإسناد صحيح.

قوله (حسنوما متتابعة) هو تفسير أبي عبيدة ، قال في قوله (سخرها عليهم) أى أدامها (سبع) ليال وثمانية أيام حسوما : ولاء متتابعة ، وقال الخليل : هو من الحسم بمعنى القطع .

قوله (أعجاز نخل خاوية - أصولها - فهل ترى لهم من باقية) بقية ، هو تفسير أبي عبيدة أيضاً قال : قوله (خاوية) أى أصولها وهى على رأى من أنث النخل ، وشبههم بأعجاز النخل إشارة إلى عظم أجسامهم ، قال وهب بن منبه : كان رأس أحدهم مثل القبة ، وقيل كان طوله إثني عشرة ذراعاً ، وقيل كان أكثر من عشرة ، وروى ابن الكلبي قال : كان طول أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة والكلبي بألف . وفى قوله (فهل ترى لهم من باقية) أى من بقية ، وفى التفسير أن الريح كانت تحمل الرجل فترفعه فى الهواء ثم تلقيه فتشدخ رأسه فيبقى جثة بلا رأس فذلك قوله (كأنهم أعجاز نخل خاوية) وأعجاز نخل هى التى لا رعوس لها . ثم ذكر المصنف فى الباب ثلاثة أحاديث : أحدها حديث ابن عباس وفيه « وأهلك عاد بالدبور » ، وورد فى صفة إهلاكهم بالريح ما أخرجه ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر والطبرانى من حديث ابن عباس رفعاه « ما فتح الله على عاد من الريح إلا موضع الخاتم ، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض ، فرآهم الحاضرة فقالوا : هذا عارض بمطرنا ، فألقتهم عابهم فهلكوا جميعاً » . ثانياً حديث أبي سعيد الخدرى فى ذكر الخوارج .

قوله (وقال ابن كثير عن سفيان) كذا وقع هنا ، وأورده فى تفسير براءة قاتلاً « حدثنا محمد بن كثير » فوصله لكنه لم يسقه بتمامه وإنما اقتصر على طرف من أوله وسيأتى الكلام عليه مستوفى فى المغازى إن شاء الله تعالى . والغرض منه هنا قوله « لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » أى قتلاً فلا يبقى منهم أحداً ، إشارة إلى قوله تعالى (فهل ترى لهم من باقية) ولم يرد أنه يقتلهم بالآلة التى قتلت بها عاد بعينها ، ويحتمل أن يكون من الإضافة إلى الفاعل ويراد به القتل الشديد القوى ، إشارة إلى أنهم موصوفون بالشدة والقوة ، ويؤيده أنه وقع فى طريق أخرى « قتل ثمود » . ثالثاً حديث عبد الله « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : فهل من مدكر » وسيأتى فى التفسير إن شاء الله تعالى

ب

قول الله عز وجل : (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) ، (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ) : الحجر : موضع ثمود . وأما (حرث حجر) حرام ، وكل ممنوع فهو حجر محجور ، والحجر كل بناء تبنيه ، وما حجرت عليه من الأرض فهو حجر ، ومنه سمي حطيم البيت حجراً ، كأنه مشتق من محطوم ، مثل : قتيل من مقتول ، ويقال : للأنثى من الخيل حجر ، ويقال : للعقل : حجر . وحجى وأما حجر اليمامة فهو المنزل .

٣٢٣٤ - نا الحميدي قال نا سفيان قال نا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال

سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه - وذكرَ الذي عقرَ الناقةَ - فقال : « انتدبَ لها رجلٌ ذو عزٍّ ومنعةٍ في قوة كأبي زمعة » .

[الحديث ٣٣٧٧ - أطرافه في : ٤٩٤٢ ، ٥٢٠٣ ، ٦٠٤٢] .

٣٢٣٥ - نا محمد بن مسكين أبو الحسن قال نا يحيى بن حسان بن حيان أبو زكرياء قال نا سليمان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها ، فقالوا : قد عجنّا منها واستقينا ، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء . [٣٣٧٨]

قال : ويروى عن سبرة بن معبد وأبي الشמוש أن النبي صلى الله عليه أمر بالقاء الطعام . وقال أبو ذر عن النبي صلى الله عليه : « من اعتجن بمائه » .

[الحديث ٣٣٧٨ - طرفه في : ٣٣٧٩] .

٣٢٣٦ - نا إبراهيم بن المنذر قال نا أنس بن عياض عن عبيد الله عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه أرض ثمود ، الحجر ، واستقوا من بئرها واعتجنوا به ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه أن يهريقوا ما استقوا من بئرها وأن يعلفوا الإبل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كان تردّها الناقة . تابعه أسامة عن نافع . [٣٣٧٩]

٣٢٣٧ - نا محمد بن قيس قال نا عبد الله بن معمر عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي صلى الله عليه قال لما مرّ بالحجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا ، إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم » . ثم تقنّع بردائه وهو على الرحل . [٣٣٨٠]

٣٢٣٨ - نا عبد الله بن محمد قال نا وهب قال نا أبي قال سمعت يونس عن الزهري عن سالم أن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين - أن يصيبكم مثل ما أصابهم » . [٣٣٨١]

قوله (باب قول الله تعالى : وإلى ثمود أخاهم صالحاً - وقوله - كذب أصحاب الحجر) هو صالح ابن عبيد بن أسيف بن ماشخ بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح ، وكانت منازلهم بالحجر ، وهو بين تبوك والحجاز .

قوله (الحجر موضع ثمود ، وأما حرث حجر : حرام) هو تفسير أبي عبيدة ، قال في قوله تعالى ﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر ﴾ أي حرام .

قوله (و كل ممنوع فهو حجر ، ومنه حجراً محجوراً) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ ويقولون حجراً محجوراً ﴾ أى حراماً محرماً .

قوله (والحجر كل بناء بنيته ، وما حجرت عليه من الأرض فهو حجر ، ومنه سمي حطيم البيت حجراً) قال أبو عبيدة : ومن الحرام سمي حجر الكعبة ، وقال غيره : سمي حطاماً لأنه أخرج من البيت وترك هو محطوماً ، وقيل الحطيم ما بين الركن والباب سمي حطياً لاذحام الناس فيه .

قوله (كأنه مشتق من محطوم) أى الحطيم (مثل قتيل من مقتول) وهذا على رأى الأكثر ، وقيل سمي حطياً لأن العرب كانت تطرح فيه ثيابها التي تطوف فيها وتركها حتى تتحطم وتفسد بطول الزمان وسيأتى هذا فيما بعد عن ابن عباس ، فعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل ، وقيل سمي حطياً لأنه كان من جملة الكعبة فأخرج عنها وكأنه كسر منها فيصح لهم فعيل بمعنى مفعول ، وقوله « مشتق » ليس هو محمولا على الاشتقاق الذي حدث اصطلاحه .

قوله (ويقال للأثني من الخيل حجر ، ويقال للعقل حجر وحجى) هو قول أبي عبيدة قال في قوله تعالى ﴿ لذي حجر ﴾ أى عقل ، قال ويقال للأثني من الخيل حجر .

قوله (وأما حجر الإمامة فهو المنزل) ذكره استطراداً ، وإلا فهذا بفتح أوله هي قصبة الإمامة البلد المشهور بين الحجاز واليمن ، ثم ذكر المصنف في الباب حديث عبد الله بن زمعة في ذكر عاقر الناقة .

قوله (ومنعة) بفتح الميم والنون والمهملة .

قوله (في قومه) كذا للأكثر ، وللکشميين والسرخسي « في قوة » .

قوله (كأبي زمعة) هو الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وسيأتى بيان ذلك في التفسير حيث ساقه المصنف مطولا ، وليس لعبد الله بن زمعة في البخارى غير هذا الحديث ، وهو يشتمل على ثلاثة أحاديث وقد فرقها في النكاح وغيره ، وعاقر الناقة اسمه قدار بن سالف ، قيل كان أحمر أزرق أصهب . وذكر ابن إسحق في « المبتدأ » وغير واحد أن سبب عقرهم الناقة أنهم كانوا اقترحوها على صالح عليه السلام فأجابهم إلى ذلك بعد أن تعنتوا في وصفها ، فأخرج الله له ناقة من صخرة بالصفة المطلوبة ، فأمن بعض وكفر بعض ، واتفقوا على أن يتركوا الناقة ترعى حيث شاءت وترد الماء يوماً بعد يوم ، وكانت إذا وردت تشرب ماء البئر كله ، وكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم للغد ، ثم صاق بهم الأمر في ذلك فانتدب تسعة رهط - منهم قدار المذكور فباشروا عقرها ، فلما بلغ ذلك صالحاً عليه السلام أعلمهم بأن العذاب سيقع بهم بعد ثلاثة أيام ، فوقع كذلك كما أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه . وأخرج أحمد وابن أبي حاتم من حديث جابر رفعه « أن الناقة كانت ترد يومها فتشرب جميع الماء ويحتلبون منها مثل الذي كانت تشرب » وفي سنده إسماعيل بن عياش وفي روايته عن غير الشاميين ضعف وهذا منها . ثم ذكر المصنف حديث ابن عمر في نثر ثمود .

قوله (حدثنا سليمان) هو ابن بلال .

قوله (فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء) بين في رواية نافع عقب هذا عن ابن عمر أنه أمرهم أن يهريقوا ما استقوا من بيارها وأن يعلفوا الإبل العجين .

قوله (ويروى عن سبرة بن معبد وأبي الشموس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإلقاء الطعام) أما حديث سبرة بن معبد فوصله أحمد والطبراني من طريق عبد العزيز بن الربيع بن سبرة بن معبد عن أبيه عن جده سبرة - وهو بفتح المهملة وسكون الموحدة - الجهني قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين راح من الحجر : من كان عجن منكم من هذا الماء عجينه أو حاس به حيساً فليلقه » وليس لسبرة بن معبد في البخاري إلا هذا الموضع ، وقد أغفله المزي في الأطراف كالذي بعده ، وأما حديث أبي الشموس - وهو بمعجمة ثم مهملة وهو بكري لا يعرف اسمه - فوصل حديثه البخاري في « الأدب المفرد » والطبراني وابن منده من طريق سليم بن مطير عن أبيه عنه قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك - فذكر الحديث وفيه - فألقى ذو العجين عجينه وذو الحيس حيسه » ورواه ابن أبي عاصم من هذا الوجه وزاد « فقلت يا رسول الله قد حسيت حيسة أفألقمها راحتي ؟ قال نعم » .

قوله (وقال أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم : من اعتجن بمائه) وصله البزار من طريق عبد الله ابن قدامة عنه « أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فأتوا على واد فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : إنكم بواد ملعون فأسرعوا ، وقال : من اعتجن عجينه أو طبخ قدرأ فليكبها » الحديث وقال : لا أعلمه إلا بهذا الإسناد .

قوله في آخر حديث نافع (وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كان تردها الناقة) في رواية الكشميني « التي كانت تردها الناقة » وتضمنت هذه الرواية زيادة على الروايات الماضية . وسئل شيخنا الإمام البلقيني : من أين علمت تلك البئر ؟ فقال : بالتواتر ، إذ لا يشترط فيه الإسلام انتهى . والذي يظهر أن النبي صلى الله عليه وسلم علمها بالوحي ، ويحمل كلام الشيخ على من سيجيء بعد ذلك . وفي الحديث كراهة الاستقاء من بيار ثمود ، ويلتحق بها نظائرها من الآبار والعيون التي كانت لمن هلك بتعذيب الله تعالى على كفره . واختلف في الكراهة المذكورة هل هي للتنزيه أو للتحريم ؟ وعلى التحريم هل يمتنع صحة التطهر من ذلك الماء أم لا ؟ وقد تقدم كثير من مباحث هذا الحديث في « باب الصلاة في مواضع الحسف والعذاب » من أوائل الصلاة .

قوله (تابعه أسامة) يعنى ابن زيد الليثي (عن نافع) أى عن ابن عمر ، روينا هذه الطريق موصولة في حديث حرمة عن ابن وهب قال « أخبرنا أسامة بن زيد » فذكر مثل حديث عبيد الله وهو ابن عمر العمرى وفي آخره « وأمرهم أن ينزلوا على بئر ناقة صالح ويستقوا منها » .

قوله (حدثنا محمد) هو ابن مقاتل ، وعبد الله هو ابن المبارك .

قوله (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا) زاد في رواية الكشميني « أنفسهم » وهذا يتناول مساكن ثمود وغيرهم ممن هو كصفتهم وإن كان السبب ورد فيهم .

قوله في الرواية الأخرى (حدثنا وهب) هو ابن جرير بن حازم ويونس هو ابن يزيد الأيلي .
قوله (إلا أن تكونوا باكين) كذا للجميع ، لكن زعم ابن التين أنه وقع في رواية القابسي « ألا أن
تكونوا باكين » بتحتانيتين قال : وليس بصحيح لأن الياء الأولى مكسورة في الأصل فاستثقلت الكسرة
وحذفت إحدى الياءين لالتقاء الساكنين .

قوله (أن يصيبكم ما أصابهم) أي كراهية أو خشية أن يصيبكم ، والتقدير عند الكوفيين لثلاث يصيبكم ،
ويؤيد الأول أنه وقع في رواية لأحمد « إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فتباكوا خشية أن يصيبكم
ما أصابهم » . وروى أحمد والحاكم بإسناد حسن عن جابر قال « لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر
قال : لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قوم صالح ، وكانت الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج ،
ففتوا عن أمر ربهم ، وكانت تشرب يوماً ويشربون لبنها يوماً ففقدوها فأخذتهم صيحة أهد الله من تحت
أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله وهو أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب
قومه » وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : أبو رغال هو الجد الأعلى لثقيف ، وهو بكسر
الراء وتخفيف الغين المعجمة .

(تنبيه) : وقع هذا الباب في أكثر نسخ البخاري متأخراً عن هذا الموضع بعدة أبواب ، والصواب
إثباته هنا ، وهذا مما يؤيد ما حكاه أبو الوليد الباجي عن أبي ذر الهروي أن نسخة الأصل من البخاري كانت
ورقاً غير مجبوك ، فربما وجدت الورقة في غير موضعها فنسخت على ما وجدت فوق في بعض التراجم
إشكال بحسب ذلك ، وإلا فقد وقع في القرآن ما يدل على أن ثمود كانوا بعد عاد كما كان عاد بعد قوم نوح .

قول الله عز وجل : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ إلى قوله : ﴿ سَبَّأً ﴾ : طريقاً . إلى قوله :
﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ واحدها زبرة وهي القطع ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ يُقَالُ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ الْجَبَلَيْنِ . وَالسَّيْدِينَ : الْجَبَلَيْنِ . خَرَجًا : أَجْرًا . ﴿ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ
عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ أَصْبُ عَلَيْهِ قِطْرًا : رِصَاصًا ، وَيُقَالُ : الْحَدِيدُ ، وَيُقَالُ : الصُّفْرُ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
النَّحَاسُ ، ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ يعلوه ، اسْتَطَاعَ : اسْتَفْعَلَ مِنْ طُعْتُ لَهُ ، فَلِذَلِكَ فَتُحَ اسْتَطَاعَ
يَسْطِيعُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : اسْتَطَاعَ يَسْتَطِيعُ . ﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ ٩٧ ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا
جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ أَلْزَقَهُ بِالْأَرْضِ . وَنَاقَةٌ دَكَّاءُ : لَا سَنَامَ لَهَا . وَالِدَكْدَاكُ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلُهُ
حَتَّى صُلْبٌ وَتَلْبَدٌ . ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ ٩٨ ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ ، ﴿ حَتَّى إِذَا
فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ .

قال قتادة: حَدَبٌ: أكمة.

وقال رجل للنبي صلى الله عليه: رأيتُ السدَّ مثلَ البُردِ المحبَّر. فقال: «رأيتُهُ».

[٣٣٤٦]

٣٢٣٩- نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن النبي صلى الله عليه دخل عليها فزعا يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرِّ قد اقترب، فتَح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» - وحلَّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها - فقالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

[الحديث ٣٣٤٦ - أطرافه في: ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥].

[٣٣٤٧]

٣٢٤٠- نا مسلم بن إبراهيم قال نا وهيب قال نا ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا»، وعقد بيده تسعين.

[الحديث ٣٣٤٧ - طرفه في: ٧١٣٦].

[٣٣٤٨]

٣٢٤١- نا إسحاق بن نصر قال نا أبو أسامة عن الأعمش قال نا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه قال: «يقول الله تبارك وتعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. يقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد». قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً». ثم قال: «والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا رُبْع أهل الجنة». فكبرنا. فقال: «أرجو أن تكونوا ثُلث أهل الجنة». فكبرنا. فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة». فكبرنا. قال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود».

[الحديث ٣٣٤٨ - أطرافه في: ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣].

قوله (باب قول الله تعالى ﴿ويسألونك عن ذى القرنين - إلى قوله - سبأ﴾) كذا لأبي ذر، وساق غيره الآية، ثم اتفقوا إلى قوله تعالى ﴿آتوني زبر الحديد﴾، وفي إيراد المصنف ترجمة ذى القرنين قبل

إبراهيم إشارة إلى توهين قول من زعم أنه الإسكندر اليوناني ، لأن الإسكندر كان قريباً من زمن عيسى عليه السلام ، وبين زمن إبراهيم وعيسى أكثر من ألفي سنة ، والذي يظهر أن الإسكندر المتأخر لقب بذي القرنين تشبيهاً بالمتقدم لسعة ملكه وغلبته على البلاد الكثيرة ، أو لأنه لما غلب على الفرس وقتل ملكهم انتظم له ملك المملكتين الواسعتين الروم والفرس فلقب ذا القرنين لذلك ، والحق أن الذي قص الله نبأه في القرآن هو المتقدم ، والفرق بينهما من أوجه : أحدها ما ذكرته ، والذي يدل على تقدم ذي القرنين ما روى الفاكهي من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين أن ذا القرنين حج ماشياً فسمع به إبراهيم فتلقيه ، ومن طريق عطاء عن ابن عباس أن ذا القرنين دخل المسجد الحرام فسلم على إبراهيم وصافحه ، ويقال إنه أول من صافح . ومن طريق عثمان بن ساج أن ذا القرنين سأل إبراهيم أن يدعو له فقال : وكيف وقد أفسدتم بئري ؟ فقال لم يكن ذلك عن أمري ، يعني أن بعض الجند فعل ذلك بغير علمه . وذكر ابن هشام في « التيجان » أن إبراهيم تحاكم إلى ذي القرنين في شيء فحكم له ، وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أحمد أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسماعيل بينان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك قائلاً : نحن عبدان مأموران ، فقال من يشهد لكما ؟ فقامت خمسة أكبش فشهدت ، فقال : قد صدقتم ، قال وأظن الأكبش المذكورة حجارة ، ويحتمل أن تكون غما . فهذه الآثار يشد بعضها بعضاً . ويدل على قدم عهد ذي القرنين . ثاني الأوجه : قال الفخر الرازي في تفسيره : كان ذو القرنين نبياً . وكان الإسكندر كافراً ، وكان معلمه أرسطاطاليس وكان يأتمر بأمره وهو من الكفار بلا شك ، وسأذكر ما جاء في أنه كان نبياً أم لا . ثالثاً كان ذو القرنين من العرب كما سندكر بعد ، وأما الإسكندر فهو من اليونان ، والعرب كلها من ولد سام بن نوح بالاتفاق ، وإن وقع الاختلاف هل هم كلهم من بني إسماعيل أو لا ؟ واليونان من ولد يافث بن نوح على الراجح فافترقا . وشبهة من قال إن ذا القرنين هو الإسكندر ما أخرجه الطبري ومحمد بن ربيع الجيزي في « كتاب الصحابة الذين نزلوا مصر » بإسناد فيه ابن لهيعة أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين فقال : كان من الروم فأعطى ملكاً فصار إلى مصر وبني الإسكندرية ، فلما فرغ أتاه ملك فعرج به فقال : انظر ماتحتك ، قال : أرى مدينة واحدة ، قال : تلك الأرض كلها ، وإنما أراد الله أن يريك وقد جعل لك في الأرض سلطاناً ، فسر فيها وعلم الجاهل وثبت العالم . وهذا لو صح لرفع النزاع ولكنه ضعيف ، والله أعلم . وقد اختلف في ذي القرنين فقيل كان نبياً كما تقدم ، وهذا مروي أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعليه ظاهر القرآن . وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا أدري ذو القرنين كان نبياً أو لا » وذكر وهب في « المبتدأ » أنه كان عبداً صالحاً وأن الله بعثه إلى أربعة أمم أمتين بينهما طول الأرض وأمتين بينهما عرض الأرض وهي ناسك ومنسك وتأويل وهاويل ، فذكر قصة طويلة حكها الثعلبي في تفسيره . وقال الزبير في أوائل « كتاب النسب » حدثنا إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران عن هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمعت ابن الكوا يقول لعلي ابن أبي طالب : أخبرني ما كان ذو القرنين ؟ قال : كان رجلاً أحب الله فأحبه ، بعثه الله إلى قومه فضربوه على قرنه ضربة مات منها ، ثم بعثه الله إليهم فضربوه على قرنه ضربة مات منها ، ثم بعثه الله فسمى ذو القرنين

وعبد العزيز ضعيف ، ولكن توبع على أبي الطفيل ، أخرجه سفيان بن عيينة في جامعه عن ابن أبي حسين عن أبي الطفيل نحوه وزاد : وناصح الله فناصحه . وفيه لم يكن نبياً ولا ملكاً . وسنده صحيح سمعناه في الأحاديث المختارة للحافظ الضياء ، وفيه إشكال لأن قوله « ولم يكن نبياً » مغاير لقوله « بعثه الله إلى قومه » ، إلا أن يحمل البعث على غير رسالة النبوة . وقيل كان ملكاً من الملائكة حكاه الثعلبي ، وهذا مروى عن عمر أنه سمع رجلاً يقول ياذا القرنين فقال : تسميه بأسماء الملائكة ؟ وحكى الجاحظ في « الحيوان » أن أمه كانت من بنات آدم وأن أباه كان من الملائكة ، قال واسم أبيه فيرى واسم أمه غيري ، وقيل كان من الملوك وعليه الأكثر ، وقد تقدم من حديث علي ما يؤول إلى ذلك ، وسيأتي في ترجمة موسى في الكلام على أخبار الحضرة ، واختلف في سبب تسميته ذا القرنين فتقدم قول علي ، وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب أخرجه الزبير بن بكار من طريق سليمان بن أسيد عن ابن شهاب قال : إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها ، وقيل لأنه ملكهما . وقيل رأى في منامه أنه أخذ بقرني الشمس ، وقيل كان له قرنان حقيقة ، وهذا أنكره علي في رواية القاسم بن أبي بزة ، وقيل لأنه كان له صغيرتان تواريهما ثيابه ، وقيل لأنه كانت له غدirtان طريلتان من شعره حتى كان يطاء عليهما ، وتسمية الضفيرة من الشعر قرناً معروف ومنه قول أم عطية « وضفرتنا شمرها ثلاثة قرون » ومنه قول جميل « فلثمت فاها آخذاً بقرونها » وقيل كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل لتاجه قرنان ، وقيل كان في رأسه شبه القرنين ، وقيل لأنه دخل النور والظلمة ، وقيل لأنه عمر حتى فنى في زمنه قرنان من الناس ، وقيل لأن قرني الشيطان عند مطلع الشمس وقد بلغه ، وقيل لأنه كان كريم الطرفين أمه وأبوه من بيت شرف ، وقيل لأنه كان إذا قاتل قاتل بيديه وركابه جميعاً ، وقيل لأنه أعطى علم الظاهر والباطن ، وقيل لأنه ملك فارس والروم . وقد اختلف في اسمه فروى ابن مردويه من حديث ابن عباس وأخرجه الزبير في « كتاب النسب » عن إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز ابن عمران عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : ذو القرنين عبد الله بن الضحاك بن معد بن عدنان ، وإسناده ضعيف جداً لضعف عبد العزيز وشيخه ، وهو مبين لما تقدم أنه كان في زمن إبراهيم فكيف يكون من ذريته لا سيما على قول من قال كان بين عدنان وإبراهيم أربعون أباً أو أكثر ، وقيل اسمه الصعب وبه جزم كعب الأخبار وذكره ابن هشام في « التيجان » عن ابن عباس أيضاً ، وقال أبو جعفر بن حبيب في كتاب « المحبر » هو المنذر بن أبي القيس أحد ملوك الحيرة وأمه ماء السماء ماوية بنت عوف بن جشم ، قال وقيل اسمه الصعب بن قرن بن همال من ملوك حمير ، وقال الطبري هو إسكندروس بن فيلبوس وقيل فيلبس وبالثاني جزم المسعودي ، وقيل اسمه الهميسع ذكره الهمداني في كنب النسب قال : وكنيته أبو الصعب وهو ابن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وقيل ابن عبد الله بن قرين بن منصور بن عبد الله بن الأزد ، وقيل بإسقاط عبد الله الأول وأما قول ابن إسحق الذي حكاه ابن هشام عنه إن اسم ذي القرنين مرزبان بن مرديه ، بدال مهملة وقيل بزاي فقد صرح بأنه الإسكندر ، ولذلك اشتهر على الألسنة لشهرة السيرة لابن إسحق . قال السهيلي : والظاهر من علم الأخبار أنهما اثنان أحدهما كان على عهد إبراهيم ويقال إن إبراهيم تحاكم إليه في بئر السبع بالشام فقضى لإبراهيم والآخركان قريباً من عهد عيسى . قلت : لكن الأشبه أن المذكور في القرآن هو الأول بدليل ما ذكر

في ترجمة الخضر حيث جرى ذكره في قصة موسى قريباً أنه كان على مقدمة ذي القرنين ، وقد ثبتت قصة الخضر مع موسى وموسى كان قبل زمن عيسى قطعاً ، وتأتى بقية أخبار الخضر هناك إن شاء الله تعالى . فهذا على طريقة من يقول إنه الإسكندر ، وحكى السهيلي أنه قيل إنه رجل من ولد يونان بن يافث اسمه هرمس ويقال هرديس ، وحكى القرطبي المفسر تبعاً للسهيلي أنه قيل أنه أفريدون ، وهو الملك القديم للفرس الذى قتل الضحاك الجبار الذى يقول فيه الشاعر :

فكأنه الضحاك في فتكاته بالعالمين وأنت أفريدون
وللضحاك قصص طويلة ذكرها الطبرى وغيره . والذى يقوى إن ذا القرنين من العرب كثرة ما ذكره في أشعارهم ، قال أعشى بن ثعلبة :

والصعب ذو القرنين أمسى ثاويًا بالحنو في جدث هناك مقيم
والحنو بكسر المهملة وسكون الزن في ناحية المشرق . وقال الربيع بن ضبيع :
والصعب ذو القرنين عمر ملكه ألفين أمسى بعد ذاك رميا
وقال قس بن ساعدة :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويًا باللحد بين ملاعب الأرياح
وقال تبع الحميرى :

قد كان ذو القرنين قبلى مسلما ملكا تدين له الملوك وتحشد
من بعده بلقيس كانت عمى ملكتهم حتى أتاها الهدهد
وقال بعض الحارثيين يفتخر بكون ذي القرنين من اليمن يخاطب قوما من مضر :
سموا لنا واحدا منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملا
كالتبعين وذى القرنين يقبله أهل الحجى وأحق القول ما قبلنا
وقال النعمان بن بشير الأنصارى الصحابى ابن الصحابى :

ومن ذا يعاديننا من الناس معشر كرام وذو القرنين منا وحاتم انتهى .
ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح في اسمه الصعب ، ووقع ذكر ذي القرنين أيضاً في شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم ، وأخرج الزبير بن إبراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه عن سفيان الثورى قال : بلغنى أنه ملك الدنيا كلها أربعة : مؤمنان وكافران ، سليمان النبي عليه السلام وذو القرنين ونمرود وبختنصر . ورواه وكيع في تفسيره عن العلاء ابن عبد الكريم سمعت مجاهداً يقول : ملك الأرض أربعة فسماهم .

قوله (سبياً : طريقاً) هو قول أبى عبيدة في « المجاز » وروى ابن أبى شيبه من حديث على مرفوعاً أنه قيل له : كيف بلغ ذو القرنين المشرق والمغرب ؟ قال : سخر له السحاب وبسط له النور وبدت له الأسباب .

قوله (زبر الحديد واحدها زبرة وهي القطع) هو قول أبي عبيدة أيضا قال : زبر الحديد أى قطع الحديد واحدها زبرة .

قوله (حتى إذا ساوى بين الصدفين ، يقال عن ابن عباس الجبلين) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فى قوله ﴿ بين الصدفين ﴾ قال : : بين الجبلين . وقال أبو عبيدة : قوله ﴿ بين الصدفين ﴾ أى ما بين الناحيتين من الجبلين .

قوله (والسدين : الجبلين) روى ابن أبي حاتم من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً فى قصة ذى القرنين وأنه سار حتى بلغ مطلع الشمس ، ثم أتى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شئ فبنى السدين ، وفى إسناده ضعف ، والسدين بالفتح والضم بمعنى قاله الكسائى ، وقال أبو عمرو بن العلاء : ما كان من صنع الله فبالضم وما كان من صنع آدمى فبالفتح ، وقيل بالفتح ما رأيت وبالضم ما توارى عنك .

قوله (خرجاً : أجراً) روى ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : خرجاً قال أجراً عظيماً .

قوله (آتوني أفرغ عليه قطراً : أصب عليه رصاصاً ، ويقال الحديد ، ويقال الصفر . وقال ابن عباس : النحاس) أما القول الأول والثانى فتحكماهما أبو عبيدة قال فى قوله ﴿ أفرغ عليه قطراً ﴾ أى أصب عليه حديداً ذائباً ، وجعله قوم الرصاص انتهى . والرصاص بفتح الراء وبكسرهما أيضاً ، وأما الثالث فرواه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك قال ﴿ أفرغ عليه قطراً ﴾ قال صفرأ . وأما قول ابن عباس فوصله ابن أبي حاتم بإسناد صحيح إلى عكرمة عن ابن عباس قال ﴿ أفرغ عليه قطراً ﴾ قال : النحاس . ومن طريق السدى قال : القطر النحاس المذاب ، وبناء لهم بالحديد والنحاس . ومن طريق وهب بن منبه قال : شرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل له عرقاً من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبر من صفر النحاس وحمرة وسواد الحديد . قوله (فما اسطاعوا أن يظهروه : يعلوه) هو قول أبي عبيدة قال ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه ﴾ أى أن يعلوه ، تقول ظهرت فوق الجبل أى علوته .

قوله (اسطاع استفعل من طعت له فلذلك فتح أسطاع يسطيع ، وقال بعضهم اسطاع يستطيع) يعنى بفتح الهمزة من أسطاع وضم الياء من يسطيع .

قوله (جعله دكاء : ألزقه بالأرض ، ويقال ناقة دكاء لا سنام لها والد كذاك من الأرض مثله حتى صلب وتلبد) قال أبو عبيدة ﴿ جعله دكاء ﴾ أى تركه مدكو كآى ألزقه بالأرض ، ويقال ناقة دكاء أى لا سنام لها مستوية الظهر ، والعرب تصف الفاعل والمفعول بمصدرهما فن ذلك جعله دكاً أى مدكو كآ .

قوله (وقال قتادة ﴿ حذب ﴾ أكمة) قال عبد الرزاق فى التفسير عن معمر عن قتادة فى قوله ﴿ حتى فتحت بأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون ﴾ قال من كل أكمة . وبأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح ، روى ابن مردويه والحاكم من حديث حذيفة مرفوعاً « يأجرج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمئة ألف رجل لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حمل السلاح ، لا يمرون

على شيء إذا خرجوا إلا أكلوه ، ويأكلون من مات منهم » وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى . وقد أشار النووي وغيره إلى حكاية من زعم أن آدم نام فاحتلم فاختلط منه بتراب فتولد منه ولد يأجوج ومأجوج من نسله ، وهو قول منكر جداً لا أصل له إلا عن بعض أهل الكتاب . وذكر ابن هشام في « التيجان » أن أمة منهم آمنوا بالله فتركهم ذو القرنين لما بنى السد بأرمينية فسموا الترك لذلك .

قوله (وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : رأيت السد مثل البرد المحير ، قال : رأيته) وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة أنه « قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج ، قال : كيف رأيته ؟ قال مثل البرد المحير طريقة حمراء وطريقة سوداء . قال : قد رأيته » ورواه الطبراني من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن رجلين عن أبي بكرة « أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « فذكر نحوه وزاد فيه زيادة منكرة وهي « والذي نفسي بيده لقد رأيته ليلة أسرى بي لبنة من ذهب ولبنة من فضة » وأخرجه البزار من طريق يوسف بن أبي مریم الحنفي عن أبي بكرة ورجل رأى السد فساقه مطولا . ثم ذكر المصنف في الباب ثلاثة أحاديث موصولة : أحدها حديث زينب بنت جحش في ذكر ردم يأجوج ومأجوج ، وسيأتي شرحه مستوفى في آخر كتاب الفتن . ثانيها حديث أبي هريرة نحوه باختصار ويأتي هناك أيضاً . ثالثها حديث أبي سعيد في بعث النار ، وسيأتي شرحه في أواخر الرقاق . والغرض منه هنا ذكر يأجوج ومأجوج والإشارة إلى كثرتهم وأن هذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عشر عشر العشر وأنهم من ذرية آدم رداً على من قال خلاف ذلك .

باب

قول الله عز وجل : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ ، وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ . قال أبو ميسرة : (الرحيم) بلسان الحبشة .

[٣٣٤٩] ٣٢٤٢ - نا محمد بن كثير قال أنا سفيان قال نا المغيرة بن النعمان قال نا سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه قال : « إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً . ثم قرأ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ وأَوَّلُ مَنْ يَكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ . وَإِنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُوْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ، فَأَقُولُ : أَصْحَابِي ، أَصْحَابِي فيقول : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم ، فأقول : كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

[الحديث ٣٣٤٩ - أطرافه في : ٣٤٤٧ ، ٤٦٢٥ ، ٤٦٢٦ ، ٤٧٤٠ ، ٦٥٢٤ ، ٦٥٢٥ ، ٦٥٢٦ .]

[٣٣٥٠] ٣٢٤٣ - نا إسماعيل بن عبد الله قال نا أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى

وجه آزر قتره وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول: أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأني خزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجلك، فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار.

[الحديث ٣٣٥٠ - طرفاه في: ٤٧٦٨، ٤٧٦٩].

٣٢٤٤ - نا يحيى بن سليمان قال حدثني ابن وهب قال أخبرني عمرو أن بكيراً حدثه عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: دخل النبي صلى الله عليه البيت فوجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال: «أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، هذا إبراهيم مصور، فما له يستقسم».

٣٢٤٥ - نا إبراهيم بن موسى قال نا هشام عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمُحيت. ورأى إبراهيم وإسماعيل يأيديهما الأزلام فقال: «قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط».

٣٢٤٦ - نا علي بن عبد الله قال نا يحيى بن سعيد قال نا عبيد الله قال نا سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم». فقالوا: ليس عن هذا نسألك؟ قال: «فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك؟ قال: «فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

وقال أبو أسامة ومعتمر: عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه.

[الحديث ٣٣٥٣ - أطرافه في: ٣٣٧٤، ٣٣٨٣، ٣٤٩٠، ٤٦٨٩].

٣٢٤٧ - نا مؤمل قال نا إسماعيل قال نا عوف قال نا أبورجاء قال نا سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «أتاني الليلة آتيان. فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طويلاً، وإنه إبراهيم».

٣٢٤٨ - نا بيان بن عمرو قال نا النضر قال أنا ابن عون عن مجاهد أنه سمع ابن عباس

- وذكروا له الدجال بين عينيه كافرًا أو ك ف ر - قال : لم أسمعهُ ، ولكنه قال : «أما إبراهيمُ فانظروا إلى صاحبكم ، وأما موسى فجعدُ آدمُ على جملٍ أحمرٍ مخطومٍ بخُلبة ، كأنِّي أنظرُ إليه انحدر في الوادي» . الخلبة : الليفة .

[٣٣٥٦] ٣٢٤٩ - نا قتيبة بن سعيد قال نا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه : «اختن إبراهيم النبي صلى الله عليه وهو ابن ثمانين سنة بالقُدوم» .

[الحديث ٣٣٥٦ - طرفه في : ٦٢٩٨]

تابعه عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي الزناد . وتابعه عجلان عن أبي هريرة . ورواه محمد ابن عمرو عن أبي سلمة .

نا أبو اليمان قال أنا شعيب قال نا أبو الزناد وقال : «بالقُدوم» مخففة .

[٣٣٥٧] ٣٢٥٠ - نا سعيد بن تليد الرعيني قال أخبرني ابن وهب قال أخبرني جرير بن حازم عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه : «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثاً» .

[٣٣٥٨] ٣٢٥١ - ونا محمد بن محبوب قال نا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة قال : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات : ثنتين منهن في ذات الله ، قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقال : بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له : إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه فسأله عنها قال : من هذه ؟ قال : أختي . فأتى سارة فقال : يا سارة ، ليس على وجه الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك ، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي ، فلا تكذبيني . فأرسل إليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ : فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق . ثم تناولها ثانية فأخذ مثلها أو أشد ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت فأطلق . فدعا بعض حجبته فقال : إنك لم تأتني بإنسان ، إنما أتيتني بشيطان ، فأخدمها هاجر . فأتته وهو قائم يصلي ، فأوماً بيده : مهيا ؟ قالت : رد الله كيد الكافر - أو الفاجر - في نحره ، وأخدم هاجر . قال أبو هريرة : تلك أمكم يا بني ماء السماء .

[٣٣٥٩] ٣٢٥٢- نا عبید اللہ بن موسی - أو ابن سلام عنه- قال أنا ابن جریج عن عبد الحمید بن جبیر عن سعید بن المسیب عن أم شریک أن رسول اللہ صلی اللہ علیہ أمر بقتل الوزغ قال : «وكان ینفخ علی إبراهیم» .

[٣٣٦٠] ٣٢٥٣- نا عمر بن حفص بن غیاث قال نا أبي قال نا الأعمش قال ني إبراهیم عن علقمة عن عبد اللہ قال : لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قلنا : يا رسول اللہ ، أینا لا یظلم نفسه ؟ قال : ليس كما تقولون ، ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ : بشرك . أو لم تسمعوا إلى قول لقمان : ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

قوله (باب قول الله تعالى : واتخذ الله إبراهيم خليلاً ، وقوله : إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله ، وقوله : إن إبراهيم لأواه حليم) وكأنه أشار بهذه الآيات إلى ثناء الله تعالى على إبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم بالسريانية معناه أب راحم ، والخليل فعيل بمعنى فاعل وهو من الخلطة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخلت القلب فصارت خلالة ، وهذا صحيح بالنسبة إلى ما في قلب إبراهيم من حب الله تعالى . وأما إطلاقه في حق الله تعالى فعلى سبيل المقابلة ، وقيل الخلطة أصلها الاستصفاء وسمى بذلك لأنه يوالى ويعادى في الله تعالى ، وخلطة الله له نصره وجعله إماماً ، وقيل هو مشتق من الخلطة بفتح المعجمة وهي الحاجة ، سمي بذلك لانقطاعه إلى ربه وقصره حاجته عليه ، وسيأتى تفسير الآية في تفسير النحل إن شاء الله تعالى . وإبراهيم هو ابن آزر واسمه تارح بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة ابن ناحور بنون ومهملة مضمومة ابن شاروخ بمعجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة ابن راغوء بغين معجمة ابن فالخ بفاء ولام مفتوحة بعدها معجمة ابن عير ويقال عابر وهو بمهملة وموحدة ابن شالخ بمعجمتين ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ، لا يختلف جمهور أهل النسب ولا أهل الكتاب في ذلك ، إلا في النطق ببعض هذه الأسماء . نعم ساق ابن حبان في أول تاريخه خلاف ذلك وهو شاذ .

قوله (وقال أبو ميسرة : الرحيم بلسان الحبشة) يعني الأواه ، وهذا الأثر وصله وكيع في تفسيره من طريق أبي إسحق عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال : الأواه الرحيم بلسان الحبشة . وروى ابن أبي حاتم من طريق ابن مسعود بإسناد حسن قال : الأواه الرحيم ، ولم يقل بلسان الحبشة . ومن طريق عبد الله بن شداد أحد كبار التابعين قال « قال رجل : يا رسول الله الأواه ؟ قال : الخاشع المتضرع في الدعاء » ومن طريق ابن عباس قال : الأواه الموقن . ومن طريق مجاهد قال : الأواه الحفيظ ، الرجل يذنب الذنب سرّاً ثم يتوب منه سرّاً . ومن وجه آخر عن مجاهد قال : الأواه المنيب الفقيه الموفق . ومن طريق الشعبي قال : الأواه المسيح . ومن طريق كعب الأحبار في قوله أواه قال : كان إذا ذكر النار قال أواه من عذاب الله . ومن طريق أبي ذر قال « كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه أوه أوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه

لأواه» رجاله ثقات إلا أن فيه رجلاً مبهماً ، وذكر أبو عبيدة أنه فعال من التأوه ومعناه متضرع شفقاً ولزوماً لطاعة ربه . ثم ذكر المصنف في الباب عشرين حديثاً : أحدها حديث ابن عباس في صفة الحشر ، والمقصود منه قوله « وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام » وروى البيهقي في « الأسماء » من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعاً : أول من يكسى إبراهيم حلة من الجنة ، ويؤتى بكرسى فيطرح عن يمين العرش ، ويؤتى بي فأكسى حلة لا يقوم لها البشر » ويقال إن الحكمة في خصوصية إبراهيم بذلك لكونه ألقى في النار عرياناً ، وقيل لأنه أول من لبس السراويل . ولا يلزم من خصوصيته عليه السلام بذلك تفضيله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن المفضول قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة . ويمكن أن يقال لا يدخل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك على القول بأن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه . وسيأتي مزيداً لهذا في أواخر الرقاق . وقد ثبت لإبراهيم عليه السلام أوليات أخرى كثيرة : منها أول من ضاف الضيف . وقص الشارب واختن ورأى الشيب وغير ذلك ، وقد أتيت على ذلك بأدلة في كتابي « إقامة الدلائل على معرفة الأوائل » وسيأتي شرح حديث الباب مستوفى في أواخر الرقاق إن شاء الله تعالى . ثانيها حديث أبي هريرة « يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة » وسيأتي شرحه في تفسير الشعراء إن شاء الله تعالى . ثالثها حديث ابن عباس في رؤية الصور في البيت أخرجه من وجهين ، وقد مضى أيضاً في الحج ، ويأتي شرحه فيما يتعلق بالأزلام في تفسير سورة المائدة إن شاء الله تعالى . رابعها حديث أبي هريرة « قيل يا رسول الله من أكرم الناس » وسيأتي شرحه في قصة يعقوب .

قوله (وقال أبو أسامة ومعتمر عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة) يعني أنهما خالفاً يحكي القطان في الإسناد فلم يقلوا فيه « عن سعيد عن أبيه » ورواية أبي أسامة وصلها المصنف في قصة يوسف ، ورواية معتمر وصلها المؤلف في قصة يعقوب . خامسها حديث سمرة في المنام الطويل الذي تقدم مع بعض شرحه في آخر الجنائز ، ذكر منه هنا طرفاً وهو قوله « فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طويلاً وأنه إبراهيم عليه السلام » وسيأتي شرحه مستوفى إن شاء الله تعالى في كتاب التعبير . سادسها حديث ابن عباس وقد سبق في الحج ويأتي شرحه في ذكر الدجال وغيره ، والغرض منه قوله « أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم » وأشار بذلك إلى نفسه فإنه كان أشبه الناس بإبراهيم عليه السلام . سابعها حديث أبي هريرة « اختن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقدم » رويناه بالتشديد عن الأصيلي والقاسبي ، ووقع في رواية غيرهما بالتخفيف ، قال النووي : لم يختلف الرواة عند مسلم في التخفيف ، وأنكر يعقوب بن شيبه التشديد أصلاً ، واختلف في المراد به فقيل : هو اسم مكان ، وقيل اسم آلة النجار ، فعلى الثاني هو بالتخفيف لا غير ، وعلى الأول ففيه اللغتان ، هذا قول الأكثر وعكسه الداودي ، وقد أنكر ابن السكيت التشديد في الآلة ، ثم اختلف فقيل هي قرية بالشام ، وقيل ثنية بالسراة ، والراجح أن المراد في الحديث الآلة ، فقد روى أبو يعلى من طريق علي بن رباح قال « أمر إبراهيم بالختان ، فاختن بقدوم فاشتد عليه ، فأوحى الله إليه أن عجلت قبل أن تأمر بك بآلته ، فقال : يارب كرهت أن أؤخر أمرك » .

قوله (حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد وقال بالقدم مخففة) يعني أنه روى الحديث

المذكور بالإسناد المذكور أولاً وصرح بتخفيف الدال ، وهذا يؤيد رواية الأصيلي والقاسبي .

(تنبيه) : وقع في بعض النسخ تقديم رواية أبي اليمان بعد رواية قتبية ، والذي هنا هو المعتمد .

قوله (تابعه عبد الرحمن بن إسحق عن أبي الزناد ، وتابعه عجلان عن أبيه عن أبي هريرة ، ورواه محمد بن عمرو عن أبي سارة عن أبي هريرة) . أما متابعة عبد الرحمن بن إسحق فوصلها مسدد في مسنده عن بشر بن المفضل عنه ولفظه « اختن إبراهيم بعد ما مرت به ثمانون واختن بالقدوم ، وأما متابعة عجلان فوصلها أحمد عن يحيى القطان عن ابن عجلان مثل رواية قتبية ، وأما رواية محمد بن عمرو فوصلها أبو يعلى في مسنده من هذا الوجه ولفظه « اختن إبراهيم على رأس ثمانين سنة واختن بالقدوم » فاتفقت هذه الروايات على أنه كان ابن ثمانين سنة عند اختنائه . ووقع في الموطأ موقوفاً عن أبي هريرة . وعند ابن حبان مرفوعاً « أن إبراهيم اختن وهو ابن مائة وعشرين سنة » والظاهر أنه سقط من المتن شيء فإن هذا القدر هو مقدار عمره ، ووقع في آخر « كتاب العقيدة لأبي الشيخ » من طريق الأوزاعي عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب موصولاً مرفوعاً مثله وزاد « وعاش بعد ذلك ثمانين سنة » فعلى هذا يكون عاش مائتي سنة والله أعلم . وجمع بعضهم بأن الأول حسب من مبدأ نبوته والثاني من مبدأ مولده . الحديث الثامن .

قوله (حدثنا سعيد بن تليد) بفتح المثناة وكسر اللام وبعد التحتانية الساكنة مهملة الرعني بمهملتين ونون مصغر مصرى مشهور ، وأيوب هو السخيتاني ، ومحمد هو ابن سيرين . وقد أورده المصنف من وجهين عن أيوب وساقه على لفظ حماد بن زيد عن أيوب ، ولم يقع التصريح برفعه في روايته ، وقد رواه في النكاح عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد فصرح برفعه لكن لم يسق لفظه ، ولم يقع رفعه هنا في رواية النسفي ولا كريمة ، وهو المعتمد في رواية حماد بن زيد ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر غير مرفوع ، والحديث في الأصل مرفوع كما في رواية جرير بن حازم وكما في رواية هشام بن حسان عن ابن سيرين عند النسائي والبخاري وابن حبان وكذا تقدم في البيوع من رواية الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً ، ولكن ابن سيرين كان غالباً لا يصرح برفع كثير من حديثه .

قوله (لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات) قال أبو البقاء : الجيد أن يقال بفتح الذال في الجمع لأنه جمع كذبة بسكون الذال وهو اسم لا صفة لأنك تقول كذب كذبة كما تقول ركع ركعة ولو كان صفة لكان في الجمع ، وقد أورد على هذا الحصر ما رواه مسلم من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة في حديث الشفاعة الطويل فقال في قصة إبراهيم : وذكر كذباته ، ثم ساقه من طريق أخرى من هذا الوجه وقال في آخره : وزاد في قصة إبراهيم وذكر قوله في الكوكب ﴿ هذا ربي ﴾ وقوله لآلهم ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ وقوله ﴿ إني سقيم ﴾ انتهى . قال القرطبي : ذكر الكوكب يقتضي أنها أربع ، وقد جاء في رواية ابن سيرين بصيغة الحصر فيحتاج في ذكر الكوكب إلى تأويل . قلت : الذي يظهر أنها وهم من بعض الرواة فإنه ذكر قوله في الكوكب بدل قوله في سارة ، والذي اتفقت عليه الطرق ذكر سارة دون الكوكب ، وكأنه لم يعد مع أنه أدخل من ذكر سارة لما نقل أنه قاله في حال الطفولية فلم يعدها لأن حال الطفولية ليست بحال تكليف وهذه طريقة ابن إسحق ، وقيل إنما قال ذلك بعد البلوغ لكنه قاله على طريق

الاستفهام الذي يقصد به التوبيخ ، وقيل قاله على طريق الاحتجاج على قومه تنبيهاً على أن الذي يتغير لا يصلح للربوبية وهذا قول الأكثر أنه قال توبيخاً لقومه أو تهكماً بهم وهو المعتمد ، ولهذا لم يعد ذلك في الكذبات وأما إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولاً يعتقد السامع كذباً لكنه إذا حقق لم يكن كذباً لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمريين فليس بكذب محض ، فقوله ﴿ إني سقيم ﴾ يحتمل أن يكون أراد إني سقيم أي سأسقم واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيراً ، ويحتمل أنه أراد أني سقيم بما قدر عليّ من الموت أو سقيم الحجة على الخروج معكم ، وحكى النووي عن بعضهم أنه كان تأخذه الحمى في ذلك الوقت ، وهو بعيد لأنه لو كان كذلك لم يكن كذباً لاتصريحاً ولا تعريضاً ، وقوله ﴿ بل فعله كبيرهم ﴾ قال القرطبي هذا قاله تمهيداً للاستدلال على أن الأصنام ليست بألهة وقطعا لقومه في قولهم أنها تضر وتنفع ، وهذا الاستدلال يتجوز فيه في الشرط المتصل ، ولهذا أردف قوله ﴿ بل فعله كبيرهم ﴾ بقوله ﴿ فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ قال ابن قتيبة معناه أن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا ، فالحاصل أنه مشروط بقوله ﴿ إن كانوا ينطقون ﴾ أو أنه أسند إليه ذلك لكونه السبب . وعن الكسائي أنه كان يقف عند قوله بل فعله أي فعله من فعله كائناً من كان ثم يبتدئ كبيرهم هذا وهذا خبر مستقل ثم يقول فاسألوهم إلى آخره ، ولا يخفى تكلفه . وقوله « هذه أختي » يعتذر عنه بأن مراده أنها أخته في الإسلام كما سيأتي واضحاً ، قال ابن عقيل : دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم ، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله ، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه ، فكيف مع وجود الكذب منه ، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع ، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام - يعني إطلاق الكذب على ذلك - إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه ، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز ، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعا لأعظمهما ، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تدم ، فإن الكذب وإن كان قبيحاً مخلاً لكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها .

قوله (ثنتين منهن في ذات الله) خصهما بذلك لأن قصة سارة وإن كانت أيضاً في ذات الله لكن تضمنت حظاً لنفسه ونفعاً له بخلاف الثنتين الأخيرتين فإنهما في ذات الله محضاً ، وقد وقع في رواية هشام ابن حسان المذكورة « إن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات كل ذلك في ذات الله » وفي حديث ابن عباس عند أحمد « والله إن جادل بهن إلا عن دين الله » .

قوله (بينا هو ذات يوم وسارة) في رواية مسلم « وواحدة في شأن سارة » فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت الناس واسم الجبار المذكور عمرو بن امرئ القيس بن سبأ وأنه كان على مصر ، ذكره السهيلي وهو قول ابن هشام في « التيجان » وقيل اسمه صادق وحكاها ابن قتيبة وكان على الأردن ، وقيل سنان بن علوان بن عبيد بن عريج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح حكاه الطبري ويقال أنه أخو الضحاك الذي ملك الأقاليم .

قوله (فقيل له إن هذا رجل) في رواية المستمل « إن هنا رجلاً » وفي كتاب التيجان أن قاتل ذلك رجل

كان إبراهيم يشتري منه القمح فم عليه عند الملك ، وذكر أن من جملة ما قاله للملك أنى رأيها تطحن ، وهذا هو السبب في إعطاء الملك لها هاجر في آخر الأمر وقال إن هذه لاتصلح إن تخدم نفسها .

قوله (من أحسن الناس) في صحيح مسلم في حديث الإسراء الطويل من رواية ثابت عن أنس في ذكر يوسف أعطى شطر الحسن ، زاد أبو يعلى من هذا الوجه أعطى يوسف وأمه شطر الحسن يعنى سورة ، وفي رواية الأعرج الماضية في أواخر البيوع « هاجر إبراهيم بسارة فدخل بها قرية فيها ملك أوجبار ، فقيل دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء » واختلف في والد سارة مع القول بأن اسمه هاران فقيل هو ملك حران وأن إبراهيم تزوجها لما هاجر من بلاد قومه إلى حران وقيل هي ابنة أخيه وكان ذلك جائزاً في تلك الشريعة حكاه ابن قتيبة والنقاش واستبعد ، وقيل بل هي بنت عمه وتوافق الاسمان ، وقد قيل في اسم أبيها توبل

قوله (فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه ؟ قال أختي ، فأنى سارة فقال : ياسارة ليس على وجه الأرض الخ) هذا ظاهر في أنه سأله عنها أولاً ثم أعلمها بذلك لئلا تكذبه عنده ، وفي رواية هشام بن حسان أنه قال لها « أن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغابنى عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي ، وإنك أختي في الإسلام ، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك ، فأرسل إليها » الحديث فيمكن أن يجمع بينهما بأن إبراهيم أخس بأن الملك سيطلبها منه فأوصاها بما أوصاها ، فلما وقع ماحسبه أعاد عليها الرصية . واختلف في السبب الذي حمل إبراهيم على هذه الوصية مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها أختاً كانت أو زوجة ، فقيل : كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لنوات الأزواج ، كذا قيل ، ويحتاج إلى تنميه وهو أن إبراهيم أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما ، وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة ، لكن إن علم أن لها زوجاً في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه أو حبسه وإضراره ، بخلاف ما إذا علم أن لها أخاً فإن الغيرة حينئذ تكون من قبل الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالي به . وقيل أراد أن علم أنك امرأتى ألزمنى بالطلاق ، والتقرير الذى قرره جاء صريحاً عن وهب بن منبه فيما أخرجه بن حميد في تفسيره من طريقه . وقيل كان من دين الملك أن الأخ أحق بأن تكون أخته زوجته من غيره فلذلك قال هي أختي اعتماداً على ما يعتقده الجبار فلا ينازعه فيها ، وتعقب بأنه لو كان كذلك لقال هي أختي وأنا زوجها فلم اقتصر على قوله هي أختي ؟ وأيضاً فالجواب إنما يفيد لو كان الجبار يريد أن يتزوجها لا أن يغتصبها نفسها . وذكر المنذرى في « حاشية السنن » عن بعض أهل الكتاب أنه كان من رأى الجبار المذكور أن من كانت متزوجة لا يقربها حتى يقتل زوجها فلذلك قال إبراهيم هي أختي ، لأنه إن كان عادلاً خطبها منه ثم يرجو مدافعتة عنها ، وإن كان ظالماً خلص من القتل ، وليس هذا ببعيد مما قرره أولاً ، وهذا أخذ من كلام ابن الجوزى في « مشكل الصحيحين » فإنه نقله عن بعض علماء أهل الكتاب أنه سأله عن ذلك فأجاب به .

قوله (ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك) بشكل عليه كون لوط كان معه كما قال تعالى ﴿ فآمن له لوط ﴾ ، ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض الأرض التى وقع له فيها ما وقع ولم يكن معه لوط إذ ذاك .

قوله (فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ) كذا في أكثر الروايات ، وفي بعضها « ذهب يتناولها يده » وفي رواية مسلم « فقام إبراهيم إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه أي على الملك لم يتالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة » وفي رواية أبي الزناد عن الأعرج من الزيادة « فقام إليها فقامت توضأ وتصلي » قوله في هذه الرواية « فغط » هو بضم المعجمة في أوله ، وقوله حتى ركض برجله يعني أنه أختنق حتى صار كأنه مصروع ، قيل الغط صرت النائم من شدة النفخ ، وحكى ابن الين أنه ضبط في بعض الأصول « فغط » بفتح الغين والصواب ضمها ، ويمكن الجمع بأنه عرقب تارة بقبض يده وتارة بالصراعة . وقوله « فدعت » من الدعاء في رواية الأعرج المذكورة ولفظه « فقالت اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط على الكافر » ويحجب عن قولها « أن كنت » مع كونها قاطعة بأنه سبحانه وتعالى يعلم ذلك بأنها ذكرته على سبيل الفرض هضمًا لنفسها .

قوله (فقال ادعى الله لي ولا أضرك) في رواية مسلم « فقال لها ادعى الله أن يطلق يدي ففعلت » في رواية أبي الزناد المذكورة « قال أبو سلمة قال أبو هريرة قالت اللهم أن يمت يقولوا هي التي قتلتها قال فأرسل » .

قوله (ثم تناولها الثانية) في رواية الأعرج « ثم قام إليها فقامت توضأ وتصلي » .

قوله (فأخذ مثلها أو أشد) في رواية مسلم « فقبضت أشد من القبضة الأولى » .

قوله (فدعا بعض حجبته) بفتح المهملة والجيم والموحدة جمع حاجب ، في رواية مسلم « ودعا الذي جاء بها » ولم أقف على اسمه .

قوله (إنك لم تأتني بإنسان ، إنما أتيتني بشيطان) في رواية الأعرج « ما أرسلتم إلى إلا شيطاناً ، أرجعوها إلى إبراهيم » وهذا يناسب ما وقع له من الصرع ، والمراد بالشيطان المتمرد من الجن ، وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن جداً ويرون كل ما وقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم .

قوله (فأخدمها هاجر) أي وهبها لها لتخدمها لأنه أعظمها أن تخدم نفسها . وفي رواية مسلم « فأخرجها من أرضي وأعطها أجر » ذكرها بهمزة بدل الهاء ، وهي كذلك في رواية الأعرج والجيم مفتوحة على كل حال وهي اسم سرياني ، ويقال إن أباه كان من ملوك القبط وإنها من حنن بفتح المهملة وسكون الفاء قرية بمصر ، قال اليعقوبي : كانت مدينة انتهى ، وهي الآن كفر من عمل الصنا بالبر الشرقي من الصعيد في مقابلة الأشمونين ، وفيها آثار عظيمة باقية .

قوله (فأنته) في رواية الأعرج « فاقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم » .

قوله (مهمم) في رواية المستملي « متبها » وفي رواية ابن السكن « مهين » بنون وهي بدل الميم ، وكان المستملي لما سمعها بنون ظنها نون تنوين ، ويقال أن الخليل أول من قال هذه الكلمة ومعناها ما الخبر .

قوله (رد الله كيد الكافر - أو الفاجر - في نحره) هذا مثل تقوله العرب لمن أراد أمراً باطلا فلم يصل إليه ، ووقع في رواية الأعرج « أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة » أي جارية للخدمة ، وكبت بفتح الكاف والموحدة ثم مثناة أي رده خاسئاً ، ويقال أصله « كبد » أي بلغ الهم كبده ثم أبدلت الدال مثناة ، ويحتمل أن يكون « وأخدم » معطوفاً على « كبت » ويحتمل أن يكون فاعل أخدم هو الكافر فيكون ا

قوله (قال أبو هريرة : تلك أمكم يا بني ماء السماء) كأن خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعى دوابهم ، ففيه تمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل ، وقيل أراد بماء السماء زمزم لأن الله أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها . قال ابن حبان في صحيحه : كل من كان من ولد إسماعيل يقال له ماء السماء ، لأن إسماعيل ولد هاجر وقد ربي بماء زمزم وهي من ماء السماء وقيل سموا بذلك لخلوص نسبهم وصفاته فأشبه ماء السماء وعلى هذا فلا متمسك فيه ، وقيل : المراد بماء السماء عامر ولد عمرو بن عامر بن بقاء بن حارثة بن الغطريف وهو جد الأوس والخزرج ، قالوا إنما سمي بذلك لأنه كان إذا قحط الناس أقام لهم ماله مقام المطر ، وهذا أيضاً على القول بأن العرب كلها من ولد إسماعيل ، وسيأتي زيادة في هذه المسألة في أوائل المناقب إن شاء الله تعالى . وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام وإباحة المعارض ، والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب ، وقبول صلة الملك الظالم ، وقبول هدية المشرك ، وإجابة الدعاء بإخلاص النية ، وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح . وسيأتي نظيره في قصة أصحاب الغار . وفيه ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم ، ويقال أن الله كشف لإبراهيم حتى رأى حال الملك مع سارة معانية وأنه لم يصل منها إلى شيء ، ذكر ذلك في « التيجان » ولفظه « فأمر بإدخال إبراهيم وسارة عليه ثم نحى إبراهيم إلى خارج القصر وقام إلى سارة ، فجعل الله القصر لإبراهيم كالقارورة الصافية فصار يراها ويسمع كلامهما » وفيه أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفرغ إلى الصلاة ، وفيه أن الضوء كان مشروعاً للأمم قبلنا وليس مختصاً بهذه الأمة ولا بالأنبياء ، لثبوت ذلك عن سارة ، والجمهور على أنها ليست بنبيه . الحديث التاسع .

قوله (حدثنا عبيد الله بن موسى أو ابن سلام عنه) كأن البخاري شك في سماعه له من عبيد الله بن موسى — وهو من أكبر مشايخه — وتحقق أنه سمعه من محمد بن سلام عنه فأورده هكذا ، وقد وقع له نظير هذا في أماكن عديدة .

قوله (عن عبد الحميد بن جبير) هو ابن شيبه بن عثمان الحجني ، والإسناد كله حجازيون من ابن جريج فصاعداً ، وفي رواية الإسماعيلي من طريق يحيى القطان وأبي عاصم عن ابن جريج « أخبرني عبد الحميد » .

قوله (أم شريك) في رواية أبي عاصم « إحدى نساء بني عامر بن لؤي » ولفظ المتن أنها استأمرت النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الوزغات فأمر بقتلهن ولم يذكر الزيادة ، والوزغات بالفتح جمع وزغة وهي بالفتح أيضاً ، وذكر بعض الحكماء أن الوزغ أصم ، وأنه لا يدخل في مكان فيه زعفران ، وأنه يلحق بفيه ، وأنه يبيض ، ويقال لكبارها سام أبرص وهو بتشديد الميم . الحديث العاشر حديث ابن مسعود « لما نزل : الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » الحديث ، مضى شرحه في كتاب الإيمان ، قال الإسماعيلي : كذا أورد هذا الحديث في ترجمة إبراهيم ، ولا أعلم فيه شيئاً من قصة إبراهيم ، كذا قال ، وخفي عليه أنه حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام ، لأنه سبحانه لما فرغ من حكاية قول إبراهيم في الكوكب والقمر والشمس ذكر محاجة قومه له ، ثم حكى أنه قال لهم ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً . فأى الفريقين أحق بالأمن ﴾ فهذا كله عن إبراهيم ، وقوله ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ خطاب

لقومه ، ثم قال ﴿ الذين آمنوا ﴾ الخ يعنى أن الذين هم أحق بالأمن هم الذين آمنوا ، وقال بعد ذلك ﴿ وتلك حجتنا آتيناهما إبراهيم على قومه ﴾ فظهر تعلق ذلك بترجمة إبراهيم ، وروى الحاكم في « المستدرک » من حديث على رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم ﴾ بظلم قال : نزلت هذه الآية في إبراهيم وأصحابه ، واقتصر الكرماني على قوله : مناسبة هذا الحديث لقصة إبراهيم اتصال هذه الآية بقوله ﴿ وتلك حجتنا آتيناهما إبراهيم على قومه ﴾ . الحديث الحادى عشر حديث أبى هريرة في الشفاعة ، ذكر طرفاً منه ، والغرض منه قول أهل الموقف لإبراهيم : أنت نبي الله وخليله من الأرض . ووقع عند إسحق بن راهويه ومن طريقه الحاكم في « المستدرک » من وجه آخر عن أبى زرعة عن أبى هريرة في هذا الحديث « فيقولون يا إبراهيم أنت خليل الرحمن قد سمع بخلتك أهل السماوات والأرض » وقد تقدم القول في معنى الخلطة ، ويأتى شرح حديث الشفاعة في الرقاق .

قوله (أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام) ووقع في حديث عائشة عند ابن ماجه وأحمد « أن إبراهيم لما ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها » .
قوله (تابعه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم) وصله المؤلف في التوحيد وفي غيره وسيأتى :

(يزقون) : النسلان في المشي

[٣٣٦١] ٣٢٥٤ - نا إسحاق بن إبراهيم بن نصر قال نا أبو أسامة عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم ، فقال : « إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس منهم - فذكر حديث الشفاعة - فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ويقول - وذكر كذباته - : نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى موسى » .

تابعه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم .

[٣٣٦٢] ٣٢٥٥ - نا أحمد بن سعيد أبو عبد الله قال نا وهب بن جرير عن أبيه عن أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبيرة عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يرحم الله أم إسماعيل ، لولا أنها عجلت لكان زمزم عيناً معيناً » .

[٣٣٦٣] ٣٢٥٦ - وقال الأنصاري نا ابن جريج : أمّا كثير بن كثير فحدثني قال : إني وعثمان ابن أبي سليمان جلوس مع سعيد بن جبيرة فقال : ما هكذا حدثني ابن عباس ، ولكنه قال : أقبل إبراهيم بإسماعيل وأمه - وهي ترضعه - معها سنة لم يرفعه .

[٣٣٦٤]

٣٢٥٧- فَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ نَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَّانِيِّ وَكَثِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ بِنِ الْمَطْلَبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ - يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ - عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمَنْطِقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مَنْطِقًا لَتُعْفِيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةٍ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِنَهَا إِسْمَاعِيلُ - وَهِيَ تَرْضَعُهُ - حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دُوْحَةٍ فَوْقَ زَمْرَمٍ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسَقَاءَ فِيهِ مَاءً، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مَنْطِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أُنَيْسٌ وَلَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مَرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ أَمْرُكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذْنٌ لَا يُضِيعُنَا. ثُمَّ رَجَعَتْ. فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرُونَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهِؤَلَاءِ الدَّعَوَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: (رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) حَتَّى بَلَغَ (يَشْكُرُونَ). وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَرْضَعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا فِي السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى - أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ - فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتْ الصِّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصِّفَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِي رَفَعَتْ طَرَفَ دَرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعِيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِي، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرُوءَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا فَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا؛ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «فَلَذَلِكَ سَعَى النَّاسِ بَيْنَهُمَا». فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرُوءَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ: صَه - تَرِيدُ نَفْسَهَا - ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْرَمٍ، فَبَحَثَ بِعَقْبِهِ - أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ - حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تَحْوِضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكْتَ زَمْرَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ - لَكَانَتْ زَمْرَمُ عَيْنًا مَعِينًا». قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغَلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ. وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السَّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جَرَاهِمَ - أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جَرَاهِمَ - مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَانْزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ

ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا - وأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عند الماء - فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم. قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه: «فألفي ذلك أُمُّ إِسْمَاعِيلَ وهي تحبُّ الأنس»، فنزلوا، وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم. وشبَّ الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شبَّ، فلما أدرك زوجته امرأة منهم، وماتت أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إِسْمَاعِيلَ يطالع تركته، فلم يجد إِسْمَاعِيلَ، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألتها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة. فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ. فلما جاء إِسْمَاعِيلُ كأنه آنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحق بأهلك. فطلقها، وتزوج منهم أخرى. فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجدوه، ودخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. قال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي صلى الله عليه: «ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه»، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابهِ. فلما جاء إِسْمَاعِيلُ قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه - فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرُك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبكي نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال: يا إِسْمَاعِيلُ، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني؟ قال: فأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إِسْمَاعِيلُ يأتي بالحجارة

وإبراهيمُ يَبْنِي . حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يَنَاولُهُ الْحِجَارَةَ ، وَهُمَا يَقُولَانِ : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ قَالَ : فَجَعَلَ يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

[٣٣٦٥] ٣٢٥٨ - نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ نَا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرِو قَالَ نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَافِعٍ عَنْ كَثِيرِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ ، وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرِبُ مِنَ الشَّنَّةِ فَيَدْرُ لَبْنُهَا عَلَى صَبِيَّهَا حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دُوْحَةٍ ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَى نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، إِلَى مِنْ تَتْرَكُنَا ؟ قَالَ : إِلَى اللَّهِ . قَالَتْ : رَضِيتُ بِاللَّهِ . قَالَ : فَارْجِعِي فَجَعَلَتْ تَشْرِبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدْرُ لَبْنُهَا عَلَى صَبِيَّهَا ، حَتَّى لَمَّا فَنِيَ الْمَاءُ قَالَتْ : لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أَحْسُ أَحَدًا . فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصِّفَا فَنَظَرَتْ وَنَظَرْتُ هَلْ تَحْسُ أَحَدًا فَلَمْ تَحْسُ أَحَدًا . فَلَمَّا بَلَغَتْ الْوَادِي سَعَتْ أَتَتْ الْمَرْوَةَ ، وَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا ، ثُمَّ قَالَتْ : لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ - تَعْنِي الصَّبِيَّ - فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ ، فَلَمْ تُقْرِهَا نَفْسُهَا ، فَقَالَتْ : لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أَحْسُ أَحَدًا ، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصِّفَا فَنَظَرْتُ وَنَظَرْتُ فَلَمْ تَحْسُ أَحَدًا ، حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا ، ثُمَّ قَالَتْ : لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ ، فَقَالَتْ : أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ ، فَإِذَا جَبْرِيلُ ، قَالَ : فَقَالَ بِعَقْبِهِ هَكَذَا ، وَغَمَزَ عَقْبَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، قَالَ : فَانْبَثَقَ الْمَاءُ ، فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَجَعَلَتْ تَحْفَرُ ، قَالَ : فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « لَوْ تَرَكْتُهُ كَانَ الْمَاءُ ظَاهِرًا » ، قَالَ : فَجَعَلَتْ تَشْرِبُ مِنَ الْمَاءِ وَيَدْرُ لَبْنُهَا عَلَى صَبِيَّهَا . قَالَ : فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جَرَاهِمَ بِبَطْنِ الْوَادِي فَإِذَا هُمْ بِطَيْرٍ ، كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَلِكَ ، وَقَالُوا : مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلَّا عَلَى مَاءٍ ، فَبِعَثُوا رَسُولَهُمْ فَنَظَرَ ، فَإِذَا هُوَ بِالْمَاءِ ، فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ ، فَأَتَوْا إِلَيْهَا فَقَالُوا : يَا أُمُّ إِسْمَاعِيلَ ، تَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكَ ، أَوْ نَسْكُنَ مَعَكَ ؟ فَبَلَغَ ابْنُهَا فَكَحَّ فِيهِمْ امْرَأَةً . قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ لِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لِأَهْلِهِ : إِنِّي مَطَّلَعٌ تَرَكْتِي . قَالَ : فَجَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ : أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ ؟ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : ذَهَبَ يَصِيدُ . قَالَ : قَوْلِي لَهُ إِذَا جَاءَ : غَيْرَ عَتَبَةٍ بَيْتِكَ . فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ ، فَقَالَ : أَنْتَ ذَاكَ ، فَادْهَبِي إِلَى أَهْلِكَ . قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ لِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لِأَهْلِهِ : إِنِّي مَطَّلَعٌ تَرَكْتِي . فَجَاءَ فَقَالَ : أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ ؟ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : ذَهَبَ يَصِيدُ ، فَقَالَتْ : أَلَا تَنْزِلُ فَتَطْعَمُ وَتَشْرِبُ ؟ قَالَ : وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ ؟ قَالَتْ :

طعامنا اللحم وشرابنا الماء. قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم. قال: فقال أبو القاسم صلى الله عليه: «بركة بدعوة إبراهيم». قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطّلع تركتي، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له، فقال: يا إسماعيل، إن ربك أمرني أن أبني له بيتاً. قال: أطع ربك. قال: إنه أمرني أن تعيني عليه، قال: إذن أفعل أو كما قال. قال: فقاما فجعل إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. حتى ارتفع البناء، وضعف الشيخ عن نقل الحجارة، فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

(تنبيه) : وقع في روايه الحموي والكشميني قبل حديث أبي هريرة هذا ما صورته « يزفون النسلان في المشي » وفي رواية المستملى والباقيين « باب » بغير ترجمة ، وسقط ذلك من رواية النسفي ، ووهم من وقع عنده « باب يزفون النسلان » فإنه كلام لامعني له ، والذي يظهر ترجيح ما وقع عند المستملى ، وقوله « باب » بغير ترجمة يقع عندهم كالفصل من الباب ، وتعلقه بما قبله واضح فان الكل من ترجمة إبراهيم ، وأما تفسير هذه الكلمة من القرآن فإنها من جملة قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه حين كسر أصنامهم قال الله تعالى ﴿ فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴾ قال مجاهد : الوزيف : النسلان أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق السدي قال « رجع إبراهيم عليه السلام إلى آلهتهم فإذا هي في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض ، فإذا هم قد جعلوا طعاماً بين يدي الأصنام وقالوا : إذا رجعنا وجدنا الآلهة برّكت في طعامنا فأكلنا ، فلما نظر إليهم إبراهيم قال ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾ فأخذ حديدة فبقر كل صنم في حافتيه ثم علق الفأس في الصنم الأكبر ثم خرج ، فلما رجعوا جمعوا لإبراهيم الحطب حتى أن المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني الله لأجمعن لإبراهيم حطباً . فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب وأرادوا إحراقه قالت السماء والأرض والجبال والملائكة : ربنا خليلك إبراهيم يحرق ؟ قال : أنا أعلم به ، وإن دعاكم فأغيثوه . فقال إبراهيم : اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس أحد في الأرض يعبدك غيري ، حسبي الله ونعم الوكيل » انتهى . وأظن البخاري إن كانت الترجمة محفوظة أشار إلى هذا القدر فإنه يناسب قولهم في حديث الشفاعة « أنت خليل الله من الأرض » . الحديث الثاني عشر حديث ابن عباس في قصة إسماعيل وزمزم ، ساقه من ثلاثة طرق :

الأولى قوله (عن عبد الله بن سعيد بن جبير) وقع في رواية ابن السكن والإسماعيلي من طريق حجاج ابن الشاعر عن وهب بن جرير زيادة « أبي بن كعب » ، ورواه النسائي عن أحمد بن سعيد شيخ البخاري بإسقاط عبد الله بن سعيد بن جبير وزيادة أبي بن كعب ، قال النسائي : قال أحمد بن سعيد قال وهب وحدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه ولم يذكر أبي بن كعب ، فوضح أن وهب ابن جرير كان إذا رواه عن أبيه لم يذكر عبد الله بن سعيد وذكر أبي بن كعب ، وإذا رواه عن حماد بن زيد

ذكر عبد الله بن سعيد ولم يذكر أبي بن كعب . وفي رواية النسائي أيضا « قال وهب بن جرير أتيت سلام ابن أبي مطيع فحدثته بهذا عن حماد بن زيد فأنكره إنكاراً شديداً ثم قال لي : فأبوك ما يقول ؟ قلت : يقول عن أيوب عن سعيد بن جبير ، فقال : قد غلط ، إنما هو أيوب عن عكرمة بن خالد » انتهى . وليس ببعيد أن يكون لأيوب فيه عدة طرق ، فإن إسماعيل بن عليه من كبار الحفاظ وقد قال فيه « عن أيوب نبئت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس » ولم يذكر أياً ، وهو مما يؤيد رواية البخاري ، أخرجه الإسماعيلي من وجهين عن إسماعيل أحدهما هكذا والآخر قال فيه « عن أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبير » وقد رواه معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير بلا واسطة كما أخرجه البخاري كما ترى ، وقد عاب الإسماعيلي على البخاري إخراج رواية أيوب لاضطرابها ، والذي يظهر أن اعتماد البخاري في سياق الحديث إنما هو على رواية معمر عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير ، وإن كان أخرجه مقروناً بأيوب فرواية أيوب إما عن سعيد بن جبير بلا واسطة أو بواسطة ولده عبد الله . ولا يستلزم ذلك قدحاً لثقة الجميع ، فظهر أنه اختلاف لا يضر لأنه يلور على ثقات حفاظ : إن كان بإثبات عبد الله بن سعيد بن جبير وأبي بن كعب فلا كلام ، وإن كان بإسقاطهما فأيوب قد سمع من سعيد بن جبير ، وأما ابن عباس فإن كان لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فهو من مرسل الصحابة ولم يعتمد البخاري على هذا الإسناد الخالص كما ترى . وقد سبق إلى الاعتذار عن البخاري ورد كلام الإسماعيلي بنحو هذا الحافظ أبو علي الجبائي في « تقييد المهمل » .

الطريقة الثانية : قوله (وقال الأنصاري حدثنا ابن جريج قال أما كثير بن كثير فحدثني قال إني وعثمان ابن أبي سليمان جلوس مع سعيد بن جبير فقال : ما هكذا حدثني ابن عباس ، ولكنه قال : أقبل إبراهيم بإسماعيل وأمه عليهم السلام وهي ترضعه معها شنة ، لم يرفعه) انتهى ، هكذا ساقه مختصراً معلقاً وقد وصله أبو نعيم في « المستخرج » عن فاروق الخطابي عن عبد العزيز بن معاوية عن الأنصاري وهو محمد بن عبد الله ، لكنه أورده مختصراً أيضاً ، وكذلك أخرجه عمر بن شبة في « كتاب مكة » عن محمد بن عبد الله الأنصاري وزاد في روايته « أبي وعثمان وعمر بن أبي سليمان وعثمان بن حبشي جلوس مع سعيد بن جبير » فكأنه كان عند الأنصاري كذلك . وقد رواه الأزرقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي والفاكهي من طريق محمد بن جعشم كلاهما عن ابن جريج عن كثير قال : كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين في أناس مع سعيد بن جبير بأعلى المسجد ليلاً فقال سعيد بن جبير : سلوني قبل ألا تروني ، فسأله القوم فأكثروا ، فكان مما سئل عنه أن قال رجل : أحق ماسمعنا في المقام مقام إبراهيم أن إبراهيم حين جاء من الشام حلف لامراته أن لا ينزل بمكة حتى يرجع فقربت إليه امرأة إسماعيل المقام فوضع رجله عليه لا ينزل ، فقال سعيد بن جبير : ليس هكذا حدثنا ابن عباس ولكن « فساق الحديث بطوله . وأخرجه الفاكهي عن ابن أبي عمر عن عبد الرزاق بلفظ فقال : يا معشر الشباب سلوني ، فإني قد أوشكت أن أذهب من بين أظهركم . فأكثر الناس مسألته ، فقال له رجل : أصلحك الله أرأيت هذا المقام هو كما كنا نتحدث ؟ قال : وما كنت نتحدث ؟ قال كنا نقول إن إبراهيم حين جاء عرضت عليه امرأة إسماعيل النزول فأبى أن ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعت له ، فقال : ليس كذلك » وهكذا أخرجه الإسماعيلي من طرق عن معمر .

قوله (أول ما اتخذ النساء المنطق) بكسر الميم وسكون النون وفتح الطاء هو ما يشد به الوسط ، ووقع في رواية ابن جريج المنطق بضم النون والطاء وهو جمع منطق ، وكان السبب في ذلك أن سارة كانت وهبت هاجر لإبراهيم فحملت منه بإسماعيل ، فلما ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر منطقاً فشدت به وسطها وهربت وجرت ذيلها لتخفي أثرها على سارة ، ويقال إن إبراهيم شفع فيها وقال لسارة : حالي يمينك بأن تنقبي أذنيها وتخففيها وكانت أول من فعل ذلك . ووقع في رواية ابن عليه عند الإسماعيلي « أول ما أحدث العرب جر الذبول عن أم إسماعيل » وذكر الحديث . ويقال إن سارة اشتدت بها الغيرة فخرج إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة لذلك . وروى ابن إسحق عن ابن أبي نجیح عن مجاهد وغيره « أن الله لما بوأ لإبراهيم مكان البيت خرج بإسماعيل وهو طفل صغير وأمه ، قال وحملوا فيما حدثت على البراق » .

قوله (حتى وضعهما) في رواية الكشميनी « فوضعهما » .

قوله (عند دوحه) بفتح المهملة وسكون الواو ثم مهملة : الشجرة الكبيرة .

قوله (فوق الزمزم) في رواية الكشميनी « فوق زمزم » وهو المعروف ، وسيأتي شرح أمرها في أوائل السيرة النبوية .

قوله (في أعلى المسجد) أي مكان المسجد ، لأنه لم يكن حينئذ بني .

قوله (وسقاء فيه ماء) السقاء بكسر أوله قرينة صغيرة ، وفي رواية إبراهيم بن نافع عن كثير التي بعد هذه الرواية « ومعها شنة » بفتح المعجمة وتشديد النون وهي القرينة العتيقة .

قوله (ثم قفى إبراهيم) أي ولى راجعاً إلى الشام . وفي رواية ابن إسحق « فانصرف إبراهيم إلى أهله بالشام وترك إسماعيل وأمه عند البيت » .

قوله (فبعته أم إسماعيل) في رواية ابن جريج « فادركته بكداء » وفي رواية عمر بن شبه من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير أنها « نادته ثلاثاً فأجابها في الثالثة ، فقالت له : من أمرك بهذا ؟ قال : الله » .

قوله (إذن لا يضيعنا) في رواية عطاء بن السائب « فقالت لن يضيعنا » وفي رواية ابن جريج « فقالت حسبي » وفي رواية إبراهيم بن نافع عن كثير المذكورة بعد هذا الحديث في الباب « فقالت رضيت بالله » .

قوله (حتى إذا كان عند الثانية) بفتح المثناة وكسر النون وتشديد التحتانية ، وقوله « من طريق كداء » بفتح الكاف ممدود هو الموضع الذي دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة منه وهو معروف وقد مضى الكلام عليه في الحج ، ووقع في رواية الأصيلي « البنية » بالموحدة بدل المثناة وهو تصحيف ، وضبط ابن الجوزي كدى بالضم والقصر وقال : هي التي بأسفل مكة عند قعيقعان ، قال لأنه وقع في الحديث أنهم نزلوا بأسفل مكة . قلت : وذلك ليس بمانع أن يرجع عن أعلى مكة ، فالصواب ما وقع في الأصول بفتح الكاف والمد .

قوله (ربنا إني أسكنت من فريقي) في رواية الكشميهني « رب أنى أسكنت » والأول هو الموافق للتلاوة
قوله (حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت) زاد الفاكهى من حديث أبي جهم « فانقطع لبنها » وفي روايته
« وكان إسماعيل حينئذ ابن سنتين » .

قوله (فجعلت نظر إليه يتلوى أو قال يتلبط) في رواية الكشميهني « يتلمظ » وهي رواية معمر أيضاً ،
ومعنى يتلبط وهو بموحدة ومهملة يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض ، ويقرب منها رواية عطاء بن السائب
« فلما ظمى إسماعيل جعل يضرب الأرض بعقبه » ، وفي رواية إبراهيم بن نافع « كأنه ينشغ للموت » وهو
بفتح الياء وسكون النون وفتح المعجمة بعدها غين معجمة أى يشق ويعلو صوته وينخفض كالذى ينازع .
قوله (ثم استقبلت الوادى) في رواية عطاء بن السائب « والوادى يومئذ عميق » وفي حديث أبي جهم
« تستغيث ربها وتدعوه » .

قوله (ثم سعت سعى الإنسان المجهود) أى الذى أصابه الجهد وهو الأمر المشق .

قوله (سبع مرات) في حديث أبي جهم ، « وكان ذلك أول ما سعى بين الصفا والمروة » وفي رواية
إبراهيم بن نافع أنها « كانت في كل مرة تتفقد إسماعيل وتنظر ما حدث له بعدها » وقال في روايته « فلم تقرها
نفسها » وهو بضم أوله وكسر القاف ، ونفسها بالرفع الفاعل أى لم تتركها نفسها مستقرة فتشاهده في حال
الموت فرجعت ، وهذا في المرة الأخيرة .

قوله (فقالت صه) بفتح المهملة وسكون الهاء وبكسرهما منونة ، كأنها خاطبت نفسها فقالت لها اسكتي ،
وفي رواية إبراهيم بن نافع وابن جريج « فقالت أغثنى إن كان عندك خير » .

قوله (إن كان عندك غواث) بفتح أوله للأكثر وتخفيف الواو وآخره مثلثة ، قيل ولايس في الأصوات
فعال بفتح أوله غيره ، وحكى ابن الأثير ضم أوله والمراد به على هذا المستغيث ، وحكى ابن قرقول كسره
أيضاً والضم رواية أبي ذر وجزء الشرط محذوف تقديره فأغثنى .

قوله (فإذا هى بالملك) في رواية إبراهيم بن نافع وابن جريج فإذا جبريل ، وفي حديث علي عند الطبرى
بإسناد حسن « فناداه جبريل فقال : من أنت ؟ قالت : أنا هاجر أو أم ولد إبراهيم ، قال : فإلى من وكلكما ؟
قالت : إلى الله . قال : وكلكما إلى كاف » .

قوله (فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه) شك من الراوى ، وفي رواية إبراهيم بن نافع « فقال بعقبه
هكذا ، ونمز عقبه على الأرض » وهى تعين أن ذلك كان بعقبه . وفي رواية ابن جريج « فركض جبريل
برجله » وفي حديث علي « ففحص الأرض بأصبعه فنبعت زمزم » وقال ابن إسحق في روايته « فزعم العلماء أنهم
لم يزالوا يسمعون أنها همزة جبريل » .

قوله (حتى ظهر الماء) في رواية ابن جريج « ففاض الماء » وفي رواية ابن نافع « فانبثق الماء » وهى
بنون وموحدة ومثلثة وقاف أى تفجر .

قوله (فجعلت تحوضه) بجاء مهملة وضاد معجمة وتشديد أى تجعله مثل الحوض ، وفي رواية ابن نافع « فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفر » وفي رواية الكشميهني من رواية ابن نافع « تحفن » بنون بدل الراء والأول أصوب ، وفي رواية عطاء بن السائب « فجعلت تفحص الأرض بيديها » .

قوله (وتقول بيدها هكذا) هر حكاية فعلها ، وهذا من إطلاق القول على الفعل ، وفي حديث علي « فجعلت تحبس الماء فقال دعيه فإنها رواء »

قوله (لو تركت زمزم ، أو قال لو لم تغرف من زمزم) شك من الراوى ، وفي رواية ابن نافع « لو تركته » وهذا القدر صرح ابن عباس برفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه إشعار بأن جميع الحديث مرفوع .

قوله (عيناً معيناً) أى ظاهراً جارياً على وجه الأرض ، وفي رواية ابن نافع « كان الماء ظاهراً » فعلى هذا فقوله معيناً صفة الماء فلذلك ذكره ، ومعين بفتح أوله إن كان من عانه فهو بوزن مفعول وأصله معوون فحذفت الواو ، وإن كان من المعن وهو المبالغة في الطلب فهو بوزن فعول ، قال ابن الجوزى : كان ظهور زمزم نعمة من الله محضة بغير عمل عامل ، فلما خالطها تحويط هاجر داخلها كسب البشر فقصرت على ذلك فأغنى ذلك عن توجيه تذكير معين ، مع أن الموصوف وهو المعين مؤنث .

قوله (لا تخافوا الضيعة) بفتح المعجمة وسكون التحتانية أى الهلاك ، وفي حديث أبى جهم « لا تخافى أن ينفذ الماء » وفي رواية على بن الوزع عن أيوب عند الفاكهي « لا تخافى على أهل هذا الوادى ظمأ فإنها عين يشرب بها ضيفان الله » زاد في حديث أبى جهم « فقالت بشرك الله بخير » .

قوله (فإن هذا بيت الله) في رواية الكشميهني « فإن ههنا بيت الله » .

قوله (يبنى هذا الغلام) كذا فيه بحذف المفعول ، وفي رواية الإسماعيلي « يبنيه » زاد ابن إسحق في روايته « وأشار لها إلى البيت وهو يومئذ مدرة حمراء فقال : هذا بيت الله العتيق ، واعلمى أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه » .

قوله (وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية) بالموحدة ثم المثناة ، وروى ابن أبى حاتم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال « لما كان زمن الطوفان رفع البيت ، وكان الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لإبراهيم وأعلمه مكانه » وروى البيهقي في « الدلائل » من طريق أخرى عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً « بعث الله جبريل إلى آدم فأمره ببناء البيت فبناه آدم ، ثم أمره بالطواف به وقيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس » وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء « أن آدم أول من بنى البيت ، وقيل بنته الملائكة قبله » وعن وهب بن منبه « أول من بناه شيث بن آدم » والأول أثبت ، وسيأتى مزيد آخر شرح هذا الحديث .

قوله (فكانت) أى هاجر (كذلك) أى على الحال الموصوفة ، وفيه إشعار بأنها كانت تتغذى بماء زمزم فيكفيها عن الطعام والشراب .

قوله (حتى مرت بهم رفقة) بضم الراء وسكون الفاء ثم قاف وهم الجماعة المختلطون سواء كانوا في سفر أم لا .

قوله (من جرهم) هو ابن قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وقيل ابن يقطن ، قال ابن إسحق « وكان جرهم وأخوه قطورا أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألسن ، وكان رئيس جرهم مضاض بن عمرو ورئيس قطورا السמידع ويطلق على الجميع جرهم » وفي رواية عطاء بن السائب « وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة ، وقيل أن أصلهم من العمالة » .

قوله (مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة) وقع في جميع الروايات بفتح الكاف والمد ، واستشكله بعضهم بأن كداء بالفتح والمد في أعلى مكة ، وأمرنا الذي في أسفل مكة فبالضم والقصر ، يعني فيكون الصواب هنا بالضم والقصر ، وفيه نظر لأنه لا مانع أن يدخلوها من الجهة العليا وينزلوا من الجهة السفلى .

قوله (فرأوا طائرا عاثفاً) بالمهمله والفاء هو الذي يحوم على الماء ويتردد ولا يمضي عنه .
قوله (فأرسلوا جريا) بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتانية أي رسولا ، وقد يطلق على الوكيل وعلى الأجير ، قيل سمي بذلك لأنه يجري مجرى مرسله أو موكله ، أو لأنه يجري مسرعا في حوائجه ، وقوله « جريا أو جريين » شك من الراوى هل أرسلوا واحدا أو اثنين ، وفي رواية ابراهيم بن نافع « فأرسلوا رسولا » ويحتمل الزيادة على الواحد ويكون الأفراد باعتبار الجنس لقوله « فاذا هم بالماء » بصيغة الجميع ، ويحتمل أن يكون الأفراد باعتبار المقصود بالإرسال والجمع باعتبار من يتبعه من خادم ونحوه .

قوله (فآلني ذلك) بالفاء أي وجد (أم إسماعيل) بالنصب على المفعولية (وهي تحب الأنس) بضم الهمزة ضد الوحشة ، ويجوز الكسر أي تحب جنسها .

قوله (وشب الغلام) أي إسماعيل . وفي حديث أبي جهم « ونشأ إسماعيل بين ولدانهم » .
قوله (وتعلم العربية منهم) فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربيا ، وفيه تضعيف لقول من روى أنه أول من تكلم بالعربية ، وقد وقع ذلك من حديث ابن عباس عند الحاكم في « المستدرک » بلفظ « أول من نطق بالعربية لإسماعيل » وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن قال « أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة لإسماعيل » وبهذا القيد يجمع بين الخبرين فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الألفية المطلقة فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها ، ويشهد لهذا ما حكاه ابن هشام عن الشرقى بن قطامي « أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم » ويحتمل أن تكون الأولية في الحديث مقيدة بإسماعيل بالنسبة إلى بقية إخوته من ولد ابراهيم فإسماعيل أول من نطق بالعربية من ولد ابراهيم ، وقال ابن دريد في « كتاب الوشاح » أول من نطق بالعربية يعرب بن قحطان ثم إسماعيل . قلت : وهذا لا يوافق من قال إن العرب كلها من ولد إسماعيل ، وسيأتي الكلام فيه في أوائل السيرة النبوية .

قوله (وأنفسهم) بفتح الفاء بلفظ أفعل التفضيل من النفاسة أي كثرت رغبتهم فيه ، ووقع عند

الإسماعيلي « وأنسهم » بغير فاء من الأنس ، وقال الكرمانى : أنفسهم أى رغبتهم فى مصاهرته لنفاسته عندهم ، وقال ابن الأثير : أنفسهم عطفاً على قوله تعلم العربية أى رغبتهم فيه إذ صار نفيساً عندهم .

قوله (زوجه امرأة منهم) حكى الأزرقى عن ابن إسحق أن اسمها عمارة بنت سعد بن أسامة ، وفى حديث أبى جهم أنها بنت صدى ولم يسمها ، وحكى السهيلي أن اسمها جدى بنت سعد ، وعند عمر بن شبة أن اسمها حبي بنت أسعد بن عملق ، وعند الفاكهى عن ابن إسحق أنه خطبها إلى أبيها فزوجها منه .
قوله (ومات) هاجر أى فى خلال ذلك .

قوله (فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل) فى رواية عطاء بن السائب « فقدم إبراهيم وقد مات هاجر » **قوله (يطالع تركته)** بكسر الراء أى يتفقد حال ما تركه هناك ، وضبطها بعضهم بالسكون وقال : التركة بالكسر بيض النعام ويقال لها التريكة ، قيل لها ذلك لأنها حين تبيض ترك بيضها وتذهب ثم تعود تطلبه فتحضن ما وجدت سواء كان هو أم غيره ، وفيها ضرب الشاعر المثل بقوله :

كناركة بيضها بالعراء وحاضنة بيض أخرى صباحاً

قال ابن التين : هذا يشعر بأن الذبيح إسحق لأن المأمور بذبحه كان عندما بلغ السعى ، وقد قال فى هذا الحديث « إن إبراهيم ترك إسماعيل رضيعاً وعاد إليه وهو متزوج » فلو كان هو المأمور بذبحه لذكر فى الحديث أنه عاد إليه فى خلال ذلك بين زمان الرضاع والتزويج ، وتعقب بأنه ليس فى الحديث نفي هذا المحيى ، فيحتمل أن يكون جاء وأمر بالذبح ولم يذكر فى الحديث . قلت : وقد جاء ذكر مجيئه بين الزمانين فى خبر آخر ، فى حديث أبى جهم « كان إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو غدوة فيأتى مكة ثم يرجع فيقبل فى منزله بالشام » وروى الفاكهى من حديث على بإسناد حسن نحوه وأن إبراهيم كان يزور إسماعيل وأمه على البراق ، فعلى هذا فقوله « فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل » أى بعد مجيئه قبل ذلك مراراً والله أعلم .

قوله (فقالت خرج يبتغى لنا) أى يطلب لنا الرزق ، وفى رواية ابن جريج « وكان عيش إسماعيل الصيد يخرج فيتصيد » وفى حديث أبى جهم « وكان إسماعيل يرعى ماشيته ويخرج متنكباً قوسه فيرمى الصيد » وفى حديث ابن إسحق « وكانت مسارجه التى يرعى فيها السدرة إلى السر من نواحي مكة » .

قوله (ثم سأها عن عيشهم) زاد فى رواية عطاء بن السائب « وقال هل عندك ضيافة » .

قوله (فقالت : نحن بشر ، نحن فى ضيق وشدة ، فشكت إليه) فى حديث أبى جهم « فقال لها : هل من منزل ؟ قالت : لاها الله إذن ، قال : فكيف عيشكم ؟ قال فذكرت جهداً فقالت : أما الطعام فلا طعام ، وأما الشاء فلا تحلب إلا المصر - أى - الشخب - وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ » انتهى . والشخب بفتح المعجمة وسكون الحاء المعجمة ثم موحدة السيلان .

قوله (جاءنا شيخ كذا وكذا) فى رواية عطاء بن السائب كالمستخفة بشأنه .

قوله (عتبة بابك) بفتح المهملة والمثناة والموحدة كناية عن المرأة ، وسمّاها بذلك لما فيها من الصفات الموافقة لها وهو حفظ الباب وصون ما هو داخله وكونها محل الوطء . ويستفاد منه أن تغيير عتبة الباب يصح

أن يكون من كنيات الطلاق كأن يقول مثلاً غيرت عتبة بابي أو عتبة بابي مغيرة وينوي بذلك الطلاق فيقع ، أخبرت بذلك عن شيخنا الإمام البلقيني ، وتمامه التفريع على شرع من قبلنا إذا حكاها النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره .

قوله (وتزوج منهم امرأة أخرى) ذكر الواقدي وتبعه المسعودي ثم السهيلي أن اسمها سامة بنت مهلهل ابن سعد ، وقيل اسمها عاتكة ، ورأيت في نسخة قديمة من « كتاب مكة لعمر بن شبة » أنها بشامة بنت مهلهل ابن سعد بن عوف وهي مضبوطة بشامة بموحدة ثم معجمة خفيفة قال : وقيل اسمها جدة بنت الحارث بن مضاخ وحكى ابن سعد عن ابن اسحق أن اسمها رعلة بنت مضاخ بن عمرو الجرهمية ، وعن ابن الكلبي أنها رعلة بنت يشجب بن يعرب بن لؤذان بن جرهم ، وذكر الدارقطني في « المختلف » أن اسمها السيدة بنت مضاخ وحكاها السهيلي أيضاً . وفي حديث أبي جهم « ونظر إسماعيل إلى بنت مضاخ بن عمرو فأعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها » وحكى محمد بن سعد الجواني أن اسمها هالة بنت الحارث وقيل الحنفاء وقيل سلمى ، فحصلنا من اسمها على ثمانية أقوال ومن اسم أبيها على أربعة .

قوله (نحن بخير وسعة) في حديث أبي جهم « نحن في خير عيش بحمد الله ، ونحن في لبن كثير ولحم كثير وماء طيب » .

قوله (ما طعامكم ؟ قالت اللحم ، قال : فما شربكم ؟ قالت الماء) في حديث أبي جهم ذكر اللبن مع اللحم والماء .

قوله (اللهم بارك لهم في اللحم والماء) في رواية إبراهيم بن نافع « اللهم بارك لهم في طعامهم وشربهم » قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم بركة بدعوة إبراهيم « وفيه حذف تقديره في طعام أهل مكة وشربهم بركة » .

قوله (فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه) في رواية الكشميني « لا يخلوان » بالثنية . قال ابن القوطية : خلوت بالشئ راخلت إذا لم أخلط به غيره ، ويقال أخلى الرجل اللبن إذا لم يشرب غيره . وفي حديث أبي جهم « ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه » وزاد في حديثه عطاء ابن السائب نحوه « فقالت أنزل رحمك الله فاطعم واشرب . قال : إني لا أستطيع النزول . قالت : فإني أراك أشعث أفلا أغسل رأسك وأدهنه ؟ قال : بلى إن شئت . فجاءته بالمقام ، وهو يومئذ أبيض مثل المهابة ، وكان في بيت إسماعيل ملقى فوضع قدمه اليمنى وقدم إليها شق رأسه وهو على دابته فغسلت شق رأسه الأيمن ، فلما فرغ حولت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى وقدم إليها برأسه فغسلت شق رأسه الأيسر ، فالأثر الذي في المقام من ذلك ظاهر فيه موضع العقب والإصبع » وعند الفاكهي من وجه آخر عن ابن جريج عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « إن سارة داخلتها غيره ، فقال لها إبراهيم : لا أنزل حتى أرجع إليك » ونحوه في رواية عطاء بن السائب عند عمر بن شبة .

قوله (هل أناكم من أحد) في رواية عطاء بن السائب « فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت نعم شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً » .

قوله (يثبت عتبة بابي) زاد في حديث أبي جهم « فإنها صلاح المنزل » .

قوله (أن أمسكك) زاد في حديث أبي جهم « ولقد كنت على كريمة وقد ازددت على كرامة ، فولدت لإسماعيل عشرة ذكور » زاد معمر في روايته « فسمعت رجلاً يقول : كان إبراهيم يأتي على البراق » يعنى في كل مرة ، وفي رواية عمر بن شبة « وأعجب إبراهيم بجده بنت الحارث فدعا لها بالبركة » .

قوله (يرى) بفتح أوله وسكون الموحدة ، والنبل بفتح النون وسكون الموحدة السهم قبل أن يركب فيه نصله وريشه ، وهو السهم العربي . ووقع عند الحاكم من رواية إبراهيم بن نافع في هذا الحديث « يصلح بيتاً له » وكأنه تصحيف ، والذي في البخارى هو الموافق لغيرها من الروايات .

قوله (دوحه) هي التي نزل إسماعيل وأمه قدومه كما تقدم . ووقع في رواية إبراهيم بن نافع من وراء زمزم .

قوله (فصنعنا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد) يعنى من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك ، وفي رواية معمر قال سمعت رجلاً يقول : بكيا حتى أجابها الطير ، وهذا إن ثبت يدل على أنه تباعد لقاؤهما .

قوله (إن الله أمرني بأمر) في رواية إبراهيم بن نافع « إن ربك أمرني أن أبني له بيتاً » ووقع في حديث أبي جهم عند الفاكهي « أن عمر إبراهيم كان يومئذ مائة سنة وعمر إسماعيل ثلاثين سنة » .

قوله (وتعيني ؟ قال وأعينك) في رواية الكشميهني (فأعينك) بالفاء ، وفي رواية إبراهيم بن نافع « إن الله قد أمرني أن تعيني عليه قال أن أفعل » بنصب اللام قال ابن التين : يحتمل أن يقال أمره الله أن يبني أولاً وحده ثم أمره أن يعينه إسماعيل ، قال فيكون الحديث الثاني متأخراً بعد الأول . قلت : ولا يخفى تكلفه ، بل الجمع بينهما ممكن بأن يكون أمره أن يبني وأن إسماعيل يعينه ، فقال إبراهيم لإسماعيل : إن الله أمرني أن أبني البيت وتعيني . وتخلل بين قوله أبني البيت وبين قوله وتعيني قول إسماعيل فاصنع ما أمرك ربك .

قوله (وأشار إلى أكمة) بفتح الهمزة والكاف وقد تقدم بيان ذلك في أوائل الكلام على هذا الحديث وللفاكهي من حديث عثمان (فبتاه إبراهيم وإسماعيل وليس معهما يومئذ غيرها) يعنى في مشاركتها في البناء ، ولا فقد تقدم أنه كان قد نزل الجرهميون مع إسماعيل .

قوله (رفعا القواعد من البيت) في رواية أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس « القواعد التي رفعها إبراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك » وفي رواية مجاهد عند ابن أبي حاتم « أن القواعد كانت في الأرض السابعة » ، ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس « رفع القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك ، ومن طريق عطاء قال (قال آدم يارب إني لا أسمع أصوات الملائكة ، قال ابن لي بيتاً ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بيبي الذي في السماء) وفي حديث عثمان وأبي جهم « فبلغ إبراهيم من الأساس أساس آدم وجعل طوله في السماء تسعة أذرع وعرضه في الأرض - يعنى دوره - ثلاثين ذراعاً ، وكان ذلك بنراعيهم ، زاد أبو جهم « وأدخل الحجر في البيت ، وكان قبل ذلك زرباً لغم إسماعيل ، وإنما بناه بحجارة

بعضها على بعض ولم يجعل له سقفاً وجعل له باباً وحفر له بئراً عند بابه خزانة للبيت يلقي فيها ما يهدي للبيت « وفي حديثه أيضاً » إن الله أوحى إلى إبراهيم أن اتبع السكينة ، فحلقت على موضع البيت كأنها سحابة ، فحفرها يريدان أساس آدم الأول « وفي حديث على عند الطبرى والحاكم « رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس فكلمه فقال : يا إبراهيم ابن على ظلى - أو على قدرى - ولا تزد ولا تنقص ، وذلك حين يقول الله ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ﴾ الآية . »

قوله (جاء بهذا الحجر) يعنى المقام ، وفي رواية إبراهيم بن نافع « حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام » زاد في حديث عثمان « ونزل عليه الركن والمقام فكان إبراهيم يقوم على المقام يبني عليه ويرفعه له إسماعيل ، فلما بلغ الموضع الذى فيه الركن وضعه يومئذ موضعه وأخذ المقام فجعله لاصقاً بالبيت ، فلما فرغ إبراهيم من بناء الكعبة جاء جبريل فأراه المناسك كلها ، ثم قام إبراهيم على المقام فقال : يا أيها الناس أجيئوا ربكم ، فوقف إبراهيم وإسماعيل تلك المواقف ، وحجه إسحق وسارة من بيت المقدس ، ثم رجع إبراهيم إلى الشام فمات بالشام » وروى الفاكهى بإسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس قال « قام إبراهيم على الحجر فقال : يا أيها الناس كتب عليكم الحج ، فأسمع من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه من آمن ومن كان سبق فى علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك » وفي حديث أبى جهم « ذهب إسماعيل إلى الوادى يطلب حجراً ، فنزل جبريل بالحجر الأسود ، وقد كان رفع إلى السماء حين غرقت الأرض ، فلما جاء إسماعيل فرأى الحجر الأسود قال من أين هذا ، من جاءك به ؟ قال إبراهيم : من لم يكنى إليك ولا إلى حجرك » ورواه ابن أبى حاتم من طريق السدى نحوه ، وأنه كان بالهند وكان ياقوتة بيضاء مثل الثغامة « وهى بالمثلثة والمعجمة طير أبيض كبير ، وروى الفاكهى من طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « والله ما بنياه بقصة ولا مدر ، ولا كان لهما من السعة والأعوان ما يسقفانه » ومن حديث على « كان إبراهيم يبني كل يوم سافاً » ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عنده وعند ابن أبى حاتم « أنه كان بناه من خمسة أجبل : من حراء وثير ولبنان وجبل الطور وجبل الحمر » قال ابن أبى حاتم : جبل الحمر - يعنى بفتح الحاء المعجمة - هو جبل بيت المقدس . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء « أن آدم بناه من خمسة أجبل : حراء وطور زيتاً وطور سيناء والحدودى ولبنان ، وكان ربضه من حراء » ومن طريق محمد بن طلحة التيمى قال « سمعت أنه أسس البيت من ستة أجبل : من أبى قبيس ومن الطور ومن قدس ومن ورقان ومن رضوى ومن أحد » . الطريق الثالثة .

قوله (حدثنا أبو عامر) هو العقدي وإبراهيم بن نافع هو الخزومى المكى .

قوله (لما كان بين إبراهيم وبين أهله) يعنى سارة (ما كان) يعنى من غير سارة لما ولدت هاجر

إسماعيل ، وقد مضت بقية شرح الحديث ضمن الذى قبله . الحديث الثالث عشر :

[٣٣٦٦] ٣٢٥٩ - نا موسى بن إسماعيل قال نا عبد الواحد قال نا الأعمش قال نا إبراهيم التيمي عن أبيه قال: سمعت أباذر قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه».

[الحديث ٣٣٦٦ - طرفه في: ٣٤٢٥].

[٣٣٦٧] ٣٢٦٠ - نا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه طلع له أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإنني أحرّم ما بين لابتيها». رواه عبد الله بن زيد عن النبي صلى الله عليه.

[٣٣٦٨] ٣٢٦١ - نا عبد الله بن يوسف قال أنا مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن ابن أبي بكر أخبر عبد الله بن عمر عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه أن رسول الله صلى الله عليه قال: «ألم تري أن قومك بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم». فقلت: يا رسول الله، ألا تردّها على قواعد إبراهيم؟ قال: «لولا حدثان قومك بالكفر». فقال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه ما أرى أن رسول الله صلى الله عليه ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم. وقال إسماعيل عبد الله بن محمد ابن أبي بكر.

[٣٣٦٩] ٣٢٦٢ - نا عبد الله بن يوسف قال أنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقى قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه: «قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

[الحديث ٣٣٦٩ - طرفه في: ٦٣٦٠].

[٣٣٧٠] ٣٢٦٣ - نا قيس بن حفص وموسى بن إسماعيل قالا نا عبد الواحد بن زياد قال نا أبو فروة مسلم بن سالم الهمداني قال ني عبد الله بن عيسى سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني

كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه؟ قلت: بلى فأهدتها لي، فقال: سألنا رسول الله صلى الله عليه فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد».

[الحديث ٣٣٧٠ - طرفاه في: ٤٧٩٧، ٦٣٥٧].

٣٢٦٤ - نا عثمان بن أبي شيبة قال نا جرير عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه يعوذ بالحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن وكل عين لامة».

قوله (عبد الواحد) هو ابن زياد، وإبراهيم التيمي هو ابن يزيد بن شريك وفي رواية لمسلم^(١) وابن خزيمة من طريق أخرى عن الأعمش عن إبراهيم التيمي «كنت أنا وأبي نجلس في الطريق فيعرض علي القرآن وأعرض عليه، فقرأ القرآن فسجد، فقلت تسجد في الطريق؟ قال: نعم سمعت أبا ذر» فذكره.

قوله (أى مسجد وضع في الأرض أول) بضم اللام قال أبو البقاء. وهي ضمة بناء لقطعه عن الإضافة مثل قبل وبعد، والتقدير أول كل شيء، ويجوز الفتح مصروفاً وغير مصروف.

قوله (ثم أى) بالتنوين وتركه كما تقدم في حديث ابن مسعود «أى الأعمال أفضل» وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ ويدل على أن المراد بالبيت بيت العباد لا مطلق البيوت، وقد ورد ذلك صريحاً عن علي أخرجه إسحق بن راهويه وابن أبي حاتم وغيرهما بإسناد صحيح عنه قبله قال «كانت البيوت قبله، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله».

قوله (المسجد الأقصى) يعنى مسجد بيت المقدس، قيل له الأقصى لبعده المسافة بينه وبين الكعبة، وقيل لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة، وقيل لبعده عن الأقدار والخبائث، والمقدس المطهر عن ذلك.

قوله (أربعون سنة) قال ابن الجوزي: فيه إشكال، لأن إبراهيم بنى الكعبة وسليمان بنى بيت المقدس وبينهما أكثر من ألف سنة انتهى، ومستنده في أن سليمان عليه السلام هو الذى بنى المسجد الأقصى ما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً بإسناد صحيح «أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خللاً ثلاثاً» الحديث، وفي الطبراني من حديث رافع بن عميرة «أن داود عليه السلام ابتداء ببناء بيت المقدس، ثم أوحى الله إليه: إني لأقضى بناءه على يد سليمان» وفي الحديث قصة، قال: وجوابه أن الإشارة إلى أول البناء ووضع أساس المسجد وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس

(١) هذا ليس لفظ مسلم، عبد القادر شعبة الحمد.

فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض ، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن ، وكذا قال القرطبي : أن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتداء وضعهما لهما ، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما . قلت : وقد مشى ابن حبان في صحيحه على ظاهر هذا الحديث فقال : في هذا الخبر رد على من زعم أن بين إسماعيل وداود ألف سنة ، ولو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة وهذا عين المحال لطول الزمان — بالاتفاق — بين بناء إبراهيم عليه السلام البيت وبين موسى عليه السلام . ثم إن في نص القرآن أن قصة داود في قتل جالوت كانت بعد موسى بمدة . وقد تعقب الحافظ الضياء بنحو ما أجاب به ابن الجوزي . وقال الخطابي : يشبه أن يكون المسجد الأقصى أول ما وضع بناءه بعض أولياء الله قبل داود وسليمان ثم داود وسليمان فزادا فيه ووسعاه فأضيف إليهما بناؤه ، قال : وقد ينسب هذا المسجد إلى إيلياء فيحتمل أن يكون هو بانيه أو غيره ، ولست أحقق لم أضيف إليه . قلت : الاحتمال الذي ذكره أولا موجه ، وقد رأيت لغيره أن أول من أسس المسجد الأقصى آدم عليه السلام وقيل الملائكة وقيل سام بن نوح عليه السلام وقيل يعقوب عليه السلام ، فعلى الأولين يكون ما وقع ممن بعدهما تجديداً كما وقع في الكعبة ، وعلى الآخرين يكون الواقع من إبراهيم أو يعقوب أصلاً وتأسيساً ومن داود تجديداً لذلك وابتداء بناء فلم يكمل على يده حتى أكمله سليمان عليه السلام ، لكن الاحتمال الذي ذكره ابن الجوزي أوجه . وقد وجدت ما يشهد له ويؤيد قول من قال : إن آدم هو الذي أسس كلا من المسجدين ، فذكر ابن هشام في « كتاب التيجان » أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس وإن يبنيه فبناه ونسك فيه ، وبناء آدم للبيت مشهور ، وقد تقدم قريباً حديث عبد الله بن عمرو أن البيت رفع زمن الطوفان حتى بوأه الله لإبراهيم . وروى ابن أبي حاتم من طريق معمر عن قتادة قال ، وضع الله البيت مع آدم لما هبط ، ففقد أصوات الملائكة وتسييحهم ، فقال الله له : يا آدم إني قد أهبطت بيتاً يطاف به كما يطاف حول عرشي فانطلق إليه ، فخرج آدم إلى مكة ، وكان قد هبط بالهند ومد له في خطوة فأتى البيت فطاف به ، وقيل إنه لما صلى إلى الكعبة أمر بالتوجه إلى بيت المقدس فاتخذ فيه مسجداً وصلى فيه ليكون قبلة لبعض ذريته . وأما ظن الخطابي أن إيلياء اسم رجل ، ففيه نظر ، بل هو اسم البلد فأضيف إليه المسجد كما يقال مسجد المدينة ومسجد مكة : وقال أبو عبيد البكري في « معجم البلدان » : إيليا مدينة بيت المقدس فيه ثلاث لغات : مد آخره وقصره وحذف الياء الأولى ، قال الفرزدق :

لوى ابن أبي الرقراق عينيه بعدما دنا من أعالي إيلياء وغورا

وعلى ما قاله الخطابي يمكن الجمع بأن يقال : إنها سميت باسم بانيها كغيرها . والله أعلم .

قوله (فصله) بهاء ساكنة وهى هاء السكت ، وللكشمينى بحذفها .

قوله (فإن الفضل فيه) أى فى فعل الصلاة إذا حضر وقتها ، زاد من وجه آخر عن الأعمش فى آخره

« والأرض لك مسجد » أى للصلاة فيه ، وفى « جامع سفيان بن عيينة » عن الأعمش « فإن الأرض كلها

مسجد » أى صالحة للصلاة فيها . ويخص هذا العموم بما ورد فيه النهى والله أعلم . الحديث الرابع عشر والخامس

عشر حديث أنس موصولاً وعبد الله بن زيد معلقاً فى حرم المدينة وذكر أحد ، والغرض منها ذكر إبراهيم

وأنه حرم مكة ، وقد تقدم الكلام عليهما في أواخر الحج ، وتقدم حديث عبد الله بن زيد موصولا هناك .
الحديث السادس عشر حديث عائشة في قصة بناء الكعبة ، تقدم شرحه في أثناء الحج أيضاً .

قوله (وقال إسماعيل : عبد الله بن أبي بكر) يعنى إن إسماعيل بن أبي أويس روى الحديث المذكور عن مالك كما رواه عبد الله بن يوسف فقال بدل قول عبد الله بن يوسف أن أبي بكر أخبر « أن عبد الله بن أبي بكر أخبر وأبو بكر جد عبد الله المذكور هو الصديق ، وقد ساق المصنف حديث إسماعيل في التفسير ولفظه « عبد الله بن محمد بن أبي بكر » وهو الواقع ، وكأنه عند التعليق نسبته لجدّه وأغفل المزى ذكر هذا التعليق في أحاديث الأنبياء . الحديث السابع عشر حديث أبي حميد الساعدي في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيأتى شرحه في الدعوات . والغرض منه قوله فيه « كما صليت على إبراهيم » .
الحديث الثامن عشر حديث كعب بن عجرة في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيأتى شرحه في الدعوات أيضاً ، وقد أورده في أواخر تفسير الأحزاب ، وتأتى الإشارة إليه هناك إن شاء الله تعالى ووهم المزى في الأطراف فعزا رواية كعب بن عجرة هذه إلى الصلاة فقال : روى البخارى في الصلاة عن عن قيس بن حفص وموسى بن إسماعيل كلاهما عن عبد الواحد بن زياد إلى آخر كلامه ، واغتر بذلك شيخنا ابن الملحق فإنه لما وصل إلى شرح هذا الحديث هنا أحال بشرحه على الصلاة وقال : تقدم في الصلاة ، وكأنه تبع شيخه مغلطاً في ذلك فانه كذلك صنع ، ولم يتقدم هذا الحديث عند البخارى في كتاب الصلاة أصلاً ، والله الهادى إلى الصواب . الحديث التاسع عشر حديث ابن عباس في التعويذ بكلمات الله التامة .

قوله (حدثنا جرير) لعثمان بن أبي شيبة فيه شيخ آخر أخرجه الإسماعيلي عن عمران بن موسى وإبراهيم ابن موسى قالا حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير ، وأبو حفص الأبار فرقهما عن منصور .

قوله (عن منصور) هو ابن المعتمر (عن المنهال) هو ابن عمرو ، والإسناد إلى سعيد بن جبير كوفيون وقد رواه النسائي من طريق جرير عن الأعمش عن المنهال فقال ﴿ عن عبد الله بن الحارث ﴾ بدل سعيد ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس ، ورواه الإسماعيلي من طريق أبي حفص الأبار عن الأعمش ومنصور فحمل رواية الأعمش على رواية منصور ، والصواب التفصيل ، ولذلك لم يخرج رواية الأبار .

قوله (أن أبا كما) يريد إبراهيم عليه السلام وسماه أباً لكونه جداً على .

قوله (بكلمات الله) قيل المراد بها كلامه على الإطلاق ، وقيل أقضيته ، وقيل ما وعد به كما قال تعالى ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل ﴾ والمراد بها قوله تعالى ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ﴾ المراد بالتامة الكاملة وقيل النافعة وقيل الشافية وقيل المباركة وقيل القاضية التي تمضى وتستمر ولا يرد لها شيء ولا يدخلها نقص ولا عيب ، قال الخطابي : كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق ، ويحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يستعبد بمخلوق .

قوله (من كل شيطان) يدخل تحته شياطين الإنس والجن .

قوله (وهامة) بالتحديد واحدة الهوام ذوات السموم ، وقيل كل ما له سم يقتل فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام ، وقيل المراد كل نسمة تهم بسوء .

قوله (ومن كل عين لامة) قال الخطابي : المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل . وقال أبو عبيد : أصله من أملت إلاماً ، وإنما قال « لامة » لأنه أراد أنها ذات لم ، وقال ابن الأنباري : يعني أنها تأتي في وقت بعد وقت ، وقال لامة ليؤاخي لفظ هامة لكونه أخف على اللسان .

ب

قوله : ﴿ وَنَبِّهْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية ، لا توجل : لا تخف . ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ الآية .

٣٢٦٥ - فأحمد بن صالح قال نا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال : « نحن أحق من إبراهيم إذ قال : ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ، ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي » .

[٣٣٧٢]

[الحديث ٣٣٧٢ - أطرافه في : ٣٣٧٥ ، ٣٣٨٧ ، ٤٥٣٧ ، ٤٦٩٤ ، ٦٩٩٢ .]

قوله (باب قوله ونبيههم عن ضيف إبراهيم الآية . لا توجل : لا تخف) كذا اقتصر في هذا الباب على تفسير هذه الكلمة ، وبذلك جزم الإسماعيلي وقال : ساق الآيتين بلا حديث انتهى . والتفسير المذكور مروي عن عكرمة عند ابن أبي حاتم ، ولعله كان عقب هذا في الأصل بياض فحذف . وقصة أضياف إبراهيم أوردها ابن أبي حاتم من طريق السدي مبينة ، وفيها أنه لما قرب إليهم العجل قالوا : إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمان ، قال إبراهيم : إن له ثمناً . قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره ، قال فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال : حق لهذا أن يتخذه ربه خليلاً . فلما رأى أنهم لا يأكلون فزع منهم . ومن طريق عثمان بن محصن قال « كانوا أربعة : جبريل وميكائيل وإسرافيل ورفايل » ومن طريق نوح بن أبي شداد « أن جبريل مسح بجناحيه العجل فقام يدرج حتى لحق بامه في الدار » .

قوله (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) . كذا وقع هذا الكلام لأبي ذر متصلاً بالباب ووقع في رواية كريمة بدل قوله ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ وحكى الإسماعيلي أنه وقع عنده « باب قوله وإذ قال إبراهيم الخ » وسقط كل ذلك للنسفي فصار حديث أبي هريرة تكملة الباب الذي قبله ، فكملة به الأحاديث عشرين حديثاً ، وهو متجه .

قوله (عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب) في رواية الطبري من طريق عمرو بن الحارث عن يونس عن الزهري « أخبرني أبو سلمة وسعيد » كذا قال يونس بن يزيد عن الزهري ، ورواه مالك الزهري فقال « إن سعيد بن المسيب وأبا عبيدة أخبراه عن أبي هريرة » وسيأتي ذلك للمصنف قريباً ، وتابع مالكاً أبو أويس عن الزهري أخرجه أبو عوانة من طريقه ، ورجح ذلك عند النسائي فاقتصر عليه ،

وكان البخاري جنح إلى تصحيح الطريقتين فأخرجهما معاً ، وهو نظر صحيح ، لأن الزهري صاحب حديث وهو المعروف بالرواية عن هؤلاء فلعله سمعه منهم جميعاً ، ثم هو من الأحاديث التي حدث بها مالك خارج الموطأ واشتهر أن جويرية تفرد به عنه ، ولكن تابعه سعيد بن داود عن مالك أخرجه الدارقطني في غرائب من طريقه .

قوله (نحن أحق بالشك من إبراهيم) سقط لفظ الشك من بعض الروايات . واختلف السلف في المراد بالشك هنا ، فحمله بعضهم على ظاهره وقال : كان ذلك قبل النبوة ، وحمله أيضاً الطبري على ظاهره وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان ، لكنها لم تستقر ولا زلزلت الإيمان الثابت ، واستند في ذلك إلى ما أخرجه هو وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحاكم من طريق عبد العزيز الماجشون عن محمد بن المنكدر عن ابن عباس قال « أرجى آية في القرآن هذه الآية ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ الآية » ، قال ابن عباس : هذا لما يعرض في الصدور ويسوس به الشيطان ، فرضى الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال : بلى . ومن طريق معمر عن قتادة عن ابن عباس نحوه ، ومن طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس نحوه ، وهذه طرق يشد بعضها بعضاً وإلى ذلك جنح عطاء فروي ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج « سألت عطاء عن هذه الآية قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال ذلك » وروى الطبري من طريق سعيد عن قتادة قال « ذكر لنا أن إبراهيم أتى على دابة توزعها الدواب والسباع » ومن طريق حجاج عن ابن جريج قال « بلغني أن إبراهيم أتى على جيفة حمار عليه السباع والطير فعجب وقال رب لقد علمت لتجمعنها ، ولكن رب أرني كيف تحيي الموتى » وذهب آخرون إلى تأويل ذلك ، فروى الطبري وابن أبي حاتم من طريق السدي قال « لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً استأذنه ملك الموت أن يبشره فأذن له » فذكر قصة معه في كيفية قبض روح الكافر والمؤمن ، قال « فقام إبراهيم يدعو ربه : رب أرني كيف تحيي الموتى حتى أعلم أنني خليلك » وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي العوام عن ابن سعيد قال « ليطمئن قلبي بالخلعة » ومن طريق قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير قال « ليطمئن قلبي أنني خليلك » ومن طريق الضحاك عن ابن عباس « لا علم أنك أجبت دعائي » . ومن طريق علي بن أبي طلحة عنه « لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك » . وإلى هذا الأخير جنح القاضي أبو بكر الباقلاني ، وحكى ابن النين عن الداودي الشارح أنه قال : طلب إبراهيم ذلك لتذهب عنه شدة الخوف ، قال ابن التين : وليس ذلك بالبين ؛ وقيل كان سبب ذلك أن نمرود لما قال له ما ربك ؟ قال ربي الذي يحيي ويميت ، فذكر ما قص الله مما جرى بينهما ، فسأل إبراهيم بعد ذلك ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى من غير شك منه في القدرة ، ولكن أحب ذلك واشتاق إليه فأراد أن أن يطمئن قلبه بحصول ما أراده ، أخرجه الطبري عن ابن اسحق . وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة قال : المراد ليطمئن قلبي أنهم يعلمون أنك تحيي الموتى . وقيل معناه أقدرني على إحياء الموتى فتأدب في السؤال . وقال ابن الحصار : إنما سأل أن يحيي الله الموتى على يديه فلماذا قيل له في الجواب ﴿ فصرهن إليك ﴾ . وحكى ابن التين عن بعض من لا تحصيل عنده أنه أراد بقوله ﴿ قلبي ﴾ رجلاً صالحاً كان يصحبه سألته عن ذلك ، وأبعد منه ما حكاه القرطبي المفسر عن بعض الصوفية أنه سأل من ربه

أن يريه كيف يحيي القلوب ، وقيل أراد طمأنينة النفس بكثرة الأدلة ، وقيل محبة المراجعة في السؤال . ثم اختلفوا في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نحن أحق بالشك » فقال بعضهم : معناه نحن أشد اشتياقا إلى رؤية ذلك من إبراهيم ، وقيل معناه إذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى أن لا يشك ، أى لو كان الشك متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم ، وقد علمتم أنى لم أشك فاعلموا أنه لم يشك . وإنما قال ذلك تواضعاً منه ، أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم ، وهو كقوله في حديث أنس عند مسلم « أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية ، قال ذاك إبراهيم » وقيل إن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قال بعض الناس : شك إبراهيم ولم يشك نبينا فبلغه ذلك فقال : نحن أحق بالشك من إبراهيم ، وأراد ما جرت به العادة في مخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئاً قال : مهما أردت أن تقول لفلان فقله لى ، ومقصوده لا تقل ذلك . وقيل : أراد بقوله نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك وإخراجه هو منه بدلالة العصمة . وقيل : معناه هذا الذى ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان . وحكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاءت لنفى المعنى عن الشئين نحو قوله تعالى « أهدم خير أم قوم تبع » أى لا خير فى الفريقين ، ونحو قول القائل : الشيطان خير من فلان أى لا خير فيهما ، فعلى هذا فمعنى قوله « نحن أحق بالشك من إبراهيم » لا شك عندنا جميعاً . وقال ابن عطية : ترجم الطبرى في تفسيره فقال : وقال آخرون شك إبراهيم فى القدرة . وذكر أثر ابن عباس وعطاء ، قال ابن عطية : ومحمل قول ابن عباس عنده « أنها أرجى آية » لما فيها من الإدلال على الله وسؤال الإحياء فى الدنيا ، أو لأن الإيمان يكفى فيه الإجمال ولا يحتاج إلى تنقيح وبحث . قال ومحمل قول عطاء « دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس » أى من طلب المعاينة . قال وأما الحديث فمبنى على نفي الشك ، والمراد بالشك فيه الخواطر التى لا تثبت ، وأما الشك المصطلح وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر فهو منى عن التحليل قطعاً لأنه يبعد وقوعه من رسوخ الإيمان فى قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة . قال : وأيضاً فإن السؤال لما وقع بكيف دل على حال شئ موجود مقرر عند السائل والمستول ، كما تقول كيف علم فلان ؟ فكيف فى الآية سؤال عن هيئة الإحياء لا عن نفس الإحياء فإنه ثابت مقرر . وقال ابن الجوزى : إنما صار أحق من إبراهيم لما عانى من تكذيب قومه وردهم عليه وتمعجه من أمر البعث فقال : أنا أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم ، لعظيم ما جرى لى مع قومي المنكرين لإحياء الموتى ولمعرفتى بتفضيل الله لى ، ولكن لا أسأل فى ذلك .

قوله (قال أو لم تؤمن) الاستفهام للتقرير ، ووجهه أنه طلب الكيفية وهو مشعر بالتصديق بالإحياء .

قوله (بلى ولكن ليطمئن قلبي) أى ليزيد مكوننا بالمشاهدة المنظمة إلى اعتقاد القلب ، لأن تظاهر

الأدلة أسكن للقلوب ، وكأنه قال أنا مصدق ، ولكن للبيان لطيف معنى . وقال عياض : لم يشك إبراهيم بأن الله يحيي الموتى ، ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه ، وأراد العلم الثانى بكيفيته ومشاهدته ، ويحتمل أنه سأل زيادة اليقين وإن لم يكن فى الأول شك لأن العلوم قد تتفاوت فى قوتها فأراد الترقى من علم اليقين إلى عين اليقين والله أعلم .

قوله (ويرحم الله لوطا الخ) يأتى الكلام عليه قريباً فى ترجمة لوط .

قوله (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي) أى لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن ولما قدمت طلب البراءة ، فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج وإنما قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا ، والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالا ، وقيل هو من جنس قوله « لا تفضلوني على يونس » وقد قيل إنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع ، وسيأتى تكملة لهذا الحديث في قصة يوسف .

ب

قول الله عز وجل : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾

[٣٣٧٣] ٣٢٦٦ - نا قتيبة بن سعيد قال نا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : مر رسول الله صلى الله عليه على نفر من أسلم ينتضلون ، فقال رسول الله صلى الله عليه : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع ابن فلان » . قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه : « ما لكم لا ترمون ؟ » فقالوا : يا رسول الله ، نرمي وأنت معهم ؟ فقال : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

قوله (باب قول الله تعالى : واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد) تقدم في أواخر الشهادات سبب تسميته صادق الوعد . ثم ذكر المصنف حديث سلمة بن الأكوع « ارموا بني إسماعيل » وقد تقدم شرحه في « باب التحريض على الرمي » من كتاب الجهاد ، واحتج به المصنف على أن اليمن من بني إسماعيل كما سيأتى في أوائل المناقب مع الكلام عليه .

قوله (وأنا مع ابن فلان) وقع في رواية الكشميني « وأنا مع بني فلان » وكذا هو في الجهاد ، قيل والصواب الأول لقوله في حديث أبي هريرة « وأنا مع ابن الأدرع » وقد تقدم تسمية ابن الأدرع في الجهاد ، وقد تقدم كثير من أخبار إسماعيل فيما مضى قريبا .

قصة إسحق بن إبراهيم النبي صلى الله عليه

فيه ابن عمر وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه .

قوله (قصة إسحق بن إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم) ذكر ابن إسحق أن هاجر لما حملت بإسماعيل غارت سارة فحملت بإسحق فوضعتا معا فشب الغلامان . ونقل عن بعض أهل الكتاب خلاف ذلك وأن بين مولدهما ثلاث عشرة سنة والأول أولى .

قوله (فيه ابن عمر وأبو هريرة) كأنه يشير بحديث ابن عمر إلى ما سيأتى في قصة يوسف ، وبحديث أبي هريرة إلى الحديث المذكور في الباب الذى يليه ، وأغرب ابن التين فقال : لم يقف البخارى على سنده

فأرسله ، وهو كلام من لم يفهم مقاصد البخارى ، لأنه يستلزم أن يكون البخارى أثبت في كتابه حديثاً لا يعرف له سنداً ومع ذلك ذكره مرسل ، ولم تجر للبخارى بذلك عادة حتى يحمل هذا الموضع عليها ونحوه قول الكرماني : قوله فيه - أى الباب - حديث من رواية ابن عمر في قصة إسحق بن إبراهيم عليهما السلام فأشار البخارى إليه إجمالاً ولم يذكره بعينه لأنه لم يكن بشرطه اه ، وليس الأمر كذلك لما بيته ، والله المستعان .

ب

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبْنِهِ ﴾ الآية .

[٣٣٧٤] ٣٢٦٧ - فإسحاق بن إبراهيم سمع المعتمر عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قيل للنبي صلى الله عليه : من أكرم الناس ؟ قال : « أكرمهم أتقاهم » . قالوا : يا نبي الله ، ليس عن هذا نسألك . قال : « فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : « أفعن معادن العرب تسألوني ؟ » قالوا : نعم . قال : « فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » .

قوله (باب) ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبْنِهِ ﴾ الآية (أورد فيه حديث أبي هريرة « أكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله » الحديث ، ومناسبتة لهذه الترجمة من جهة موافقة الحديث الآية في سياق نسب يوسف عليه السلام ، فإن الآية تضمنت أن يعقوب خاطب أولاده عند موته محرضاً لهم على الثبات على الإسلام ، وقال له أولاده إنهم يعبدون إلهه وإله آبائهم وإسماعيل وإسحق ، ومن جملة أولاد يعقوب يوسف عليهم السلام ، فنص الحديث على نسب يوسف وأنه ابن يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم وزاد أن الأربعة أنبياء في نسق .

قوله (حدثنا إسحق بن إبراهيم) هو ابن راهويه الإمام المشهور .

قوله (سمع المعتمر) أى أنه سمع المعتمر وهم يحذفون « أنه » خطأ كما يحذفون قال خطأ ولا بد من ثبوتها لفظاً . وعبيد الله هو ابن عمر العمرى .

قوله (أكرمهم أتقاهم) هو موافق لقوله تعالى ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ ﴾ .

قوله (قالوا يا نبي الله ليس عن هذا نسألك ، قال : فأكرم الناس يوسف) الجواب الأول من جهة الشرف بالأعمال الصالحة ، والثاني من جهة الشرف بالنسب الصالح .

قوله (أفعن معادن العرب) أى أصولهم التى ينسبون إليها ويتفاخرون بها ، وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعداد المتفاوت ، أو شبههم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن أوعية للجواهر .

قوله (فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا) يحتمل أن يريد بقوله « خياركم » جمع

خير ، ويحتمل أن يريد أفعّل التفضيل تقول في الواحد خير وأخير ثم القسمة رباعية ، فإن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع ومنافرتة خصوصاً بالانتساب إلى الآباء المتصفين بذلك ، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة سرعاً ، ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك النفقة في الدين ، ومقابل ذلك من كان مشروفاً في الجاهلية واستمر مشروفاً في الإسلام فهذا أدنى المراتب ؛ والقسم الثالث من شرف في الإسلام وفقهه ولم يكن شريفاً في الجاهلية ، ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه ، والقسم الرابع من كان شريفاً في الجاهلية ثم صار مشروفاً في الإسلام فهذا دون الذي قبله ، فان تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل .

ب

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ إلى قوله : ﴿ الْمُنْذِرِينَ ﴾

[٣٣٧٥] ٣٢٦٨- فابواليمان قال أنا شعيب قال نا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه قال : « يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد » .

قوله (باب و لوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة - إلى قوله - فساء مطر المنذرين) يقال إنه لوط ابن هاران بن تارخ وهو ابن أخى إبراهيم عليه السلام ، وقد قص الله تعالى قصته مع قومه في الأعراف وهود والشعراء والنمل والصفافات وغيرها وحاصلها أنهم ابتدعوا وطء الذكور فدعاهم لوط إلى التوحيد وإلى الإقلاع عن الفاحشة فأصروا على الامتناع ، ولم يتفق أن يساعده منهم أحد ، وكانت مدائنهم تسمى سلوم وهى بغور زغر من البلاد الشامية ، فلما أراد الله إهلاكهم بعث جبريل وميكائيل وإسرافيل إلى إبراهيم فاستضافوه فكان ما قص الله في سورة هود ، ثم توجهوا إلى لوط فاستضافوه فخاف عليهم من قومه وأراد أن يخفى عليهم خبرهم فنمت عليهم امرأته فجاءوا إليه وعاتبوه على كتمانهم أمرهم وظنوا أنهم ظفروا بهم ، فأهلكهم الله على يد جبريل فقلب مدائنهم بعد أن خرج عنهم لوط بأهل بيته ، إلا امرأته فأنها تأخرت مع قومها أو خرجت مع لوط فأدركها العذاب ، فقلب جبريل المدائن بطرف جناحه فصار عليها سافلها وصار مكانها بحيرة منتنة لا ينفع بمائها ولا بشيء مما حولها .

قوله (يغفر الله للوط أن كان ليأوي إلى ركن شديد) أى إلى الله سبحانه وتعالى ، يشير صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى ﴿ لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾ ويقال إن قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتمع معه في نسبه لأنهم من سلوم وهى من الشام وكان أصل إبراهيم واط من العراق ، فلما هاجر إبراهيم إلى الشام هاجر معه لوط ، فبعث الله لوطاً إلى أهل سلوم فقال : لو أن لى منعة وأقارب وعشيرة لكنت أستنصر بهم عليكم ليدفعوا عن ضيفانى ، ولهذا جاء في بعض طرق هذا الحديث كما أخرجه أحمد من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال لوط لو أن لى بكم قوة أو

آوى إلى ركن شديد ، قال فإنه كان يأوى إلى ركن شديد ولكنه غنى عشيرته فما بعث الله نبياً إلا فى ذروة من قومه « زاد ابن مردويه من هذا الوجه » ألم تر إلى قول قوم شعيب : « ولولا رهطك لرجمناك » وقيل معنى قوله « لقد كان يأوى إلى ركن شديد » أى إلى عشيرته ، لكنه لم يأو إليهم وأوى إلى الله انتهى . والأول أظهر لما بيناه . وقال النووى : يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك ، أو أنه التجأ إلى الله فى باطنه وأظهر هذا القول للأضياف اعتذاراً ، وسمى العشيرة ركناً لأن الركن يستند إليه ويمتنع به فشبهم بالركن من الجبل لشدهم ومنعتهم ، وسيأتى فى الباب الذى بعده تفسير الركن بلفظ آخر .

ب

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿

﴿ بَرُّكُنْهُ ﴾ : بمن معه لأنهم قوته . ﴿ تَرَكُّنُوا ﴾ : تميلوا . فأنكرهم ونكرهم واستنكرهم واحد . ﴿ يَهْرَعُونَ ﴾ : يسرعون . ﴿ دَابِرُ ﴾ : آخر . ﴿ صِيْحَةٌ ﴾ : هلكة . ﴿ لَلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ : للناظرين . ﴿ لِبَسْبِيلٍ ﴾ : لطريق .

٣٢٦٩ - فامحمود قال نا أبوأحمد قال نا سفيان عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله قال : قرأ النبي صلى الله عليه : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ . [٣٣٧٦]

قوله (باب فلما جاء آل لوط المرسلون ، قال إنكم قوم منكرون) أى أنكرهم لوط . قوله (بركنه بمن معه لأنهم قوته) هو تفسير الفراء . وقال أبو عبيدة : فتولى بركنه وبجانبه سواء إنما يعنى ناحيته . وقال فى قوله ﴿ أو آوى إلى ركن شديد ﴾ أى عشيرة عزيزة منيعة . كذا أورد المصنف هذه الجملة فى قصة لوط ، وهوهم فإنها من قصة موسى والضمير لفرعون ، والسبب فى ذلك وقع تلو قصة لوط حيث قال تعالى فى آخر قصة لوط ﴿ وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ ثم قال عقب ذلك ﴿ وفى موسى إذا أرسلناه إلى فرعون بسطان مبين فتولى بركنه ﴾ أو ذكره استطراداً لقوله فى قصة لوط ﴿ أو آوى إلى ركن شديد ﴾ .

قوله (تركنوا : تميلوا) قال أبو عبيدة فى قوله ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ﴾ لا تعدلوا إليهم ولا تميلوا ، تقول : ركنت إلى قولك أى أحببته وقبلته ، وهذه الآية لا تتعلق بقصة لوط أصلاً . ثم ظهر لى أنه ذكر هذه اللفظة من أجل مادة « ركن » بدليل إيراد الكلمة الأخرى وهى « ولا تركنوا » .

قوله (فأنكرهم ونكرهم واستنكرهم واحد) قال أبو عبيدة : نكرهم وأنكرهم واحد وكذلك استنكرهم ، وهذا الإنكار من إبراهيم غير الإنكار من لوط ، لأن إبراهيم أنكرهم لما لم يأكلوا من طعامه وأما لوط فأنكرهم لما لم يبالوا بمجىء قومه إليهم ، ولكن لها تعلق مع كونها لإبراهيم بقصة لوط .

قوله (يهرعون يسرعون) قال أبو عبيدة : يهرعون إليه أى يستحثون إليه ، قال الشاعر « بمعجلات نحوهم نهارع » أى نسارع . وقيل معناه يزعجون مع الإسراع .

قوله (دابر آخر) قال أبو عبيدة فى تفسير قوله ﴿ إن دابر هؤلاء ﴾ أى آخرهم .

قوله (صيحة هلكة) هو تفسير قوله ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة ﴾ ولم أعرف وجه دخوله هنا ، لكن لعله أشار إلى قوله ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴾ فلأنها تتعلق بقوم لوط .

قوله (للمتوسمين للناظرين) قال الفراء فى قوله تعالى ﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ أى للمتفكرين ويقال للناظرين المتفرسين ، وقال أبو عبيدة أى المتبصرين المثبتين .

قوله (لبسبيل لبطريق) هو تفسير أبى عبيدة ، والضمير فى قوله « وأنها » يعود على مدائن قوم لوط ، وقيل يعود على الآيات . ثم أورد المصنف حديث عبد الله وهو ابن مسعود قال « قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فهل من مدكر » يعنى بالدال المهملة ، وسيأتى بيان ذلك فى تفسير القمر .

(تنبيهان) : أحدهما هذه التفاسير وقعت فى رواية المستملى وحده . (ثانيهما) أورد المصنف عقب هذا قصة ثمود وصالح ، وقد قدمتها فى مكانها عقب قصة عاد وهود ، وكأن السبب فى إيرادها هنا أنه لما أورد التفاسير من سورة الحجر كان آخرها قوله ﴿ وإنها لبسبيل مقيم » ، إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ، وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين ، فانتقمنا منهم وأنها لبأمام مبين ، ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين الخ ﴾ فجاءت قصة ثمود وهم أصحاب الحجر فى هذه السورة تالية لقصة قوم لوط وتخلل بينهما قصة أصحاب الأيكة مختصرة فأوردها من أوردها على ذلك ، وقد قدمت الاعتذار عن ذلك فيما مضى .

٣٢٧٠ - فإسحاق بن منصور قال أنا عبد الصمد قال نا عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه [٣٣٨٢] عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه أنه قال : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم : يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » .

[الحديث ٣٣٨٢ - طرفاه فى : ٣٣٩٠ ، ٤٦٨٨] .

قوله (باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت) كذا ثبتت هذه الترجمة هنا وهى مكررة كما سبق قريباً ، والصواب أن حديثها تلو حديث الباب الذى يليها وهى من قصة يوسف عليه السلام ، وقوله « أخبرنا عبد الصمد » هو ابن عبد الوارث .

قوله (يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم) وفى رواية الطبرانى من طريق أبى عبيدة بن عبد الله ابن مسعود عن أبيه « يوسف بن يعقوب بن إسحق ذبيح الله » وله من حديث ابن عباس « قالوا يا رسول الله من السيد ؟ قال : يوسف بن يعقوب بن إسحق ذبيح الله ، قالوا : فما فى أمتك سيد ؟ قال رجل أعطى مالا حللاً ورزق سماحة » وإسناده ضعيف .

باب

قول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ﴾

[٣٣٨٣] ٣٢٧١- نا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله قال: أخبرني سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة سئل رسول الله صلى الله عليه: من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فعن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

أنا محمد قال أخبرني عبدة عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه بهذا.

[٣٣٨٤] ٣٢٧٢- نا بدل بن المحبر قال أنا شعبة عن سعد بن إبراهيم قال سمعت عروة بن الزبير عن عائشة أن النبي صلى الله عليه قال لها: «مري أبا بكر يصلي بالناس». قالت: إنه رجل أسيف، متى يقيم مقامك رق، فعاد، فعادت. قال شعبة: فقال في الثالثة -أو الرابعة-: «إنك صواحب يوسف، مري أبا بكر...».

[٣٣٨٥] ٣٢٧٣- نا ربيع بن يحيى قال نا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: مرض النبي صلى الله عليه فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل -فقال مثله، فقالت مثله- فقال: «مروا أبا بكر، فإنك صواحب يوسف»، فأم أبو بكر في حياة النبي صلى الله عليه. وقال حسين عن زائدة: رجل رقيق.

[٣٣٨٦] ٣٢٧٤- نا أبو اليمان قال أنا شعيب قال نا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «اللهم أنج عيَّاش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين. اللهم اشد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف».

[٣٣٨٧] ٣٢٧٥- نا عبد الله بن محمد بن أسماء هو ابن أخي جويرية قال نا جويرية بن أسماء عن مالك عن الزهري أن سعيد بن المسيب وأبا عبيد أخبراه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى

الله عليه: «يرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديدٍ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبتُهُ».

[٣٣٨٨] ٣٢٧٦- نا محمد بن سلام قال أنا ابن فضيل قال نا حصين عن شقيق عن مسروق قال: سألت أم رومان وهي أم عائشة عما قيل فيها ما قيل قالت: بينما أنا مع عائشة جالستان، إذ ولجت علينا امرأة من الأنصار وهي تقول: فعل الله بفلان وفعل. قالت: فقلت: لم؟ قالت: إنه نمي ذكر الحديث، فقالت عائشة: أي حديث؟ فأخبرتها. قالت: فسمعه أبوبكر ورسول الله صلى الله عليه؟ قالت: نعم، فخرت مغشياً عليها، فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض. فجاء النبي صلى الله عليه فقال: «ما لهذه؟» قلت: حمى أخذتها من أجل حديثٍ تحدث به. فقعدت فقالت: والله لئن حلفت لا تصدقوني، ولئن اعتذرت لا تعذروني، فمثلي ومثلكم كمثلي يعقوب وبنيه، فالله المستعان على ما تصفون. فانصرف النبي صلى الله عليه، فأنزل الله ما أنزل، فأخبرها فقالت: بحمد الله لا بحمد أحد.

[الحديث ٣٣٨٨ - أطرافه في: ٤١٤٣، ٤٦٩١، ٤٧٥١].

[٣٣٨٩] ٣٢٧٧- نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة أنه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه: أرأيت قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾^(١) أو كُذِّبوا؟ قالت: بل كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُمْ، فقلت: والله لقد استيقنوا أن قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ وما هو بالظن. فقالت: يا عُرِيَّة، لقد استيقنوا بذلك. قلت: فلعلها أو كَذَّبُوا قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك برَبِّها، وأما هذه الآية قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا برَبِّهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخروا عنهم النصر، حتى إذا استيأست مَن كَذَّبَهُمْ من قَوْمِهِمْ وظنوا أن أتباعهم كَذَّبُوهُمْ جاءهم نصر الله. قال أبو عبد الله: ﴿اسْتَيْأَسُوا﴾: افتعلوا من يئست.

[الحديث ٣٣٨٩ - أطرافه في: ٤٥٢٥، ٤٦٩٥، ٤٦٩٦].

[٣٣٩٠] ٣٢٧٨- نا عبدة قال نا عبد الصمد عن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

(١) ﴿كُذِّبُوا﴾: قرأ الكوفيون: ﴿كُذِّبُوا﴾، والباقون: ﴿كُذِّبُوا﴾.

قوله (باب قول الله تعالى : لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) اسم إخوة يوسف : روبيل بضم الراء وسكون الواو وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ثم لام وهو أكبرهم ، وشمعون بالشين المعجمة ، ولاوى ، ويهوذا ، وداني ، ونفتالي بفاء ومثناة ، وكاد ، وأشير وأيساجر ، ورايلون ، وبنيامين وهم الأسباط . وقد اختلف فيهم فقيل : كانوا أنبياء ، ويقال لم يكن فيهم نبي وإنما المراد بالأسباط قبائل من بني إسرائيل ، فقد كان فيهم من الأنبياء عدد كثير . ثم ذكر المصنف في الباب سبعة أحاديث : أحدها حديث أبي هريرة في « أكرم الناس » أى أصلاً ، ذكره من وجهين عن عبد الله بن عمر . ثانيها قال فيه « أخبرنا محمد بن سلام أخبرني عبدة » وهو ابن سليمان . ووقع في « المستخرج » لأبي نعيم أن البخاري أخرجه عن عثمان بن أبي شيبة عن عبدة فإله أعلم ، وقد تقدم شرحه قريباً . الحديث الثاني حديث عائشة « مروا أبا بكر فليصل بالناس » وقد تقدم شرحه في أبواب الإمامة ، وأورده هنا مختصراً ، والغرض منه قوله « إنكن صواحب يوسف » وقوله في أول الإسناد « حدثنا الربيع بن يحيى » في رواية أبي ذر بغير ألف ولام ، وزاد في رواية كريمة « البصري » ووقع في نسخة « حدثنا النضر حدثنا زائدة » وهو غلط فاحش تصحيف من « البصري » وقد تقدم ذكر مناسبه هناك ، وقد قص الله تعالى قصة يوسف مطولة في سورة لم يذكر فيها قصة لغيره ، وقد روى ابن حبان من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً « رحم الله يوسف ، لولا الكلمة التي قالها - اذكرني عند ربك - ما لبث في السجن ما لبث » الثالث حديث أبي موسى في المعنى وقد تقدم أيضاً . الرابع حديث أبي هريرة في الدعاء عند الرفع من الركوع « اللهم أنج المستضعفين » وقد تقدم شرحه في الصلاة أيضاً ، والغرض منه قوله « اجعلها عليهم سنين كسني يوسف المراد بسني يوسف ما قصه الله من ذكر السنين المجيدة في زمانه ، ويقال اسم الملاك الذي رأى الرؤيا الريان ابن الوليد من ذرية لاوذ بن سام بن نوح . الخامس حديثه في ذكر لوط ويوسف ، وقد تقدم في ترجمة إبراهيم . السادس حديث أم رومان والدة عائشة في قصة الإفك ، أورده لقول عائشة فيه « فمثلي ومثلكم كمثلي يعقوب وبنيه » وسيأتي في تفسير النور في سياق قصة الإفك عن عائشة بلفظ « والتمست اسم يعقوب فلم أجده ، فقلت : ما أجدي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف ، ويأتي الكلام على ما قيل في هذا الإسناد من التعليل بالانقطاع ، والجواب عنه في غزوة بني المصطلق من كتاب المغازي إن شاء الله تعالى . السابع حديث عائشة في تفسير قوله تعالى ﴿ حتى إذا استأس الرسل ﴾ وسيأتي شرحه في آخر تفسير سورة يوسف .

قوله (استأسوا استأفعلوا من يثست ، منه من يوسف) وقع في كثير من الروايات « افعلوا » والصواب الأول . وفي تفسير ابن أبي حاتم من طريق ابن إسحق ﴿ فلما استأسوا ﴾ أى لما حصل لهم اليأس من يوسف .

قوله (ولا تيأسوا من روح الله معناه من الرجاء) وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن بشير عن قتادة « لا تيأسوا من روح الله أى من رحمة الله » .

(تنبيه) : مطابقة هذا الحديث للترجمة وقوع الآية في سورة يوسف ودخوله هو في عموم قوله ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ﴾ وكان مقامه في السجن تلك المدة الطويلة إلى أن جاءه النصر من عند الله

تعالى بعد اليأس ، لأنه أمر الفتي الذي ظن أنه ناج أن يذكر قصته وأنه حبس ظلماً ، فلم يذكرها إلا بعد سبع سنين وفي مثل هذا يحصل اليأس في العادة المطردة . الحديث الثامن حديث ابن عمر « الكريم ابن الكريم » الحديث تقدم شرحه قبل هذا . وعبد الله المصنف هو ابن عبد الله المروزي ، وعبد الصمد هو ابن عبد الوارث ، وعبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار .

باب قول الله عز وجل : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي ﴾ الآية

﴿ اركض ﴾ : اضرب . ﴿ يركضون ﴾ : يعدون .

٣٢٧٩ - نا عبد الله بن محمد الجعفي قال نا عبد الرزاق قال أنا معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل يحشي في ثوبه فناده ربه : يا أيوب ، ألم أكن أغنيك عما ترى ؟ قال : بلى يا رب ، ولكن لا غنى بي عن بركتك » . [٣٣٩١]

قوله (باب قول الله تعالى ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾ الآية) يقال هو أيوب بن ساري بن رغوال ابن عيصو بن إسحق بن إبراهيم ، وقيل اسم أبيه موص والباقي سواء ، وقيل موص بن رزاح بن عيص ، وقيل أيوب بن رزاح بن موص بن عيصو ، ومنهم من زاد بين موص وعيص ليقرن ، وزعم بعض المتأخرين أنه من ذرية روم بن عيص ولا يثبت ذلك ، وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام وأن أباه كان ممن آمن بإبراهيم وعلى هذا فكان قبل موسى . وقال ابن إسحق : الصحيح أنه كان من بني إسرائيل ولم يصح في نسبه شيء إلا أن اسم أبيه امص والله أعلم . وقال الطبري : كان بعد شعيب . وقال ابن أبي خيثمة : كان بعد سليمان ، وكان عيصو تزوج بسمت بنت عمه إسماعيل فرزق منها رغوال وهو بغين معجمة .

قوله (اركض اضرب ، يركضون يعدون) روى ابن جرير من طريق شعبة عن قتادة في قوله ﴿ اركض برجلك ﴾ قال : ضرب برجله الأرض فإذا عياناً تنبعان فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى وقال الفراء في قوله تعالى ﴿ إذا هم بها يركضون ﴾ أي يهربون . وأخرج الطبري من طريق مجاهد في قوله ﴿ لا تركضوا ﴾ أي لا تفروا .

قوله (بينا أيوب) أصل « بينا » بين أشبعت الفتحة ، ويغتسل خبر المبتدأ والجملة في محل الجر بإضافة بين إليه والعامل « خر عليه » أو هو مقدر وخر مفسر له ، ووقع عند أحمد وابن حبان من طريق بشير بن نهيك عن أبي هريرة « لما عافى الله أيوب أمطر عليه جراداً من ذهب » .

قوله (عرياناً) تقدم القول فيه في كتاب الفسل .

قوله (خر عليه) أي سقط عليه ، وقوله (رجل جراد) أي جماعة جراد ، والجراد اسم جمع واحده جرادة كتمر وتمر ، وحكى ابن سيده أنه يقال للذكر جراد وللأنثى جرادة .

قوله (يحيى) بالمثلثة أى يأخذ بيديه جميعاً ، وفي رواية بشير بن نهيك « يلتقط » .
قوله (في ثوبه) في حديث ابن عباس عند ابن أبي حاتم « فجعل أيوب ينشر طرف ثوبه فيأخذ الجراد فيجعله فيه فكلمها امتلأت ناحية نشر ناحية » .

قوله (فناداه ربه) يحتمل أن يكون بواسطة أو بالهام ، ويحتمل أن يكون بغير واسطة .
قوله (قال بلى) أى أغنيتنى .

قوله (ولكن لا غنى لى) بالقصر بغير تنوين وخبر لا قوله لى أو قوله عن بركتك ، وفي رواية بشير بن نهيك « فقال ومن يشبع من رحمتك » أو قال « من فضلك » . وفي الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه ، وفيه تسمية المال الذى يكون من هذه الجهة بركة ، وفيه فضل الغنى الشاكر ، وسيأتى بقية مباحث هذه الحصلة الأخيرة في الرقاق إن شاء الله تعالى . واستنبط منه الخطأ جواز أخذ الثار في الإملاك ، وتعقبه ابن التين فقال : هو شيء خص الله به نبيه أيوب ، وهو بخلاف الثار فإنه من فعل آدمى فيكره لما فيه من السرف ، ورد عليه بأنه أذن فيه من قبل الشارع إن ثبت الخبر ، ويستأنس فيه بهذه القصة والله أعلم .

(تفنيه) : لم يثبت عند البخارى في قصة أيوب شيء ، فاكتفى بهذا الحديث الذى على شرطه . وأصح ما ورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهرى عن أنس « إن أيوب عليه السلام ابتلى فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه فكانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما للآخر : لقد أذنب أيوب ذنباً عظيماً وإلا لكشف عنه هذا البلاء ، فذكره الآخر لأيوب ، يعنى فحزن ودعا الله حينئذ فخرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده فلما فرغ أبطات عليه ، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك ، فضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها فرجع صحيحاً ، فجاءت امرأته فلم تعرفه ، فسألته عن أيوب فقال : إني أنا هو ، وكان له أندران : أحدهما للقمح ، والآخر للشعير ، فبعث الله له سحابة فأفرغت في أندر القمح الذهب حتى فاض ، وفي أندر الشعير الفضة حتى فاض » . وروى ابن أبي حاتم نحوه من حديث ابن عباس وفيه « فكساه الله حلة من حلال الجنة ، فجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت : يا عبد الله هل أبصرت المبتلى الذى كان هنا ، فلعل الذئاب ذهبت به ؟ فقال : ويحك أنا هو » وروى ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عبيد ابن عمير نحو حديث أنس ، وفي آخره « قال فسجد وقال : وعزتك لا أرفع رأسى حتى تكشف عني فكشف عنه » وعن الضحاك عن ابن عباس « رد الله على امرأته شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ولداً ذكراً . وذكر وهب بن منبه ومحمد بن إسحق في « المبتدأ » قصة مطولة جداً وحاصلها أنه كان يحوران ، وكان له البنية سهلها وجبلها ، وله أهل ومال كثير وولد ، فسلب ذلك كله شيئاً فشيئاً وهو بصبر ويحتسب ثم ابتلى في جسده بأنواع من البلاء حتى ألقى خارجاً من البلد ، فرفضه الناس إلا امرأته ، فبلغ من أمرها أنها كانت تخدم بالأجرة وتطعمه إلى أن تجنبها الناس خشية العدوى فباعته إحدى صغيرتيها من بعض بنات الأشراف وكانت طويلة حسنة فاشترت له به طعاماً طيباً ، فلما أحضرته له حلف أن لا يأكله حتى تخبره من أين

لها ذلك ، فكشفت عن رأسها ، فاشتد حزنه وقال حينئذ ﴿ رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ فعافاه الله تعالى ، وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد أن أيوب أول من أصابه الجحش . ومن طريق الحسن أن إبليس أتى امرأته فقال لها : إن أكل أيوب ولم يسم عوفى فعرضت ذلك على أيوب فحلف ليضربها مائة ، فلما عوفى أمره الله أن يأخذ عرجوناً فيه مائة شمر أخ فيضربها ضربة واحدة ، وقيل بل قعد إبليس على الطريق في صورة طيب فقال لها : إذا داووته فقال أنت شفيتني قنعت بذلك ، فعرضت ذلك عليه فغضب وكان ما كان . وذكر الطبري أن اسمها ليا بنت يعقوب ، وقيل رحمة بنت يوسف بن يعقوب ، وقيل بنت إفرائيم أو ميثا بن يوسف ، وأفاد ابن خالويه أنه يقال لها أم زيد واختلف في مدة بلائه فقيل ثلاث عشرة سنة كما تقدم ، وقيل ثلاث سنين وهذا قول وهب ، وقيل سبع سنين وهو عن الحسن وقتادة ، وقيل إن امرأته قالت له : ألا تدعو الله لي عافيك فقال : قد عشت صحيحاً سبعين سنة أفلا أصبر سبع سنين ؟ والصحيح ما تقدم أنه لبث في بلائه ثلاث عشرة سنة . وروى الطبري أن مدة عمره كانت ثلاثاً وتسعين سنة فعلى هذا فيكون عاش بعد أن عوفى عشر سنين ، والله أعلم .

قول الله عز وجل : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ ^(١) إلى قوله : ﴿ نَجِيًّا ﴾ .

٣٢٨٠ - نا عبد الله بن يوسف قال نا الليث قال ني عقيل عن ابن شهاب قال : سمعت

[٣٣٩٢]

عروة قال قالت عائشة : فرجع النبي صلى الله عليه إلى خديجة يرجف فؤاده ، فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل - وكان رجلاً تنصراً يقرأ الإنجيل بالعربية - فقال ورقة : ماذا ترى ؟ فأخبره ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ، وإن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً .

الناموس : صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره .

قوله (باب) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ وكان رسولا نبياً - إلى قوله - نجياً ﴿ في رواية أبي زر » قول الله واذكر الخ » وليس فيه « باب » وساق في رواية كريمة إلى قوله ﴿ أخاه هارون نبياً ﴾ قوله (يقال للواحد والاثنين) زاد الكشيميني : والجمع نجى (ويقال خلصوا اعتزلوا نجياً والجمع أنجية ، يتناجون) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ خلصوا نجياً ﴾ : أي اعتزلوا نجياً يتناجون ، والنجى يقع لفظه على الواحد والجمع أيضاً . وقد يجمع فيقال نجى وأنجية ، قال لبيد :

وشهدت أنجية الإفاقة عالياً كعبي ، وأرداف الملوك شهود

وموسى هو ابن عمران بن لاهب بن عازر بن لاوى بن يعقوب عليه السلام لا اختلاف في نسبه ، ذكر السدي في تفسيره بأسانيده أن بدء أمر موسى أن فرعون رأى كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس

(١) ﴿ مُخْلَصًا ﴾ : قرأ الكوفيون : ﴿ مُخْلَصًا ﴾ ، والباقون : ﴿ مُخْلَصًا ﴾ .

فأحرقت دور مصر وجميع القبط إلا دور بني إسرائيل ، فلما استيقظ جمع الكهنة والسحرة فقالوا : هذا غلام يولد من هؤلاء يكون خراب مصر على يده ، فأمر بقتل الغلمان ، فلما ولد موسى أوحى الله إلى أمه أن أرضعيه ، فإذا خيفت عليه فألقيه في اليم ، قالوا فكانت ترضعه ، فإذا خافت عليه جعلته في تابوت وألقته في البحر وجعلت الحبل عندها ، فنسيت الحبل يوما فجرى به النيل حتى وقف على باب فرعون فالتقطه الجوارى فأحضره عند امرأته ، ففتحت التابوت فرأته فأعجبها ، فاستوهبت من فرعون فوهبه لها ، فربته حتى كان من أمره ما كان .

قوله (تلقف : تلقم) هو تفسير أبي عبيدة قاله في سورة الأعراف ، ثم أورد المصنف طرفاً من حديث بدء الوحي ، وقد تقدم شرحه بتأمله في أول الكتاب ، والغرض منه قوله « الناموس الذي أنزل على موسى » .

قوله (الناموس : صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره) هو قول المصنف ، وقد تقدم قول من خصه بسر الخبر .

باب

قوله عز وجل : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ ، ﴿ آنَسْتُ ﴾ : أبصرت ، ﴿ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ الآية . قال : قال ابن عباس : ﴿ الْمُقَدَّسِ ﴾ : المبارك . ﴿ طُوًى ﴾ : اسم الوادي . ﴿ سِيرَتَهَا ﴾ : حالتها . ﴿ النَّهْيُ ﴾ : التقى . ﴿ بِمَلَكِنَا ﴾ : بأمرنا . ﴿ هَوًى ﴾ : شقي . ﴿ فَارِغًا ﴾ : إلا ذكر موسى . ﴿ رِدْءًا ﴾ : كي يُصَدِّقَنِي ، ويقال : مغيثاً ، أو معيناً . (نبطش) ونبطش ، ﴿ يَأْتَمِرُونَ ﴾ : يتشاورون . والجذوة : قطعة غليظة من الخشب ليس فيها لهب . ﴿ سَنَشُدُّ ﴾ : سنعينك ، كلما عززت شيئاً فقد جعلت له عضداً . وقال غيره : كل ما لم ينطق بحرف ، أو فيه تمتمة أو فأفة فهي (عقدة) . ﴿ أَزْرِي ﴾ : ظهري . ﴿ فَيُسْحِتْكُمْ ﴾ : فيهلككم . ﴿ الْمُثْلَى ﴾ : يقول : بدينكم ، يقال : خذ المثلَى خذ الأمثل . ثم (ائتوا صفواً) : يقال : هل أتيت الصف اليوم ؟ يعني المصلّى الذي يُصَلَّى فيه . ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ : أضمر خوفاً ، فذهبت الواو من : ﴿ خِيفَةً ﴾ لكسرة الخاء . ﴿ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ : على جذوع . ﴿ خَطْبُكَ ﴾ : بالك . ﴿ مَسَاسَ ﴾ : مصدر ماسه مساساً . ﴿ لَنَنْسِفَنَّهُ ﴾ : لنذرينه ، الضحاء : الحر . ﴿ قُصِيهِ ﴾ : اتبع أثره ، وقد يكون أن تقص الكلام ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ . ﴿ عَنْ جَنْبٍ ﴾ : عن بعد ، عن جنابة . وقال مجاهد : ﴿ عَلَى قَدَرٍ ﴾ : موعد . ﴿ لَا تَنِيَا ﴾ : لا تضعفا . ﴿ مَكَانًا سَوًى ﴾ : منصف بينهم ، ﴿ يَيْسًا ﴾ : يابساً . ﴿ مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ : الحلي الذي استعاروا من آل فرعون .

(فقدفتها) : ألقيتها . ﴿ ألقى ﴾ : صنع . ﴿ فَنَسِيَ ﴾ : هم يقولونه : أخطأ الرب ﴿ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ : في العجل .

٣٢٨١ - ناهدبة بن خالد قال نا همَّام قال نا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه حدثهم عن ليلة أُسري به ، « حتَّى أتى السماء الخامسة فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردَّ ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح » . [٣٣٩٣]

تابعه ثابت وعباد بن أبي علي عن أنس عن النبي صلى الله عليه .

قوله (باب قول الله عز وجل : وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً - إلى قوله - بالوادي المقدس طوى) سقط لفظ « باب » عند أبي ذر وكريمة .

قوله (أنست أبصرت) قال أبو عبيدة في قوله ﴿ أنس من جانب الطور ناراً ﴾ أى أبصر .

قوله (قال ابن عباس : المقدس المبارك ، طوى اسم الوادي) هكذا وقع هذا التفسير وما بعده في رواية أبي ذر عن المستمل والكشميني خاصة ولم يذكره جميع رواة البخاري هنا ، وإنما ذكروا بعضه في تفسير سورة طه ، وها أنا أشرحه هنا وأبين إذا أعيد في تفسير طه إن شاء الله تعالى ما سبق منه هنا . وقول ابن عباس هذا وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به ، وروى هو والطبري من وجه آخر عن ابن عباس أنه سمي « طوى » لأن موسى طواه ليلاً قال الطبري : فعلى هذا فالمعنى أنك بالوادي المقدس طويته وهو مصدر أخرج من غير لفظه كأنه قال : طويت الوادي المقدس طوى . وعن سعيد بن جبير قال : قيل له طوى أى طأ الأرض حافياً ، وروى الطبري عن مجاهد مثله ، وعن عكرمة أى طأ بالوادي ومن وجه آخر عن ابن عباس كذلك ، وروى ابن أبي حاتم من طريق مبشر بن عبيد والطبري من طريق الحسن قال : قيل له طوى لأنه قدس مرتين . وقال الطبري : قال آخرون معنى قوله طوى أى ثنى ، أى ناداه ربه مرتين إنك بالوادي المقدس ، وأنشد لذلك شاهداً قول عدى بن زيد :

أعاذل أن اللوم في غير حينه على طوى من غيك المتردد

وقال أبو عبيدة : طوى بكسر أوله قوم ، كقول الشاعر « وإن كان حيانا عدى آخر الدهر » قال : ومن جعل طوى اسم أرض لم ينونه ، ومن جعله اسم الوادي صرفه ، ومن جعله مصدراً بمعنى نودى مرتين صرفه تقول : ناديته ثنى وطوى أى مرة بعد مرة ، وأنشد البيت المذكور .

قوله (سيرتها : حالتها) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ يقول حالتها الأولى ، ورواه ابن جرير كذلك ، ومن طريق مجاهد وقتادة سيرتها هبتها .

قوله (والنهي : التقى) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ يمشون في مساكنهم أن في ذلك لآيات لأولى النهى ﴾ قال : لأولى التقى . ومن طريق سعيد عن قتادة « لأولى النهى : لأولى الورع » قال الطبري خص أولى النهى لأنهم أهل التفكير والاعتبار .

قوله (بملكنا بأمرنا) وصله ابن أبي حاتم والطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ ما أخلفنا موعدك بملكنا ﴾ يقول : بأمرنا ، ومن طريق سعيد عن قتادة « بملكنا أى بطاقتنا » وكذا قال السدي ؛ ومن طريق ابن زيد بهوانا . واختلف أهل القراءة في ميم ملكنا فقرأوا بالضم وبالفتح وبالكسر ، ويمكن تخريج هذه التأويلات على هذه القراءات .

قوله (هوى : شقى) وصله ابن أبي حاتم من الطريق المذكورة في قوله تعالى ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ قال : يعنى شقى . وكذا شقى أخرجه الطبري .

قوله (فارغاً إلا من ذكر موسى) وصله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي في تفسير ابن عيينة من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ﴾ قال : من كل إلا من ذكر موسى ، وأخرج الطبري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه ، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس « فارغاً لا تذكر إلا موسى » ومن طريق مجاهد وقتادة نحوه ومن طريق الحسن البصري « أصبح فارغاً من العهد الذى عهد إليها أنه سيرد عليها » وقال أبو عبيدة في قوله فارغاً : أى من الحزن لعلمها أنه لم يفرق . ورد ذلك الطبري وقال : إنه مخالف لجميع أقوال أهل التأويل . وأم موسى اسمها بادونا وقيل أباذخت ويقال يوحاند .

قوله (رداءً كي يصدقني) وصله ابن أبي حاتم من الطريق المذكورة قبل ، وروى الطبري من طريق السدي قال : كما يصدقني ، ومن طريق مجاهد وقتادة رداءً أى عوناً .

قوله (ويقال مغشياً أو معينا) يعنى بالمعجمة والمثلثة وبالمهملة والنون ؛ قال أبو عبيدة في قوله رداءً يصدقني : أى معينا ، يقال فيه أردأت فلانا على عدوه أى أكنفته وأعتته ، أى صرت له كنفاً .

قوله (يبطش ويطش) يعنى بكسر الطاء وبضمها ، قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى ﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لها ﴾ بالطاء مكسورة ومضمومة لفتان . قلت : الكسر القراءة المشهورة هنا وفي قوله تعالى ﴿ يوم يبطش البطشة الكبرى ﴾ والضم قراءة ابن جعفر ، ورويت عن الحسن أيضاً .

قوله (يأتهمون : يتشاورون) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ إن الملائكة يأتهمون بك ليقتلوك ﴾ : أى يهمون بك ويتآمرون ويتشاورون أنتهى . وهى بمعنى يتآمرون ومنه قول الشاعر :

أرى الناس قد أحـدثوا شـيمة وفي كل حـادثة يؤتمـر

وقال ابن قتيبة ، معناه يأمر بعضهم بعضاً كقوله ﴿ واثمروا بينكم بمعروف ﴾ .

قوله (والجلوة قطعة غليظة من الخشب ليس لها لب) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ أو جلوة من النار ﴾ : أى قطعة غليظة من الخشب ليس فيها لب ، قال الشاعر :

باتت حوالب ليلي يلتمسن لها جزل الجذا غير خسوار ولا دعر

والخنوة مثلثة الجيم .

قوله (سنشد : سنعينك ، كلما عززت شيئاً فقد جعلت له عضداً) وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ سنشد عضدك بأخيك ﴾ : أى سنقويك به ونعينك ، تقول شد فلان عضد فلان إذا أعانه ، وهو من عاضدته على أمره أى عاونته .

قوله (وقال غيره كلما لم ينطق بحرف أو فيه تمتمة أو فأفأة فهي عقدة) هو قول أبي عبيدة ، قال في قوله تعالى ﴿ واحلل عقدة من لساني ﴾ : العقدة في اللسان ما لم ينطق بحرف أو كانت فيه مسكة من تمتمة أو فأفأة . وروى الطبرى من طريق السدى قال : لما تحرك موسى أخذته آسية امرأة فرعون ترقصه ثم ناولته لفرعون فأخذ موسى بلحيته فنتفها ، فاستدعى فرعون الذباحين ، فقالت آسية إنه صبي لا يعقل ، فوضعت له جمرأ وياقوتاً وقالت إن أخذ الياقوت فاذبحه وإن أخذ الجمرة فاعرف أنه لا يعقل ، فجاء جبريل فطرح في يده جمرة فطرحها في فيه فاحترق لسانه فصارت في لسانه عقدة من يومئذ . ومن طريق مجاهد وسعيد بن جبير نحو ذلك ، والتمتمة هي التردد في النطق بالمشناة الفوقانية ، والفأفأة بالهمزة التردد في النطق بالفاء .

قوله (أزرى : ظهري) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ أشدد به أزرى ﴾ : أى ظهري ، ويقال قد أزرني أى كان لي ظهراً ومعيناً . وأورد بإسناد لين عن ابن عباس في قوله ﴿ أشدد به أزرى ﴾ قال : ظهري .

قوله (فيسحتكم : فيهلككم) وصله الطبرى من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وهو قول أبي عبيدة قال : وتقول سحتته وأسحتته بمعنى ، قال الطبرى سحت أكثر من أسحت . وروى من طريق قتادة في قوله ﴿ فيسحتكم ﴾ أى يستأصلكم ، والخطاب للسحرة ، ويقال أن اسم رؤسائهم غادون وساتور وخطط والمصفا .

قوله (المثل تأنيث الأمل بقول بدينكم . يقال خذ المثل خذ الأمل) قال أبو عبيدة في قوله ﴿ بطريقتكم ﴾ أى بسنتكم ودينكم وما أنتم عليه ، والمثل تأنيث الأمل تقول خذ المثل منهما للأثنين ، وخذ الأمل منهما إذا كان ذكراً ، والمراد بالمثل الفضلى .

قوله (ثم اتروا صفأ ، يقال هل أتيت الصف اليوم يعنى المصلى الذى يصلى فيه) قال أبو عبيدة في قوله ﴿ ثم اتروا صفأ ﴾ أى صفوفاً ، وله معنى آخر من قولهم : هل أتيت الصف اليوم ؟ أى المصلى الذى يصلى فيه .

قوله (فأوجس : أضمر خوفاً فذهبت الواو من خفية لكسرة الخاء) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ فأوجس منهم خيفة ﴾ أى فأضمر منهم خيفة أى خوفاً ، فذهبت الواو فصارت ياء من أجل كسرة الخاء . قال الكرماني : مثل هذا الكلام لا يليق بجلالة هذا الكتاب أن يذكر فيه انتهى . وكأنه رأى فيه ما يخالف اصطلاح المتأخرين من أهل علم التصريف فقال ذلك حيث قالوا في مثل هذا أصل خيفة خوفاً فقبلت الواو ياء

لكونها بعد كسرة ، وما عرف أنه كلام أحد الرعوس العلماء باللسان العربي وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى .

قوله (فى جذوع النخل : على جذوع) هو قول أبى عبيدة ، وأستشهد بقول الشاعر « هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة » وقال : إنما جاء على موضع فى إشارة لبيان شدة التمكن فى الظرفية .

قوله (خطبك بالك) قال أبو عبيدة فى قوله (قال فما خطبك) أى ما بالك وشأنك ؟ قال : الشاعر يا عجباً ما خطبه وخطبى » وروى الطبرى من طريق السدى فى قول الله (قال فما خطبك) قال : مالك « يا سامرى » واسم السامرى المذكور يأتى .

قوله (مساس مصدر ماسه مساساً) قال الفراء . قوله (لا مساس) أى لا أمس ولا أمس ، والمراد أن موسى أمرهم أن لا يؤاكلوه ولا يخالطوه ، وقرئ لا مساس بفتح الميم وهى لغة فاشية ، واسم السامرى موسى بن طفر وكان من قوم يعبدون البقر . وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى (لا مساس) : إذا كسرت الميم جاز النصب والرفع والجر بالتنوين ، وجاءت هنا منفية ففتحت بغير تنوين ، قال النابغة :

فأصبح من ذاك كالسامرى إذ قال موسى له لا مساساً

قال : والمماسه والمخالطة واحد ، قال : ومنهم من جعلها اسماً فكسر آخرها بغير تنوين ، قال الشاعر

تميم كرهط السامرى وقوله ألا لا مريد السامرى مساس
أجراها مجرى قطام وحزام .

قوله (لنسفته : لنثريته) وصله الطبرى من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (لنسفته فى اليم نسفاً) يقول لنثريته فى البحر .

قوله (الضحاء الحر) قال أبو عبيدة فى قوله تعالى (وأنت لا تطمأ فيها ولا تضحى) أى لا تعطش ولا تضحى للشمس فتجد الحر ، وروى الطبرى من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس : لا يصيبك فيها عطش ولا حر . قلت : وهذا الموضع وقع استطراداً ، وإلا فلا تعلق له بقصة موسى عليه السلام .

قوله (قصيه : اتبعى أثره) وقد يكون أن يقص الكلام : نحن نقص عليك) أما الأول فهو قول مجاهد والسدى وغيرهما أخرجه ابن جرير ، وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى (وقالت لأخته قصيه) أى اتبعى أثره تقول : قصصت آثار القوم ، وأما الثانى فهو من قبل المصنف . وأخت موسى اسمها مريم وافقها فى ذلك مريم بنت عمران والدة عيسى عليه السلام .

قوله (عن جنب : عن بعد ، وعن جنابة وعن اجتناب واحد) روى الطبرى من طريق مجاهد فى

قوله (عن جنب) قال : عن بعد . وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى (فبصرت به عن جنب) أى عن

بعد وتجنب ، ويقال ما تأتينا إلا عن جنابة وعن جنب ، قال الشاعر :

فلا نحرمنى نائلاً عن جنابة فإنى أمرؤ وسط القباب غريب

وفي حديث القنوت الطويل عن ابن عباس : الجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى الشيء البعيد وهو إلى جنبه لم يشعر .

قوله (قال مجاهد : على قدر موعد) وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عنه ، وروى الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ على قدر يا موسى ﴾ أي على ميقات .

قوله (لا تنيا : لا تضعفا) وصله الفريابي أيضاً عن مجاهد ، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ لا تنيا في ذكرى ﴾ قال : لا تبطئا .

قوله (مكانا سوى : منصف بينهم) وصله الفريابي أيضاً عن مجاهد ، وقال أبو عبيدة بضم أوله وبكسره كعدى وعدى ، والمعنى النصف والوسط .

قوله (يبسا : يابسا) وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿ فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا ﴾ أي يابسا ، وقال أبو عبيدة في قوله ﴿ طريقاً في البحر يبسا ﴾ متحرك الحروف وبعضهم يسكن الباء ، وتقول شاة يبس بالتحريك أي يابسة ليس لها لبن .

قوله (من زينة القوم : الحلى الذى استعاروا من آل فرعون) وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿ ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم ﴾ أي الحلى الذى استعاروا من آل فرعون ، وهى الأثقال أى الأوزار ، وروى الطبري من طريق ابن زيد قال : الأوزار الأثقال وهى الحلى الذى استعاروه من آل فرعون ، وليس المراد بها الذنوب ، ومن طريق قتادة قال كان الله وقت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر ، فلما مضت الثلاثون قال السامرى لبنى إسرائيل : إنما أصابكم الذى أصابكم عقوبة بالحلى الذى كان معكم ، وكانوا قد استعاروا ذلك من آل فرعون فساروا وهى معهم فقففوها إلى السامرى فصورها صورة بقرة ، وكان قد صر فى ثوبه قبضة من أثر حافر فرس جبريل فقففها مع الحلى فى النار فأخرج عجلاً يخور .

قوله (فقففها : ألقيناها ، ألقى صنع) وقع فى رواية الكشميهنى « فقففناها » وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ فقبضت قبضة من أثر الرسول ، فقففناها ﴾ قال : ألقيناها وفى قوله ﴿ ألقى السامرى ﴾ أي صنع ، وفى قوله ﴿ فنبذتها ﴾ أي ألقيناها .

قوله (فنسى موسى ، هم يقولونه أخطأ الرب) وصله الفريابي عن مجاهد كذلك ، وروى الطبري من طريق السدى قال : لما خرج العجل فخار قال لهم السامرى : هذا إلهكم وإله موسى فنسى أى فنى موسى وضل ومن طريق قتادة نحوه قال : نسى موسى ربه . ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس « فنسى » أى السامرى نسى ما كان عليه من الإسلام .

قوله (أن لا يرجع إليهم قولا فى العجل) وصله الفريابي عن مجاهد كذلك ، وقال أبو عبيدة : تقدير القراءة بالضم أنه لا يرجع ، ومن لم يضم العين نصب بأن .

(تنبيه) لمح المصنف بهذه التفاسير لما جرى لموسى فى خروجه إلى مدين ، ثم فى رجوعه إلى مصر . ثم فى أخباره مع فرعون ، ثم فى غرق فرعون ، ثم فى ذهابه إلى الطور ، ثم فى عبادة بنى إسرائيل العجل وكأنه لم يثبت عنده فى ذلك من المرفوعات ما هو على شرطه ، وأصح ما ورد فى جميع ذلك ما أخرجه النسائي وأبو

يعلى بإسناد حسن عن ابن عباس في حديث القنوات الطويل في قدر ثلاث ورقات ، وهو في تفسير طه عنده وعند ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه وغيرهم ممن خرج التفسير المسند . ثم ذكر المصنف في هذا الباب طرفاً من حديث الإسراء من رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة ، وسيأتي بتمامه في السيرة النبوية ، واقتصر منه هنا على قوله « حتى أتى السماء الخامسة فإذا هارون » الحديث بهذه القصة خاصة ، ثم قال : تابعه ثابت وعباد بن أبي علي عن أنس ، وأراد بذلك أن هذين تابعاً لقتادة عن أنس في ذكر هارون في السماء الخامسة لا في جميع الحديث ، بل ولا في الإسناد ، فإن رواية ثابت موصولة في صحيح مسلم من طريق حماد ابن سلمة عنه ليس فيها ذكر مالك بن صعصعة ، نعم فيها ذكر هارون في السماء الخامسة ، وكذلك في رواية عباد بن أبي علي وهو بصرى ليس له في البخارى ذكر إلا في هذا الموضوع ووافق ثابتاً في أنه لم يذكر لأنس فيه شيئاً ، وقد وافقها شريك عن أنس في ذلك وفي كون هارون في الخامسة ، وسيأتي حديثه في أثناء السيرة النبوية . وأما قتادة فقال : عن أنس عن مالك بن صعصعة ، وأما الزهري فقال : عن أنس عن أبي ذر كما مضى في أول الصلاة ، ولم يذكر في حديثه هارون أصلاً ، وإلى هذا أشار المصنف بالمتابعة ، والله أعلم .

ب

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ إِلَى : ﴿ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾

قوله (باب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه - إلى قوله - هو مسرف كذاب) كذا وقعت هذه الترجمة بغير حديث ، ولعله أدخل بياضاً في الأصل فوصل كنفائره ، ووقع هذا في رواية النسفي مضموناً إلى ما في الباب الذي بعده وهو متجه . واختلف في اسم هذا الرجل فقيل هو يوشع بن نون وبه جزم ابن التين ، وهو بعيد لأن يوشع كان من ذرية يوسف عليه السلام ولم يكن من آل فرعون ، وقد قيل إن قوله ﴿ من آل فرعون ﴾ متعلق بـ﴿ يكتم إيمانه ﴾ ، والصحيح أن المؤمن المذكور كان من آل فرعون ، واستدل لذلك الطبري بأنه لو كان من بني إسرائيل لم يصنع فرعون إلى كلامه ولم يستمع منه ، وذكر الثعلبي عن السدي ومقاتل أنه ابن ابن عم فرعون ، وقيل اسمه شمعان بالشين المعجمة ، قال الدارقطني في « المؤتلف » : لا يعرف شمعان بالشين المعجمة إلا هذا وصححه السهيلي ، وعن الطبري اسمه حيزور وقيل حزقيل برحايا وقيل حريبال قاله وهب بن منبه وقيل حابوت ، وعن ابن عباس اسمه حبيب وهو ابن عم فرعون أخرجه عبد بن حميد ، وقيل هو حبيب النجار وهو غلط ، وذكر الوزير أبو القاسم المغربي في « أدب الخواص » : أن اسم صاحب فرعون حوتكة بن سود بن أسلم من قضاة ، وعزاه لرواية أبي هريرة

وقول الله عز وجل : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ ، ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾

٣٢٨٢ - نا إبراهيم بن موسى قال نا هشام بن يوسف قال أنا معمر عن الزهري عن سعيد

[٣٣٩٤]

ابن المسيب عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه : « ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا هو

رجلٌ ضربٌ، رجلٌ كأنَّهُ من رجالِ شَنْوَةَ، ورأيتُ عيسى فإذا هو رجلٌ رُبْعَةٌ أحمرٌ كأنَّما خرجَ من ديماس، وأنا أشبهُ ولدَ إبراهيم، ثمَّ أتيتُ بَإِنَاءَيْنِ في أحدهما لبنٌ وفي الآخرِ خمرٌ فقال: اشربْ أيُّهُما شئتَ، فأخذتُ اللبنَ فشربتهُ، فقليلٌ: أخذتُ الفِطْرَةَ، أما إنَّكَ لو أخذتَ الخمرَ غوتُ أُمَّتُكَ».

[الحديث ٣٣٩٤ - أطرافه في: ٣٤٣٧، ٤٧٠٩، ٥٥٧٦، ٥٦٠٣].

[٣٣٩٥] ٣٢٨٣ - نا محمدٌ قال نا غندرٌ قال نا شعبةٌ عن قتادة قال: سمعتُ أبا العالية قال نا ابنُ عمِّ نبيِّكم - يعني ابنَ عباسٍ - عن النبيِّ صلى الله عليه قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متى»، ونسبه إلى أبيه.

[الحديث ٣٣٩٥ - أطرافه في: ٣٤١٣، ٤٦٣٠، ٧٥٣٩].

[٣٣٩٦] ٣٢٨٤ - وذكر النبيُّ صلى الله عليه ليلة أُسري به فقال: «موسى آدمٌ طوالٌ كأنَّهُ من رجالِ شَنْوَةَ». وقال: «وعيسى جعدٌ مربوعٌ، وذكر مالكا خازن النار، وذكر الدجال».

[٣٣٩٧] ٣٢٨٥ - نا عليُّ بنُ عبد الله قال نا سفيانٌ قال نا أيوبُ السخيتاني عن ابنِ سعيد بن جبير عن أبيه عن ابنِ عباسٍ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه لما قدم المدينة وجدَهُم يصومون يوماً - يعني عاشوراء - فقالوا: هذا يومٌ عظيمٌ، وهو يومٌ نَجَّى اللهُ عزَّ وجلَّ فيه موسى، وأغرقَ آلَ فرعونَ، فصامَ موسى شكراً لله. فقال: «أنا أولى بموسى منهم»، فصامَهُ وأمرَ بصيامِهِ.

قوله (باب قول الله تعالى : وهل أتاك حديث موسى ، وكلم الله موسى تكليماً) ذكر في الباب ثلاثة أحاديث : أحدها حديث أبي هريرة في صفة موسى وعيسى وغير ذلك . ثانيها حديث ابن عباس في ذلك وفيه ذكر يونس . ثالثها حديثه في صوم عاشوراء ، وقوله في حديث أبي هريرة « رأيت موسى وإذا هو رجل ضرب » بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة أى نحيف .

قوله (رجل) بفتح الراء وكسر الجيم أى دهن الشعر مسترسله ، وقال ابن السكيت : شعر رجل أى غير جعد .

قوله (كأنه من رجال شَنْوَةَ) بفتح المعجمة وضم النون وسكون الواو بعدها همزة ثم هاء تأنيث : حى من اليمن ينسبون إلى شَنْوَةَ وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، ولقب شَنْوَةَ لشأنه كان بينه وبين أهله ، والنسبة إليه شَنْوَى بالهمز بعد الواو وبالهمز بغير واو ، قال ابن قتيبة : سمي بذلك من قولك رجل فيه شَنْوَةَ أى والتقرز بقاف وزاين التباعد من الأدناس ، قال الداودي رجال الأزد

معروفون بالطول انتهى . ووقع في حديث ابن عمر عند المصنف بعد « كأنه من رجال الزط » وهم معروفون بالطول والأدمة .

قوله (ورأيت عيسى) سيأتي الكلام على ذلك في ترجمة عيسى .

قوله (وأنا أشبه ولد إبراهيم به) أي الخليل عليه السلام ، وزاد مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر « ورأيت جبريل فإذا أقرب الناس به شها دحية » .

قوله (ثم أتيت بلنائين) سيأتي الكلام عليه في حديث الإسراء في السيرة النبوية إن شاء الله تعالى ، وقوله في حديث ابن عباس « سمعت أبا العالية » هو الرياحي بكسر الراء وتخفيف التحتانية ثم مهملة واسمه رفيع بالفاء مصغر ، وروى عن ابن عباس آخر يقال له أبو العالية وهو البراء بالتشديد نسبة إلى برى السهام واسمه زياد بن فيروز وقيل غير ذلك ، وحديثه عن ابن عباس سبق في تقصير الصلاة .

قوله (لا ينبغي لعبد) يأتي الكلام عليه في ترجمة يونس عليه السلام .

قوله (وذكر النبي صل الله عليه وسلم ليلة أسرى به) في رواية الكشميهني « ليلة أسرى بي » على الحكاية . وهذا الحديث الواحد أفردته أكثر الرواة فجعلوه حديثين : أحدهما يتعلق بيونس عليه السلام والثاني حديث آخر ، وقوله « فقال موسى آدم طوال » زعم ابن التين أنه وقع هنا « آدم جسيم طوال » ولم أر لفظ ، « جسيم » في هذه الرواية . وقوله آدم بالمد أي أسمر ، وطوال بضم المهملة وتخفيف الواو . وأما حديث ابن عباس في صوم عاشوراء فسبق شرحه في كتاب الصيام .

باب

قول الله عز وجل : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾ إلى : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يُقال : دَكَّهُ زَلَزَلَهُ فَدَكَّتَا ، فَدَكَّنَ جَعَلَ الْجِبَالَ كَالوَاحِدَةِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ وَلَمْ يَقُلْ كُنَّ رَتْقًا : مُلتصقتين .

[٣٣٩٨]

٣٢٨٦ - نا محمد بن يوسف قال نا سفيان عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد

عن النبي صلى الله عليه قال : « الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور » .

[٣٣٩٩]

٣٢٨٧ - نا عبد الله بن محمد الجعفي قال نا عبد الرزاق قال أنا معمر عن همام عن أبي هريرة

قال : قال النبي صلى الله عليه : « لولا بنو إسرائيل لم يخزن اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر » .

قوله (باب قول الله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة - إلى قوله - وأنا أول المؤمنين) . ساق في رواية كريمة الآيتين كلتيهما . وقوله ﴿ وأتممناها بعشر ﴾ فيه إشارة إلى أن المواعدة وقعت مرتين ، وقوله ﴿ صعباً ﴾ أى مغشياً عليه .

قوله (يقال دكه زلزله) هذا ذكره هنا لقوله في قصة موسى عليه السلام ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ﴾ قال أبو عبيدة جعله دكاً أى مستوياً مع وجه الأرض ، وهو مصدر جعل صفة ، ويقال ناقة دكاء أى ذاهبة السنام مستو ظهرها . ووقع عند ابن مردويه مرفوعاً « أن الجبل ساخ في الأرض فهو يهوى فيها إلى يوم القيامة » وسنده واه ، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي مالك رفعه « لما تجلى الله للجبل طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بمكة : حرى وثور وثبير ، وثلاثة بالمدينة : أحد ورضوى وورقان وهذا غريب مع إرساله .

قوله (فدكنا فدككن جعل الجبال كالواحدة كما قال الله عز وجل ﴿ أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ﴾ ولم يقل كن رتقاً) ذكر هذا استطراداً إذ لا تعلق له بقصة موسى ، وكذا قوله « رتقاً ملتصقتين » وقال أبو عبيدة الرتق التى ليس فيها ثقب ، ثم فتق الله السماء بالمطر وفتق الأرض بالشجر .

قوله (أشربوا ، ثوب مشرب مصبوغ) يشير إلى أنه ليس من الشرب ، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ أى سقوه حتى غلب عليهم ، وهو من مجاز الحذف أى أشربوا في قلوبهم حب العجل . ومن قال إن العجل أحرق ثم ذرى في الماء فشربوه فلم يعرف كلام العرب ، لأنها لا تقول في الماء : أشرب فلان في قلبه .

قوله (قال ابن عباس : انبجست انفجرت) وصله ابن أبي حاتم من طريق على ابن أبي طلحة عنه كذلك .

قوله (وإذ نتقنا الجبل رفعا) وصله ابن أبي حاتم من طريق على بن أبي طلحة عنه أيضاً . ثم ذكر المصنف في الباب حديثين : أحدهما حديث أبي هريرة (١) في أن الناس يصعقون وسيأتى شرحه قريباً . ثانيها حديثه « لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم » وسبق شرحه في ترجمة آدم .

باب طوفان من السيل

ويقال للموت الكثير : طوفان ، ﴿ القمل ﴾ : الحُمَانُ تُشَبِّهُ صِفَارَ الْحَلَمِ . ﴿ حَقِيقٌ ﴾ : حق . ﴿ سَقَطَ ﴾ : كلُّ من نَدِمَ فَقَدْ سَقَطَ فِي يَدِهِ .
قوله (باب) كذا لم يغير ترجمة ، وهو كالفصل من الباب الذى قبله وتعلقه به ظاهر ، وسقط جميعه من رواية النسفى .

(١) قوله : (حديث أبي هريرة) : هو سبق قلم ؛ لأن هذا الحديث هنا من رواية أبي سعيد الخدري لا من رواية أبي هريرة .

قوله (طوفان من السيل ، ويقال للموت الكثير طوفان) قال أبو عبيدة : الطوفان مجاز من السيل ، وهو من الموت المتتابع الذريع .

قوله (القمل : الحمنان يشبه صغار الحلم) قال أبو عبيدة : القمل عند العرب هي الحمنان ، قال الأثرم الراوى عنه : والحمنان يعنى بالمهملة ضرب من القردان ، وقيل هي أصغر ، وقيل أكبر ، وقيل الدبا بفتح المهملة وتخفيف الموحدة مقصور .

قوله (حقيق حق) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ حقيق على ﴾ مجازة حق على أن لا أقول على الله إلا الحق ، وهذا على قراءة من قرأ حقيق على بالتشديد وأما من قرأها ﴿ على ﴾ فإنه يقول معناه حريص أو محق .

قوله (سقط ، كل من ندم فقد سقط في يده) قال أبو عبيدة في قوله ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ : يقال لكل من ندم وعجز عن شيء سقط في يده .

حديث الخضر مع موسى عليهما السلام

٣٢٨٨ - نا عمرو بن محمد قال نا يعقوب بن إبراهيم قال نا أبي عن صالح عن ابن شهاب أن عبيد الله بن عبد الله أخبره عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس الفزارى في صاحب موسى ، قال ابن عباس : هو خضر ، فمر بهما أبي بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيته ، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه يذكّر شأنه ؟ قال : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال : هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال : لا . فأوحى الله إلى موسى : بلى عبدنا خضر ، فسأل موسى السبيل إليه ، فجعل له الحوت آية ، وقيل له : إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، فكان يتبع الحوت في البحر ، فقال لموسى فتاه : أرايت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره . قال موسى عليه السلام : ذلك ما كنا نبغي ، فارتدا على آثارهما قصصاً ، فوجدا خضراً ، فكان من شأنهما الذي قص الله في كتابه .

٣٢٨٩ - نا علي بن عبد الله قال نا سفيان قال نا عمرو بن دينار قال أخبرني سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : إن نوحاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل ، إنما هو موسى آخر ، فقال : كذب عدو الله ، نا أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه : « أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله قال له : بلى ، لي عبد بجميع البحرين هو أعلم منك . قال : أي رب ومن لي به ؟

[٣٤٠٠]

[٣٤٠١]

-وربما قال سفيان: أي رب وكيف لي به؟- قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكمل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم- وربما قال: فهو ثمه- وأخذ حوتاً فجعله في مكمل ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما، فرقد موسى، واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق- فقال هكذا مثل الطاق- فانطلقا يمشيان بقيّة ليلهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله. قال له فتاه: أرايت إذ أويانا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً، فكان للحوت سرباً ولهما عجباً. قال له موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصاً- رجعا يقصّان آثارهما- حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم موسى، فردّ عليه فقال: وأنى بأرضك السلام قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علّمت رشداً. قال: يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. قال: هل أتبعك؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً- إلى قوله- إمرأ. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة كلّموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول. فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوق وقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر. إذ أخذ الفأس فنزع لوحاً، قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدوم، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتفريق أهلها، لقد جئت شيئاً إمرأ. قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت، ولا ترهقني من أمري عسراً. فكانت الأولى من موسى نسياناً. فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا- وأوماً سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً- فقال له موسى: أقتلت نفساً زاكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدني عذراً. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيّفوهما، فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض مائلاً- وأوماً بيده هكذا، وأشار سفيان كأنه يسمح شيئاً إلى

فوق، فلم أسمع سفيان يذكر مائلاً إلا مرة - قال: قوم أتيانهم فلم يطعمونا ولم يضيّفونا، عمدت إلى حائطهم، لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال: هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً. قال النبي صلى الله عليه: «وددنا أن موسى كان صبراً فقص علينا من خبرهما». قال سفيان: قال النبي صلى الله عليه: «يرحم الله موسى لو كان صبراً لقص علينا من أمرهما»، قال: وقرأ ابن عباس: أمامهم: ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا. وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين وهو كان كافراً. قال لي سفيان: سمعته منه مرتين وحفظته منه. قيل لسفيان: حفظته قبل أن تسمعه من عمرو أو تحفظته من أنس؟ فقال: ممن أتخفظه، ورواه أحد عن عمرو غيري؟ سمعته منه مرتين أو ثلاثاً وحفظته منه.

٣٢٩٠ - نا محمد بن سعيد الأصبهاني قال أنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء». الحموي قال محمد بن يوسف بن مطر: نا علي بن خشرم عن سفيان بطوله.

نا أبو إسحق قال نا محمد بن يوسف قال نا علي بن خشرم نا سفيان بهذا.

قوله (باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام) ذكر فيه حديث ابن عباس عن أبي بن كعب من وجهين، وسيأتي أولها بآتم من سياقه في تفسير سورة الكهف ونستوفي شرحه هناك، ووقع هنا في رواية أبي زر عن المستمل خاصة عن الفربري «حدثنا علي بن خشرم حدثنا سفيان بن عيينة» الحديث بطوله وقد تقدم التنبيه على مثل ذلك في كتاب العلم، وذكر المصنف في هذا الباب حديث أبي هريرة «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» وتعلقه بالباب ظاهر من جهة ذكر الخضر فيه، وقد زاد عبد الرزاق في مصنفه بعد أن أخرجه بهذا الإسناد: الفرو الحشيش الأبيض وما أشبهه. قال عبد الله ابن أحمد بعد أن رواه عن أبيه عنه: أظن هذا تفسيراً من عبد الرزاق انتهى. وجزم بذلك عياض. وقال الحرابي: الفروة من الأرض قطعة يابسة من حشيش، وهذا موافق لقول عبد الرزاق. وعن ابن الأعرابي: الفروة أرض بيضاء ليس فيها نبات، وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه، وحكى عن مجاهد أنه قيل له الخضر لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله. والخضر قد اختلف في اسمه قبل ذلك وفي اسم أبيه وفي نسبه وفي نبوته وفي تعميره، فقال وهب بن منبه: هو بليا بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها تحتانية، ووجد بخط الدمياطي في أول الاسم بنقطتين، وقيل كالأول بزيادة ألف بعد الباء، وقيل اسمه إلياس، وقيل اليسع، وقيل عامر، وقيل خضرون - والأول أثبت - ابن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالغ بن أرفشخذ بن سام بن نوح، فعلى هذا فولده قبل إبراهيم الخليل لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم، وقد حكى الثعلبي قولين في أنه كان قبل

الخليل أو بعده ، قال وهب وكنيته أبو العباس ، وروى الدارقطني في « الأفراد » من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : هو ابن آدم لصلبه ، وهو ضعيف منقطع ، وذكر أبو حاتم السجستاني في « المعمرين » أنه ابن قابيل بن آدم رواه عن أبي عبيدة وغيره ، وقيل اسمه أرميا بن طيفاء حكاه ابن إسحاق عن وهب ، وأرميا بكسر أوله وقيل بضمه وأشبعها بعضهم واواً ، واختلف في اسم أبيه فقيل ملكان وقيل كلمان وقيل عاميل وقيل قابل والأول أشهر ، وعن إسماعيل بن أبي أويس : هو المعمر بن مالك بن عبد الله ابن نصر بن الأزد ، وحكى السهيلي عن قوم أنه كان ملكاً من الملائكة وليس من بني آدم ، وعن ابن لهيعة كان ابن فرعون نفسه وقيل ابن بنت فرعون وقيل اسم خضرون بن عايل بن معمر بن عيصو بن إسحق بن إبراهيم وقيل كان أبوه فارساً رواه الطبري من طريق عبد الله بن شاذب ، وحكى ابن ظفر في تفسيره أنه كان من ذرية بعض من آمن بإبراهيم ، وقيل إنه الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه فلا يموت حتى ينفخ في الصور ، وروى الدارقطني في الحديث المذكور قال : مد للخضر في أجله حتى يكذب الدجال . وقال عبد الرزاق في مصنفه عن معمر في قصة الذي يقتله الدجال ثم يحييه : بلغني أنه الخضر . وكذا قال إبراهيم بن سفيان الراوي عن مسلم في صحيحه . وروى ابن إسحق في « المبتدأ » عن أصحابه أن آدم أخبر بنيه عند الموت بأمر الطوفان ، ودعا لمن يحفظ جسده بالتعمير حتى يدفنه ، فجمع نوح بنيه لما وقع الطوفان وأعلمهم بذلك فحفظوه ، حتى كان الذي تولى دفنه الخضر . وروى خيثمة بن سليمان من طريق جعفر الصادق عن أبيه أن ذا القرنين كان له صديق من الملائكة ، فطلب منه أن يدلّه على شيء يطول به عمره ، فدله على عين الحياة وهي داخل الظلمة ، فسار إليها والخضر على مقدمته فظفر بها الخضر ولم يظفر بها ذو القرنين . وروى عن مكحول عن كعب الأحبار قال : أربعة من الأنبياء أحياء أمان لأهل الأرض : اثنان في الأرض الخضر والياس ، واثنان في السماء إدريس وعيسى . وحكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا ؟ وقالت طائفة منهم القشيري هو ولي . وقال الطبري في تاريخه : كان الخضر في أيام أفريدون في قول عامة علماء الكتاب الأول ، وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر . وأخرج النقاش أخباراً كثيرة تدل على بقاءه لا تقوم بشيء منها حجة قاله ابن عطية ، قال : ولو كان باقياً لكان له في ابتداء الإسلام ظهور ، ولم يثبت شيء من ذلك . وقال الثعلبي في تفسيره : هو معمر على جميع الأقوال ، محجوب عن الأبصار . قال وقد قيل إنه لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن . وقال القرطبي : هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتعلم ممن هو دونه ، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء . وقال ابن الصلاح هو حي عند جمهور العلماء والعامة معهم في ذلك ، وإنما شذ بانكاره بعض المحدثين . وتبعه النووي وزاد أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح ، وحكايتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر انتهى . والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري وإبراهيم الحربي وأبو جعفر بن المنادي وأبو يعلى بن الفراء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر بن العربي وطائفة ، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في آخر حياته « لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد » قال ابن عمر أراد بذلك انخرام قرنه . وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذ على وجه البحر ، أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق . ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى ﴿ وما جعلنا

لبشر من قبلك الخلد» وحديث ابن عباس « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو
 حتى ليؤمنن به ولينصرنه » أخرجه البخارى ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 ولا قاتل معه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض »
 فلو كان الخضر موجوداً لم يصح هذا النفي . وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله موسى لو ددنا لو كان صبر
 حتى يقص علينا من خبرهما » فلو كان الخضر موجوداً لما حسن هذا التثني ولأحضره بين يديه وأراه العجائب
 وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب . وجاء في اجتماعه مع النبي صلى الله عليه وسلم حديث ضعيف
 أخرجه ابن عدى من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده « أن النبي صلى الله
 عليه وسلم سمع وهو في المسجد كلاماً فقال : يا أنس اذهب إلى هذا القاتل فقل له يستغفر لى ، فذهب إليه
 فقال : قل له إن الله فضلك على الأنبياء بما فضل به رمضان على الشهور . قال فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر »
 إسناده ضعيف . وروى ابن عساكر من حديث أنس نحوه بإسناد أو هو منه . وروى الدارقطى في « الأفراد »
 من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعاً « يجتمع الخضر والياس كل عام في الموسم ، فيحلق كل واحد منهما
 رأس صاحبه ، ويفترقان عن هؤلاء الكلمات : بسم الله ما شاء الله » الحديث ، في إسناده محمد بن أحمد بن
 زيد بمعجمة ثم موحدة ساكنة وهو ضعيف . وروى ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن
 يحيى عن ابن أبي رواد نحوه وزاد « ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى قابل » وهذا معضل . ورواه أحمد
 في الزهد بإسناد حسن عن ابن أبي رواد وزاد أنها « يصومان رمضان بيت المقدس » وروى الطبرى من طريق
 عبد الله بن شوذب نحوه . وروى عن علي أنه « دخل الطواف فسمع رجلاً يقول يا من لا يشغله سمع عن
 سمع » الحديث فإذا هو الخضر ، أخرجه ابن عساكر من وجهين في كل منهما ضعف ، وهو في « المجالسة » من
 الوجه الثانى . وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها واهى الإسناد ، منها ما أخرجه ابن أبي الدنيا
 والبيهقى من حديث أنس « لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم دخل رجل فتخطاهم - فذكر الحديث في التعزية -
 فقال أبو بكر وعلى : هذا الخضر » في إسناده عباد بن عبد الصمد وهو واه . وروى سيف في الردة نحوه
 بإسناد آخر مجهول . وروى ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن علي نحوه . وروى ابن وهب
 من طريق ابن المنكدر « أن عمر صلى على جنازة ، فسمع قائلاً يقول : لا تسبقنا - فذكر القصة - وفيها :
 أنه دعا للميت ، فقال عمر : خذوا الرجل ، فترارى عنهم ، فإذا أثر قدمه ذراع ، فقال عمر : هذا والله
 الخضر » في إسناده مجهول مع انقطاعه . وروى أحمد في الزهد من طريق مسعر عن معن بن عبد الرحمن
 عن عون بن عبد الله قال : بينا رجل بمصر في فتنة ابن الزبير مهموماً إذ لقيه رجل فسأله فأخبره باهتمامه بما
 فيه الناس من الفتن ، فقال : قل اللهم سلمنى وسلم منى . قال فقاها فسلم . قال مسعر يرون أنه الخضر
 وروى يعقوب بن سفيان في تاريخه وأبو عروبة من طريق رياح بالتحسانية ابن عبيدة قال : رأيت رجلاً يمشى
 عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه فلما انصرف قلت له من الرجل ؟ قال : رأيت ؟ قلت : نعم . قال
 أحسبك رجلاً صالحاً ، ذاك أخى الخضر بشرنى أنى سأولى وأعدل . لا بأس برجاله . ولم يقع لى إلى الآن
 خبر ولا أثر بسند جيد غيره ، وهذا لا يعارض الحديث الأول في مائة سنة فإن ذلك كان قبل المائة . وروى

ابن عساكر من طريق كرز بن وبرة قال : أتاني أخ لي من أهل الشام فقال أقبل مني هذه الهدية ، إن إبراهيم التيمي حدثني قال : كنت جالسا بفناء الكعبة أذكر الله ، فجاءني رجل فسلم علي ، فلم أر أحسن وجهاً منه ولا أطيب ريحاً ، فقلت : من أنت ؟ فقال أنا أخوك الحضر . قال فعلمته شيئاً إذا فعله رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام . وفي إسناده مجهول وضعيف . وروى ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح أنه رأى وهو شاب رجلاً نهاه عن غشيان أبواب الأمراء ، ثم رآه بعد أن صار شيخاً كبيراً على حالته الأولى فنهاه عن ذلك أيضاً ، قال فالتفت لأكلمه فلم أره ، فوقع في نفسي أنه الحضر . وروى عمر الجمحي في فرائده والفاكهي في « كتاب مكة » بسند فيه مجهول عن جعفر بن محمد أنه رأى شيخاً كبيراً يحدث أباه ثم ذهب فقال له أبوه رده علي ، قال فتطلبته فلم أقدر عليه ، فقال لي أبي : ذاك الحضر . وروى البيهقي من طريق الحجاج بن قرافصة أن رجلين كانا يتبايعان عند ابن عمر ، فقام عليهم رجل فنهاهما عن الحلف بالله ووعظهم بموعظة ، فقال ابن عمر لأحدهما : اكتبها منه ، فأستعاده حتى حفظها ثم تطلبه فلم يره ، قال : وكانوا يرون أنه الحضر .

ب

[٣٤٠٣] ٣٢٩١- فإسحاق بن نصر قال نا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه : « قيل لبني إسرائيل : ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا : حبة في شعرة » .

[الحديث ٣٤٠٣- طرفاه في : ٤٤٧٩ ، ٤٦٤١ .]

[٣٤٠٤] ٣٢٩٢- فإسحاق بن إبراهيم قال نا روح بن عبادة قال نا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه ، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده : إما برص وإما أدرة ، وإما آفة . وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا بموسى ، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل . فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها . وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر . حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون . وقام حجر ، فأخذ بثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه ، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً ، فذلك قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ .

[٣٤٠٥]

٣٢٩٣- نا أبو الوليد قال نا شعبة عن الأعمش قال سمعت أبا وائل قال : سمعت عبد الله قال : قسم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ، ثم قال : «يرحم الله موسى ، قد أودى بأكثر من هذا فصبر» .

قوله (باب) كذا لأبي ذر وغيره بغير ترجمة ، وهو كالفصل من الباب الذي قبله ، وتعلقه به ظاهر ، وأورد فيه أحاديث : أحدها حديث أبي هريرة « قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً » وسيأتي شرحه في تفسير الأعراف . ثانيها حديثه « أن موسى كان رجلاً حياً » بفتح المهملة وكسر التحتانية الخفيفة بعدها أخرى مثقلة بوزن فعيل من الحياء وقوله « ستيراً » بوزنه من السر ، ويقال ستيراً بالتشديد .

قوله في الإسناد (حدثنا عوف) هو الأعرابي .

قوله (عن الحسن ومحمد وخلاس) أما الحسن فهو البصري وأما محمد فهو ابن سيرين وسماعه من أبي هريرة ثابت ، فقد أخرج أحمد هذا الحديث عن روح عن عوف عن محمد وحده عن أبي هريرة . وأما خلاص فبكسر المعجمة وتخفيف اللام وآخره مهملة هو ابن عمر بصري ، يقال أنه كان على شرطة علي ، وحديثه عنه في الترمذي والنسائي ، وجزم يحيى القطان بأن روايته عنه من صحيفته . وقال أبو داود عن أحمد لم يسمع خلاص من أبي هريرة . وقال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة كان يحيى القطان يقول : روايته عن علي من كتاب ، وقد سمع من عمار وعائشة وابن عباس قلت : إذا ثبت سماعه من عمار وكان على شرطه على كيف يمتنع سماعه من علي ؟ وقال أبو حاتم : يقال وقعت عنده صحيفة عن علي ، وليس بقوى ، يعني في علي . وقال صالح بن أحمد عن أبيه : كان يحيى القطان يتوقى أن يحدث عن خلاص عن علي خاصة . وأطلق بقية الأئمة توثيقه . قلت : وما له في البخاري سوى هذا الحديث ، وقد أخرجه له مقروناً بغيره ، وأعاد سنداً ومنتناً في تفسير الأحزاب . وله عنه حديث آخر أخرجه في الإيمان والنور مقروناً أيضاً بمحمد بن سيرين عن أبي هريرة ، ووهم المزى فنسبه إلى الصوم . وأما الحسن البصري فلم يسمع من أبي هريرة عند الحفاظ النقاد ، وما وقع في بعض الروايات مما يخالف ذلك فهو محكوم بوهمه عندهم ، وماله في البخاري عن أبي هريرة سوى هذا مقروناً . وله حديث آخر في بدء الخلق مقروناً بابن سيرين ، وثالث ذكره في أوائل الكتاب في الإيمان مقروناً بابن سيرين أيضاً .

قوله (لا يرى من جلده شيء استحياء منه) هذا يشعر بأن اغتسال بني إسرائيل عراة بمحضر منهم كان جائزاً في شرعهم . وإنما أغتسل موسى وحده استحياء .

قوله (وإما أدرة) بضم الهمزة وسكون الدال على المشهور وبفتحتين أيضاً فيما حكاه الطحاوي عن بعض مشايخه ورجح الأول وتقدم بيانه في كتاب الغسل ، ووقع في رواية ابن مردويه من طريق عثمان بن الهيثم عن عوف الجزم بأنهم قالوا إنه آدر .

قوله (فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه) في رواية الكشميني ثياباً أي ثياباً له ، والأول هو المعروف وظاهره أنه دخل الماء عرياناً . وعليه بوب المصنف في الغسل « من اغتسل عرياناً » وقد قدمت توجيهه في كتاب الغسل ، ونقل ابن الجوزي عن الحسن بن أبي بكر النيسابوري أن موسى نزل إلى الماء مؤتزرأ ، فلما خرج تتبع الحجر والمزور مبتل بالماء علموا عند رؤيته أنه غير آدر ، لأن الأدره تبين تحت الثوب المبلول بالماء انتهى . وهذا إن كان هذا الرجل قاله احتمالاً فيحتمل لكن المنقول يخالفه ، لأن في رواية علي بن زيد عن أنس عند أحمد في هذا الحديث « أن موسى كان إذا أراد أن يدخل الماء لم يلق ثوبه حتى يوارى عورته في الماء » .

قوله (عدا بثوبه) بالعين المهملة أي مضى مسرعاً .

قوله : (ثوبى حجر ، ثوبى حجر) هو بفتح الياء الأخيرة من ثوبى أي أعطى ثوبى ، أورد ثوبى ، وحجر بالضم على حذف حرف النداء ، وتقدم في الغسل بلفظ ثوبى يا حجر .

قوله (وأبرأه مما يقولون) في رواية قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عند ابن مردويه وابن خزيمة « وأعدله صورة » وفي روايته « فقالت بنو إسرائيل قاتل الله الأفاكين وكانت براءته » وفي رواية روح بن عبادة المذكور فرأوه كأحسن الرجال خلقاً ، فبرأه مما قالوا .

قوله (وقام حجر فأخذ بثوبه) قلت كذا فيه ، وفي « مسند إسحق بن إبراهيم » شيخ البخارى فيه « وقام الحجر » بالالف واللام ، وكذا أخرجه أبو نعيم وابن مردويه من طريقه .

قوله (هو الله إن بالحجر لندياً) ظاهره أنه بقية الحديث ، بين في رواية همام في الغسل أنه قول أبي هريرة .

قوله (ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً) في رواية همام المذكور « ستة أو سبعة » ووقع عند ابن مردويه من رواية حبيب بن سالم عن أبي هريرة الجزم بست ضربات .

قوله (فذلك قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) لم يقع هذا في رواية همام ، وروى ابن مردويه من طريق عكرمة عن أبي هريرة قال « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى » الآية ، قال : إن بنى إسرائيل كانوا يقولون : أن موسى آدر ، فانطلق موسى إلى النهر يغتسل فذكر نحوه . وفي رواية علي بن زيد المذكورة قريباً في آخره « فرأوه ليس كما قالوا » فانزل تعالى : لا تكونوا كالذين آذوا موسى « وفي الحديث جواز المشي عرياناً للضرورة وقال ابن الجوزي : لما كان موسى في خلوة وخرج من الماء فلم يجد ثوبه تبع الحجر بناء على أن لا يصادف أحداً وهو عريان ، فاتفق أنه كان هناك قوم فاجتازوا بهم ، كما أن جوانب الأهبار وإن خلت غالباً لا يؤمن وجود قوم قريب منها : فبنى الأمر على أنه لا يراه أحد لأجل خلاء المكان فاتفق رؤية من رآه . والذي يظهر أنه استمر يتبع الحجر على ما في الخبر حتى وقف على مجلس لبني إسرائيل كان فيهم من قال فيه ما قال وبهذا تظهر الفائدة ، وإلا فلو كان الوقوف على قوم منهم في الحملة لم يقع ذلك الموقع . وفيه جواز النظر

إلى العورة عند الضرورة الداعية لذلك من مداواة أو براءة من عيب ، كما لو ادعى أحد الزوجين على الآخر البرص ليفسخ النكاح فأنكر . وفيه أن الأنبياء في خلقهم وخلقهم على غاية الكمال ، وأن من نسب نبياً من الأنبياء إلى نقص في خلقه فقد آذاه ويخشى على فاعله الكفر . وفيه معجزة ظاهرة لموسى عليه السلام ، وأن الآدمي يغلب عليه طباع البشر ، لأن موسى علم أن الحجر ما سار بثوبه إلا بأمر من الله ، ومع ذلك عامله معاملة من يعقل حتى ضربه . ويحتمل أنه أراد بيان معجزة أخرى لقومه بتأثير الضرب بالعصا في الحجر . وفيه ما كان في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الصبر على الجهال واحتمال آذاهم ، وجعل الله تعالى العاقبة لهم على من آذاهم ، وقد روى أحمد بن منيع في مسنده بإسناد حسن والطحاوي وابن مردويه من حديث علي أن الآية المذكورة نزلت في طعن بني إسرائيل على موسى بسبب هارون لأنه توجه معه إلى زيارة فوات هارون فدفنه موسى ، فطعن فيه بعض بني إسرائيل وقالوا : أنت قتلتته ، فبرأه الله تعالى بأن رفع لهم جسد هارون وهو ميت فخطبهم بأنه مات . وفي الإسناد ضعف . ولو ثبت لم يكن فيه ما يمنع أن يكون في الفريقين معاً لصدق أن كلا منها آذى موسى فبرأه الله مما قالوا والله أعلم . ثم أورد المصنف في الباب حديث ابن مسعود في قول الرجل « إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله » والغرض منه ذكر موسى ، وقد تقدم في أواخر فرض الخمس من الجهاد في « باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطى من المؤلفة » وعين هناك موضع شرحه ، والله أعلم .

باب ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾

﴿مُتَبِّرٌ﴾ : خسرانٌ . ﴿وَلَيَتَبَرُّوا﴾ : يدمروا . ﴿مَا عَلَوْا﴾ : غلبوا .

[٣٤٠٦]

٣٢٩٤ - نا ابن بكير قال نا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن

عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه» . قالوا : أكنت ترعى الغنم ؟ قال : «وهل من نبي إلا وقد رعاها؟» .

[الحديث ٣٤٠٦ - طرفه في : ٥٤٥٣ .]

قوله (باب يعكفون على أصنام لهم . متبر : خسران ، وليتبروا : يدمروا . ما علوا : ما غلبوا) ثم ساق حديث جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه » قالوا : أكنت ترعى الغنم ؟ قال : وهل من نبي إلا وقد رعاها » والكباث بفتح الكاف والموحدة الخفيفة وآخره مثلثة هو ثمر الأراك ويقال ذلك للنضيج منه ، كذا نقله النووي عن أهل اللغة ، وقال أبو عبيد هو ثمر الأراك إذا يبس وليس له عجم ، وقال القزاز : هو الغض من ثمر الأراك وإنما قال له الصحابة « أكنت ترعى الغنم » لأن في قوله لهم عليكم بالأسود منه دلالة على تمييزه بين أنواعه . والذي يميز بين أنواع ثمر الأراك غالباً من يلزم رعى الغنم على ما ألفوه . وقوله في الترجمة « باب يعكفون

على أصنام لهم» أى تفسير ذلك ، والمراد تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ ولم يفسر المؤلف من الآية إلا قوله تعالى فيها ﴿ إِنْ هَؤُلَاءِ مَتَبَرٌ مَا هُمْ فِيهِ ﴾ فقال : إن تفسير متبر خسران وهذا أخرجه الطبرى من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال فى قوله ﴿ إِنْ هَؤُلَاءِ مَتَبَرٌ مَا هُمْ فِيهِ ﴾ قال خسران ، والخسيران تفسير التتير الذى اشتق منه المتبر ، وأما قوله ﴿ وَلِيَتَبَرُوا ﴾ ليديمروا فذكره استطراداً ، وهو تفسير قتادة أخرجه الطبرى من طريق سعيد عنه فى قوله ﴿ وَلِيَتَبَرُوا مَا عَلُوا تَتَبَرًا ﴾ قال : ليديمروا ما غلبوا عليه تدميرا . وأما حديث جابر فى رعى الغنم فناسبته للترجمة غير ظاهرة . وقال شيخنا ابن الملقن فى شرحه : قال بعض شيوخنا لا مناسبة ، قال شيخنا : بل هى ظاهرة لدخول عيسى فيمن رعى الغنم كذا رأيت فى النسخة ، وكأنه سبق قلم وإنما هو موسى لا عيسى ، وهذا مناسب لذكر المتن فى أخبار موسى وأما مناسبة الترجمة للحديث فلا ، والذى يهجنس فى خاطرى أنه كان بين التفسير المذكور وبين الحديث بياض أدخل الحديث فى الترجمة وترجمة تصلح لحديث جابر ، ثم وصل ذلك كما فى نظائره . ومناسبة حديث جابر لقصاص موسى من جهة عموم قوله « وهل من نبي إلا وقد رعاها » فدخل فيه موسى كما أشار إليه شيخنا ، بل وقع فى بعض طرق هذا الحديث « ولقد بعث موسى وهو يرعى الغنم » وذلك فيما أخرجه النسائى فى التفسير من طريق أبى إسحق عن نصر بن حزن قال « افتخر أهل الإبل والشاة » فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعى غنم » الحديث . ورجال إسناده ثقات ، ويؤيد هذا الذى قلت أنه وقع فى رواية النسفى « باب » بغير ترجمة وساق فيه حديث جابر ولم يذكر ما قبله ، وكأنه حذف الباب الذى فيه التفسير الموقوفة كما هو الأغلب من عادته واقتصر على الباب الذى فيه الحديث المرفوع ، وقد تكلف بعضهم وجه المناسبة - وهو الكرماني - فقال وجه المناسبة بينهما أن بنى إسرائيل كانوا جهالا مستضعفين ففضلهم الله على العالمين . وسياق الآية يدل عليه - أى فيما يتعلق ببني إسرائيل - فكذلك الأنبياء كانوا أولا مستضعفين بحيث أنهم كانوا يرعون الغنم انتهى . والذى قاله الأئمة أن الحكمة فى رعاية الأنبياء للغنم ليأخذوا أنفسهم بالتواضع ، وتعتمد قلوبهم بالخلوة ، ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم ، وقد تقدم إيضاح هذا فى أوائل الإجارة ، ولم يذكر المصنف من الآيات بالعبرة والإشارة إلا قوله ﴿ مَتَبَرٌ مَا هُمْ فِيهِ ﴾ ولا شك أن قوله ﴿ وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ إنما ذكر بعد هذا فكيف يحمل على أنه أشار إليه دون ما قبله فالمعتمد ما ذكرته . ونقل الكرماني عن الخطابي قال : أراد أن الله لم يضع النبوة فى أبناء الدنيا والمترفين منهم ، وإنما جعلها فى أهل التواضع كرعاة الشاة وأصحاب الحرف . قلت : وهذه أيضاً مناسبة للمتن لا لخصوص الترجمة ، وقد نقل القطب الحلبي هذا عن الخطابي ثم قال : وينظر فى وجه مناسبة هذا الحديث للترجمة .

ب

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ الآية

قال أبو العالية : عوان النصف بين البكر والهرمة . ﴿ فَأَقِمْ ﴾ : صاف . ﴿ لَا ذَلُول ﴾ : لم يذلها

العمل. ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ : ليست بذلول تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَعْمَلُ فِي الْحَرثِ. ﴿مُسَلِّمَةً﴾ : من العيوب. ﴿شَيْءٌ﴾ : بياض. ﴿صَفْرَاءُ﴾ : إن شئت سوداء، ويُقال : صفراء كقوله : (جماليات صفر). ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ : اختلفتم.

قوله (باب) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ (الآية) لم يذكر فيه سوى شيء من التفسير عن أبي العالية ، وقصة البقرة أوردها آدم بن أبي إياس في تفسيره قال : حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ قال : كان رجل من بني إسرائيل غنياً ولم يكن له ولد وكان له قريب وارث فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق ، وأتى موسى فقال إن قريبي قتل وأتى إلى أمر عظيم ، وإني لا أجد أحداً يبين لي قاتله غيرك يا نبي الله ، فنادى موسى في الناس : من كان عنده علم من هذا فليبينه ، فلم يكن عندهم علم ، فأوحى الله إليه : قل لهم فليذبحوا بقرة ، فعجبوا وقالوا : كيف نطلب معرفة من قتل هذا القتل فتؤمر بذبح بقرة ؟ وكان ما قصه الله تعالى قال ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ﴾ يعني لا هرمة ولا صغيرة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي نصف بين البكر والهرمة ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا﴾ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها ﴿أَيُّ صَافٍ﴾ (تسر الناظرين) أي تعجبهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ الآية ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولَ أَيُّ لَمْ يَذْلُهَا الْعَمَلُ - تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ يعني ليست بذلول فتثير الأرض ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرثَ﴾ يقول : ولا تعمل في الحرث ﴿مُسَلِّمَةً﴾ أي من العيوب ، ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا - أَيُّ لَا بَيَاضَ - قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ﴾ قال ولو أن القوم حين أمروا بذبح بقرة استرضوا أي بقرة كانت لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدد عليهم ، ولولا أنهم استثنوا فقالوا ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ لما اهتدوا إليها أبداً ، فبلغنا أنهم لم يجدوها إلا عند عجوز ، فأغلت عليهم في الثمن ، فقال لهم موسى : أنتم شددتم على أنفسكم فأعطوها ما سألت ، فذبحوها ، فأخذوا عظماً منها فضربوا به القتل فعاش فسمى لهم قاتله ، ثم مات مكانه فأخذ قاتله ، وهو قريبه الذي كان يريد أن يرثه فقتله الله على أسوأ عمله . وأخرج ابن جرير هذه القصة مطولة من طريق العوفي عن ابن عباس ، ومن طريق السدي كذلك وأخرجها هو وابن أبي حاتم وعبد بن حميد بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين عن عبيدة بن عمرو السلماني أحد كبار التابعين . وأما قوله « صفراء إن شئت سوداء ويقال صفراء كقوله جماليات صفر » فهو قول أبي عبيدة ، قال في قوله تعالى ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ : إن شئت صفراء وإن شئت سوداء كقوله جماليات صفر أي سود ، والمعنى أن الصفرة يمكن حملها على معناها لمشهور وعلى معنى السواد كما في قوله ﴿جماليات صفر﴾ فإنها فسرت بأنها صفر تضرب إلى سواد . وقد روى عن الحسن أنه أخذ أنها سوداء من قوله ﴿فاقع لونها﴾ وقوله ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ اختلفتم هو قول أبي عبيدة أيضاً قال : وهو من التدارئ وهو التدافع .

وفاة موسى، وذكره بعد

[٣٤٠٧] ٣٢٩٥- نا يحيى بن موسى قال نا عبدالرزاق قال أنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. قال: فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال أبوهريرة: فقال رسول الله صلى الله عليه: «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر». قال: وأنا معمر عن همام قال نا أبوهريرة عن النبي صلى الله عليه نحوه.

[٣٤٠٨] ٣٢٩٦- نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن وسعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين - في قسم يقسم به - فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي إلى النبي صلى الله عليه فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق، أو كان ممن استثنى الله.

[٣٤٠٩] ٣٢٩٧- نا عبدالعزيز بن عبدالله قال نا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن حميد بن عبدالرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة. قال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدّر عليّ قبل أن أخلق؟» فقال رسول الله صلى الله عليه: «فحج آدم موسى مرتين».

[الحديث ٣٤٠٩ - أطرافه في: ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥].

[٣٤١٠] ٣٢٩٨- نا مسدد قال نا حصين بن نمير عن حصين بن عبدالرحمن عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه يوماً فقال: «عرضت عليّ الأمم، ورأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق فقليل: هذا موسى في قومه».

[الحديث ٣٤١٠ - أطرافه في: ٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٦٥٤١].

قوله (وفاة موسى وذكره بعد) كذا لأبي ذر بإسقاط « باب » ولغيره بإثباته . وقوله (وذكره بعد) بضم دال « بعد » على البناء . ثم أورد فيه أحاديث : الأول حديث أبي هريرة في قصة موسى مع ملك الموت . أوردته موقوفاً من طريق طاوس عنه ، ثم عقبه برواية همام عنه مرفوعاً وهذا هو المشهور عن عبد الرزاق ، وقد رفع محمد بن يحيى عنه رواية طالس أيضاً أخرجه الإسماعيلي .

قوله (أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه) أي ضربه على عينه ، وفي رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد ومسلم « جاء ملك الموت إلى موسى فقال : أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها » وفي رواية عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عند أحمد والطبري « كان ملك الموت يأتي الناس عياناً ، فأتى موسى فلطمه ففقا عينه » .

قوله (لا يريد الموت) زاد همام « وقد فقا عيني ، فرد الله عليه عينه » وفي رواية عمار « فقال يارب عبدك موسى فقا عيني ، ولولا كرامته عليك لشققت عليه » .

قوله (فقل له يضع يده) في رواية أبي يونس « فقل له الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك » .

قوله (على متن) بفتح الميم وسكون المثناة هـ الظهر ، وقيل مكثف الصلب بين العصب واللحم ، وفي رواية عمار على جلد ثور .

قوله (فله بما غطي يده) في رواية الكشميني بما غطت يده .

قوله (ثم الموت) في رواية أبي يونس « قال فالآن يارب من قريب » وفي رواية عمار « فأتاه فقال له ما بعد هذا ؟ قال : الموت قال : فالآن » والآن ظرف زمان غير متمكن ، وهو اسم لزمان الحال الفاصل بين الماضي والمستقبل .

قوله (فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر) قد تقدم شرح ذلك وبياناه في الجنايز .

قوله (فلو كنت ثم) بفتح المثناة أي هناك .

قوله (من جانب الطريق) في رواية المستملي والكشميني « إلى جانب الطريق » وهي رواية همام .

قوله (تحت الكتيب الأحمر) في روايتها « عند الكتيب الأحمر » وهي رواية همام أيضاً ، والكتيب بالمثلثة وآخره موحدة وزن عظيم : الرمل المجتمع ، وزعم ابن حبان أن قبر موسى بمدين بين المدينة وبيت المقدس ، وتعقبه الضياء بأن أرض مدين ليست قرية من المدينة ولا من بيت المقدس ، قال وقد اشتهر عن قبر بأريحاء عنده كتيب أحمر أنه قبر موسى ، وأريحاء من الأرض المقدسة ، وزاد عمار في روايته « فشمه شمة فقبض روحه ، وكان يأتي الناس خفية » يعنى بعد ذلك ، ويقال إنه أتاه بتفاحة من الجنة فشما فمات وذكر السدي في تفسيره أن موسى لما دنت وفاته مشى هو وفتاه يوشع بن نون فجاءت ريح سوداء ، فظن يوشع أنها الساعة فالتزم موسى ، فانسل موسى من تحت القميص ، فأقبل يوشع بالقميص . وعن وهب بن منبه أن الملائكة تولوا دفنه والصلاة عليه ، وأنه عاش مائة وعشرين سنة .

قوله (قال وأخبرنا معمر عن همام الخ) هو موصول بالإسناد المذكور ، ووهم من قال إنه معلق فقد أخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر ، ومسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كذلك ، وقرله في آخره « نحره » أى أن رواية معمر عن همام بمعنى روايته عن ابن طاوس لا بلفظه ، وقد بينت ذلك فيما مضى ، قال ابن خزيمة : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا إن كان موسى عرفه فقد استخف به ، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فق عينه ؟ والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ ، وإنما بعثه إليه لإختياراً وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت ، وقد أباح الشارع فق عين الناظر في دار المسلم بغير إذن ، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء ، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول ، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه . وعلى تقدير أن يكون عرفه فن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر ؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له ؟ ونلخص الخطأ في كلام ابن خزيمة وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة « وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله فلهذا استسلم حينئذ . وقال النووى لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحاناً للملطوم . وقال غيره إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره ، لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير ، فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن ، قيل : وهذا أولى الأقوال بالصواب ، وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال : لم أقدم ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط ؟ فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحاناً . وزعم بعضهم أن معنى قوله « فقاً عينه » أى أبطل حجته ، وهو مردود بقوله في نفس الحديث « فرد الله عينه » وبقوله « لطمه وصكه » وغير ذلك من قرائن السياق . وقال ابن قتيبة : إنما فقاً موسى العين التى هى تخيل وتمثيل وليست عيناً حقيقة ، ومعنى رد الله عينه أى أعاده إلى خلقته الحقيقية ، وقيل على ظاهره ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره ، وهذا هو المعتمد . وجوز ابن عقيل أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر . وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان ، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث . وفيه فضل الدفن في الأرض المقدسة ، وقد تقدم شرح ذلك في الجناز . واستدل بقوله « فلك بكل شعرة سنة » على أن الذى بقى من الدنيا كثير جداً لأن عدد الشعر الذى تواريه اليد قدر المدة التى بين موسى وبعثة نبينا صلى الله عليه وسلم مرتين وأكثر . واستدل به على جواز الزيادة في العمر وقد قال به قوم في قوله تعالى ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ﴾ أنه زيادة ونقص في الحقيقة وقال الجمهور : والضمير في قوله ﴿ من عمره ﴾ للجنس لا للعين ، أى ولا ينقص من عمر آخر ، وهذا كقولهم عندى ثوب ونصفه أى ونصف ثوب آخر . وقيل المراد بقوله ولا ينقص من عمره أى وما يذهب من عمره ، فالجميع معلوم عند الله تعالى . والجواب عن قصة موسى أن أجله قد كان قرب حضوره ولم يبق منه إلا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من المراجعتين ، فأمر بقبض روحه أولاً مع سبق علم الله أن ذلك

لا يقع إلا بعد المراجعة وإن لم يطلع ملك الموت على ذلك أولاً . والله أعلم . الحديث الثاني حديث أبي هريرة أيضاً .

قوله (أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب) كذا قال شعيب عن الزهري . وتابعه محمد بن أبي عتيق عن ابن شهاب كما سيأتي في التوحيد . وقال إبراهيم بن سعد « عن الزهري عن أبي سلمة والأعرج » كما سيأتي في الرقاق ، والحديث محفوظ للزهري على الوجهين . وقد جمع المصنف بين الروایتين في التوحيد إشارة إلى ثبوت ذلك عنه على الوجهين ، وله أصل من حديث الأعرج من رواية عبد الله بن الفضل عنه وسيأتي بعد ثلاثة أبواب ، ومن طريق أبي الزناد عنه كما سيأتي في الرقاق ، ومن طريق أبي سلمة عن أبي هريرة أخرجه الترمذي وابن ماجه من طريق محمد بن عمرو عنه ، ورواه - مع أبي هريرة - أبو سعيد وقد تقدم في الأشخاص بتمامه .

قوله (استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود) وقع في رواية عبد الله بن الفضل سبب ذلك ، وأول حديثه « بينما يهودى يعرض سلعة أعطى بها شيئاً كرهه فقال : لا والذي اصطفى موسى على البشر » ولم أقف على اسم هذا اليهودى في هذه القصة ، وزعم ابن بشكوال أنه فنحاص بكسر الفاء وسكون النون ومهملتين وعزاه لابن إسحاق ، والذي ذكره ابن إسحاق لفنحاص مع أبي بكر الصديق في لطمه إياه قصة أخرى في نزول قوله تعالى ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ الآية . وأما كون اللطم في هذه القصة هو الصديق فهو مصرح به فيما أخرجه سفيان بن عيينة في جامعه وابن أبي الدنيا في « كتاب البعث » من طريقه عن عمرو بن دينار عن عطاء ، وابن جدعان عن سعيد بن المسيب قال « كان بين رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبين رجل من اليهود كلام في شيء » فقال عمرو بن دينار : هو أبو بكر الصديق « فقال اليهودى والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه المسلم » الحديث .

قوله (فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودى) أى عند سماعه قول اليهودى « والذي اصطفى موسى على العالمين » وإنما صنع ذلك فهمه من عموم لفظ العالمين فدخل فيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد تقرر عند المسلم أن محمداً أفضل ، وقد جاء ذلك مبيناً في حديث أبي سعيد أن الضارب قال لليهودى حين قال ذلك « أى خبيث على محمد » فدل على أنه لطم اليهودى عقوبة له على كذبه عنده . ووقع في رواية إبراهيم بن سعد « فلطم وجه اليهودى » ووقع عند أحمد من هذا الوجه « فلطم على اليهودى » وفي رواية عبد الله بن الفضل « فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه وقال : أتقول هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا وكذا وقع في حديث أبي سعيد أن الذى ضربه رجل من الأنصار ، وهذا يعكس على قول عمرو بن دينار أنه أبو بكر الصديق ، إلا أن كان المراد بالأنصار المعنى الأعم فإن أبا بكر الصديق رضى الله عنه من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعاً ، بل هو رأس من نصره ومقدمهم وسابقهم .

قوله (فأخبره الذى كان من أمر المسلم) زاد في رواية إبراهيم بن سعد « فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم فسأله عن ذلك فأخبره » وفي رواية ابن الفضل « فقال - أى اليهودى - يا أبا القاسم إن لى ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهى ؟ فقال : لم لطمت وجهه ؟ - فذكره - فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى روى في

وجهه « وفي حديث أبي سعيد « فقال : ادعوه لي ، فجاء فقال : أضربته ؟ قال سمعته بالسرق يحلف » فذكر القصة .

قوله (لا تخبروني على موسى) في رواية ابن الفضل « فقال لا تفضلوا بين أنبياء الله » وفي حديث أبي سعيد « لا تخبروا بين الأنبياء » .

قوله (فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق) في رواية إبراهيم بن سعد « فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم ، فأكون أول من يفيق » لم يبين في رواية الزهري من الطريقين محل الإفاقة من أي الصعقتين . ووقع في رواية عبد الله بن الفضل « فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث » وفي رواية الكشميهني « أول من يبعث » والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتاً أو رأى شيئاً يفرع منه ، وهذه الرواية ظاهرة في أن الإفاقة بعد النفخة الثانية ، وأصرح من ذلك رواية الشعبي عن أبي هريرة في تفسير الزمر بلفظ « إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة » وأما ما وقع في حديث أبي سعيد « فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض » كذا وقع بهذا اللفظ في كتاب الإشخاص ، ووقع في غيرها « فأكون أول من يفيق » وقد استشكل ، وجزم المزي فيما نقله عنه ابن القيم في « كتاب الروح » أن هذا اللفظ وهم من راويه وأن الصواب ما وقع في رواية غيره « فأكون أول من يفيق » وأن كونه صلى الله عليه وسلم أول من تنشق عنه الأرض صحيح ، لكنه في حديث آخر ليس فيه قصة موسى انتهى . ويمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم ، وهو الفرع كما وقع في سورة النمل ﴿ ففرع من في السماوات ومن في الأرض ﴾ ثم يعقب ذلك الفرع للموتى زيادة فيما هم فيه وللأحياء موتاً ، ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعين ، فمن كان مقبوراً انشقت عنه الأرض فخرج من قبره ، ومن ليس بمقبور لا يحتاج إلى ذلك . وقد ثبت أن موسى ممن قبر في الحياة الدنيا ، ففي صحيح مسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره » أخرجه عقب حديث أبي هريرة وأبي سعيد المذكورين ولعله أشار بذلك إلى ما قررته . وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع أن الموتى لا إحساس لهم ، فقليل المراد أن الذين يصعقون هم الأحياء ، وأما الموتى فهم في الاستثناء في قوله تعالى ﴿ إلا من شاء الله ﴾ أي إلا من سبق له الموت قبل ذلك فإنه لا يصعق ، وإلى هذا جنح القرطبي . ولا يعارضه ما ورد في هذا الحديث أن موسى ممن استثنى الله لأن الأنبياء أحياء عند الله وإن كانوا في صورة الأموات بالنسبة إلى أهل الدنيا ، وقد ثبت ذلك للشهداء . ولا شك أن الأنبياء أرفع رتبة من الشهداء وورد التصريح بأن الشهداء ممن استثنى الله أخرجه إسحق بن راهويه وأبو يعلى من طريق زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة . وقال عياض يحتمل أن يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء والأرض ، وتعقبه القرطبي بأنه صرح صلى الله عليه وسلم بأنه حين يخرج من قبره يلتقي موسى وهو متعلق بالعرش ، وهذا إنما هو عند نفخة البعث انتهى . ويرده قوله صريحاً كما تقدم « إن الناس يصعقون فأصعق معهم » إلى آخر ما تقدم ، قال : ويؤيده أنه عبر بقوله « أفاق » لأنه إنما يقال أفاق من الغشي وبعث من الموت ، وكذا عبر عن صعقة الطور بالإفاقة لأنها لم

تكن موتاً بلا شك ، وإذا تقرر ذلك كله ظهر صحة الحمل على أنها غشبية تحصل للناس في الموقف . هذا حاصل كلامه وتعقبه .

قوله (فأكون أول من يفيق) لم تختلف الروايات في الصحيحين في إطلاق الأولية ، ووقع في رواية إبراهيم بن سعد عند أحمد والنسائي « فأكون في أول من يفيق » أخرجه أحمد عن أبي كامل ، والنسائي من طريق يونس بن محمد كلاهما عن إبراهيم ، فعرف أن إطلاق الأولية في غيرها محمول عليها ، وصبيه التردد في موسى عليه السلام كما سيأتي ، وعلى هذا يحمل سائر ما ورد في هذا الباب ، كحديث أنس عند مسلم رفعه « أنا أول من تنشق عنه الأرض » وحديث عبد الله بن سلام عند الطبراني .

قوله (فإذا موسى باطش بجانب العرش) أي أخذ بشيء من العرش بقوة ، والبطش الأخذ بقوة وفي رواية ابن الفضل « فإذا موسى أخذ بالعرش » وفي حديث أبي سعيد « أخذ بقائمة من قوائم العرش » وكذا في رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة .

قوله (فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبل أو كان ممن استثنى الله) أي فلم يكن ممن صعق ، أي فإن كان أفاق قبل فهي فضيلة ظاهرة وإن كان ممن استثنى الله فلم يصعق فهي فضيلة أيضاً . روقع في حديث أبي سعيد « فلا أدري أكان فيمن صعق - أي فأفاق قبل - أم حوسب بصعقته الأولى » أي التي صعقها لما سأل الرؤية ، وبين ذلك ابن الفضل في روايته بلفظ « أحوسب بصعقته يوم الطور » والجمع بينه وبين قوله « أو كان ممن استثنى الله » أن في رواية ابن الفضل وحديث أبي سعيد بيان السبب في استثنائه ، وهو أنه حوسب بصعقته يوم الطور فلم يكلف بصعقة أخرى . والمراد بقوله « ممن استثنى الله » قوله « (إلا من شاء الله) » وأغرب الداودي الشارح فقال : معنى قوله « استثنى الله » أي جعله ثانياً ، كذا قال ، وهو غلط شنيع . وقد وقع في مرسل الحسن في « كتاب البعث لابن أبي الدنيا » في هذا الحديث فلا أدري أكان ممن استثنى الله أن لا نصيبه النفخة أوبعث قبل ، وزعم ابن القيم في « كتاب الروح » أن هذه الرواية وهو قوله « أكان ممن استثنى الله » وهم من بعض الرواة ، والمحفوظ « أو جوزى بصعقة الطور » قال : لأن الذين استثنى الله قد ماتوا من صعقة النفخة لا من الصعقة الأخرى ، فظن بعض الرواة أن هذه صعقة النفخة وأن موسى داخل فيمن استثنى الله ، قال : وهذا لا يلتزم على سياق الحديث ، فإن الإفاقة حينئذ هي إفاقة البعث فلا يحسن التردد فيها وأما الصعقة العامة فإنها تقع إذا جمعهم الله تعالى لفصل القضاء فيصعق الخلق حينئذ جميعاً إلا من شاء الله ، ووقع التردد في موسى عليه السلام . قال : ويدل على ذلك قوله « وأكون أول من يفيق » وهذا دال على أنه ممن صعق ، وتردد في موسى هل صعق فأفاق قبله أم لم يصعق ؟ قال : ولو كان المراد الصعقة الأولى للزم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم جزم بأنه مات ، وتردد في موسى هل مات أم لا ، والواقع أن موسى قد كان مات لما تقدم من الأدلة ، فدل على أنها صعقة فزع لا صعقة موت ، والله أعلم . ووقع في رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عند ابن مردويه « أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة » فأنفض التراب عن رأسه ، فأتى قائمة العرش فأجد موسى قائماً عندها فلا أدري أنفض التراب عن رأسه قبل أو كان ممن استثنى

الله ، ويحتمل قوله في هذه الرواية « أنفض التراب قبلي » تجويز المعية في الخروج من القبر أو هي كناية عن الخروج من القبر ، وعلى كل تقدير ففيه فضيلة لموسى كما تقدم .

(تكميل) : زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع : الأولى نفخة إماتة يموت فيها من بقي حياً في الارض ، والثانية نفخة إحياء يقوم بها كل ميت وينشرون من القبور ويجمعون للحساب ، والثالثة نفخة فزع وصعق يفيقون منها كالمغشى عليه لا يموت منها أحد ، والرابعة نفخة إفاقة من ذلك الغشى . وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعاً ليس بواضح بل هما نفختان فقط ، ووقع التباين في كل واحدة منها باعتبار من يستمعها ، فالأولى يموت بها كل من كان حياً ويغشى على من لم يموت ممن استثنى الله ، والثانية يعيش بها من مات ويفيق بها من غشى عليه والله أعلم . قال العلماء في نهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل بين الأنبياء : إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضل أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع ، أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضل فضيلة ، فالإمام مثلاً إذ قلنا إنه أفضل من المؤذن لا يستلزم نقص فضيلة المؤذن بالنسبة إلى الأذان ، وقيل النهى عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها كقوله تعالى ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض لقوله ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ . وقال الحليمي الأخبار الواردة في النهى عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالخيار ، لأن الخيار إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر ، فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهى ، وسيأتي مزيد لذلك في قصة يونس إن شاء الله تعالى . الحديث الثالث حديث أبي هريرة « احتج آدم وموسى » سيأتي شرحه في كتاب القدر ، والغرض منه شهادة آدم لموسى أن الله اصطفاه .

(تنبيه) : قرله « ثم تلومني » كذا للأكثر بالمثلثة والميم المشددة ، ووقع للأصيلي والمستمل بالمرحدة وتخفيف الميم . الحديث الرابع حديث ابن عباس في عرض الأمم ، أورده مختصراً ، وسيأتي بتأمله مع شرحه في الرقاق إن شاء الله تعالى ، وفيه أن أمة موسى أكثر الأمم بعد أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ب

قول الله عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾

[٣٤١١] ٣٢٩٩ - فإحيى بن جعفر قال نا وكيع عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

[الحديث ٣٤١١ - أطرافه في : ٣٤٣٣ ، ٣٧٦٩ ، ٥٤١٨ .]

قوله (باب قول الله تعالى : وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون - إلى قوله - وكانت من القانتين) كذا للأكثر ، وسقط من رواية أبي ذر (للذين آمنوا امرأة فرعون) والغرض من هذه الترجمة ذكر آسية وهي بنت مزاحم امرأة فرعون ، قيل إنها من بني إسرائيل وإنها عمة موسى ، وقيل إنها من العماليق وقيل ابنة عم فرعون . وأما مريم فسيأتي ذكرها مفرداً بعد .

قوله (عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني) مرة والد عمرو غير مرة شيخه ، وهو عمرو بن مرة ابن عبيد الله بن طارق الحملي - بفتح الجيم والميم - المرادى ، ثقة عابد من بصرى التابعين . وقد وقع في الأئمة عمرو بن مرة الحملي ، وأما شيخه مرة فهو ابن شراحيل ، مخضرم ثقة عابد أيضاً من كبار التابعين ويقال له مرة الطيب ومرة الخير .

قوله (كمل) بضم الميم وبفتحها .

قوله (ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران) استدل بهذا الحصر على أنهما نيتان لأن أكمل النوع الإنساني الأنبياء ثم الأولياء والصديقون والشهداء ، فلو كانتا غير نيتين للزم ألا يكون في النساء ولاية ولا صديقة ولا شهيدة ، والواقع أن هذه الصفات في كثير منهن موجودة فكأنه قال ولم ينبأ من النساء إلا فلانة وفلانة ، ولو قال لم تثبت صفة الصديقة أو الولاية أو الشهادة إلا لفلانة وفلانة لم يصح لوجود ذلك في غيرهن ، إلا أن يكون المراد في الحديث كمال غير الأنبياء فلا يتم الدليل على ذلك لأجل ذلك والله أعلم . وعلى هذا فالمراد من تقدم زمانه صلى الله عليه وسلم ، ولم يتعرض لأحد من نساء زمانه إلا لعائشة ، وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضى الله عنها على غيرها لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤنة وسهولة الإساغة ، وكان أجل أطعمتهم يومئذ ، وكل هذه الحصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة ، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى . وقد ورد في هذا الحديث من الزيادة بعد قوله ومريم ابنة عمران « وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد » أخرجه الطبراني عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بالسند المذكور هنا ، وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » في ترجمة عمرو بن مرة أحد رواة عند الطبراني بهذا الإسناد ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق عمرو بن مرزوق به ، وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضى أفضلية خديجة وفاطمة على غيرهما وذلك فيما سيأتي في قصة مريم من حديث علي بلفظ « خير نساءها خديجة » وجاء في طريق أخرى ما يقتضى أفضلية خديجة وفاطمة وذلك فيما أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والطبراني وأبو داود في كتاب الزهد « والحاكم كلهم من طريق موسى ابن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وله شاهد من حديث أبي هريرة في « الأوسط للطبراني » ولأحمد في حديث أبي سعيد رفعه « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران » وإسناده حسن ، وإن ثبت ففيه حجة لمن قال إن آسية امرأة فرعون ليست نبية ، وسيأتي في مناقب فاطمة قوله صلى الله عليه وسلم لها إنها سيدة نساء أهل الجنة « مع مزيد بسط لهذه المسألة هناك إن شاء الله تعالى ، ويأتي في الأئمة زيادة فيما يتعلق بالثريد ، قال القرطبي : الصحيح أن مريم نبية لأن الله

تعالى أوحى إليها بواسطة الملك ، وأما آسية فلم يرد ما يدل على نبوتها . وقال الكرماني : لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتها لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في باب ، فالمراد بلوغها النهاية في جميع الفضائل التي للنساء . قال : وقد نقل الإجماع على عدم نبوة النساء ، كذا قال ، وقد نقل عن الأشعري أن من النساء من نبى وهن ست : حواء وسارة وأم موسى وهاجر وآسية ومريم ، والضابط عنده أن من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نبى أو بإعلام مما سيأتى فهو نبى ، وقد ثبت مجيء الملك لهؤلاء بأمور شتى من ذلك من عند الله عز وجل ، ووقع التصريح بالإجماع لبعضهن في القرآن . وذكر ابن حزم في « الملل والنحل » أن هذه المسألة لم يحدث التنازع فيها إلا في عصره بقرطبة ، وحكى عنهم أقوالا ثالثها الوقف ، قال : وحجة المانعين قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ﴾ قال : وهذا لا حجة فيه فإن أحدا لم يدع فيهن الرسالة ، وإنما الكلام في النبوة فقط . قال : وأصرح ما ورد في ذلك قصة مريم ، وفي قصة أم موسى ما يدل على ثبوت ذلك لها من مبادرتها بالقاء ولدها في البحر بمجرد الوحي إليها بذلك ، قال : وقد قال الله تعالى بعد أن ذكر مريم والأنبياء بعدها ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ فدخلت في عمومهم والله أعلم . ومن فضائل آسية امرأة فرعون أنها اختارت القتل على الملك والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه ، وكانت فراستها في موسى عليه السلام صادقة حين قالت ﴿ قررة عين لي ﴾ .

باب ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ الآية

﴿ لَتَنُوءَ ﴾ : لتثقل . قال ابن عباس : ﴿ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ : لا ترفعها العصابة من الرجال . يقال : ﴿ الفرحين ﴾ : المرحين . ﴿ وَيَكَنَّ اللَّهُ يَسْطُ ﴾ مثل ألم تر أن الله يبسط ﴿ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ : ويوسع عليه ويضيّق .

قوله (باب إن قارون كان من قوم موسى الآية) هو قارون بن يصفد بن يصهر ابن عم موسى ، وقيل كان عم موسى ، والأول أصح فقد روى ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان ابن عم موسى قال : وكذا قال قتادة وإبراهيم النخعي وعبد الله بن الحارث وسماك بن حرب ، واختلف في تفسير بغى قارون فقيل : الحسد ، لأنه قال : ذهب موسى وهارون بالأمر فلم يبق لي شيء . وقيل إنه واطأ امرأة من البغايا أن تقذف موسى بنفسها فألهمها الله أن اعترفت بأنه هو الذي حملها على ذلك . وقيل الكبر لأنه طغى بكثرة ماله . وقيل هو أول من أطال ثيابه حتى زادت على قامته شبرا .

قوله (لتنوء : لتثقل) هو تفسير ابن عباس أورده ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه في قوله ﴿ ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ﴾ يقول تثقل .

قوله (قال ابن عباس عباس : أولى القوة لا يرفعها العصابة من الرجال) واختلف في العصابة فقيل عشرة وقيل خمسة عشر ، وقيل أربعون ، وقيل من عشرة إلى أربعين .

قوله (الفرحين : المرحين) هو تفسير ابن عباس أورده ابن أبي حاتم أيضا من طريق ابن أبي طلحة عنه في قوله ﴿ إن الله لا يحب الفرحين ﴾ أى المرحين ، والمعنى أنهم يبطرون فلا يشكرون الله على نعمه .

قوله (ويكأن الله ، مثل ألم تر أن الله) هو قول أبي عبيدة ، واستشهد بقول الشاعر :

ويكأن من يكن له نشب يحب ومن يفتقر يعيش عيش ضر
 وذهب قطرب إلى أن «وى» كلمة تفجع و «كأن» حرف تشبيه ، وعن الفراء هي كلمة موصولة
 قوله (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر : يوسع عليه ويضيق) قال أبو عبيدة في قوله ﴿ قل إن ربي
 يبسط الرزق لمن يشاء ﴾ يوسع ويكثر ، وفي قوله ﴿ ويقدر ﴾ هو مثل قوله ﴿ ومن قدر عليه رزقه ﴾ أى
 ضاق .

(تنبيه) : لم يذكر المصنف في قصة قارون إلا هذه الآثار ، وهي ثابتة في رواية المستملى والكشميني
 فقط . وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : كان موسى يقول لبني إسرائيل إن الله
 يأمركم بكذا حتى دخل عليهم في أموالهم فشق ذلك على قارون فقال لبني إسرائيل : إن موسى يقول : من
 زنى رجم ، فتعالوا نجعل لبني شيئا حتى تقول إن موسى فعل بها فيرجم فنستريح منه ، ففعلوا ذلك ، فلما
 خطبهم موسى قالوا له : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا . فقالوا : فقد زنت ، فجزع . فأرسلوا
 إلى المرأة فلما جاءت عظم عليها موسى ، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل إلا صدقت ، فأقرت بالحق ،
 فخر موسى ساجداً يبكى ، فأوحى الله إليه : إني أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت ، فأمرها فخسفت
 بقارون ومن معه . وكان من قصة قارون أنه حصل أموالاً عظيمة جداً حتى قيل : كانت مفاتيح خزائنه
 كانت من جلود تحمل على أربعين بغلاً وكان يسكن تديس ، فحكى أن عبد العزيز الحروري ظفر ببعض
 كنوز قارون وهو أمير على تديس ، فلما مات تأمر ابنه على مكانه وتورع ابنه الحسن بن عبد العزيز عن ذلك
 فيقال : إن علياً كتب إلى أخيه الحسن إني استطيت لك من مال أبيك مائة ألف دينار فخذها فقال : أنا
 تركت الكثير من ماله لأنه لم يطب لي فكيف آخذ هذا القليل ؟ وقد روى البخاري في هذا الصحيح عن
 الحسن بن عبد العزيز هذا .

ب

قول الله عز وجل : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ إلى أهل مدين ؛ لأن مدين بلد ، ومثله :
 ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ ، سل العير : يعني أهل القرية وأهل العير ، ﴿ وَرَأَيْكُمْ ظَهْرِيًّا ﴾ : لم يلتفتوا إليه ،
 يُقال إذا لم يقض حاجته : ظهرت حاجتي ، وجعلتني ظهرياً ، والظَّهْرِيُّ أَنْ تَأْخُذَ مَعَكَ دَابَّةً أَوْ
 وَعَاءً تَسْتَظْهِرُ بِهِ . ﴿ مَكَانَتَهُمْ ﴾ : ومكانكم واحداً . ﴿ يَغْنَوْا ﴾ : يعيشوا . ﴿ تَأْسَ ﴾ : تحزن ،
 ﴿ آسَى ﴾ : أحزن . وقال الحسن ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ ﴾ : يستهزئون به . وقال مجاهد : ﴿ لَيْكَةِ ﴾ :
 الأيكة . ﴿ يَوْمَ الظُّلَّةِ ﴾ : إضلال العذاب عليهم .

قوله (باب قول الله تعالى : وإلى مدين أخاهم شعيباً) هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن لاوى بن
 يعقوب ، كذا قال ابن إسحق ولا يثبت . وقيل يشجر بن عنقا بن مدين بن إبراهيم . وقيل هو شعيب بن صفور

ابن عثما بن ثابت بن مدين . وكان مدين ممن آمن بإبراهيم لما أحرق . وروى ابن حبان في حديث أبي ذر الطويل « أربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ومحمد » فعلى هذا هو من العرب العاربة ، وقيل إنه من بني عنزة بن أسد ، ففي حديث سلمة بن سعيد العنزي « أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فانتسب إلى عنزة فقال : نعم الحى عنزة مبعى عليهم منصورون رهط شعيب وأختان موسى » أخرجه الطبراني ، وفي إسناده مجاهيل .

قوله (إلى أهل مدين ، لأن مدين بلد ومثله) (واسأل القرية - واسأل العير) يعنى أهل القرية وأهل العير) هو قول أبي عبيدة قاله في تفسير سورة هود .

قوله (وراءكم ظهوركم لم يلتفتوا إليه ، ويقال إذا لم تقض حاجته ظهرت حاجتى وجعلتنى ظهوريا قال : الظهري أن تأخذ معك دابة أو وعاء تستظهر به) قال أبو عبيدة في قوله (وراءكم ظهوريا) أى ألقيتموه خلف ظهوركم فلم تلتفتوا إليه ، وتقول للذى لا يقضى حاجتك ولا يلتفت إليها : ظهرت بحاجتى وجعلتها ظهرية أى خلف ظهرك ، قال الشاعر : « وجدنا بنى البرصاء من ولد الظهر » أى من الذين يظهرون بهم ولا يلتفتون إليهم .

قوله (مكانهم ومكانهم واحد) هكذا وقع ، وإنما هو فى قصة شعيب (مكانتكم) فى قوله (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) ، ثم هو قول أبي عبيدة قال فى تفسير سورة يس فى قوله (مكانهم) المكان والمكانة واحد .

قوله (يغنوا يعيشوا) قال أبو عبيدة فى قوله تعالى (كأن لم يغنوا فيها) أى لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا فيها ، قال : والمغنى الدار ، الجمع مغانى ، يغنى بالغين المعجمة .

قوله (تأس يحزن ، آسى أحزن) قال أبو عبيدة فى قوله (فكيف آسى) أى أحزن وأندم وأتوجع الآسى ، وأما قوله « تأس يحزن » فهو من قوله تعالى لموسى (فلا تأس على القوم الفاسقين) وذكره المصنف هنا استطراداً .

قوله (وقال الحسن : إنك لأنت الحليم الرشيد يستهزئون به) وصله ابن أبى حاتم من طريق أبى المليلح عن الحسن البصرى بهذا ، وأراد الحسن أنهم قالوا له ذلك على سبيل الاستعارة التهكية ومرادهم عكس ذلك .

قوله (وقال مجاهد : ليكة الأيكة ، يوم الظلة إظلال العذاب عليهم) وصله ابن أبى حاتم من طريق ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله (كذب أصحاب ليكة) كذا قرأها ، وهى قراءة أهل مكة ابن كثير وغيره وفى قوله (عذاب يوم الظلة) قال : إظلال العذاب إياهم .

(تنبيه) : لم يذكر المصنف فى قصة شعيب سوى هذه الآثار ، وهى للكشمينى والمستمل فقط . قد ذكر الله تعالى قصته فى الأعراف وهود والشعراء والعنكبوت وغيرها ، وجاء عن قتادة أنه أرسل إلى أمتين : أصحاب مدين وأصحاب الأيكة ، ورجح بأنه وصف فى أصحاب مدين بأنه أخوهم بخلاف أصحاب الأيكة . وقال فى أصحاب مدين (أخذتهم الرجفة - والصيحة) وفى أصحاب الأيكة (أخذهم عذاب يوم

الظلة ﴿ والجمهور على أن أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة ﴾ ، وأجابوا عن ترك ذكر الأخوة في أصحاب الأيكة بأنه لما كانوا يعبدون الأيكة ووقع في صدر الكلام بأنهم أصحاب الأيكة ناسب أن لا يذكر الإخوة . وعن الثاني بأن المغيرة في أنواع العذاب إن كانت تقتضي المغيرة في المعذبين فليكن الذين عذبوا بالرجفة غير الذين عذبوا بالصيحة ، والحق إنهم أصابهم جميع ذلك ، فإنهم أصابهم حر شديد فخرجوا من البيوت فأظلمت صحابة فاجتمعوا تحتها فرجفت بهم الأرض من تحتهم وأخذتهم الصيحة من فوقهم ، وسيأتي الكلام على الأيكة في التفسير إن شاء الله تعالى .

ب قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى : ﴿ وَهُوَ مَلِيمٌ ﴾ قال مجاهد : مذنب . المشحون : الموقر ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ الآية ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ ﴾ بوجه الأرض ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ١٤٥ ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ من غير ذات أصل ، الدباء ونحوه ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ١٤٧ ﴿ فَأَمْنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ ، ﴿ كَظِيمٌ ﴾ : مغموم .

٣٣٠٠ - فامسدد قال نا يحيى عن سفيان قال نا الأعمش ... ح . ونا أبو نعيم قال نا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه قال : « لا يقولن أحدكم إني خير من يونس » زاد مسدد : يونس بن متى . [الحديث ٣٤١٢ - طرفاه في : ٤٦٠٣ ، ٤٨٠٤] .

٣٣٠١ - نا حفص بن عمر قال نا شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه قال : « ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى » . ونسبه إلى أبيه .

٣٣٠٢ - نا يحيى بن بكير عن الليث عن عبدالعزيز بن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل عن الأعرج عن أبي هريرة قال : بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئاً كرهه ، فقال : لا والذي اصطفى موسى على البشر ، فسمعه رجل من الأنصار فقام فطم وجهه وقال : تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي صلى الله عليه بين أظهرنا ؟ فذهب إليه فقال : أبا القاسم ، إن لي ذمة وعهداً ، فما بال فلان لطم وجهي ؟ فقال : « لم لطمت وجهه ؟ » فذكره ، فغضب النبي صلى الله عليه حتى روي في وجهه ، ثم قال : « لا تفضلوا بين أنبياء الله ، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث ، فإذا موسى ^(١) أخذ بالعرش ، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور ، أم بعث قبلي ، ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى » .

[الحديث ٣٤١٥ - أطرافه في : ٣٤١٦ ، ٤٦٠٤ ، ٤٦٣١ ، ٤٨٠٥] .

(١) الرقمان ٣٤١٤ و ٣٤١٥ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين .

٣٣٠٣ - فابوالوليد قال نا شعبة عن سعد بن إبراهيم قال سمعت حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » .

قوله (باب قول الله تعالى : وإن يونس لمن المرسلين - إلى قوله - وهو مليم) هو يونس بن متى بفتح الميم وتشديد المثناة مقصور ، ووقع في تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه ، وهو مردود بما في حديث ابن عباس في هذا الباب « ونسبه إلى أبيه » فهذا أصح ، ولم أقف في شيء من الأخبار على اتصال نسبه ، وقد قيل إنه كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس .

قوله (قال مجاهد : مذنب) يعني تفسير قوله ﴿ وهو مليم ﴾ وقد أخرجه ابن جرير من طريق مجاهد قال ﴿ فالتقمه الحوت وهو مليم ﴾ من الأم الرجل إذا أتى بما يلام عليه . ثم قال الطبري : المليم هو المكتسب اللوم :

قوله (والمشحون الموقر) وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال المشحون المملوء ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس المشحون الموقر .

قوله (فلولا أنه كان من المسبحين - الآية - فنبذناه بالعراء : بوجه الأرض) قال أبو عبيدة في قوله ﴿ فنبذناه بالعراء ﴾ : أي بوجه الأرض ، والعرب تقول نبذته بالعراء أي بالأرض الفضاء ، قال الشاعر « ونبذت بالبلد العراء ثيابي » والعراء الذي لا شيء فيه يوارى من شجر ولا غيره ، وقال الفراء : العراء المكان الخالي .

قوله (من يقطين : من غير ذات أصل ، الدباء ونحوه) وصله عبد بن حميد من طريق مجاهد وزاد : ليس لها ساق ، وكذا قال أبو عبيدة : كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ والمشهور أنه القرع ، وقيل التين وقيل الموز ، وجاء في حديث مرفوع في القرع « هي شجرة أخى يونس » .

قوله (ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم . كظيم : مغموم) كذا فيه والذي قاله أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ إذ نادى وهو مكظوم ﴾ : أي من الغم مثل كظيم . وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ وهو مكظوم ﴾ يقول : مغموم . ثم ذكر حديث ابن مسعود « لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى » وحديث ابن عباس « لا ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى » ، ونسبه إلى أبيه « وحديث أبي هريرة في قصة المسلم الذي لطم اليهودي وقد تقدم شرحها في أواخر قصة موسى ، وقال في آخره في هذه الرواية « ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى » وحديثه من وجه آخر مختصراً مقتصرأ على مثل لفظ حديث ابن عباس . وقد وقع في حديث عبد الله بن جعفر عند الطبراني بلفظ « لا ينبغي لنبي أن يقول الخ » وهذا يؤيد أن قوله في الطريق الأولى « ان » المراد بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية للطبراني في حديث ابن عباس « ما ينبغي لأحد أن يقول أنا عند الله خير من يونس » وفي رواية للطحاوي « أنه سبح الله في الظلمات » فأشار إلى جهة الخيرية المذكورة ، وأما قوله في الرواية الأولى « ونسبه إلى أبيه » ففيه إشارة إلى الرد على من زعم أن متى اسم أمه ، وهو محكى عن وهب بن منبه في

« المبتدا » ، وذكره الطبري وتبعه ابن الأثير في « الكامل » والذي في الصحيح أصح . وقيل سبب قوله « ونسبه إلى أبيه » أنه كان في الأصل يونس ابن فلان فنسى الراوى اسم الأب وكنى عنه بفلان ، وقيل إن ذلك هو السبب في نسبه إلى أمه فقال الذي نسي اسم أبيه يونس بن متى وهو أمه ثم اعتذر فقال ونسبه - أى شيخه - إلى أبيه أى سماه فنسبه ، ولا يخفى بعد هذا التأويل وتكلفه ، قال العلماء إنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا إن كان قاله بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق ، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال ، وقيل خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الثريعة . وقد روى قصته السدى في تفسيره بأسانيد عن ابن مسعود وغيره « إن الله بعث يونس إلى أهل نينوى وهى من أرض الموصل فكذبوه ، فوعدهم بنزول العذاب في وقت معين ، وخرج عنهم مغاضبا لهم . فلما رأوا آثار ذلك خضعوا وتضرعوا وآمنوا ، فرحمهم الله فكشف عنهم العذاب ، وذهب يونس فركب سفينة فلججت به ، فاقرعوا فيمن يطرحونه منهم فوقعت القرعة عليه ثلاثا فالتقمه الحوت » وروى ابن أبى حاتم من طريق عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بإسناد صحيح إليه نحو ذلك وفيه « وأصبح يونس فأشرف على القرية فلم ير العذاب وقع عليهم ، وكان في شريعتهم من كذب قتل ، فانطلق مغاضبا حتى ركب سفينة - وقال فيه - فقال لهم يونس أن معهم عبداً أبقا من ربه وأنها لا تسير حتى تلقوه ، فقالوا : لا نلقيك يا نبي الله أبداً ، قال فاقرعوا فخرج عليه ثلاث مرات ، فالتقوه فالتقمه الحوت فبلغ به قرار الأرض ، فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت » الآية . وروى البزار وابن جرير من طريق عبد الله بن نافع عن أبي هريرة رفعه « لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أمر الله الحوت أن لا يكسر له عظما ولا يخذش له لحما » فلما انتهى به إلى قعر البحر سبغ الله فقال الملائكة : يا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة . قال : ذاك عبدى يونس ، فشفعوا له ، فأمر الحوت فلقفه في الساحل - قال ابن مسعود - كهية الفرخ ليس عليه ريش » وروى ابن أبى حاتم من طريق السدى عن أبي مالك قال : لبث في بطن الحوت أربعين يوماً ، ومن طريق جعفر الصادق قال : سبعة أيام ، ومن طريق قتادة قال ثلاثاً ، ومن طريق الشعبي قال : التقمه ضحى ، ولفظه عشية .

ب ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ يتعدون : يجاوزون
﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا ﴾ : شوارع ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ إلى قوله :
﴿ خَاسِئِينَ ﴾ . بئس : شديد .

قوله (باب قوله تعالى : وأسألم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الجمهور أن القرية المذكورة أيلة وهى على طريق الحاج الدامب إلى مكة من مصر ، وحكى ابن التين عن الزهرى أنها طبرية .
قوله (إذ يعلنون في السبت : يتعلون ، يتجاوزون) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ إِذْ يَعْلُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ : أى يتعلون فيه عما أمروا به ويتجاوزون .

قوله (شرعاً : شوارع - إلى قوله - كونوا قردة خاسئين) هو قول أبي عبيدة أيضاً .
قوله (بئيس) شديد ، قال أبو عبيدة في قوله تعالى (فأخذناهم بعذاب بئيس) : أى شديد وزناً
ومعنى ، قال الشاعر :

حنقاً على وما ترى لي فيهم أمراً بئساً

وهذا على إحدى القراءتين ، والأخرى بوزن حنر ، وقرئ شاذاً بوزن هين وهين مذكرين .

(تنبيه) : لم يذكر المصنف في هذه القصة حديثاً مسنداً ، وقد روى عبد الرزاق من حديث ابن عباس بسند فيه مبهم ، وحكاه مالك عن يزيد بن رومان معضلاً ، وكذا قال قتادة : إن أصحاب السبت كانوا من أهل أيلة وأنهم لما تحيلوا على صيد السمك بأن نصبوا الشباك يوم السبت ثم صادوها يوم الأحد فأنكر عليهم قوم ونهوههم فأغلظوا لهم ، فقالت طائفة أخرى دعوهم واعتزلوا بنا عنهم ، فأصبحوا يوماً فلم يروا الذين اعتدوا فتحوا أبوابهم فأمرؤا رجلاً أن يصعد على سلم فأشرف عليهم فرآهم قد صاروا قردة ، فدخلوا عليهم فجعلوا يلودون بهم ، فيقول الذين نهوههم : ألم نقل لكم ، ألم نهكم ؟ فيشيرون برعوسهم . وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس « أنهم لم يعيشوا إلا قليلاً وهلكوا » ، وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس « صار شبابهم قردة وشيوخهم خنازير » .

ب قول الله عز وجل : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾

﴿ الزُّبُرُ ﴾ : الكتبُ واحداً زبورٌ . زبرتُ : كتبتُ . ﴿ أَوْبِي مَعَهُ ﴾ : سبَّحِي مَعَهُ . ﴿ أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾ : الدروعُ . ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ : المسامير والحلق ، لا تدق المسمار فيتسلسل ، ولا تعظم فيفصم .

٣٣٠٤ - نا عبد الله بن محمد قال نا عبد الرزاق قال أنا معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنُ ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِهِ ، فَتُسْرَجُ ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ » ، رواه موسى بن عقبة عن صفوان عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه . [٣٤١٧]

٣٣٠٥ - نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب أخبره وأبا سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عمرو قال : أخبر رسول الله صلى الله عليه أنني أقول : وَاللَّهِ لَا صَوْمَ نَّ النَّهَارَ وَلَا قَوْمَ نَّ اللَّيْلِ مَا عَشْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ : وَاللَّهِ لَا صَوْمَ نَّ النَّهَارَ وَلَا قَوْمَ نَّ اللَّيْلِ مَا عَشْتُ ؟ » قُلْتُ : قَدْ قُلْتُهُ . قَالَ : « إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ ، وَقُمْ وَنَمْ ، وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا ، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ » . فَقُلْتُ : إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ » . [٣٤١٨]

فقلت: إني أطيع أفضل من ذلك. قال: «فصم يوماً وأفطر يوماً، وذلك صيام داود وهو أعدل الصيام»، قلت: إني أطيع أفضل منه يا رسول الله، قال: «لا أفضل من ذلك».

٣٣٠٦ - نا خلاد بن يحيى قال نا مسعر قال نا حبيب بن أبي ثابت عن أبي العباس عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي النبي صلى الله عليه: «ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم؟» فقلت: نعم، قال: «فإنك إذا فعلت ذلك هجمت العين، ونفست النفس، صم من كل شهر ثلاثة أيام، وذلك صوم الدهر، أو كصوم الدهر». قلت: إني أجدني - قال: مسعر: يعني قوة - قال: فصم صوم داود، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى.

قوله (باب قول الله تعالى: وآتينا داود زبوراً) هو داود بن إيشا بكسر الهمز وسكون التحتانية بعدها معجمة ابن عوبد بوزن جعفر بمهمله وموحدة ابن باعر بموحدة ومهمله مفتوحة ابن سلمون بن يارب بتحتانية وآخره موحدة ابن رام بن حضرون بمهمله ثم معجمة ابن فارص بفاء وآخره مهمله ابن يهوذا بن يعقوب.

قوله (الزبر الكتب واحدها زبور، زبرت: كتبت) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿في زبر الأولين﴾ أي كتب الأولين واحدها زبور، وقال الكسائي: زبور بمعنى مزبور، تقول زبرته فهو مزبور مثل كتبته فهو مكتوب، وقرئ بضم أوله وهو جمع زبر. قلت: الضم قراءة حمزة.

قوله (أوبى معه قال مجاهد: سبى معه) وصله الفريابي من طريق مجاهد مثله، وعن الضحاك هو بلسان الحبشة، وقال قتادة: معنى أوبى سبى.

قوله (أن أعمل سابغات الدروع) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿أن أعمل سابغات﴾ أي دروعاً واسعة طويلة.

قوله (وقلر في السرد: المسامير والحلق، ولا تترق المسامير فيسلس، ولا تعظم فينقصم) كذا في رواية الكشميني، ولغيره «لا تدق»، بالدال بدل الراء، وعندهم «فيتسلسل» وفي آخره «فينقصم» بغير نون، ووافقه الأصيلي في قوله «فيسلس» وهو بفتح اللام ومعناها فيخرج من الثقب برفق أو يصير متحركاً فيلين عند الخروج. وأما الرواية الأخرى «فيتسلسل» أي يصير كالسلسلة في اللين، والأول أوجه، والقسم بالفاء القطع من غير ابانة. وهذا التفسير وصله الفريابي من طريق مجاهد في قوله ﴿وقلر في السرد﴾ أي قلر المسامير والحلق، وروى إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» من طريق مجاهد في قوله ﴿وقلر في السرد﴾ لا تترق المسامير فيسلس، ولا تغلظه فينقصمها. وقال أبو عبيدة: يقال درع مسردة أي مستديرة الحلق، قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاها — داود أو صنع السوابغ تبمع
وهو مثل مسمار السفينة.

قوله (أفرغ أنزل) لم أعرف المراد من هذه الكلمة هنا ، وأستقرت قصة داود في المواضع التي ذكرت فيها فلم أجدها ، وهذه الكلمة والتي بعدها في رواية الكشميني وحده .

قوله (بسطه : زيادة وفضلا) قال أبو عبيدة في قوله (وزاده بسطة في العلم والجسم) أي زيادة وفضلا وكثرة ، وهذه الكلمة في قصة طالوت وكأنه ذكرها لما كان آخرها متعلقاً بـ «داود فلمح بشيء» من قصة طالوت ، وقد قصها الله في القرآن . ثم ذكر ثلاثة أحاديث : الأول حديث همام عن أبي هريرة «خفف على داود القرآن» وفي رواية الكشميني «القراءة» قيل المراد بالقرآن القراءة ، والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعه فقد قرأته ، وقيل المراد الزبور وقيل التوراة ، وقراءة كل نبي تطلق على كتابه الذي أوحى إليه ، وإنما سماه قرآناً للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن أشار إليه صاحب «المصابيح» والأول أقرب ، وإنما ترددوا بين الزبور والتوراة لأن الزبور كله مواعظ ، وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة . قال قتادة : كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ، ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ، بل كان اعتماده على التوراة ، أخرجه ابن أبي حاتم وغيره . وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير . قال النووي : أكثر ما بلغنا من ذلك من كان يقرأ أربع ختمات بالليل وأربعاً بالنهار ، وقد بالغ بعض الصوفية في ذلك فأدعى شيئاً مفرطاً ، والعلم عند الله .

قوله (بلوابه) في رواية موسى بن عقبة الآتية «بدابته» بالإفراد ، وكذا هو في تفسير ، ويحمل الإفراد على الجنس ، أو المراد بها ما يختص بركوبه . وبالجمع ما يضاف إليها مما يركبه أتباعه .

قوله (فيقرأ القرآن قبل أن تسرج) في رواية موسى «فلا تسرج حتى يقرأ القرآن» .

قوله (ولا يأكل إلا من عمل يده) تقدم شرحه في أوائل البيوع وأن فيه دليلاً على أنه أفضل المكاسب . وقد استدل به على مشروعية الإجارة من جهة أن عمل اليد أعم من أن يكون للغير أو للنفس ، والذي يظهر أن الذي كان يعمل داود بيده هو نسج الدروع ، وألان الله له الحديد ، فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك ، قال الله تعالى ﴿وشددنا ملكه﴾ ، وفي حديث الباب أيضاً ما يدل على ذلك ، وأنه مع سمته بحيث أنه كان له دواب تسرج إذا أراد أن يركب ويتولى خدمتها غيره ومع ذلك كان يتورع ولا يأكل إلا مما يعمل بيده .

قوله (رواه موسى بن عقبة عن صفوان بن سليم الخ) وصله المصنف في كتاب خلق أفعال العباد عن أحمد بن أبي عمرو عن أبيه - وهو حفص بن عبد الله - عن إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة . الحديث الثاني والثالث حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل وصيام النهار أورده من طريقين ، وقد تقدم في صلاة الليل ، والغرض منه قوله «صيام داود»

٣٣٠٧ - ناقتيبة بن سعيد قال نا سفيان عن عمرو بن عمرو بن أوس الثقفي سمع عبد الله ابن عمرو قال لي رسول الله صلى الله عليه : «أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً . وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» .

قوله (باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود الخ) يشير إلى الحديث المذكور قبله .

قوله (قال علي : هو قول عائشة ما ألفاه السحر عندي إلا نائمًا) هكذا وقع في رواية المستمل والكشيميني ، وأما غيرها فذكر الطريق الثالثة مضمومة إلى ما قبله دون الباب ودون قول علي ، ولم أره منسوبًا ، وأظنه على بن المديني شيخ البخاري ، وأراد بذلك بيان المراد بقوله « وبنام سلسه » أي السلس الأخير ، وكأنه قال : يوافق ذلك حديث عائشة « ما ألفاه » بالفاء أي وجده والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم والسحر الفاعل ، أي لم يجئ السحر والنبي صلى الله عليه وسلم عندي إلا وجده نائمًا ، كما تقدم بيان ذلك في قيام الليل .

باب ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إلى قوله : ﴿الْخَطَابُ﴾

قال مجاهد : الفهم في القضاء . ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ إلى : ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ : لا تسرف . ﴿وَاهْدُنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٢) ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ (١) - يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ : نَعْجَةٌ ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا شَاةٌ - ﴿وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾ - مثل : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (٢) : ضمها - ﴿وَعَزَّنِي﴾ : غلبني ، صار أعز مني ، أعزته : جعلته عزيزًا ﴿فِي الْخَطَابِ﴾ : يقال : المحاورة . ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾ الشركاء : ﴿فَتَنَاهُ﴾ قال ابن عباس : اختبرناه . وقرأ عمر : ﴿فَتَنَاهُ﴾ بتشديد التاء .

٣٣٠٨ - نا محمد قال نا سهل بن يوسف قال سمعت العوام عن مجاهد قال : قلت لابن عباس أسجد في ص ؟ فقراً : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾ حتى أتى ﴿فَبَهْدَاهُمُ اقْتَدَهُ﴾ فقال ابن عباس : نبيكم ممن أمر أن يقتدي بهم .

[الحديث ٣٤٢١ - أطرافه في : ٤٦٣٢ ، ٤٨٠٦ ، ٤٨٠٧ .]

٣٣٠٩ - نا موسى بن إسماعيل قال نا وهيب قال نا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : ليس ص من عزائم السجود ، ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها .

(١) قوله : (يقال للمرأة : نعجة ، ويقال لها أيضاً : شاة) : المعروف أن العرب لا يطلقون كلمة نعجة أو شاة على المرأة إلا على إرادة نعجة الفلا ، وهي بقر الوحش ؛ لجمال جيدها وعينيها ، وهي لا ترعى تحت كفالة راع ، والبخاري رحمه الله استقى هذا الإطلاق عن أبي عبيدة معمر بن المثنى كما ذكر الحافظ رحمه الله ، والمعروف عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه كان يتأول بعض ألفاظ القرآن على أن ذلك من مجاز القرآن ، وقد أنكر عليه كثير من الأئمة في هذا السبيل ، وهو ليس من الثقات في نقل الأخبار ، وإطلاق الأعشى لفظ الشاة على المرأة إنما أراد بالشاة البقرة الوحشية تشبيهاً لها بها ، وقد قال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ لما ذكر أبا عبيدة معمر بن المثنى : وليس هو بصاحب حديث بل سبق قلبي بكتابته . ، انظر للاستزادة تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي . عبد القادر شيبه الحمد

(٢) ﴿كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ : قرأ الحرميان والبصري والشامي : ﴿كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ، وشعبة : ﴿كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ، وحفص والأخوان : ﴿كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ .

قوله (باب واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب - إلى قوله - وفصل الخطاب) الأيد القرية ، وكان داود موصوفاً بفرط الشجاعة ، والأواب يأتي تفسيره قريباً .

قوله (قال مجاهد : الفهم في القضاء) أي المراد بفصل الخطاب ، وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي بشر عن مجاهد قال : الحكمة الصواب . ومن طريق ليث عن مجاهد : فصل الخطاب اصابة القضاء وفهمه ومن طريق ابن جريج عن مجاهد قال : فصل الخطاب العدل في الحكم وما قال من شيء أنفذه . وقال الشعبي فصل الخطاب قوله أما بعد ، وفي ذلك حديث مسند من طريق بلال بن أبي بردة عن أبيه عن جده قال « أول من قال أما بعد داود النبي صلى الله عليه وسلم وهو فصل الخطاب ، أخرجه ابن أبي حاتم ، وذكر عن ابن جرير بإسناد صحيح عن الشعبي مثله ، وروى ابن أبي حاتم من طريق شريح قال « فصل الخطاب الشهود والأيمان » ومن طريق أبي عبد الرحمن السلمي نحوه .

قوله (ولا تشطط : لا تسرف) كذا وقع هنا ، وقال الفراء : معناه لا تجر ، وروى ابن جرير من طريق قتادة في قوله ولا تشطط أي لا تمل ، ومن طريق السدي قال لا تخف .
قوله (يقال للمرأة نعجة ويقال لها أيضاً شاة) قال أبو عبيدة في قوله (ولى نعجة واحدة) أي امرأة قال الأعشى :

فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالهـا

قوله (فقال أكفلنيها ، مثل وكفلها زكريا ضمها) قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ أكفلنيها وعزني في الخطاب ﴾ هو كقوله ﴿ وكفلها زكريا ﴾ أي ضمها إليه ، وتقول كفلت بالنفس أو بالمال ضمته .
قوله (وعزني غلبي) صار أعز مني ، أعزته جعلته عزيزاً ، في الخطاب يقال المحاورة قال أبو عبيدة في قوله ﴿ وعزني في الخطاب ﴾ : أي صار أعز مني فيه . وروى الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال : إن دعا ودعوت كان أكثر مني ، وإن بطشت وبطش كان أشد مني . ومن طريق قتادة قال : معناه قهرني وظلمني . وأما قوله « يقال المحاورة » فمراده تفسير الخطاب بالمحاورة ، وهي بالحاء المهمة أي المراجعة بين الخصمين ، وهذا تفسير قوله تعالى ﴿ وعزني في الخطاب ﴾ .
قوله (الخطاء الشر كاء) حكاه ابن جرير أيضاً .

قوله (فتناه قال ابن عباس : أختبرناه ، وقرأ عمر فتناه بتشديد التاء) أما قول ابن عباس فوصله ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه ، وأما قراءة عمر فذكورة في الشواذ ولم يذكرها أبو عبيدة في القراءات المشهورة ، ونقل التشديد أيضاً عن أبي رجاء العطاردي والحسن البصري . ثم ذكر حديث ابن عباس في السجود في ص أورده من وجهين ، ومحمد شيخه في الطريق الأولى هو ابن سلام ، والعوام هو ابن حوشب بمهمله ثم معجمة .

قوله (أنسجد) بنون ، وللكشميين والمستملى أئجد ، وصيأتي شرح الحديث في التفسير إن شاء الله

تعالى .

ب

قوله عز وجل: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: الراجع المنيب، وقوله: ﴿هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾، وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾، وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوًّا شَهْرًا وَرَوَّاحًا شَهْرًا وَأَسَلْنَا﴾: أذبنا ﴿لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾: الحديد ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٢) يعملون له ما يشاء من محاريب، قال مجاهد: ببيان ما دون القصور ﴿وَتَمَائِيلَ وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ﴾: كحياض الإبل، وقال ابن عباس: كالجوبة من الأرض ﴿وَقُدُورَ رَأْسِيَّاتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، ﴿إِلَّا دَابَّةَ الْأَرْضِ﴾: الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾: عصاه ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: إلى: ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، ﴿حُبِّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾: من ذكر ربي ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾: يمسح أعراف الخيل وعراقيبها. ﴿الْأَصْفَادِ﴾: الوثاق. وقال مجاهد: ﴿الصَّافِنَاتُ﴾: صفن الفرس: رفع إحدى رجله حتى يكون على طرف الحافر. ﴿الْجِيَادُ﴾: السراع. ﴿جَسَدًا﴾: شيطاناً (١). ﴿رُخَاءً﴾: طيبة. ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيث شاء. ﴿فَإَمْنٌ﴾: أعط. ﴿بَغِيرِ حِسَابٍ﴾: بغير حرج.

(١) تفسير ما ألقى على كرسي سليمان عليه السلام بأنه شيطان من تفسير المفردات بما اشتهر على الألسنة بسبب ما يعرف عن خاتم سليمان وأنه كان مصدر حكمه وسلطانه، وقد أشار الحافظ ابن حجر هنا إلى بعض هذه الروايات وأن الشيطان اختطف خاتم سليمان وجلس على كرسي ملكه وحكم بني إسرائيل، والعجيب أن هذا الإفك تسرب إلى بعض أكابر أهل العلم فصدقوه حتى تجد أكثر كتب التفسير في قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ يقولون شيطاناً، وانتشر على ألسنة العامة والخاصة ذكر خاتم سليمان وخواصه مع أن الله تبارك وتعالى نبه في سورة البقرة إلى كذب اليهود على سليمان اتباعاً للشياطين في هذا الباب حيث يقول عز وجل: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآية، مع أن رسول الله ﷺ فسّر فتنة سليمان وإلقاء الجسد على كرسيه بأنه: حلف ليطوفن على مائة من نسائه فتحمل كل واحدة منهن بفارس يحمل السلاح ويجاهد في سبيل الله ونسي أن يقول: إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشق ولد فأخذ وألقى على كرسيه فاعتذر إلى الله عز وجل فقبل الله معذرتة، وأنه ما طلب الولد تكثراً وافتخاراً وإنما ليقاتلوا في سبيل الله فقبل الله منه وأبدله: ﴿الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ [ص: ٣٦-٣٨]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله ونسي أن يقول: إن شاء الله، فأطاف بهن فلم تلد منهن امرأة إلا واحدة نصف إنسان» فقال رسول الله ﷺ: «لو قال: إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته». وفي لفظ للبخاري: «فلم تحمل شيئاً إلا واحدة ساقطاً أحد شقيه»، فقال النبي ﷺ: «لو قالها لجاهدوا في سبيل الله»، فأعجب كيف ترك بعض العلماء هذا التفسير الثابت عن رسول الله ﷺ لفتنة سليمان وأتوا بأكاذيب اليهود والشياطين. قال ابن كثير في قصص الأنبياء من البداية والنهاية: وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ها هنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات وفي كثير منها نكارة شديدة، وقد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير واقتصرنا ها هنا على مجرد التلاوة. ١. هـ.

٣٣١٠ - نا محمد بن بشار قال نا محمد بن جعفر قال نا شعبة عن محمد بن زياد عن [٣٤٢٣]

أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه : « إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع عليّ صلاتي ، فأمكنني الله منه ، فأخذته ، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخي سليمان : ربّ ﴿ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ فرددته خاسئاً . عفريت : متمرّد من إنس أو جن ، مثل : زبينة : جماعته زبانية .

٣٣١١ - نا خالد بن مخلد قال نا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن [٣٤٢٤]

أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على تسعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله . فقال له صاحبه : إن شاء الله . فلم يقل ، فلم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه . فقال النبي صلى الله عليه : « لو قالها لجاهدوا في سبيل الله . قال شعيب وابن أبي الزناد : تسعين ، وهو أصح .

٣٣١٢ - نا عمر بن حفص قال نا أبي قال نا الأعمش قال نا إبراهيم التيمي عن أبيه عن [٣٤٢٥]

أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله ، أي مسجد وضع أولاً ؟ قال : « المسجد الحرام » . قلت : ثم أي ؟ قال : « ثم المسجد الأقصى » . قلت : كم كان بينهما ؟ قال : « أربعون » . ثم : « حيثما أدركتك الصلاة فصل والأرض لك مسجد » .

٣٣١٣ - نا أبو اليمان قال أنا شعيب قال نا أبو الزناد عن عبد الرحمن حدثه أنه سمع أبا هريرة [٣٤٢٦]

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه يقول : « مثلي ومثل الناس كمثلي رجل استوقد ناراً . فجعل الفراش^(١) وهذه الدواب تقع في النار » . وقال : « كانت امرأتان معهما ابناهما ، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت صاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك . فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاها فقال : إيتوني بالسكين أشقه بينهما . فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله ، هو ابنها ، فقضى به للصغرى » . قال أبو هريرة : والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذ ، وما كنا نقول إلا المديّة . [الحديث ٣٤٢٧ - طرفه في : ٦٧٦٩] .

قوله (قول الله تعالى ووهبنا لداود سليمان) في رواية غير أبي ذر « باب قول الله » .

قوله (نعم العبد أنه أواب الراجع المنيب) هو تفسير الأواب . وقد أخرج ابن جريج من طريق مجاهد قال : الأواب الرجاء عن الذنوب . ومن طريق قتادة قال : المطيع ، ومن طريق السدي قال : هو المسبح .

قوله (من محارب قال مجاهد : بنيان ما دون القصور) وصله عبد بن حميد عنه كذلك « وقال أبو عبيدة المحارب جمع محراب وهو مقدم كل بيت ، وهو أيضاً المسجد والمصلى .

(١) الرقمان ٣٤٢٦ و ٣٤٢٧ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين .

قوله (وجفان كالجواب كالحياض للإبل ، وقال ابن عباس كالجوبة من الأرض) أما قول مجاهد فوصله عبد بن حميد عنه ، وأما قول ابن عباس فوصله ابن أبي حاتم عنه ، وقال أبو عبيدة : الجوابى جمع جابية ، وهو الحوض الذى يجي فيه الماء .

قوله (دابة الأرض) الأرضة .

قوله (منسأته : عصاه) هو قول ابن عباس وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه ، قال أبو عبيدة : المنسأة : العصا . ثم ذكر تصريحها وهي مفعلة من نسأت إذا زجرت الإبل أى ضربتها بالمنسأة .

قوله (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ، يمسح أعراف الخيل وعراقيبها) هو قول ابن عباس أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عنه وزاد في آخره « حباً لها » ، وروى من طريق الحسن قال : كشف عراقيبها وضرب أعناقها وقال : لا تشغلى عن عبادة ربى مرة أخرى . قال أبو عبيدة : ومنه قوله مسح علاوته إذا ضرب عنقه . قال ابن جرير : وقول ابن عباس أقرب إلى الصواب .

قوله (الأصفاد الوثاق) روى ابن جرير من طريق السدى قال : مقرنين فى الأصفاد : أى يجمع اليدين إلى العنق بالأغلال . وقال أبو عبيدة : الأصفاد الأغلال واحداً صفد ، ويقال للغطاء أيضاً صفد .

قوله (قال مجاهد : الصافنات ، صفن الفرس رفع إحدى رجله حتى يكون على طرف الحافر) وصله الفريابى من طريقه قال : صفن الفرس الخ ، لكن قال « يديه » ووقع فى أصل البخارى « رجله » وصوب عياض ما عند الفريابى . وقال أبو عبيدة : الصافن الذى يجمع بين يديه ويثنى مقدم حافر إحدى رجله .

قوله (الجياد السراع) وصله الفريابى من طريق مجاهد أيضاً . روى ابن جرير من طريق إبراهيم التيمي أنها كانت عشرين فرساً ذوات أجنحة .

قوله (جسداً شيطاناً) قال الفريابى : حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ﴾ قال : شيطاناً يقال له آصف ، قال له سليمان كيف تفتن الناس ؟ قال أرنى خاتمك أخبرك ، فأعطاه ، فنبذه آصف فى البحر فساخ ، فذهب ملك سليمان وقعد آصف على كرسيه ، ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن ، فأنكرته أم سليمان ، وكان سليمان يستطعم ويعرفهم بنفسه فيكذبونه حتى أعطته امرأة حوتاً فطيب بطنه فوجد خاتمه فى بطنه فرد الله إليه ملكه ، وفر آصف فدخل البحر . وروى ابن جرير من وجه آخر عن مجاهد أن اسمه آصر آخره راء ، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن اسم الجنى صخر ومن طريق السدى كذلك وأخرج القصة من طريقة مطولة ، والمشهور أن آصف اسم الرجل الذى كان عنده علم من الكتاب والله أعلم .

قوله (رخاء طيبة) فى رواية الكشميهي « طيباً » رواه الفريابى من الوجه المذكور فى قوله « رخاء » قال طيبة .

قوله (حيث أصاب حيث شاء) وصله الفريابي كذلك .

قوله (فامنن أعط ، بغير حساب بغير حرج) وصله الفريابي من طريق مجاهد كذلك ، وقال أبو عبيدة في قوله (بغير حساب) أى بغير ثواب ولا جزاء ، أو بغير منة ولا قلة . ثم أورد المصنف أربعة أحاديث : أولها حديث أبي هريرة في تفلت العفريت على النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله (تفلت على) بتشديد اللام أى تعرض لى فلتة أى بغتة .

قوله (البارحة) أى الليلة الخالية الزائلة ، والبارح : الزائل ويقال من بعد الزوال إلى آخر النهار البارحة .

قوله (فذكرت دعوة أخى سليمان) أى قوله (وهب لى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى) وفى هذه إشارة إلى أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام ، ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن فى جميع ما يريد لا فى هذا القدر فقط ، واستدل الخطابي بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن فى أشكالهم وهيئتهم حال تصرفهم ، قال : وأما قوله تعالى (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بنى آدم ، وتعقب بأن نرى رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية بل ظاهرها أنه ممكن ، فإن نرى رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا ولا يبنى إمكان رؤيتنا لهم فى غير تلك الحالة ، ويحتمل العموم . وهذا الذى فهمه أكثر العلماء حتى قال الشافعى : من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته ، واستدل بهذه الآية . والله أعلم .

قوله (عفريت متمرد من إنس أو جان مثل زبانية جماعته زبانية) الزبانية فى الأصل اسم أصحاب الشرطة ، مشتق من الزبن وهو الدفع ، وأطلق على الملائكة ، ذلك لأنهم يدفعون الكفار فى النار ، ووحد الزبانية زبانية وقيل زبنى وقيل زابن وقيل زباني وقال قوم لا واحد له من لفظه وقيل واحده زبنيت وزن عفريت ، ويقال عفرية لغة مستقلة ليست مأخوذة من عفريت ، ومراد المصنف بقوله « مثل زبانية » أى أنه قيل فى عفريت عفرية ، وهى قراءة رويت فى الشواذ عن أبي بكر الصديق ، وعن أبي رجاء العطاردى وأبى السمال بالمهملة واللام ، وقال ذو الرمة :

كانه كوكب فى أثر عفريسة مصوب فى ظلام الليل منتصب

وقد تقدم كثير من بيان أحوال الجن فى « باب صفة إبليس وجنوده » من بدء الخلق . قال ابن عبد البر الجن على مراتب ، فالأصل جنى ، فإن خالط الإنس قيل عامر ، ومن تعرض منهم للصبيان قيل أرواح ، ومن زاد فى الحبث قيل شيطان ، فإن زاد على ذلك قيل مارد ، فإن زاد على ذلك قيل عفريت . وقال الراغب العفريت من الجن هو العارم الحبث ، وإذا بولغ فيه قيل عفريت نفريت . وقال ابن قتيبة : العفريت الموثق الخلق ، وأصله من العفر وهو التراب ، ورجل عفر بكسر أوله وثانيه وتثقيب ثالثة إذا بولغ فيه قيل عفريت بكسر أوله وثانيه وتثقيب ثالثة إذا بولغ فيه أيضاً .

قوله (حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن) هو الحزامى وليس بالخزومى ، واسم جد الحزامى عبد الله بن

خالد بن حزام ، واسم جد المخزومي الحارث بن عبد الله .

قوله (قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة) في رواية الحمويّ والمستمل « لأطيفن ، وهما لغتان . طاف بالشيء وأطاف به إذا دار حوله وتكرر عليه ، وهو هنا كناية عن الجماع ، واللام جواب القسم وهو محنوف ، أي والله لأطوفن ، ويؤيده قوله في آخره « لم يحنث ، لأن الحنث لا يكون إلا عن قسم ، والقسم لا بد له من مقسم به .

قوله (على سبعين امرأة) كذا هنا من رواية مغيرة ، وفي رواية شعيب كما سيأتي في الإيمان والنور « فقال تسعين » وقد ذكر المصنف ذلك عقب هذا الحديث ورجح تسعين بتقديم المثناة على سبعين وذكر أن ابن أبي الزناد رواه كذلك . قلت : وقد رواه سفيان بن عيينة عن أبي الزناد فقال « سبعين » وسيأتي في كفارة الإيمان من طريقه . ولكن رواه مسلم عن ابن أبي عمر عن سفيان فقال « سبعين » بتقديم السين ، وكذا هو في « مسند الحميدي » عن سفيان ، وكذا أخرجه مسلم من رواية ورقاء عن أبي الزناد ، وأخرجه الإسماعيلي والنسائي وابن حبان من طريق هشام بن عروة عن أبي الزناد قال « مائة امرأة » وكذا قال طاوس عن أبي هريرة كما سيأتي في الإيمان والنور ، من رواية معمر ، وكذا قال أحمد عن عبد الرزاق من رواية هشام بن حجر عن طاوس « تسعين » وسيأتي في كفارة الإيمان ، ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق فقال « سبعين » وسيأتي في التوحيد من رواية أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة « كان لسليمان سون امرأة » ورواه أحمد وأبو عوانة من طريق هشام عن ابن سيرين فقال « مائة امرأة » وكذا قال عمران بن خالد عن ابن سيرين عند ابن مردويه ، وتقدم في الجهاد من طريق جعفر بن ربيعة عن الأعرج فقال « مائة امرأة أو تسع وتسعون » على الشك ، فحصل الروايات ستون وسبعون وتسعون وتسع وتسعون ومائة ، والجمع بينها أن الستين كن حرائر وما زاد عاين كن سراري أو بالعكس ، وأما السبعون فله بالغة ، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين فن قال تسعون ألغى الكسر ومن قال مائة جبره ومن ثم وقع التردد في رواية جعفر ، وأما قول بعض الشراح : ليس في ذكر القليل نفي الكثير وهو من مفهوم العدد وليس بحجة عند الجمهور فليس بكاف في هذا المقام ، وذلك أن مفهوم العدد معتبر عند كثيرين والله أعلم . وقد حكى وهب بن منبه في « المبتدا » أنه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة مهيبة وسبعمائة سرية ، ونحوه مما أخرج الحاكم في « المستدرک » من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب قال : بلغنا أنه كان لسليمان ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية .

قوله (تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله) هذا قاله على سبيل التمني للخير ، وإنما جزم به لأنه غلب عليه الرجاء ، لكونه قصد به الخير وأمر الآخرة لا لغرض الدنيا . قال بعض السلف : نبه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على آفة التمني والإعراض عن التفويض ، قال : ولذلك نسي الاستثناء ليمضي فيه القدر .

قوله (فقال له صاحبه : إن شاء الله) في رواية معمر عن طاوس الآتية « فقال له الملك » وفي رواية هشام بن حجر « فقال له صاحبه » ، قال سفيان يعني الملك « وفي هذا إشعار بأن تفسير صاحبه بالملك ليس بمرفوع ، لكن في مسند الحميدي ، عن سفيان « فقال له صاحبه أو الملك » بالشك ، ومثلها لمسلم ، وفي

الجملة ففيه رد على من فسر صاحبه بأنه الذي عنده علم من الكتاب ، وهو آصف بالمد وكسر المهملة بعدها فاء ابن برخيا بفتح الموحدة وسكون الراء وكسر الراء وكسر المعجمة بعدها تحتانية . وقال القرطبي في قوله « فقال له صاحبه أو الملك » إن كان صاحبه فيعني به وزيره من الأنس والجن ، وإن كان الملك فهو الذي كان يأتيه بالوحي ، وقال : وقد أبعد من قال المراد به خاطره . وقال النروي : قيل المراد بصاحبه الملك ، وهو الظاهر من لفظه ، وقيل القرين ، وقيل صاحب له آدمي . قلت : ليس بين قوله صاحبه والملك منافاة ، إلا أن لفظة « صاحبه » أعم ، فمن نشأ لهم الاحتمال ، ولكن الشك لا يؤثر في الجزم ، فمن جزم بأنه الملك حجة على من لم يجزم .

قوله (فلم يقل) قال عياض : بين في الطريق الأخرى بقوله « فَنَسِيَ » . قلت : هي رواية ابن عيينة عن شيخه ، وفي رواية معمر قال « ونسى أن يقول إن شاء الله » ومعنى قوله « فلم يقل » أي بلسانه لا أنه أبي أن يفوض إلى الله بل كان ذلك ثابتاً في قلبه ، لكنه اكتفى بذلك أولاً ونسى أن يجريه على لسانه لما قيل له لشيء عرض له .

قوله (فطاف بهن) في رواية ابن عيينة « فطاف بهن » وقد تقدم توجيهه .

قوله (إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه) في رواية شعيب « فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل » وفي رواية أيوب عن ابن سيرين « ولدت شق غلام » وفي رواية هشام عنه « نصف إنسان » وهي رواية معمر ، حكى النقاش في تفسيره أن الشق المذكور هو الجسد الذي ألقى على كرسبه ، وقد تقدم قول غير واحد من المفسرين أن المراد بالجسد المذكور شيطان وهو المعتمد ، والنقاش صاحب منكير .

قوله (لو قالوا لجاهدوا في سبيل الله) في رواية شعيب « لو قال إن شاء الله » وزاد في آخره « فرساناً أجمعون » وفي رواية ابن سيرين « لو استثنى لحملت كل امرأة منهن فولدت فارساً يقاتل في سبيل الله » وفي رواية طاوس « لو قال إن شاء الله لم يحث وكان دركاً لحاجته » كذا عند المصنف من رواية هشام بن حجير وعند أحمد ومسلم مثله من رواية معمر ، وعند المصنف من طريق معمر « وكان أرجى لحاجته » وقوله « دركاً » بفتحين من الإدراك وهو كقوله تعالى ﴿ لا تخاف دركاً ﴾ أي لحاقاً ، والمراد أنه كان يحصل له ما طلب ولا يلزم من إخباره صلى الله عليه وسلم بذلك في حق سليمان في هذه القصة أن يقع ذلك لكل من استثنى في أمنيته ، بل في الاستثناء رجوع الوقوع وفي ترك الاستثناء خشية عدم الوقوع وبهذا يجاب عن قول موسى للحضر ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ مع قول الحضر له آخراً ﴿ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً ﴾ وفي الحديث فضل فعل الخير وتعاطى أسبابه ، وأن كثيراً من المباح والملاذ يصير مستحباً بالنية والقصد . وفيه استحباب الاستثناء لمن قال سأفعل كذا ، وأن اتباع المشيئة اليمين يرفع حكمها ، وهو متفق عليه بشرط الاتصال ، وسيأتي بيان ذلك في الإيمان والنذور مع بسط فيه . وقد استدلل بهذا الحديث من قال : الاستثناء إذا عقب اليمين ولو تخلل بينهما شيء يسير لا يضر ، فإن الحديث دل على أن سليمان لو قال إن شاء الله عقب قول الملك له قل إن شاء الله لأفاد مع التخلل بين كلاميه بمقدار كلام الملك ، وأجاب القرطبي باحتمال أن يكون الملك قال ذلك في أثناء كلام سليمان ، وهو احتمال ممكن يسقط به الاستدلال المذكور . وفيه أن

الاستثناء لا يكون إلا باللفظ ولا يكفى فيه النية . وهو اتفاق إلا ما حكى عن بعض المالكية . وفيه ما خص به الأنبياء من القوة على الجماع الدال ذلك على صحة البنية وقوة الفحولية وكمال الرجولية مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم . وقد وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك أبلغ المعجزة لأنه مع اشتغاله بعبادة ربه وعلومه ومعالجة الخلق كان متقللاً من المآكل والمشارب المقتضية لضعف البدن على كثرة الجماع ، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في ليلة بغسل واحد وهن إحدى عشرة امرأة ، وقد تقدم في كتاب الغسل ، ويقال إن كل من كان أتى لله فشوته أشد لأن الذى لا يتقى يتفرج بالنظر ونحوه . وفيه جواز الإخبار عن الشيء ووقوعه في المستقبل بناء على غلبة الظن فإن سليمان عليه السلام جزم بما قال ولم يكن ذلك عن وحى وإلا لوقع ، كذا قيل . وقال القرطبي : لا يظن بسليمان عليه السلام أنه قطع بذلك على ربه إلا من جهل حال الأنبياء وأدبهم مع الله تعالى . وقال ابن الجوزي : فإن قيل من أين لسليمان أن يخلق من مائه هذا العدد في ليلة لا جائز أن يكون بوحي لأنه ما وقع ، ولا جائز أن يكون الأمر في ذلك إليه لأن الإرادة لله . والجواب أنه من جنس التمتي على الله والسؤال له أن يفعل والقسم عليه كقول أنس بن النضر « والله لا يكسر سنّها » ويحتمل أن يكون لما أجاب الله دعوته أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده كان هذا عنده من جملة ذلك فجزم به . وأقرب الاحتمالات ما ذكرته أولاً وبالله التوفيق . قلت : ويحتمل أن يكون أوحى إليه بذلك مقيداً بشرط الاستثناء فنسى الاستثناء فلم يقع ذلك لفقدان الشرط ، ومن ثم ساغ له أولاً أن يحلف . وأبعد من استدلال به على جواز الحلف على غلبة الظن . وفيه جواز السهو على الأنبياء ، وأن ذلك لا يقدر في علو منصبهم ، وفيه جواز الإخبار عن الشيء أنه سيقع ومستند الخبر الظن مع وجود القرينة القوية لذلك . وفيه جواز إضمار المقسم به في اليمين لقوله « لأطوفن » مع قوله عليه السلام « لم يحنث » فدل على أن اسم الله فيه مقدر ، فإن قال أحد بجواز ذلك فالحديث حجة له بناء على أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا ورد تقديره على لسان الشارع ، وإن وقع الاتفاق على عدم الجواز فيحتاج إلى تأويله كأن يقال لعل التلفظ باسم الله وقع في الأصل وإن لم يقع في الحكاية ، وذلك ليس بممتنع ، فإن من قال : والله لأطوفن يصدق أنه قال لأطوفن فإن اللفظ بالمركب لافظ بالمفرد ، وفيه حجة لمن قال : لا يشترط التصريح بمقسم به معين ، فمن قال أحلف أو أشهد ونحو ذلك فهو يمين وهو قول الحنفية ، وقبده المالكية بالنية ، وقال بعض الشافعية ليست بيمين مطلقاً . وفيه جواز استعمال لو ولولا ، وسيأتى الكلام عليه في باب مفرد عقده له المصنف في أواخر الكتاب . وفيه استعمال الكناية في اللفظ الذى يستقبح ذكره لقوله « لأطوفن » بدل قوله لأجامعن . الحديث الثالث ،

قوله (حدثنا إبراهيم التيمي عن أبيه) هو يزيد بن شريك .

قوله (أى مسجد وضع أول) تقدم التنبيه عليه في أثناء قصة إبراهيم عليه السلام . وقوله « أدركتك الصلاة » أى وقت الصلاة ، وفيه إشارة إلى المحافظة على الصلاة في أول وقتها ، ويتضمن ذلك الندب إلى معرفة الأوقات . وفيه إشارة إلى أن المكان الأفضل للعبادة إذا لم يحصل لا يترك المأمور به لفواته بل يفعل المأمور في المفضول لأنه صلى الله عليه وسلم كأنه فهم عن أبي ذر من تخصيصه السؤال عن أول مسجد وضع أنه يريد تخصيص صلاته فيه فنبه على أن إيقاع الصلاة إذا حضرت لا يتوقف على المكان الأفضل . وفيه

فضيلة الأمة المحمدية لما ذكر أن الأمم قبلهم كانوا لا يصلون إلا في مكان مخصوص وقد تقدم التنبيه عليه في كتاب التيمم . وفيه الزيادة على السؤال في الجواب لا سيما إذا كان للسائل في ذلك مزيد فائدة الحديث الرابع . قوله في الإسناد (عن عبد الرحمن) هو الأعرج ، وهو كذلك في نسخة شعيب عن أبي الزناد عند الطبراني .

قوله (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مثل ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فجعل الفراش وهذه اللواب تقع في النار ، وقال كانت امرأتان معها إبناهما) هكذا أورده ، ومراده الحديث الثاني فإنه هو الذي يدخل في ترجمة سليمان ، وكأنه ذكر ما قبله - وهو طرف من حديث طويل - لكونه سمع نسخة شعيب عن أبي الزناد ، وهذا الحديث مقدم على الآخر ، وسمع الإسناد في السابق دون الذي يليه فاحتاج أن يذكر شيئاً من لفظ الحديث الأول لأجل الإسناد ، وقد تقدم في الطهارة للمصنف مثل هذا الصنيع فذكر من هذه النسخة بعينها حديث « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم » وذكر قبله طرفاً من حديث « نحن الآخرون السابقون » ولما ذكر في الجمعة حديث « نحن الآخرون السابقون » لم يضم معه شيئاً ، وذكر في الجهاد حديث « من أطاعني فقد أطاع الله » الحديث فقال قبله « نحن الآخرون السابقون » أيضاً ، وذكر في الديات حديث « لو طلع عليك رجل » وقدم ذلك قبله أيضاً ، لكنه أورد حديث المرأتين في الفرائض ولم يضم معه في أوله شيئاً من الحديث الآخر وكذا في بقية هذه النسخة فلم يطرد للمصنف في ذلك عمل ، وكأنه حيث ضم إليه شيئاً أراد الاحتياط ، وحيث لم يضم نبه على الجواز والله أعلم . وأما مسام فإنه في نسخة همام عن أبي هريرة ينبه على أنه لم يسمع الإسناد في كل حديث منها فإنه يسوق الإسناد إلى أبي هريرة ثم يقول : فذكر أحاديث منها كذا وكذا . وصنيعه في ذلك حسن جداً والله أعلم .

(تنبيه) : لم أر الحديث الأول تاماً في صحيح البخاري ، وقد أورده الحميدي في « الجمع » من طريق شعيب هذه وساق المتن بتمامه وقال : إنه لفظ البخاري وإن مسلماً أخرجه من رواية مغيرة وسفيان عن أبي الزناد به ، ومن طريق همام عن أبي هريرة ، وكذلك أطلق المزني أن البخاري أخرجه في أحاديث الأنبياء ، فإن كان غنى هذا الموضع فليس هو فيه بتمامه ، وإن كان غنى موضعاً آخر فلم أره فيه . ثم وجدته في « باب الانتهاء عن المعاصي » من كتاب الرقاق ، ويأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى .

قوله (مثلي) أي في دعائي الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ومثل ما تزين لهم أنفسهم من التماذي على الباطل (كمثل رجل إلخ) والمراد تمثيل الحملة بالحملة لا تمثيل فرد بفرد .

قوله (استوقد) أي أوقد ، وزيادة السين والتاء للإشارة إلى أنه عالج إيقادها وسعى في تحصيل آلتها . ووقع في حديث جابر عند مسلم « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً » زاد أحمد ومسلم من رواية همام عن أبي هريرة « فلما أضاءت ما حوله » .

قوله (فجعل الفراش) بفتح الفاء والشين المعجمة معروف ويطلق الفراش أيضاً على غوغاء الجراد الذي يكثر ويترام . وقال في « المحكم » الفراش حواب مثل البعوض وأحدثها فراشه ، وقد شبه الله تعالى الناس في المحشر بالفراش الميثوث أي في الكثرة والانتشار والإسراع إلى الداعي .

قوله (وهذه الدواب تقع في النار) قلت : منها البرغش والبعوض ، ووقع في حديث جابر « فجعل الجنابذ والفراش » والجنابذ جمع جنبد وهو على القلب ، والمعروف الجنادب جمع جندب بفتح الدال وضمها والجيم مضمومة وقد تكسر ، وهو على خلقة الجراذة يصير في الليل صراً شديداً ، وقيل : إن ذكر الجراد يسمى أيضاً الجندب .

قوله (تقع في النار) كذا فيه ، وإنما هو في نسخة شعيب كما أخرجه أبو نعيم في « المستخرج » « وهذه الدواب التي تقع في النار تقع فيها » قال النووي : مقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه المخالفين له بالفراش وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفرash في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم ، والجامع بينها اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه . وقال القاضي أبو بكر بن العربي : هذا مثل كثير المعاني ، والمقصود أن الخلق لا يأتون ما يجرهم إلى النار على قصد الملكة ، وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة ، كما أن الفرash يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء . وقد قيل إنها لا تبصر بحال وهو بعيد ، وإنما قيل إنها تكون في ظلمة فإذا رأت الضياء اعتقدت أنها كوة يظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر . وقيل إن ذلك لضعف بصرها فتظن أنها في بيت مظلم وأن السراج مثلاً كوة فترمي بنفسها إليه وهي من شدة طيرانها تجاوزه فتقع في الظلمة فترجع إلى أن تحترق . وقيل إنها تتضرر بشدة النور فتقصده لإطفاءه فلشدة جهلها تورط نفسها فيما لا قدرة لها عليه ، ذكر مغلطاي أنه سمع بعض مشايخ الطب يقوله . وقال الغزالي : « التمثيل وقع على صورة الإكباب على الشهوات من الإنسان بإكباب الفرash على التهافت في النار ، ولكن جهل الآدمي أشد من جهل الفرash » لأنها باغترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال ، والآدمي يبقى في النار مدة طويلة أو أبداً والله المستعان .

قوله (وقال كانت امرأتان) ليس في سياق البخاري تصريح برفعه ، وهو مرفوع عن أبي إيمان عن شعيب في أواخر كتاب الفرائض أورده هناك ، وكذا هو في نسخة شعيب عند الطبراني وغيره ، وفي رواية النسائي من طريق علي بن عياش عن شعيب « حدثني أبو الزناد مما حدثه عبد الرحمن الأعرج مما ذكر أنه سمع أبا هريرة يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا امرأتان » . قلت : ولم أقف على اسم واحدة من هاتين المرأتين ولا على اسم واحد من إثنين في شيء من الطرق .

قوله (فتحاكما) في رواية الكشميني « فتحاكما » وفي نسخة شعيب « فاختصما » .

قوله (فقضى به للكبرى إلخ) قيل كان ذلك على سبيل الفتيا منها لا الحكم ، ولذلك ساغ لسليمان أن ينقضه . وتعقبه القرطبي بأن في لفظ الحديث أنه قضى بأنها تحاكما ، وبأن فتيا النبي وحكمه سواء في وجوب تنفيذ ذلك . وقال الداودي : إنما كان منها على سبيل المشاورة فوضح لدواد صحة رأي سليمان فأمضاه . وقال ابن الجوزي : استويا عند داود في اليد ، فقدم الكبرى للسن . وتعقبه القرطبي وحكى أنه قيل كان من شرع داود أن يحكم للكبرى قال : وهو فاسد لأن الكبرى والصغرى رصف طردى كالطول والقصر والسواد والبياض ولا أثر لشيء من ذلك في الترجيح ، قال : وهذا مما يكاد يقطع بفساده . قال : والذي ينبغي أن يقال إن داود عليه السلام قضى به للكبرى لسبب اقتضى به عنده ترجيح قولها ، إذ لا بينة لواحدة منها ، وكونه لم

يعين في الحديث اختصاراً لا يلزم منه عدم وقوعه ، فيحتمل أن يقال : إن الولد الباقي كان في يد الكبرى وعجزت الأخرى عن إقامة البيئة قال : وهذا تأويل حسن جار على القواعد الشرعية وليس في السياق ما يباه ولا يمنعه ، فإن قيل فكيف ساغ لسليمان نقض حكمه ، فالجواب أنه لم يعتمد إلى نقض الحكم ، وإنما احتال بحيلة لطيفة أظهرت ما في نفس الأمر ، وذلك أنها لما أخبرت سليمان بالقصة فدعا بالسكين ليشقه بينهما ، ولم يعزم على ذلك في الباطن ، وإنما أراد استكشاف الأمر ، فحصل مقصوده لذلك بلزع الصغرى الدال على عظيم الشفقة ، ولم يلتفت إلى إقرارها بقولها هو ابن الكبرى لأنه علم أنها آثرت حياته ، فظهر له من قرينة شفقة الصغرى وعدمها في الكبرى - مع ما انضاف إلى ذلك من القرينة الدالة على صدقها - ما هجم به على الحكم للصغرى . ويحتمل أن يكون سليمان عليه السلام ممن يسوغ له أن يحكم بعلمه ، أو تكون الكبرى في تلك الحالة اعترفت بالحق لما رأت من سليمان الجحد والعزم في ذلك . ونظير هذه القصة ما لو حكم حاكم على مدع منكر يمين ، فلما مضى ليحلفه من استخرج من المنكر ما اقتضى إقراره بما أراد أن يحلف على جحدته ، فإنه والحالة هذه يحكم عليه بإقراره سواء كان ذلك قبل اليمين أو بعدها ، ولا يكون ذلك من نقض الحكم الأول ، ولكن من باب تبدل الأحكام بتبدل الأسباب . وقال ابن الجوزي : استنبط سليمان لما رأى الأمر محتملاً فأجاد ، وكلاهما حكم بالاجتهاد ، لأنه لو كان داود حكم بالنص لما ساغ لسليمان أن يحكم بخلافه . ودلت هذه القصة على أن الفطنة والفهم موهبة من الله لا تتعاق بكبر سن ولا صغره . وفيه أن الحق في جهة واحدة ، وأن الأنبياء يسوغ لهم الحكم بالاجتهاد وإن كان وجود النص ممكناً لديهم بالوحي ، لكن في ذلك زيادة في أجورهم ، ولعصمتهم من الخطأ في ذلك إذ لا يقرون لعصمتهم على الباطل . وقال النووي : إن سليمان فعل ذلك تحيلاً على إظهار الحق ، فكان كما لو اعترف المحكوم له بعد الحكم أن الحق لخصمه . وفيه استعمال الحيل في الأحكام لاستخراج الحقوق ، ولا يتأتى ذلك إلا بمزيد الفطنة وممارسة الأحوال .

قوله (لا تفعل يرحمك الله) وقع في رواية مسلم والإسماعيلي من طريق ورقاء عن أبي الزناد « لا ، يرحمك الله » قال القرطبي ينبغى على هذه الرواية أن يقف قليلاً بعد « لا » حتى يتبين للسامع أن الذي بعده كلام مستأنف ، لأنه إذا وصله بما بعده يتوهم السامع أنه دعا عليه وإنما هو دعاء له ، ويزول الإبهام في مثل هذا بزيادة واو كأن يقول : لا ويرحمك الله . وفيه حجة لمن قال : إن الأم تستحلق ، والمشهور من مذهب مالك والشافعي أنه لا يصح ، وقد تعرض المصنف لذلك في أواخر كتاب الفرائض ، ويأتى البحث فيه هناك إن شاء الله تعالى .

قوله (قال أبو هريرة) يعنى بالإسناد إليه وليس تعليقاً ، وقد وقع كذلك في رواية الإسماعيلي من طريق ورقاء عن أبي الزناد ، والمدية مثلثة الميم قيل للسكين ، ذلك لأنها تقطع مدى حياة الحيوان ، والسكين تذكر وتؤنث ، قيل لها ذلك لأنها تسكن حركة الحيوان .

باب قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَظِيمٌ ﴾ ، ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ إلى : ﴿ فَخُورٌ ﴾ . ﴿ تُصَغَّرُ ﴾ : الإعراض بالوجه .

[٣٤٢٨] ٣٣١٤ - نا أبو الوليد قال نا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال :
لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : أَيُّنَا لَمْ
يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ ؟ فَنَزَلَتْ : ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

[٣٤٢٩] ٣٣١٥ - نا إسحاق قال أنا عيسى بن يونس قال نا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن
عبد الله قال : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا : يَا
رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ
وَهُوَ يَعِظُهُ : ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

قوله (باب قول الله تعالى : ولقد آتينا لقمان الحكمة - إلى قوله - عظيم) اختلف في لقمان فقيل
كان حبشياً ، وقيل كان نوبياً . واختلف هل كان نبياً ؟ قال السهيلي : كان نوبياً من أهل أيلة ، واسم أبيه عتقا
ابن شيرون . وقال غيره هو ابن باعور بن ناجر بن آزر فهو ابن أخى إبراهيم . وذكر وهب في « المبتدأ » أنه
كان ابن أخت أيوب ، وقيل ابن خالته . وروى الثوري في تفسيره عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس
قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً . وفي « مصنف ابن أبي شيبة » عن خالد بن ثابت الربعي أحد التابعين مثله ،
وحكى أبو عبيد البكري في « شرح الأمالي » أنه كان مولى لقوم من الأزد ، وروى الطبري من طريق يحيى بن
سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر ، أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة .
وفي « المستدرک » بإسناد صحيح عن أنس قال : كان لقمان عند داود وهو يسرد الدرع ، فجعل لقمان يتعجب
ويريد أن يسأله عن فائدته فتمنعه حكيمته أن يسأل . وهذا صريح في أنه عاصر داود عليه السلام . وقد ذكره
ابن الجوزي في « التلخيص » بعد إبراهيم قبل إسماعيل وإسحق والصحيح أنه كان في زمن داود . وقد أخرج
الطبري وغيره عن مجاهد أنه كان قاضياً على بني إسرائيل زمن داود عليه السلام ، وقيل إنه عاش ألف
سنة ، نقل عن ابن إسحق وهو غلط ممن قاله ، وكأنه اختلط عليه بلقمان بن عاد وقيل إنه كان يفتى قبل بعث
داود ، وأغرب الواقدي فزعم أنه كان بين عيسى ونبينا عليها الصلاة والسلام ، وشبهته ما حكاه أبو عبيدة
البكري أنه كان عبداً لبني الحسحاس بن الأزد والأكثر أنه كان صالحاً . قال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان
صالحاً ولم يكن نبياً ، وقيل : كان نبياً أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق إسرائيل عن جابر عن عكرمة .
قلت : وجابر هو الجعفي ضعيف ، ويقال إن عكرمة تفرد بقوله كان نبياً ، وقيل كان لرجل من بني
إسرائيل فأعتقه وأعطاه مالا يتجر فيه . وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن بشير عن قتادة أن لقمان خير
بين الحكمة والنبوة فاختر الحكمة ، فسئل عن ذلك فقال : خفت أن أضعف عن حمل أعباء النبوة . وفي
سعيد بن بشير ضعف ، وقد روى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾
قال التفقه في الدين ولم يكن نبياً ، وقد تقدم تفسير المراد بالحكمة في أوائل كتاب العلم في شرح حديث ابن

عباس « اللهم علمه الحكمة » وقيل كان خياطاً وقيل نجاراً . وقوله ﴿ وإذ قال لقمان لابنه ﴾ قال السهيلي : اسم ابنة : باران بموحدة وراء مهملة ، وقيل فيه بالدال في أوله ، وقيل اسمه أنعم ، وقيل شكور وقيل بابلي .

قوله (ولا تصعر : الإعراض بالوجه) هو تفسير لقوله تعالى ﴿ ولا تصغر خدك للناس ﴾ وهو تفسير عكرمة أورده عنه الطبري ، وأورد من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ ولا تصغر خدك للناس ﴾ : لا تتكبر عليهم ، قال الطبري : أصل الصعر - يعني بالمهملتين - داء يأخذ الإبل في أعناقها حتى تلفت أعناقها عن رعوسها ، فيشبه به الرجل المتكبر المعرض عن الناس انتهى . وقوله ﴿ تصعر ﴾ هي قراءة عاصم وابن كثير وأبي جعفر ، وقال أبو عبيدة في « القراءات » له : حدثنا هشيم عن يونس عن الحسن أنه قرأها كذلك وقرأها الباقر « تصاعر » قال أبو عبيدة والأول أحب إلى لما في الثانية من المفاعلة ، والغالب أنه من اثنين ، وتكون الأولى التمل في اجتناب ذلك . وقال الطبري : القراءتان مشهورتان ومعناها صحيح والله أعلم . ثم ذكر المصنف حديث ابن مسعود في نزول قوله تعالى ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ وسيأتي شرحه في تفسير الأنعام أورده من وجهين ، وإسحق شيخه في الطريق الثانية هو ابن راهويه وبذلك جزم أبو نعيم في « المستخرج » .

باب

قال مجاهد : ﴿ فَعَزَّزْنَا ﴾ : شَدَّدْنَا . وقال ابن عباس : ﴿ طَائِرُكُمْ ﴾ : مصائبكم .

قوله (باب واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية الآية . فعززنا ، قال مجاهد : شددنا ، وقال ابن عباس طائركم : مصائبكم) أما قول مجاهد فوصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عنه بهذا ، وأما قول ابن عباس فوصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه به . والقرية المراد بها أنطاكية فيما ذكر ابن إسحق ووهب في « المبتدأ » ولعلها كانت مدينة بالقرب من هذه الموجودة ، لأن الله أخبر أنه أهلك أهلها ، وليس لذلك أثر في هذه المدينة الموجودة الآن ، ولم يذكر المصنف في ذلك حديثاً مرفوعاً ، وقد روى الطبراني من حديث ابن عباس مرفوعاً « السبق ثلاثة يوشع إلى موسى ، وصاحب يس إلى عيسى ، وعلى إلى محمد صلى الله عليه وسلم » وفي إسناده حسين بن حسين الأشقر وهو ضعيف فإن ثبت دل على أن القصة كانت في زمن عيسى أو بعده ، وصنيع المصنف يقتضي أنها قبل عيسى . وروى ابن إسحق في المبتدأ ، عن أبي طوالة عن كعب الأحبار أن اسم صاحب يس حبيب النجار ، وروى الثوري في تفسيره عن عاصم عن أبي مجلز قال : كان اسمه حبيب ابن برى ، وعن حبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس : هو حبيب النجار ، وعن السدي كان قصاراً وقيل كان إسكافاً . قال ابن إسحق واسم الرسل الثلاثة صادق وصدوق وشلوم ، وقال ابن جريج عن وهب ابن سليمان عن شعيب الجبلي بالجيم والموحدة والهمز بلا مد : كان اسم الرسولين شعون ويوحنا واسم الثالث بولص . وعن قتادة : كانوا رسلاً من قبل المسيح . والله أعلم .

قوله: ﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ إلى قوله: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾. قال ابن عباس: مثلاً. يقال: ﴿رَضِيًّا﴾: مرضياً. ﴿عَتِيًّا﴾: عصياً، عتا يعتو. ﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ يقال: صحيحاً ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾. ﴿فَأَوْحَى﴾: فأشار. ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ إلى: ﴿يَوْمَ يُنْعَثُ حَيًّا﴾. ﴿حَفِيًّا﴾: لطيفاً. ﴿عَاقِرًا﴾: الذكور والأنثى سواء.

[٣٤٣٠]

٣٣١٦ - فاهدية بن خالد قال نا همام بن يحيى قال نا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك ابن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه حدثهم عن ليلة أسري: «ثم صعد حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت، فردا، ثم قالوا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح».

قوله (باب قول الله تعالى: ذكر رحمة ربك عبده زكريا - إلى قوله - لم نجعل له من قبل سمياً) في زكريا أربع لغات: المد والقصر وحذف الألف مع تخفيف الباء وفيه تشديدها أيضاً وحذفها، وقال الجوهري: لا يصرف مع المد والقصر.

قوله (قال ابن عباس: مثلاً) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿هل تعلم له سمياً﴾ يقول: هل تعلم له مثلاً أو شياً، ومن طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ قال: لم يسم يحيى قبله غيره، وأخرجه الحاكم في «المستدرک». قوله (يقال رَضِيًّا: مرضياً) حكاه الطبري قال: مرضياً ترضاه أنت وعبادك.

قوله (عتياً: عصياً، عتا يعتو) كذا فيه بالصاد المهملة والصواب بالسين، وروى الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس قال «ما أدرى أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عتياً أو عسياً» وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾: كل مبالغ من كبر أو كفر أو فساد فقد عتا يعتو عتياً.

قوله (ثلاث ليال سويًا ويقال صحيحاً) هو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال في قوله ﴿ثلاث ليال سويًا﴾ وأنت صحيح، فحبس لسانه فكان لا يستطيع أن يتكلم وهو يقرأ التوراة ويسبح ولا يستطيع أن يكلم الناس، أخرجه ابن أبي حاتم من طريقه، وأخرج من طريق أبي عبد الرحمن السلمي قال: اعتقل لسانه من غير مرض.

قوله (فأوحى: فأشار) هو قول محمد بن كعب ومجاهد وغير واحد أخرجه ابن أبي حاتم عنهم

قوله (حفيّا : لطيفاً) هو قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه ، وقال أبو عبيدة في قوله ﴿ إنه كان بي حفيّا ﴾ أى محتفياً ، يقال تحفيت بفلان .
قوله (عاقراً ، الذكر والأنثى سواء) قال أبو عبيدة العاقر التى لا تلد ، والعاقر الذى لا يلد ، قال عامر بن الطفيل :

لبس الفتى إن كنت أعور عاقراً جباناً فاعزى لى كل محضر
وقال أيضاً : لفظ الذكر فيه مثل لفظ الأنثى . قال الثعلبى : ولد يحيى وعمر زكريا مائة وعشرون سنة وقيل تسعين وقيل إثنين وتسعين وقيل مائة إلا ستين وقيل إلا سنة ، ثم أورد المصنف طرفاً من حديث الإسراء من رواية أنس عن مالك بن صعصعة والغرض منه ذكر يحيى بن زكريا ، وقال فيه وفى عيسى بن مريم إنها ابنا خالة ، وزكريا هو ابن أدن ويقال ابن شوى ويقال ابن بارخيا ويقال ابن أبى ابن بارخيا ، ومريم بنت عمران بن ناشى ، وهما من ذرية سليمان بن داود عليها السلام ، واسم أم مريم حنة بمهمله ونون بنت فاقود واسم أختها والدة يحيى إيشاع قال ابن إسحق فى « المبتدأ » كانت حنا عند عمران وأختها عند زكريا وكانت حنة أمسك عنها الولد ثم حملت بمريم فأت عمران وهى حامل . وروى ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمن بن القاسم : سمعت مالك بن أنس يقول : بلغنى أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا كانا حملهما جميعاً ، فبلغنى أن أم يحيى قالت لمريم : إنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ، قال مالك : أراه لفضل عيسى على يحيى . وقال الثعلبى : ولد يحيى قبل عيسى بستة أشهر . واختلف فى قوله ﴿ وآتيناه الحكم صبيّاً ﴾ فقيل نبى . وهو ابن تسع سنين وقيل أقل من ذلك ، والمراد بالحكم الفهم فى الدين ، قال ابن إسحق : كان زكريا وابنه آخر من بعث من بنى إسرائيل قبل عيسى وقال أيضاً : أراد بنو إسرائيل قتل زكريا ففر منهم ، فر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها فالتأمت عليه ، فأخذ الشيطان بهدبة ثوبه فأوها فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه من وسطه فى جوفها . وأما يحيى فقتل بسبب امرأة أراد ملكهم أن يتزوجها ، فقال له يحيى : إنها لا تحمل لك لكونها كانت بنت امرأته ، فتوصلت إلى الملك حتى قتل يحيى ، قال ابن إسحق : كان ذلك قبل أن يرفع عيسى . وروى أصل هذه القصة الحاكم فى « المستدرک » من حديث عبد الله ابن الزبير ، وروى أيضاً من حديث ابن عباس أن دم يحيى كان يفور حتى قتل عليه بختنصر من بنى إسرائيل سبعين ألفاً فسكن .

قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ . و﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ إلى : ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

وقال ابن عباس : ﴿ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ . المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل

محمد . يقول : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ وهم المؤمنون . ويقال : (آل يعقوب) . إذا صغروا (آل) ردوه إلى الأصل قالوا : أهيل .

٣٣١٧ - نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن الزهري قال حدثني سعيد بن المسيب قال : قال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان ، غير مريم وابنها » . ثم يقول أبو هريرة : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ . [٣٤٣١]

قوله (باب قول الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقياً ﴾) وقوله ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة ﴾ وقوله ﴿ أن الله اصطفى آدم ونوحاً ﴾ هذه الترجمة معقودة لأخبار مريم عليها السلام ، وقد قدمت شيئاً من شأنها في الباب الذي قبله . ومريم بالسريانية الخادم ، وسميت به والددة عيسى فامتنع الصرف للتأنيث والعلمية ، ويقال إن مريم بلسان العرب من تكثر من زيارة الرجال من النساء ، كالزير وهو من يكثر زيارة النساء واستشهد من زعم هذا بقول رؤية « قلت لزير لم تصله مريم » حكاه أبو حبان في تفسير سورة البقرة ، وفيه نظر .

قوله (قال ابن عباس : وآل عمران المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد صلى الله عليه وسلم يقول : إن أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه ، وهم المؤمنون) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه ، وحاصله أن المراد بالاصطفاء بعض آل عمران وإن كان اللفظ عاماً فالمراد به الخصوص قوله (ويقال آل يعقوب أهل يعقوب ، إذا صغروا آل ردوه إلى الأصل قالوا أهيل) اختلف في « آل » فقيل أصله أهل فقلت الهاء همزة بدليل ظهور ذلك في التصغير وهو يرد الأشياء إلى أصلها ، وهذا قول سيبويه والجمهور ، وقيل أصله أول من آل يثول إذا رجع لأن الإنسان يرجع إلى أهله ، فتحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلت ألفاً ، وتصغيره على أويل .

قوله (عن الزهري قال حدثني سعيد بن المسيب) كذا قال أكثر أصحاب الزهري ، وقال السدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أخرجه الطبري .

قوله (ما من بني آدم مواد إلا يمسه الشيطان حين يولد) في رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة الماضية في « باب صفة إبليس » بيان المس المذكور لفظه « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد ، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب » أي في المشيمة التي فيها الولد قال القرطبي : هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط ، فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت ﴿ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى . ووقع في رواية معمر عن الزهري عند مسلم « إلا نخسه الشيطان » بنون وخاء معجمة ثم مهملة .

قوله (فيستهل صارخاً من مس الشيطان) في رواية معمر المذكورة « من نخسه الشيطان » أي سبب صراخ الصبي أول ما يولد الألم من مس الشيطان إياه ، والاستهلال الصياح .

قوله (غير مريم وابنها) تقدم في « باب إبليس » بذكر عيسى خاصة فيحتمل أن يكون هذا بالنسبة إلى المس وذاك بالنسبة إلى الطعن في الجنب ، ويحتمل أن يكون ذاك قبل الإعلام بما زاد ، وفيه بعد لأنه حديث واحد ، وقد رواه خلاص عن أبي هريرة بلفظ « كل بني آدم قد طعن الشيطان فيه حين ولد ، غير عيسى وأمه جعل الله دون الطعنة حجاباً فأصاب الحجاب ولم يصبهما » والذي يظهر أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر ، والزيادة من الحافظ مقبولة ، وأما قول بعضهم يحتمل أن يكون من العطف التفسيري والمقصود الابن كقولك أعجبنى زيد وكرمه فهو تعسف شديد .

قوله (ثم يقول أبو هريرة : وإن أعينها بك الخ) فيه بيان لأن في رواية أبي صالح عن أبي هريرة إدراجاً وأن تلاوة الآية موقوفة على أبي هريرة .

باب

﴿ وَإِذَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾

يقال : ﴿ يَكْفُلُ ﴾ : يَضُمُّ . كَفَلَهَا : ضَمَّهَا : مخففة ، ليس من كفالة الديون وشبهها .

٣٣١٨ - فأحمد بن أبي رجاء قال نا النضر عن هشام قال أخبرني أبي قال : سمعت عبد الله بن جعفر قال سمعت علياً يقول : سمعت النبي صلى الله عليه يقول : « خير نسائها مريم ابنة عمران ، وخير نسائها خديجة » . [٣٤٣٢]

[الحديث ٣٤٣٢ - طرفه في : ٣٨١٥] .

قوله (باب وإذا قالت الملائكة : يا مريم إن الله اصطفاك - الآية إلى قوله - « أيهم يكفل مريم » ، يقال يكفل يضم كفلها ضمها مخففة ليس من كفالة الديون وشبهها) أشار بقوله « مخففة » إلى قراءة الجمهور ، وقرأها الكوفيون « كفلها » بالتشديد أي كفلها الله زكريا ، وفي قراءتهم زكريا بالقصر إلا أن أبا بكر بن عياش قرأه بالمد فاحتاج إلى أن يقرأ زكرياء . بفتح الهمزة ، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَا ﴾ يقال كفلها بفتح الفاء وكسرهما أي ضمها ، وفي قوله ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ أي يضم انتهى . وكسر الفاء هو في قراءة بعض التابعين واستدل بقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ على أنها كانت نية وليس بصريح في ذلك ، وأيد بذكرها مع الأنبياء في سورة مريم ، ولا يمنع وصفها بأنها صديقة فقد وصف يوسف بذلك . وقد نقل عن الأشعري أن في النساء عدة نبيات ، وحصرهن ابن حزم في ست : حواء وسارة وهاجر وأم موسى وآسية ومريم ، وأسقط القرطبي سارة وهاجر ، ونقله في « المنهيد » عن أكثر الفقهاء . وقال القرطبي : الصحيح أن مريم نبية . وقال عياض : الجمهور على خلافه ونقل النووي في « الأذكار » أن الإمام نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية . وعن الحسن : ليس في

النساء نبيه ولا في الجن . وقال السبكي الكبير : لم يصح عندي في هذه المسألة شيء ، ونقله السهيلي في آخر « الروض » عن أكثر الفقهاء .

قوله (حدثنا النضر) هو ابن شميل ، وهشام هو ابن عروة بن الزبير ، وعبد الله بن جعفر أي ابن أبي طالب . قال الدارقطني : رواه أصحاب هشام بن عروة عنه هكذا ، وخالفهم ابن جريج وابن إسحاق فروياه عن هشام عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن جعفر زاد في الإسناد عبد الله بن الزبير ، والصواب إسقاطه ، والله أعلم .

قوله (خير نساها مريم) أي نساء أهل الدنيا في زمانها ، وليس المراد أن مريم خير نساها لأنه يصير كقولهم زيد أفضل إخوانه ، وقد صرحوا بمنعه ، فهو كما لو قيل فلان أفضل الدنيا . وقد رواه النسائي من حديث ابن عباس بلفظ « أفضل نساء أهل الجنة » فعلى هذا فالمعنى خير نساء أهل الجنة مريم ، وفي رواية « خير نساء العالمين » وهو كقوله تعالى ﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ وظاهره أن مريم أفضل من جميع النساء وهذا لا يمتنع عند من يقول إنها نبيه وأما من قال ليست بنبيه فيحمله على عالمي زمانها ، وبالأول جزم الزجاج وجماعة واختاره القرطبي ؛ ويحتمل أيضا أن يراه نساء بني إسرائيل أو نساء تلك الأمة أو « من » فيه مضمرة والمعنى أنها من جملة النساء الفاضلات ، ويدفع ذلك حديث أبي موسى المتقدم بصيغة الحصر أنه لم يكمل من النساء غيرها وغير آسية .

قوله (وخير نساها خديجة) أي نساء هذه الأمة ، قال القاضي أبو بكر بن العربي : خديجة أفضل نساء الأمة مطلقاً لهذا الحديث ، وقد تقدم في آخر قصة موسى حديث أبي موسى في ذكر مريم وآسية وهو يقتضي فضلها على غيرها من النساء ، ودل هذا الحديث على أن مريم أفضل من آسية وأن خديجة أفضل نساء هذه الأمة ، وكأنه لم يتعرض في الحديث الأول لنساء هذه الأمة حيث قال : ولم يكمل من النساء ، أي من نساء الأمم الماضية ، إلا إن حملنا الكمال على النبوة فيكون على إطلاقه . وعند النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس « أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية » وعند الترمذي بإسناد صحيح عن أنس « حسبك من نساء العالمين » فذكرهن . وللحاكم من حديث حذيفة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ملك فبشره أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة » وسيأتي مزيد لذلك في ترجمة خديجة من مناقب الصحابة .

قوله تعالى : (١) ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ۚ ﴾ . ﴿ يُبَشِّرُكِ ۖ ﴾ : وَيُبَشِّرُكِ وَاحِدٌ . ﴿ وَجِيهًا ۖ ﴾ : شَرِيفًا . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : الْمَسِيحُ الصَّدِيقُ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : الْكَهْلُ الْحَلِيمُ . وَالْأَكْمَةُ مَن يُبْصَرُ بِالنَّهَارِ وَلَا يُبْصَرُ بِاللَّيْلِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : مَن يُولَدُ أَعْمَى .

(١) قال ابن حجر في الفتح (٦-٥٤٤) : وقع في رواية أبي ذر بزيادة واو في أول هذه الآية وهو غلط ، وإنما وقعت

الواو في أول الآية التي قبلها وأما هذه فبغير واو . أ.هـ . عبد القادر شيبه الحمد .

[٣٤٣٣] ٣٣١٩- فَاَدَمُ قَالَ نَا شَعْبَةً عَنْ عَمْرُو بْنِ مَرْثَدَةَ قَالَ : سَمِعْتُ مَرْثَدَةَ الْهَمْدَانِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ . كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» .

[٣٤٣٤] ٣٣٢٠- وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ نِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَاهُ رِيرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ : «نِسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ : أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ» . يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ : وَلَمْ تَرْكَبْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَعِيرًا قَطُّ .

تَابِعَهُ ابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ وَإِسْحَاقُ الْكَلْبِيُّ عَنْ الزُّهْرِيِّ .

[الحديث ٣٤٣٤ - طرفاه في : ٥٠٨٢ ، ٥٣٦٥] .

قوله (باب قول الله تعالى : إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) وقع في رواية أبي زرارة زيادة واو في أول هذه الآية وهو غلط ، وإنما وقعت الواو في أول الآية التي قبلها وأما هذه فبغير واو .

قوله (يبشرك ويبشرك واحد) يعني بفتح أوله وسكون الموحدة وضم المعجمة ، وبضم أوله وفتح الموحدة وتشديد المعجمة ، والأولى وهي بالتخفيف قراءة يحيى بن وثاب وحزرة والكسائي ، والبشير هو الذي يخبر المرء بما يسره من خير ، وقد يطلق في الشر مجازاً .

قوله (وجيهاً) أي (شريفاً) قال أبو عبيدة : الوجه الذي يشرف وتوجهه الملوك أي تشرفه وانتصب قوله « وجيهاً » على الحال .

قوله وقال إبراهيم : المسيح الصديق) وصله سفيان الثوري في تفسيره رواية أبي حذيفة موسى ابن مسعود عنه عن منصور عن إبراهيم هو النخعي قال : المسيح الصديق . قال الطبري : مراد إبراهيم بذلك أن الله مسحه فطهره من الذنوب ، فهو فعيل بمعنى مفعول . قلت : وهذا بخلاف تسمية الدجال المسيح فإنه فعيل بمعنى فاعل يقال إنه سمي بذلك لكونه يمسح الأرض وقيل سمي بذلك لأنه ممسوح العين فهو بمعنى مفعول ، قيل في المسيح عيسى أيضاً إنه مشتق من مسح الأرض لأنه لم يكن يستقر في مكان ، ويقال سمي بذلك لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ ، وقيل لأنه مسح بدهن البركة مسحه زكريا وقيل يحيى وقيل لأنه كان ممسوح الأخصيين ، وقيل لأنه كان بخيلاً يقال : مسحه الله أي خلقه خلقاً حسناً ومنه قولهم به مسحة من جمال . وأغرب الداودي فقال لأنه كان يلبس المسوح .

قوله (وقال مجاهد : الكهل الحليم) وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله

﴿ وكهلاً ومن الصالحين ﴾ قال : الكهل الحليم انتهى ، وقد قال أبو جعفر النحاس : إن هذا لا يعرف في اللغة ، وإنما الكهل عندهم من ناهز الأربعين أو قاربها ، وقيل من جاوز الثلاثين وقيل ابن ثلاث وثلاثين انتهى . والذي يظهر أن مجاهداً فسره بلازمه الغالب ، لأن الكهل غالباً يكون فيه وقار وسكينة ، وقد اختلف أهل العربية في قوله ﴿ وكهلاً ﴾ هل هو معطوف على قوله ﴿ وجيهاً ﴾ أو هو حال من الضمير في يكلم أي يكلمهم صغيراً وكهلاً ، وعلى الأول يتجه تفسير مجاهد .

قوله (الأكمة من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل ، وقال غيره من يولد أعمى) أما قول مجاهد فوصله القرطبي أيضاً ، وهو قول شاذ تفرد به مجاهد ، والمعروف أن ذلك هو الأعشى . وأما قول غيره فهو قول الجمهور وبه جزم أبو عبيدة وأخرجه الطبري عن ابن عباس ، وروى عبد بن حميد عن طريق سعيد عن قتادة : كنا نتحدث أن الأكمة الذي يولد وهو مضوم العين . ومن طريق عكرمة : الأكمة الأعمى . وكذا رواه الطبري عن السدي ، وعن ابن عباس أيضاً ، وعن الحسن ونحوهم ، قال الطبري : الأشبه بتفسير الآية قول قتادة ، لأن علاج مثل ذلك لا يدعيه أحد ، والآية سيقى لبيان معجزة عيسى عليه السلام ، فالأشبه أن يحمل المراد عليها ويكون أبلغ في إثبات المعجزة والله أعلم . ثم ذكر المصنف حديثين . أحدهما حديث أبي موسى الأشعري في فضل مريم وآسية ، وقد تقدم شرحه في آخر قصة موسى عليه السلام . ثانيهما حديث أبي هريرة في فضل نساء قريش .

قوله (وقال ابن وهب الخ) وصله مسلم عن حرمة عن ابن وهب ، وكذلك أخرجه الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن حرمة ، رسيأتى للمصنف موصولاً من وجه آخر عن ابن وهب في النكاح ، قال القرطبي : هذا تفضيل لنساء قريش على نساء العرب خاصة ، لأنهم أصحاب الإبل غالباً ، وسيأتى بقية شرحه في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى .

قوله (أحناء) أشفقه ، حتى يحنو ويحنى من الثلاثي ، وأحنى يحنى من الرباعي : أشفق عليه وعطف ، والحنانية التي تقوم بولدها بعد موت الأب ، قال : وحنى المرأة على ولدها إذا لم تزوج بعد موت الأب . قال ابن التين : فإن تزوجت فليست بحنانية . قال الحسن في الحنانة التي لها ولد ولا تزوج . وفي بعض الكتب أحنى بتشديد النون والتنوين حكاه ابن التين وقال : لعله مأخوذ من الحنان بفتح وتخفيف وهو الرحمة ، وحنى المرأة إلى ولدها وإلى زوجها سواء كان بصوت أم لا ، ومن الذي بالصوت حين الجذع وأصله ترجيع صوت الناقة على أثر ولدها ، وكان القياس أحناءن لكن جرى لسان العرب بالإفراد ، وقوله « ولم تترك مريم بعيراً قط » إشارة إلى أن مريم لم تدخل في هذا التفضيل بل هو خاص بمن يركب الإبل ، والفضل الوارد في خديجة وفاطمة وعائشة هو بالنسبة إلى جميع النساء إلا من قبل إنها نبيه ، فإن ثبت في حق امرأة أنها نبيه فهي خارجة بالشرع لأن درجة النبوة لا شيء بعدها ، وإن لم يثبت فيحتاج من يخرجهن إلى دليل خاص لكل منهن ، فأشار أبو هريرة إلى أن مريم لم تدخل في هذا العموم ، لأنه قيد أصل الفضل بمن يركب الإبل ومريم لم تترك بعيراً قط . وقد اعترض بعضهم فقال : كان أبا هريرة ظن أن البعير لا يكون إلا من

الإبل ، وليس كما ظن بل يطلق البعير على الحمار . وقال ابن خالويه : لم تكن إخوة يوسف ركبانا إلا على أحمر ، ولم يكن عندهم إبل ، وإنما كانت تحملهم في أسفارهم وغيرها الأحمر ، وكذا قال مجاهد هنا : البعير الحمار ، وهي لغة حكاها الكواشي ، واستدل بقوله ﴿ اصطفاك على نساء العالمين ﴾ على أنها كانت نبيه ، ويؤيد ذكرها في سورة مريم بمثل ما ذكر به الأنبياء ، ولا يمنع وصفها بأنها صديقة فإن يوسف وصف بذلك مع كونه نبيا ، وقد نقل عن الأشعري أن في النساء نبيات . وجزم ابن حزم بست : حواء وسارة وهاجر وأم موسى وآسية ومريم ، ولم يذكر القرطبي سارة ولا هاجر ، ونقله السهيلي في آخر « الروض » عن أكثر الفقهاء ، وقال القرطبي : الصحيح أن مريم نبيه ، وقال عياض : الجمهور على خلافه . وذكر النووي في « الأذكار » عن إمام الحرمين أنه نقل الإجماع على أن مريم ليست نبيه ، ونسبه في « شرح المذهب » للجماعة ، وجاء عن الحسن البصري ليس في النساء نبيه ولا في الجن ، وقال السبكي : اختلف في هذه المسألة ولم يصح عندي في ذلك شيء .

قوله (يقول أبو هريرة على أثر ذلك : ولم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط) في رواية لأحمد وأبي يعلى « وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مريم لم تركب بعيرا قط » أراد أبو هريرة بذلك أن مريم لم تدخل في النساء المذكورات بالخيرية لأنه قيدهن بركوب الإبل ومريم لم تكن ممن يركب الإبل ، وكأنه كان يرى أنها أفضل النساء مطلقاً .

قوله (تابعه ابن أخى الزهري وإسحق الكلبي عن الزهري) أما متابعه ابن أخى الزهري وهو محمد بن عبد الله بن مسلم فوصلها أبو أحمد بن عدى في الكامل من طريق الدراوردي عنه ، وأما متابعه إسحق الكلبي فوصلها الزهري في « الزهريات » عن يحيى بن صالح عنه

قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾

قال أبو عبيد : ﴿ كَلِمَتُهُ ﴾ : كن فكان .

وقال غيره : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ : أحياء فجعله روحاً ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ .

٣٣٢١ - نا صدقة بن الفضل قال أنا الوليد عن الأوزاعي قال قالني عمير بن هاني قالني جنادة بن أبي أمية عن عبادة عن النبي صلى الله عليه قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » . [٣٤٣٥]

قال الوليد : وحدثني ابن جابر عن عمير عن جنادة وزاد : « من أبواب الجنة الثمانية أيها

شاء » .

قوله (باب قوله تعالى : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم - إلى - وكيلا) قال عياض : وقع في رواية الأصيلي ﴿ قل يا أهل الكتاب ﴾ ولغيره بحذف « قل » وهو الصواب . قلت : هذا هو الصواب في هذه الآية التي هي من سورة النساء لكن قد ثبت « قل » في الآية الأخرى في سورة المائدة ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ﴾ الآية ، ولكن مراد المصنف آية سورة النساء بدليل إيراده لتفسير بعض ما وقع فيها فلا اعتراض متجه .

قوله (قال أبو عبيد كلمته كن فكان) هكذا في جميع الأصول ، والمراد به أبو عبيد القاسم بن سلام ، ووقع نظيره في كلام أبي عبيدة معمر بن المثنى ، وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله . **قوله (وقال غيره : وروح منه أحياء فجعله روحاً)** هو قول أبي عبيدة ، قال في قوله تعالى ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ قوله كن فكان ، وروح منه الله تبارك وتعالى أحياء فجعله روحاً ﴿ ولا تقولوا ثلاثة ﴾ أي لا تقولوا هم ثلاثة .

قوله (ولا تقولوا ثلاثة) هر بقیة الآية التي فسرهما أبو عبيدة .

قوله (عن الأوزاعي) في رواية الإسماعيلي من طريق علي بن المديني عن الوليد « حدثنا الأوزاعي » **قوله (عن عبادة)** هو ابن الصامت ، في رواية ابن المديني المذكورة « حدثني عبادة » وفي رواية مسلم عن جنادة « حدثنا عبادة بن الصامت » .

قوله (وأن عيسى عبد الله ورسوله) زاد ابن المديني في روايته « وابن أمته » قال القرطبي : مقصود هذا الحديث التنبيه على ما وقع للنصارى من الضلال في عيسى وأمه ، ويستفاد منه ما يلحقه النصراني إذا أسلم ، قال النزوي : هذا حديث عظيم الموقع ، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه جمع فيه ما يخرج عنه جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم . وقال غيره : في ذكر عيسى تعريض بالنصارى وإيذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض ، وكذا قوله « عبده » وفي ذكر « رسوله » تعريض باليهود في إنكارهم رسالته وقذفه بما هو منزله عنه وكذا أمه ، وفي قوله « وابن أمته » تشریف له ، وكذا تسميته بالروح ووصفه بأنه « منه » كقوله تعالى ﴿ وسخر لكم ما في الأرض جميعاً منه ﴾ فالمعنى أنه كائن منه كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه ، أي أنه مكون كل ذلك وموجده بقدرته وحكمته . وقوله ﴿ وكلمته ﴾ إشارة إلى أنه حجة الله على عباده أبدعه من غير أب وأنطقه في غير أوانه وأحيى الموتى على يده ، وقيل سمي كلمة الله لأنه أوجده بقوله كن ، فلما كان بكلامه سمي به كما يقال سيف الله وأسد الله ، وقيل لما قال في صغره إني عبد الله ، وأما تسميته بالروح فلما كان أقدره عليه من إحياء الموتى ، وقيل لكونه ذا روح وجد من غير جزء من ذى روح . وقوله « أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة شاء » يقتضى دخوله الجنة وتخيره في الدخول من أبوابها ، وهو بخلاف ظاهر حديث أبي هريرة الماضي في بدء الخلق فإنه يقتضى أن لكل داخل الجنة باباً معيناً يدخل منه ، قال : ويجمع بينهما بأنه في الأصل غير ، لكنه يرى أن الذي يختص به أفضل في حقه فيختاره فيدخله مختاراً لا مجبوراً ولا ممنوعاً من الدخول

من غيره . قلت : ويحتمل أن يكون فاعل شاء هو الله ، والمعنى أن الله يوفقه لعمل يدخله برحمة الله من الباب المعد لمعامل ذلك العمل .

قوله (قال الوليد) هو ابن مسلم ، وهو موصول بالإسناد المذكور ، وقد أخرجه مسلم عن داود ابن رشيد عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر وحده به ولم يذكر الأوزاعي ، وأخرجه من وجه آخر عن الأوزاعي .

قوله (عن جناة وزاد) أى عن جنادة عن عبادة بالحديث المذكور وزاد فى آخره ، وكذا أخرجه مسلم بالزيادة ولفظه « أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء » وقد تقدمت الإشارة إليه فى صفة الجنة من بدء الخلق ، وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بدخول جميع الموحدين الجنة فى كتاب الإيمان بما أغنى عن إعادته ومعنى قوله « على ما كان من العمل » أى من صلاح أو فساد ، لكن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة ، ويحتمل أن يكون معنى قوله « على ما كان من العمل » أى يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل منهم فى الدرجات .

(تنبيه) : وقع فى رواية الأوزاعي وحده فقال فى آخره « أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل » بدل قوله فى رواية ابن جابر « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء » وبينه مسلم فى روايته ، وأخرج مسلم من هذا الحديث قطعة من طريق الصنابحي عن عبادة « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله حرم الله عليه النار » وهو يؤيد ما سيأتى ذكره فى الرقاق فى شرح حديث أبى ذر أن بعض الرواة يختصر الحديث وأن المتعين على من يتكلم على الأحاديث أن يجمع طرقها ثم يجمع ألفاظ المتن إذا صحت الطرق ويشرحها على أنه حديث واحد ، فإن الحديث أولى ما فسر بالحديث « قال البيضاوى فى قوله « على ما كان عليه من العمل » دليل على المعتزلة من وجهين : دعواهم أن العاصى يخلد فى النار وأن من لم يتب يجب دخوله فى النار لأن قوله « على ما كان من العمل » حال من قوله « أدخله الله الجنة » والعمل حينئذ غير حاصل ، ولا يتصور ذلك فى حق من مات قبل التوبة إلا إذا أدخل الجنة قبل العقوبة . وأما ما ثبت من لازم أحاديث الشفاعة أن بعض العصاة يعذب ثم يخرج فيخص به هذا العموم ، وإلا فالجميع تحت الرجاء ، كما أنهم تحت الخوف وهذا معنى قول أهل السنة : إنهم فى خطر المشيئة .

ب

قول الله عز وجل : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

نبدناه : ألقيناه . اعتزلت شرقياً : مما يلي الشرق . ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ : أفعلت من جئت ، يُقال : أَلْجَأَهَا اضطرها ، تَسَاقَطُ : تُسْقَطُ . قَصِيًّا : قاصياً . فَرِيًّا : عظيماً .

قال ابن عباس: نسيًا: لم أكن شيئًا.

وقال غيره النسي: الحقير.

وقال أبو وائل: علمت مريم أن التقي ذو نهيّة حين قالت: ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾.

وقال وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء: ﴿سَرِيًّا﴾ نهر صغير بالسريانية.

[٣٤٣٦] ٣٣٢٢ - نا مسلم بن إبراهيم قال نا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى. وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجهه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة فكلّمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، وتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة يرضع ابن لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها فأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه، قال أبو هريرة: كأنني أنظر إلى النبي صلى الله عليه يمص إصبعه، ثم مر بأمة فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت له ذلك، فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون سرقت زنت ولم تفعل».

[٣٤٣٧] ٣٣٢٣ - نا إبراهيم بن موسى قال أنا هشام عن معمر... ح. وحدثني محمود قال نا عبد الرزاق قال أنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه ليلة أسري بي: «لقيت موسى»، قال: فنعتته فإذا رجل حسبته قال: «مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة». قال: «ولقيت عيسى»، فنعتته النبي صلى الله عليه فقال: «ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام - ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به». قال: «وأُتيت بإناءين أحدهما لبن والآخر فيه خمر، فقيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: هديت الفطرة - أو أصبت الفطرة - أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك».

[٣٤٣٨] ٣٣٢٤ - نا محمد بن كثير قال نا إسرائيل قال أنا عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن ابن عمر

قال: قال النبي صلى الله عليه: «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمرُّ جعدٌ عريضُ الصدر، وأما موسى فأدمٌ جسيمٌ سبطٌ كأنه من رجال الزُّطِّ».

[٣٤٣٩] ٣٣٢٥- نا إبراهيم بن المنذر قال نا أبو ضمرة قال نا موسى عن نافع قال عبد الله: ذكر

النبي صلى الله عليه يوماً بين ظهراي الناس المسيح الدجال فقال: «إن الله ليس بأعور، ألا إن^(١) المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنب طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا

رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال، تضرب لمتة بين منكبيه، رجل الشعر يقطر رأسه ماءً، واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم. ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً قططاً أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت بابتن قطن، واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت، فقالوا: المسيح الدجال». تابعه عبيد الله عن نافع.

[الحديث ٣٤٤٠ - أطرافه في: ٣٤٤١، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧٠٢٦، ٧١٢٨].

[٣٤٤١] ٣٣٢٦- نا أحمد بن محمد المكي قال سمعت إبراهيم بن سعد قال: ني الزهري عن

سالم عن أبيه قال: لا والله، ما قال النبي صلى الله عليه لعيسى أحمر، ولكن قال: «بينما أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر يهادى بين رجلين ينطف رأسه ماءً - أو يهراق رأسه ماءً - فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم، فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمنى كأن عنب طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال، وأقرب الناس به شبهاً ابن قطن». قال الزهري: رجل من خزاعة هلك في الجاهلية.

[٣٤٤٢] ٣٣٢٧- نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن الزهري قال أنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن

أباهريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي».

[الحديث ٣٤٤٢ - وطرفه في: ٣٤٤٣].

[٣٤٤٣] ٣٣٢٨- نا محمد بن سنان قال نا فليح بن سليمان قال نا هلال بن علي عن عبد الرحمن

ابن أبي عمرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم

(١) الرقمان ٣٤٣٩ و ٣٤٤٠ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

في الدنيا والآخرة، الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد». وقال إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه... ح.

[٣٤٤٤] ٣٣٢٩- وحدثني عبد الله بن محمد قال نا عبد الرزاق قال أنا معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «رأى عيسى رجلاً يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني».

[٣٤٤٥] ٣٣٣٠- نا الحميدي قال نا سفيان قال سمعت الزهري يقول: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله».

[٣٤٤٦] ٣٣٣١- نا محمد بن مقاتل قال أنا عبد الله قال أنا صالح بن حي أن رجلاً من أهل خراسان قال للشعبي، فقال الشعبي أخبرني أبو بردة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «إذا أدب الرجل أمتة فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران، وإذا آمن بعتي ثم آمن بي فله أجران، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران».

[٣٤٤٧] ٣٣٣٢- نا محمد بن يوسف قال نا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه: «تَحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا. ثُمَّ قَرَأَ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ فَأَوَّلُ مَنْ يَكْسِي إِبْرَاهِيمُ. ثُمَّ يُوْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ أَصْحَابِي، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ١١٧ ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

قال محمد بن يوسف الفربري: ذكر عن أبي عبد الله عن قبيصة قال: هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر، فقاتلهم أبو بكر.

قوله (باب قول الله تعالى : واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها) هذا الباب معقود

لأخبار عيسى عليه السلام ، والأبواب التي قبله لأخبار أمه مريم ، وقد روى الطبري من طريق السدي قال : أصاب مريم حيض فخرجت من المسجد فأقامت شرقى المحراب .

قوله (فبذناه : ألقيناه) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فبذناه ﴾ قال : ألقيناه . وقال أبو عبيدة في قوله ﴿ إذ انتبذت ﴾ أي اعتزلت وتنحت .

قوله (اعتزلت شرقياً مما يلي الشرق) قال أبو عبيدة في قوله ﴿ مكاناً شرقياً ﴾ مما يلي الشرق ، وهو عند العرب خير من الغربي الذي يلي الغرب .

قوله (فأجاءها : أفعلت من جئت ويقال أبحاها اضطرها) قال أبو عبيدة في قوله ﴿ فأجاءها المخاض ﴾ مجازه أفعلاها من جاءت ، وأجاءها غيرها إليه ، ، يعني فهو من مزيد جاء ، قال زهير :

وجاء وسار معتمداً إليكم أجاءته المخافة والرجاء

والمعنى أبحاها . وقال الزمخشري : إن أجاء منقول من جاء ، إلا أن استعماله تغير بعد النقل إلى معنى الإجاء .

قوله (تساقط : تسقط) هو قول أبي عبيدة ، وضبط تسقط بضم أوله من الرباعي والفاعل النخلة عند من قرأها بالمشناة ، أو الجذع عند من قرأها بالتحسانية .

قوله (قصيا : قاصيا) هو تفسير مجاهد أخرجه الطبري عنه ، قال أبو عبيدة في قوله ﴿ مكاناً قصياً ﴾ أي بعيداً .

قوله (فرياً عظيماً) هو تفسير مجاهد وصله الطبري من طريق ابن أبي نجيح عنه ، ومن طريق سعيد عن قتادة كذلك ، قال أبو عبيدة في قوله ﴿ لقد جئت شيئاً فرياً ﴾ أي عجباً فائقاً .

قوله (قال ابن عباس : نسياً لم أكن شيئاً) وصله ابن جرير من طريق ابن جريج « أخبرني عطاء عن ابن عباس في قوله ﴿ يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴾ أي لم أخلق ولم أكن شيئاً » .

قوله (وقال غيره النسي الحقيق) هو قول السدي ، وقيل هو ما سقط في منازل المرتحلين من رذالة أمتهم ، وروى الطبري من طريق سعيد عن قتادة قال في قوله ﴿ وكنت نسياً ﴾ : أي شيئاً لا يذكر .

قوله (وقال أبو وائل علمت مريم أن التقى ذو نهيمة حين قالت إن كنت تقيا) وصله عبد بن حميد من طريق عاصم قال : قرأ أبو وائل ﴿ إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ قال : لقد علمت مريم أن التقى ذو نهيمة ، وقوله نهيمة : بضم النون وسكون الهاء أي ذو عقل وانتهاء عن فعل القبيح ، وأغرب من قال إنه اسم رجل يقال له تقى كان مشهوراً بالفساد فاستعادت منه .

قوله (وقال وكيع عن إسرائيل الخ) ذكر خلف في « الأطراف » أن البخاري وصله عن يحيى عن وكيع ، وأن ذلك وقع في التفسير ، ولم نقف عليه في شيء من النسخ ، فلعله في رواية حماد بن شاكر عن البخاري .

قوله (سرياً : نهر صغير بالسريانية) كذا ذكره موقوفاً من حديث البراء معلقاً ، وأورده الحاكم

في «المستدرک» وابن أبي حاتم من طريق الثوري والطبري من طريق شعبة كلاهما عن أبي إسحق مثله ، وأخرجه ابن مردويه من طريق آدم عن إسرائيل به لكن لم يقل بالسريانية وإنما قال البراء : السري الجلول وهو النهر الصغير ، وقد ذكر أبو عبيدة أن السري النهر الصغير بالعربية أيضاً وأنشد لليد بن ربيعة :
فرمى بها عرض السري فغادرا مسجورة متجاوز أقلامها

والعرض بالضم الناحية ، وروى الطبري من طريق حصين عن عمرو بن ميمون قال : السري الجلول ومن طريق الحسن البصري قال : السري هو عيسى ، وهذا شاذ . وقد روى ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر مرفوعاً « السري في هذه الآية نهر أخرجه الله لمريم لتشرب منه » . ثم ذكر المصنف في الباب عشرة أحاديث : أولها حديث أبي هريرة في قصة جريج الراهب وغيره ، والغرض منه ذكر الذين تكلموا في المهد وأورده في ترجمة عيسى لأنه أولهم .

قوله (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة) قال القرطبي : في هذا الحصر نظر ، إلا أن يحمل على أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على ذلك ، وفيه بعد ، ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مقيداً بالمهد وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد ، لكنه يعكر عليه أن في رواية ابن قتيبة أن الصبي الذي طرحته أمه في الأخلود كان ابن سبعة أشهر ، وصرح بالمهد في حديث أبي هريرة ، وفيه تعقب على النزوي في قوله : أن صاحب الأخلود لم يكن في المهد ، والسبب في قوله هذا ما وقع في حديث ابن عباس عند أحمد والبخاري وابن حبان والحاكم « لم يتكلم في المهد إلا أربعة » فلم يذكر الثالث الذي هنا وذكر شاهد يوسف والصبي الرضيع الذي قال لأمه وهي ماشطة بنت فرعون لما أراد فرعون إلقاء أمه في النار « اصبري يا أمه فأنا على الحق » . وأخرج الحاكم نحوه من حديث أبي هريرة ، فيجتمع من هذا خمسة . ووقع ذكر شاهد يوسف أيضاً في حديث عمران بن حصين لكنه موقوف ، وروى ابن أبي شيبة من مرسل هلال بن يساف مثل حديث ابن عباس إلا أنه لم يذكر ابن الماشطة . وفي صحيح مسلم من حديث صهيب في قصة أصحاب الأخلود « أن امرأة جيء بها لتلقي في النار أو لتكفر ، ومعها صبي يرضع ، فتقاعست ، فقال لها : يا أمه اصبري فلأنك على الحق » وزعم الضحاك في تفسيره أن يحيى تكلم في المهد أخرجه الثعلبي ، فإن ثبت صاروا سبعة . وذكر البغوي في تفسيره أن إبراهيم الخليل تكلم في المهد . وفي « سير الواقدي » أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أوائل ما ولد . وقد تكلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مبارك اليمامة وقصته في « دلائل النبوة للبيهقي » من حديث معرض بالضاد المعجمة ، والله أعلم . على أنه اختلف في شاهد يوسف : فقيل كان صغيراً ، وهذا أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسنده ضعيف ، وبه قال الحسن وسعيد بن جبير . وأخرج عن ابن عباس أيضاً ومجاهد أنه كان ذا لحية . وعن قتادة والحسن أيضاً كان حكيماً من أهلها .

قوله (وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج) بجيمين مصغر ، وقد روى حديثه عن أبي هريرة محمد بن سيرين كما هنا ، وتقدم في المظالم من طريقه بهذا الإسناد ، والأعرج كما تقدم في أواخر الصلاة ، وأبو رافع وهو عند مسلم وأحمد ، وأبو سلمة وهو عند أحمد ، ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي هريرة عمران بن حصين ، وسأذكر ما في رواية كل منهم من الفائدة . وأول حديث أبي سلمة

« كان رجل في بني إسرائيل تاجراً ، وكان ينقص مرة ويزيد أخرى . فقال : ما في هذه التجارة خير ، لأنتم تن تجارة هي خير من هذه ، فبني صومعة وترهب فيها ، وكان يقال له جريج » فذكر الحديث ، ودل ذلك على أنه كان بعد عيسى بن مريم ، وأنه كان من أتباعه لأنهم الذين ابتدعوا الترهيب وحبس النفس في الصومع . والصومعة بفتح المهملة وسكون الواو هي البناء المرتفع المحدد أعلاه ، ووزنها فوعلة من صمعت إذا دقت لأنها دقيقة الرأس .

قوله (جاءته أمه) في رواية الكشمي « فجاءته أمه » وفي رواية أبي رافع « كان جريج يتعبد في صومعته فأتته أمه » ولم أقف في شيء من الطرق على اسمها . وفي حديث عمران بن حصين « وكانت أمه تأتيه فتناديه فيشرف عليها فيكلمها ، فأتته يوماً وهو في صلاته » وفي رواية أبي رافع عند أحمد « فأتته أمه ذات يوم فتادته قالت : أي جريج اشرف على أكلمك ، أنا أمك » .

قوله (فدعته فقال أجيبها أو أصلي) زاد المصنف في المظالم بالإسناد الذي ذكره هنا « فأبى أن يجيبها ، ومعنى قوله أمي وصلاتي أي أجتمع على إجابة أمي وإتمام صلاتي فوقفت لأفضلها ، وفي رواية أبي رافع « فصادفته يصلي ، فوضعت يدها على حاجبها فقالت : يا جريج ، فقال : يارب أمي وصلاتي ، فاختر صلاته ، فرجعت . ثم أتته فصادفته يصلي فقالت : يا جريج أنا أمك فكلمني ، فقال مثله » فذكره . وفي حديث عمران بن حصين أنها جاءتته ثلاث مرات تناديه في كل مرة ثلاث مرات ، وفي رواية الأعرج عند الإسماعيلي « فقال أمي وصلاتي لربي ، أوثر صلاتي على أمي ، ذكره ثلاثاً » وكل ذلك محمول على أنه قاله في نفسه لا أنه نطق به ويحتمل أن يكون نطق به على ظاهره لأن الكلام كان مباحاً عندهم ، وكذلك كان في صدر الإسلام ، وقد قدمت في أواخر الصلاة ذكر حديث يزيد بن حوشب عن أبيه رفعه « لو كان جريج عالماً لعلم أن إجابة أمه أولى من صلاته » .

قوله (فقالت : اللهم لا تمته حتى تربه وجوه المومسات) في رواية الأعرج « حتى ينظر في وجوه المياميس » ومثله في رواية أبي سلمة وفي رواية أبي رافع « حتى تربه المومسة » بالإفراد ، وفي حديث عمران بن حصين « فغضبت فقالت : اللهم لا يموتن جريج حتى ينظر في وجوه المومسات » والمومسات جمع مومسة بضم الميم وسكون الواو وكسر الميم بعدها مهملة وهي الزانية وتجمع على مواميس بالواو ، وجمع في الطريق المذكورة بالتحانية ، وأنكره ابن الحشاش أيضاً ووجهه غيره كما تقدم في أواخر الصلاة وجوز صاحب « المطالع » فيه الهمزة بدل الياء بل أثبتها رواية ، ووقع في رواية الأعرج « فقالت أبيت أن تطلع إلى وجهك ، لا أماتك الله حتى تنظر في وجهك زواني المدينة » .

قوله (فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى) ، فأت راعياً فأمكنته من نفسها) في رواية وهب بن جرير ابن حازم عن أبيه عند أحمد « فذكر بنو إسرائيل عبادة جريج ، فقالت بغى منهم : إن شئت لأفتنه ، قالوا قد شئنا . فأتته فتعرضت له فلم يلتفت إليها ، فأمكننت نفسها من راع كان يؤوى غنمه إلى أصل صومعة جريج » ولم أقف على اسم هذه المرأة ، لكن في حديث عمران بن حصين أنها كانت بنت ملك القرية ، وفي رواية الأعرج « وكانت تأوى إلى صومعته راعية ترعى الغنم » ونحوه في رواية أبي رافع عند أحمد ، وفي

رواية أبي سلمة « وكان عند صومعته راعي ضأن وراعية معزى » ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها خرجت من دار أبيها بغير علم أهلها متنكرة وكانت تعمل الفساد إلى أن ادعت أنها تستطيع أن تفتن جريجاً فاحتالت بأن خرجت في صورة راعية ليكنها أن تأوى إلى ظل صومعته لتتوصل بذلك إلى فتنته .

قوله (فولدت غلاماً) فيه حذف تقديره فحملت حتى انقضت أيامها فولدت ، وكذا قوله « فقالت من جريج » فيه حذف تقديره فسئلت ممن هذا ؟ فقالت من جريج ، وفي رواية أبي رافع التصريح بذلك ولفظه « فقيل لها ممن هذا ؟ فقالت هو من صاحب الدير » وزاد في رواية أحمد « فأخذت ، وكان من زنى منهم قتل فقيل لها ممن هذا ؟ قالت هو من صاحب الصومعة » زاد الأعرج « نزل إلى من صومعته » وفي رواية الأعرج « فقيل لها من صاحبك ؟ قالت جريج الراهب ، نزل إلى فأصابني » زاد أبو سلمة في روايته « فذهبوا إلى الملك فأخبروه ، قال : أدركوه فأتوني به » .

قوله (فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه) وفي رواية أبي رافع « فأقبلوا بفتوسهم ومساحيهم إلى الدير فنادوه فلم يكلمهم ، فأقبلوا يهدمون ديره » وفي حديث عمران « فما شعر حتى سمع بالفتوس في أصل صومعته فجعل يسألهم : ويلكم مالكم ؟ فلم يجيبوه ، فلما رأى ذلك أخذ الحبل فتدلى » .

قوله (وسبوه) زاد أحمد عن وهب بن جرير « وضربوه » فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : إنك زنت بهذه » وفي رواية أبي رافع عنده « فقالوا أي جريج انزل ، فأبى يقبل على صلاته ، فأخلوا في هدم صومعته فلما رأى ذلك نزل فجعلوا في عنقه وعنقها حبلاً وجعلوا يطوفون بهما في الناس » ، وفي رواية أبي سلمة « فقال له الملك : ويحك يا جريج ، كنا نراك خير الناس فأجبت هذه ، ذهبوا به فأصلبوه » وفي حديث عمران « فجعلوا يضربونه ويقولون : مرأء تخادع الناس بعملك » وفي رواية الأعرج « فلما مروا به نحو بيت الزواني خرجن ينظرن فتبسم ، فقالوا : لم يضحك ، حتى مر بالزواني » .

قوله (فتوضأ وصلى) وفي رواية وهب بن جرير « فقام وصلى ودعا » ، وفي حديث عمران « قال فتولوا عني ، فتولوا عنه فصلى ركعتين » .

قوله (ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ فقال : الراعى) زاد في رواية وهب بن جرير « فطعنه بأصبعه فقال : بالله يا غلام من أبوك ؟ فقال : أنا ابن الراعى » وفي مرسل الحسن عند ابن المبارك في « البر والصلة » أنه « سأله أن ينظروه فأنظروه ، فرأى في المنام من أمره أن يطعن في بطن المرأة فيقول : أيتها السخلة من أبوك ؟ ففعل ، فقال : راعى الغنم » وفي رواية أبي رافع « ثم مسح رأس الصبي فقال : من أبوك ؟ قال راعى الضأن » وفي روايته عند أحمد « فوضع أصبعه على بطنها » وفي رواية أبي سلمة « فأتى بالمرأة والصبي وفه في ثديها فقال له جريج : يا غلام من أبوك ؟ فنزع الغلام فاه من الثدي وقال أبي راعى الضأن » وفي رواية الأعرج « فلما أدخل على ملكهم قال جريج : أين الصبي الذي ولدته ؟ فأتى به فقال من أبوك ؟ قال : فلان ، سمي أباه » . قلت ولم أقف على اسم الراعى ، ويقال إن اسمه صهيب ، وأما الابن فتقدم في أواخر الصلاة بلفظ « فقال يا أبا بوس » وتقدم شرحه أواخر الصلاة وأنه ليس اسمه كما زعم الداودي وإنما المراد به الصغير ، وفي حديث عمران « ثم انتهى إلى شجرة فأخذ منها غصناً ثم أتى الغلام وهو في مهده » .

فضربه بذلك الغصن فقال : من أبوك ، ووقع في « التنبيه لأبي الليث السمرقندي » بغير إسناد أنه قال للمرأة : أين أصبتك ؟ قالت : تحت شجرة ، فأتى تلك الشجرة فقال : يا شجرة أسألك بالذي خلقتك من زنى بهذه المرأة ؟ فقال كل غصن منها : راعى الغم ، ويجمع بين هذا الاختلاف بوقوع جميع ما ذكر بأنه مسح رأس الصبي ، ووضع إصبعه على بطن أمه ، وطعنه بأصبعه ، وضربه بطرف العصا التي كانت معه . وأبعد من جمع بينها بتعدد القصة وأنه استنطقه وهر في بطنها مرة قبل أن تلد ثم استنطقه بعد أن ولد ، زاد في رواية وهب بن جرير ، فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه « وزاد الأعرج في روايته « فأبرأ الله جريجاً وأعظم الناس أمر جريج » وفي رواية أبي سلمة « فسيح الناس وعجبوا » .

قوله (قالوا نبنى صومعتك من ذهب ، قال : لا إلا من طين) وفي رواية وهب بن جرير « ابنوها من طين كما كانت » وفي رواية أبي رافع « فقالوا نبنى ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة ، قال : لا ولكن أعيلوه كما كان ، ففعلوا » وفي نقل أبي الليث « فقال له الملك نبنينا من ذهب ، قال : لا . قال من فضة . قال لا إلا من طين » زاد في رواية أبي سلمة « فردوها فرجع في صومعته ، فقالوا له : بالله مم ضحكت ؟ فقال ما ضحكت إلا من دعوة دعيتها على أمي » وفي الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع لأن الاستمرار فيها نافلة وإجابة الأم وبرها واجب . قال النووي وغيره : إنما دعت عليه فأجبت لأنه كان يمكنه أن يخفف ويحييها ، لكن لعله خشى أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا وتعلقاتها ، كذا قال النووي ، وفيه نظر لما تقدم من أنها كانت تأتيه فيكلمها ، والظاهر أنها كانت تشتاق إليه فتزوره وتقتنع برؤيته وتكليمه ، وكأنه إنما لم يخفف ثم يحييها لأنه خشى أن ينقطع خشوعه . وقد تقدم في أواخر الصلاة من حديث يزيد بن حوشب عن أبيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو كان جريج فقيهاً لعلم أن إجابة أمه أولى من عبادة ربه » أخرجه الحسن بن سفيان ، وهذا إذا حمل على إطلاقه استفيد منه جواز قطع الصلاة مطلقاً لإجابة نداء الأم نفلاً كانت أو فرضاً ، وهو وجه في مذهب الشافعي حكاه الروياني ، وقال النووي تبعاً لغيره : هذا محمول على أنه كان مباحاً في شرعهم ، وفيه نظر قدمته في أواخر الصلاة ، والأصح عند الشافعية أن الصلاة إن كانت نفلاً وعلم تأذى الوالد بالترك وجبت الإجابة وإلا فلا ، وإن كانت فرضاً وضاق الوقت لم تجب الإجابة ، وإن لم يضق وجب عند إمام الحرمين . وخالفه غيره لأنها تلزم بالشروع ، وعند المالكية أن إجابة الوالد في النافلة أفضل من التماضي فيها ، وحكى القاضي أبو الوليد أن ذلك يختص بالأم دون الأب ، وعند ابن أبي شيبة من مرسل محمد بن المنكدر ما يشهد له وقال به مكحول ، وقيل إنه لم يقل به من السلف غيره وفي الحديث أيضاً عظم بر الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معنوياً ؛ لكن يختلف الحال في ذلك بحسب المقاصد . وفيه الرفق بالتابع إذا جرى منه ما يقتضي التأديب لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة ، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل . وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن . وفيه قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه ، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق ؛ ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه . وفيه أن الأمرين إذا تعارضا بدئ بأهمهما ، وأن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج ، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهدياً وزيادة لهم في

الثواب . وفيه إثبات كرامات الأولياء ، ووقوع الكرامة لهم بأختيارهم وطلبهم . وقال ابن بطال : يحتمل أن يكون جريج كان نبياً فتكون معجزة ، كذا قال ، وهذا الاحتمال لا يأتى فى حق المرأة التى كلمها ولدها المرضع كما فى بقية الحديث . وفيه جواز الأخذ بالأشد فى العبادة لمن علم من نفسه قوة على ذلك . واستدل به بعضهم على أن بنى إسرائيل كان من شرعهم أن المرأة تصدق فيما تدعيه على الرجال من الوطء ويلحق به الولد ، وأنه لا ينفعه جحد ذلك إلا بحجة تدفع قولها . وفيه أن مرتكب الفاحشة لا تبقى له حرمة ، وأن المفرع فى الأمور المهمة إلى الله يكون بالتوجه إليه فى الصلاة . واستدل بعض المالكية بقول جريج « من أبوك يا غلام » بأن من زنى بامرأة فولدت بنتاً لا يحل له الزوج بتلك البنت خلافاً للشافعية ، ولا بن الماجشون من المالكية . ووجه الدلالة أن جريجاً نسب ابن الزنا للزاني وصدق الله نسبته بما خرق له من العادة فى نطق المولود بشهادته له بذلك ، وقوله أبى فلان الراعى ، فكانت تلك النسبة صحيحة فيلزم أن يجرى بينهما أحكام الأبوة والبنوة ، خرج التوارث والولاء بدليل فبقى ما عدا ذلك على حكمه . وفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافاً لمن زعم ذلك ، وإنما الذى يختص بها الغرة والتحجيل فى الآخرة ، وقد تقدم فى قصة إبراهيم أيضاً مثل ذلك فى خبر سارة مع الجبار والله أعلم .

قوله (وكانت امرأة) بالرفع ، ولم أقف على اسمها ولا على اسم أحد ممن ذكر فى القصة المذكورة .

قوله (إذ مر بها راكب) وفى رواية خلاص عن أبى هريرة عند أحمد « فارس متكبر » .

قوله (ذو شارة) بالشين المعجمة أى صاحب حسن وقيل صاحب هيئة ومنظر ومابس حسن يتعجب منه ويشار إليه ، وفى رواية خلاص « ذو شارة حسنة » .

قوله (قال أبو هريرة كأنى أنظر) هو موصول بالإسناد المذكور ، وفيه المبالغة فى إيضاح الخبر بتمثيله بالفعل .

قوله (ثم مر) بضم الميم على البناء للمجهول .

قوله (بأمة) زاد أحمد عن وهب بن جرير « تضرب » وفى رواية الأعرج عن أبى هريرة الآتية فى ذكر بنى إسرائيل « تجرر ويلعب بها » وهى بجمع مفتوحة بعدها راء ثقيلة ثم راء أخرى .

قوله (فقالت له ذلك) أى سألت الأم ابنها عن سبب كلامه .

قوله (قال الراكب جبار) فى رواية أحمد « فقال يا أمتاه » أما الراكب ذو الشارة فجبار من الجبابرة « وفى رواية الأعرج فإنه كافر .

قوله (يقولون سرفت زنيث) بكسر المثناة فيهما على المخاطبة وبسكونها على الخبر .

قوله (ولم تفعل) فى رواية أحمد « يقولون سرفت ولم تسرق ، زنيث ولم تزني » وهى تقول حسبى الله « وفى رواية الأعرج « يقولون لها تزنى وتقول حسبى الله ، ويقولون لها تسرق وتقول حسبى الله ، ووقع فى رواية خلاص المذكورة أنها كانت حبشية أو زنجية وأنها ماتت فجروها حتى ألقوها » ،

وهذا معنى قوله في رواية الأعرج « نجر » . وفي الحديث أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر فتخاف سوء الحال ، بخلاف أهل التحقيق فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة كما قال تعالى حكاية عن أصحاب قارون حيث خرج عليهم ﴿ يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وقال الذين أوتوا العلم وكم ثواب الله خير ﴾ . وفيه أن البشر طبعوا على إثارة الأولاد على الأنفس بالخير لطلب المرأة الخير لابنها ودفع الشر عنه ولم تذكر نفسها . الحديث الثاني حديث أبي هريرة في ذكر موسى وعيسى وقد تقدم في قصة موسى من هذا الوجه ، لكن زاد هنا إسناداً آخر فقال « حدثنا محمود وهو ابن غيلان عن عبد الرزاق » وساقه على لفظه ، وكان ساقه هناك على لفظ هشام بن يوسف ، وقوله في هذه الرواية « فإذا رجل حسبه قال مضطرب » القائل « حسبه » هو عبد الرزاق ، والمضطرب الطويل غير الشديد ، وقيل الخفيف اللحم وتقدم في رواية هشام بلفظ « ضرب » وفسر بالنعيف ، ولا منافاة بينهما . وقال ابن التين : هذا الوصف مغاير لقوله بعد هذا « أنه جسم » يعني في الرواية التي بعد هذه ، وقال : والذي وقع نعته بأنه جسم إنما هو الدجال . وقال عياض : رواية من قال « ضرب » أصح من رواية من قال « مضطرب » لما فيها من الشك ، قال وقد وقع في الرواية الأخرى « جسم » وهو ضد الضرب ، إلا أن يراد بالجسم الزيادة في الطول ، وقال التيمي : لعل بعض لفظ هذا الحديث دخل في بعض ، لأن الجسم إنما ورد في صفة الدجال لا في صفة موسى انتهى . والذي يتعين المصير إليه ما جوزه عياض أن المراد بالجسم في صفة موسى الزيادة في الطول ، ويؤيده قوله في الرواية التي بعد هذه « كأنه من رجال الزط » وهم طوال غير غلاظ ، ووقع في حديث الإسراء وهو في بدء الخلق « رأيت موسى جعداً طوالاً » واستنكره الداردي فقال : لا أراه محفوظاً لأن الطويل لا يوصف بالجعد وتعقب بأنهما لا يتنافيان . وقال النوري : الجعودة في صفة موسى جعودة الجسم وهو اكتنازه واجتماعه لا جعودة الشعر لأنه جاء أنه كان رجل الشعر .

قوله في صفة عيسى (ربعة) هو بفتح الراء وسكرن الموحدة ويجوز فتحها وهو المربع ، والمراد أنه ليس بطويل جداً ولا قصير جداً بل وسط ، وقوله « من ديماس » هو بكسر المهملة وسكون التحتانية وآخره مهملة .

قوله (يعني الحمام) هو تفسير عبد الرزاق ، ولم يقع ذلك في رواية هشام ، والديماس في اللغة السرب ، ويطلق أيضاً على الكن ، والحمام من جملة الكن . والمراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان في موضع كن فخرج منه وهو عرقان ، وسيأتي في رواية ابن عمر بعد هذا « ينطف رأسه ماء » وهو محتمل لأن يراد الحقيقة ، وأنه عرق حتى قطر الماء من رأسه ، ويحتمل أن يكون كناية عن مزيد نضارة وجهه ، ويؤيده أن في رواية عبد الرحمن ابن آدم عن أبي هريرة عند أحمد وأبي داود « يقطر رأسه ماء وإن لم يصبه بلل » .

قوله (وأثبت بإناءين) يأتي الكلام عليه في كلام على الإسراء في السيرة النبوية إن شاء الله تعالى .
الحديث الثالث .

قوله (أخبرنا عثمان بن المغيرة) هو الثقفى مولاهم الكوفى ويقال له عثمان بن أبى زرعة ، وهو ثقة من صغار التابعين ، وليس له فى البخارى غير هذا الحديث الواحد .

قوله (عن ابن عمر) كذا وقع فى جميع الروايات التى وقعت لنا من نسخ البخارى ، وقد تعقبه أبو زر فى روايته فقال : كذا وقع فى جميع الروايات المسموعة عن الفربرى « مجاهد عن ابن عمر » . قال : ولا أدرى أهكذا حدث به البخارى أو غلط فيه الفربرى لأنى رأيت فى جميع الطرق عن محمد بن كثير وغيره عن مجاهد عن ابن عباس ، ثم ساقه بإسناده إلى حنبل بن إسحاق قال حدثنا محمد بن كثير ، وقال فيه ابن عباس . قال : وكذا رواه عثمان بن سعيد الدارمى عن محمد بن كثير قال : وتابعه نصر بن أبى أحمد الزيرى عن إسرائيل ، وكذا رواه يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن إسرائيل انتهى . وأخرجه أبو نعيم فى « المستخرج عن الطبرانى عن أحمد بن مسلم الخزاعى عن محمد بن كثير وقال : رواه البخارى عن محمد بن كثير فقال مجاهد عن ابن عمر ، ثم ساقه من طريق نصر بن على عن أبى أحمد الزيرى عن إسرائيل فقال ابن عباس انتهى . وأخرجه ابن منده فى « كتاب الإيمان » من طريق محمد بن أيوب بن الضريس وموسى بن سعيد الدندانى كلاهما عن محمد بن كثير فقال فيه ابن عباس ثم قال : قال البخارى عن محمد بن كثير عن ابن عمر والصواب عن ابن عباس ، وقال أبو مسعود فى « الأطراف » إنما رواه الناس عن محمد بن كثير فقال مجاهد عن ابن عباس ووقع فى البخارى فى سائر النسخ مجاهد عن ابن عمر وهو غلط ، قال : وقد رواه أصحاب إسرائيل منهم يحيى بن أبى زائدة وإسحق بن منصور والنضر بن شميل وآدم بن أبى إياس وغيرهم عن إسرائيل فقالوا ابن عباس قال ، وكذلك رواه ابن عون عن مجاهد عن ابن عباس انتهى . ورواية ابن عون تقدمت فى ترجمة إبراهيم عليه السلام ، ولكن لا ذكر لعيسى عليه السلام فيها . وأخرجها مسلم عن شيخ البخارى فيها وليس فيها لعيسى ذكر إنما فيها ذكر إبراهيم وموسى حسب . وقال محمد بن إسماعيل التيمى : ويقع فى خاطرى أن الوهم فيه من غير البخارى فإن إسماعيل أخرجها من طريق نصر بن على عن أبى أحمد وقال فيه عن ابن عباس ولم ينبه على أن البخارى قال فيه عن ابن عمر ، فلو كان وقع له كذلك لنبه عليه كعادته ، والذي يرجح أن الحديث لابن عباس لا لابن عمر ما سيأتى من إنكار ابن عمر على من قال إن عيسى أحر وحلفه على ذلك ، وفى رواية مجاهد هذه « فأما عيسى فأحر جعد » فهذا يؤيد أن الحديث لمجاهد عن ابن عباس لا عن ابن عمر والله أعلم .

قوله (سبط) بفتح المهملة وكسر الموحدة أى ليس بجعد ، وهذا نعت لشعر رأسه .

قوله (كأنه من رجال الزط) بضم الزاى وتشديد المهملة جنس من السودان ، وقيل هم نوع من المنرد وهم طوال الأجسام مع نحافة فيها ، وقد زعم ابن التين أن قوله فى صفة موسى « جسيم » مخالف لقوله فى الرواية الأخرى فى ترجمته « ضرب من الرجال » أى خفيف اللحم قال فلعل راوى الحديث دخل له بعض لفظه فى بعض ، لأن الجسيم ورد فى صفة الدجال . وأجيب بأنه لا مانع أن يكون مع كونه خفيف اللحم جسيماً بالنسبة لطوله ، فلو كان غير طريل لاجتمع لحمه وكان جسيماً . الحديث الرابع حديث ابن عمر فى

ذكر عيسى والدجال ، أورده من طريق نافع عنه من وجهين موصولة ومعلقة ، ومن طريق سالم بن عبد الله ابن عمر عن أبيه .

قوله (حدثنا موسى) هو ابن عقبة .

قوله (بين ظهرائي) بفتح الظاء المعجمة وسكون الهاء بلفظ التثنية أى جالساً في وسط الناس ، والمراد أنه جلس بينهم مستظهاً لا مستخفياً ، وزيدت فيه الألف والنون تأكيداً ، أو معناه أن ظهراً منه قدماه وظهراً خلفه وكأنهم حفوا به من جانبيه فهذا أصله ، ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين قوم مطلقاً ولهذا زعم بعضهم أن لفظة ظهرائي في هذا الموضع زائدة

قوله (إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كان عينه عنة طافية) أى بارزة ، وهو من طفا الشيء يطفأ بغير همز إذا علا على غيره ، وشبهها بالعنة التي تقع في العنقود بارزة عن نظائرها ، وسيأتي بسط ذلك في كتاب الفتن .

قوله (وأرائي) بفتح الهمزة ، ذكر بلفظ المضارع مبالغة في استحضر صورة الحال .

قوله (آدم) بالمد أى أسمر .

قوله (كأحسن ما يرى) في رواية مالك عن نافع الآتية في كتاب اللباس « كأحسن ما أنت راء » .

قوله (تضرب لته) بكسر اللام أى شعر رأسه ، ويقال له إذا جاوز شحمة الأذنين وألم بالمنكبين له ، وإذا جاوزت المنكبين فهي جمة وإذا قصرت عنهما فهي وفرة .

قوله (رجل الشعر) بكسر الجيم أى قد سرحه ودهنه ، وفي رواية مالك « له لمة قد رجلها فهي تقطر ماء » وقد تقدم أنه يحتمل أن يريد أنها تقطر من الماء الذي سرحها به أو أن المراد الاستنارة وكفى بذلك عن مزيد النظافة والنضارة ، ووقع في رواية سالم الآتية في نعت عيسى « أنه آدم سبط الشعر » وفي الحديث الذي قبله في نعت عيسى « إنه جعد » والجعد ضد السبط فيمكن أن يجمع بينهما بأنه سبط الشعر ووصفه بالعودة في جسمه لا شعره والمراد بذلك اجتماعه واكتنازه ، وهذا الاختلاف نظير الاختلاف في كونه آدم أو أحمراً ، والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة ، والآدم الأسمر ، ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه أحمراً لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل أسمر ، وقد وافق أبو هريرة على أن عيسى أحمراً فظهر أن ابن عمر أنكر شيئاً حفظه غيره ، وأما قول الداودي إن رواية من قال « آدم » أثبت فلا أدري من أين وقع له ذلك مع اتفاق أبي هريرة وابن عباس على مخالفة ابن عمر . وقد وقع في رواية عبد الرحمن ابن آدم عن أبي هريرة في نعت عيسى « إنه مربوع إلى الحمرة والبياض » والله أعلم .

قوله (واضعاً يديه على منكبي رجلين) لم أقف على اسمها ، وفي رواية مالك متكئاً على عراقي رجلين والعراقي جمع عاتق وهو ما بين المنكب والعنق .

قوله (قططاً) بفتح القاف والمهملة بعدها مثلها هذا هو المشهور ، وقد تكسر الطاء الأولى ، والمراد

به شدة جمودة الشعر ، ويطلق في وصف الرجل ويراد به الدم يقال جعد اليدين وجعد الأصابع أى بنجيل ، ويطلق على القصير أيضاً ، وأما إذا أطلق في الشعر فيحتمل الدم والمدح .

قوله (كأشبه من رأيت بآبن قطن) بفتح القاف والمهملة يأتى في الطريق التى تلى هذه .

قوله (تابعه عبيد الله) يعنى ابن عمر العمرى (عن نافع) أى عن ابن عمر ، وروايته وصلها أحمد ومسلم من طريق أبى أسامة ومحمد بن بشر جميعاً عن عبد الله بن عمر فى ذكر المسيح الدجال فقط إلى قوله « عنة طافية » ولم يذكر ما بعده ، وهذا يشعر بأنه يطلق المتابعة ويريد أصل الحديث لا جميع ما اشتمل عليه .

قوله (حدثنا أحمد بن محمد المكي) هو الأزرقى واسم جده الوليد بن عقبة ، ووهم من قال أنه القواس واسم جد القواس عون .

قوله (عن سالم) هو ابن عبد الله بن عمر .

قوله (لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعيسى أحر) اللام فى قوله « لعيسى » بمعنى عن وهى كقوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ وقد تقدم بيان الجمع بين ما أنكره ابن عمر وأثبتته غيره ، وفيه جواز اليمين على غلبة الظن لأن ابن عمر ظن أن الوصف اشتبه على الراوى وأن الموصوف بكونه أحر إما هو الدجال لا عيسى ، وقرب ذلك أن كلا منهما يقال له المسيح وهى صفة مدح لعيسى وصفة ذم للدجال كما تقدم ، وكأن ابن عمر قد سمع سماعاً جزماً فى وصف عيسى أنه آدم فساغ له الحلف على ذلك لما غلب على ظنه أن من وصفه بأنه أحر واهم . (بينا أنا نائم أطوف بالكعبة) هذا يدل على أن رؤيته للأنبياء فى هذه المرة غير المرة التى تقدمت فى حديث أبى هريرة ، فإن تلك كانت ليلة الإسراء وإن كان قد قيل فى الإسراء إن جميعه منام ، لكن الصحيح أنه كان فى اليقظة ، وقيل كان مرتين أو مراراً كما سيأتى فى مكانه ، ومثله ما أخرجه أحمد من وجه آخر عن أبى هريرة رفعه « ليلة أسرى بى وضعت قدمى حيث يضع الأنبياء أقدامهم من بيت المقدس ، فعرض على عيسى بن مريم » الحديث ، قال عياض : رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم للأنبياء على ما ذكر فى هذه الأحاديث إن كان مناماً فلا إشكال فيه ، وإن كان فى اليقظة ففيه إشكال : وقد تقدم فى الحج ويأتى فى اللباس من رواية ابن عون عن مجاهد عن ابن عباس فى حديث الباب من الزيادة « وأما موسى فرجل آدم جعد على جمل أحر مخطوم بخلبة ، كأنى أنظر إليه إذا انحدر فى الوادى » وهذا مما يزيد الإشكال . وقد قيل عن ذلك أجوبة : أحدها أن الأنبياء أفضل من الشهداء والشهداء أحياء عند ربهم فكذلك الأنبياء فلا يبعد أن يصلوا ويحجوا ويتقربوا إلى الله بما استطاعوا ما دامت الدنيا وهى دار تكليف باقية : ثانيها أنه صلى الله عليه وسلم أرى حالهم التى كانوا فى حياتهم عليها فثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وتلبينهم ، ولهذا قال أيضاً فى رواية أبى العالية عن ابن عباس عند مسلم « كأنى أنظر إلى موسى ، وكأنى أنظر إلى يونس » . ثالثها أن يكون أخبر عما أوحى إليه صلى الله عليه وسلم من أمرهم وما كان منهم . فلهذا أدخل حرف التشبيه فى الرواية ، وحيث أطلقها فهى محمولة على ذلك والله أعلم . وقد جمع البيهقى كتاباً لطيفاً فى حياة الأنبياء فى قبورهم أورد فيه حديث أنس « الأنبياء

أحياء في قبورهم يصلون» أخرجه من طريق يحيى بن أبي كثير وهو من رجال الصحيح عن المستلم بن سعيد ، وقد وثقه أحمد وابن حبان عن الحجاج الأسود وهو ابن أبي زياد البصري وقد وثقه أحمد وابن معين عن ثابت عنه ، وأخرجه أيضاً أبو يعلى في مسنده من هذا الوجه وأخرجه البزار لكن وقع عنده عن حجاج الصواف وهو وهم والصواب الحجاج الأسود كما وقع التصريح به في رواية البيهقي وصححه البيهقي . وأخرجه أيضاً من طريق الحسن بن قتيبة عن المستلم ، وكذلك أخرجه البزار وابن عدى ، والحسن بن قتيبة ضعيف . وأخرجه البيهقي أيضاً من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى أحد فقهاء الكوفة عن ثابت بلفظ آخر قال « إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور » ومحمد سىء الحفظ . وذكر الغزالي ثم الرافعي حديثاً مرفوعاً « أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث ولا أصلي له » إلا إن أخذ من رواية ابن أبي ليلى هذه وليس الأخذ بجيد لأن رواية ابن أبي ليلى قابلة للتأويل ، قال البيهقي : إن صح فالمراد أنهم لا يتركون يصلون إلا هذا المقدار ثم يكونون مصليين بين يدي الله ، قال البيهقي : وشاهد الحديث الأول ما ثبت في صحيح مسلم من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رفعه « مررت بموسى ليلة أسرى بي عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره » وأخرجه أيضاً من وجه آخر عن أنس ، فإن قيل هذا خاص بموسى قلنا قد وجدنا له شاهداً من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم أيضاً من طريق عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي » الحديث وفيه « وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي ، فإذا رجل ضرب جعد كأنه (١) وفيه : وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شياً عروة بن مسعود ، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم ، فحانت الصلاة فأمتهم » قال البيهقي : وفي حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه لقيهم ببیت المقدس فحضرت الصلاة فأمتهم نبينا صلى الله عليه وسلم ثم اجتمعوا في بيت المقدس . وفي حديث أبي ذر ومالك بن صعصعة في قصة الإسراء أنه لقيهم بالسموات ، وطرق ذلك صحيحة ، فيحمل على أنه رأى موسى قائماً يصلي في قبره ، ثم عرج به هو ومن ذكر من الأنبياء إلى السموات فلقبهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اجتمعوا في بيت المقدس فحضرت الصلاة فأمتهم نبينا صلى الله عليه وسلم . قال : وصلاتهم في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة لا يردده العقل ، وقد ثبت به النقل ، فدل ذلك على حياتهم . قلت : وإذا ثبت أنهم أحياء من حيث النقل فإنه يقويه من حيث النظر كون الشهداء أحياء بنص القرآن ، والأنبياء أفضل من الشهداء . ومن شواهد الحديث ما أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رفعه وقال فيه « وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » سنده صحيح ، وأخرجه أبو الشيخ في « كتاب الثواب » بسند جيد بلفظ « من صلى على » عند قبري سمعته ، ومن صلى على نائياً بلغته » وعند أبي داود والنسائي وصححه ابن خزيمة وغيره عن أوس بن أوس رفعه في فضل يوم الجمعة « فأكثرُوا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على . قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ومما يشكل على ما تقدم ما أخرجه أبو داود من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه « ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحه حتى أورد عليه السلام » ورواته ثقات . ووجه الإشكال فيه أن ظاهره أن عود الروح

إلى الجسد يقتضى انفصالها عنه وهو الموت ، وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة : أحدها أن المراد بقوله « رد الله على روحى » إن رد روجه كانت سابقة عقب دفنه لا أنها تعاد ثم تنزع ثم تعاد . الثانى سلمنا ، لكن ليس هو نزع موت بل لا مشقة فيه . الثالث أن المراد بالروح الملك الموكل بذلك . الرابع المراد بالروح النطق فتجوز فيه من جهة خطابنا بما نفهمه . الخامس أنه يستغرق فى أمور الملائكة الأعلى ، فإذا سلم عليه رجع إليه فهمه ليجيب من سلم عليه . وقد استشكل ذلك من جهة أخرى ، وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله فى ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه فى أقطار الأرض ممن لا يحصى كثرة ، وأجيب بأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل ، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة والله أعلم .

قوله (سبط الشعر) تقدم ما فيه .

قوله (يهادى) أى يمشى متايلاً بينهما .

قوله (ينطف) بكسر الطاء المهملة أى يقطر ومنه النطفة ؛ كذا قال الداودى ، وقال غيره النطفة الماء الصافى . وقوله « أو يهراق » هو شك من الراوى .

قوله (أعور عينه اليمنى) كذا هو بالإضافة وعينه بالجر للأكثر وهو من إضافة الموصوف إلى صفته وهو جائز عند الكوفيين وتقديره عند البصريين عين صفحة وجهه اليمنى ، ورواه الأصيبى « عينه » بالرفع كأنه وقف على وصفه إنه أعور وابتدأ الخبر عن صفة عينه فقال « عينه كأنها كذا » وأبرز الضمير . وفيه نظر لأنه يصير كأنه قال عينه كأن عينه ، ويحتمل أن يكون رفع على البدل من الضمير فى أعور الراجع على الموصوف وهو بدل بعض من كل ، وقال السهيلي : لا يجوز أن يرتفع بالصفة كما ترفع الصفة المشبهة باسم الفاعل لأن أعور لا يكون نعتاً إلا للمذكر ، ويجوز أن تكون عينه مرتفعة بالابتداء وما بعدها الخبر ، وقوله « كأن عنبه » طافية بالنصب على اسم كأن والخبر مقدر مخنوف تقديره كأن فى وجهه وشاهده قول الشاعر « إن محلاً وإن مرتحلاً » أى إن لنا محلاً وإن لنا مرتحلاً .

قوله (كأن عنبه طافية) كذا للكشيمى ولغيره « كأن عينه عنبه طافية » وقد تقدم ضبطه قبل .

قوله (وأقرب الناس به شياً ابن قطن ، قال الزهرى) أى بالإسناد المذكور (رجل) أى ابن قطن (من خزاعة هلك فى الجاهلية) . قلت : اسمه عبد العزى بن قطن بن عمرو بن جندب بن سعيد بن عائذ بن مالك بن المصطلق ، وأمه هالة بنت خويلد ، أفاده الديلمى قال : وقال ذلك أيضاً عن أكرم بن أبى الجون وأنه قال « يا رسول الله هل يضرنى شبهه ؟ قال : لا ، أنت مسلم وهو كافر » حكاه عن ابن سعد ، والمعروف فى الذى شبه به صلى الله عليه وسلم أكرم بن عمرو بن لحي جد خزاعة لا الدجال ، كذلك أخرجه أحمد وغيره ، وفيه دلالة على أن قوله صلى الله عليه وسلم « إن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة » أى فى زمن خروجه ، ولم يرد بذلك نبي دخوله فى الزمن الماضى ، والله أعلم . الحديث الخامس حديث أبى هريرة فى ذكر عيسى بن مريم ، أورده من ثلاثة طرق : طريقين موصولين وطريقة معلقة .

قوله (أنا أولى الناس بابن مريم) في رواية عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة « بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة » أي أخص الناس به وأقربهم إليه لأنه بشر بأنه يأتي من بعده . قال الكرمانى التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تعالى ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ﴾ أن الحديث وارد في كونه صلى الله عليه وسلم متبوعاً والآية واردة في كونه تابعاً ، كذا قال ، ومساق الحديث كمساق الآية فلا دليل على هذه التفرقة . والحق أنه لا منافاة ليجتاج إلى الجمع ، فكما أنه أولى الناس بإبراهيم كذلك هو أولى الناس بعيسى ، ذلك من جهة قوة الاقتداء به وهذا من جهة قوة قرب العهد به .

قوله (والأنبياء أولاد علات) في رواية عبد الرحمن المذكورة « والأنبياء إخوة لعلات » والعلات بفتح المهملة الضرائر ، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها ، والعلل الشرب بعد الشرب وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاهم شتى ، وقد بيته في رواية عبد الرحمن فقال « أمهاهم شتى ودينهم واحد ، وهو من باب التفسير كقوله تعالى ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً ﴾ ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع ، وقيل المراد أن أزمنتهم مختلفة .

قوله (ليس بيني وبينه نبي) هذا أورده كالشاهد لقوله إنه أقرب الناس إليه . ووقع في رواية عبد الرحمن بن آدم « وأنا أولى الناس بعيسى لأنه لم يكن بيني وبينه نبي » ، واستدل به على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبينا صلى الله عليه وسلم ، وفيه نظر لأنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى ، وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين وكانا بعد عيسى ، والجواب أن هذا الحديث يضعف ما ورد من ذلك فإنه صحيح بلا تردد وفي غيره مقال ، أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة ، وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى ، وقصة خالد ابن سنان أخرجها الحاكم في « المستدرک » من حديث ابن عباس ، ولها طرق جمعتها في ترجمته في كتابي في الصحابة . الحديث السادس حديث أبي هريرة « رأى عيسى رجلاً يسرق » الحديث أورده من طريقين موصولة ومعلقة .

قوله (وقال إبراهيم بن طهمان الخ) وصله النسائي عن أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري عن أبيه عن إبراهيم ، وأحمد من شيوخ البخارى .

قوله (كلا والذي لا إله إلا الله) في رواية الكشمي « إلا هو » وفي رواية ابن طهمان عند النسائي « فقال لا والذي لا إله إلا هو » .

قوله (وكذبت عيني) بالتشديد على التثنية ، ول بعضهم بالإفراد ، وفي رواية المستمل « كذبت » بالتخفيف وفتح الموحدة و « عيني » بالإفراد في محل رفع ، ووقع في رواية مسلم « وكذبت نفسي » وفي رواية ابن طهمان « وكذبت بصرى » قال ابن التين : قال عيسى ذلك على المبالغة في تصديق الخالف . وأما قوله « وكذبت عيني » فلم يرد حقيقة التكذيب ، وإنما أراد كذبت عيني في غير هذا ، قاله ابن الجوزى ، وفيه بعد . وقيل إنه أراد بالتصديق والتكذيب ظاهر الحكم لا باطن الأمر وإلا فالمشاهدة أعلى اليقين فكيف

يكذب عينه ويصدق قول المدعى ؟ ويحتمل أن يكون رآه مد يده إلى الشيء فظن أنه تناوله ، فلما حلف له رجع عن ظنه . وقال القرطبي : ظاهر قول عيسى للرجل « سرقت » أنه خبر جازم عما فعل الرجل من السرقة لكونه رآه أخذ مالا من حرز ، في خفية . وقول الرجل كلا نفي لذلك ثم أكد به باليمين ، وقول عيسى « آمنت بالله وكذبت عيني » أي صدقت من حلف بالله وكذبت ما ظهر لي من كون الأخذ المذكور سرقة فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ماله فيه حق ، أو ما أذن له صاحبه في أخذه ، أو أخذه ليقبله وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء . قال ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك ، وإنما أراد استفهامه بقوله سرقت ؟ وتكون أداة الاستفهام مخوفة وهو سائح كثير انتهى . واحتمال الاستفهام بعيد مع جزمه صلى الله عليه وسلم بأن عيسى رأى رجلا يسرق ، واحتمال كونه يحل له الأخذ بعيد أيضاً بهذا الجزم بعينه ، والأول مأخوذ من كلام القاضي عياض ، وقد تعقبه ابن القيم في كتابه « إغاثة اللهفان » فقال : هذا تأويل متكلف ، والحق أن الله كان في قلبه أجل من أن يحلف به أحد كاذباً ، فدار الأمر بين تهمة الخالف وتهمة بصره فرد التهمة إلى بصره ، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له أنه له ناصح . قلت : وليس بلون تأويل القاضي في التكلف ، والتشبيه غير مطابق والله أعلم . واستدل به على درء الحد بالشبهة ، وعلى منع القضاء بالعلم ، والراجع عند المالكية والحنابلة منعه مطلقاً ، وعند الشافعية جوازه إلا في الحدود وهذه الصورة من ذلك ، وسيأتي بسطه في كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى . الحديث السابع حديث ابن عباس عن عمر ، هو من رواية الصحابي عن الصحابي .

قوله (لا تطروني) بضم أوله ، والإطراء المدح بالباطل تقول أطريت فلاناً مدحته فأفرطت في

ملحه .

قوله (كما أطرت النصارى ابن مريم) أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك ، وهذا الحديث طرف من حديث السقيفة ، وقد ساقه المصنف مطولاً في كتاب المحاريب ، وذكر منه قطعاً متفرقة فيما مضى وبأني التنبيه عليها في مكانها . الحديث الثامن .

قوله (أخبرنا عبد الله) هو ابن المبارك .

قوله (إن رجلاً من أهل خراسان قال للشعبي ، فقال الشعبي) حذف السؤال وقد بينه في رواية حبان بن موسى عن ابن المبارك فقال « إن رجلاً من أهل خراسان قال للشعبي : إنا نقول عندنا إن الرجل إذا أعتق أم ولده ثم تزوجها فهو كالراكب بدنته ، فقال الشعبي « فذكره ، أخرجه الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان عنه .

قوله (إذا أدب الرجل أمته) يأتي الكلام عليه في النكاح .

قوله (وإذا آمن الرجل بعيسى ثم آمن بي فله أجران) تقدم مباحث ذلك في كتاب العلم مستوفاة وفيه إشارة إلى أنه لم يكن بين عيسى وبين نبينا صلى الله عليه وسلم نبى ، وقد تقدم البحث في ذلك .

قوله (والعبد إذا اتقى ربه الخ) تقدمت الإشارة إليه في كتاب العتق . الحديث التاسع حديث ابن

عباس « إنكم محشورون إلى الله خفاة » الحديث وسيأتي البحث فيه في أواخر الرقاق ، والغرض منه ذكر عيسى بن مريم في قوله ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ﴾ .

قوله (قال الفربري ذكر عن أبي عبد الله) هو البخاري (عن قبيصة) هو ابن عقبة أحد شيوخ البخاري ، أي إنه حل قوله « من أصحابي » أي باعتبار ما كان قبل الردة لا أنهم ماتوا على ذلك ، ولا شك أن من ارتد سلب اسم الصحبة لأنها نسبة شريفة إسلامية فلا يستحقها من ارتد بعد أن اتصف بها ، وقد أخرج الإسماعيلي الحديث المذكور عن إبراهيم بن موسى عن إسحق من قبيصة عن سفيان الثوري به

نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام

[٣٤٤٨] ٣٣٣٣- فإِسْحَاقُ قَالَ أَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ نَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكُنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : « وَاقْرَءُوا إِنَّ شَتَمَ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ . »

[٣٤٤٩] ٣٣٣٤- فَا ابْنُ بَكِيرٍ قَالَ نَا اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ » .

تابعه عقيل والأوزاعي .

قوله (نزول عيسى بن مريم) يعني في أواخر الزمان ، كذا لأبي ذر بغير « باب » وأثبتته غيره ، وذكر فيه المصنف حديثين عن أبي هريرة : أحدهما حديث « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم » الحديث .

قوله (حدثنا إسحق) هو ابن إبراهيم المعروف بابن راهويه ، وإنما جزمنا بذلك مع تجويز أبي علي الجبائي أن يكون هو أو إسحق بن منصور لتعبيره بقوله أخبرنا يعقوب بن إبراهيم لأن هذه العبارة يعتمد عليها إسحق بن راهويه كما عرف بالاستقراء من عاداته أنه لا يقول إلا « أخبرنا » ولا يقول « حدثنا » وقد أخرج أبو نعيم في « المستخرج » هذا الحديث من مسند إسحق بن راهويه وقال « أخرجه البخاري عن إسحق » .

قوله (أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف .

قوله (والذي نفسى بيده) فيه الحلف في الخبر مبالغة في تأكيده .

قوله (ليوشكن) بكسر المعجمة أى ليقربن أى لابد من ذلك سريعاً .

قوله (أن ينزل فيكم) أى في هذه الأمة ، فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله .

قوله (حكماً) أى حاكماً ، والمعنى أنه ينزل حاكماً بهذه الشريعة فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ ،

بل يكون عيسى حاكماً من حكام هذه الأمة . وفي رواية الليث عن ابن شهاب عند مسلم « حكماً مقسطاً » وله من طريق ابن عينة عن ابن شهاب « إماماً مقسطاً » والمقسط العادل بخلاف القاسط فهو الجائر . ولأحمد من وجه آخر عن أبي هريرة « أقرعوه من رسول الله السلام » وعند أحمد من حديث عائشة « ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة » والطبراني من حديث عبد الله بن مغفل « ينزل عيسى بن مريم مصداقاً بمحمد على مائه » .

قوله (فيكسر الصليب ويقتل الخنزير) أى يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل

ما تزعمه النصارى من تعظيمه ، ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس ، لأن الشيء المتفع به لا يشرع لإتلافه ، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك في أواخر البيوع . ووقع للطبراني في « الأوسط » من طريق أبي صالح عن أبي هريرة « فيكسر الصليب ويقتل الخنزير والقرد » زاد فيه القرد وإسناده لا بأس به وعلى هذا فلا يصح الاستدلال به على نجاسة عين الخنزير لأن القرد ليس بنجس العين اتفاقاً ، ويستفاد منه أيضاً تغيير المنكرات وكسر آلة الباطل . ووقع في رواية عطاء بن ميناء عن أبي هريرة عند مسلم « ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد » .

قوله (ويضع الحرب) في رواية الكشمي « الجزية » ، والمعنى أن الدين يصير واحداً فلا يبقى

أحد من أهل اللمة يؤدي الجزية ، وقيل معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له فترك الجزية استغناء عنها . وقال عياض : يحتمل أن يكون المراد بوضع الجزية تقريرها على الكفار من غير محاباة ، ويكون كثرة المال بسبب ذلك . وتعقبه النووى وقال : الصواب أن عيسى لا يقبل إلا الإسلام . قلت ويؤيده أن عند أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة « وتكون الدعوى واحدة » قال النووى : ومعنى وضع عيسى الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن مشروعيها مقيدة بنزول عيسى لما دل عليه هذا الخبر ، وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ بقوله هذا ، قال ابن بطال : وإنما قبلناها قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد ، ويحتمل أن يقال إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم ، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته فيصرون كعبدة الأوثان في انقطاع حججهم وإنكشاف أمرهم ، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم . هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً والله اعلم .

قوله (ويفيض المال) بفتح أوله وكسر الفاء وبالفاء المعجمة أى يكثر ، وفي رواية عطاء بن ميناء

المذكورة « وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد » وسبب كثرة نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الأرض كنوزها وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة .

قوله (حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) أى أنهم حينئذ لا يتقربون إلى الله إلا بالعبادة ، لا بالتصدق بالمال ، وقيل معناه أن الناس يرغبون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها . وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة عن الزهري بهذا الإسناد في هذا الحديث « حتى تكون السجدة واحدة لله رب العالمين » .

قوله (ثم يقول أبو هريرة : واقرعوا إن شئتم) وأن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته (الآية) هو موصول بالإسناد المذكور ، قال ابن الجوزي : إنما تلا أبو هريرة هذه الآية للإشارة إلى مناسبتها لقوله « حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » فإنه يشير بذلك إلى صلاح الناس وشدة إيمانهم وإقبالهم على الخير ، فهم لذلك يؤثرون الركعة الواحدة على جميع الدنيا . والسجدة تطلق ويراد بها الركعة ، قال القرطبي : معنى الحديث أن الصلاة حينئذ تكون أفضل من الصدقة لكثرة المال إذ ذاك وعدم الانتفاع به حتى لا يقبله أحد . وقوله في الآية (وإن) بمعنى ما ، أى لا يبقى أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلا آمن به ، وهذا مصير من أبي هريرة إلى أن الضمير في قوله (إلا ليؤمنن به) وكذلك في قوله (قبل موته) يعود على عيسى ، أى إلا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى ، وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبيرة عنه بإسناد صحيح ، ومن طريق أبي وجاء عن الحسن قال قبل موت عيسى : والله إنه الآن لحى ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون ، ونقله عن أكثر أهل العلم ورجحه ابن جرير وغيره . ونقل أهل التفسير في ذلك أقوالاً أخر وأن الضمير في قوله « به » يعود لله أو لمحمد ، وفي « موته » يعود على الكتابي على القولين ، وقيل على عيسى . وروى ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس « لا يموت يهودى ولا نصرانى حتى يؤمن بعيسى ، فقال له عكرمة : أرأيت إن خر من بيت أو احترق أو أكله السبع ؟ قال : لا يموت حتى يحرك شفتيه بالإيمان بعيسى » وفي إسناده خفيف وفيه ضعف . ورجح جماعة هذا المذهب بقراءة أبي بن كعب (إلا ليؤمنن به قبل موته) أى أهل الكتاب « قال النووي : معنى الآية على هذا ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى وأنه عبد الله وابن أمته ، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان في تلك الحالة كما قال تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) قال : وهذا المذهب أظهر لأن الأول يخص الكتابي الذي يدرك نزول عيسى ، وظاهر القرآن عمومته في كل كتابي في زمن نزول عيسى وقبله . قال العلماء : الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتالوه ، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم ، أو نزوله لدنوا أجله ليدفن في الأرض ، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها . وقيل إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام ، فيوافق خروج الدجال ، فيقتله ، والأول أوجه . وروى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سبع سنين ، وروى نعيم بن حماد في « كتاب الفتن » من حديث ابن عباس أن عيسى إذ ذاك يتزوج

في الأرض ويقم بها تسع عشرة سنة وبإسناد فيه مبهم عن أبي هريرة يقيم بها أربعين سنة ، وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة مثله مرفوعاً . وفي هذا الحديث « ينزل عيسى عليه ثوبان ممصران فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، وتقع الأمة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل وتلعب الصبيان بالحيات - وقال في آخره - ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون » وروى أحمد ومسلم من طريق حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة « ليهلن ابن مريم بفج الروحاه بالحج والعمرة » الحديث ، وفي رواية لأحمد من هذا الوجه : ينزل عيسى فيقتل الخنزير ويمحي الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج ، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعها وتلا أبو هريرة « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به » الآية . قال حنظلة قال أبو هريرة : يؤمن به قبل موت عيسى . وقد اختلف في موت عيسى عليه السلام قبل رفعه ، والأصل فيه قوله تعالى « إني متوفيك ورافعك » فقيل على ظاهره ، وعلى هذا فإذا نزل إلى الأرض ومضت المدة المقدره له يموت ثانياً . وقيل معنى قوله « متوفيك » من الأرض ، فعلى هذا لا يموت إلا في آخر الزمان واختلف في عمره حين رفع فقيل ابن ثلاث وثلاثين وقيل مائة وعشرين . الحديث العاشر .

قوله (عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري) هو أبو محمد بن عياش الأقرع ، قال ابن حبان : هو مولى امرأة من غفار وقيل له مولى أبي قتادة لملازمته له . قلت : وليس له عن أبي هريرة في الصحيح سوى هذا الحديث الواحد .

قوله (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) سقط قوله « فيكم » من رواية أبي ذر . قوله (تابعة عقيل والأوزاعي) يعني تابعاً يونس عن ابن شهاب في هذا الحديث ، فأما متابعة عقيل فوصلها ابن منده في « كتاب الإيمان » من طريق الليث عنه ولفظه مثل سياق أبي ذر سواء ، وأما متابعة الأوزاعي فوصلها ابن منده أيضاً وابن حبان والبيهقي في « البعث » وابن الأعرابي في معجمه من طرق عنه ولفظه مثل رواية يونس ، وقد أخرجه مسلم من طريق ابن أبي ذئب عن ابن شهاب بلفظ « وأمكم منكم » قال الوليد بن مسلم : فقلت لابن أبي ذئب إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري فقال « وإمامكم منكم » قال ابن أبي ذئب أتدرى ما أمكم منكم ؟ قلت تخبرني ، قال : فأمكم بكتاب ربكم . وأخرجه مسلم من رواية ابن أخي الزهري عن عمه بلفظ « كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم » وعند أحمد من حديث جابر في قصة الدجال ونزول عيسى « وإذا هم بعيسى ، فيقال تقدم يا روح الله ، فيقول ليتقدم إمامكم » فليصل بكم ولا بن ماجه في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال قال « وكلهم أي المسلمون بيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصل بهم ، إذ نزل عيسى فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى ، فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول : تقدم فإنها لك أقيمت » وقال أبو الحسن الحسعي الأبدى في مناقب الشافعي : تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه ، ذكر ذلك ردّاً للحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن أنس وفيه « ولا مهدي إلا عيسى » وقال أبو ذر الهروي : حدثنا الجوزقي عن بعض المتقدمين قال : معنى قوله « وإمامكم منكم » يعني أنه يحكم بالقرآن لا بالإنجيل . وقال ابن التين : معنى قوله « وإمامكم منكم » أن الشريعة المحمدية

متصلة إلى يوم القيامة ، وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم . وهذا والذي قبله لا يبين كون عيسى إذا نزل يكون إماماً أو مأموماً ، وعلى تقدير أن يكون عيسى إماماً فعنايه أنه يصير معكم بالجماعة من هذه الأمة . قال الطيبي : المعنى يؤمكم عيسى حال كونه في دينكم . ويعكر عليه قوله في حديث آخر عند مسلم « فيقال له : صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه لهذه الأمة » وقال ابن الجوزي ، لو تقدم عيسى إماماً لوقع في النفس إشكال ولقيل : أتراه تقدم نائباً أو مبتدئاً شرعاً ، فصلى مأموماً لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله « لا نبي بعدى » . وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة والله أعلم

باب ما ذكر عن بني إسرائيل

[٣٤٥٠] ٣٣٣٥- نا موسى بن إسماعيل قال نا أبو عوانة قال نا عبد الملك عن ربعي بن حراش قال : قال عقبة بن عمرو لحذيفة : ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه ؟ قال : إني سمعته يقول : « إن مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً ، فأما الذي يرى الناس أنها النار فماء بارد ، وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد فنار تحرق . فمن أدرك منكم فليقع في الذي يرى أنها نار ، فإنه عذب بارد » .

[الحديث ٣٤٥٠ - طرفه في : ٧١٣٠ .]

[٣٤٥١] ٣٣٣٦- قال حذيفة : وسمعت يقول : « إن رجلاً كان فيمن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه ، ف قيل له : عملت من خير ؟ قال : ما أعلم . قيل له : انظر . قال : ما أعلم شيئاً ، غير أنني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم ، فأنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر فأدخله الله الجنة » .

[٣٤٥٢] ٣٣٣٧- قال : وسمعت يقول : « إن رجلاً حضره الموت ، فلما يئس من الحياة أوصى أهله : إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً وأوقدوا فيه ناراً ، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت ، فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوماً راحاً فاذروني في اليم : ففعلوا . فجمعه فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك . فغفر الله له » قال عقبة بن عمرو : أنا سمعته يقول ذاك ، وكان نباشاً .

[الحديث ٣٤٥٢ - طرفاه في : ٣٤٧٩ ، ٦٤٨٠ .]

[٣٤٥٣] ٣٣٣٨- نا بشر بن محمد قال أنا عبد الله قال أخبرني معمر ويونس عن الزهري قال [٣٤٥٤] أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس وعائشة قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه طفق

يطرح خميضة على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا».

[٣٤٥٥] ٣٣٣٩ - نا محمد بن بشار قال نا محمد بن جعفر قال نا شعبة عن فرات القزاز قال سمعت أبا حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين، فسمعتُه يحدث عن النبي صلى الله عليه قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا بيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

[٣٤٥٦] ٣٣٤٠ - نا سعيد بن أبي مريم قال أنا أبو غسان قال ني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه». قلت: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال النبي صلى الله عليه: «فمن؟».

[الحديث ٣٤٥٦ - طرفه في: ٧٣٢٠].

[٣٤٥٧] ٣٣٤١ - نا عمران بن ميسرة قال نا عبد الوارث قال نا خالد عن أبي قلابة عن أنس قال: ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى، فأمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة.

[٣٤٥٨] ٣٣٤٢ - نا محمد بن يوسف قال نا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة كانت تكره أن يجعل يده في خاصرته وتقول: إن اليهود تفعله.

تابعه شعبة عن الأعمش.

[٣٤٥٩] ٣٣٤٣ - نا قتيبة بن سعيد قال نا الليث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه قال: «إنما أجلكم - في أجل من خلا من الأمم - ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط. ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على

قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس، ألا لكم الأجر مرتين. فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً، قال الله عز وجل: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فإنه فضلي، أعطيه من شئت.

[٣٤٦٠] ٣٣٤٤ - نا علي بن عبد الله المدني قال نا سفيان عن عمرو عن طاوس عن ابن عباس قال سمعتُ عمر يقول: قاتل الله فلاناً، ألم يعلم أن النبي صلى الله عليه قال: «لعن الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم فجملوا فباعوها».

تابعه جابر وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه.

[٣٤٦١] ٣٣٤٥ - نا أبو عاصم الضحاك بن مخلد قال نا الأوزاعي قال نا حسان بن عطية عن أبي كبشة عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

[٣٤٦٢] ٣٣٤٦ - نا عبد العزيز بن عبد الله قال نا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة قال: إن رسول الله صلى الله عليه قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم».

[الحديث ٣٤٦٢ - طرفه في: ٥٨٩٩].

[٣٤٦٣] ٣٣٤٧ - نا محمد قال نا حجاج قال نا جرير عن الحسن قال نا جندب بن عبد الله في هذا المسجد، وما نسينا منذ حدثنا، وما نخشى أن يكون جندب كذب على النبي صلى الله عليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده، فما رقا الدم حتى مات، قال الله عز وجل: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة».

قوله (باب ما ذكر عن بني إسرائيل) أي ذرية يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وإسرائيل لقب يعقوب، أي من الأعاجيب التي كانت في زمانهم، ذكر فيه أربعة وثلاثين حديثاً: الحديث الأول وهو يشتمل على ثلاثة أحاديث وقوله «حدثنا موسى بن إسماعيل» هذا هو الصواب. ولبعضهم «حدثنا مسدد» بدل «موسى» وليس بصواب لأن رواية مسدد ستأتي في آخر هذا الباب موصولة، ورواية موسى معلقة من أجل كلمة اختلفا فيها على أبي عوانة وكلام أبي على الغساني يوم أن ذلك وقع هنا وليس كذلك. وقوله «حدثنا عبد الملك» هو ابن عمير.

قوله (قال عقبه بن عمرو) هو أبو مسعود الأنصاري المعروف بالبدرى .

قوله (إن مع الدجال إذا خرج ماء) الحديث يأتي الكلام عليه مستوفى في كتاب الفتن ، والغرض منه هنا إيراد ما يليه وهو قصة الرجل الذي كان يبايع الناس ، وقصة الرجل الذي أوصى بنيه أن يحرقوه . فأما قصة الذي كان يبايع الناس فقد أوردناها أيضاً في أواخر هذا الباب من حديث أبي هريرة ، وتقدم الكلام عليه في أثناء كتاب البيوع ، وقوله في هذه الرواية « كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم ، أى أقاضيهم ، والمجازاة المقاضاة ، أى آخذ منهم وأعطى . ووقع في رواية الإسماعيلي « وأجاز فهم » بالجيم والزاي والفاء ، وفي أخرى بالمهملة والراء ، وكلاهما تصحيف لا يظهر ، والله أعلم . وأما قصة الذي أوصى بنيه أن يحرقوه فسيأتي الكلام عليها في أواخر هذا الباب حيث أوردته المصنف مفرداً إن شاء الله تعالى .

قوله (فامتحشت) بضم المثناة وكسر المهمله بعدها معجمة أى احترقت ، ولبعضهم بوزن احترقت وهو أشبه . وقوله (ثم انظروا يوماً راحاً) أى شديد الريح .

قوله في آخره (قال عقبه بن عمرو ، وأنا سمعته) يعنى النبي صلى الله عليه وسلم (يقول ذلك ، وكان نباشاً) ظاهره أن الذي سمعه أبو مسعود هو الحديث الأخير فقط ، لكن تبين من رواية شعبة عن عبد الملك بن عمير أنه سمع الجميع ، فإنه أورد في الفتن قصة الذي كان يبايع الناس من حديث حذيفة ، وقال في آخره « قال أبو مسعود وأنا سمعته » وكذلك قال في حديث الذي أوصى بنيه كما سيأتي في أواخر هذا الباب ، وقوله « وكان نباشاً » ظاهره أنه من زيادة أبي مسعود في الحديث ، لكن أورد ابن حبان من طريق ربيع عن حذيفة قال « توفي رجل كان نباشاً فقال لولده أحرقوني » فدل على أن قوله « كان نباشاً » من رواية حذيفة وأبي مسعود معاً . ووقع في رواية للطبراني بلفظ « بينما حذيفة وأبو مسعود جالسين فقال أحدهما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن رجلاً من بني إسرائيل كان ينبش القبور » فذكره ، وعرف منها وجه دخوله في هذا الباب . الحديث الثاني .

قوله (لما نزل) بضم أوله ، وفي نسخة عند أبي ذر بفتحيتين (برسول الله صلى الله عليه وسلم) يعنى الموت أو ملك الموت ، ونقل النووي أنه في مسلم للأكثر بالضم ، في رواية بزيادة مثناة يعنى المنية ، أوردته مختصراً وقد تقدم بآتم من هذا في الصلاة . ويأتى شرحه في أواخر المغازي إن شاء الله تعالى ، والغرض منه ذم اليهود والنصارى في اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد ، وعبد الله الذي في الإسناد هو ابن المبارك . الحديث الثالث .

قوله (عن فرات القزاز) بقاف وزاين معجمتين وهو فرات بضم الفاء وتخفيف الراء آخره مثناة ابن عبد الرحمن ، وأبو حازم هو سلمان الأشجعي .

قوله (تسومهم الأنبياء) أى أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبياً يقيم لهم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة ، وفيه إشارة إلى أنه لابد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم .

قوله (وإنه لا نبي بعدى) أى فيفعل ما كان أولئك يفعلون .

قوله (وسيكون خلفاء) أى بعدى ، وقوله (فيكثرون) بالمثلثة وحكى عياض أن منهم من ضبطه بالموحدة وهو تصحيف ، ووجه بأن المراد إكبار قبيح فعلهم .

قوله (فوا) فعل أمر بالوفاء ، والمعنى أنه إذا بويع الخليفة بعد خليفة فيبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثانى باطلة ، قال النووى : سواء عقدوا للثانى عالين بعقد الأول أم لا ، سواء كانوا فى بلد واحد أو أكثر ، سواء كانوا فى بلد الإمام المنفصل أم لا . هذا هو الصواب الذى عليه الجمهور ، وقيل تكون لمن عقدت له فى بلد الإمام دون غيره ، وقيل يقرع بينهما قال : وهما قولان فاسدان . وقال القرطبي : فى هذا الحديث حكم بيعة الأول وأنه يجب الوفاء بها ، وسكت عن بيعة الثانى . وقد نص عليه فى حديث وعرفجة فى صحيح مسلم حيث قال « فاضربوا عنق الآخر » .

قوله (أعطوهم حقهم) أى أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة ، فإن الله يحاسبهم على ما يفعلونه بكم ، وستأتى تنمة القول فى ذلك فى أوائل كتاب الفتن .

قوله (فإن الله سائلهم عما استرعاهم) هو كحديث ابن عمر المتقدم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وسيأتى شرحه فى كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى . وفى الحديث تقديم أمر الدين على أمر الدنيا لأنه صلى الله عليه وسلم أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر ، وتأخير أمر المطالبة بحقه لا يسقطه ، وقد وعده الله أنه يخلصه ويوفيه إياه ولو فى الدار الآخرة : الحديث الرابع حديث أبى سعيد .

قوله (لتبعن) بضم العين وتشديد النون (سن) بفتح المهملة أى طريق (من قبلكم) أى الذين قبلكم .

قوله (جحر) بضم الجيم وسكون المهملة (ضب) ابفتح المعجمة وتشديد الموحدة دويبة معروفة يقال خصت بالذكر لأن الضب يقال له قاضى البهائم . والذى يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته ، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا فى مثل هذا الضيق الردىء لتبعوهم .

قوله (قال النبي صلى الله عليه وسلم : فن) ؟ هو استفهام إنكارى ، أى ليس المراد غيرهم ، وسيأتى بقية الكلام على هذا الحديث فى كتاب الاعتصام . الحديث الخامس حديث أنس « ذكروا النار والناقوس » الحديث أورده مختصراً ، وقد مضى شرحه تاماً فى كتاب الصلاة . الحديث السادس حديث عائشة « كانت تكره أن يجعل المصلى يده فى خاصرته وتقول إن اليهود تفعله » فى رواية أبى نعيم من طريق أحمد بن الفرات عن محمد بن يوسف شيخ البخارى فيه بلفظ « إنها كرهت الاختصار فى الصلاة وقالت : إنما يفعل ذلك اليهود » ووقع عند الإسماعيلى من طريق يزيد بن هارون عن سفيان وهو الثورى بهذا الإسناد ، يعنى وضع اليد على الخاصرة فى الصلاة ، وقد تقدم البحث فى هذه المسألة فى أواخر الصلاة فى الكلام على حديث أبى هريرة « نهى على الحصر فى الصلاة » .

قوله (تابعه شعبة عن الأعمش) وصله ابن أبي شيبة من طريقه . الحديث السابع حديث ابن عمر « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا » الحديث ، تقدم شرحه مستوفى في كتاب الصلاة . الحديث الثامن حديث عمر « قاتل الله فلاناً » أورده مختصراً ، وقد تقدم تماماً في كتاب البيوع في أواخره مع شرحه .

قوله (تابعه جابر وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم) يعنى في تحريم شحوم الميتة دون القصة ، فأما حديث جابر فوصله المصنف في أواخر البيوع وفيه غير ذلك ، وتقدم شرحه هناك . وأما حديث أبي هريرة فوصله المصنف في أواخر البيوع أيضاً من طريق سعيد بن المسيب عنه . الحديث التاسع .

قوله (عن أبي كبشة السلولى) تقدم ذكره في كتاب الهبة في حديث آخر ، وليس له في البخارى سوى هذين الحديثين .

قوله (بلغوا عنى ولو آية) قال المعافى النهروانى فى « كتاب المجلس » له الآية فى اللغة تطلق على ثلاثة معان : العلامة الفاصلة ، والأعجوبة الحاصلة ، والبلية النازلة . فمن الأول قوله تعالى ﴿ آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ﴾ ومن الثانى ﴿ إن فى ذلك لآية ﴾ ومن الثالث جعل الأمير فلاناً اليوم آية . ويجمع بين هذه المعانى الثلاثة أنه قيل لها آية لدلالاتها وفصلها وإبانها . وقال فى الحديث « ولو آية » أى واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآى ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به صلى الله عليه وسلم . اهـ كلامه .

قوله (وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) أى لا ضيق عليكم فى الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم النظر فى كتبهم ثم حصل التوسع فى ذلك ، وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الأذن فى ذلك لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار ، وقيل معنى قوله « لا حرج » : لا تضيق صلوركم بما تسمعونهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيراً ، وقيل لا حرج فى أن لا تحدثوا عنهم لأن قوله أولاً « حدثوا » صيغة أمر تقتضى الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله « ولا حرج » أى فى ترك التحديث عنهم . قيل المراد رفع الحرج عن حاكى ذلك لما فى أخبارهم من الألفاظ الشنيعة نحو قولهم ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا ﴾ وقولهم ﴿ اجعل لنا إلهاً ﴾ وقيل المراد بنى إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب ، والمراد حدثوا عنهم بقصصهم مع أخيه يوسف ، وهذا أبعد الأوجه . وقال مالك المراد جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن ، أما ما علم كذبه فلا . وقيل المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد فى القرآن والحديث الصحيح . وقيل المراد جواز التحديث عنهم بأى صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال فى التحديث عنهم ، بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل فى التحديث بها الاتصال ، ولا يتعذر ذلك لقرب العهد . وقال الشافعى : من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز التحديث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بنى إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحديث به عنهم

وهو نظير قوله « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه .

قوله (ومن كذب على متعمداً) تقدم شرحه مستوفى في كتاب العلم ، وذكرت عدد من رواه وصفة مخارجه بما يغنى عن الإعادة . وقد اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه من الكبائر ، حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فحكم بكفر من وقع منه ذلك ، وكلام القاضي أبي بكر العربي يميل إليه . وجهل من قال من الكرامية وبعض المتزهدة إن الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم يجوز فيما يتعلق بتقوية أمر الدين وطريقة أهل السنة والترغيب والترهيب ، واعتلوا بأن الوعيد ورد في حق من كذب عليه لا في الكذب له ، وهو اعتلال باطل لأن المراد بالوعيد من نقل عنه الكذب سواء كان له أو عليه والدين بحمد الله كامل غير محتاج إلى تقويته بالكذب . الحديث العاشر .

قوله (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم) يقتضى مشروعية الصبغ ، والمراد به صبغ شيب اللحية والرأس ، ولا يعارضه ما ورد من النهى عن إزالة الشيب لأن الصبغ لا يقتضى الإزالة . ثم إن المأذون فيه مقيد بغير السواد ، لما أخرجه مسلم من حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال « غيروه وجنبوه السواد » ولأبي داود وصححه ابن حبان من حديث ابن عباس مرفوعاً « يكون قوم في آخر الزمان يخضبون كحواصل الحمام لا يجدون ريح الجنة » وإسناده قوى ، إلا أنه اختلف في رفعه ووقفه ، وعلى تقدير ترجيح وقفه فثله لا يقال بالرأى فحكمه الرفع ، ولهذا اختار النووي أن الصبغ بالسواد يكره كراهية تحريم . وعن الحلبي أن الكراهة خاصة بالرجال دون النساء فيجوز ذلك للمرأة لأجل زوجها . وقال مالك : الحناء والكمم واسع ، والصبغ بغير السواد أحب إلى . ويستثنى من ذلك المجاهد اتفاقاً . وليس المراد بالصبغ في هذا الحديث صبغ الثياب ولا خضب اليدين والرجلين بالحناء مثلاً لأن اليهود والنصارى لا يتركون ذلك ، وقد صرح الشافعية بتحريم لبس الثياب المزعفرة للرجل وبتحريم خضب الرجال أيديهم وأرجلهم إلا للتداوى ، وسيأتى بسط القول في ذلك في كتاب اللباس إن شاء الله تعالى . الحديث الحادى عشر .

قوله (حدثنا محمد) هو ابن معمر ، نسبه ابن السكن عن الفربرى ، وقيل هو الذهلى .

قوله (حدثنا حجاج) هو ابن منهل وجريير هو ابن حازم والحسن هو البصرى .

قوله (فى هذا المسجد) هو مسجد البصرة .

قوله (وما نسينا منذ حدثنا) أشار بذلك إلى تحققه لما حدث به وقرب عهده به واستمرار ذكره له .

قوله (وما تخشى أن يكون جندب كذب) فيه إشارة إلى أن الصحابة عدول ، وأن الكذب مأمون من قبلهم ولا سيما على النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله (كان فيمن كان قبلكم رجل) لم أقف على اسمه .

قوله (به جرح) بضم الجيم وسكون الراء بعدها مهملة ، وتقدم في الجناز بلفظ به جراح وهو بكسر الجيم ، وذكره بعضهم بضم المعجمة وآخره جيم وهو تصحيف ، ووقع في رواية مسلم « إن

رجلا خرجت به قرحة « وهى بفتح القاف وسكون الراء : حبة تخرج فى البدن ، وكأنه كان به جرح ثم صار قرحة .

قوله (فجزع) أى فلم يصبر على ألم تلك القرحة .

قوله (فأخذ سكيناً فحز بها يده) السكين تذكر وتؤنث ، وقوله « حز » بالحاء المهملة والزاي هو القطع بغير إبانة ، ووقع فى رواية مسلم « فلما آذته انتزع سها من كنانته فنكأها » وهو بالنون والهمز أى نحس موضع الجرح ، ويمكن الجمع بأن يكون فجر الجرح بذبابة السهم فلم ينفعه فحز موضعه بالسكين ، ودلت رواية البخارى على أن الجرح كان فى يده .

قوله (فمارقاً الدم) بالقاف والهمز أى لم ينقطع .

قوله (قال الله عز وجل : بادرنى عبدي نفسه) هو كناية عن استعجال المذكور الموت ، وسيأتى البحث فيه . وقوله « حرمت عليه الجنة » جار مجرى التعليل للعقوبة لأنه لما استعجل الموت بتعاطى سببه من إنفاذ مقاتله فجعل له فيه اختياراً عصى الله به فناسب أن يعاقبه . ودل ذلك على أنه حزها لإرادة الموت لا لقصد مداواة التى يغلب على الظن الانتفاع بها . وقد استشكل قوله « بادرنى بنفسه » وقوله « حرمت عليه الجنة » لأن الأول يقتضى أن يكون من قتل فقد مات قبل أجله لما يوهمه سياق الحديث من أنه لو لم يقتل نفسه كان قد تأخر عن ذلك الوقت وعاش ، لكنه بادر فتقدم ، والثانى يقتضى تخليد الموحّد فى النار . والجواب عن الأول أن المبادرة من حيث التسبب فى ذلك والقصد له والاختيار ، وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها وإنما استحق المعاقبة لأن الله لم يطلعه على انقضاء أجله فاختر هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة لعصيانه . وقال القاضى أبو بكر : قضاء الله مطلق ومقيد بصفة ، فالمطلق يمضى على الوجه بلا صارف ، والمقيد على الوجهين مثاله أن يقدر لواحد أن يعيش عشرين سنة إن قتل نفسه وثلاثين سنة إن لم يقتل وهذا بالنسبة إلى ما يعلم به المخلوق كملك الموت مثلاً ، وأما بالنسبة إلى علم الله فإنه لا يقع إلا ما علمه . ونظير ذلك الواجب المخير فالواقع منه معلوم عند الله والعبد مخير فى أى الحصل يفعل ، والجواب عن الثانى من أوجه : أحدها أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافراً . ثانيها كان كافراً فى الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره . ثالثها أن المراد الجنة حرمت عليه فى وقت ما كالوقت الذى يدخل فيه السابقون أو الوقت الذى يعذب فيه الموحّدون فى النار ثم يخرجون . رابعها أن المراد جنة معينة كالفر دوس مثلاً . خامسها أن ذلك ورد فى سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد . سادسها أن التقدير حرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك . سابعها قال النووى يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها . وفى الحديث تحريم قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أم غيره ، وقتل الغير يؤخذ تحريمه من هذا الحديث بطريق الأولى . وفيه الوقوف عند حقوق الله ورحمته بخلقه حيث حرم عليهم قتل نفوسهم وأن الأنفس ملك الله . وفيه التحذير عن الأمم الماضية وفضيلة الصبر على البلاء وترك التضجر من الآلام لئلا يفضى إلى أشد منها . وفيه تحريم تعاطى الأسباب المفضية إلى قتل النفس وفيه التنبيه على أن حكم السراية على ما يترتب عليه ابتداء القتل وفيه

الاحتياط في التحديث وكيفية الضبط له والتحفظ فيه بذكر المكان والإشارة إلى ضبط المحدث وتوثيقه لمن حدثه ليركن السامع لذلك ، والله أعلم .

حديث أبرص وأقرع وأعمى

[٣٤٦٤] ٣٣٤٨ - نا أحمد بن إسحاق قال نا عمرو بن عاصم قال نا همام قال نا إسحاق بن عبد الله قال نا عبد الرحمن بن أبي عمرة نا أباهريرة حدثه أنه سمع النبي صلى الله عليه ... ح .

وحدثني محمد قال نا عبد الله بن رجاء قال نا همام عن إسحاق بن عبد الله قال نا عبد الرحمن بن أبي عمرة نا أباهريرة حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه يقول : « إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا ، فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ، قد قدرني الناس . قال : فمسحه فذهب ، فأعطني لونا حسنا وجلدا حسنا . فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل - أو قال : البقر ، هو شك في ذلك : إن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل ، وقال الآخر : البقر - فأعطني ناقة عشراء ، فقال : يبارك لك فيها ، وأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب هذا عني ، قد قدرني الناس . قال : فمسحه فذهب ، وأعطني شعرا حسنا . قال : فأني المال أحب إليك ؟ قال : البقر . قال : فأعطاه بقرة حاملا ، وقال : يبارك لك فيها . وأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس ، فمسحه ، فرد الله بصره . قال : فأني المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطاه شاة والدأ ، فأنج هذا وولد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من بقر ، ولهذا واد من غنم ، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك - بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال - بعيرا أتبلغ به في سفري . قال له : إن الحقوق كثيرة . فقال له : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقدرك الناس فقيرا فأعطاك الله ؟ فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت . وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت . وأتى الأعمى في صورته فقال : رجل مسكين وابن السبيل وتقطعت به الحبال في سفره ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري . وقال : قد كنت أعمى فرد الله بصري وفقيرا ، فخذ ما شئت ، فوالله

لا أحمدك اليوم بشيء أخذته لله . فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتكم ، فقد رضي عنك ، وسخط على صاحبك .»

[الحديث ٣٤٦٤ - طرفه في : ٦٦٥٣]

قوله (حديث أبرص وأقرع وأعمى) هكذا ترجم لهذا الحديث في أثناء ذكر بني إسرائيل وهو الحديث الثاني عشر .

قوله (حدثنا أحمد بن إسحق) هو السرمارى بفتح المهملة ويجوز كسرهما وبعدها راء ساكنة نسبة إلى سمرارة من قرى بخارى ، الزاهد المجاهد وهو من أقران البخارى ، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

قوله في السند الثاني (وحدثني محمد حدثنا عبد الله بن رجاء) يقال إن محمداً هذا هو الذهلي ، ويقال إنه المصنف نفسه كما قيل في الحديث الذى قبله ، ويؤيد ذلك أنه روى عن عبد الله بن رجاء في اللفظة وعدة مواضع بغير واسطة ، لكن جزم أبو ذر بأنه عند المصنف عن محمد غير منسوب عن عبد الله بن رجاء وجوز أنه الذهلي وساقه عن الجوزقي عن مكى بن عبدان عن الذهلي بطوله ، وكذلك جزم أبو نعيم وساقه من طريق موسى بن العباس عن محمد بن يحيى ، وسيأتى في التوحيد حديث آخر أخرجه البخارى بهذين السندين سواء إلى أبي هريرة ، وليس في البخارى لإسحق ابن أبي طلحة عن عبد الرحمن بن أبي عمرة سوى هذين الحديثين .

قوله (عن إسحق بن عبد الله) هو ابن أبي طلحة صرح به شيبان في روايته عن همام عند مسلم والإسماعيلي .

قوله (بدا لله) بتخفيف الدال المهملة بغير همز أى سبق في علم الله فأراد إظهاره ، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافياً لأن ذلك محال في حق الله تعالى ، وقد أخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بهذا الإسناد بلفظ « أراد الله أن يتليهم » ، فلعل التغيير فيه من الرواة ، مع أن في الرواية أيضاً نظراً لأنه لم يزل مريداً والمعنى أظهر الله ذلك فيهم . وقيل معنى أراد قضى . وقال صاحب « المطالع » ضبطناه على متقنى شيوخنأ بالهمز أى ابتداء الله أن يتليهم ، قال : رواه كثير من الشيوخ بغير همز وهو خطأ انتهى . وسبق إلى التخطئة أيضاً الخطابي ، وليس كما قال لأنه موجه كما ترى ، وأولى ما يحمل عليه أن المراد قضى الله أن يتليهم ، وأما البدء الذى يراد به تغير الأمر عما كان عليه فلا .

قوله (قدرنى الناس بفتح القاف والذال) المعجمة المكسورة أى اشمأزوا من رؤيتى . وفي رواية حكاهما الكرمانى « قدرونى الناس » وهى على لغة أكلونى البراغيث .

قوله (فسحه) أى مسح على جسمه .

قوله (فقال وأى المال) في رواية الكشميهنى بحذف الواو .

قوله (الإبل) أو قال البقر ، هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر

البقر (وقع عند مسلم عن شيبان بن فوخ عن همام التصريح بأن الذى شك فى ذلك هو إسحق بن عبد الله ابن أبى طلحة راوى الحديث .

قوله (فأعطى ناقة عشراء) أى الذى تمنى الإبل ، والعشراء بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة مع المد هى الحامل التى أتى عليها فى حملها عشرة أشهر من يوم طرقتها الفحل ، وقيل يقال لما ذلك إلى أن تلد وبعد ما تضع ، وهى من أنفس المال .

قوله (يبارك لك فيها) كذا وقع « يبارك » بضم أوله . وفى رواية شيبان « بارك الله » بلفظ الفعل الماضى وإبراز الفاعل .

قوله (فسحه) أى مسح على عينيه .

قوله (شاة والدأ) أى ذات ولد ويقال حامل .

قوله (فأنج هذان) أى صاحب الإبل والبقر (وولد هذا) أى صاحب الشاة ، وهو بتشديد اللام ، ، وأنج فى مثل هذا شاذ والمشهور فى اللغة نتجت الناقة بضم النون ونتج الرجل الناقة أى حمل عليها الفحل ، وقد سمع أنتجت الفرس إذا ولدت فهى نتوج .

قوله (ثم إنه أتى الأبرص فى صورته) أى فى الصورة التى كان عليها لما اجتمع به وهو أبرص ليكون ذلك أبلغ فى إقامة الحجة عليه .

قوله (رجل مسكين) زاد شيبان وابن سبيل (تقطعت به الحبال فى سفره) فى رواية الكشميهنى « بى الحبال فى سفرى » والحبال بكسر المهملة بعدها موحدة خفيفة جمع حبل أى الأسباب التى يقطعها فى طلب الرزق ، وقيل العقبات ، وقيل الحبل هو المستطيل من الرمل . ولبعض رواه مسلم « الحبال » بالمهملة والتحتانية جمع حيلة ، أى لم يبق لى حيلة ، ولبعض رواه البخارى « الجبال » وبالجم والموحدة وهو تصحيف ، قال ابن التين قول الملك له « رجل مسكين الخ » أراد أنك كنت هكذا ، وهو من المعاريض والمراد به ضرب المثل ليتيقظ المخاطب .

قوله (أتبلغ عليه) فى رواية الكشميهنى « أتبلغ به » وأتبلغ بالغين المعجمة من البلغة وهى الكفاية والمعنى أتوصل به إلى مرادى .

قوله (لقد ورثت لكابر عن كابر) فى رواية الكشميهنى « كابرأ عن كابر » وفى رواية شيبان « إنما ورثت هذا المال كابرأ عن كابر » أى كبير عن كبير فى العز والشرف .

قوله (فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله) أورده بلفظ الفعل الماضى لانه أراد المبالغة فى الدعاء عليه .

قوله (فخذ ما شئت) زاد شيبان « ودع ما شئت » .

قوله (لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله) كذا فى البخارى بالمهملة والميم ، كذا قال عياض إن رواة البخارى لم تختلف فى ذلك ، وليس كما قال ، والمعنى لا أحمدك على ترك شيء تحتاج إليه من مالى ، كما قال الشاعر « وليس على طول الحياة تندم » أى فوت طول الحياة ، وفى رواية كريمة وأكثر روايات

مسلم « لا أجهدك » بالجيم والهاء أى لا أشق عليك فى رد شىء تطلبه منى أو تأخذه ، قال عياض : لم يتضح هذا المعنى لبعض الناس فقال لعله « لا أحذك » بمهملة وتشديد الدال بغير ميم أى لا أمنعك ، قال : وهذا تكلف انتهى . ويحتمل أن يكون قوله « أحذك » بتشديد الميم أى لا أطلب منك الحمد ، من قولهم فلأن يتحمد على فلان أى يمتن عليه ، أى لا أمتن عليك .

قوله (فإنما ابتليتم) أى امتحنتم .

قوله (فقد رضى عنك) بضم أوله على البناء للمجهول فى رضى وسخط ، قال الكرمانى ما محصله كان مزاج الأعمى أصبح من مزاج رفيقيه ، لأن البرص مرض يحصل من فساد المزاج وخلل الطبيعة وكذلك القرع ، بخلاف العمى فإنه لا يستلزم ذلك بل قد يكون من أمر خارج ، فلهذا حسنت طباع الأعمى وساءت طباع الآخرين . وفى الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه ولا يكون ذلك غيبة فيهم ، ولعل هذا هو السر فى ترك تسميتهم ، ولم يفصح بما اتفق لهم بعد ذلك ، والذي يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك . وفيه التحذير من كفران النعم والترغيب فى شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها ، وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم ، وفيه الزجر عن البخل ، لأنه حمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ﴾ : الفتح فى الجبل ، ﴿ وَالرَّقِيمِ ﴾ : الكتاب . ﴿ مَرْقُومٌ ﴾ : مكتوب ، من الرقم . ﴿ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ : ألهمناهم صبراً . ﴿ شَطَطًا ﴾ : إفراطاً . ﴿ الْوَصِيدِ ﴾ : الفناء ، وجمعه وصائد ووُصِد ، ويقال : الوصيد الباب . ﴿ مُؤَصَّدَةً ﴾ : مطبقة ، آصد الباب وأوصد . ﴿ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ : أحييناهم . ﴿ أَزْكَى ﴾ : أكثر ريعاً . فضرَبَ الله على آذانهم : فناموا . ﴿ رَجَمًا بِالْغَيْبِ ﴾ : لم يستبن . وقال مجاهد : ﴿ تَقْرِضُهُمْ ﴾ : تتركهم .

قوله (أم حسبت أن أصحاب الكهف) كذا لأبى ذر عن المستمل والكشميني وحدهما إلى آخر الترجمة ، ولغيره فى أوله « باب » ولم يورد فى ذلك إلا تفاسير مما وقع فى قصة أصحاب الكهف ، وسقط كله من رواية النسفى .

قوله (الكهف الفتح فى الجبل) هو قول الضحاك أخرجه عنه ابن أبى حاتم ، واختلف فى مكان الكهف فالذى تضافرت به الأخبار أنه فى بلاد الروم . وروى الطبرى بإسناد ضعيف عن ابن عباس أنه بالقرب من أيلة ، وقيل بالقرب من طرسوس ، وقيل بين أيلة وفلسطين ، وقيل بالقرب من زيزاء ، وقيل بقرناطة من الأندلس . وفى تفسير ابن مردويه عن ابن عباس : أصحاب الكهف أعوان المهدي وسنده ضعيف ، فإن ثبت حمل على أنهم لم يموتوا بل هم فى المنام إلى أن يبعثوا لإعانة المهدي . وقد ورد فى حديث آخر بسند واه أنهم يحجون مع عيسى بن مريم .

قوله (والرقم الكتاب مرقوم مكتوب من الرقم) روى الطبرى من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : الرقم الكتاب ، وقوله مرقوم مكتوب هو قول أبى عبيدة قاله تفسير قوله : ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ ووراء ذلك أقوال أخرى ، فأخرج الطبرى من طريق سعيد عن قتادة ومن طريق عطية العوفى وكذا قال أبو عبيدة الرقم الوادى الذى فيه الكهف ، وأخرج الطبرى أيضاً من طريق ابن عباس عن كعب الأحبار قال : هو اسم القرية. وروى ابن أبى حاتم من طريق أنس بن مالك ومن طريق سعيد بن جبير أن الرقم اسم الكلب ، وقيل الرقم هو الغار كما سألينه فى حديث الغار ، وقيل الرقم الصخرة التى أطبقت على الوادى ، وسيأتى فى تفسير سورة الكهف قول ابن عباس إن الرقم لوح من رصاص كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف لما توجهوا عن قومهم ولم يدروا أين توجهوا ، وسأشير إليه هنا مختصراً . وقيل إن الذى كان مكتوباً فى الرقم شرعهم الذى كانوا عليه . وقيل الرقم الدواة . وقال قوم أخبر الله عن قصة أصحاب الكهف ولم يخبر عن قصة أصحاب الرقم . قلت : وليس كذلك ، بل السياق يقتضى أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقم والله أعلم .

قوله (ربطنا على قلوبهم : ألهمناهم صبرا) هو قول أبى عبيدة .

قوله (شططاً : إفراطاً) قال أبو عبيدة فى قوله ﴿ لقد قلنا إذا شططاً ﴾ أى جوراً وغلواً ، قال

الشاعر :

ألا يا لقوى قد أشطت عراذلى ويزعمن أن أودى بحقى باطلى

وروى الطبرى عن سعيد عن قتادة فى قوله (شططاً) قال : كذباً .

قوله (الوصيد الفناء) هو بكسر الفاء والمد ، وهو قول ابن عباس أخرجه ابن أبى حاتم وابن

جرير عن سعيد بن جبير .

قوله (وجهه وصائد ووصد ، ويقال الوصيد الباب ، مؤصدة مطبقة آصد الباب وأوصد) قال

أبو عبيدة فى قوله ﴿ وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾ أى على الباب وبفناء الباب ، لأن الباب يؤصد أى يغلق والجمع وصائد ووصد ، وقالوا الوصيد عتبة الباب أيضاً تقول : أوصد بابك وآصده ، وذكر الطبرى عن أبى عمرو بن العلاء أن أهل اليمن وتهامة يقولون الوصيد ، وأهل نجد يقولون الأصيد .

قوله (مؤصدة مطبقة) قال أبو عبيدة فى قوله ﴿ نار مؤصدة ﴾ أى مطبقة تقول : أوصدت

وأصدت أى أطبقت ، وهذا ذكره المؤلف استطراداً .

قوله (بعثناهم : أحييناهم) هو قول أبى عبيدة أيضاً .

قوله (أزكى : أكثر ريعاً) قال أبو عبيدة فى قوله ﴿ أيها أزكى طعاماً ﴾ أى أكثر ، قال

الشاعر :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع أزكى من ثلاث وأطيب

وروى عبد الرزاق فى تفسيره عن معمر عن قتادة فى قوله ﴿ أزكى طعاماً ﴾ قال : خير طعاماً ،

وروى الطبرى عن سعيد بن جبير أحل ، ورجحه الطبرى .

قوله (فضرب الله على آذانهم فناموا) هو قول ابن عباس كما سأذكره من طريقه ، وقيل معنى ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أى سدّدنا عن نفوذ الأصوات إليها .

قوله (رجماً بالغيب لم يستبن) قال عبد الرزاق فى تفسيره عن معمر عن قتادة فى قوله ﴿ رجماً بالغيب ﴾ قال : قدفاً بالظن ، وقال أبو عبيدة فى قوله ﴿ رجماً بالغيب ﴾ قال : الرجم ما لم يستيقنه من الظن قال الشاعر :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقم وما هو عنها بالحديث المرجم

قوله (وقال مجاهد تقرضهم تركهم) يأتى الكلام عليه فى التفسير .

(تنبيه) : لم يذكر المصنف فى هذه الترجمة حديثاً مسنداً . وقد روى عبد بن حميد بإسناد صحيح عن ابن عباس قصة أصحاب الكهف مطولة غير مرفوعة ، وملخص ما ذكر أن ابن عباس غزا مع معاوية الصائفة فروا بالكهف الذى ذكر الله فى القرآن ، فقال معاوية أريد أن أكشف عنهم ، ففنه ابن عباس ، فصمم وبعث ناساً ، فبعث الله رجلاً فأخرجتهم ، قال فبلغ ابن عباس فقال : إنهم كانوا فى مملكة جبار يعبد الأوثان فلما رأوا ذلك خرجوا منها فجمعهم الله على غير ميعاد ، فأخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق ، فجاء أهاليهم يطلبونهم ففقدوهم ، فأخبروا الملك فأمر بكتابة أسماهم فى لوح من رصاص وجعله فى خزانته فدخل الفتية الكهف فضرب الله على آذانهم فناموا ، فأرسل الله من يقلبهم وحول الشمس عنهم فلو طلعت عليهم لأحرقتهم ، ولولا أنهم يقلبون لأكلتهم الأرض . ثم ذهب ذلك الملك وجاء آخر فكسر الأوثان وعبد الله وعدل ، فبعث الله أصحاب الكهف فأرسلوا واحداً منهم يأتيتهم بما يأكلون فدخل المدينة مستخفياً فرأى هيئة وناساً أنكرهم لطول المدة ، فدفع درهماً إلى خباز فاستنكر ضربه وهم بأن يرفعه إلى الملك ، فتعال أتخرفنى بالملك وأبى دهقانه ؟ فقال : من أبوك ؟ قال فلان ، فلم يعرفه ، فاجتمع الناس فرفعوه إلى الملك فسأله فقال على باللوح وكان قد سمع به فسمى أصحابه فعرفهم من اللوح ، فكبر الناس وانطلقوا إلى الكهف وسبق الفتى لثلاثاً يخافوا من الجيش ، فلما دخل عليهم عمى الله على الملك ومن معه المكان فلم يدرك أين يذهب الفتى ، فاتفق رأيهم على أن يبنوا علم مسجداً فجعلوا يستغفرون لهم ويدعون لهم . وذكر ابن أبى حاتم فى تفسيره عن شهر بن حوشب قال : كان لى صاحب قوى النفس ، فر بالكهف فأراد أن يدخله فهى ، فأبى ، فأشرف عليهم فابيضت عيناه وتغير شعره . وعن عكرمة أن السبب فيما جرى لهم أنهم تذكروا هل يبعث الله الروح والجسد أو الروح فقط ، فألقى الله عليهم النوم فناموا المدة المذكورة ثم بعثهم فعرفوا أن الجسد يبعث كما تبعث الروح . وعن ابن عباس أن اسم الملك الأول دقيانوس واسم الفتية مكسلمينا ونخشايشا وتمليخا ومرطونس وكنشطونس وبيرونس ودينموس ، وفى النطق بها اختلاف كثير ، ولا يقع الوثوق من ضبطها بشيء . وأخرج أيضاً عن مجاهد أن اسم كلهم قطمير ، وعن الحسن قطمير ، وقيل غير ذلك . وأما لونه فقال مجاهد كان أصفر وقيل غير ذلك . وعن مجاهد أن دراهمهم كانت كخفاف الإبل وإن تمليخا هو الذى كان رسولهم لشراء الطعام . وقد ساق ابن إسحق قصتهم فى « المبتدأ » مطولة ، وأفاد أن اسم الملك الصالح الذى

عاشوا في زمنه بتدريس (١) وروى الطبري من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير أن الكلب الذي كان معهم كان كلب صيد ، وعن وهب بن منبه أنه كان كلب حرث ، وعن مقاتل كان الكلب لكبيرهم وكان كلب غنم ، وقيل كان إنساناً طبأخاً تبعهم وليس بكلب حقيقة ، والأول المعتمد

حديث الغار

٣٣٤٩ - نا إسماعيل بن خليل قال نا علي بن مسهر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه قال : «بينما ثلاثة نفر من قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر ، فأووا إلى غار فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه . فقال : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز ، فذهب وتركه ، وأناي عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته ، فصار من أمره أني اشتريت منه بقرأ ، وأنه أتاني يطلب أجره ، فقلت : اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها . فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا . فانساخت عنهم الصخرة . فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أن لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي ، فأبطأت عنهما ليلة ، فجئت وقد رقدا ، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع ، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي ، فكرهت أن أوقظهما ، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر . فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء . فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي بنت عم من أحب الناس إلي ، وإنني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار ، فطلبتها حتى قدرت ، فأتيتها بها فدفعتها إليها ، فأمكنني من نفسها ، فلما قعدت بين رجلها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقممت وتركتم المائة دينار . فإن كنت تعلم أني فعلت من خشيتك ففرج عنا ، ففرج الله عنهم فخرجوا» .

الحديث الثالث عشر .

قوله (حديث الغار) عقب المصنف قصة أصحاب الكهف بحديث الغار إشارة إلى ما ورد أنه قد قيل إن الرقيم المذكور في قوله تعالى ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ﴾ هو الغار الذي أصاب فيه

الثلاثة ما أصابهم ، وذلك فيما أخرجه البزار والطبراني بإسناد حسن عن النعمان بن بشير أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال : انطلق ثلاثة فكانوا في كهف ، فوقع الجبل على باب الكهف فأوحد عليهم فذكر الحديث .

قوله (بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم) لم أقف على اسم واحد منهم ، وفي حديث عقبة بن عامر عند الطبراني في الدعاء أن ثلاثة نفر من بني إسرائيل .

قوله (بمشون) في حديث عقبة وكذا في حديث أبي هريرة عند ابن حبان والبزار أنهم خرجوا يرتادون لأهلهم .

قوله (فأووا إلى غار) يجوز قصر ألف « أووا » ومدها . وفي حديث أنس عند أحمد وأبي يعلى البزار والطبراني « فدخلوا غاراً فسقط عليهم حجر متجاف حتى ما يرون منه خصاصه » وفي رواية سالم ابن عبد الله بن عمر عن أبيه « حتى أووا المبيت إلى غار » كذا للمصنف ، ولمسلم من هذا الوجه « حتى أوام المبيت » وهو أشهر في الاستعمال ، والمبيت في هذه الرواية منصوب على المفعولية ، وتوجيهه أن دخول الغار من فعلهم فحسن أن ينسب الإيواء إليهم .

قوله (فانطبق عليهم) أي باب الغار ، وفي رواية موسى بن عقبة عن نافع في المزارعة فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم ويأتي في الأدب بلفظ « فانطبقت عليهم » وفيه حذف المفعول والتقدير نفسها أو المنفذ ، ويؤيده أن في رواية سالم « فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار » زاد الطبراني في حديث النعمان بن بشير من وجه آخر « إذ وقع حجر من الجبل مما يهبط من خشية الله حتى سد فم الغار » .

قوله (فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه) في رواية موسى بن عقبة المذكورة « انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله » ومثله لمسلم ، وفي رواية الكشميني « خالصة أدعوا الله بها » ومن طريقه في البيوع « ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه » وفي رواية سالم « إنه لا ينجيكم إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم » وفي حديث أبي هريرة وأنس جميعاً « فقال بعضهم لبعض عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم إلا الله ، ادعوا الله بأوثق أعمالكم » وفي حديث علي عند البزار « تفكروا في أحسن أعمالكم فادعوا الله بها لعل الله يفرج عنكم » . وفي حديث النعمان بن بشير « إنكم لن تجلوا شيئاً خيراً من أن يدعوا كل امرئ منكم بخير عمل عمله قط » .

قوله (فقال : اللهم إن كنت تعلم) كذا لأبي ذر والنسفي وأبي الوقت لم يذكر القائل ، وللباقين « فقال واحد منهم » .

قوله (اللهم إن كنت تعلم) فيه إشكال لأن المؤمن يعلم قطعاً أن الله يعلم ذلك ، وأجيب بأنه تردد في عمله ذلك هل له اعتبار عند الله أم لا ، وكأنه قال : إن كان عملي ذلك مقبولا فأجب دعائي ، وبهذا التقرير يظهر أن قوله « اللهم » على بابها في النداء ، وقد ترد بمعنى تحقق الجواب كمن يسأل آخر عن شيء

كان يقول رأيت زيداً فيقول اللهم نعم ، وقد ترد أيضاً لندرة المستثنى كأن يقول شيئاً ثم يستثنى منه فيقول اللهم إلا إن كان كذا .

قوله (على فرق) بفتح الفاء والراء بعدها قاف وقد تسكن الراء . وهو مكيال يسع ثلاثة أصع لقوله (من أرز) فيه ست لغات فتح الألف وضمها مع ضم الراء وبضم الألف مع سكون الراء وتشديد الزاي وتخفيفها ، وقد تقدم في المزارعة أنه فرق ذرة ، وتقدم هناك بيان الجمع بين الروايتين ، يحتمل أنه استأجر أكثر من واحد ، وكان بعضهم بفرق ذرة بعضهم بفرق أرز . ويؤيد ذلك أنه وقع في رواية سالم « استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب » وفي حديث النعمان ابن بشير نحوه كما ذكره ، ووقع في حديث عبد الله بن أبي أوفى عند الطبراني في الدعاء « استأجرت قوماً كل واحد منهم بنصف درهم ، فلما فرغوا أعطيتهم أجورهم ، فقال أحدهم : والله لقد عملت عمل اثنين ، والله لا آخذ إلا درهماً ، فذهب وتركه ، فبذرت من ذلك النصف درهم إلخ » ويجمع بينهما بأن الفرق المذكور كانت قيمته نصف درهم إذ ذاك .

قوله (فذهب وتركه) في رواية موسى بن عقبة « فأعطيته فأبى ذاك أن يأخذ » وفي روايته في المزارعة « فلما قضى عمله قال أعطني حقى ، فعرضت عليه حقه فرغب عنه » وفي حديث أبي هريرة « فعمل لي نصف النهار فأعطيته أجراً فسخطه ولم يأخذه » ووقع في حديث النعمان بن بشير بيان السبب في ترك الرجل أجرته ولفظه « كان لي أجراء يعملون فجاءني عمال فاستأجرت كل رجل منهم بأجر معلوم ، فجاء رجل ذات يوم نصف النهار فاستأجرته بشرط أصحابه فعمل في نصف نهاره كما عمل رجل منهم في نهاره كله فرأيت على في الذمام أن لا أنقصه مما استأجرت به أصحابه لما جهد في عمله ، فقال رجل منهم تعطى هذا مثل ما أعطيتني فقلت يا عبد الله لم أبخسك شيئاً من شرطك ، وإنما هو مالى أحكم فيه بما شئت ، قال فغضب وذهب وترك أجره » وإنما وقع في حديث أنس « فأتاني يطلب أجره وأنا غضبان فزبرته فانطلق وترك أجره » فلا ينافى ذلك ، وطريق الجمع أن الأجير لما حسد الذي عمل نصف النهار وعاتب المستأجر غضب منه وقال له : لم أبخسك شيئاً الخ وزبره فغضب الأجير وذهب ، ووقع في حديث علي « وترك واحد منهم أجره وزعم أن أجره أكثر من أجور أصحابه » .

قوله (وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أنى اشتريت) وفي رواية الكشميهني « أن اشتريت » (منه بقرأ وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له اعمد إلى تلك البقر فسقها) وفي رواية موسى بن عقبة « فزرعته حتى اشتريت منه بقرأ وراعيها » وفيه فقال « أتستهزئ بي ؟ فقلت : لا » وفي رواية أبي ضمرة « فأخذها » وفي رواية سالم « فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال » وفيه « فقلت له كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرقيق من أجرك » وفي رواية الكشميهني « من أجلك » وفيه « فاستاقه فلم يترك منه شيئاً » ودلت هذه الرواية على أن قوله في رواية نافع « اشتريت بقرأ » أنه لم يرد أنه لم يشتر غيرها وإنما كان لأكثر الأغلب البقر فلذلك اقتصر عليها ، وفي حديث أنس وأبي هريرة جميعاً « فجمعته وثمرته حتى كان

منه كل المال ، وقال فيه « فأعطيته ذلك كله ، ولو شئت لم أعطه إلا الأجر الأول » ووقع في حديث عبد الله بن أبي أوفى أنه دفع إليه عشرة آلاف درهم ، وهو محمول على أنها كانت قيمة الأشياء المذكورة ، وفي حديث النعمان بن بشير « فبذرت على حدة فأضعف ، ثم بذرت فأضعف ، حتى كثر الطعام وفيه » فقال أنظمني وتسخر بي « وفي رواية له « ثم مرت بي بقر فاشتريت منها فصيلة فبلغت ما شاء الله » والجمع بينهما ممكن بأن يكون زرع أولاً ثم اشترى من بعضه بقرة ثم نتجت .

قوله (فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك) وفي رواية موسى بن عقبة « ابتغاء وجهك » وكذا في رواية سالم ، والجمع بينهما ممكن ، وقد وقع في حديث علي عند الطبراني « من مخافتك وابتغاء مرضاتك » وفي حديث النعمان « رجاء رحمتك ومخافة عذابك » .

قوله (ففرج عنا) في رواية موسى بن عقبة « فافرج » بوصل وضم الراء من الثلاثي ، وضبطه بعضهم بهمزة وكسر الراء من الرباعي وزاد في روايته « فافرج عنا فرجة نرى منها السماء » وفيه تقييد لإطلاق قوله في رواية سالم « ففرج عنا ما نحن فيه » وقوله « قال ففرج عنهم » وفي رواية أبي ضمرة « ففرج الله فرأوا السماء » ولمسلم من هذا الوجه « ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء » .

قوله (فانساخت عنهم الصخرة) أي انشقت ، وأنكره الخطابي لأن معنى انساخ بالمعجمة غاب في الأرض ، ويقال انصاخ بالصاد المهملة بدل السين أي انشق من قبل نفسه ، قال : والصواب انساخت بالحاء المهملة أي اتسعت ومنه ساحة الدار ، قال وانصاح بالصاد المهملة بدل السين أي تصدع ، يقال ذلك للبرق . قلت : الرواية بالحاء المعجمة صحيحة وهي بمعنى انشقت ، وإن كان أصله بالصاد فالصاد قد تقلب سيناً ولا سيما مع الحاء المعجمة كالصخر والسخر . ووقع في حديث سالم « فانفجرت شيئاً لا يستطيعون الخروج » وفي حديث النعمان بن بشير « فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء » وفي حديث علي فانصدع الجبل حتى طمعوا في الخروج ولم يستطيعوا » وفي حديث أبي هريرة وأنس « فزال ثلث الحجر » .

قوله (فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي) كذا للأكثر ، ولأبي ذر بحذف « أنه » .

قوله (أبوان) هو من التغليب والمراد الأب والأم ، وصرح بذلك في حديث ابن أبي أوفى

قوله (شيخان كبيران) زاد في رواية أبي ضمرة عن موسى « ولي صبية صغار فكنت أرعى عليهم » وفي حديث علي « أبوان ضعيفان فقيران ليس لهما خادم ولا راع ولا ولي غيري فكنت أرعى لهما بالنهار وآوى إليهما بالليل » .

قوله (فأبطأت عنها ليلة) وفي رواية سالم « فنأى بي طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما » وقد تقدم شرح قوله « نأى » و « الشيء » لم يفسر ما هو في هذه الرواية ، وقد بين في رواية مسلم من طريق أبي ضمرة ولفظه « وإني نأى بي ذات يوم الشجر » والمراد أنه استطرد مع غنمه في الرعى إلى أن بعد عن مكانه زيادة على العادة فلذلك أبطأ ، وفي حديث علي « فإن الكلاً تنأى على » أي تباعد ، والكلاً المرعى . قوله (وأهل وعيالي) قال الداودي : يريد بذلك الزوجة والأولاد والرقيق والدواب ، وتعقبه

ابن التين بأن الدواب لا معنى لها هنا . قلت : إنما قال الداودي ذلك في رواية سالم « وكنت لا أغبق قبلها أهلاً ولا مالا » وهو متجه فإنه إذا كان لا يقدم عليهما أولاده فكذلك لا يقدم عليهما دوابه من باب الأولى .

قوله (يتضاغون) بالمعجمتين والضغاء بالمد الصباح بيكاء ، وقوله « من الجوع » أى بسبب الجوع ، وفيه رد على من قال لعل الصباح كان بسبب غير الجوع ، وفي رواية موسى بن عقبة « والصبية يتضاغون » .

قوله (وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي ، فكرهت أن أوقفها ، وكرهت أن أدعها فيستكنا لشربتها) أما كراهته لإيقاظها فظاهر لأن الإنسان يكره أن يوقظ من نومه ، ووقع في حديث علي « ثم جلست عند رعو سهما بلإثني كراهية أن أؤرقها أو أؤذيها ، وفي حديث أنس « كراهية أن أردوسنهما » وفي حديث ابن أبي أوفى « وكرهت أن أوقفها من نومها فيشق ذلك عليهما » . وأما كراهته أن يدعها فقد فسره بقوله « فيستكنا لشربتها » أى يضعفان لأنه عشاؤهما وترك العشاء يهرم ، وقوله « يستكنا » من الاستكانة ، وقوله « لشربتها » أى لعدم شربتهما فيصيران ضعيفين مسكينين والمسكين الذى لا شيء له .

قوله (من أحب الناس إلى) هو مقيد لإطلاق رواية سالم حيث قال فيها « كانت أحب الناس إلى » وفي رواية موسى بن عقبة كأشد ما يحب الرجل النساء ، والكاف زائدة ، أو أراد تشبيه محبته بأشد المحبات .

قوله (راودتها عن نفسها) أى بسبب نفسها أو من جهة نفسها ، وفي رواية سالم « فأردتها على نفسها » أى ليستعلى عليها .

قوله (فابت) في رواية موسى بن عقبة « فقالت لا ينال ذلك منها حتى » .

قوله (إلا أن آتيا بمائة دينار) وفي رواية سالم « فأعطيتها عشرين ومائة دينار » ويحمل على أنها طلبت منه المائة فزادها هو من قبل نفسه عشرين ، أو ألفى غير سالم الكسر ، ووقع في حديث النعمان وعقبة ابن عامر « مائة دينار » وأبهم ذلك في حديث علي وأنس وأبي هريرة ، وقال في حديث ابن أبي أوفى « مالا ضخماً » .

قوله (فلما قعدت بين رجلها) في رواية سالم « حتى إذا قدرت عليها » زاد في حديث ابن أبي أوفى « وجلست منها مجلس الرجل من المرأة وفي حديث النعمان بن بشير « فلما كشفها » وبين في رواية سالم سبب إجابتها بعد امتناعها فقال « فامتنعت منى حتى ألت بها سنة - أى سنة قحط - فجاءتني فأعطيتها » ويجمع بينه وبين رواية نافع بأنها امتنعت أولاً عفة ودافعت بطلب المال فلما احتاجت أجابت .

قوله (ولا تفض) بالفاء والمعجمة أى لا تكسر ، والخاتم كناية عن عذرتها ، وكأنها كانت بكرأ وكنت عن الإفضاء بالكسر ، وعن الفرج بالخاتم لأن في حديث النعمان ما يدل على أنها لم تكن بكرأ ، ووقع في رواية أبي ضمرة « ولا تفتح الخاتم » والألف واللام بدل من الضمير أى خاتمي ، ووقع كذلك في حديث أبي العالية عن أبي هريرة عند الطبراني في الدعاء بلفظ « إنه لا يحل لك أن تفض خاتمي إلا بحقه » وقولها « بحقه » أرادت به الحلال ، أى لا أحل لك أن تقربنى إلا بتزويج صحيح ، ووقع في حديث علي

« فقالت أذكرك الله أن تركب مني ما حرم الله عليك قال فقلت أنا أحق أن أخاف ربي » وفي حديث النعمان بن بشير فلما أمكنتني من نفسيها بكت ، فقلت ما يبكيك ؟ قالت فعلت هذا من الحاجة ، فقالت انطلقى وفي رواية أخرى عن النعمان أنها ترددت إليه ثلاث مرات تطلب منه شيئاً من معروفه ويأبى عليها إلا أن تمكنه من نفسها ، فأجابت في الثالثة بعد أن استأذنت زوجها فأذن لها وقال لها أغني عيالك ، قال فرجعت فناشدتني بالله فأبيت عليها ، فأسلمت إلى نفسها ، فلما كشفتها ارتعدت من تحتي ، فقلت مالك ؟ قالت أخاف الله رب العالمين ، فقلت خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها ، وفي حديث ابن أبي أوفى « فلما جلست منها مجلس الرجل من المرأة أذكرت النار فقامت عنها » والجمع بين هذه الروايات ممكن ، والحديث يفسر بعضه بعضاً .

وفي هذا الحديث استحباب الدعاء في الكرب ، والتقرب إلى الله تعالى بذكر صالح العمل ، واستنجاز وعده بسؤاله . واستنبط منه بعض الفقهاء استحباب ذكر ذلك في الاستسقاء ، واستشكله المحب الطبري لما فيه من رؤية العمل ، والاحتقار عند السؤال في الاستسقاء أولى لأنه مقام التضرع ، وأجاب عن قصة أصحاب الغار بأنهم لم يستشفعوا بأعمالهم وإنما سألوا الله إن كانت أعمالهم خالصة وقبلت أن يجعل جزاءها الفرج عنهم ، فتضمن جوابه تسليم السؤال لكن بهذا القيد وهو حسن ، وقد تعرض النووي لهذا فقال في كتاب الأذكار « باب دعاء الإنسان وتوسله بصالح عمله إلى الله » وذكر هذا الحديث ، ونقل عن القاضي حسين وغيره استحباب ذلك في الاستسقاء ثم قال : وقد يقال إن فيه نوعاً من ترك الافتقار المطلق ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أنفى عليهم بفعلهم فدل على تصويب فعلهم . وقال السبكي الكبير : ظهر لي أن الضرورة قد تلجئ إلى تعجيل جزاء بعض الأعمال في الدنيا وأن هذا منه ، ثم ظهر لي أنه ليس في الحديث رؤية عمل بالكلية لقول كل منهم « إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك » فلم يعتقد أحد منهم في عمله الإخلاص بل أحال أمره إلى الله ، فإذا لم يجزوا بالإخلاص فيه مع كونه أحسن أعمالهم فغيره أولى ، فيستفاد منه أن الذي يصلح في مثل هذا أن يعتقد الشخص تقصيره في نفسه ويسئ الظن بها ويبحث على كل واحد من عمله يظن أنه أخلص فيه فيفوض أمره إلى الله ويعلق الدعاء على علم الله به ، فحينئذ يكون إذا دعا راجياً للإجابة خائفاً من الرد فإن لم يغلب على ظنه إخلاصه ولو في عمل واحد فليقف عند حده ويستحي أن يسأل بعمل ليس بخالص ، قال وإنما قالوا « ادعوا الله بصالح أعمالكم » في أول الأمر ثم عند الدعاء لم يطلقوا ذلك ولا وقال أحد منهم أدعوك بعمل ، وإنما قال « إن كنت تعلم » ثم ذكر عمله انتهى ملخصاً وكأنه لم يقف على كلام المحب الطبري الذي ذكرته فهو السابق إلى التنبيه على ما ذكر ، والله أعلم . وفيه فضل الإخلاص في العمل ، وفضل بر الوالدين وخدمتهما وإيثارهما على الولد والأهل وتحمل المشقة لأجلهما . وقد استشكل تركه أولاده الصغار فيكون من الجوع طول ليلتهما مع قدرته على تسكين جوعهم ف قيل : كان في شرعهم تقديم نفقة الأصل على غيرهم ، وقيل يحتمل أن بكاءهم ليس عن الجوع ، وقد تقدم ما يرده . وقيل لعلمهم كانوا يطلبون زيادة على سد الرمي وهذا أولى . وفيه فضل العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة ، وأن ترك المعصية بمحرر مقدمات طلبها ، وأن التوبة تجب ما قبلها . وفيه جواز الإجارة بالطعام المعلوم بين المتأجرين ، وفضل أداء الأمانة ، وإثبات الكرامة للصالحين . واستدل به على جواز بيع الفضولي ، وقد تقدم البحث فيه في البيوع . وفيه

أن المستودع إذا اتجر في مال الوديعة كان الربح لصاحب الوديعة . قاله أحمد ، وقال الخطابي : خالفه الأكثر فقالوا : إذا ترتب المال في ذمة الوديع وكذا المضارب كأن تصرف فيه بغير ما أذن له فيلزم ذمته أنه إن اتجر فيه كان الربح له . وعن أبي حنيفة الغرامة عليه ، وأما الربح فهو له لكن يتصدق به . وفصل الشافعي فقال : إن اشترى في ذمته ثم نقد الثمن من مال الغير فالعقد له والربح له ، وإن اشترى بالعين فالربح للمالك ، وقد تقدم نقل الخلاف فيه في البيوع أيضاً . وفيه الإخبار عما جرى للأئم الماضية ليعتبر السامعون بأعمالهم فيعمل بحسنها ويترك قبيحها ، والله أعلم .

(تبيينه) : لم يخرج الشيخان هذا الحديث إلا من رواية ابن عمر ، وجاء بإسناد صحيح عن أنس أخرجه الطبراني في الدعاء من وجه آخر حسن ، وإسناد حسن عن أبي هريرة ، وهو في صحيح ابن حبان . وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن أبي هريرة وعن النعمان بن بشير من ثلاثة أوجه حسان أحدها عند أحمد والبخاري وكلها عند الطبراني ، وعن علي وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن أبي أوفى بأسانيد ضعيفة ، وقد استوعب طرفه أبو عوانة في صحيحه والطبراني في الدعاء ، واتفقت الروايات كلها على أن القصص الثلاثة في الأجير والمرأة والأبوين إلا حديث عقبة بن عامر ففيه بدل الأجير أن الثالث قال « كنت في غم أرعاها فحضرت الصلاة فقممت أصلي فجاء الذئب فدخل الغنم فكرهت أن أقطع صلاتي فصبرت حتى فرغت » فلو كان إسناده قوياً لحمل على تعدد القصة ، ووقع في رواية الباب من طريق عبيد الله العمري عن نافع تقديم الأجير ثم الأبوين ثم المرأة ، وخالفه موسى بن عقبة من الوجهين فقدم الأبوين ثم المرأة ثم الأجير ووافقه رواية سالم ، وفي حديث أبي هريرة المرأة ثم الأبوين ثم الأجير ، وفي حديث أنس الأبوين ثم الأجير ثم المرأة ، وفي حديث النعمان الأجير ثم المرأة ثم الأبوين ، وفي حديث علي وابن أبي أوفى معا المرأة ثم الأجير ثم الأبوين وفي اختلافهم دلالة على أن الرواية بالمعنى عندهم سائغة شائعة ، وأن لا أثر للتقديم والتأخير في مثل ذلك ، وأرجحها في نظري رواية موسى بن عقبة لموافقة سالم لها فهي أصح طرق هذا الحديث وهذا من حيث الإسناد ، وأما من حيث المعنى فينظر أي الثلاثة كان أنفع لأصحابه ، والذي يظهر أنه الثالث لأنه هو الذي أمكنهم أن يخرجوا بدعائه ، وإلا فالأول أفاد إخراجهم من الظلمة ، والثاني أفاد الزيادة في ذلك وإمكان التوصل إلى الخروج بأن يمر مثلاً هناك من يعالج لهم ، والثالث هو الذي تهيأ لهم الخروج بسببه فهو أنفعهم لهم فينبغي أن يكون عمل الثالث أكثر فضلاً من عمل الآخرين . ويظهر ذلك من الأعمال الثلاثة : فصاحب الأبوين فضيلته مقصورة على نفسه لأنه أفاد أنه كان باراً بأبويه ، وصاحب الأجير نفعه متعدد وأفاد بأنه كان عظيم الأمانة ، وصاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه ، وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة حيث قال ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ وقد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدي ، ولا سيما وقد قال إنها كانت بنت عمه ، فتكون فيه صلة رحم أيضاً ، وقد تقدم أن ذلك كان في سنة قحط فتكون الحاجة إلى ذلك أخرى ، فيترجح على هذا رواية عبيد الله عن نافع . وقد جاءت قصة المرأة أيضاً أخيرة في حديث أنس . والله أعلم

ب

٣٣٥٠ - نا أبو اليمان قال أنا شعيب قال نا أبو الزناد عن عبد الرحمن حدثه أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه يقول: «بينا امرأة ترضع ولدها إذ مر بها راكب وهي ترضعه فقالت: اللهم لا تمت ابني حتى يكون مثل هذا. فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثم رجع في الثدي. ومر بامرأة تجر ويلعب بها، فقال: اللهم اجعلي مثلها. فقال: أما الراكب فإنه كافر، وأما المرأة فإنهم يقولون لها: تزني، وتقول: حسبي الله. ويقولون: تسرق، وتقول: حسبي الله».

٣٣٥١ - نا سعيد بن تليد قال نا ابن وهب قال أخبرني جرير بن حازم عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه: «بينما كلب يطيف بركبة كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته، فغفر لها».

٣٣٥٢ - نا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان - عام حج - على المنبر، فتناول قصة من شعر - كانت في يدي حرسى - فقال: يا أهل المدينة، أين علماءكم؟ سمعت النبي صلى الله عليه ينهى عن مثل هذه ويقول: إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذوها نساؤهم».

[الحديث ٣٤٦٨ - أطرافه في: ٣٤٨٨، ٥٩٣٢، ٥٩٣٨.]

٣٣٥٣ - نا عبد العزيز بن عبد الله قال نا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب».

[الحديث ٣٤٦٩ - طرفه في: ٣٦٨٩.]

٣٣٥٤ - نا محمد بن بشار قال نا محمد بن أبي عدي عن شعبة عن قتادة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه قال: «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله فقال: هل له توبة؟ قال: لا، فقتله. فجعل يسأل، فقال له رجل: إيت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت فناء بصدرة نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى إلى هذه أن تباعدني، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد له إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له».

[٣٤٧١] ٣٣٥٥ - نا علي بن عبد الله قال نا سفيان قال نا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله صلى الله عليه صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: «بيننا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث». فقال الناس: سبحان الله، بقرة تكلم؟ قال: «فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر. وما هما ثم. وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذا استنقذها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري؟» فقال الناس: سبحان الله، ذئب يتكلم؟ قال: «فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر. وما هما ثم».

نا علي قال نا سفيان عن مسعر عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه مثله.

[٣٤٧٢] ٣٣٥٦ - نا إسحاق بن نصر قال نا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه: «اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع الذهب. وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه، وتصدقاً».

[٣٤٧٣] ٣٣٥٧ - نا عبد العزيز بن عبد الله قال نا مالك عن محمد بن المنكدر وعن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله صلى الله عليه: «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل - أو على من كان قبلكم - فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» قال أبو النضر: «لا يخرجكم إلا فراراً منه».

[الحديث ٣٤٧٣ - طرفاه في: ٥٧٢٨، ٦٩٧٤].

[٣٤٧٤] ٣٣٥٨ - نا موسى بن إسماعيل قال نا داود بن أبي الفرات قال نا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن معمر عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه عن

الطاعون، فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد».

[الحديث ٣٤٧٤ - طرفاه في: ٥٧٣٤، ٦٦١٩].

٣٣٥٩ - ناقتيبة قال نا ليث عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه؟ فكلّمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

٣٣٦٠ - نا آدم قال نا شعبة قال نا عبد الملك بن ميسرة قال سمعت النزال بن سبرة الهلالي عن ابن مسعود قال: سمعت رجلاً قرأ وسمعت النبي صلى الله عليه يقرأ خلفها، فجئت به النبي صلى الله عليه فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية وقال: «كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا».

٣٣٦١ - نا عمر بن حفص قال نا أبي قال نا الأعمش قال نا شقيق قال عبد الله كآني أنظر إلى النبي صلى الله عليه يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه: «اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

[الحديث ٣٤٧٧ - طرفه في: ٦٩٢٩].

٣٣٦٢ - نا أبو الوليد قال نا أبو عوانة عن قتادة عن عتبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه: «أن رجلاً كان قبلكم رَغَسَهُ اللهُ مالاً، فقال لبيه لما حضر: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فإنني لم أعمل خيراً قط، فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم عاصف. ففعلوا. فجمعه الله فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك. فتلقاه رحمة». وقال معاذ: نا شعبة عن قتادة سمع عتبة بن عبد الغافر سمعت أبا سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه.

[الحديث ٣٤٧٨ - طرفاه في: ٦٤٨١، ٧٥٠٨].

[٣٤٧٩] ٣٣٦٣- نا مسدد قال نا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش قال: قال عقبة لحذيفة: ألا تحدثنا ما سمعت من النبي صلى الله عليه؟ قال: سمعته يقول: «إن رجلاً حضرة الموت لما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً، ثم أورو ناراً، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فذرّوني في اليم في يوم حار فجمعه الله فقال: لم فعلت؟ قال: خشيتك. فغفر له». قال عقبة: وأنا سمعته يقول:

نا موسى قال نا أبو عوانة قال نا عبد الملك وقال: يوم راح.

[٣٤٨٠] ٣٣٦٤- نا عبد العزيز بن عبد الله قال ني إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه قال: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً تجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا. قال: فلقني الله فتجاوز عنه».

[٣٤٨١] ٣٣٦٥- نا عبد الله بن محمد قال نا هشام قال أنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت. فإذا هو قائم، قال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك يا رب. فغفر له». وقال غيره: خشيتك.

[الحديث ٣٤٨١- طرفه في: ٧٥٠٦].

[٣٤٨٢] ٣٣٦٦- نا عبد الله بن محمد بن أسماء قال نا جويرية بن أسماء عن نافع عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه قال: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

[الحديث ٣٤٨٣- طرفاه في: ٣٤٨٤، ٦١٢٠].

[٣٤٨٣] (١) [٣٤٨٣] ٣٣٦٧- نا آدم قال نا شعبة عن منصور قال سمعت ربعي بن حراش يحدث عن أبي

(١) حسب رواية أبي ذر الهروي لم يرد حديث عند هذه الرقم.

مسعود قال النبي صلى الله عليه: «إِنَّ مَا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِوةِ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

[٣٤٨٥] ٣٣٦٨ - نا بشر بن محمد قال أنا عبيد الله قال أنا يونس عن الزُّهري قال أخبرني سالم أن ابن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه قال: «بينما رجلٌ يجرُّ إزاره من الخيلاء خُسِفَ به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة». تابعه عبد الرحمن بن خالد عن الزُّهري.

[الحديث ٣٤٨٥ - طرفه في: ٥٧٩٠].

[٣٤٨٦] ٣٣٦٩ - نا موسى بن إسماعيل قال نا وهيب قال نا ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد كل أمة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، فغدا لليهود، وبعد غدٍ للنصارى على كل مسلم في كل سبعة أيام يوم يغسل رأسه وجسده».

[٣٤٨٨] ٣٣٧٠ - نا آدم قال نا شعبة قال نا عمرو بن مرة قال سمعت سعيد بن المسيب قال: قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة آخر قدمه قدمها فخطبنا فأخرج كبة من شعر فقال: ما كنت أرى أن أحدا يفعل هذا غير اليهود، إن النبي صلى الله عليه سماه الزُّور. يعني الوصال في الشعر. تابعه غندر عن شعبة.

الحديث الرابع عشر حديث أبي هريرة في قصة المرأة التي كانت ترضع ولدها فتكلم ، وقد تقدم شرحه في قصة عيسى بن مريم . وعبد الرحمن المذكور في الإسناد هو الأعرج . الحديث الخامس عشر حديثه في قصة المرأة التي سقت الكلب .

قوله (بطيف) بضم أوله من أطاف يقال أطفيت بالشئ إذا أدمت المرور حوله .

قوله (بركية) بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد التحتانية : البر مطوية أو غير مطوية ، وغير المطوية يقال لها جب وقلب ولا يقال لها بر حتى تطوى ، وقيل الركي البر قبل أن تطوى فإذا طويت فهي الطوى .

قوله (بغى) بفتح الموحدة وكسر المعجمة هي الزانية ، وتطلق على الأمة مطلقاً .

قوله (موقها) بضم الميم وسكون الواو بعدها قاف هو الخف ، وقيل ما يلبس فوق الخف .

قوله (ففخر لها) زاد الكشيميني « به » وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مشروحاً في كتاب

الشرب ، لكن وقع هناك وفي الطهارة أن الذي سقى الكلب رجل ، وأنه سقاه في خفه ، ويحتمل تعدد القصة وقدمت بقية الكلام في كتاب الشرب ، والله أعلم . الحديث السادس عشر حديث معاوية .

قوله (عام حج) في رواية سعيد بن المسيب الآتية آخر الباب « آخر قدمه قدمها » قلت : وكان ذلك في سنة إحدى وخمسين وهي آخر حجة حجها في خلافته .

قوله (فتناول قصة) بضم القاف وتشديد المهملة هي شعر الناصية ، والحرسى منسوب إلى الحرس وهو واحد الحراس .

قوله (أين علماؤكم) فيه إشارة إلى أن العلماء إذ ذاك فيهم كانوا قد قلوا ، وهو كذلك لأن غالب الصحابة كانوا يومئذ قد ماتوا ، وكأنه رأى جهال عوامهم صنعوا ذلك فأراد أن يذكر علماءهم وينبههم بما تركوه من إنكار ذلك ، ويحتمل أن يكون ترك من بقي من الصحابة ومن أكابر التابعين إذ ذاك الإنكار إما لاعتقاد عدم التحريم ممن بلغه الخبر فحمله على كراهة التنزيه ، أو كان يخشى من سطوة الأمراء في ذلك الزمان على من يستبد بالإنكار لئلا ينسب إلى الاعتراض على أولى الأمر ، أو كانوا ممن لم يبلغهم الخبر أصلاً ، أو بلغ بعضهم لكن لم يتذكروه حتى ذكرهم به معاوية ، فكل هذه أَعذار ممكنة لمن كان موجوداً إذ ذاك من العلماء ، وأما من حضر خطبة معاوية وخاطبهم بقوله أين علماؤكم ففعل ذلك كان في خطبة غير الجمعة ولم يتفق أن يحضره إلا من ليس من أهل العلم فقال أين علماؤكم ، لأن الخطاب بالإنكار لا يتوجه إلا على من علم الحكم وأقره .

قوله (ويقول) هو معطوف على « ينهى » وفاعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله (إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم) فيه إشعار بأن ذلك كان حراماً عليهم ، فلما فعلوه كان سبباً لهلاكهم ، مع ما انضم إلى ذلك من ارتكابهم ما ارتكبه من المناهي ، وسيأتي شرح ذلك مبسوطاً في كتاب اللباس إن شاء الله تعالى . الحديث السابع عشر حديث أبي هريرة .

قوله (عن أبيه) هو سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف .

قوله (عن أبي هريرة) هذا هو المشهور عن إبراهيم بن سعد ، وقيل عنه عن أبيه عن أبي سلمة عن عائشة كما سيأتي .

قوله (أنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون) بفتح الدال المهملة ، وسيأتي شرحه مستوفى في مناقب عمر ، فإن فيه أنهم كانوا من بني إسرائيل .

قوله (وإنه إن كان في أمتي هذه منهم) في رواية أبي داود الطيالسي عن إبراهيم بن سعد « وأنه إن كان في أمتي أحد منهم » .

قوله (فإنه عمر بن الخطاب) كذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التوقع ، وكأنه لم يكن اطلع على أن ذلك كائن ، وقد وقع بحمد الله ما توقعه النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضى الله عنه ، ووقع من ذلك لغيره ما لا يحصى ذكره . الحديث الثامن عشر حديث أبي سعيد .

قوله (عن أبي الصديق الناجي) في رواية مسلم من طريق معاذ عن شعبة عن قتادة أنه سمع أبا الصديق الناجي ، واسم أبي الصديق - وهو بكسر الصاد المهملة وتشديد الدال المكسورة - بكر ، واسم أبيه عمرو وقيل قيس ، وليس له في البخاري سوى هذا الحديث .

قوله (كان في بني إسرائيل رجل) لم أقف على اسمه ولا على اسم أحد من الرجال ممن ذكر في القصة ، زاد مسلم من طريق هشام عن قتادة عند مسلم « فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب » .
قوله (فأتى راهباً) فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السلام ، لأن الرهبانية إنما ابتداعها أتباعه كما نص عليه في القرآن .

قوله (فقال : له توبة) بحذف أداة الاستفهام ، وفيه تجريد أو التفات ، لأن حق السياق أن يقول لي توبة ؟ ووقع في رواية هشام « فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة » وزاد « ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم وقال فيه ومن يحول بينه وبين التوبة » .

قوله (فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا) زاد في رواية هشام « فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه ملك الموت » ووقعت لي تسمية القريتين المذكورتين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً في « المعجم الكبير للطبراني » قال فيه إن اسم الصالحة نصرة واسم القرية الأخرى كفر .

قوله (فناء) بنون ومد أي بعد ، أو المعنى مال أو نهض مع ثاقل ، فعلى هذا فالمعنى قال إلى الأرض التي طلبها ، هذا هو المعروف في هذا الحديث ، وحكى بعضهم فيه فنأى بغير مد قبل الهمز ، وبإشباعها بوزن سعى تقول نأى ينأى نأياً أي بعد ، وعلى هذا فالمعنى فبعد على الأرض التي خرج منها . ووقع في رواية هشام عن قتادة ما يشعر بأن قوله « فناء بصدرة » إدراج ، فإنه قال في آخر الحديث « قال قتادة قال الحسن : ذكر لنا أنه لما أتاه الموت ناء بصدرة » .

قوله (فاختصمت فيه) في رواية هشام من الزيادة « فقالت ملائكة الرحمة جاء نائباً مقبلاً بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهو لها » .

قوله (فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى) أى إلى القرية التي خرج منها (وإلى هذه أن تقربى) أى القرية التي قصدتها . وفي رواية هشام « فقاوسه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد » .

قوله (أقرب بشبر فففر له) في رواية معاذ عن شعبة « فجعل من أهلها » وفي رواية هشام « فقبضته ملائكة الرحمة » وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس ، ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه . وفيه إن المفتى قد يجيب بالخطأ ، وغفل من زعم أنه إنما قتل الأخير على سبيل التأول لكونه أفتاه بغير علم لأن السياق يقتضى أنه كان غير عالم بالحكم حتى استمر يستفتي وأن الذي أفتاه استبعد أن تصح توبته بعد قتله لمن ذكر أنه قتله بغير حق ، وأنه إنما قتله بناء على العمل بفتواه

لأن ذلك اقتضى عنده أن لا نجاة له فيش من الرحمة ، ثم تداركه الله فندم على ما صنع فرجع يسأل . وفيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب ، لأنه كان من حقه التحرز من اجتراء على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده وأن يستعمل معه المعارض مداراة عن نفسه ، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنوناً . وفيه أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهدهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعاً أو عاصياً . وأنهم يختصمون في ذلك حتى يقضى الله بينهم ، وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه ، ولهذا قال له الأخير : ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، ففيه إشارة إلى أن النائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها ، وفيه فضل العالم على العابد لأن الذي أفناه أولاً بأن لا توبه له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير ، وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفناه بالصواب ودله على طريق النجاة ، قال عياض : وفيه أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب ، وهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا وفي الاحتجاج به خلاف لكن ليس هذا من موضع الخلاف لأن موضع الخلاف إذا لم يرد في شرعنا تقريره وموافقته ، أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف ، ومن الوارد في ذلك قوله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وحديث عبادة بن الصامت ففيه بعد قوله ولا تقتلوا النفس وغير ذلك من المنهيات « فمن أصاب من ذلك شيئاً فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه » متفق عليه . قلت : ويؤخذ ذلك أيضاً من جهة تخفيف الآصار عن هذه الأمة بالنسبة إلى من قبلهم من الأمم ، فإذا شرع لهم قبول توبة القاتل فشرعيتها لنا بطريق الأولى ، وسيأتي البحث في قوله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ﴾ الآية في التفسير إن شاء الله تعالى ، واستدل به على أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة إذا تنازعوا ، وفيه حجة لمن أجاز التحكيم وأن من رضى الفريقان بتحكيمه فحكمه جائز عليهم ، وسيأتي نقل الخلاف في ذلك في الحديث الذي يلي ما بعده ، وفيه أن للحاكم إذا تعارضت عنده الأحوال وتعددت البيئات أن يستدل بالقرائن على الترجيح . الحديث التاسع عشر حديث أبي هريرة في قصة البقرة التي تكلمت .

قوله (عن الأعرج عن أبي سلمة) هو من رواية الأقران ، وقد رواه الزهري أيضاً عن أبي سلمة وسيأتي مع شرحه مستوفى في المناقب .

قوله (بينا رجل يسوق بقرة) لم أقف على اسمه .

قوله (إذ ركبها فضر بها فقالت إنا لم نخلق لهذا) استدل به على أن الدواب لا تستعمل إلا فيما جرت العادة باستعمالها فيه ، ويحتمل أن يكون قولها إنما خلقنا للحرث للإشارة إلى معظم ما خلقت له ، ولم ترد الحصر في ذلك لأنه غير مراد اتفاقاً ، لأن من أجل ما خلقت له أنها تذبذب وتوكل بالاتفاق ، وقد تقدم قول ابن بطال في ذلك في كتاب المزارعة .

قوله (فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر) هو محمول على أنه كان أخبرهما بذلك فصدقاه ، أو

أطلق ذلك لما اطلع عليه من أنهما يصدقان بذلك إذا سمعاه ولا يترددان فيه .
 قوله (وما هما ثم) بفتح المثلثة أى ليسا حاضرين ، وهو من كلام الراوى ، ولم يقع ذلك فى رواية
 قوله (وبيننا رجل) هو معطوف على الخبر الذى قبله بالإسناد المذكور .
 قوله (إذ عدا الذئب) بالعين المهملة من العدوان .
 قوله (هذا استنقذتها منى) فى رواية الكشميهنى « استنقذها » بإيهام الفاعل .

قوله (حدثنا على حدثنا سفيان عن مسعر) هذا يدل على أنه سمعه من شيخه مفرقاً ، والحاصل
 أن لسفيان فيه إسنادين : أحدهما أبو الزناد عن الأعرج ، والآخر مسعر عن سعد بن إبراهيم ، كلاهما عن
 أبى سلمة ، وفى كل من الإسنادين رواية القرين عن قرينه ، لأن الأعرج قرين أبى سلمة ، كما تقدم لأنه
 شاركه فى أكثر شيوخه ولا سيما أبو هريرة ، وإن كان أبو سلمة أكبر سنّاً من الأعرج . وسفيان بن عيينة
 قرين مسعر ، لأنه شاركه فى أكثر شيوخه لا سيما سعد بن إبراهيم ، وإن كان مسعر أكبر سنّاً من سفيان .
 الحديث العشرون حديث أبى هريرة أيضاً « اشترى رجل من رجل عقاراً » لم أقف على اسمها ولا على اسم
 أحد ممن ذكر فى هذه القصة ، لكن فى « المبتدأ لوهب بن منبه » أن الذى تحاكم إليه هو داود النبى عليه
 السلام ، وفى « المبتدأ لإسحق بن بشر » أن ذلك وقع فى زمن ذى القرنين من بعض قضاته فآله أعلم . وصنيع
 البخارى يقتضى ترجيح ما وقع عند وهب لكونه أورده فى ذكر بنى إسرائيل .

قوله (عقاراً) العقار فى اللغة المنزل والضيعة وخصه بعضهم بالنخل ، ويقال للمتاع النفيس الذى
 للمنزل عقار أيضاً . وأما عياض فقال : العقار الأصل من المال ، وقيل المنزل والضيعة ، وقيل متاع
 البيت فجعله خلافاً . والمعروف فى اللغة أنه مقول بالاشتراك على الجميع والمراد به هنا الدار ، وصرح بذلك
 فى حديث وهب بن منبه .

قوله (فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له : خذ ذهبك
 فإنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع الذهب) وهذا صريح فى أن العقد إنما وقع بينهما على الأرض خاصة ،
 فاعتقد البائع دخول ما فيها ضمناً ، واعتقد المشتري أنه لا يدخل . وأما صورة الدعوى بينهما فوقعت على
 هذه الصورة وأنهما لم يختلفا فى صورة العقد التى وقعت ، والحكم فى شرعنا على هذا فى مثل ذلك أن القول
 قول المشتري وإن الذهب باق على ملك البائع ، ويحتمل أنهما اختلفا فى صورة العقد بأن يقول المشتري لم
 يقع تصريح ببيع الأرض وما فيها بل ببيع الأرض خاصة ، والبائع يقول وقع التصريح بذلك ، والحكم فى
 هذه الصورة أن يتحالفوا ويستردا المبيع وهذا كله بناء على ظاهر اللفظ أنه وجد فيه جرة من ذهب ، لكن فى
 رواية إسحق بن بشر أن المشتري قال إنه اشترى داراً فعمرها فوجد فيها كنزاً ، وأن البائع قال له لما دعاه إلى
 أخذه ما دفنت ولا علمت ، وأنهما قالوا للقاضى : ابعث من يقبضه وتضعه حيث رأيت ، فامتنع ، وعلى
 هذا فحكم هذا المال حكم الركاى فى هذه الشريعة إن عرف أنه من دفين الجاهلية ، وإلا فإن عرف أنه من
 من دفين المسلمين فهو لقطة ، وإن جهل فحكمه حكم المال الضائع يوضع فى بيت المال ، ولعلمهم لم يكن
 فى شرعهم هذا التفصيل فلهذا حكم القاضى بما حكم به .

قوله (وقال الذى له الأرض) أى الذى كانت له ، ووقع فى رواية أحمد عن عبد الرزاق بيان المراد من ذلك ولفظه « فقال الذى باع الأرض : إنما بعثك الأرض » ووقع فى نسخ مسلم اختلاف ، فالأكثر رواه بلفظ « فقال الذى شرى الأرض » والمراد باع الأرض كما قال أحمد ، ولبعضهم « فقال الذى اشترى الأرض » ووهما القرطبي قال : إلا إن ثبت أن لفظ « اشترى » من الأضداد كشرى فلا وهم ، وقوله « فتحا كما » ظاهره أنهما حكماهما فى ذلك ، لكن فى حديث إسحاق بن بشر التصريح بأنه كان حاكماً منصوباً للناس ، فإن ثبت ذلك فلا حجة فيه لمن جوز للمتداعيين أن يحكما بينهما رجلاً وينفذ حكمه ، وهى مسألة مختلف فيها : فأجاز ذلك مالك والشافعى بشرط أن يكون فيه أهلية الحكم ، وإن يحكم بينهما بالحق سواء وافق ذلك رأى قاضى البلد أم لا ، واستثنى الشافعى الحدود ، وشرط أبو حنيفة أن لا يخالف ذلك رأى قاضى البلد، وجزم القرطبي بأنه لم يصدر منه حكم على أحد منهما، وإنما أصلح بينهما لما ظهر له أن حكم المال المذكور حكم المال الضائع، فرأى أنهما أحق بذلك من غيرهما لما ظهر له من ورعها وحسن حالها وارتجى من طيب نسلهما وصلاح ذريتهما، ويرده ما جزم به الغزالي فى « نصيحة الملوك » أنهما تحاكما إلى كسرى ، فإن ثبت هذا ارتفعت المباحث الماضية المتعلقة بالتحكيم لأن الكافر لا حجة فيما يحكم به . ووقع فى روايته عن أبى هريرة « لقد رأيتنا يكثر تمارينا ومنازعتنا عند النبى صلى الله عليه وسلم أيهما أكثر أمانة » .

قوله (ألكما ولد) ؟ بفتح الواو واللام ، والمراد الجنس ، لأنه يستحيل أن يكون الرجلين جميعاً ولد واحد ، والمعنى أكل منكما ولد ؟ ويجوز أن يكون قوله « ألكما ولد » بضم الواو وسكون اللام وهى صيغة جمع أى أولاد ، ويجوز كسر الواو أيضاً فى ذلك .

قوله (فقال أحدهما لى غلام) بين فى رواية إسحاق بن بشر أن الذى قال لى غلام هو الذى اشترى العقار .

قوله (أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقوا) هكذا وقع بصيغة الجمع وكانا الإنكاح والإنفاق وبصيغة التثنية فى النفسين وفى التصديق ، وكأن السر فى ذلك أن الزوجين كانا محجورين وإنكاحهما لا بد فيه مع ولييهما من غيرهما كالشاهدين ، وكذلك الإنفاق قد يحتاج فيه إلى المعين كالوكيل وأما تثنى النفسين فللإشارة إلى اختصاص الزوجين بذلك . وقد وقع فى رواية إسحاق بن بشر ما يشعر بذلك ولفظه « اذهبا ، فزوج ابنتك من ابن هذا وجهزوهما من هذا المال وادفعا إليهما ما بقى يعيشان به » وأما تثنى التصديق فللإشارة إلى أن يباشراها بغير واسطة لما فى ذلك من الفضل ، وأيضاً فهى تبرع لا يصدر من غير الرشيد ولا سيما ممن ليس له فيها ملك . ووقع فى رواية مسلم « وأنفقوا على أنفسكما » والأول أوجه والله أعلم . الحديث الحادى والعشرون حديث أسامة بن زيد فى الطاعون وسيأتى شرحه مستوفى فى الطب ، والغرض منه هنا قوله فى الحديث « الطاعون رجز أرسل على بنى إسرائيل » ووقع هنا « رجس » بالسين المهملة بدل الزاى والمحفوظ بالزاى ، ووجهه القاضى بأن الرجس يقع على العقوبة أيضاً ، وقد قال الفارابى والجوهري الرجس العذاب .

قوله (فى آخر الحديث فلا تخرجوا فراراً منه ، قال أبو النضر : لا يخرجكم إلا فراراً منه) يريد

أن الأولى رواية محمد بن المنكدر والثانية رواية أبي النضر ، فأما رواية ابن المنكدر فلا إشكال فيها ، وأما رواية أبي النضر فروايتها بالنصب كالذي هنا مشكلة ، ورواها جماعة بالرفع ولا إشكال فيها ، قال عياض في الشرح : وقع لأكثر رواة الموطأ بالرفع وهو بين أن السبب الذي يخرجكم الفرار ومجرد قصده لا غير ذلك ، لأن الخروج إلى الأسفار والحوائج مباح ، ويطابق الرواية الأخرى « فلا يخرجوا فراراً منه » قال رواه بعضهم « إلا فراراً منه » قال وقال ابن عبد البر : جاء بالوجهين ، ولعل ذلك كان من مالك ، وأهل العربية يقولون دخول « إلا » هنا بعد النفي لإيجاب بعض ما نفي قبل من الخروج ، فكأنه نهي عن الخروج إلا للفرار خاصة ، وهو ضد المقصود فإن المنهي عنه إنما هو الخروج للفرار خاصة لا لغيره ، قال وجوز ذلك بعضهم وجعل قوله « إلا » حالاً من الاستثناء أى لا تخرجوا إذا لم يكن خروجكم إلا للفرار ، قال عياض : ووقع لبعض رواة الموطأ « لا يخرجكم الإفرار » بأداة التعريف وبعدها إفرار بكسر الهمزة وهو وهم ولحن . وقال في « المشارق » ما حاصله : يجوز أن تكون الهمزة للتعدي يقال أفره كذا من كذا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم « إن كان لا يفرك من هذا إلا ما ترى » فيكون المعنى لا يخرجكم إفراره إياكم ، وقال القرطبي في « المفهم » هذه الرواية غلط لأنه لا يقال أفر وإنما يقال فرر ، قال : وقال جماعة من العلماء إدخال إلا فيه غلط ، وقال بعضهم هي زائدة وتجاوز زيادته كما تزداد لا ، وخرجه بعضهم بأنها للإيجاب فذكر نحو ما مضى قال : والأقرب أن تكون زائدة ، وقال الكرماني : الجمع بين قول ابن المنكدر « لا تخرجوا فراراً منه » وبين قول أبي النضر « لا يخرجكم إلا فراراً منه » مشكل فإن ظاهره التناقض ، ثم أجاب بأجوبة : أحدها أن غرض الراوى أن أبا النضر فسر لا تخرجوا بأن المراد منه الحصر يعنى الخروج المنهى هو الذى يكون لمجرد الفرار لا لغرض آخر ، فهو تفسير للمعلل المنهى عنه لا للنهى . قلت : وهو بعيد لأنه يقتضى أن هذا اللفظ من كلام أبي النضر زاده بعد الخبر وأنه موافق لابن المنكدر على اللفظ الأول رواية ، والمتبادر خلاف ذلك . والجواب الثانى كالأول والزيادة مرفوعة أيضاً فيكون روى اللفظين ويكون التفسير مرفوعاً أيضاً . الثالث إلا زائدة بشرط أن تثبت زيادتها في كلام العرب . الحديث الثانى والعشرون حديث عائشة في ذلك وسيأتى شرحه في الطب أيضاً . الحديث الثالث والعشرون حديث عائشة في قصة المخزومية التي سرقت ، وسيأتى شرحه في كتاب الحدود ، وأورده هنا بلفظ « إنما أهلك الذين من قبلكم » وفي بعض طرقه « إن بنى إسرائيل كانوا » وهو المطابق للترجمة وسيأتى بسط ذلك إن شاء الله تعالى . الحديث الرابع والعشرون حديث ابن مسعود في النهي عن الاختلاف في القراءة ، وسيأتى شرحه في فضائل القرآن . الحديث الخامس والعشرون حديث عبد الله وهو ابن مسعود ، وشقيق هو أبو وائل .

قوله (كَأَنى أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكى نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه) لم أقف على اسم هذا النبي صريحاً ، ويحتمل أن يكون هو نوح عليه السلام ، فقد ذكر ابن إسحق في « المبتدأ » وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير الشعراء من طريق ابن إسحق قال « حدثني من لا أتهم عن عبيد بن عمير الليثي أنه بلغه أن قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » . قلت : وإن صح ذلك فكأن ذلك كان في ابتداء الأمر ، ثم لما يئس منهم قال ﴿ رب لا تنر على الأرض من

الكافرين دياراً ﴿ وقد ذكر مسلم بعد تخريج هذا الحديث حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال في قصة أحد « كيف يفلح قوم دموا وجه نبيهم » فأنزل الله ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ ومن ثم قال القرطبي : إن النبي صلى الله عليه وسلم هو الحاكي والمحكى كما سيأتي . وأما النووي فقال : هذا النبي الذي جرى له ما حكاه النبي صلى الله عليه وسلم من المتقدمين ، وقد جرى لنبينا نحو ذلك يوم أحد .

قوله (وهو يمسح الدم عن وجهه) يحتمل أن ذلك لما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر لأصحابه أنه وقع لنبي آخر قبله ، وذلك فيما وقع له يوم أحد لما شج وجهه وجرى الدم منه . فاستحضر في تلك الحالة قصة ذلك النبي الذي كان قبله فذكر قصته لأصحابه تطيباً لقلوبهم . وأغرب القرطبي فقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم هو الحاكي وهو المحكى عنه . قال وكأنه أوحى إليه بذلك قبل وقوع القصة ، ولم يسم ذلك النبي ، فلما وقع له ذلك تعين إنه هو المعنى بذلك . قلت : ويعكر عليه أن الترجمة لنبي إسرائيل فيتعين الحمل على بعض أنبيائهم ، وفي « صحيح ابن حبان » من حديث سهل بن سعد « إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » قال ابن حبان : معنى هذا الدعاء الذي قال يوم أحد لما شج وجهه أي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي ، لا أنه أراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقاً ، إذ لو كان كذلك لأجيب ولو أجيب لأسلموا كلهم ، كذا قال ، وكأنه بناء على أنه لا يجوز أن يتخلف بعض دعائه على بعض أو عن بعض ، وفيه نظر لثبوت « أعطاني اثنين ومنعني واحدة » وسيأتي في تفسير سورة الأنعام ، ثم وجدت في « مسند أحمد » من طريق عاصم عن أبي وائل ما يمنع تأويل القرطبي ، ويعين الغزوة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولفظه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين بالجعرة قال فازدحموا عليه فقال : إن عبداً من عباد الله بعثه الله إلى قومه فكذبوه وشجوه ، فجعل يمسح الدم عن جبينه ويقول : رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ، قال عبد الله فكأنني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح جبهته يحكي الرجل » قلت : ولا يلزم من هذا الذي قاله عبد الله أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم مسح أيضاً ، بل الظاهر أنه حكى صفة مسح جبهته خاصة كما مسحها ذلك النبي ، وظهر بذلك فساد ما زعمه القرطبي . الحديث السادس والعشرون والسابع والعشرون والثامن والعشرون أحاديث أبي سعيد وحذيفة وأبي هريرة في قصة الذي أوصى بأن يحرق إذا مات ، أورده من طرق ، وتقدم في هذه الترجمة من وجه آخر ، وسأذكر جميع فوائده هنا إن شاء الله تعالى .

قوله (عن عقبة بن عبد الغافر) بين في الرواية المعلقة تلو هذه سماع قتادة من عقبة ، وعقبة المذكور أزدي بصرى ، وليس له في البخارى سوى هذا الحديث وحديث آخر تقدم في الوكالة . وطريق معاذ هذه وصلها مسلم عن عبيد الله بن معاذ العنبري عن أبيه به .

قوله (رغسة الله) بفتح الراء والغين المعجمة بعدها سين مهملة أى كثر ماله ، وقيل رغس كل شيء أصله فكأنه قال جعل له أصلاً من مال . ووقع في مسلم « رأسه الله » بهمز بدل الغين المعجمة ، قال ابن التين : وهو غلط ، فإن صح - أى من جهة الرواية - فكأنه كان فيه « راشه » يعنى بألف ساكنة بغير

همز وبشين معجمة ، والريش والرياش المال انتهى . ويحتمل في توجيه رواية مسلم أن يقال : معنى « رأسه » جعله رأساً ، ويكون بتشديد الهمزة ، وقوله « مالا » أى بسبب المال .

قوله (قال عقبة لحذيفة) هو عقبة بن عمر أبو مسعود الأنصادي البدرى .

قوله (حدثنا موسى) هو ابن إسماعيل التبوذكى ، وفي رواية الكشميهني « حدثنا مسدد » وصوب أبو ذر رواية الأكثر وبذلك جزم أبو نعيم في المستخرج « أنه عن موسى ؛ وموسى ومسدد جميعاً قد سمعا من أبي عوانة ، لكن الصواب هنا موسى لأن المصنف ساق الحديث عن مسدد ثم بين أن موسى خالفه في لفظه منه وهى قوله « فى يوم راح » فإن فى رواية مسدد « يوم حار » وقد تقدم سياق موسى فى أول « باب ذكر بنى إسرائيل » وقال فيه « انظروا يوماً راحاً ، وقوله راحاً » أى كثير الريح ويقال ذلك للموضع الذى تخترقه الرياح ، قال الجوهري : يوم راح أى شديد الريح ، وإذا كان طيب الريح يقال الريح بتشديد الياء وقال الخطابي : يوم راح أى ذو ريح كما يقال رجل مال أى ذومال ، وأما رواية الباب فقوله « فى يوم حار » فهو بتخفيف الراء ، قال ابن فارس : الحور ريح تحن كحنين الإبل ، وقد نبه أبو على الجياني على ما وقع من ذلك . وظن بعض المتأخرين أنه عنى بذلك ما وقع فى أول ذكر بنى إسرائيل فاعترض عليه بأنه ليس هناك إلا روايته عن موسى بن إسماعيل فى جميع الطرق وهو صحيح ، لكن مراد الجياني ما وقع هنا ، وهو بين لمن تأمل ذلك .

قوله (حدثنا عبد الملك) هو ابن عمير المذكور فى الإسناد الذى قبله ، ومراده أن عبد الملك رواه بالإسناد المذكور مثل الرواية التى قبله إلا فى هذه اللفظة ؛ وهذا يقتضى خطأ من أورده فى الرواية الأولى بلفظ « راح » وهى رواية السرخسى ، وقد رواه أبو الوليد عن أبي عوانة فقال فيه « فى ريح عاصف » أخرجه المصنف فى الرقاق .

قوله (حدثنا هشام) هو ابن يوسف .

قوله (كان رجل يسرف على نفسه) تقدم فى حديث حذيفة أنه كان نباشاً ، وفى الرواية التى فى فى الرقاق أنه كان يسىء الظن بعمله ، وفيه أنه لم يبتثر خيراً ، وسيأتى نقل الخلاف فى تحريرها هناك إن شاء الله تعالى ، وفى حديث أبي سعيد « إن رجلاً كان قبلكم » .

قوله (أورو) بفتح الهمزة وسكون الواو وضم الراء أى اقدحوا وأشعلوا .

قوله (إذا أنا مت فأحرقونى ثم اطحنونى ثم ذرونى) بضم المعجمة وتشديد الراء ، فى حديث أبي سعيد « فقال لبنيه لما حضر - بضم المهملة وكسر المعجمة أى حضره الموت - أى أب كنت لكم ؟ قالوا خير أب ، قال : فإنى لم أعمل خيراً قط ، فإذا مت سحقونى ثم ذرونى » بفتح أوله والتخفيف ، وفى رواية الكشميهني « ثم أذرنى » بزيادة همزة مفتوحة فى أوله ، فالأولى بمعنى دعونى أى اتركونى ، والثانى من قوله أذرت الريح الشىء إذا فرقته بهبوبها ، وهو موافق لرواية أبي هريرة .

قوله (في الريح) تقدم ما في رواية حذيفة من الخلاف في هذه اللفظة ، وفي حديث أبي سعيد « في يوم عاصف » أي عاصف ريحه ، وفي حديث معاذ عن شعبة عند مسلم « في ريح عاصف » ووقع في حديث موسى بن إسماعيل في أول الباب « حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي وامتحشت ، وهو بضم المثناة وكسر المهملة بعدها شين معجمة أي وصل الحرق العظام ، والمحش إحراق النار الجلد .

قوله (فوالله لئن قدر الله علي) في رواية الكشميني « لئن قدر علي ربي » قال الخطابي : قد يستشكل هذا فيقال كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتي ؟ والجواب أنه لم ينكر البعث وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب ، وقد ظهر إيمانه بإعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله قال ابن قتيبة : قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك ، ورده ابن الجوزي وقال : جحدته صفة القدرة كفر اتفاقاً ، وإنما قيل إن معنى قوله « لئن قدر الله علي » أي ضيق وهي كقوله ﴿ ومن قدر عليه رزقه ﴾ أي ضيق ، وأما قوله « لعل أضل الله » فعناه لعل أفوته ، يقال ضل الشيء إذا فات وذهب وهو كقوله ﴿ لا يضل ربي لا ينسى ﴾ ولعل هذا الرجل قال ذلك من شدة جزعه وخوفه كما غلط ذلك الآخر فقال أنت عبدى وأنا ربك ، أو يكون قوله « لئن قدر علي » بتشديد الدال أي قدر علي أن يعذبني ليعذبني ، أو على أنه كان مثبتاً للصانع وكان في زمن الفترة فلم تبلغه شرائط الإيمان ، وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقول ، ولم يقله قاصداً لحقيقة معناه بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه ، وأبعد الأقول قول من قال إنه كان في شرعهم جواز المغفرة للكافر .

قوله (فأمر الله الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت) وفي حديث سلمان الفارسي عند أبي عوانة في صحيحه « فقال الله له كن فكان كأسرع من طرفة العين » وهذا جميعه كما قال ابن عقيل إخبار عما سيقع له يوم القيامة ، وليس كما قال بعضهم إنه خاطب روحه ، فإن ذلك لا يناسب قوله « فجمعه الله » لأن التحريق والتفريق إنما وقع على الجسد وهو الذي يجمع ويعاد عند البعث .

قوله (وقان غيره خشيتك) الغير المذكور هو عبد الرزاق ، كذا رواه عن معمر بلفظ « خشيتك » بدل مخافتك ، وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق بهذا ، وقد وقع في حديث أبي سعيد « مخافتك » وفي حديث حذيفة « خشيتك »

قوله في آخر حديث أبي سعيد (فتلقاه رحمة) في رواية الكشميني فتلافاه قال ابن التين : أما تلقاه بالقاف فواضح . لكن المشهور تعديته بالباء وقد جاء هنا بغير تعدية ، وعلى هذا فالرحمة منصوبة على المفعولية ويحتمل أن يكون ذكر الرحمة وهي على هذا بالرفع ، قال « وأما تلافاه » بالفاء فلا أعرف له وجهها إلا أن يكون أصله فتلففه أي غشاه ، فلما اجتمعت ثلاث فآت أبدلت الأخيرة ألفاً مثل « دساها » كذا قال ولا يخفى تكلفه والذي يظهر أنه من الثلاثي ، والقول فيه كالقول في التلقى . وقد وقع في حديث سلمان « مما تلافاه عندها أن غفر له » . الحديث التاسع والعشرون حديث أبي هريرة في الذي كان يداين الناس ، قد تقدم في البيوع

الحديث الثلاثون حديث عبد الله وهو ابن عمر في التي ربطت الهرة ، ولم أقف على اسمها ، لكن تقدم أنها سوداء وأنها حميرية وأنها من بني إسرائيل ، وإنه لا تنافي بين ذلك ، وتقدم شرحه في أواخر بدء الخلق .
الحديث الحادي والثلاثون .

قوله (عن أبي مسعود) هذا هو المحفوظ ورواه إبراهيم بن سعد عن منصور عن عبد الملك فقال « عن ربيع بن حراش عن حذيفة » حكاه الدارقطني في « العلل » قال : ورواه أبو مالك الأشجعي أيضاً عن ربيع عن حذيفة ، قلت : روايته عند أحمد ، وليس يبعد أن يكون ربيع سمعه من أبي مسعود ومن حذيفة جميعاً .

قوله (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة) الناس بالرفع في جميع الطرق ويجوز النصب أي مما بلغ الناس ، وقوله « من كلام النبوة » أي مما اتفق عليه الأنبياء ، أي إنه مما ندب إليه الأنبياء ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم ، لأنه أمر أطبقت عليه العقول ، وزاد أبو داود وأحمد وغيرهما « النبوة الأولى » أي التي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم .

قوله (فاصنع ما شئت) هو أمر بمعنى الخبر ، أو هو للتهديد أي اصنع ما شئت فإن الله يجزيك ، أو معناه انظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان مما لا يستحي منه فافعله وإن كان مما يستحي منه فدعه ، أو المعنى أنك إذا لم تستح من الله من شيء يجب أن لا تستحي منه من أمر الدين فافعله ولا تبال بالخلق ، أو المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله ، أي لما لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الاستحياء . الحديث الثاني والثلاثون حديث ابن عمر « بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به » سيأتي شرحه مستوفى في كتاب اللباس ، وعبد الله هو ابن المبارك ، وقد رواه عن يونس أيضاً عبد الله بن وهب أخرجه النسائي وأبو عوانة في صحيحه .

قوله (تابعه عبد الرحمن بن خالد) أي ابن مسافر (عن الزهري) أي بهذا الإسناد ، وطريق عبد الرحمن هذه وصلها المؤلف في كتاب اللباس . الحديث الثالث والثلاثون حديث أبي هريرة في فضل يوم الجمعة ، تقدم شرحه مستوفى في كتاب الجمعة . الحديث الرابع والثلاثون حديث معاوية في النهي عن الوصل في الشعر ، وقد تقدم في هذا الباب من وجه آخر ، وتقدمت الإشارة إلى مكان شرحه .

قوله (تابعه غندر عن شعبة) وصله مسلم والنسائي من طريقه ، وأخرجه أحمد وابن أبي شيبة عن غندر - وهو محمد بن جعفر - به .

(خاتمة) : اشتمل كتاب أحاديث الأنبياء وما بعده من ذكر بني إسرائيل من الأحاديث المرفوعة على مائتي حديث وتسعة أحاديث ، المكرر منها فيه وفيما مضى مائة وسبعة وعشرون حديثاً ، والخالص اثنان وثمانون حديثاً ، المعلق منها ثلاثون طريقاً وسائرهما موصول ، وافقه مسلم على تخريجها سوى حديث عائشة « الأرواح جنود » وحديث « قال رجل رأيت السد » وهذان معلقان ، وحديث أبي هريرة « يلتقي إبراهيم

أباه « وحديث ابن عباس في قصة زمزم وبناء البيت بطوله ، وحديثه في تعويد الحسن والحسين ، وحديث سبرة بن معبد ، وحديث أبي الشموس ، وحديث أبي ذر وهذه الثلاثة معلقات ، وحديث أم رومان في قصة الإفك ، وحديث أبي هريرة « إنما سمى الخضر » وحديث ابن مسعود في يونس عليه السلام ، وحديث أبي هريرة « خفف على داود القرآن » وحديث عمر « لا تطروني » وحديث عائشة في كراهية الاتكاء على الحاصرة ، وحديث عبد الله بن عمرو « بلغوا عني » وحديث أبي هريرة إن « اليهود لا يصبغون » وحديث عائشة في الطاعون ، وحديث أبي مسعود في الحياء . وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم ستة وثمانون أثراً ، والله أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ب

قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾

وقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ الآية

وما ينهى من دعوى الجاهلية

الشعوب: النسب البعيد، والقبائل: دون ذلك.

[٣٤٨٩] ٣٣٧١- نا خالد بن يزيد الكاهلي قال نا أبو بكر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ قال: الشعوب: القبائل العظام. والقبائل البطون.

[٣٤٩٠] ٣٣٧٢- نا محمد بن بشار قال نا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال نا سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فيوسف نبي الله».

[٣٤٩١] ٣٣٧٣- نا قيس بن حفص قال نا عبد الواحد قال نا كليب بن وائل قال حدثني ربيعة النبي صلى الله عليه زينب بنت أبي سلمة قال: قلت لها: رأيت النبي صلى الله عليه أكان من مضر؟ قالت: ممن كان إلا من مضر بن النضر بن كنانة.

[الحديث ٣٤٩١ - طرفه في: ٣٤٩٢].

[٣٤٩٢] ٣٣٧٤- نا موسى قال نا عبد الواحد قال نا كليب قال حدثني ربيعة النبي صلى الله عليه وأظنها زينب - قالت: نهى رسول الله صلى الله عليه عن الدُّبَاءِ والحنتم والنكير والمزقت. وقلت لها: رأيت النبي صلى الله عليه كان من مضر؟ قالت: فممن كان إلا من مضر؟ كان من ولد النضر بن كنانة.

[٣٤٩٣] ٣٣٧٥- نا إسحاق بن إبراهيم قال أنا جرير عن عُمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه قال: «تجدون الناس معادن: خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا

[٣٤٩٤] ^(١) فقهاوا، وتجدونَ خيرَ الناسِ في هذا الشأنِ أشدَّهم له كراهيةً، وتجدونَ شرَّ الناسِ ذا الوجهين: الذي يأتي هؤلاءَ بوجهٍ، هؤلاءَ بوجهٍ».

[الحديث ٣٤٩٣ - طرفاه في: ٣٤٩٦، ٣٥٨٨].

[٣٤٩٥] ٣٣٧٦- ناقتيبةُ بنُ سعيدٍ قال نا المغيرةُ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ صلى الله عليه قال: «الناسُ تبعٌ لقريش في هذا الشأن: مسلمهم تبعٌ لمسلمهم، وكافرهم تبعٌ لكافرهم، الناسُ معادنٌ: خيارهم في الجاهليةِ خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، تجدون من خير الناسِ أشدَّ الناسِ كراهيةً لهذا الشأن حتى يقع فيه».

[٣٤٩٧] ٣٣٧٧- نا مسددٌ قال نا يحيى قال نا شعبة قال نا عبدُ الملك عن طاوس عن ابنِ عباسٍ ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال: فقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: قُربى محمد؟ فقال: إِنَّ النبيَّ صلى الله عليه لم يكن بطنٌ من قريش إلا وله فيه قرابة، فنزلت فيه، إلا أن تصلوا قرابةً بيني وبينكم.

[الحديث ٣٤٩٧ - طرفه في: ٤٨١٨].

[٣٤٩٨] ٣٣٧٨- نا عليُّ بنُ عبد الله قال نا سفيانُ عن إسماعيلَ عن قيس عن أبي مسعودٍ يبلغُ به النبيُّ صلى الله عليه قال: «من هاهنا جاءت الفتنُ نحو المشرق، والجفاءُ رغلطُ القلوب في الفدادين أهل الوبر عند أصولِ أذنانِ الإبل والبقر في ربيعة ومضر».

[٣٤٩٩] ٣٣٧٩- نا أبو اليمان قال أنا شعيبٌ عن الزُّهريِّ قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنَّ أبا هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه يقول: «الفخر والخيلاءُ في الفدادين أهل الوبر، والسكينةُ في أهل الغنم، والإيمانُ يمان والحكمةُ يمانية». قال أبو عبد الله: سُميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة، والشام لأنها عن يسار الكعبة، والمشامة: الميسرة، واليد اليسرى: الشؤمى، والجانب الأيسر: الأشأم.

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم . باب المناقب) كذا في الأصول التي وقفت عليها من كتاب البخارى

(١) الرقمان ٣٤٩٣ و ٣٤٩٤ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين .

(٢) الرقمان ٣٤٩٥ و ٣٤٩٦ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين .

وذكر صاحب الأطراف وكذا في بعض الشروح أنه قال « كتاب المناقب » فعلى الأول هو من جملة كتاب أحاديث الأنبياء ، وعلى الثاني هو كتاب مستقل ، والأول أولى فإنه يظهر من تصرفه أنه قصد به سياق الترجمة النبوية بأن يجمع فيه أمور النبي صلى الله عليه وسلم من المبدأ إلى المنتهى ، فبدأ بمقدماتها من ذكر ما يتعلق بالنسب الشريف فذكر أشياء تتعلق بالأنساب ومن ثم ذكر أموراً تتعلق بالقبائل ، ثم النهى عن دعوى الجاهلية لأن معظم فخرهم كان بالأنساب ثم ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم وشماله ومعجزاته ، واستطرد منها لفضائل أصحابه ، ثم أتبعها بأحواله قبل الهجرة وما جرى له بمكة فذكر المبعث ، ثم إسلام الصحابة وهجرة الحبشة والمعراج ووفود الأنصار والهجرة إلى المدينة ، ثم ساق المغازي على ترتيبها عنده ثم الوفاة ، فهذا آخر هذا الباب وهو من جملة تراجم الأنبياء وختمها بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ،

قوله (وقول الله عز وجل : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ الآية) يشير إلى ما تضمنته هذه الآية من أن المناقب عند الله إنما هي بالتقوى بأن يعمل بطاعته ويكف عن معصيته ، وقد ورد في الحديث ما يوضح ذلك : ففي صحيحى ابن خزيمة وابن حبان وتفسير ابن مردويه من رواية عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال « خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال : أما بعد يا أيها الناس ، فإن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها . يا أيها الناس ، الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله ، وفاجر شقى هين على الله . ثم تلا ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ ورجاله ثقات إلا أن ابن مردويه ذكر أن محمد بن المقرئ راويه عن عبد الله بن رجاء عن موسى بن عقبة وهم في قوله موسى بن عقبة وإنما هو « موسى بن عبيدة » ، وابن عقبة ثقة وابن عبيدة ضعيف ، وهو معروف برواية موسى بن عبيدة ، كذلك أخرجه ابن أبي حاتم وغيره ، وروى أحمد والحاثر وابن أبي حاتم من طريق أبي نضرة « حدثني من شهد خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بمنى وهو على بعير يقول : يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحر إلا بالتقوى ، خيركم عند الله أتقاكم » .

قوله (لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضاً بالنسب يقول فلان ابن فلان وفلان ابن فلان ، أخرجه الطبرى عن مجاهد .

قوله (وقوله تعالى : واتقوا الله الذى نساءلون به والأرحام) قال ابن عباس : أى اتقوا الأرحام وصلوها ، أخرجه ابن أبي حاتم عنه ، والأرحام جمع رحم ، وذوو الرحم الأقارب يطلق على كل من يجمع بينه وبين الآخر نسب ، والقراءة المشهورة « والأرحام » نصباً وعليها جاء تفسير ، وقرأ حمزة « والأرحام » بالجر ، واختلف في توجيهه ف قيل معطوف على الضمير المحرور فى « به » من غير إعادة الجار وهو جائز عند جمع ، ومنعه البصريون ، وقرأها ابن مسعود فيما قيل بالرفع فإن ثبت فهو مبتدأ والخبر محذوف تقديره مما يتقى أو مما يسأل به ، والمراد بذكر هذه الآية الإشارة إلى الاحتياج إلى معرفة النسب أيضاً لأنه يعرف به ذوو الأرحام المأمور بصلتهم ، وذكر ابن حزم فى مقدمة « كتاب النسب » له فصلاً فى الرد على من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر بأن فى علم النسب ما هو فرض على كل أحد ، وما هو فرض على الكفاية ، وما هو مستحب . قال : فمن ذلك أن يعلم أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابن عبد الله الهاشمي ، فمن زعم

أنه لم يكن هاشمياً فهو كافر ، وأن يعلم أن الخليفة من قريش ، وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرمة ليجتنب تزويج ما يحرم عليه منهم ، وأن يعرف من يتصل به ممن يرثه أو يجب عليه بره من صلة أو نفقة أو معاونة وإن يعرف أمهات المؤمنين وأن نكاحهن حرام على المؤمنين ، وإن يعرف الصحابة وأن حبهـم مطلوب وأن يعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية بذلك ولأن حبهـم إيمان وبغضهم نفاق ، قال : ومن الفقهاء من يفرق في الجزية وفي الاسترقاق بين العرب والعجم فحاجته إلى علم النسب أكد ، وكذا من يفرق بين نصارى بنى تغلب وغيرهم في الجزية وتضعيف الصدقة . قال : وما فرض عمر رضى الله عنه الديوان إلا على القبائل ، ولولا علم النسب ما تخلص له ذلك ، وقد تبعه على ذلك عثمان وعلى غيرهـما . وقال ابن عبد البر في أول كتابه النسب : ولعمري لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر انتهى . وهذا كلام قد ررى مرفوعاً ولا يثبت ، وروى عن عمر أيضاً ولا يثبت بل ورد في المرفوع حديث « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم » وله طرق أقواها ما أخرجه الطبراني من حديث العلاء بن خارجه ، وجاء هذا أيضاً عن عمر ساقه ابن حزم بإسناد رجاله موثقون إلا أن فيه انقطاعاً ، والذي يظهر حمل ما ورد من ذمه على التعمق فيه حتى يشتغل عما هو أهم منه ، وحمل ما ورد في استحسانه على ما تقدم من الوجوه التي أوردها ابن حزم ، ولا يخفى أن بعض ذلك لا يختص بعلم النسب والله المستعان .

قوله (وما ينهى عن دعوى الجاهلية) سيأتى الكلام عليه بعد أبواب قلائل .

قوله (الشعوب النسب البعيد ، والقبائل دون ذلك) هو قول مجاهد أخرجه الطبرى عنه ، وذكر أبو عبيدة مثال الشعب مضر وربيعة ، ومثال القبيلة من دون ذلك ، وأنشد لعمر بن أمية :

من شعب همدان أو سعد العشيرة أو خولان أو مذحج هاجوا له طرباً

قوله (حدثنا أبو بكر) هو ابن عياش الكوفى وكذا سائر الإسناد ، وأبو حصين بفتح أوله هو عثمان

ابن عاصم .

قوله (الشعوب : القبائل العظام ، والقبائل : البطون) أى إن المراد بلفظ القبائل في القرآن ما هو في اصطلاح أهل النسب البطون ، وقد روى الطبرى هذا الحديث عن خلاد بن أسلم وأبى كريب كلاهما عن أبى بكر بن عياش بهذا الإسناد ، لكن قال فى المتن « الشعوب الجماع » أى الذى يجمع متفرقات البطون ، قال خلاد قال أبو بكر : القبائل مثل بنى تميم ، ودونها الأفخاذ انتهى . وقد قسمها الزبير بن بكار فى « كتاب النسب » إلى شعب ثم قبيلة ثم عمارة بكسر العين ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة ، وزاد غيره قبل الشعب الجذم وبعد الفصيلة العشيرة ، ومنهم من زاد بعد العشيرة الأسرة ثم العترة ، فمثال الجذم عدنان ومثال الشعب مضر ومثال القبيلة كنانة ومثال العمارة قريش وأمثلة ما دون ذلك لا تحصى . ويقع فى عباراتهم أشياء مرادفة لما تقدم كقولهم حى وبيت وعقيلة وأرومة وجرثومة ورهط وغير ذلك ، ورتبها محمد بن أسعد النسابة المعروف بالحرانى جميعها وأردفها فقال : جذم ثم جمهور ثم شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم عشيرة ثم فصيلة ثم رهط ثم أسرة ثم عترة ثم ذرية . وزاد غيره فى أثنائها ثلاثة وهى بيت وحى وجماع فزادت على ما ذكر الزبير عشرة وقال أبو إسحق الزجاج : القبائل للعرب الأسباط لبنى إسرائيل ، ومعنى القبيلة الجماعة ، ويقال لكل ما جمع

على شيء واحد قبيلة أخذنا من قبائل الشجرة وهو غصونها أو من قبائل الرأس وهو أعضاؤه ، سميت بذلك لاجتماعها . ويقال : المراد بالشعوب في الآية بطون العجم وبالقبائل بطون العرب . ثم ذكر المصنف في الباب سبعة أحاديث : الأول حديث أبي هريرة « قيل يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال أتقاهم » الحديث ، أورده مختصراً ، وقد مضى في قصة يوسف ، والغرض منه واضح ، وإنما أطلق على يوسف أكرم الناس لكونه رابع نبي في نسق ولم يقع ذلك لغيره ، فإنه اجتمع له الشرف في نسبه من وجهين . الحديث الثاني .

قوله (حدثنا عبد الواحد) هو ابن زياد .

قوله (حدثنا كليب بن وائل) هذا هو المحفوظ ، ورواه عفان عن عبد الواحد فقال « عن عاصم ابن كليب » أخرجه الإسماعيلي وهو خطأ من عفان ، وكليب بن وائل تابعي وسط كوفي أصله من المدينة وهو ثقة عند الجميع إلا أن أبا زرعة ضعفه بغير قادح ، وليس له في البخاري سوى هذا الحديث .

قوله (حدثني ربيعة النبي صلى الله عليه وسلم) هي بنت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله (قالت ممن كان إلا من مضر) في رواية الكشميهني « فمن كان » بزيادة فاء في الجواب وهو استفهام إنكار ، أي لم يكن إلا من مضر .

قوله (مضر) هو ابن نزار ابن معد بن عدنان والنسب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم مختلف فيه كما سيأتي ، وأما من النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان فاتفق عليه . وقال ابن سعد في « الطبقات » حدثنا هشام بن الكلبي قال « علمني أبي وأنا غلام نسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وهو شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وإليه جماع قريش ، وما كان فوق فهر فليس بقريشي بل هو كنان ، ابن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عمرو بن إلياس بن مضر . وروى الطبراني بإسناد جيد عن عائشة قالت « استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان » ومضر بضم الميم وفتح المعجمة يقال سمي بذلك لأنه كان مولعاً بشرب اللبن الماخر وهو الحامض ، وفيه نظر لأنه يستدعي أنه كان له اسم غيره قبل أن يتصف بهذه الصفة ، نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ، ولا يلزم أن يكون متصفاً به حالة التسمية ، وهو أول من حدا الإبل . وروى ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال « مات عدنان وأبوه وابنه معد وربيعه ومضر وقيس وتميم وأسد وضبة على الإسلام على ملة إبراهيم » وروى الزبير بن بكار من وجه آخر عن ابن عباس « لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين » ، ولابن سعد من مرسل عبد الله بن خالد رفعه « لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم » .

قوله (من بني النضر بن كنانة) أي المذكور ، وروى أحمد وابن سعد من حديث الأشعث بن قيس الكندي قال « قلت يا رسول الله إنا نزع منكم منا - يعني من اليمن - فقال نحن بنو النضر بن كنانة » وروى ابن سعد من حديث عمرو بن العاص بإسناد فيه ضعف مرفوعاً « أنا محمد بن عبد الله ، وانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ، قال فمن قال غير ذلك فقد كذب » انتهى . وإلى النضر تنهى أنساب قريش ، وسيأتي بيان ذلك في الباب الذي يليه ، وإلى كنانة تنهى أنساب أهل الحجاز ، وقد روى مسلم من حديث وائلة

مرفوعاً « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » و لابن سعد من مرسل أبي جعفر الباقر : ثم اختار بني هاشم من قريش ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم .

قوله (حدثنا موسى) هو ابن إسماعيل التبوذكي .

قوله (وأظنها زينب) كأن قائله موسى ، لأن قيس بن حفص في الرواية التي قبلها قد جزم بأنها زينب ، وشيخها واحد . لكن أخرجه الإسماعيلي من رواية حبان بن هلال عن عبد الواحد وقال : لا أعلمها إلا زينب ، فكأن الشك فيه من شيخهم عبد الواحد ، كان يجزم بها تارة ويشك فيها أخرى .

قوله (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الدباء) بضم المهملة وتشديد الموحدة سيأتي شرحه في كتاب الأشربة ، وأورده هنا لكونه سمع الحديث على هذه الصورة وهذا هو المرفوع منه فلم ير حذفه من السياق ، على أنه لم يطرده في ذلك عمل : فإنه تارة يأتي بالحديث على وجهه كما صنع هنا ، وتارة يقتصر على موضع حاجته منه كما تقدم في عدة مواطن .

قوله (والمقير والمزفت) كذا وقع هنا بالميم والقاف المفتوحة ، قال أبو ذر : هو خطأ والصواب النفير يعني بالنون وكسر القاف وهو واضح لثلا يلزم منه التكرار إذا ذكر المزفت . الحديث الثالث يشتمل على ثلاثة أحاديث : أولها :

قوله (حدثني إسحق بن إبراهيم) هو ابن راهويه .

قوله (تجلدون الناس معادن) أى أصولاً مختلفة ، والمعادن جمع معدن وهو الشيء المستقر في الأرض ، فتارة يكون نفيساً وتارة يكون خسيساً ، وكذلك الناس .

قوله (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام) وجه التشبيه « إن المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفاً في الجاهلية فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس فإن أسلم استمر شرفه ركان أشرف ممن أسلم من المشركين في الجاهلية ، وأما قوله إذا فقهوا ففيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين ، وعلى هذا فتقسم الناس أربعة أقسام مع ما يقابلها : الأول شريف في الجاهلية أسلم وتفقه ، ويقابله مشرؤف في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه . الثاني شريف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه ، ويقابله مشرؤف في الجاهلية لم يسلم وتفقه ، الثالث شريف في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه ، ويقابله مشرؤف في الجاهلية لم يسلم وتفقه . الرابع شريف في الجاهلية لم يسلم وتفقه ، ويقابله مشرؤف في الجاهلية لم يسلم وتفقه . وأما من لم يسلم فلا اعتبار به سواء كان شريفاً أو مشرؤفاً سواء تفقه أو لم يتفقه والله أعلم . والمراد بالخيار والشرف وغير ذلك من كان متصفاً بمحاسن الأخلاق ، كالكرم والعفة والحلم وغيرها ، متوقفاً لمساويها كالبخل والفجور والظلم وغيرها .

قوله (إذا فقهوا) بضم القاف ويجوز كسرهما . ثانيها .

قوله (ويجنون خير الناس في هذا الشأن) أى الرلاية والإمرة ، وقوله « أشدهم له كراهية » أى أن الدخول في عهدة الإمرة مكروه من جهة تحمل المشقة فيه ، وإنما تشدد الكراهة له ممن يتصف بالعقل والدين ، لما فيه من صعوبة العمل بالعدل وحمل الناس على رفع الظلم ، ولما يترتب عليه من مطالبة الله تعالى للقائم به من حقوقه وحقوق عباده ، ولا يخفى خيرية من خاف مقام ربه . وأما قوله في الطريق التي بعد هذه « وتجنون من خير الناس أشد الناس كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه » فإنه قيد الإطلاق في الرواية الأولى وعرف أن من فيه مراده ، وأن من اتصف بذلك لا يكون خير الناس على الإطلاق . وأما قوله « حتى يقع فيه » فاختلف في مفهومه فقيل : معناه أن من لم يكن حريصاً على الإمرة غير راغب فيها إذا حصلت له بغير سؤال تزول عنه الكراهة فيها لما يرى من إعانة الله له عليها ، فيأمن على دينه ممن كان يخاف عليه منها قبل أن يقع فيها ، ومن ثم أحب من أحب استمرار الولاية من السلف الصالح حتى قاتل عليها ، وصرح بعض من عزل منهم بأنه لم تسره الولاية بل ساءه العزل . وقيل المراد بقوله « حتى يقع فيه » أى فإذا وقع فيه لا يجوز له أن يكرهه ، وقيل معناه أن العادة جرت بذلك وأن من حرص على الشيء ورغب في طلبه قل أن يحصل له ، ومن أعرض عن الشيء وقلت رغبته فيه يحصل له غالباً والله أعلم . ثالثها :

قوله (وتجنون شر الناس ذا الوجهين) سيأتى شرحه في كتاب الأدب ، فقد أورده من وجه آخر مستقلاً . الحديث الرابع يشتمل على ثلاثة أحاديث اثنين في الذى قبله وثالثها :

قوله (الناس تبع لقريش) قيل هو خبر بمعنى الأمر ، ويدل عليه قوله في رواية أخرى « قدموا قريشاً ولا تقدموها » أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح ، لكنه مرسل وله شواهد ، وقيل هو خبر على ظاهره والمراد بالناس بعض الناس وهم سائر العرب من غير قريش ، وقد جمعت في ذلك تأليفاً سميته « لذة العيش » ، بطرق الأئمة من قريش « وسأذكر مقاصده في كتاب الأحكام مع إيضاح هذه المسألة . قال عياض : استدل الشافعية بهذا الحديث على إمامة الشافعى وتقديمه على غيره ، ولا حجة فيه لأن المراد به هنا الخلفاء . وقال القرطبي : صحبت المستدل بهذا غفلة مقارنة لصميم التقليد . وتعقب بأن مراد المستدل أن القرشية من أسباب الفضل والتقدم كما أن من أسباب التقدم الورع مثلاً ، فالمستويان في خصال الفضل إذا تميز أحدهما بالورع مثلاً كان مقدماً على رفيقه ، فكذلك القرشية ، فثبت الاستدلال بها على تقدم الشافعى ومزيتد على من ساواه في العلم والدين لمشاركته له في الصفتين وتميزه عليه بالقرشية ، وهذا واضح ، ولعل الغفلة والعصبية صحبت القرطبي فله الأمر . وقوله « كافرهم تبع لكافرهم » وقع مصداق ذلك لأن العرب كانت تعظم قريشاً في الجاهلية بسكناها الحرم ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعا إلى الله توقف غالب العرب عن اتباعه وقالوا ننظر ما يصنع قومه ، فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت قريش تبعتهم العرب ودخلوا في دين الله أفواجا ، واستمرت خلافة النبوة في قريش ، فصدق أن كافرهم كان تبعاً لكافرهم وصار مسلمهم تبعاً لمسلمهم . الحديث الخامس .

قوله (حدثني عبد الملك) هو ابن ميسرة ، وقع منسوباً في تفسير حم عسق ويأتى شرحه مستوفى هناك

ودخوله في هذه الترجمة واضح من جهة تفسير المودة المطلوبة في الآية بصلة الرحم التي بينه وبين قريش وهم الذين خوطبوا بذلك ، وذلك يستدعي معرفة النسب التي تحقق بها صلة الرحم . قال عكرمة : كانت قريش تصل الأرحام في الجاهلية ، فلما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله خالفوه وقاطعوه ، فأمرهم بصلة الرحم التي بينه وبينهم . وسيأتي بيان الاختلاف في المراد بقوله ﴿ المودة في القربى ﴾ في التفسير وقوله هنا « إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا وله فيه قرابة فنزلت فيه إلا أن تصلوا قرابة بني وبينكم » كذا وقع هنا من رواية يحيى وهو القطان عن شعبة ، ووقع في التفسير من رواية محمد بن جعفر وهو غندر عن شعبة بلفظ « إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » وهذه الرواية واضحة والأولى مشكلة لأنها توهم أن المذكور بعد قوله « فنزلت » من القرآن وليس كذلك ، وقد مشى بعض الشراح على ظاهره فقال : كان هذا قرآناً فنسخ ، وقال غيره يحتمل أن هذا الكلام معنى الآية فنسب إلى النزول مجازاً ، وهو كقول حسان في قصيدته المشهورة :

وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق ليس به خفاء

يريد أنه من قول الله بالمعنى . قلت : والذي يظهر لي أن الضمير في قوله « فنزلت » للآية المستول عنها وهي قوله ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ وقوله « إلا أن تصلوا » كلام ابن عباس تفسير لقوله تعالى ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ وقد أوضحت ذلك رواية الإسماعيلي من طريق معاذ بن معاذ عن شعبة فقال في روايته « فقال ابن عباس : إنه لم يكن بطن من بطون قريش إلا للنبي صلى الله عليه وسلم فيه قرابة فنزلت ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً ﴾ إلا أن تصلوا قرابتي منكم » وله من طريق يزيد بن زريع عن شعبة مثله لكن قال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة فجوف بهذا أن المراد ذكر بعض الآية بالمعنى على جهة التفسير ، وسبب ذلك خفاء معناها على سعيد بن جبير ، وسيأتي ذكر ما يتعلق بذلك في التفسير إن شاء الله تعالى . الحديث السادس .

قوله (عن إسماعيل) هو ابن أبي خالد وقيس هو ابن أبي حازم .

قوله (يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم) هذا صريح في رفعه ، وليس صريحاً في أن الصحابي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله (من ههنا) أي المشرق .

قوله (جاءت الفتن) ذكره بلفظ الماضي مبالغة وفي تحقق وقوعه وإن كان المراد أن ذلك سيجيء .

قوله (نحو المشرق) أي وأشار إلى جهة المشرق ، وقد تقدم في بدء الخلق من وجه آخر عن إسماعيل « حدثني قيس عن عقبة بن عمرو أبي مسعود قال إشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم » فذكر الحديث .

قوله (والجفاء وغلظ القلوب) قال القرطبي هما شيئان لمسمى واحد كقوله ﴿ إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ والبث هو الحزن ، ويحتمل أن يقال : المراد بالجفاء أن القلب لا يلين بالموعظة ولا ينخشع لتذكره

والمراد بالغلط أنها لا تفهم المراد ولا تعقل المعنى ، وقد مضى في الرواية التي في بدء الخلق بلفظ « القسوة » بدل الجفاء .

قوله (في الفدادين) تقدم شرحه في بدء الخلق ، قال الكرماني : مناسبة هذا الحديث والذي بعده للترجمة من ضرورة أن الناس باعتبار الصفات كالتبائل ، وكون الأتق منهم هو الأكرم انتهى . ولقد أبعد النجعة ، والذي يظهر أنها من جهة ذكر ربيعة ومضر ، لأن معظم العرب يرجع نسبه إلى هذين الأصلين وهم كانوا أجل أهل المشرق ، وقريش الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم أحد فروع مضر « فأما أهل اليمن فتعرض لهم في الحديث الذي بعده ، وسيأتى لهم ترجمة « من نسب العرب كلهم إلى إسماعيل » . الحديث السابع .

قوله في حديث أبي هريرة (والإيمان يمان والحكمة يمانية) ظاهره نسبة الإيمان إلى اليمن لأن أصل يمان يمني فحذفت ياء النسب وعوض بالألف بدلها ، وقوله « يمانية » هو بالتخفيف ، وحكى ابن السيد في « الاقتضاب » أن التشديد لغة . وحكى الجوهرى وغيره أيضاً عن سيويه جواز التشديد في يمانى وأنشد :

يمانياً يظل يشد كبيراً وينفخ دائماً لهب الشواظ

واختلف في المراد به فقليل معناه نسبة الإيمان إلى مكة لأن مبدأه منها ، ومكة يمانية بالنسبة إلى المدينة . وقيل : المراد نسبة الإيمان إلى مكة والمدينة وهما يمانيتان بالنسبة للشام بناء على أن هذه المقالة صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ بتبوك ، ويؤيده قوله في حديث جابر عند مسلم « والإيمان في أهل الحجاز » ، وقيل المراد بذلك الأنصار لأن أصلهم من اليمن ونسب الإيمان إليهم لأنهم كانوا الأصل في نصر الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، حكى جميع ذلك أبو عبيدة في « غريب الحديث » له . وتعقبه ابن الصلاح بأنه لا مانع من إجراء الكلام على ظاهره ، وأن المراد تفضيل أهل اليمن على غيرهم من أهل المشرق ، والسبب في ذلك إذعانهم إلى الإيمان من غير كبير مشقة على المسلمين ، بخلاف أهل المشرق وغيرهم ، ومن اتصف بشيء وقوى قيامه به نسب إليه إشعاراً بكمال حاله فيه ، ولا يلزم من ذلك نفي الإيمان عن غيرهم ، وفي ألفاظه أيضاً ما يقتضى أنه أراد به أقواماً بأعيانهم فأشار إلى من جاء منهم لا إلى بلد معين ، لقوله في بعض طرقه في الصحيح « أتاكم أهل اليمن ، هم ألين قلوباً وأرق أفئدة ، الإيمان يمان والحكمة يمانية ، ورأس الكفر قبل المشرق » ولا مانع من إجراء الكلام على ظاهره وحمل أهل اليمن على حقيقته . ثم المراد بذلك الموجود منهم حينئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان ، فإن اللفظ لا يقتضيه . قال : والمراد بالفقه الفهم في الدين ، والمراد بالحكمة العلم المشتمل على المعرفة بالله انتهى . وقد أبعد الحكيم الترمذى حيث زعم أن المراد بذلك شخص خاص وهو أويس القرني ، وسيأتى في « باب ذكر قحطان » زيادة في هذا والله أعلم .

قوله (قال أبو عبد الله) هو المصنف .

قوله (سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة) هو قول أبي عبيدة قاله في تفسير الواقعة ، وروى عن قطرب

قال : إنما سمي اليمن يمناً ليمنه والشام شأماً لشؤمه ، وقال الهمداني في « الأنساب » : لما ظننت العرب العاربة أقبل بنو قطن بن عامر فتيامنوا ، فقالت العرب : تيامنت بنو قطن فسموا اليمن . وتشاءم الآخرون فسموا شأماً وقيل : إن الناس لما تفرقت ألسنتهم حين تبلبلت ببابل أخذ بعضهم عن يمين الكعبة فسموا يمناً وأخذ بعضهم عن شمالها فسموا شأماً ، وقيل إنما سميت اليمن بيمين بن قحطان وسميت الشام بسام بن نوح ، وأصله شام بالمعجمة ثم عرب بالمهمله .

قوله (والمشامة الميسرة إلخ) يريد أنهما بمعنى ، قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى ﴿ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴾ : أى أصحاب الميسرة ، ويقال لليد اليسرى الشؤمى قال : ويقال للجانب الأيسر الأشام انتهى ، ويقال : المراد بأصحاب المشأمة أصحاب النار لأنهم يمر بهم إليها وهى على ناحية الشمال ، ويقال لهم ذلك لأنهم يتناولون كتبهم بالشمال ، والله تعالى أعلم .

باب مناقب قريش

[٣٥٠٠] ٣٣٨٠- نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن الزهري قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية - وهو عنده في وفد من قريش - أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان ، فغضب معاوية ، فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد ، فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ، ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه ، فأولئك جهالكم ، فإياكم والأمانى التي تضل أهلها ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « إن هذا الأمر في قريش ، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ، ما أقاموا الدين » .
[الحديث ٣٥٠٠ - طرفه في : ٧١٣٩]

[٣٥٠٤] ٣٣٨١- نا أبو نعيم قال نا سفيان عن سعد ، قال أبو عبد الله وقال يعقوب بن إبراهيم نا أبي عن أبيه قال نا عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه : « قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالى ، ليس لهم مولى دون الله ورسوله » .
[الحديث ٣٥٠٤ - طرفه في : ٣٥١٢]

[٣٥٠١] ٣٣٨٢- نا أبو الوليد قال نا عاصم بن محمد قال سمعت أبي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه قال : « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان » .

[٣٥٠٢] ٣٣٨٣- نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن جبير بن مطعم قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان فقال : يا رسول الله ، أعطيت بني المطلب

وتركتنا، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة. فقال النبي صلى الله عليه: «إنما بنو هاشم وبنو^(١) المطلب شيء واحد». وقال الليث بن أبي الأسود محمد عن عروة بن الزبير قال: ذهب عبد الله بن الزبير مع أناس من بني زهرة إلى عائشة، وكانت أرق شيء عليهم، لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه.

[الحديث ٣٥٠٣ - طرفاه في: ٣٥٠٥، ٦٠٧٣].

٣٣٨٤ - فابن عبد الله بن يوسف قال نا الليث قال ني أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال كان عبد الله بن الزبير أحب البشر إلى عائشة بعد النبي صلى الله عليه وأبي بكر، وكان أبر الناس بها، وكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله تصدقت. فقال ابن الزبير: ينبغي أن يؤخذ على يديها؟ فقالت: أيؤخذ على يدي؟! علي نذر إن كلمته. فاستشفع إليها برجال من قريش، وبأخوال رسول الله صلى الله عليه خاصة، فامتنعت. فقال له الزهريون أخوال النبي صلى الله عليه - منهم عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث والمصور بن مخرمة - إذا استأذنا فافتحم الحجاب، ففعل، فأرسل إليها بعشر رقاب، فأعتقتهم، ثم لم تزل تعتقهم حتى بلغت أربعين، فقالت: وددت أني جعلت - حين حلفت - عملاً أعمله فأفرغ منه.

قوله (باب مناقب قريش) هم ولد النضر بن كنانة، وبذلك جزم أبو عبيدة أخرجه ابن سعد عن أبي بكر بن الجهم، وروى عن هشام بن الكلبي عن أبيه: كان سكان مكة يزعمون أنهم قريش دون سائر بني النضر حتى رحلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه: من قريش؟ قال: ومن ولد النضر بن كنانة. وقيل: إن قريشاً هم ولد فهر بن مالك بن النضر، وهذا قول الأكثر وبه جزم مصعب قال: ومن لم يلبده فهر فليس قريشاً، وقد قدمت مثله عن ابن الكلبي. وقيل: أول من نسب إلى قريش قصي بن كلاب، فروى ابن سعد أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير: متى سميت قريش قريشاً؟ قال: حين اجتمعت إلى الحرم بعد تفرقها. فقال: ما سمعت بهذا، ولكن سمعت أن قصياً كان يقال له القرشي، ولم يسم أحد قريشاً قبله. وروى ابن سعد من طريق المقداد: لما فرغ قصي من نفي خزاعة من الحرم تجمعت إليه قريش فسميت يومئذ قريشاً لحال تجمعها، والتقرش التجمع. وقيل لتلبسهم بالتجارة، وقيل لأن الجد الأعلى جاء في ثوب واحد متجمعاً فيه فسمى قريشاً، وقيل من التقرش وهو أخذ الشيء أولاً فأولاً. وقد أكثر ابن دحية من نقل الخلاف في سبب تسمية قريش قريشاً ومن أول من تسمى به. وحكى الزبير بن بكار عن عمه

(١) الرقمان ٣٥٠٢ و ٣٥٠٣ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

مصعب أن أول من تسمى قريشاً قريش بن بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة ، وكان دليل بني كنانة في حروبهم ، فكان يقال قدمت غير قريش ، فسميت قريش به قريشاً ، وأبوه صاحب بدر الموضع المعروف وقال المطرزي : سميت قريش بدابة في البحر هي سيدة الدواب البحرية ، وكذلك قريش سادة الناس ، قال الشاعر :

وقريش هي التي تسكن البحر ر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لدى جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش يأكلون البلاد أكلا كيشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والحموشا

وقال صاحب « المحكم » قريش دابة في البحر لا تدع دابة في البحر إلا أكلتها ، فجميع الدواب تخافها . وأنشد البيت الأول . قلت : والذي سمعته من أفواه أهل البحر : القرش بكسر القاف وسكون الراء لكن البيت المذكور شاهد صحيح فلعله من تغيير العامة ، فإن البيت الأخير من الأبيات المذكورة يدل على أنه من شعر الجاهلية ثم ظهر لي أنه مصغر القرش الذي بكسر القاف . وقد أخرج البيهقي من طريق ابن عباس قال : قريش تصغير قرش وهي دابة في البحر لا تمر بشيء من غث ولا سمين إلا أكلته ، وقيل سمي قريشاً لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم ويسدها ، والتقرش هو التفتيش ، وقيل سموا بذلك لمعرفتهم بالطعان والتقرش وقع الأسنة ، وقيل التقرش التنزه عن رذائل الأمور ، وقيل : هو من أقرشت الشجة إذا صدعت العظم ولم تهشمه ، وقيل أقرش بكذا إذا سعى فيه فوقع له ، وقيل غير ذلك ، ثم ذكر المصنف في الباب خمسة أحاديث : الأول

قوله (كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث) سيأتي في الأحكام الرد على من زعم أن الزهري لم يسمعه من المذكور وأذكر إن شاء الله شرح هذه المسألة هناك .

قوله (من قحطان) هو جماع اليمن ، وفي إنكار معاوية ذلك نظر لأن الحديث الذي استدل به مقيد بإقامة الدين فيحتمل أن يكون خروج القحطاني إذا لم تقم قريش أمر الدين وقد وجد ذلك ، فإن الخلافة لم تزل في قريش والناس في طاعتهم إلى أن استخفوا بأمر الدين فضعف أمرهم وتلاشى إلى أن لم يبق لهم من الخلافة سوى اسمها المجرد في بعض الأقطار دون أكثرها ، وسيأتي مصداق قول عبد الله بن عمرو بعد قليل من حديث أبي هريرة ، وقول عبد الله بن عمرو « يكون ملك من قحطان » بين نعيم بن حماد في كتاب الفتن من وجه قوي عن عمرو بن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو أنه ذكر الخلفاء ثم قال « ورجل من قحطان » وأخرجه بإسناد جيد أيضاً من حديث ابن عباس قال فيه « ورجل من قحطان كلهم صالح » وروى أحمد والطبراني من حديث ذي نجر الحبشي مرفوعاً « كان الملك قبل قريش في حمير وسيعود إليهم » وقال ابن التين : إنكار معاوية على عبد الله بن عمرو لأنه حمله على ظاهره ، وقد يخرج القحطاني في ناحية لا أن حكمه يشمل الأقطار ، وهذا الذي قاله بعيد من ظاهر الخبر .

الحديث الثاني .

قوله (إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد) هي رواية الأكثر ووقع للحموي « سى واحد » بكسر المهملة وتشديد التحتانية ، وحكى ابن التين أن أكثر الروايات بالمعجمة وأن فيها أحد بدل واحد ، واستشكله بأن لفظ أحد إنما يستعمل في النفي تقول ما جاءني أحد ، وأما في الإثبات فتقول جاءني واحد .
الحديث الخامس (١) :

قوله (وقال الليث حدثني أبو الأسود محمد) أي ابن عبد الرحمن (عن عروة بن الزبير قال : ذهب عبد الله بن الزبير مع أناس من بني زهرة إلى عائشة وكانت أرق شيء عليهم لقرباتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا طرف من الحديث الذي أورده موصولا بعده عن عبد الله بن يوسف عن الليث وفيه بيان السبب في ذلك ، ولم أره في جميع النسخ إلا هكذا معلقاً ، وقرابة بني زهرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين : أحدهما أنهم أقارب أمه لأنها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ، والثاني أنهم إخوة قصي بن كلاب بن مرة وهو جد والد جد النبي صلى الله عليه وسلم ، والمشهور عند جميع أهل النسب أن زهرة اسم الرجل ، وشذ ابن قتيبة فزعم أنه اسم امرأته وأن ولدها غلب عليهم النسب إليها ، وهو مردود بقول إمام أهل النسب هشام بن الكلبي : إن اسم زهرة المغيرة ، فإن ثبت قول ابن قتيبة فالمغيرة اسم الأب وزهرة اسم امرأته فنسب أولادهما إلى أمهم ثم غلب ذلك حتى ظن أن زهرة اسم الأب فقليل زهرة بن كلاب ، وزهرة بضم الزاى بلا خلاف .

قوله (حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان) هو الثوري (عن سعد بن إبراهيم) أي ابن عبد الرحمن بن عوف (ح قال يعقوب بن إبراهيم) أي ابن سعد بن إبراهيم (حدثنا أبي عن أبيه) أما طريق أبي نعيم فسيأتي بهذا المتن بعد ثلاثة أبواب مع شرح الحديث . وأما طريق يعقوب بن إبراهيم فقال أبو مسعود : حمل البخاري متن حديث يعقوب على متن حديث الثوري ، ويعقوب إنما قال عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الأعرج كما أخرجه مسلم ولفظه « غفار وأسلم ومزينة ومن كان من جهينة خير عند الله من أسد وغطفان وطئ » انتهى . فحاصله أن رواية يعقوب مخالفة لرواية الثوري في المتن والإسناد ، لأن الثوري يرويه عن سعد بن إبراهيم عن الأعرج ويعقوب يرويه عن أبيه عن صالح عن الأعرج . قلت : ولم يصب أبو مسعود فيما جزم به فلإنهما حديثان متغايران متناً وإسناداً ، روى كلا منهما إبراهيم بن سعد : أحدهما الذي أخرجه مسلم وهو عنده عن صالح عن الأعرج والآخر الذي علقه البخاري وهو عنده عن أبيه عن الأعرج ؛ ولو كان كما قال أبو مسعود لاقتضى أن البخاري أخطأ في قوله « حدثنا أبي عن أبيه حدثني الأعرج » وكان الصواب أن يقول حدثنا أبي عن صالح عن الأعرج ونسبة البخاري إلى الوهم في ذلك لا تقبل إلا ببيان واضح قاطع ، ومن أين يوجد وقد ضاق مخرجه على الإسماعيلي فأخرجه من طريق البخاري نفسه معلقاً ولم يتعقبه ، ولا يلزم من عدم وجود هذا المتن بهذا الإسناد بعد التتبع عدمه في نفس الأمر ، والله أعلم . الحديث الثالث حديث ابن عمر « لا يزال هذا

(١) يظهر أن هذا من تحريف النساخ ؛ لأن قوله : وقال الليث هو تابع للحديث الذي وصفه بأنه الحديث الثاني .

الأمر في قريش ما بقي منهم إثنان » قال الكرمانى : ليست الحكومة في زمننا لقريش فكيف يطابق الحديث ؟ وأجاب عن ذلك بأن في بلاد الغرب خليفة من قريش وكذا في مصر ، وتعقب بأن الذى في الغرب هو الحفصى صاحب تونس وغيرها وهو منسوب إلى أبى حفص رقيق عبد المؤمن صاحب ابن تومرت الذى كان على رأس المائة السادسة ادعى أنه المهدي ثم غلب أتباعه على معظم الغرب وسموا بالخلافة وهم عبد المؤمن وذريته ، ثم انتقل ذلك إلى ذرية أبى حفص ولم يكن عبد المؤمن من قريش ؛ وقد تسمى بالخلافة هو وأهل بيته . وأما أبو حفص فلم يكن يدعى أنه من قريش في زمانه ، وإنما ادعاه بعض ولده لما غلبوا على الأمر فزعموا أنهم من ذرية أبى حفص عمر بن الخطاب ، وليس بيدهم الآن إلا المغرب الأدنى ، وأما الأقصى فمع بنى الأحمر وهم منسوبون إلى الأنصار ، وأما الأوسط فمع بنى مرين وهم من البربر . وأما قوله « فخليفة من مصر » فصحيح (١) ولكنه لا حل بيده ولا ربط وإنما له من الخلافة الاسم فقط ، وحينئذ هو خبر بمعنى الأمر : وإلا فقد خرج هذا الأمر عن قريش في أكثر البلاد ، ويحتمل حمله على ظاهره وإن المتغلبين على النظر في أمر الرعية في معظم الأقطار وإن كانوا من غير قريش لكنهم معترفون أن الخلافة في قريش ويكون المراد بالأمر مجرد التسمية بالخلافة لا الاستقلال بالحكم ، والأول أظهر ، والله أعلم . الحديث الرابع حديث جبير بن مطعم في السؤال عن بنى نوفل وعبد شمس ، تقدم شرحه في كتاب الخمس .

قوله (كان عبد الله بن الزبير أحب البشر إلى عائشة) هو ابن أختها أسماء بنت أبى بكر وكانت قد تولت تربيته حتى كانت تكنى به .

قوله (وكانت لا تمسك شيئاً) أى لا تدخر شيئاً مما يأتيها من المال . (ينبغى أن يؤخذ على يديها) أى يحجر عليها وصرح بذلك في حديث المسور بن مخرمة كما سيأتى بأوضح من هذا السياق لهذه القصة في كتاب الأدب وسأذكر شرحه هناك إن شاء الله تعالى .

قوله (وقالت وددت أنى جعلت حين حلفت عملاً أعمله فأفرغ منه) استدل به على انعقاد النذر المجهول ، وهو قول المالكية لكنهم يجعلون فيه كفارة يمين ، وظاهر قول عائشة وصنيعها أن ذلك لا يكتفى وأنه يحمل على أكثر ما يمكن أن ينذر ، ويحتمل أن تكون فعلت ذلك تورعاً لتيقن براءة الذمة ، وأبعد من قالت تمت أن يلوم لها العمل الذى عملته للكفارة أى تصير تعتق دائماً ، وكذا من قال تمت أنها بادرت إلى الكفارة حين حلفت ولم تكن هجرت عبد الله بن الزبير تلك المدة ، ووجه بعد الأول أنه لم يكن في السياق ما يقتضى منعها من العتق فكيف تمنى ما لا مانع لها من إيقاعه ؟ ثم إنه يقيد بإقتدارها عليه لا إلزامها به مع عدم الاقتدار ، وأما بعد الثانى فلقوها في بعض طرق الحديث كما سيأتى أنها كانت تذكر نذرها فتبكي حتى يبل دمعها خمارها فإن فيه إشارة إلى أنها كانت تظن أنها ما وفّت بما يجب عليها من الكفارة . واستشكل ابن التين وقوع الحنث عليها بمجرد دخول ابن الزبير مع الجماعة قال : إلا أن يكون لما سلموا عند دخولهم ردت عليهم السلام وهو في جملتهم فوقع الحنث قبل أن يقتحم الحجاب انتهى . وغفل عما وقع في حديث المسور الذى أشرت إليه وفيه « فقالت عائشة إني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير » مع أن التأويل الذى تأوله ابن التين لو لم يرد هذا التصريح لكان متعقبا ، ووجهه أنه يجوز لها رد السلام عليهم إذا نوت إخراجهم ولا تحنث بذلك ، والله أعلم .

باب نزل القرآن بلسان قريش

٣٣٨٥- نا عبد العزيز بن عبد الله قال نا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن أنس أن عثمان دعا زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا ذلك .

[الحديث ٣٥٠٦ - طرفاه في : ٤٩٨٤ ، ٤٩٨٧ .]

قوله (باب نزل القرآن بلسان قريش) أورد فيه طرفاً من حديث أنس في أمر عثمان بكتابة المصاحف ، وسيأتي مبسوطاً مشروحاً في فضائل القرآن ، ووجه دخوله في مناقب قريش ظاهر . والله أعلم .

باب نسبة اليمن إلى إسماعيل

منهم أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة .

٣٣٨٦- نا مسدد قال نا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد قال نا سلمة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق فقال : « ارموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً ، وأنا مع بني فلان » - لأحد الفريقين - فأمسكوا بأيديهم . قال : فقال : « ما لهم ؟ » قالوا : وكيف نرمي وأنت مع بني فلان ؟ قال : « ارموا ، وأنا معكم كلكم » .

قوله (باب نسبة اليمن إلى إسماعيل) أي ابن إبراهيم الخليل ، ونسبة مضر وربيعة إلى إسماعيل متفق عليها ، وأما اليمن فجاء نسبهم ينتهي إلى قحطان ، واختلف في نسبه فالأكثر أنه ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح ، وقيل هو من ولد هود عليه السلام ، وقيل ابن أخيه . ويقال إن قحطان أول من تكلم بالعربية وهو والد العرب المتعربة ، وأما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة ، وأما العرب العاربة فكانوا قبل ذلك كعاد وثمود وطسم وجديس وعمليق وغيرهم . وقيل إن قحطان أول من قيل له أبيت اللعن وعم صباحاً ، وزعم الزبير بن بكار إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل وأنه قحطان بن الهميسع بن تيم بن نبت بن إسماعيل عليه السلام ، وهو ظاهر قول أبي هريرة المتقدم في قصة هاجر حيث قال وهو يخاطب الأنصار « فتلك أمكم يا بني ماء السماء » هذا هو الذي يترجح في نقدي ، وذلك أن عدد الآباء بين المشهورين من الصحابة وغيرهم وبين قحطان متقارب من عدد الآباء بين المشهورين من الصحابة وغيرهم وبين عدنان ، فلو كان قحطان هو هوداً أو ابن أخيه أو قريباً من عصره لكان في عداد عاشر جد لعدنان على المشهور أن بين عدنان وبين إسماعيل أربعة آباء أو خمسة ، وأما على القول بأن بين عدنان وإسماعيل نحو من أربعين أباً فذاك أبعد ، وهو قول غريب عند الأكثر ، مع أنه حكاه كثيرون وهو أرجح عند من يقول إن معد بن عدنان كان في عصر يختصر ، وقد وقع في ذلك اضطراب شديد واختلاف متفاوت حتى أعرض الأكثر عن

سياق النسب بين عدنان وإسماعيل ، وقد جمعت مما وقع لي من ذلك أكثر من عشرة أقوال ، فقرأت في « كتاب النسب لأبي ربيعة على محمد بن نصر » فذكر فيه فصلاً في نسب عدنان فقال : قال طائفة هو ابن أد بن زيد بن معد بن مقدم بن هميسع بن نبت بن قيدار بن إسماعيل ، وقالت طائفة : ابن أد بن هميسع بن نبت بن سلامان بن حمل بن نبت بن قيدار ، وقالت طائفة : ابن أد بن هميسع المقوم بن ناحور ابن يسرح بن يشجب بن مالك بن أيمن بن نبت بن قيدار ، وقالت طائفة هو ابن أد بن أد بن الهميسع بن يشجب بن سعد بن بريح بن نمير بن حميل بن منحيم بن لافث بن الصابوح بن كنانة بن العوام بن نابت بن قيدار ، وقالت طائفة : بين عدنان وإسماعيل أربعون أبا قال : واستخرجوا ذلك من كتاب رخصياً كاتب أرميا النبي ، وكان رخصياً قبل حمل معد بن عدنان من جزيرة العرب ليالي بختنصر خوفاً عليه من معرفة الجيش فأثبت نسب معد بن عدنان في كتبه فهو معروف عند علماء أهل الكتاب . قال : ووجدت طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعد أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل ، واحتجت في أسمائهم بأشعار من كان عالماً بأمر الجاهلية كأمية بن أبي الصلت ، قال : فقابلته بقول أهل الكتاب فوجدت العدد متفقاً واللفظ مختلفاً . ثم ساق أسماء أربعين أبا بينهما . وقد وجدت لغيره حكاية خلاف أزيد مما حكاها ، فعند ابن إسحق أنه عدنان بن أد ابن يشجب بن يعرب بن قندر ، وعنه أيضاً عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن يبرح بن يعرب ابن يشجب بن نابت بن إسماعيل ، وعن إبراهيم بن المنذر هو عدنان بن أد بن أد بن الهميسع بن نابت بن إسماعيل ، وحكاها مرة عن عبد الله بن عمران المدني فزاد فيه بين أد والهميسع زيدا ، وحكى أبو الفرج الأصبهاني عن دغفل النسابة أنه ساق بين عدنان وإسماعيل سبعة وثلاثين أبا فذكرها وهي مغايرة للمذكور قبل ، وقال هشام بن الكلبي في « كتاب النسب » له ونقله ابن سعد عنه قال : أخبرت عن أبي ولم أسمع منه أنه ساق بين عدنان وإسماعيل أربعين أبا . قلت : فذكرها وفيها مغايرة لما تقدم ، قال هشام : وأخبرني رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب من مسلمي أهل الكتاب وعلمائهم أن رخصياً كاتب أرميا أثبت نسب معد بن عدنان والأسماء التي عنده نحو هذه الأسماء ، والخلاف من قبل اللغة . قال : وسمعت من يقول : إن معد بن عدنان كان على عهد عيسى بن مريم ، كذا قال ، وحكى الهمداني في الأنساب ما حكاها ابن الكلبي ثم ساق الأسماء سياقه أخرى بأكثر من هذا العدد باثنين ثم قال : وهذا مما أنكره ، ومما ينبغي أن يعقل ولا يذكر ولا يستعمل بمخالفتها لما هو المشهور بين الناس ، كذا قال ، والذي ترجح في نظري أن الاعتماد على ما قاله ابن إسحق أولى ، وأولى منه ما أخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم سلمة قالت : عدنان هو ابن أد بن زيد بن بري ابن أعراق الثرى ، وأعراق الثرى هو إسماعيل ، وهو موافق لما ذكرته آنفاً عن إبراهيم بن المنذر عن عبد الله ابن عمران ، وهو موافق من يقول إن قحطان من ذرية إسماعيل لأنه والحالة هذه يتقارب عدد الآباء بين كل من قحطان وعدنان وبين إسماعيل ، وعلى هذا فيكون معد بن عدنان كما قال بعضهم في عهد موسى عليه السلام لا في عهد عيسى عليه السلام ، وهذا أولى لأن عدد الآباء بين نبينا وبين عدنان نحو العشرين ، فيبعد مع كون المدة التي بين نبينا وبين عيسى عليه السلام كانت ستمائة سنة كما سيأتي في صحيح البخاري مع ما عرف من طول أعمارهم أن يكون معد في زمن عيسى ، وإنما رجح من رجح كون بين عدنان وإسماعيل

العدد الكثير الذي تقدم مع الاضطراب فيه استبعادهم أن يكون بين معد وهو في عصر عيسى بن مريم وبين إسماعيل أربعة آباء أو خمسة مع طول المدة ، وما فروا منه وقعوا في نظيره كما أشرت إليه ، فالأقرب ما حررته وهو إن ثبت أن معد بن عدنان كان في زمن عيسى فالمعتمد أن يكون بينه وبين إسماعيل العدد الكثير من الآباء ، وإن كان في زمن موسى فالمعتمد أن بينهما العدد القليل ، والله أعلم .

قوله (منهم أسلم بن أفصى) بفتح الهمزة وسكون الفاء بعدها مهملة مقصوراً ، ووقع في رواية الجرجاني أفعى بعين مهملة بدل الصاد وهو تصحيف ، وقوله ابن حارثة بن عمرو بن عامر أي ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، قال الرشاطي : الأزد جرثومة من جراثيم قحطان ، وفيهم قبائل ، فمنهم الأنصار وخزاعة وغسان وبارق وغامد والعتيك وغيرهم ، وهو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأراد المصنف أن نسب حارثة بن عمرو متصل باليمن ، وقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بني أسلم بأنهم من بني إسماعيل كما في حديث سلمة بن الأكوع الذي في هذا الباب ، فدل على أن اليمن من بني إسماعيل . وفي هذا الاستدلال نظر لأنه لا يلزم من كون بني أسلم من بني إسماعيل أن يكون جميع من ينسب إلى قحطان من بني إسماعيل لاحتقال أن يكون وقع في أسلم ما وقع في إخوتهم خزاعة من الخلاف هل هم من بني قحطان أو من بني إسماعيل ، وقد ذكر ابن عبد البر من طريق القعقاع بن أبي حدر في حديث الباب « أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بناس من أسلم وخزاعة وهم يتناضلون فقال : أرموا بني إسماعيل » فعلى هذا فلعن من كان هناك من خزاعة كانوا أكثر فقال ذلك على سبيل التغليب وأجاب الهمداني النسابة عن ذلك بأن قوله لهم « يا بني إسماعيل » لا يدل على أنهم من ولد إسماعيل من جهة لآباء ، بل يحتمل أن يكون ذلك لكونهم من بني إسماعيل من جهة الأمهات ، لأن القحطانية والعدنانية قد اختلطوا بالصهارة ، فالقحطانية من بني إسماعيل من جهة الأمهات ، وقد تقدمت مباحث هذا الحديث في كتاب الجهاد ، ومما استدل به على أن اليمن من ولد إسماعيل قول ابن المنذر بن عمرو بن حرام جد حسان بن ثابت :

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر وحارثة الغطريف مجداً مؤثلاً
مآثر من آل ابن بنت ابن مالك وبنت ابن إسماعيل ما أن تحولا
وهذا أيضاً مما يمكن تأويله كما قال الهمداني ، والله أعلم

ب

[٣٥٠٨] ٣٣٨٧- فابومعمر قال نا عبد الوارث عن الحسين عن عبد الله بن بريدة قال ني يحيى ابن يعمر أن أبا الأسود الدؤلي حدثه عن أبي ذر أنه سمع النبي صلى الله عليه يقول : « ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر بالله ، ومن ادعى قومًا ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار » .

[الحديث ٣٥٠٨ - طرفه في : ٦٠٤٥] .

٣٣٨٨- نا علي بن عياش قال نا حريز قال ني عبد الواحد بن عبد الله النصري قال [٣٥٠٩]

سمعت واثلة بن الأسقع يقول: قال رسول الله صلى الله عليه: «إن من أعظم الفري أن يدعي الرجل إلى غير أبيه، أو يري عينه ما لم تر، أو يتقول على رسول الله صلى الله عليه ما لم يقل».

٣٣٨٩- نامسدد قال نا حماد عن أبي جمرة قال: سمعت ابن عباس يقول: قدم وفد [٣٥١٠]

عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه فقالوا: يا رسول الله، إنا هذا الحي من ربيعة، قد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فليسنأ نخلص إليك إلا في كل شهر حرام، فلو أمرتنا بأمر نأخذ عنك، ونبلغه من وراءنا. قال: «أمركم بأربعة وأنهاكم عن أربعة: الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا إلى الله خمس ما غنمتم. وأنهاكم عن الدباء، والخنتم، والنقير، والمزقت».

٣٣٩٠- نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن الزهري قال ني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن [٣٥١١]

عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول وهو على المنبر: «ألا إن الفتنة هنا -يشير إلى المشرق- ومن حيث يطلع قرن الشيطان».

قوله (باب) كذا هو بلا ترجمة وهو كالفصل من الباب الذي قبله، ووجه تعلقه به من الحديثين الأولين ظاهر وهو الزجر عن الادعاء إلى غير الأب الحقيقي، لأن اليمين إذا ثبت نسبهم إلى إسماعيل فلا ينبغي لهم أن ينسبوا إلى غيره، وأما الحديث الثالث فله تعلق بأصل الباب وهو أن عبد القيس ليسوا من مضر، وأما الرابع فللإشارة إلى ما وقع في بعض طرقه من الزيادة بذكر ربيعة ومضر. فأما الحديث الأول وهو حديث أبي ذر فقوله في الإسناد «عن الحسين» هو ابن واقد المعلم، ووقع في رواية مسلم «حدثنا حسين المعلم». وقوله «عن أبي ذر» في رواية الإسماعيلي «حدثني أبو ذر» وفي الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق، وقوله «ليس من رجل» من زائدة، والتعبير بالرجل للغالب وإلا فالمرأة كذلك حكمها.

قوله (ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله) كذا وقع هنا كفر بالله ولم يقع قوله «بالله» في غير رواية أبي ذر ولا في رواية مسلم ولا الإسماعيلي وهو أولى، وإن ثبت ذلك فالمراد من استحلال ذلك مع علمه بالتحريم، وعلى الرواية المشهورة فالمراد كفر النعمة، وظاهر اللفظ غير مراد وإنما ورد على سبيل التغليظ والزجر لفاعل ذلك، أو المراد بإطلاق الكفر أن فاعله فعل فعلاً شبيهاً بفعل أهل الكفر، وقد تقدم تقرير هذه المسألة في كتاب الإيمان، وقوله «ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار» في رواية مسلم والإسماعيلي «ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار» وهو أعم مما

تدل عليه رواية البخارى ، على أن لفظه « نسب » وقعت في رواية الكشميهني دون غيره ومع حذفها يبقى متعلق الجار والمجرور مخلوفاً فيحتاج إلى تقدير ، ولفظ نسب أولى ما قدر لوروده في بعض الروايات ، وقوله « فليقبوا » أى ليتخذ منزلاً من النار ، وهو إما دعاء أو خبر بلفظ الأمر ومعناه هذا جزاؤه إن جوزى ، وقد يعنى عنه ، وقد يتوب فيسقط عنه ، وقد تقدم تقرير ذلك في كتاب الإيمان في حديث « من كذب على » وفي الحديث تحريم الانتقاء من النسب المعروف والادعاء إلى غيره ، وقيد في الحديث بالعلم ولا بد منه فى الحالتين إثباتاً ونفيّاً لأن الإثم إنما يترتب على العالم بالشئ المتعمد له ، وفيه جواز إطلاق الكفر على المعاصى لقصد الزجر كما قررناه ، ويؤخذ من رواية مسلم تحريم الدعوى بشئ ليس هو للمدعى ، فيدخل فيه الدعوى الباطلة كلها مالا وعلماً وتعلماً ونسباً وحالا وصلاًحاً ونعمة وولاء وغير ذلك ، ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة على ذلك . واستدل به ابن دقيق العيد للمالكية في تصحيحهم الدعوى على الغائب بغير مسخر للدخول المسخر في دعوى ما ليس له وهو يعلم أنه ليس له ، والقاضى الذى يقيمه أبه أ يعلم أن دعواه باطلة ، قال : وليس هذا القانون منصوباً فى الشرع حتى يخص به عموم هذا الوعيد ، وإنما المقصود إيصال الحق لمستحقه فترك مراعاة هذا القدر ، وتحصيل المقصود من إيصال الحق لمستحقه أولى من الدخول تحت هذا الوعيد العظيم .

الحديث الثانى .

قوله (حدثنا على بن عياش) بتحتانية ومعجمة .

قوله (حدثنا حريز) هو بفتح المهملة وكسر الراء وآخره زاي وهو ابن عثمان الحمصى من صفار

التابعين ، وهذا الإسناد من عوالى البخارى ، وشيخه عبد الواحد بن عبد الله النصرى بالنون المفتوحة بعدها صاد مهملة وهو دمشقى ، واسم جده كعب بن عمير ويقال يسر بن كعب ، وهو من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وهو من صفار التابعين ، فى الإسناد رواية القرين عن القرين ، وقد ولى إمرة الطائف لعمر ابن عبد العزيز ، ثم ولى إمرة المدينة ليزيد بن عبد الملك ، وكان محمود السيرة ومات سنة بضع ومائة ، وليس له فى البخارى سوى هذا الحديث الواحد . وقد رواه عنه أيضاً زيد بن أسلم وهو أكبر منه سنأ ولقاء للمشايخ لكنه أدخل بين عبد الواحد وواثلة عبد الوهاب بن بخت رأيت فى مستخرج ابن عبدان على الصحيحين من رواية هشام بن سعد عن زيد وهشام فيه مقال ، وهذا عندى من المزيد فى متصل الأسانيد ، أو هو مقلوب كأنه عن زيد بن أسلم عن عبد الوهاب بن بخت عن عبد الواحد ، والله أعلم .

قوله (إن من أعظم الفراء) بكسر الفاء مقصور ومملود وهو جمع فرية والفرية الكذب والبهت تقول

فرى بفتح الراء فلان كذا إذا اختلق فرى بفتح أوله وافترى اختلق .

قوله (أو يرى) بضم التحتانية أوله وكسر الراء أى يدعى أن عينه رأنا فى المنام شيئاً ما رأناه ،

ولأحمد وابن حبان والحاكم من وجه آخر عن وائلة « أن يفترى الرجل على عينه فيقول رأيت ولم ير فى المنام شيئاً » .

قوله (أو يقول) بفتح التحتانية أوله وضم القاف وسكون الواو ، وفي رواية المستملى بفتح المثناة والقاف وتثقل الواو المقترحة ، وفي الحديث تشديد الكذب في هذه الأمور الثلاثة وهي الخبر عن الشيء أنه رآه في المنام ولم يكن رآه ، والادعاء إلى غير الأب ، والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما هذا الأخير فتقدم البحث فيه في كتاب العلم ، وأما ما يتعلق بالمنام فيأتي في التعبير ، وأما الادعاء فتقدم قريباً فيما قبله ، وتقدم بيان الحكمة في التشديد فيه ، والحكمة في التشديد في الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم واضح فإنه إنما يخبر عن الله فمن كذب عليه كذب على الله عز وجل ، وقد اشتد النكير على من كذب على الله تعالى في قوله تعالى ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته ﴾ فسوى بين من كذب عليه وبين الكافر ، وقال ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ والآيات في ذلك متعددة ، وقد تمسك بعض أهل الجهل بقوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم ﴾ وجاء في بعض طرق الحديث « من كذب على » وأما المنام فإنه لما كان جزءاً من الوحي كان الخبر عنه بما لم يقع كالخبر عن الله بما لم يلقه إليه ، أو لأن الله يرسل ملك الرؤيا فيرى النائم ما شاء ، فإذا أخبر عن ذلك بالكذب يكون كاذباً على الله وعلى الملك ، كما أن الذي يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ينسب إليه شرعاً لم يقله ، والشرع غالباً إنما تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم على لسان الملك فيكون الكاذب في ذلك كاذباً على الله وعلى الملك . الحديث الثالث حديث ابن عباس « قدم وفد عبد القيس » تقدم الكلام عليه في كتاب الإيمان ، ويأتي ما يتعلق بالأشربة منه في موضعه إن شاء الله تعالى ، وقوله « عن أبي حمزة » هو بالجيم ، وقوله « أمركم بأربعة وأنها كم عن أربعة » في رواية الكشميني « بأربع » في الموضعين ، والشيء إذا لم يذكر مميزه يجوز تذكره وتأنينه ، ومناسبة هذا الحديث للترجمة من جهة أن جل العرب هم ربيعة ومضر ، ولا خلاف في نسبتهم إلى إسماعيل . الحديث الرابع حديث ابن عمر في أن الفتنة من قبل المشرق ، وقد تقدم قريباً ، ويأتي شرحه في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى . ومناسبتة للترجمة من جهة ذكر المشرق ، وكلهم من مضر وربيعة كما تقدم قريباً . وفي بعض طرق هذا الحديث « والإيمان يمان » ففيه إشارة إلى ذكر الأصول الثلاثة ، فاثنتان لا خلاف أنهن من بني إسماعيل وإنما الخلاف في الثالث .

باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع

٣٣٩١ - نا أبو نعيم قال نا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه : « قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وغفار وأشجع موالى ، ليس لهم مولى دون الله ورسوله » . [٣٥١٢]

٣٣٩٢ - نا محمد بن غرير الزهري قال نا يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن صالح قال نا نافع أن عبد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه قال على المنبر : « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله ، وعصية عصت الله ورسوله » . [٣٥١٣]

[٣٥١٤] ٣٣٩٣- نا محمد قال أنا عبد الوهاب الثقفي عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها».

[٣٥١٥] ٣٣٩٤- نا قبصة قال نا سفيان... ح. ونا محمد بن بشار قال نا ابن مهدي عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال النبي صلى الله عليه: «أرأيت إن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيراً من بني تميم وبني أسد ومن بني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة؟» فقال رجل: «خابوا وخسروا». فقال: «هم خير من بني تميم ومن بني أسد ومن بني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة».

[الحديث ٣٥١٥ - طرفاه في: ٣٥١٦، ٦٦٣٥].

[٣٥١٦] ٣٣٩٥- نا محمد بن بشار قال أنا غندر قال نا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب قال سمعت عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن الأقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه: إنما بايعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة - وأحسبه وجهينة، ابن أبي يعقوب شك - قال النبي صلى الله عليه: «أرأيت إن كان أسلم وغفار ومزينة - وأحسبه - جهينة خيراً من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان خابوا وخسروا؟» قال: «نعم، والذي نفسي بيده إنهم لأخير منهم».

[٣٥٢٣] ٣٣٩٦- نا سليمان بن حرب قال نا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة قال: قال: أسلم وغفار وشيء من مزينة وجهينة - أو قال: شيء من جهينة أو مزينة - خير عند الله - أو قال: يوم القيامة - من أسد وقيم وهوازن وغطفان.

قوله (باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع) هذه خمس قبائل كانت في الجاهلية في القوة والمكانة دون بني عامر بن صعصعة وبني تميم بن مر وغيرهما من القبائل، فلما جاء الإسلام كانوا أسرع دخولا فيه من أولئك فانقلب الشرف إليهم بسبب ذلك، فأما أسلم فقد تقدم ذكر نسبهم في الباب الماضي، وأما غفار فبكر الغين المعجمة وتخفيف الفاء وهم بنو غفار بن مليل بميم ولامين مصغراً ابن ضمرة بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة، وسبق منهم إلى الإسلام أبو ذر الغفاري وأخوه أنيس كما سيأتي شرح ذلك قريباً، ورجع أبو ذر إلى قومه فأسلم الكثير منهم. وأما مزينة فبضم الميم وفتح الزاي وسكون التحتانية بعدها نون وهو اسم امرأة عمرو بن أد بن طابخة بالموحدة ثم المعجمة ابن إلياس بن مضر، وهي مزينة بنت كلب ابن وبرة، وهي أم أوس وعثمان ابني عمرو، فولد هذين يقال لهم بنو مزينة والمزنيون، ومن قدماء الصحابة منهم عبد الله بن مغفل بن عبد بنهم المزني وعمه خزاعي بن عبد بنهم وإلياس بن هلال وابنه قرعة بن إلياس وهذا جد القاضي إلياس بن معاوية بن قرعة وآخرون، وأما جهينة فهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم

بضم اللام ابن إلخاف بالمهملة والفاء وزن إلياس بن قضاة ، من مشهورى الصحابة منهم عقبة بن عامر الجهنى وغيره ، واختلف فى قضاة فالأكثر أنهم من حمير فيرجع نسبهم إلى قحطان ، وقيل هم من ولد معد بن عدنان . وأما أشجع فبالمعجمة والجيم وزن أحر وهم بنو أشجع بن ريث بفتح الراء وسكون التحتانية بعدها مثثة بن غطفان بن سعد بن قيس ، من مشهورى الصحابة منهم نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف . والحاصل أن هذه القبائل الخمس من مضر ، أما مزينة وغفار وأشجع فبالاتفاق ، وأما أسلم وجهينة فعلى قول ويرجحه أن الذين ذكروا فى مقابلهم وهم تميم وأسد وغطفان وهوازن جميعهم من مضر بالاتفاق ، وكانت منازل بنى أسد بن خزيمة ظاهر مكة حتى وقع بينهم وبين خزاعة فقتل فضالة بن عباد بن مرارة الأسدى هلال ابن أمية الخزاعي فقتلت خزاعة فضالة بصاحبها فنشبت الحرب بينهم فبرحت بنو أسد عن منازلهم فحالفوا غطفان فصار يقال للطائفتين الحليفان أسد وغطفان ، وتأخر من بنى أسد آل جحش بن رباب فحالفوا بنى أمية ، فلما أسلم آل جحش وهاجروا احتوى أبو سفيان على دورهم بذلك الحلف ، ذكر ذلك عمر بن شبة فى « أخبار مكة » . ثم ذكر المصنف فى الباب أربعة أحاديث : الأول .

قوله (قريش والأنصار) تقدم ذكر قريش ، وسيأتى ذكر الأنصار فى أوائل الهجرة .

قوله (موالى) بتشديد التحتانية إضافة إلى النبى صلى الله عليه وسلم أى أنصارى ، وهذا هو المناسب هنا وإن كان للمولى عدة معان ، ويروى بتخفيف التحتانية والمضاف محنوف أى موالى الله ورسوله ، ويدل عليه قوله « ليس لهم مولى دون الله ورسوله » وهذه فضيلة ظاهرة لهؤلاء القبائل ، والمراد من آمن منهم ، والشرف يحصل للشيء إذا حصل لبعضه ، قيل إنما خصوا بذلك لأنهم بادروا إلى الإسلام فلم يسبوا كما سبى غيرهم ، وهذا إذا سلم يحمل على الغالب ، وقيل المراد بهذا الخبر النهى عن استرقاقهم وأنهم لا يدخلون تحت الرق ، وهذا بعيد . الحديث الثانى حديث « غفار غفر الله لها » .

قوله (حدثنا محمد بن غريو) هو بالمعجمة والراء المكررة مصغر .

قوله (أن عبد الله) هو ابن عمر .

قوله (غفار غفر الله لها) هو لفظ خير يراد به الدعاء ، ويحتمل أن يكون خبراً على بابه ، ويؤيده

قوله فى آخره « وعصية عصت الله ورسوله » وعصية هم بطن من بنى سليم ينسبون إلى عصية بمهملتين مصغر ابن خفاف بضم المعجمة وفاء بن مخنف ابن امرئ القيس بن بهثة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها مثثة ابن سليم ، وإنما قال فيهم صلى الله عليه وسلم ذلك لأنهم عاهدوه فغدروا كما سيأتى بيان ذلك فى كتاب المغازى فى غزوة بئر معونة ، وقد تقدمت له طرق فى الاستسقاء ، وحكى ابن التين أن بنى غفار كانوا يسرقون الحاج فى الجاهلية فدعا لهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلموا ليحمى عنهم ذلك العار ، ووقع فى هذا الحديث من استعمال جناس الاشتقاق ما يلد على السمع لسهولة وانسجامه ، وهو من الاتفاقات اللطيفة .

(ثبته) : وقع هنا فى رواية كريمة وغيرها « باب ابن أخت القوم منهم » وذكر فيه حديث أنس

في ذلك ، وهو عند أبي ذر قبل « باب قصة الحبش » وسيأتي . ووقع بعده أيضاً عندهم « باب قصة زمزم » وفيه حديث إسلام أبي ذر ، وهو عند أبي ذر بعد « باب قصة خزاعة » وسيأتي شرح هذين البابين في مكانهما إن شاء الله تعالى .

الحديث الثالث حديث أبي هريرة في ذلك .

قوله (حدثنا محمد) هو ابن سلام ، وقرأت بخط مغايطي : قيل هو ابن سلام وقيل ابن يحيى الذهلي ، وهذا الثاني وهم فإن الذهلي لم يدرك عبد الوهاب الثقفي ، والصواب أنه ابن سلام كما ثبت عند أبي علي بن السكن في غير هذا الحديث ، ويحتمل أن يكون ابن حوشب فقد خرج البخاري في تفسير « اقتربت » وفي الإكراه عن محمد بن عبد الله بن حوشب عن عبد الله الثقفي فهو أولى أن يفسر به من محمد بن يحيى ، وقد أخرجه الإسماعيلي وأبو يعلى من طريق محمد بن المثنى عن عبد الوهاب فيحتمل أن يكون هو فإنه من شيوخ البخاري .

قوله (عن أيوب) هو السخيتاني ، ومحمد هو ابن سيرين ، وذكر الإسماعيلي عن المنبجي أن عبد الوهاب الثقفي تفرد برواية هذا الحديث عن أيوب . الحديث الرابع أورده من طرق .

قوله في الطريق الأولى (رأيتم) المخاطب بذلك الأقرع بن حابس كما في الرواية التي بعدها .

قوله (خيراً من بني تميم) أي ابن مر بضم الميم وتشديد الراء ابن أد بضم الألف وتشديد الدال ابن طابخة بن إلياس بن مضر ، وفيهم بطون كثيرة جداً .

قوله (وبني أسد) أي ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانوا عدداً كثيراً ، وقد ظهر مصداق ذلك عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتد هؤلاء مع طليحة بن خويلد . وارتد الذين قبلهم وهم بنو تميم مع سجاح .

قوله (ومن بني عبد الله بن غطفان) بفتح المعجمة ثم المهملة ثم الفاء والتخفيف أي ابن سعد بن قيس عيلان بن مضر ، وكان اسم عبد الله بن غطفان في الجاهلية عبد العزى فصيره النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وبنوه يعرفون ببني المحولة (ومن بني عامر بن صعصعة) أي ابن معاوية بن بكر بن هوازن ، وسيأتي نسب هوازن في الحديث الذي بعده .

قوله (فقال رجل نعم) هو الأقرع بن حابس التميمي كما في الرواية التي بعد هذه .

قوله (عن محمد بن أبي يعقوب) هو محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب نسب إلى جده وهو بصرى من بني تميم ، قال شعبة : حدثني محمد بن أبي يعقوب وهو سيد بني تميم وهو ثقة عند الجميع .

قوله (إن الأقرع بن حابس) بمهملة وموحدة مكسورة وبعدها سين مهملة .

قوله (إنما بآبائك سراق الحجيج) بالموحدة وبعد الألف تحتانية ، وفي رواية بالمشاة وبعد الألف

موحدة .

قوله (ابن أبي يعقوب شك) هو مقول شعبة وقد ظهر من الرواية التي قبلها أن لا أثر لشكه ، وأن ذلك ثابت في الخبر .

قوله (لأخير منهم) كذا فيه بوزن أفعل وهي لغة قليلة ، والمشهورة « لأخير منهم » وثبت كذلك في رواية الترمذي ، وإنما كانوا خيراً آمنهم لأنهم سبقوهم إلى الإسلام ، والمراد الأكثر الأغلب .

قوله (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أسلم وغفار) كذا فيه بحذف فاعل قال الثاني ، وهو اصطلاح لمحمد بن سيرين إذا قال عن أبي هريرة قال « قال » ولم يسم قائلًا والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد نبه على ذلك الخطيب وتبعه ابن الصلاح ، وقد أخرج مسلم هذا الحديث عن زهير بن حرب عن ابن علية عن أيوب فقال فيه « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » كذا أخرجه أحمد من طريق معمر عن أيوب :

قوله (وثيء من مزينة وجهينة) فيه تقييد لما أطلق في حديث أبي بكرة الذي قبله ، وكذا في قوله « يوم القيامة » لأن الاعتبار بالخبر والشر إنما يظهر في ذلك الوقت .

قوله (وهوازن وغطان) أما غطفان فتقدم ذكره في حديث أبي هريرة ، وأما هوازن فذكرت في حديث أبي هريرة بدل بني عامر بن صعصعة ، وبني عامر بن صعصعة من بني هوازن من غير عكس ، فذكر هوازن أشمل من ذكر بني عامر ، ومن قبائل هوازن غير بني عامر بنو نصر بن معاوية وبني سعد بن بكر بن هوازن وثقيف وهو قيس بن منبه بن بكر بن هوازن ، والجميع يجمعهم هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة - بفتح المعجمة ثم المهملة ثم الفاء والتخفيف - ابن قيس

باب ذكر قحطان

٣٣٩٧ - نا عبد العزيز بن عبد الله قال ني سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الغيث [٣٥١٧] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » .

[الحديث ٣٥١٧ - طرفه في : ٧١١٧] .

قوله (باب ذكر قحطان) تقدم القول فيه وهل هو من ذرية إسماعيل أم لا ؟ وإلى قحطان تنهى أنساب أهل اليمن من حير وكندة وهمدان وغيرهم .

قوله (عن ثور بن زيد) هو الديلي المدني ، وأبو الغيث شيخه اسمه سالم .

قوله (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان) « لم أقف على اسمه ولكن جوز القرطبي أن يكون جهجاه الذي وقع ذكره في مسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة بلفظ « لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له جهجاه » أخرجه عقب حديث القحطاني .

قوله (يسوق الناس بعصاه) هو كناية عن الملك ، شبهه بالراعي وشبه الناس بالغنم . ونكتة

التشبيه التصرف الذي يملكه الراعي في الغنم . وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ولم يقع بعد ، وقد روى نعيم بن حماد في الفتن من طريق أرطاة بن المنذر - أحد التابعين من أهل الشام - أن القحطاني يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي ، وأخرج أيضاً من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده مرفوعاً « يكون بعد المهدي القحطاني ، والذي بعثني بالحق ما هو دونه » وهذا الثاني مع كونه مرفوعاً ضعيف الإسناد ، والأول مع كونه موقوفاً أصلح إسناداً منه ، فإن ثبت ذلك فهو في زمن عيسى بن مريم ، لما تقدم أن عيسى عليه السلام إذا نزل يجد المهدي إمام المسلمين ، وفي رواية أرطاة بن المنذر « أن القحطاني يعيش في الملك عشرين سنة » واستشكل ذلك كيف يكون في زمن عيسى يسوق الناس بعصاه والأمر إنما هو لعيسى ؟ ويجاب بجواز أن يقيمه عيسى نائباً عنه في أمور مهمة عامة ، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى

ب ما ينهى من دعوة الجاهلية

٣٣٩٨ - فامحمد قال أنا مخلص بن يزيد قال أنا ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار [٣٥١٨] أنه سمع جابراً يقول : غزونا مع النبي صلى الله عليه وقد تاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا ، وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريًا ، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا ، وقال الأنصاري : يال الأنصار ، وقال المهاجري : يال المهاجرين . فخرج النبي صلى الله عليه فقال : « ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ » ثم قال : « ما شأنهم ؟ » فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري . قال : فقال النبي صلى الله عليه : « دعوها فإنها خبيثة » . وقال عبد الله بن أبي بن سلول : لقد تداعوا علينا ؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فقال عمر : ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث ؟ - لعبد الله - . فقال النبي صلى الله عليه : « لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه » .

[الحديث ٣٥١٨ - طرفاه في : ٤٩٠٥ ، ٤٩٠٧ .]

٣٣٩٩ - فاثابت بن محمد قال نا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه . وعن سفيان عن زبيد عن إبراهيم عن مسروق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه قال : « ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » . [٣٥١٩]

قوله (باب ما ينهى من دعوى الجاهلية) ينهى بضم أوله ودعوى الجاهلية الاستغاثه عند إرادة الحرب . كانوا يقولون : يا آل فلان ، فيجتمعون فينصرون القاتل ولو كان ظالماً ، فجاء الإسلام بالنهي

عن ذلك ، وكان المصنف أشار إلى ما ورد في بعض طرق جابر المذكور ، وهو ما أخرجه إسحق بن راهويه والمحاملي في « الفوائد الأصبهانية » من طريق أبي الزبير عن جابر قال « اقتتل غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار » فذكره الحديث ، وفيه « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعوى الجاهلية ؟ قالوا لا . قال : لا بأس ، ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً ، فإن كان ظالماً فلينه فيه له نصر » وعرف من هذا أن الاستغاثة ليست حراماً وإنما الحرام ما يترتب عليها من دعوى الجاهلية .

قوله (حدثنا محمد) كذا للجميع غير منسوب ، وهو ابن سلام كما جزم به أبو نعيم في « المستخرج » وأبو علي الجبائي ، ويؤيد ذلك ما وقع في « الوصايا » بمثل هذه الطريق ، فعند الأكثر حدثنا محمد غير منسوب ، وعند أبي ذر حدثنا محمد بن سلام .

قوله (غزونا) هذه الغزوة هي غزوة المريسيع .

قوله (ثاب معه) بمثلثة وموحدة أى اجتمع

قوله (رجل لعاب) أى بطل ، وقيل كان يلعب بالحراب كما تصنع الحبشة ، وهذا الرجل هو جهجاه بن قيس الغفاري وكان أجير عمر بن الخطاب ، والأنصاري هو سنان بن وبرة حليف بني سالم الخزرجي ، وسيأتى بيان ذلك في تفسير سورة المنافقين .

قوله (فكسع) بفتح الكاف والمهملتين أى ضربه على دبره .

قوله (حتى تداعوا) كذا للأكثر بسكون الواو بصيغة الجمع ، وفي بعض النسخ عن أبي ذر « تداعوا » بفتح العين والواو بصيغة التثنية ، والمشهور في هذا تداعياً بالياء عوض الواو ، وكأنه بقاها على أصلها بالواو .

قوله (دعوها فإنها خبيثة) أى دعوى الجاهلية ، وقيل الكسعة ، والأول هو المعتمد .

قوله (ألا نقتل) بالنون وبالمثناة أيضاً .

قوله (هذا الحبيث لعبد الله) اللام بمعنى عن والتقدير قال عمر يريد عبد الله ألا نقتل هذا الحبيث وسيأتى بقية شرح هذا الحديث في التفسير إن شاء الله تعالى .

قوله (وعن سفيان عن زبيد) هو معطوف على قوله « حدثنا سفيان عن الأعمش » وهو موصول وليس بمعلق ، وقد تقدم في الجناز من رواية أبي نعيم عن سفيان عن زبيد ، ومن رواية عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش ، فكأنه كان عند ثابت بن محمد عن سفيان عن شيخه ، وكأنه سمعه منه مفرقاً فحدث به ، فنقل عنه كذلك .

باب قصة خزاعة

٣٤٠٠ - نا إسحاق بن إبراهيم قال نا يحيى بن آدم قال نا إسرائيل عن أبي حصين عن

[٣٥٢٠]

أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال : « عمرو بن لحي بن قميعة بن خندف أبو خزاعة » .

٣٤٠١- فا أبو اليمان قال أنا شعيب عن الزهري قال سمعت سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت ولا يحلبها أحد من الناس. والسائبة: التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء.

قال: وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب».

[الحديث ٣٥٢١ - طرفه في: ٤٦٢٣].

قوله (باب قصة خزاعة) اختلف في نسبهم مع الاتفاق على أنهم من ولد عمرو بن لحي باللام والمهملة مصغر وهو ابن حارثة بن عمرو بن عامر بن ماء السماء، وقد تقدم نسبه في أسلم وأسلم هو عم عمرو ابن لحي، ويقال إن اسم لحي ربيعة، وقد صحف بعض الرواة فقال عمرو بن يحيى، ووقع مثل ذلك في «الجمع للحميدى» والصواب باللام وتشديد الياء آخره مصغر، ووقع في حديث جابر عند مسلم «رأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك» وفيه تغيير لكن أفاد أن كنية عمرو أبا ثمامة، ويقال لخزاعة بنو كعب، نسبوا إلى جد هم كعب بن عمرو بن لحي، قال ابن الكلبي: لما تفرق أهل سبأ بسبب سيل العرم نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان، فن أقام به منهم فهو غساني، وانخرعت منهم بنو عمرو بن لحي عن قومهم فنزلوا مكة وما حولها فسموا خزاعة، وتفرقت سائر الأزد، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

ولما نزلنا بطن مر تنخرعت خزاعة منا في جوع كراكر

ووقع في حديث الباب أنه عمرو بن لحي بن قعة بن خندف، وهذا يؤيد قول من يقول إن خزاعة من مضر، وذلك أن خندف بكسر المعجمة وسكون النون وفتح الدال بعدها فاء اسم امرأة إلياس بن مضر واسمها ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، لقبت بخندف لمشيئها، والخندفة الهرولة، واشهر بنوها بالنسبة إليها دون أبيهم لأن إلياس لما مات حزنت عليه حزناً شديداً بحيث هجرت أهلها ودارها وساحت في الأرض حتى ماتت، فكان من رأى أولادها الصغار يقول من هؤلاء؟ فيقال بنو خندف، إشارة إلى أنها ضيعتهم، وقعة بفتح القاف والميم بعدها مهملة خفيفة ويقال بكسر القاف وتشديد الميم. وجمع بعضهم بين القولين أعنى نسبة خزاعة إلى اليمن وإلى مضر فزعم أن حارثة بن عمرو لما مات قعة بن خندف كانت امرأته حاملاً بلحي فولدته وهي عند حارثة فتبناه فنسب إليه، فعلى هذا فهو من مضر بالولادة ومن اليمن بالتبني. وذكر ابن الكلبي أن سبب قيام عمرو بن لحي بأمر الكعبة ومكة أن أمه فهيرة بنت عمرو بن الحارث ابن مضاض الجهمي وكان أبوها آخر من ولي أمر مكة من جرهم فقام بأمر البيت سبطه عمرو بن لحي فصار ذلك في خزاعة بعد جرهم، ووقع بينهم في ذلك حروب إلى أن انجلت جرهم عن مكة، ثم تولت خزاعة أمر البيت ثلاثمائة سنة إلى أن كان آخرهم يدعى أبا غبشان بضم المعجمة وسكون الموحدة بعدها معجمة أيضاً واسمه المحرش بمهملة ثم معجمة ابن حليل بمهملة ولامين مصغر ابن حبشية بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها معجمة ثم باء نسب ابن سلول بفتح المهملة ولامين الأولى مضمومة ابن عمرو بن لحي، وهو خال قصي

ابن كلاب أخو أمه حبي بضم المهملة وتشديد الموحدة مع الإمامة ، وكان في عقله شيء فخذعه قصي فاشترى منه أمر البيت بأذواد من الإبل ، ويقال بزق حمر ، فغلب قصي حينئذ على أمر البيت ، وجمع بطون بني فهر وحارب خزاعة حتى أخرجهم من مكة ؛ وفيه يقول الشاعر :

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

وشرع قصي لقريش السقاية والرفادة ، فكان يصنع الطعام أيام منى والحياض للماء ، فيطعم الحجيج ويسقيهم ، وهو الذي عمر دار الندوة بمكة ، فإذا وقع لقريش شيء اجتمعوا فيها وعقدوه بها .

قوله (عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أبو خزاعة) أي هو أبو خزاعة ، ووقع في رواية أبي نعيم عن إسرائيل بهذا السند عند الإسماعيلي « خزاعة بن قعدة بن عمرو بن خندف » وفيه تغيير بالتقديم والتأخير ؛ وعنده من طريق أبي أحمد الزبيري عن إسرائيل « عمرو أبو خزاعة بن قعدة بن خندف » وهذا يوافق الأول لكن بخذف لحي ، وبأن يعرب ابن قعدة إعراب عمرو لا إعراب أبو خزاعة ، وأصوبها الأول ، وهكذا روى أبو حصين هذا الحديث عن أبي صالح مختصراً ، وأخرجه مسلم من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه أتم منه ولفظه « رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف يجر قصبه في النار » وأورده ابن إسحق في « السيرة الكبرى » عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي صالح أتم من هذا ولفظه « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكرم بن الجون : رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ، لأنه أول من غير دين إسماعيل ، فنصب الأوثان وسبب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمل الحامي » ووقع لنا بعلو في « المعرفة » وعند ابن مردويه من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه نحوه ، وللحاكم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، لكنه قال « عمرو بن قعدة » فنسبه إلى جده ، وروى الطبراني من حديث ابن عباس رفعه « أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أبو خزاعة » وذكر الفاكهي من طريق عكرمة نحوه مرسل وفيه « فقال المقداد : يا رسول الله من عمرو بن لحي ؟ قال : أبو هؤلاء الحى من خزاعة » وذكر ابن إسحق أن سبب عبادة عمرو بن لحي الأصنام أنه خرج إلى الشام وبها يومئذ العاليق وهم يعبدون الأصنام فاستوهمهم واحداً منها وجاء به إلى مكة فنصبه إلى الكعبة وهو هبل ، وكان قبل ذلك في زمن جرهم قد فجر رجل يقال له أساف بامرأة يقال لها نائلة في الكعبة فسخها الله جل وعلا حجرين ، فأخذها عمرو بن لحي فنصبهما حول الكعبة ، فصار من يطوف يتمسح بهما ، يبدأ بأساف ويختم بنائلة . وذكر محمد بن حبيب عن ابن الكلبي أن سبب ذلك أن عمرو بن لحي كان له تابع من الجن يقال له أبو ثمامة فأتاه ليلة فقال : أجب أبا ثمامة ، فقال : لبيك من تهامة ، فقال : ادخل بلا ملامة ، فقال : أيت سيف جدة ، تجد آلهة معدة ، فخذها ولا تهب ، وادع إلى عبادتها تحب . قال فتوجه إلى جدة فوجد الأصنام التي كانت تعبد في زمن نوح وإدريس ، وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، فحملها إلى مكة ودعا إلى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الأصنام في العرب ، وسيأتى زيادة شرح ذلك في تفسير سورة نوح إن شاء الله تعالى .

قوله في الرواية الأخرى عن أبي هريرة (عمرو بن عامر الخزاعي) كذا وقع نسبه في حديث

ابن مسعود عند أحمد ولفظه « أول من سيب السوائب وعبد الأصنام عمرو بن عامر أبو خزاعة » وهذا مغاير لما تقدم ، وكأنه نسب إلى جده لأمه عمرو بن حارثة بن عمرو بن عامر ، وهو مغاير لما تقدم من نسبة عمرو ابن لحي إلى مضر ، فإن عامراً هو ابن ماء السماء بن سبأ وهو جد جد عمرو بن لحي عند من نسبته إلى اليمن ، ويحتمل أن يكون نسب إليه بطريق التبنى كما تقدم قبل ، وسيأتي الكلام على الوصيلة والسائبة وغيرهما في تفسير سورة المائدة إن شاء الله تعالى .

قصة إسلام أبي ذر

باب قصة زمزم

[٣٥٢٢] ٣٤٠٢ - نا زيد بن أجزم قال نا أبو قتيبة سلم بن قتيبة قال ني مثنى بن سعيد القصير قال ني أبو حمرة قال : قال لنا ابن عباس : ألا أخبركم بإسلام أبي ذر؟ قال : قلنا : بلى . قال : قال أبو ذر : كنت رجلاً من غفار ، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي ، فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل ، كلمه وإيتني بخبره . فانطلق فلقية ثم رجع ، فقلت : ما عندك؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير ، وينهى عن الشر . فقلت : لم تشفني من الخبر ، فأخذ جراباً وعصاً . ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه ، وأكره أن أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد . قال : فمر بي علي فقال : كأن الرجل غريب؟ قال : قلت : نعم . قال : فانطلق إلى المنزل . فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره . فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرني عنه بشيء . قال : فمر بي علي فقال : أما نال للرجل أن يعرف منزله بعد؟ قال : قلت : لا . قال : انطلق معي ، قال : فقال : ما أمرك ، وما أقدمك هذه البلدة؟ قال : قلت له : إن كتمت علي أخبرتك . قال : فإني أفعل . قال : قلت له : بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجل يزعم أنه نبي ، فأرسلت أخي ليكلمه ، فرجع ولم يشفني من الخبر ، فأردت أن ألقاه . فقال : أما إنك قد رشدت . هذا وجهي إليه ، فاتبعني ، ادخل حيث أدخل ، فإني إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي ، وامض أنت . فمضى ومضيت معه ، حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه . فقلت له : اعرض علي الإسلام ، فعرضه ، فأسلمت مكاني . فقال لي : « يا أبا ذر ، اكتب هذا الأمر ، وارجع إلى بلدك ، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل » . فقلت : والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم . فجاء إلى المسجد وقريش فيه فقال : يا معاشر قريش ، إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي ، فقاموا ، فضربت لأموت ،

فأدركني العباسُ فأكبَّ عليَّ، ثمَّ أقبلَ عليهم فقال: ويلَكم، تقتلون رجلاً من غفار، ومتجرُّكم وممرُّكم على غفار؟ فلمَّا أن أصبحتُ الغدَ رجعتُ فقلتُ مثلَ ما قلتُ بالأمس. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فصنعَ بي مثلَ ما صنَعَ بالأمس، فأدركني العباسُ فأكبَّ عليَّ وقال مثلَ مقالته بالأمس. قال: فكان هذا أوَّلَ إسلامِ أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

[الحديث ٣٥٢٢ - طرفه في: ٣٨٦١].

قوله (باب قصة إسلام أبي ذر الغفاري) هكذا في رواية أبي ذر عن الحمويِّ وحده، وسقط للباقيين، وكأنه أولى لأن هذه الترجمة ستأتي بعد إسلام أبي بكر وسعد وغيرهما. ووقع للأكثر هنا «قصة زمزم» ووجه تعلقها بقصة أبي ذر ما وقع له من الاكتفاء بماء زمزم في المدة التي أقام فيها بمكة، وسيأتي شرح ذلك في مكانه إن شاء الله تعالى.

باب

قصة زمزم وجهل العرب

٣٤٠٣ - فابوالنعمان قال نا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. [٣٥٢٤]

قوله (باب قصة زمزم وجهل العرب) كذا لأبي ذر، ولغيره «باب جهل العرب» وهو أولى إذ لم يجر في حديث الباب لزوم ذكر، وأما الإسماعيلي فجمع هذه الأحاديث في ترجمة واحدة وهو متجه. قوله (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) أي بناتهم، وسيأتي بيان ذلك في التفسير إن شاء الله تعالى ويؤخذ من هذه الآية مطابقتها للترجمة من قول ابن عباس «إذا سرك أن تعرف جهل العرب».

باب

من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية

وقال ابن عمر وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه: «إنَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله». وقال البراء عن النبي صلى الله عليه: «أنا ابن عبد المطلب».

[٣٥٢٥] ٣٤٠٤ - نا عمر بن حفص قال نا أبي قال نا الأعمش قال ني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ جعل النبي صلى الله عليه ينادي : « يا بني فهر ، يا بني عدي ، لبطن قريش » .

[٣٥٢٦] ٣٤٠٥ - وقال لنا قبيصة : نا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ جعل النبي صلى الله عليه يدعوهم قبائل قبائل .

[٣٥٢٧] ٣٤٠٦ - نا أبو اليمان قال أنا شعيب قال نا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه قال : « يا بني عبد مناف ، اشترُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ . يا بني عبد المطلب ، اشترُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ . يا أمّ الزبير بن العوام عمة رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد رسول الله ، اشترُوا أَنْفُسَكُمَا مِنْ اللَّهِ ، لا أملكُ لكُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئاً ، سلاني من مالي ما شئتما » .

قوله (باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية) أى جواز ذلك خلافاً لمن كرهه مطلقاً فإن محل الكراهة ما إذا أورده على طريق المفاخرة والمشاجرة ، وقد روى أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن من حديث أبي ربحانة رفعه « من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً أو كرامة فهو عاشرهم في النار » .

قوله (وقال ابن عمر وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الكريم ابن الكريم إلخ) تقدم حديث كل منهما موصولاً في أحاديث الأنبياء ، ووجه دلالة الترجمة أنه لما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم نسبة يوسف عليه السلام إلى آبائه كان دليلاً على جواز ذلك لغيره في غيره ويكون ذلك مطابقاً لركن الترجمة الأول .

قوله (وقال البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب) هو طرف من حديث تقدم موصولاً في الجهاد ، وهو في قصة غزوة حنين ، ووجه الدلالة منه أنه صلى الله عليه وسلم انتسب إلى جده عبد المطلب فيكون مطابقاً لركن الترجمة الثاني .

قوله (لما نزلت) ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ جعل النبي صلى الله عليه وسلم ينادي يا بني فهر يا بني عدي ، ببطن قريش) في رواية الكشميني « لبطن » باللام بدل الموحدة ، ونداؤه للقبائل من قريش قبل عشيرته الأذنين ليكرر إنذار عشيرته ، ولدخول قريش كلها في أقاربه ، ولأن إنذار العشيرة يقع بالطبع ، وإنذار غيرهم يكون بطريق الأولى .

قوله (وقال لنا قبيصة إلخ) هو موصول وليس بمعلق ، وقد وصله الإسماعيلي من وجه آخر عن قبيصة .

قوله (جعل النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم قبائل قبائل) قد فسرته الذى قبله وأنه كان يسمي

رموس القبائل كقوله يا بني عدى ، وأوضح منه حديث أبي هريرة الذى بعده حيث ناداهم طبقة بعد طبقة إلى أن انتهى إلى عمته صفية بنت عبد المطلب وهى أم الزبير بن العوام وإلى ابنته فاطمة عليها السلام ، وسيأتى شرح ذلك مبسوطاً فى تفسير سورة الشعراء ، وهذه القصة إن كانت وقعت فى صدر الإسلام بمكة فلم يدركها ابن عباس لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وفى نداء فاطمة يومئذ أيضاً ما يقتضى تأخر القصة لأنها كانت حينئذ صغيرة أو مراهقة ، وإن كان أبو هريرة حضرها فلا يناسب الترجمة لأنه إنما أسلم بعد الهجرة بمدة ، والذى يظهر أن ذلك وقع مرتين فى صدر الإسلام ورواية ابن عباس وأبي هريرة لها من مرسل الصحابة ، وهذا هو الموافق للترجمة من جهة دخولها فى مبتدأ السيرة النبوية ، ويؤيد ذلك ما سيأتى من أن أبا هب كان حاضراً لذلك وهو مات فى أيام بدر ، ومرة بعد ذلك حيث يمكن أن تدعى فيها فاطمة عليها السلام أو يحضر ذلك أبو هريرة أو ابن عباس .

باب ابن أُختِ القوم ومولى القوم منهم

[٣٥٢٨] ٣٤٠٧ - فاسليمان بن حرب قال نا شعبة عن قتادة عن أنس قال : دعا النبي صلى الله عليه وآله الأنصار خاصة فقال : « هل فيكم أحدٌ من غيركم ؟ » قالوا : لا . إلا ابن أُخت لنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه : « ابن أُختِ القوم منهم » .

قوله (باب ابن أُختِ القوم منهم ، ومولى القوم منهم) أى فيما يرجع إلى المناظرة والتعاون ونحو ذلك ، وأما بالنسبة إلى الميراث ففيه نزاع ، كما سيأتى بسطه فى كتاب الفرائض .

قوله (إلا ابن أُخت لنا) هو النعمان بن مقرن المزنى كما أخرجه أحمد من طريق شعبة عن معاوية بن قرة فى حديث أنس هذا ، ووقع ذلك فى قصة أخرى كما أخرجه الطبرانى من حديث عتبة بن غزوان « إن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً لقريش : هل فيكم من ليس منكم ؟ قالوا لا ، إلا ابن أُختنا عتبة بن غزوان ، فقال : ابن أُختِ القوم منهم » . وله من حديث عمرو بن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيته قال « ادخلوا على ولا يدخل على إلا قرشى ، فقال : هل معكم أحد غيركم ؟ قالوا معنا ابن الأخت والمولى ، قال حليف القوم منهم ومولى القوم منهم » ، وأخرج أحمد نحوه من حديث أبي مرسى والطبرانى نحوه من حديث أبي سعيد .

(تنبيه) : لم يذكر المصنف حديث « مولى القوم منهم » مع ذكره فى الترجمة ، فزعم بعضهم أنه لم يقع له حديث على شرطه فأشار إليه ، وفيه نظر لأنه قد أوردته فى الفرائض من حديث أنس ولفظه « مولى القوم من أنفسهم » والمراد بالمولى هنا المعتق بفتح المثناة أو الحليف ، وأما المولى من أعلى فلا يراد هنا ، وسيأتى فى غزوة حنين بيان سبب حديث الباب ، ووقع فى حديث أبي هريرة عند البزار مضمون الترجمة وزيادة عليها بلفظ « مولى القوم منهم ، وحليف القوم منهم ، وابن أُختِ القوم منهم » .

باب قصة الحبش، وقول النبي صلى الله عليه: «يا بني أرفدة»

[٣٥٢٩]

٣٤٠٨ - نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنَّ أبا بكرٍ دخلَ عليها وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتُدَفِّقان وتضربان، والنبيُّ صلى الله عليه مغشى بثوبه، فانتهرهما أبوبكر، فكشف النبيُّ صلى الله عليه عن وجهه فقال: «دعهما يا (١) أبا بكرٍ، فإنها أيام عيد». وتلك الأيام أيام منى. وقالت عائشة: رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه يسترني وأنا أنظرُ إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم فقال النبيُّ صلى الله عليه: «دعهم، أمنا بني أرفدة». يعني من الأمن.

قوله (باب قصة الحبش وقول النبي صلى الله عليه وسلم يا بني أرفدة) هو بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الفاء اسم لجد لهم. وقيل معنى أرفدة الأمة، وقد تقدم شيء من ذلك في أبواب العيدين. والحبش هم الحبشة يقال إنهم من ولد حبش ابن كوش بن حام بن نوح، وهم مجاورون لأهل اليمن يقطع بينهم البحر، وقد غلبوا على اليمن قبل الإسلام وملكوها، وغزا أبرهة من ملوكهم الكعبة ومعه الفيل، وقد ذكر ابن إسحق قصته مطولة، وأخرجها الحاكم ثم البيهقي من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس ملخصة، وإلى هذا القدر أشار المصنف بذكرهم في مقدمة السيرة النبوية، واستدل قوم من الصوفية بحديث الباب على جواز الرقص وسماع آلات الملامى، وطعن فيه الجمهور باختلاف المقصدين، فإن لعب الحبشة بجرابهم كان للتمرين على الحرب فلا يحتاج به للرقص في اللهو، والله أعلم.

باب من أحب أن لا يسب نسبه

[٣٥٣١]

٣٤٠٩ - نا عثمان بن أبي شيبة قال نا عبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: استأذن حسان النبي صلى الله عليه في هجاء المشركين، قال: «كيف بنسبي؟»، فقال حسان: لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين. وعن أبيه قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت: لا تسبه، فإنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه. [الحديث ٣٥٣١ - طرفاه في: ٤١٤٥، ٦١٥٠].

قوله (باب من أحب أن لا يسب نسبه) هو بضم أول يسب والمراد بالنسب الأصل وبالسب الشتم والمراد أن لا يشتم أهل نسبه.

(١) الرقمان ٣٥٢٩ و ٣٥٣٠ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

قوله (حدثنا عبدة) هو ابن سليمان ، وهشام هو ابن عروة .

قوله (استأذن حسان بن ثابت) أى ابن المنذر بن عمرو بن حرام الأنصارى الخزرجى ، وسبب هذا الاستئذان مبين عند مسلم من طريق أبى سلمة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اهجوا المشركين فإنه أشد عليهم من رشق النبل ، فأرسل إلى ابن رواحة فقال : اهجمهم ، فهجاهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك ، ثم أرسل إلى حسان فقال : قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه ثم قال : والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلسانى فرى الأديم ، قال لا تعجل ، وروى أحمد من حديث كعب بن مالك قال « قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اهجوا المشركين بالشعر ، فإن المؤمن يجاهد بنفسه وماله ، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل » وروى أحمد والبخاري من حديث عمار بن ياسر قال « لما هجانا المشركون قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا لهم كما يقولون لكم » .

قوله (كيف بنسبى فيهم) أى كيف تهجو قريشاً مع اجتماعى معهم فى نسب واحد ؟ وفى هذا إشارة إلى أن معظم طرق الهجو العن بالآباء .

قوله (لأسلنك منهم) أى لأخلصن نسبك من نسبهم بحيث يختص الهجو بهم دونك ، وفى رواية أبى سلمة المذكور « فقال : إئت أبا بكر فإنه أعلم قريش بأنسابها حتى يخلص لك نسبى » فأتاه حسان ، ثم رجع فقال : قد محض لى نسبك .

قوله (كما تسل الشعرة من العجين) أشار بذلك إلى أن الشعرة إذا أخرجت من العجين لا يتعلق بها منه شيء لنعومتها ، بخلاف ما إذا سلت من العسل مثلاً فإنها قد يعلق بها منه شيء ، وأما إذا سلت من الخبز فإنها قد تنقطع قبل أن تخلص .

قوله (وعن أبيه) هو موصول بالإسناد المذكور إلى عروة وليس بمعلق ، وقد أخرجه المصنف فى الأدب عن محمد بن سلام عن عبدة بهذا الإسناد فقال فيه « وعن هشام عن أبيه » فذكر الزيادة ، وكذلك أخرجه فى « الأدب المفرد » .

قوله (كان ينافح) بكسر الفاء بعدها مهملة ومعناها يدافع أو يراعى ، قال الكشميهنى فى رواية أبى ذر عنه : نفحت الدابة إذا رمحت بحوافرها ، ونفحه بالسيف إذا تناوله من بعيد ، وأصل النفع بالمهملة الضرب ، وقيل للعطاء نفع كأن المعطى يضرب السائل به ، ووقع فى رواية أبى سلمة المذكورة « قالت عائشة فسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحسان : إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله » قالت وسمعتة يقول « هجاهم حسان فشنى وأشنى » وقد تقدم فى أوائل الصلاة ما يدل على أن المراد بروح القدس جبريل عليه السلام ، ويأتى الكلام على الشعر وأحكامه فى كتاب الأدب إن شاء الله تعالى .

ب

مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾

وَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ بَعَدِيَ اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾

٣٤١٠- نا إبراهيم بن المنذر قال ني معن عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير [٣٥٣٢]

ابن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب».

[الحديث ٣٥٣٢- طرفه في: ٤٨٩٦].

٣٤١١- نا علي بن عبد الله قال نا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: [٣٥٣٣]

قال رسول الله صلى الله عليه: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد».

قوله (باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾ وقوله ﴿من بعدي اسمه أحمد﴾) كأنه يشير إلى أن هذين الاسمين أشهر أسمائه، وأشهرهما محمد، وقد تكرر في القرآن، وأما أحمد فذكر فيه حكاية عن قول عيسى عليه السلام، فأما محمد فن باب التفضيل للمبالغة، وأما أحمد فن باب التفضيل، وقيل سمي أحمد لأنه علم منقول من صفة وهي أفعل التفضيل ومعناه أحمد الحامدين، وسبب ذلك ما ثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحمد لم يفتح بها على أحد قبله، وقيل الأنبياء حمادون وهو أحدهم، أي أكثرهم حمداً أو أعظمهم في صفة الحمد، وأما محمد فهو منقول من صفة الحمد أيضاً وهو بمعنى محمود وفيه معنى المبالغة، وقد أخرج المصنف في «التاريخ الصغير» من طريق علي بن زيد قال كان أبو طالب يقول:

وشق له من اسمه ليجلسه فسنو العرش محمود وهذا محمد

والحمد الذي حمد مرة بعد مرة كالمدح، قال الأعشى:

إليك أبيت اللعن كان وجيفها إلى الماجد القرم الجواد الحمد

أي الذي حمد مرة بعد مرة، أو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة، قال عياض: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد قبل أن يكون محمداً كما وقع في الوجود لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن العظيم، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة بحمد

ربه فيشفعه فيحمده الناس . وقد خص بسورة الحمد وبلواء الحمد وبالمقام المحمود ، وشرع له الحمد بعد الأكل وبعد الشرب وبعد الدعاء وبعد القدوم من السفر ، وسميت أمته الحمادين ، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه صلى الله عليه وسلم . وذكر فيه حديثين : أحدهما قوله « عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه » كذا وقع موصولا عند معن بن عيسى عن مالك ، وقال الأكثر « عن مالك عن الزهري عن محمد بن جبير » مرسلا ، ووافق معنا علي وصله عن مالك جويرية بن أسماء عند الإسماعيلي ومحمد بن المبارك وعبد الله بن نافع عند أبي عوانة ، وأخرجه الدارقطني في « الغرائب » عن آخرين عن مالك ، وقال : إن أكثر أصحاب مالك أرسلوه . قلت : وهو معروف الاتصال عن غير مالك ، وصله يونس بن يزيد وعقيل ومعمّر وحديثهم عند مسلم ، وشعبة وحديثه عند المصنف في التفسير ، وابن عينة عند مسلم أيضاً والترمذي كلهم عن الزهري ، ورواه عن جبير بن مطعم أيضاً ولده الآخر نافع وفي حديثه زيادة ، وعند المصنف في التاريخ ، وأخرجه أحمد وابن سعد وصححه الحاكم ، وفي الباب عن أبي موسى الأشعري عند مسلم والمصنف في التاريخ ، وعن حذيفة عند المصنف في التاريخ والترمذي وابن سعد ، وعن ابن عباس وأبي الطفيل عند ابن عدي ، ومن مرسل مجاهد عند ابن سعد ، وسأذكر ما في رواياتهم من زيادة فائدة .

قوله (عن محمد بن جبير) في رواية شعيب المذكورة عن الزهري « أخبرني محمد بن جبير » .
قوله (لي خمسة أسماء) في رواية نافع بن جبير عند ابن سعد أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : أتخصي أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان جبير بن مطعم يعدها ؟ قال : نعم ، هي ست . فذكر الخمسة التي ذكرها محمد بن جبير وزاد الخاتم ، لكن روى البيهقي في « الدلائل » من طريق ابن أبي حفصة عن الزهري في حديث محمد بن جبير بن مطعم « وأنا العاقب » قال يعني الخاتم ، وفي حديث حذيفة « أحمد ومحمد والهاشر والمثقي ونبي الرحمة » وكذا في حديث أبي موسى إلا أنه لم يذكر الهاشر ، وزعم بعضهم أن العدد ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ذكره الراوي بالمعنى ، وفيه نظر لتصريحه في الحديث بقوله « إن لي خمسة أسماء » والذي يظهر أنه أراد أن لي خمسة أسماء أختص بها لم يسم بها أحد قبلي ، أو معظمة أو مشهورة في الأمم الماضية ، لا أنه أراد الحصر فيها . قال عياض : حمى الله هذه الأسماء أن يسمي بها أحد قبله ، وإنما تسمى بعض العرب محمداً قرب ميلاده لما سمعوا من الكهان والأخبار أن نبياً سيبعث في ذلك الزمان يسمي محمداً فرجوا أن يكونوا هم فسموا أبناءهم بذلك ، قال : وهم ستة لا سابع لهم ، كذا قال ، وقال السهيلي في « الروض » لا يعرف في العرب من تسمى محمداً قبل النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة : محمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن أحبيحة بن الجلاح ، ومحمد بن حمران بن ربيعة . وسبق السهيلي إلى هذا القول أبو عبد الله بن خالويه في كتاب « ليس » وهو حصر مردود ، وقد جمعت أسماء من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين لكن مع تكرار في بعضهم ووهم في بعض ، فيتلخص منهم خمسة عشر نفساً ، وأشهرهم محمد بن عدي بن ربيعة بن سواء بن جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي ، روى حديثه البغوي وابن سعد وابن شاهين وابن السكن وغيرهم من طريق العلاء بن الفضل عن أبيه عن جده عبد الملك بن أبي سوية عن أبيه عن أبي سوية عن أبية خليفة بن عبدة المنقري قال « سألت محمد بن عدي بن ربيعة

كيف سماك أبوك في الجاهلية محمداً؟ قال سألت أبي عما سألتني فقال : خرجت رابع أربعة من بني تميم أنا أحدهم وسفيان بن مجاشع ويزيد بن عمرو بن ربيعة وأسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر نريد ابن جفنة الغساني بالشام ، فنزلنا على غدير عند دير ، فأشرف علينا الديراني فقال لنا : إنه يبعث منكم وشيكاً نبي فسارعوا إليه ، فقلنا ما اسمه؟ قال محمد . فلما انصرفنا ولد لكل منا ولد فسماه محمداً لذلك « انتهى وقال ابن سعد » أخبرنا علي بن محمد عن مسلمة بن محارب عن قتادة بن السكن قال : كان في بني تميم محمد بن سفيان بن مجاشع ، قيل لأبيه إنه سيكون نبي في العرب اسمه محمد فسمى ابنه محمداً « فهؤلاء أربعة ليس في السياق ما يشعر بأن فيهم من له صحبة إلا محمد بن عدي . وقد قال ابن سعد لما ذكره في الصحابة : عداده في أهل الكوفة وذكر عبدان المروزي أن محمد بن أحبيحة بن الجلاح أول من تسمى في الجاهلية محمداً « وكأنه تلقى ذلك من قصة تبع لما حاصر المدينة وخرج إليه أحبيحة المذكور هو والحبر الذي كان عندهم يثرب فأخبره الحبر أن هذا بلد نبي يبعث يسمى محمداً فسمى ابنه محمداً . وذكر البلاغري منهم محمد بن عقبة بن أحبيحة ، فلا أدري أهما واحد نسب مرة إلى جده أم هما اثنان . ومنهم محمد بن البراء البكري ذكره ابن حبيب ، وضبط البلاغري أباه فقال : محمد بن بر بتشديد الراء ليس بعدها ألف ابن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ولهذا نسبوه أيضاً العتواري . وغفل ابن دحية فعده فيهم محمد بن عتوارة وهو هو نسب لجده الأعلى . ومنهم محمد بن اليحمد الأزدي ذكره المفجع البصري في كتاب « المقعد » ومحمد بن خولي الهمداني وذكره ابن دريد . ومنهم محمد بن حرماز بن مالك اليعمرى ذكره أبو موسى في الذيل . ومنهم محمد بن حران ابن أبي حران واسمه ربيعة بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر ذكره المرزباني فقال : هو أحد من سمي محمداً في الجاهلية ، وله قصة مع امرئ القيس . ومنهم محمد بن خزاعي بن علقمة بن حراثة السلمي من بني ذكوان ذكره ابن سعد عن علي بن محمد عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق قال : سمي محمد بن خزاعي طمعاً في النبوة . وذكر الطبري أن أبرهة الحبشي توجه وأمره أن يغزو بني كنانة فقتلوه فكان ذلك من أسباب قصة الفيل . وذكره محمد بن أحمد بن سليمان الهروي في كتاب « الدلائل » فيمن تسمى محمداً في الجاهلية وذكر ابن سعد لأخيه قيس بن خزاعي يذكره من أبيات يقول فيها :

فذلكم ذو التاج منا محمد ورايته في حومة الموت تحقق
ومنهم محمد بن عمرو بن مغفل بضم أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام وهو والد هبيب بموحدتين مصغر وهو على شرط المذكورين فإن لولده صحبة ومات هو في الجاهلية . ومنهم محمد بن الحارث بن حديج ابن حويص ذكره أبو حاتم السجستاني في « كتاب المعمرين » وذكر له قصة مع عمر وقال : إنه أحد من سمي في الجاهلية محمداً . ومنهم مجد الفقيمي ، ومحمد الأسيدى ، ذكرهما ابن سعد ولم ينسبهما بأكثر من ذلك ، فعرف بهذا وجه الرد على الحصر الذي ذكره السهيلي ، وكذا الذي ذكره السهيلي ، وكذا الذي ذكره القاضي ، عجب من السهيلي كيف لم يقف على ما ذكره عياض مع كونه كان قبله ، وقد تحرر لنا من أسمائهم قدر الذي ذكره القاضي مرتين بل ثلاث مرار فإنه ذكر في الستة الذين جزم بهم محمد بن مسلمة ، وهو غلط فإنه ولد بعد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة ففضل له خمسة وقد خلص لنا خمسة عشر والله المستعان .

قوله (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) قيل المراد إزالة ذلك من جزيرة العرب ، وفيه نظر لأنه وقع في رواية عقيل ومعر « يمحو بي الله الكفرة » ويجاب بأن المراد إزالة الكفر بإزالة أهله ، وإنما قد يجزيرة العرب لأن الكفر ما انمحي من جميع البلاد ، وقيل إنه محمول على الأغلب أو أنه ينمحي بسببه أولاً فأولاً إلى أن يضمحل في زمن عيسى بن مريم فإنه يرفع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ، وتعقب بأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس ؛ ويجاب بجواز أن يرتد بعضهم بعد موت عيسى وترسل الريح فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة فحينئذ فلا يبقى إلا الشرار ، وفي رواية نافع بن جبير « ولنا الماحي فإن الله يمحو به سيئات من اتبعه » وهذا يشبه أن يكون من قول الراوى .

قوله (وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي) أى على أثرت أى أنه يحشر قبل الناس ، وهو موافق لقوله في الرواية الأخرى « يحشر الناس على عقبي » ويحتمل أن يكون المراد بالقدم الزمان أى وقت قيامي على قدمي بظهور علامات الحشر ، إشارة إلى أنه ليس بعده نبي ولا شريعة . واستشكل التفسير بأنه يقضى بأنه محشور فكيف يفسر به حاشر وهو اسم فاعل ، وأجيب بأن إسناد الفعل إلى الفاعل إغافة والإضافة تصح بأدنى ملازمة ، فلما كان لا أمة بعد أمته لأنه لا نبي بعده نسب الحشر إليه لأنه يقع عقبه ، ويحتمل أن يكون معناه أنه أول من يحشر كما جاء في الحديث الآخر « أنا أول من تنشق عنه الأرض » وقيل معنى القدم السبب ، وقيل المراد على مشاهدتي قائماً لله شاهداً على الأمم . ووقع في رواية نافع بن جبير « وأنا حاشر بعثت مع الساعة » وهو يرجح الأول .

(تنبيه) قوله « على عقبي » بكسر الموحدة مخففاً على الإفراد ، ول بعضهم بالتشديد على التثنية والموحدة مفتوحة .

قوله (وأنا العاقب) زاد يونس بن يزيد في روايته عن الزهرى « الذي ليس بعده نبي . وقد سماه الله رعوفاً رحيماً » قال البيهقي في « الدلائل » قوله « وقد سماه الله الخ » مدرج من قول الزهرى . قلت : وهو كذلك وكأنه أشار إلى ما في آخر سورة براءة . وأما قوله « الذي ليس بعده نبي » فظاهره الإدراج أيضاً ، لكن وقع في رواية سفيان بن عيينة عند الترمذى وغيره بلفظ « الذي ليس بعدى نبي » ووقع في رواية نافع بن جبير « فإنه عقب الأنبياء » ؛ وهو محتمل للرفع والوقف . ومما وقع من أسمائه في القرآن بالاتفاق « الشاهد المبشر النذير المبين الداعى إلى الله السراج المنير » وفيه أيضاً « المذكر والرحمة والنعمة والهادى والشهيد والأمين والمزمل والمدثر » وتقدم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص « المتوكل » ، ومن أسمائه المشهورة « المختار والمصطفى والشفيع المشفع والصادق المصدق » وغير ذلك قال ابن دحية في تصنيف له مفرد في الأسماء النبوية : قال بعضهم أسماء النبي صلى الله عليه وسلم عدد أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون اسماً ، قال : ولو بحث عنها باحث لبلغت ثلاثمائة اسم ، وذكر في تصنيفه المذكور أماكنها من القرآن والأخبار وضبط ألفاظها وشرح معانيها واستطرد كعادته إلى فوائد كثيرة ، وغالب الأسماء التى ذكرها وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد الكثير منها على سبيل التسمية ، مثل عده اللبنة بفتح اللام وكسر الموحدة ثم النون في أسمائه للحديث المذكور في الباب بعده في القصر الذى من ذهب وفضة إلا موضع لبنة قال « فكنت

أنا اللبنة » كذا وقع في حديث أبي هريرة ، وفي حديث جابر « موضع اللبنة » وهو المراد . ونقل ابن العربي في شرح الترمذى عن بعض الصوفية أن لله ألف اسم ولرسوله ألف اسم ، وقيل الحكمة في الاختصار على الخمسة المذكورة في هذا الحديث أنها أشهر من غيرها موجودة في الكتب القديمة وبين الأمم السالفة . الحديث الثاني :

قوله (سفيان) هو ابن عيينة .

قوله (عن أبي الزناد) في رواية « حدثنا أبو الزناد » .

قوله (ألا تعجبون) في رواية عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عند المصنف في التاريخ « يا عباد الله انظروا » وله من طريق محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ « ألم تروا كيف » والباقي سواء .

قوله (يشتمون مذمماً) كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون مذمم ، وإذا ذكروه بسوء قالوا فعل الله بمذمم ، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره . قال ابن التين : استدل بهذا الحديث من أسقط حد القذف بالتعريض وهم الأكثر خلافاً لمالك ، وأجاب وبأنه لم يقع في الحديث أنه لا شيء عليهم في ذلك بل الواقع أنهم عوقبوا على ذلك بالقتل وغيره انتهى . والتحقيق أنه لا حجة في ذلك إثباتاً ولا نفيّاً ، والله أعلم . واستنبط منه النسائي أن من تكلم بكلام مناف لمعنى الطلاق ومطلق الفرقة وقصد به الطلاق لا يقع ، كمن قال لزوجته كلى وقصد الطلاق فإنها لا تطلق ، لأن الأكل لا يصلح أن يفسر به الطلاق بوجه من الوجوه ، كما أن مذمماً لا يمكن أن يفسر به محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بوجه من الوجوه .

باب خاتم النبيين

[٣٥٣٤] ٣٤١٢ - فامحمد بن سنان قال نا سليم بن حيّان قال نا سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله

قال : قال النبي صلى الله عليه : « مثلي ومثل الأنبياء كمثلي ومثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها ، إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون : لولا موضع اللبنة » .

[٣٥٣٥] ٣٤١٣ - فاقتيبة بن سعيد قال نا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثلي ومثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجملته ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

قوله (باب خاتم النبيين) أى أن المراد بالخاتم في أسمائه أنه خاتم النبيين ، ولمح بما وقع في القرآن

أشار إلى ما أخرجه في التاريخ من حديث العرباض بن سارية رفعه « إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته » الحديث ، وأخرجه أيضاً أحمد وصححه ابن حبان والحاكم فأورد فيه حديثي أبي هريرة وجابر ومعناهما واحد وسياق أبي هريرة أتم ، ووقع في آخر حديث جابر عند الإسماعيلي من طريق عفان بن سليم بن حيان « فأنا موضع اللبنة جثت فختمت الأنبياء » .

قوله (مثل ومثل الأنبياء كرجل بني داراً) قيل : المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه ؟ وجوابه أنه جعل الأنبياء كرجل واحد ، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل ، وكذلك الدار لا تتم إلا بإجماع البنيان ، ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيل وهو أن يوجد وصف من أوصاف المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به ، فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت ، وزعم ابن العربي أن اللبنة المشار إليها كانت في أس الدار المذكورة وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار ، قال : وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور انتهى . وهذا إن كان منقولاً فهو حسن وإلا فليس بلازم ، نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة في مكان يظهر عدم الكمال في الدار بفقدها وقد وقع في رواية همام عند مسلم « إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها » فيظهر أن المراد أنها مكلمة محسنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها كان ناقصاً ، وليس كذلك فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة ، فالمراد هنا النظر إلى الأكل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة .

قوله (لولا موضع اللبنة) بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها نون وبكسر اللام وسكون الموحدة أيضاً هي القطعة من الطين تعجن وتجل وتعد للبناء ويقال لها ما لم تحرق لبنة ، فإذا أحرقت فهي آجرة . وقوله « موضع اللبنة » بالرفع على أنه مبتدأ وخبره محذوف أي لولا موضع اللبنة يوهم النقص لكان بناء الدار كاملاً ، ويحتمل أن تكون « لولا » تخصيصية وفعلها محذوف تقديره لولا أكل موضع اللبنة . ووقع في رواية همام عند أحمد « ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك » . وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين ، وأن الله ختم به المرسلين ، وأكمل به شرائع الدين .

باب وفاة النبي صلى الله عليه

٣٤١٤ - نا عبد الله بن يوسف قال نا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير [٣٥٣٦] عن عائشة أن النبي صلى الله عليه توفي وهو ابن ثلاث وستين . وقال ابن شهاب : وأخبرني سعيد بن المسيب مثله .

[الحديث ٣٥٣٦ - طرفه في : ٤٤٦٦] .

قوله (باب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم) كذا وقعت هذه الترجمة عند أبي ذر وسقطت من رواية النسائي ولم يذكرها الإسماعيلي ، وفي ثبوتها هنا نظر فإن محلها في آخر المغازي كما سيأتي ، والذي يظهر

أن المصنف قصد بإيراد حديث عائشة هنا بيان مقدار عمر النبي صلى الله عليه وسلم فقط لا خصوص زمن وفاته وأورده في الأسماء إشارة إلى أن من جملة صفاته عند أهل الكتاب أن مدة عمره القدر الذي عاشه ، وسيأتى نقل الخلاف في مقداره في آخر المغازي إن شاء الله تعالى .

قوله (قال ابن شهاب : وأخبرني سعيد بن المسيب) أي مثل ما أخبر عروة عن عائشة ، وقول ابن شهاب موصول بالإسناد المذكور ، وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب بالإسنادين معاً مفرقاً وهو من مرسل سعيد بن المسيب ، ويحتمل أن يكون سعيد أيضاً سمعه من عائشة رضي الله عنها .

باب كُنية النبي صلى الله عليه

[٣٥٣٧] ٣٤١٥ - نا حفص بن عمر قال نا شعبة عن حميد عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه في السوق ، فقال رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت النبي صلى الله عليه فقال : «سمُّوا باسمي ، ولا تكنُّوا بكنيتي» .

[٣٥٣٨] ٣٤١٦ - نا محمد بن كثير قال أنا شعبة عن منصور عن سالم عن جابر عن النبي صلى الله عليه قال : «سمُّوا باسمي ، ولا تكنُّوا بكنيتي» .

[٣٥٣٩] ٣٤١٧ - نا علي بن عبد الله قال نا سفيان عن أيوب عن ابن سيرين قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه : «سمُّوا باسمي ، ولا تكتنوا بكنيتي» .

قوله (باب كنية النبي صلى الله عليه وسلم) الكنية بضم الكاف وسكون النون مأخوذة من الكناية تقول : كنيته عن الأمر بكذا إذا ذكرته بغير ما يستدل به عليه صريحاً . وقد اشتهرت الكنى للعرب حتى ربما غلبت على الأسماء كأبي طالب وأبي لهب وغيرهما ، وقد يكون للواحد كنية واحدة فأكثر ، وقد يشتهر باسمه وكنيته جميعاً ، فالاسم والكنية واللقب يجمعها العلم بفتحيتين ، وتتغاير بأن اللقب ما أشعر بمدح أو ذم ، والكنية ما صدرت بأب أو أم ، وما عدا ذلك فهو اسم . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكنى أبا القاسم بولده القاسم وكان أكبر أولاده ، واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها ، وقد ولد له إبراهيم في المدينة من مارية ، ومضى شيء من أمره في الجنائز . وفي حديث أنس أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم «السلام عليك يا أبا إبراهيم» وأورد المصنف في الباب ثلاثة أحاديث : أحدها حديث أنس أورده مختصراً وقد مضى في البيوع بآتم منه ، وفيه أن الرجل قال له لم أعنك ، وحينئذ نهى عن التكني بكنيته . ثانيها حديث جابر وسالم الراوي عنه هو ابن الجعد ، وأورده أيضاً مختصراً وقد مضى في الخمس بآتم منه أيضاً . وقوله في أورله «جدثنا محمد بن كثير حدثنا شعبة» كذا للأكثر ، وفي رواية أبي علي بن السكن «سفيان» بدل شعبة ، ومال الجياني إلى ترجيح الأكثر فإن مسلماً أخرجه من طريق شعبة عن منصور .

ثالثها حديث أبي هريرة ، قوله « قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم » كذا وقع في هذه الطريق وهو لطيف ، وتقدم في العلم بلفظ « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وقد اختلف في جواز التكني بكنيته صلى الله عليه وسلم فالمشهور عن الشافعي المنع على ظاهر هذه الأحاديث ، وقيل يختص ذلك بزمانه ، وقيل بمن تسمى باسمه ، وسيأتي بسط ذلك وتوجيهه هذه المذاهب في كتاب الأدب إن شاء الله تعالى

باب

[٣٥٤٠] ٣٤١٨- فإسحاق بن إبراهيم قال أنا الفضل بن موسى عن الجعيد بن عبد الرحمن قال : رأيت السائب بن يزيد بن أربع وتسعين جلدًا معتدلاً فقال : قد علمت ما متعت به -سمعي وبصري- إلا بدعاء رسول الله صلى الله عليه . إن خالتي ذهبت بي إليه فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي شاك ، فادع الله ، قال : فدعالي .

قوله (باب) كذا للأكثر بغير ترجمة كأبي ذر وأبي زيد من رواية القابسي عنه وكريمة ، وكذا للنسفي ، وجزم به الإسماعيلي ، وضمه بعضهم إلى الباب الذي قبله ولا تظهر مناسبتة له ، ولا يصلح أن يكون فصلاً من الذي قبله ، بل هو طرف من الحديث الذي بعده ، ولعل هذا من تصرف الرواة ، نعم وجهه بعض شيوخنا بأنه أشار إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا اسم وكنية لكن لا ينبغي أن ينادى بشيء منهما بل يقال له يا رسول الله كما خاطبته خالة السائب لما أتت به إليه ، ولا يخفى تكلفه .

قوله (جلدا) بفتح الجيم وسكون اللام أى قوياً صلباً .

قوله (ابن أربع وتسعين) يشعر بأنه رآه سنة اثنتين وتسعين ، لأنه كان له يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين كما ثبت من حديثه ، ففيه رد لقول الواقدي إنه مات سنة إحدى وتسعين ، على أنه يمكن توجيه قوله ، وأبعد من قال مات قبل التسعين ، وقد قيل إنه مات سنة ست وتسعين وهو أشبه ، قال ابن أبي داود : هو آخر من مات من الصحابة بالمدينة ، وقال غيره بل محمود بن الربيع ، وقيل : بل محمود بن لبيد فإنه مات سنة تسع وتسعين .

باب خاتم النبوة

[٣٥٤١] ٣٤١٩- فإسحاق بن عبيد الله قال نا حاتم عن الجعيد قال سمعت السائب بن يزيد قال : ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صلى الله عليه فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي وقع ، فمسح رأسي ، ودعاني بالبركة ، وتوضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه .

قال ابن عبيد الله: الحَجَلَةُ: من حجل الفرس الذي بين عَيْنَيْهِ. وقال إبراهيم بن حمزة: مثل زِرِّ الحَجَلَةِ.

قوله (باب خاتم النبوة) أى صفته ، وهو الذى كان بين كَتَفَيْ النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وكان من علاماته التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها ، وادعى عياض هنا أن الخاتم هو أثر شق الملكين لما بين كتفيه وتعبه النووى فقال : هذا باطل ، لأن الشق إنما كان فى صدره وبطنه ، وكذا قال القرطبي ، وأثره إنما كان خطأ واضحا من صدره إلى مرق بطنه كما فى الصحيحين ، قال : ولم يثبت قط أنه بلغ بالشق حتى نفذ من وراء ظهره ، ولو ثبت للزم عليه أن يكون مستطيلا من بين كتفيه إلى قطنته ، لأنه الذى يحاذى الصدر من سرتة إلى مرق بطنه ، قال : فهذه غفلة من هذا الإمام ، ولعل ذلك وقع من بعض نساخ كتابه فإنه لم يسمع عليه فيما علمت ، كذا قال ، وقد وقفت على مستند القاضى وهو حديث عتبة بن عبد السلمي الذى أخرجه أحمد والطبرانى وغيرهما عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف كان بدء أمرك ؟ فذكر القصة فى ارتضاعه فى بنى سعد ، وفيه أن الملكين لما شقا صدره قال أحدهما للآخر : خطه ، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة انتهى . فلما ثبت أن خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل ذلك عياض على أن الشق لما وقع فى صدره ثم خيط حتى التأم كما كان ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك أثر الشق ، وفهم النووى وغيره منه أن قوله بين كتفيه متعلق بالشق ، وليس كذلك بل هو متعلق بأثر الختم ، ويؤيده ما وقع فى حديث شداد بن أوس عند أبى يعلى والدلائل لأبى نعيم « إن الملك لما أخرج قلبه وغسله ختم ثم أعاده عليه بخاتم فى يده من نور فامتلا نورا » وذلك نور النبوة والحكمة ، فيحتمل أن يكون ظهر من وراء ظهره عند كتفه الأيسر لأن القلب فى تلك الجهة . وفى حديث عائشة عند أبى داود الطيالسى والحارث بن أبى أسامة والدلائل لأبى نعيم أيضاً أن جبريل وميكائيل لما تراءيا له عند المبعث « هبط جبريل فسلقنى لحلاوة الغفا ثم شق عن قلبى فاستخرجه ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم ألقانى وختم فى ظهرى حتى وجدت مس الخاتم فى قلبى وقال : اقرأ » الحديث ، هذا مستند القاضى فيما ذكره ، وليس بباطل ، ومقتضى هذه الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجوداً حين ولادته ، ففيه تعقيب على من زعم أنه ولد به ، وهو قول نقله أبو الفتح اليعمرى بلفظ « قيل ولد به وقيل حين وضع » نقله مغلطاي عن يحيى بن عائد ، والذى تقدم أثبت . ووقع مثله فى حديث أبى ذر عند أحمد والبيهقى فى الدلائل وفيه « وجعل خاتم النبوة بين كَتَفَيْ كَمَا هُوَ الْآن » وفى حديث شداد بن أوس فى المغازى لابن عائد فى قصة شق صدره وهو فى بلاد بنى سعد بن بكر « وأقبل وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وتلبيه » الحديث ، وهذا قد يؤخذ منه أن الختم وقع فى موضعين من جسده والعلم عند الله .

قوله (حدثنا محمد بن عبيد الله) بالتصغير ، هو أبو ثابت المدنى مشهور بكنيته ، والإسناد كله مدنيون ، وأصل شيخه حاتم بن إسماعيل كوفى .
قوله (ذهبى بنى خالتي) لم أقف على اسمها ، وأما أمه فاسمها علبة - بضم المهملة وسكون اللام بعدها موحدة - بنت شريح أخت مخزومة بن شريح .

قوله (وقع) بفتح الواو وكسر القاف بالتثنية أى وجع وزنه ومعناه ، وقد مضى فى الطهارة بلفظ وجع ، وجاء بلفظ الفعل الماضى مبنياً للفاعل ، والمراد أنه كان يشتكى رجله كما ثبت فى غير هذا الطريق .

قوله (فسح رأسى ودعائى بالبركة) سيأتى شرحه فى كتاب الأدب إن شاء الله تعالى .
قوله (فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه) فى حديث عبد الله بن سرجس عند مسلم أنه كان إلى جهة كتفه اليسرى .

قوله (قال ابن عبيد الله : الحجلة من حجل الفرس الذى بين عينيه ، وقال إبراهيم بن حمزة : مثل زر الحجلة) قلت : هكذا وقع ، وكأنه سقط منه شيء لأنه يبعد من شيخه محمد بن عبيد الله أن يفسر الحجلة ولم يقع لها فى سياقه ذكر ، وكأنه كان فيه مثل زر الحجلة ثم فسرهما ، وكذلك وقع فى أصل النسب تضييب بين قوله « بين كتفيه » وبين قوله « قال ابن عبيد الله » وأما التعليق عن إبراهيم بن حمزة فالمراد أنه روى هذا الحديث كما رواه محمد بن عبيد الله إلا أنه خالف فى هذه الكلمة ، وسيأتى الحديث عنه موصولاً بتأمله فى كتاب الطب . وقد زعم ابن التين أنها فى رواية ابن عبيد الله بضم المهملة وسكون الجيم . وفى رواية ابن حمزة بفتحها ، وحكى ابن دحية مثله وزاد فى الأول كسر المهملة مع ضمها ، وقيل : الفرق بين رواية ابن حمزة وابن عبيد الله أن رواية ابن عبيد الله بتقديم الزاى على الراء على المشهور ، ورواية ابن حمزة بالعكس بتقديم الراء على الزاى ، وهو مأخوذ من ارتز الشيء إذا دخل فى الأرض ، ومنه الرزة ، والمراد بها هنا البيضة يقال ارتزت الجرادة إذا أدخلت ذنبها فى الأرض لتبيض ، وعلى هذا فالمراد بالحجلة الطير المعروف ، وجزم السهيلي بأن المراد بالحجلة هنا الكلة التى تعلق على السرير ويزين بها للعروس كالشخانات ، والزر على هذا حقيقة لأنها تكون ذات أزرار وعرى ، واستبعد قول ابن عبيد الله بأنها من حجل الفرس الذى بين عينيه بأن التحجيل إنما يكون فى القوائم ، وأما الذى فى الوجه فهو الغرة ، وهو كما قال إلا أن منهم من يطلقه على ذلك مجازاً ، وكأنه أراد أنها قدر الزر ، وإلا فالغرة لا زر لها . وجزم الترمذى بأن المراد بالحجلة الطير المعروف وأن المراد بزرها بيضها ، ويعضده ما سيأتى أنه مثل بيضة الحمامة ، وقد وردت فى صفة خاتم النبوة أحاديث متقاربة لما ذكر هنا ، منها عند مسلم عن جابر بن سمرة « كأنه بيضة حمامة » ووقع فى رواية ابن حبان من طريق سمالك بن حرب « كبيضة نعامة » ونبه على أنها غلط (١) وعن عبد الله بن سرجس « نظرت خاتم النبوة جمعاً عليه خيلان » وعند ابن حبان من حديث ابن عمر « مثل البندقة من اللحم » وعند الترمذى « كبضعة ناشرة من اللحم » وعند قاسم بن ثابت من حديث قررة بن إياس « مثل السلعة » وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم ، أو كالشامة السوداء أو الخضراء ، أو مكتوب عليها « محمد رسول الله » أو « سر فأت المنصور » أو نحو ذلك ، فلم يثبت منها شيء . وقد أطنب الحافظ قطب الدين فى استيعابها فى شرح السيرة « وتبعه مغلطاي فى « الزهر الباسم » ولم يبين شيئاً من حالها ، والحق ما ذكرته ، ولا تغتر بما وقع منها فى صحيح ابن حبان فإنه غفل حيث صحح ذلك والله أعلم . قال القرطبي : اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر قدره إذا قال قدر بيضة الحمامة وإذا كبر جمع اليد والله أعلم . ووقع

في حديث عبد الله بن سرجس عند مسلم أن خاتم النبوة كان بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى ، وفي حديث عباد بن عمرو عند الطبراني كأنه ركة عز على طرف كتفه الأيسر ولكن سنده ضعيف ، قال العلماء السر في ذلك أن القلب في تلك الجهة ، وقد ورد في خبر مقطوع أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان فرأى الشيطان في صورة ضفدع عند نغض كتفه الأيسر حذاء قلبه له خرطوم كالبعوضة ، أخرجه ابن عبد البر بسند قوى إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز ، فذكره . وذكره أيضا صاحب « الفائق » في مصنفه في م ص ر ، وله شاهد مرفوع عن أنس عند أبي يعلى وابن عدى ولفظه « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم » الحديث ، وأورد ابن أبي داود في « كتاب الشريعة » من طريق عروة بن رويم « إن عيسى عليه السلام سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من لبس آدم ، قال فإذا برأسه مثل الحية واضع رأسه على ثمرة القلب ، فإذا ذكر العبد ربه خنس ، وإذا غفل وسوس » . قلت : وسيأتي لهذا مزيد في آخر التفسير قال السهيلي : وضع خاتم النبوة عند نغض كتفه صلى الله عليه وسلم لأنه معصوم من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع يدخل منه الشيطان

ب

صفة النبي صلى الله عليه

[٣٥٤٢] ٣٤٢٠ - نا أبو عاصم عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن ابن أبي مليكة عن عتبة بن الحارث قال : صلى أبوبكر العصر ثم خرج يمشي ، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان ، فحملته على عاتقه وقال : بأبي شبيهه بالنبي ، لا شبيهه بعلي ، وعلي يضحك .
[الحديث ٣٥٤٢ - طرفه في : ٣٧٥٠ .]

[٣٥٤٣] ٣٤٢١ - نا أحمد بن يونس قال نا زهير قال نا إسماعيل عن أبي جحيفة قال : رأيت النبي صلى الله عليه ، وكان الحسن يشبهه .
[الحديث ٣٥٤٣ - طرفه في : ٣٥٤٤ .]

[٣٥٤٤] ٣٤٢٢ - نا عمرو بن علي قال نا ابن فضيل قال نا إسماعيل بن أبي خالد قال سمعت أبا جحيفة قال : رأيت النبي صلى الله عليه وكان الحسن بن علي يشبهه . قلت لأبي جحيفة : صفه لي . قال : كان أبيض قد شمط . وأمر لنا النبي صلى الله عليه بثلاثة عشر قلوصا . قال : فقبض النبي صلى الله عليه قبل أن نقبضها .

[٣٥٤٥] ٣٤٢٣ - نا عبد الله بن رجاء قال نا إسرائيل عن أبي إسحاق عن وهب أبي جحيفة السوائي قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه ، ورأيت بياضا من تحت شفته السفلى العنقة .

[٣٥٤٦] ٣٤٢٤ - نا عصام بن خالد قال نا حريز بن عثمان أنه سأل عبد الله بن بسر صاحب النبي صلى الله عليه قال: أرايت النبي صلى الله عليه كان شيخاً؟ قال: كان في عنفقه شعرات بيض.

[٣٥٤٧] ٣٤٢٥ - نا ابن بكير قال نا الليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال سمعت أنس بن مالك يصف النبي صلى الله عليه: كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، أمهق ليس بأبيض ولا آدم، ليس بجعد قطط ولا سبط رجل. أنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. قال ربيعة: فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر، فسألت، فقليل: أحمر من الطيب.

[الحديث ٣٥٤٧ - طرفاه في: ٣٥٤٨، ٥٩٠٠].

[٣٥٤٨] ٣٤٢٦ - نا عبد الله بن يوسف قال أنا مالك بن أنس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس أنه سمعه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، وليس بالجعد القطط ولا بالسبط. بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

[٣٥٤٩] ٣٤٢٧ - نا أحمد بن سعيد أبو عبد الله قال نا إسحاق بن منصور قال نا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق: سمعت البراء يقول: كان رسول الله صلى الله عليه أحسن الناس وجهاً، وأحسنه خلقاً، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

[٣٥٥٠] ٣٤٢٨ - نا أبو نعيم قال نا همام عن قتادة: سألت أنساً: هل خضب النبي صلى الله عليه؟ قال: لا، إنما كان شيء في صدغيه.

[الحديث ٣٥٥٠ - طرفاه في: ٥٨٩٤، ٥٨٩٥].

[٣٥٥١] ٣٤٢٩ - نا حفص بن عمر قال نا شعبة عن أبي إسحاق عن البراء كان النبي صلى الله عليه عليه مربوعاً بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنه، رأيت في حلة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه، وقال يوسف بن أبي إسحاق عن أبيه: إلى منكبيه.

[الحديث ٣٥٥١ - طرفاه في: ٥٨٤٨، ٥٩٠١].

[٣٥٥٢] ٣٤٣٠- نا أبو نعيم قال نا زهير عن أبي إسحاق قال : سئل البراء : أكان وجه النبي صلى الله عليه مثل السيف ؟ قال : لا ، بل مثل القمر .

[٣٥٥٣] ٣٤٣١- نا الحسن بن منصور أبو علي قال نا حجاج بن محمد الأعور بالمصيصة قال نا شعبة عن الحكم قال سمعت أبا جحيفة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة . قال شعبة : وزاد فيه عون عن أبيه أبي جحيفة قال : كان تمر من ورائها المرأة . وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم ، قال : فأخذت بيده فوضعتها على وجهي ، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك .

[٣٥٥٤] ٣٤٣٢- نا عبدان قال أنا عبد الله قال أنا يونس عن الزهري قال ني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه أجود الناس ، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه أجود بالخير من الريح المرسلة .

[٣٥٥٥] ٣٤٣٣- نا يحيى قال نا عبد الرزاق قال نا ابن جريج قال أخبرني ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال : « ألم تسمعي ما قال المدلجي لزيد وأسامه - ورأى أقدامهما - : إن هذه الأقدام من بعض » .

[الحديث ٣٥٥٥ - أطرافه في : ٣٧٣١ ، ٦٧٧٠ ، ٦٧٧١ .]

[٣٥٥٦] ٣٤٣٤- نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب أن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وهو يبرق وجهه من السرور ، وكان رسول الله صلى الله عليه إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

[٣٥٥٧] ٣٤٣٥- نا قتيبة بن سعيد قال نا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه » .

[٣٥٥٨] ٣٤٣٦- نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، فكان رسول الله صلى الله عليه يحب موافقة أهل الكتاب ما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله صلى الله عليه رأسه.

[الحديث ٣٥٥٨- طرفاه في: ٣٩٤٤، ٥٩١٧].

[٣٥٥٩] ٣٤٣٧- نا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال: لم يكن النبي صلى الله عليه فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً».

[الحديث ٣٥٥٩- أطرافه في: ٣٧٥٩، ٦٠٢٩، ٦٠٣٥].

[٣٥٦٠] ٣٤٣٨- نا عبد الله بن يوسف قال أنا مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: ما خير رسول الله صلى الله عليه بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها.

[الحديث ٣٥٦٠- أطرافه في: ٦١٢٦، ٦٧٨٦، ٦٨٥٣].

[٣٥٦١] ٣٤٣٩- نا سليمان بن حرب قال نا حماد عن ثابت عن أنس قال: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه، ولا شممت ريحاً قطُّ -أو عرفاً قطُّ- أطيب من ريح -أو عرف- النبي صلى الله عليه.

[٣٥٦٢] ٣٤٤٠- نا مسدد قال نا يحيى عن شعبة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد الخدري قال: كان النبي صلى الله عليه أشد حياءً من العذراء في خدرها.

[الحديث ٣٥٦٢- طرفاه في: ٦١٠٢، ٦١١٩].

[٣٥٦٣] ٣٤٤١- نا علي بن الجعد قال أنا شعبة عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: ما عاب النبي صلى الله عليه طعاماً قطُّ، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه.

[الحديث ٣٥٦٣- طرفه في: ٥٤٠٩].

[٣٥٦٤] ٣٤٤٢ - ناقتيبة بن سعيد قال نا بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن عبد الله ابن مالك بن بحنة الأسدي قال : كان النبي صلى الله عليه إذا سجد فرج بين يديه حتى نرى إبطيه .

قال : وقال ابن بكير نا بكر : بياض إبطيه .

[٣٥٦٥] ٣٤٤٣ - نا عبد الأعلى بن حماد قال نا يزيد بن زريع قال نا سعيد عن قتادة أن أنسًا حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه كان لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء فإنه كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه . وقال أبو موسى : دعا النبي صلى الله عليه ورفع يديه ورأيت بياض إبطيه .

[٣٥٦٦] ٣٤٤٤ - نا الحسن بن الصباح قال نا محمد بن سابق قال نا مالك بن مغول قال سمعت عون بن أبي جحيفة ذكر عن أبيه قال : دفعت إلى النبي صلى الله عليه وهو بالأبطح في قبة كان بالهاجرة ، فخرج بلال فنادى بالصلاة ، ثم دخل فأخرج فضل وضوء رسول الله صلى الله عليه فوق الناس عليه يأخذون منه ، ثم دخل فأخرج العنزة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه ، كأنني أنظر إلى وبيص ساقيه ، فركز العنزة ثم صلى الظهر ركعتين ، والعصر ركعتين ، يمر بين يديه الحمار والمرأة .

[٣٥٦٧] ٣٤٤٥ - نا الحسن بن الصباح البزار قال نا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه كان يحدث حديثًا لو عدّه العاد لأحصاه .
[الحديث ٣٥٦٧ - طرفه في : ٣٥٦٨] .

[٣٥٦٨] ٣٤٤٦ - وقال الليث بن يونس عن ابن شهاب أنه قال : أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : ألا يعجبك أبافلان جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه يسمعي ذلك ، وكنت أسبح ، فقام قبل أن أقضي سبحتي ، ولو أدركته لرددت عليه ، إن رسول الله صلى الله عليه لم يكن يسرد الحديث كسر دكم .

قوله (باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم) أي خلقه وخلقه . وأورد فيه أربعة وعشرين حديثًا :

الأول حديث أبي بكر المشتمل على أن الحسن بن علي كان يشبه جده صلى الله عليه وسلم .

قوله (عن ابن أبي مليكة) في رواية الإسماعيلي « أخبرني » وفي أخرى « حدثني ابن أبي مليكة » .

قوله (عن عقبة بن الحارث) في رواية الإسماعيلي « أخبرني عقبة بن الحارث » .

قوله (صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر ثم خرج يمشى) زاد الإسماعيلي في رواية « بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بليال ، وعلى يمشى إلى جانبه » .

قوله (بأبي) فيه حذف تقديره أفديه بأبي ، ووقع في رواية الإسماعيلي « وارتجز فقال : وأبأبي ، شبيه بالنبي » وفي تسمية هذا رجزاً نظر ، لأنه ليس بموزون ، وكأنه أطلق على السجع رجزاً . ووقع من بعض الرواة تغيير وتصحيح رواية الأصل ، ولعلها كانت « وأبأبي وأبأبي » كما دلت عليه رواية الإسماعيلي المذكورة ، فهذا يكون من مجزوء الرجز ، لكن قوله « شبيه بالنبي » يحتاج إلى شيء قبله ، فلمله كان شخص أو أنت شبيه بالنبي أو نحو ذلك ، وأما الثالث فوزون .

قوله (وعلى يضحك) في رواية الإسماعيلي « وعلى يتبسم » أي رضا بقول أبي بكر وتصديقاً له . وقد وافق أبا بكر على أن الحسن كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم أبو جحيفة كما سيأتي في الحديث الذي بعده ، ووقع في حديث أنس كما سيأتي في المناقب أن الحسين بن علي كان أشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي وجه التوفيق بينهما في المناقب إن شاء الله تعالى ، وأذكر فيه من شاركهما في ذلك إن شاء الله تعالى . وفي الحديث فضل أبي بكر ومحبة لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي في المناقب قوله « لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى أن أصل من قرأني » وفيه ترك الصبي المميز يلعب ، لأن الحسن إذ ذاك كان ابن سبع سنين ، وقد سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ عنه ، ولعبه محمول على ما يليق بمثله في ذلك الزمان من الأشياء المباحة ، بل على ما فيه تمرين وتنشيط ونحو ذلك . والله أعلم . الحديث الثاني وحديث أبي جحيفة أورده من طريقين وإسماعيل فيهما هو ابن أبي خالد ، وابن فضيل بالتصغير هو محمد .

قوله (كان أبيض قد شط) بفتح المعجمة وكسر الميم أي صار سواد شعره مخالطاً لبياضه وقد بين في الرواية التي تلي هذا أن موضع الشط كان في العنفة ويؤيد ذلك حديث عبد الله بن بسر المذكور بعده ، والعنفة ما بين الذقن والشفة السفلى سواء كان عليها شعر أم لا . وتطلق على الشعر أيضاً . وعند مسلم من رواية زهير « عن أبي إسحق عن أبي جحيفة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه منه بيضاء - وأشار إلى عنفته - قيل مثل من أنت يومئذ ؟ قال : أبرى النبل وأريشها » .

قوله (وأمر لنا) أي له ولقومه من بني سواة - بضم المهملة وتخفيف الواو والمد والهمز وآخره هاء تأنيث - ابن عامر بن صعصعة ، وكان أمر لهم بذلك على سبيل جائزة الوفد .

قوله (قلو صاً) بفتح القاف ، هي الأنثى من الإبل ، وقيل الشابة ، وقيل الطويلة القوائم .

قوله (فقبض النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن نقبضها) فيه إشعار بأن ذلك كان قرب وفاته

صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد أبو جحيفة ومن معه من قومه حجة الوداع كما في الرواية التي بعد هذه ، فالذي يظهر أن أبا بكر وفي لهم بالوعد المذكور كما صنع بغيرهم . ثم وجدت ذلك منقولاً صريحاً ، ففي رواية الإسماعيلي من طريق محمد بن فضيل بالإسناد المذكور « فذهبنا نقبضها فأتانا موته فلم يعطونا شيئاً ، فلما قام أبو بكر قال : من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليجيئ ، فقممت إليه فأخبرته فأمر لنا بها » وقد تقدم البحث في هذه المسألة في الهبة . الحديث الثالث حديث أبي جحيفة أيضاً .

قوله (عن وهب أبي جحيفة) هو اسم أبي جحيفة ، وهو مشهور بكنيته أكثر من اسمه ، وكان يقال له أيضاً وهب الله ووهب الخير .

قوله (ورأيت بياضاً من تحت شفته السفلى العنقفة) بالكسر على أنه بدل من الشفة ، وبالنصب على أنه بدل من قوله « بياضاً » ، ووقع عند الإسماعيلي من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل بهذا الإسناد « من تحت شفته السفلى مثل موضع إصبع العنقفة » وإصبع في هذه الرواية بالتثنية ، وإعراب العنقفة كالذي قبله . وفي رواية شعبة بن سوار عن إسرائيل عنده « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم شابت عنقفته » . الحديث الرابع وهو من ثلاثياته .

قوله (حدثنا عصام بن خالد) هو أبو إسحق الحمصي الحضرمي من كبار شيوخ البخاري ، وليس له عنه في الصحيح غيره . وأما حريز فهو بفتح المهملة وتقدم قريباً أنه من صغار التابعين .

قوله (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم) يحتمل أن يكون « رأيت » بمعنى أخبرني ، و « النبي » بالرفع على أنه اسم كان ، والتقدير : أخبرني أكان النبي صلى الله عليه وسلم شيخاً ؟ ويحتمل أن يكون « رأيت » استفهاماً منه هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ويكون « النبي » بالنصب على المفعولية . وقوله « كان شيخاً » استفهام ثان حذف منه أداة الاستفهام ، ويؤيد هذا الثاني رواية الإسماعيلي من وجه آخر عن حريز بن عثمان قال « رأيت عبد الله بن بسر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم بحمص والناس يسألونه ، فدنوت منه وأنا غلام فقلت : أنت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قلت : شيخ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شاب ؟ قال فتبسم » وفي رواية له « فقلت له : أكان النبي صلى الله عليه وسلم صبغ ؟ قال : يا ابن أخي لم يبلغ ذلك » .

قوله (قال كان في عنقفته شعرات بيض) في رواية الإسماعيلي « إنما كانت شعرات بيض . وأشار إلى عنقفته » وسيأتي بعد حديثين قول أنس « إنما كان شيء في صدغيه » وسيأتي وجه الجمع بينهما إن شاء الله تعالى . الحديث الخامس حديث أنس من رواية ربيعة عنه ، وهو ابن أبي عبد الرحمن فروخ الفقيه المدني المعروف بريعة الرأي ، وقد أورده من طريقين : أحدهما من رواية خالد ، وهو ابن يزيد الجمحي المصري ، وكان من أقران الليث بن سعد لكنه مات قبله ، وقد أكثر عنه الليث .

قوله (كان ربعة) بفتح الراء وسكون الموحدة أي مربوعاً ، والتأنيث باعتبار النفس ، يقال رجل ربعة وامرأة ربعة ، وقد فسر في الحديث المذكور بقوله « ليس بالطويل البائن ولا بالقصير » والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة ، وسيأتي في حديث البراء بعد قليل أنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم مربوعاً » ووقع في حديث أبي هريرة عند الذهلي في « الزهريات » بإسناد حسن « كان ربعة وهو إلى الطول أقرب » .

قوله (أزهر اللون) أي أبيض مشرب بحمرة ، وقد وقع ذلك صريحاً في حديث أنس من وجه آخر عند مسلم ، وعند سعيد بن منصور والطيالسي والترمذي والحاكم من حديث علي قال « كان النبي صلى

الله عليه وسلم أبيض مشرباً بياضه بحمرة « وهو عند ابن سعد أيضاً عن علي ، وعن جابر ، وعند البيهقي من طرق عن علي ، وفي « الشئائل » من حديث هند بن أبي هالة أنه أزهري اللون .

قوله (ليس بأبيض أمهق) كذا في الأصول ، ووقع عند الداودي تبعاً لرواية المروزي « أمهق ليس بأبيض » واعترضه الداودي ، وقال عياض : إنه وهم ، قال : وكذلك رواية من روى أنه ليس بالأبيض ولا الآدم ليس بصواب ، كذا قال ، وليس بجيد في هذا الثاني ، لأن المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الأدمة ، وإنما يخالط بياضه الحمرة ، والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر ، ولهذا جاء في حديث أنس عند أحمد ر الزار وابن منده بإسناد صحيح وصححه ابن حبان « إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسمر » وقد رد المحب الطبري هذه الرواية بقوله في حديث الباب من طريق مالك عن ربيعة « ولا بالأبيض الأمهق وليس بالآدم » والجمع بينهما ممكن وأخرجه البيهقي في « الدلائل » من وجه آخر عن أنس فذكر الصفة النبوية قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض بياضه إلى السمرة » وفي حديث يزيد الرقاشي عن ابن عباس في صفة النبي صلى الله عليه وسلم « رجل بين رجلين جسمه ولحمه أحمر » وفي لفظ « أسمر إلى البياض » أخرجه أحمد وسنده حسن ، وتبين من مجموع الروايات أن المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض ، وأن المراد بالبياض المثبت ما يخالطه الحمرة ، والمنفي ما لا يخالطه ، وهو الذي تكره العرب لونه وتسميه أمهق ، وبهذا تبين أن رواية المروزي « أمهق ليس بأبيض » مقلوبة والله أعلم ، على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية ولا سمرة ولا حمرة ، فقد نقل عن رؤية أن المهق خضرة الماء ، فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية ، وقد تقدم في حديث أبي جحيفة إطلاق كونه أبيض ، وكذا في حديث أبي الطفيل عند مسلم ، وفي رواية عند الطبراني « ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره » وكذا في شعر أبي طالب المتقدم في الاستسقاء « وأبيض يستسقى الغمام بوجهه » وفي حديث سراقه عند ابن إسحق « فجعلت أنظر إلى ساقه كأنها جمارة » ولأحمد من حديث محرش الكعبي في عمرة الجعرانة أنه قال « فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة » وعن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف النبي صلى الله عليه وسلم فقال « كان شديد البياض » أخرجه يعقوب بن سفيان والبخاري بإسناد قوى ، والجمع بينهما بما تقدم . وقال البيهقي : يقال إن المشرب منه حمرة وإلى السمرة ما ضحى منه للشمس والريح ، وأما ما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر . قلت : وهذا ذكره ابن أبي خيثمة عقب حديث عائشة في صفته صلى الله عليه وسلم بأبسط من هذا وزاد « واوله الذي لا يشك فيه الأبيض الأزهر » وأما ما وقع في « زيادات عبد الله بن أحمد في المسند » من طريق علي « أبيض مشرب شديد الوضوح » فهو مخالف لحديث أنس « ليس بالأمهق » وهو أصح ، ويمكن الجمع بحمل ما في رواية علي على ما تحت الثياب مما لا يلاق الشمس ، والله أعلم .

قوله (ليس بجعد قطط ولا بسط) بفتح أوله وكسر الموحدة ، والجعودة في الشعر أن لا يتكسر ولا يسترسل والسبوطة ضده ، فكأنه أراد أنه وسط بينهما . ووقع في حديث علي عند الترمذي وابن أبي خيثمة « ولم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط » كان جعداً رجلاً « وقوله رجل بكسر الجيم — ومنهم من يسكنها —

أى متسرح ، وهو مرفوع على الاستئناف « أى هو رجل . ووقع عند الأصيلي بالخفض وهو وهم لأنه يصير معطوفاً على المنى ، وقد وجه على أنه خفضه على المجاورة ، وفي بعض الروايات بفتح اللام وتشديد الجيم على أنه فعل ماض .

قوله (أنزل عليه) فى رواية مالك « بعثه الله » .

قوله (وهو ابن أربعين) فى رواية مالك « على رأس أربعين » وهذا إنما يتم على القول بأنه بعث فى الشهر الذى ولد فيه ، والمشهور عند الجمهور أنه ولد فى شهر ربيع الأول وأنه بعث فى شهر رمضان ، فعلى هذا يكون له حين بعث أربعون سنة ونصف أو تسع وثلاثون ونصف ، فمن قال أربعين ألغى الكسر أو جبر ، لكن قال المسعودى وابن عبد البر : إنه بعث فى شهر ربيع الأول ، فعلى هذا يكون له أربعون سنة سواء . وقال بعضهم : بعث وله أربعون سنة وعشرة أيام ، وعند الجعابى أربعون سنة وعشرون يوماً ، وعن الزبير بن بكار أنه ولد فى شهر رمضان وهو شاذ ، فإن كان محفوظاً وضم إلى المشهور أن المبعث فى رمضان فيصح أنه بعث عند إكمال الأربعين أيضاً . وأبعد منه قول من قال : بعث فى رمضان وهو ابن أربعين سنة وشهرين ، فإنه يقتضى أنه ولد فى شهر رجب ، ولم أر من صرح به . ثم رأيت كذلك مصرحاً به فى « تاريخ أبى عبد الرحمن العتقى » وعزاه للحسين بن على وزاد « لسبع وعشرين من رجب » وهو شاذ . ومن الشاذ أيضاً ما رواه الحاكم من طريق يحيى بن سعيد بن المسيب قال « أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين » وهو قول الواقدى ، وتبعه البلاذرى وابن أبى عاصم ، وفى « تاريخ يعقوب بن سفيان » وغيره عن مكحول أنه بعث بعد ثنتين وأربعين .

قوله (فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه) مقتضى هذا أنه عاش ستين سنة ، وأخرج مسلم من وجه آخر عن أنس « أنه صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثاً وستين » وهو موافق لحديث عائشة الماضى قريباً وبه قال الجمهور ، وقال الإسماعيلي : لا بد أن يكون الصحيح أحدهما ، وجمع غيره بإلغاء الكسر ، وسيأتى بقية الكلام على هذا الموضع فى الوفاة آخر المغازى إن شاء الله تعالى .

قوله (وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) أى بل دون ذلك ، ولابن أبى خيثمة من طريق أبى بكر بن عياش « قلت لربيعة : جالست أنساً ؟ قال : نعم ، وسمعتة يقول : شاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شية ههنا يعنى العنفة » ولإسحق بن راهويه وابن حبان والبيهقى من حديث ابن عمر « كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً من عشرين شعرة بيضاء فى مقدمه » وقد اقتضى حديث عبد الله بن بسر أن شيبه كان لا يزيد على عشر شعرات لإيراده بصيغة جمع القلة ، لكن خص ذلك بعنفقته ، فيحمل الزائد على ذلك فى صدغيه كما فى حديث البراء ، لكن وقع عند ابن سعد بإسناد صحيح عن حميد عن أنس فى أثناء حديث قال « ولم يبلغ ما فى لحيته من الشيب عشرين شعره . قال حميد : وأوماً إلى عنفقته سبع عشرة » وقد روى ابن سعد أيضاً بإسناد صحيح عن ثابت عن أنس قال « ما كان فى رأس النبى صلى الله عليه وسلم ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة » ولابن أبى خيثمة من حديث حميد عن أنس « لم يكن فى لحية رسول الله

صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء . قال حميد : كن سبع عشرة « وفي مسند عبد بن حميد من طريق حماد عن ثابت عن أنس « ما عددت في رأسه ولحيته إلا أربع عشرة شعرة » وعند ابن ماجه عن وجه آخر عن أنس « إلا سبع عشرة أو عشرين شعرة » وروى الحاكم في « المستدرک » من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن أنس قال « لو عددت ما أقبل على من شبيه في رأسه ولحيته ما كنت أزيدهن على إحدى عشرة شبة » وفي حديث الهيثم بن زهير عند (١) « ثلاثون عدداً » .

قوله (قال ربيعة) هو موصول بالإسناد المذكور .

قوله (فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر ، فسألت فقيل : أحمر من الطيب) لم أعرف المسئول المحيى بذلك ، إلا أن في رواية ابن عقيل المذكورة من قبل أن عمر بن عبد العزيز قال لأنس : هل خضب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فإني رأيت شعراً من شعره قد لون ، فقال : إنما هذا الذي لون من الطيب الذي كان يطيب به شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهر الذي غير لونه « فيحتمل أن يكون ربيعة سأل أنساً عن ذلك فأجابه . ووقع في « رجال مالك » للدارقطني وهو في « غرائب مالك » له عن أبي هريرة قال « لما مات النبي صلى الله عليه وسلم خضب من كان عنده شيء من شعره ليكون أبقى لها » . قلت : فإن ثبت هذا استقام إنكار أنس ، ويقبل ما أثبتته سواه التأريل ، وستأتي الإشارة إلى شيء من ذلك في كتاب اللباس إن شاء الله تعالى . الحديث السادس حديث البراء .

قوله (حدثنا إبراهيم بن يوسف) أي ابن إسحق بن أبي إسحق السيعي .

قوله (وأحسنه خلقاً) بفتح المعجمة للأكثر ، وضبطه ابن التين بضم أوله واستشد بقوله تعالى ﴿ وإنك لعلی خلق عظیم ﴾ ووقع في رواية الإسماعيلي بالشك « وأحسنه خلقاً أو خلقاً » ويؤيده قوله قبله « أحسن الناس وجهاً » فإن فيه إشارة إلى الحسن الحسى ، فيكون في الثاني إشارة إلى الحسن المعنوى . وقد وقع في حديث أنس الذي يتعلق بفارس أبي طلحة الذي قال فيه « إن وجدناه لبحراً » وهو عنده في مراضع منها أن في أوله في باب الشجاعة في الحرب « كان أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس » فجمع صفات القوى الثلاث العقلية والغضبية والشهوانية ، فالشجاعة تدل على الغضبية ، والجود يدل على الشهوية ، والحسن تابع لاعتدال المزاج المستتبع لصفاء النفس الذي به جودة القرينة الدال على العقل ، فوصف بالأحسنية في الجميع . ومضى في الجهاد والخمس حديث جبير بن مطعم أنه صلى الله عليه وسلم قال « ثم لا تجلدوني بخيلاً ولا كنوباً ولا جباناً » فأشار بعدم الجبن إلى كمال القوة الغضبية وهي الشجاعة ، وبعدم الكذب إلى كمال القوة العقلية وهي الحكمة ، وبعدم البخل إلى كمال القوة الشهوانية وهو الجود .

قوله (ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) تقدم في حديث ربيعة عن أنس أنه كان ربيعة ، ووقع في حديث عائشة عند ابن أبي خيثمة « لم يكن أحد يماشيه من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها ، فإذا فارقاه نسباً إلى الطول ، ونسب رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى الربعة « وقوله « البائن » بالوحدة اسم فاعل من بان أى ظهر على غيره أو فارق من سواه الحديث السابع حديث قتادة « سألت أنساً : هل خضب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إنما كان شيء في صدغيه « الصدغ بضم المهملة وإسكان الدال بعدها معجمة ما بين الأذن والعين ، ويقال ذلك أيضاً للشعر المتدلى من الرأس في ذلك المكان ، وهذا مغاير للحديث السابق أن الشعر الأبيض كان في عنقه ، ووجه الجمع ما وقع عند مسلم من طريق سعيد عن قتادة عن أنس قال « لم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كان البياض في عنقه وفي الصدغين ، وفي الرأس نبذ « أى متفرق ، وعرف من مجموع ذلك أن الذي شاب من عنقه أكثر مما شاب من غيرها ، ومراد أنس أنه لم يكن في شعره ما يحتاج إلى الخضاب ، وقد صرح بذلك في رواية محمد بن سيرين قال « سألت أنس بن مالك : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب ؟ قال : لم يبلغ الخضاب « ولمسلم من طريق حماد عن ثابت عن أنس « لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه لفعلت « زاد ابن سعد والحاكم « ما شأنه بالشيب « ولمسلم من حديث جابر بن سمرة فقد شط مقدم رأسه ولحيته ، وكان إذا ادهن لم يدين ، فإذا لم يدهن تبين « وأما ما رواه الحاكم وأصحاب السنن من حديث أبي رمثة قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه بردان أخضران ، وله شعر قد علاه الشيب ، وشبهه أحمر مخضوب بالحناء « فهو موافق لقول ابن عمر « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالصفرة « وقد تقدم في الحج وغيره ، والجمع بينه وبين حديث أنس أن يحمل نفي أنس على غلبة الشيب حتى يحتاج إلى خضابه ولم يتفق أنه رآه وهو مخضب ، ويحمل حديث من أثبت الخضب على أنه فعله لإرادة بيان الجواز ولم يواظب عليه . وأما ما تقدم عن أنس أخرجه الحاكم من حديث عائشة قالت « ما شأنه الله ببيضاء « فمحمول على أن تلك الشعرات البيض لم يتغير بها شيء من حسنه صلى الله عليه وسلم ، وقد أنكر أحمد إنكار أنس أنه خضب ، وذكر حديث ابن عمر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يخضب بالصفرة وهو في الصحيح ، ووافق مالك أنساً في إنكار الخضاب وتأول ما ورد في ذلك . الحديث الثامن حديث البراء .

قوله (بعيد ما بين المنكبين) أى عريض أعلى الظهر ، ووقع في حديث أبي هريرة عند ابن سعد « ربح الصدر » .

قوله (له شعر يبلغ شحمة أذنه) في رواية الكشميهي « أذنيه » بالثنية . وفي رواية الإسماعيلي « تكاد جمته تصيب شحمة أذنيه » .

قوله (وقال يوسف بن أبي إسحق) هو يوسف بن إسحق بن أبي إسحق نسبه إلى جده .

قوله (إلى منكبيه) أى زاد في روايته عن جده أبي إسحق عن البراء في هذا الحديث له شعر يبلغ شحمة أذنيه إلى منكبيه ، وطريق يوسف هذه أوردها المصنف قبل هذا بحديث لكنه اختصرها ، قال ابن التين تبعاً للداودي : قوله « يبلغ شحمة أذنيه » مغاير لقوله « إلى منكبيه » وأجيب بأن المراد أن معظم شعره كان عند شحمة أذنه ، وما استرسل منه متصل إلى المنكب . أو يحمل على حالتين . وقد وقع نظير ذلك في حديث أنس عند مسلم من رواية قتادة عنه أن شعره « كان بين نأذيه وعاتقه » وفي حديث حميد عنه « إلى أنصاف

أذنيه « ومثله عند الترمذى من رواية ثابت عنه ، وعند ابن سعد من رواية حماد عن ثابت عنه « لا يجاوز شعره أذنيه » وهو محمول على ما قدمته ، أو على أحوال متغايرة . وروى أبو داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت « كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوفرة ودون الجمرة » وفي حديث هند بن أبى هالة فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الترمذى وغيره « فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفرة » أى جعله وفرة ، فهذا القيد يؤيد الجمع المتقدم . وروى أبو داود والترمذى من حديث أم هانئ قالت « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وله أربع غدائر » ورجاله ثقات . الحديث التاسع حديث البراء أيضاً .

قوله (حدثنا زهير) هر ابن معاوية وأبو إسحق هو السبيعى .

قوله (سئل البراء) فى رواية الإسماعيلي من طريق أحمد بن يونس عن زهير « حدثنا أبو إسحق عن البراء قال له رجل » .

قوله (مثل السيف ؟ قال : لا بل مثل القمر) كأن السائل أراد أنه مثل السيف فى الطول ، فرد عليه البراء فقال « بل مثل القمر » أى فى التدوير ، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف فى اللمعان والصقال ؟ فقال : بل فوق ذلك ، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان : ووقع فى رواية زهير المذكورة « أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حديداً مثل السيف » ؟ وهو يؤيد الأول . وقد أخرج مسلم من حديث جابر بن سمرة « إن رجلاً قال له : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا بل مثل الشمس والقمر مستديرًا » وإنما قال « مستديرًا » للتنبيه على أنه جمع الصفتين ، لأن قوله « مثل السيف » يحتمل أن يريد به الطول أو اللمعان ، فردّه المسئول ردّاً بليغاً . ولما جرى التعارف فى أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالباً الإشراق ، والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحظة دون غيرهما ، أتى بقوله « وكان مستديرًا » إشارة إلى أنه أراد التشبيه بالصفتين معا : الحسن والاستدارة . ولأحمد وابن سعد وابن حبان عن أبى هريرة « ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن الشمس تجرى فى جبهته » قال الطيبى : شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم ، وفيه عكس التشبيه للمبالغة ، قال : ويحتمل أن يكون من باب تناهى التشبيه جعل وجهه مقراً ومكاناً للشمس . وروى يعقوب ابن سفيان فى تأويله من طريق يونس بن أبى يعفور عن أبى إسحق السبيعى عن امرأة من همدان قالت « حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لها : شبيهه . قالت : كالقمر ليلة البدر ، لم أر قبله ولا بعده مثله » وفى حديث الربيع بنت معوذ « لو رأيته لرأيت الشمس طالعة » أخرجه الطبرانى والدارمى ، وفى حديث يزيد الرقاشى المتقدم قريباً عن ابن عباس « جميل دوائر الوجه ، قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه حتى كادت تملأ نحره » وروى الذهلى فى « الزهريات » من حديث أبى هريرة فى صفة صلى الله عليه وسلم « كان أسيل الخدين ، شديد سواد الشعر ، أكحل العينين ، أهدب الأشفار » الحديث . وكأن قوله « أسيل الخدين » هو الحامل على من سأل : أكان وجهه مثل السيف ؟ ووقع فى حديث على عند أبى عبيد فى الغريب « وكان فى

وجهه تدوير « قال أبو عبيد في شرحه : يريد أنه لم يكن في غاية من التدوير بل كان فيه سهرلة ، وهي أحلى عند العرب . الحديث العاشر .

قوله (حدثنا الحسن بن منصور البغدادي) هو أبو علي البغدادي الشطوي بفتح المعجمة ثم المهملة لم يخرج عنه البخاري سوى هذا الموضع .

قوله (قال شعبة) هو متصل بالإسناد المذكور .

قوله (وزاد فيه عون عن أبيه أبي جحيفة) سيأتي هذا الحديث بزيادته من وجه آخر في آخر الباب وقد تقدم ما يتعلق بذلك في أوائل الصلاة .

قوله (فإذا هي أبرد من الثاج وأطيب رائحة من المسك) وقع مثله في حديث جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه عند الطبراني بإسناد قوي ، وفي حديث جابر بن سمرة عند مسلم في أثناء حديث قال « فمسح صدي فوجدت ليد برداً - أو ريحاً - كأنما أخرجها من جونة عطار » وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي « لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو يمس جلدي جلده - فأتعرفه بعد في يدي وإنه لأطيب رائحة من المسك » وفي حديثه عند أحمد « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء ، فشرب منه ثم مج في الدار ثم في البئر ففاح منه مثل ريح المسك » وروى مسلم حديث أنس في جمع أم سليم عرقه صلى الله عليه وسلم وجعلها إياه في الطيب ، وفي بعض طرقه « وهو أطيب الطيب » . وأخرج أبو يعلى والطبراني من حديث أبي هريرة في قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته « فلم يكن عنده شيء ، فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال له : مرها فلتطيب به ، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين » وروى أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر في طريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك ، فيقال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم » . الحديث الحادي عشر حديث ابن عباس « كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس » تقدم شرحه مستوفى في كتاب الصيام ، والغرض منه وصفه عليه الصلاة والسلام بالجود . الحديث الثاني عشر حديث عائشة في قصة القائف ، وسيأتي شرحه في كتاب الفرائض إن شاء الله تعالى . والغرض منه هنا قولها « تبرق أسارير وجهه » والأسارير جمع أسرار وهي جمع سر وهي الخطوط التي تكون في الجهة . الحديث الثالث عشر حديث كعب بن مالك وهو طرف من قصة توبته ، وسيأتي بطوله في المغازي مستوفى شرحه إن شاء الله تعالى .

قوله (استنار وجهه كأنه قطعة قمر) أي الموضع الذي يبين فيه السرور ، وهو جبينه ، فإذ ذلك قال « قطعة قمر » ولعله كان حينئذ ملثماً ، ويحتمل أن يكون يريد بقوله قطعة قمر القمر نفسه . ووقع في حديث جبير بن مطعم عند الطبراني « إلتفت إلينا النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه مثل شقة القمر » فهذا محمول على صفته عند الالتفات ، وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها « كأنه دارة قمر » . الحديث الرابع عشر حديث أبي هريرة .

قوله (عن عمرو) هو ابن أبي عمرو مولى المطلب ، واسم أبي عمرو ميسرة .

قوله (بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقراً) القرن الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد ، ومنهم من حده بمائة سنة وقيل بسبعين ، وقيل بغير ذلك . فحكى الحربى الاختلاف فيه من عشرة إلى مائة وعشرين ، ثم تعقب الجميع وقال : الذى أراه أن القرن كل أمة هالكت حتى لم يبق منها أحد . وقوله « قرناً » بالنصب حال للتفصيل .

قوله (حتى كنت من القرن الذى كنت منه) فى رواية الإسماعيلي « حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه » وسيأتى فى أول مناقب الصحابة حديث عمران بن حصين « خير الناس قرنى » والكلام عليه مستوفى إن شاء الله تعالى . الحديث الخامس عشر حديث ابن عباس .

قوله (عن ابن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) هذا هو المشهور عن ابن شهاب ، وعنه فيه إسناد آخر أخرجه الحاكم من طريق مالك عن زياد بن سعد عن أنس « سدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته ما شاء الله ، ثم فرق بعد » وأخرجه أيضاً أحمد وقال : تفرد به حماد بن خالد عن مالك وأخطأ فيه ، والصواب عن عبيد الله بن عبد الله . وقال ابن عبد البر : الصواب عن مالك فيه عن الزهرى مرسل كما فى الموطأ .

قوله (يسدل شعره) بفتح أوله وسكون المهملة وكسر الدال ، ويجوز ضمها ، أى يترك شعر ناصيته على جبهته . قال النوى : قال العلماء المراد إرساله على الجبين وإتخاذه كالقصة ، أى بضم القاف بعدها مهملة . قوله « ثم فرق بعد » بفتح الفاء والراء أى ألقى شعر رأسه إلى جانبي رأسه فلم يترك منه شيئاً على جبهته ، ويفرقون بضم الراء وبكسرها وقد روى ابن إسحق عن محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة قالت « أنا فرقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه » أى شعر رأسه عن يافوخه ، ومن طريقه أخرجه أبو داود وفى حديث هند بن أبى هالة فى صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه « إن انفركت عقيقته - أى شعر رأسه الذى على ناصيته - فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه » قال ابن قتيبة فى غريبه : العقيقة شعر رأس الصبي قبل أن يخلق ، وقد يطلق عليه بعد الخلق مجازاً . وقوله « كان لا يفرق شعره إلا إذا انفرك » محمول على ما كان أو لا لما بينه حديث ابن عباس .

قوله (وكان يحب موافقة أهل الكتاب) أى حيث كان عباد الأوثان كثيرين .

قوله (فيما لم يؤمر فيه بشيء) أى فيما لم يخالف شرعه لأن أهل الكتاب فى زمانه كانوا متمسكين ببقايا من شرائع الرسل فكانت موافقتهم أحب إليه من موافقة عباد الأوثان ، فلما أسلم غالب عباد الأوثان أحب صلى الله عليه وسلم حينئذ مخالفة أهل الكتاب . واستدل به على أن شرع ما قبلنا شرع لنا ما لم يجئ فى شرعنا ما يخالفه ، وتعقب بأنه عبر بالحجة ، ولو كان كذلك لعبر بالوجوب . وعلى التسليم فى نفس الحديث أنه رجع عن ذلك آخرأ والله أعلم . الحديث السادس عشر حديث عبد الله بن عمرو أى ابن العاص .

قوله (عن أبي حمزة) هو السكرى ، والإسناد كله كوفيون سوى طرفيه وقد دخلها .

قوله (عن عبد الله بن عمرو) أى ابن العاص ، فى رواية مسلم عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير

عن الأعمش بسنده « دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم مع مدوية الكوفة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال » .

قوله (فاحشاً ولا متفحشاً) أى ناطقاً بالفحش ، وهو الزيادة على الحد في الكلام السيئ ، والمتفحش المتكلف لذلك أى لم يكن له الفحش خلقاً ولا مكتسباً ، ووقع عند الترمذى من طريق أبي عبد الله الجدلى قال « سألت عائشة عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا سخاباً في الأسواق ، ولا يجزى بالسيسة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح » وتقدمت هذه الزيادة في حديث عبد الله بن عمرو من وجه آخر بآتم من هذا السياق ، ويأتى في تفسير سورة الفتح ، وقد روى المصنف في الأدب من حديث أنس « لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً ، كان يقول لأحدنا عند المعتبة : ماله تربت جبينه » ولأحمد من حديث أنس « إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه » ولأبي داود من حديث عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل : ما بال فلان يقول ؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يقولونه » .

قوله (وكان يقول) أى النبي صلى الله عليه وسلم . ووقع في رواية مسلم « قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قوله (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً) في رواية مسلم « أحاسنكم » وحسن الخلق : اختيار الفضائل وترك الرذائل . وقد أخرج أحمد من حديث أبي هريرة رفعه « إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق » وأخرجه البزار من هذا الوجه بلفظ « مكارم » بدل « صالح » وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد حسن عن صفية بنت حيي قالت « ما رأيت أحداً أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعند مسلم من حديث عائشة « كان خلقه القرآن ، يغضب لغضبه ويرضى لرضاه » . الحديث السابع عشر حديث عائشة .

قوله (بين أمرين) أى من أمور الدنيا ، يدل عليه قوله « ما لم يكن إنما » لأن أمور الدين لا إثم فيها ، وأبهم فاعل « خير » ليكون أعم من أن يكون من قبل الله أو من قبل المخلوقين ، وقوله « إلا أخذ أسيرهما أى أسهلها » . وقوله « ما لم يكن إنما » أى ما لم يكن الأسهل مقتضياً للإثم فإنه حينئذ يختار الأشد . وفي حديث أنس عند الطبراني في الأوسط « إلا اختار أسيرهما ما لم يكن لله فيه سخط » ووقع التخيير بين ما فيه إثم وما لا إثم فيه من قبل المخلوقين واضح ، وأما من قبل الله ففيه إشكال لأن التخيير إنما يكون بين جائزين ، لكن إذا حملناه على ما يفضى إلى الإثم أمكن ذلك بأن يخيره بين أن يفتح عليه من كنز الأرض ما يخشى من الاشتغال به أن لا يتفرغ للعبادة مثلاً وبين أن لا يؤتبه من الدنيا إلا الكفاف فيختار الكفاف وإن كانت السعة أسهل منه ، والإثم على هذا أمر نسي لا يراد منه معنى الخطيئة لثبوت العصمة له .

قوله (وما انتقم لنفسه) أى خاصة ، فلا يرد أمره بقتل عقبة بن أبي معيط وعبد الله بن خططل وغيرهما ممن كان يؤذيه لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمة الله ، وقيل لا ينتقم إذا أرادت أنه لا ينتقم إذا أؤذى في غير السبب الذي يخرج إلى الكفر ، كما عفا عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه ، وعن الآخر الذي جيد بردائه

حتى أثر في كتفه ، وحمل الداودي عدم الانتقام على ما يختص بالمال ، قال : وأما العرض فقد اقتصر ممن نال منه ، قال : واقتصر ممن لدّه في مرضه بعد نهيّه عن ذلك بأن أمر بلدهم مع أنهم كانوا في ذلك تأولوا أنه إنما نهاهم عن عادة البشرية من كراهة النفس الدواء ، كذا قال ، وقد أخرج الحاكم هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري بهذا الإسناد مطولاً وأوله « ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً بذكر - أي بصريح اسمه - ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله ، ولا سئل في شيء قط فتنعه إلا أن يسأل مأثماً ، ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمة الله فيكون لله ينتقم » الحديث . وهذا السياق سوى صدر الحديث عند مسلم من طريق هشام بن عروة عن أبيه به ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » من حديث أنس وفيه « وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ، فإن انتهكت حرمة الله كان أشد الناس غضباً لله » وفي الحديث الحث على ترك الأخذ بالشيء لعسر ، والاقتناع باليسر ، وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه . ويؤخذ من ذلك النذب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ ، والحث على العفو إلا في حقوق الله تعالى ، والنذب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحمل ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه . وفيه ترك الحكم للنفس وإن كان الحاكم متمكناً من ذلك بحيث يؤمن منه الحيف على المحكوم عليه ، لكن لحسم المادة والله أعلم . الحديث الثامن عشر حديث أنس أخرجه من طريق حماد بن زيد ، وأخرجه مسلم بمعناه من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عنه .

قوله (ما مسست) بمهملتين الأولى مكسورة ويجوز فتحها والثانية ساكنة ، وكذا القول في ميم شمت .

قوله (ولا ديباجاً) هو من عطف الخاص على العام ، لأن الديباج نوع من الحرير ، وهو بكسر المهملة وحكى فتحها ، وقال أبو عبيدة الفتح مولد أي ليس بعربي .

قوله (ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم) قيل هذا يخالف ما وقع في حديث أنس الآتي في كتاب اللباس « إنه كان ضخماً اليدين » وفي رواية له « والقدمين » وفي رواية له « شثن القدمين والكفين » وفي حديث هند بن أبي هالة الذي أخرجه الترمذي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم فإن فيه إنه « كان شثن الكفين والقدمين » أي غليظهما في خشونة وهكذا وصفه على من عدة طرق عنه عند الترمذي والحاكم وابن أبي خيثمة وغيرهم ، وكذا في صفة عائشة له عند ابن أبي خيثمة ، والجمع بينهما أن المراد اللين في الجلد والغلظ في العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته ، أو حيث وصف باللين واللطافة حيث لا يعمل بهما شيئاً كان بالنسبة إلى أصل الخلقة ، وحيث وصف بالغلظ والخشونة فهو بالنسبة إلى امتنانهما بالعمل ، فإنه يتعاطى كثيراً من أموره بنفسه صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي مزيد لهذا في كتاب اللباس إن شاء الله تعالى . وفي حديث معاذ عند الطبراني والبخاري « أردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر ، فما مسست شيئاً قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم .

قوله (أو عرفاً) بفتح المهملة وسكون الراء بعدها فاء ، وهو شك من الراوي ، ويدل عليه قوله بعد « أطيب من ريح أو عرف » والعرف الريح الطيب . ووقع في بعض الروايات بفتح الراء وبالقف ،

و « أو » على هذا للتنويع والأول هو المعروف ، فقد تقدم في الصيام من طريق حميد عن أنس « مسكة ولا عنبرة أطيب رائحة من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقوله « عنبرة » ضبط بوجهين : أحدهما بسكون النون بعدها موحدة ، والآخر بكسر الموحدة بعدها تحتانية ، والأول معروف ، والثاني طيب معمول من أخلاط يجمعها الزعفران ، وقيل هو الزعفران نفسه . ووقع عند البيهقي « ولا شمت مسكاً ولا عنبراً ولا عبيراً » ذكرهما جميعاً وقد تقدم شيء من هذا في الحديث العاشر . وقوله « من ريح أو عرف » بخفض ريح بغير تنوين لأنه في حكم المضاف كقول الشاعر « بين ذراعي وجبهة الأسد » . ووقع في أول الحديث عند مسلم « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى يتكفأ ، وما مسست الخ » . الحديث التاسع عشر حديث أبي سعيد أورده من طريقين .

قوله (عن عبد الله بن أبي عتبة) بضم المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة ، وهو مولى أنس ، وهذا هو المحفوظ عن قتادة . وقد رواه الطبراني من وجه آخر عن شعبة عن قتادة فقال « عن أبي السوار العدوي عن عمران بن حصين به » .

قوله (أشد حياء من العذراء) أي البكر ، وقوله « في خدرها » بكسر المعجمة أي في سترها ، وهو من باب التميم ، لأن العذراء في الخلوة يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه ، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها ، فالظاهر أن المراد تقييده بما إذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة فيه ، ومحل وجود الحياء منه صلى الله عليه وسلم في غير حدود الله ، ولهذا قال الذي اعترف بالزنا « أنكها لا تكني » كما سيأتي بيانه في الحدود . وأخرج البزار هذا الحديث من حديث أنس وزاد في آخره « وكان يقول الحياء خير كله » وأخرج من حديث ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من وراء الحجرات ، وما رأى أحد عورته قط » وإسناده حسن .

قوله (حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى وابن مهدي قالوا حدثنا شعبة مثله) يعني سنداً ومنتأ ، وقد أخرجه الإسماعيلي من رواية أبي موسى محمد بن المثني عن عبد الرحمن بن مهدي بسنده وقال فيه « سمعت عبد الله بن أبي عتبة يقول سمعت أبا سعيد الخدري يقول » وأخرجه ابن حبان من طريق أحمد بن سنان القطان قال « قلت لعبد الرحمن بن مهدي : يا أبا سعيد أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ؟ قال : نعم عن مثل هذا فسل يا شعبة » فذكره بتمامه .

قوله (وإذا كره شيئاً عرف في وجهه) أي إن ابن بشار زاد هذا على رواية مسدد ، وهذا يحتمل أن يكون في رواية عبد الرحمن بن مهدي وحده ، وأن يكون في رواية يحيى أيضاً ولم يقع لمسدد ، والأول المعتمد فقد أخرجه الإسماعيلي من رواية المقدمي وأبي خيثمة وابن خلاد عن يحيى بن سعيد وليس فيه الزيادة وأخرجه من رواية أبي موسى عن عبد الرحمن بن مهدي فذكرها ، وكذا أخرجه مسلم عن زهير بن حرب وبن موسى محمد بن المثني وأحمد بن سنان القطان كلهم عن ابن مهدي ، وأخرجه من حديث معاذ والإسماعيلي من حديث علي بن الجعد كلاهما عن شعبة كذلك ، وأخرجه ابن حبان من طريق عبد الله بن المبارك عن شعبة كذلك ، وقوله « عرفناه في وجهه » إشارة إلى تصحيح ما تقدم من أنه لم يكن يواجه أحداً بما يكرهه بل

یتغیر وجهه فیفهم أصحابه کراهيته لذلك . الحديث العشرون حديث أبي هريرة .

قوله (عن أبي حازم) هو الأشجعي واسمه سلمان ، وليس هو أبا حازم سلمة بن دينار صاحب سهل بن سعد .

قوله (ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط) في رواية غندر عن شعبة عند الإسماعيلي « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاب طعاماً قط » وهو محمول على الطعام المباح كما سيأتي تقرير ذلك في كتاب الأطعمة إن شاء الله تعالى . الحديث الحادي والعشرون حديث عبد الله بن مالك بن بحينة ، وهو بتونين مالك وإعراب ابن بحينة إعراب ابن مالك لأن مالكا أبوه وبحينة أمه .

قوله (الأسدي) هو بسكون المهملة ، ويقال فيه الأزدي بسكون الزاي ، وهذا مشهور في هذه النسبة يقال بالزاي وبالسين ، وغفل الداودي فقرأه بفتح السين ثم أنكره ، وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الصلاة ، وكذا قوله « قال ابن بكير » أي يحيى بن عبد الله بن بكير (حدثنا بكر) أي ابن مضر بالإسناد المذكور .

قوله (بياض إبطيه) أي أن يحيى زاد « لفظ » بياض » لأن في رواية قتبية « حتى يرى إبطيه » واختلف في المراد بوصف إبطيه بالبياض فقليل : لم يكن تحتهما شعر فكانا كلون جسده ، ثم قيل لم يكن تحت إبطيه شعر البتة ، وقيل كان لدوام تعهده له لا يبقى فيه شعر ، ووقع عند مسلم في حديث « حتى رأينا عفرة إبطيه » ولا تنافي بينهما لأن الأعر ما بياضه ليس بالناصع ، وهذا شأن المغابن يكون لونها في البياض دون لون بقية الجسد . الحديث الثاني والعشرون حديث أنس في رفع اليدين في الاستسقاء ، تقدم في موضعه مشروحاً ، والغرض منه ذكر بياض إبطيه ، والمراد بالحرص فيه الرفع على هيئة مخصوصة لا أصل الرفع فإنه ثابت عنه كما في الخبر الذي بعده . الحديث الثالث والعشرون حديث أبي موسى ، ذكر منه طرفاً معلقاً ، هو طرف من حديث سيأتي موصولاً في المناقب في ترجمة أبي عامر الأشعري ، وقد علق طرفاً منه في الضوء أيضاً .

قوله (حدثنا الحسن بن الصباح) هو البزار الذي أخرج عنه الحديث الذي بعده ، وقيل بل هذا هو الزعفراني نسبة إلى جده لأنه الحسن بن محمد بن الصباح .

قوله (سمعت عون بن أبي جحيفة ذكر عن أبيه) في رواية شعبة عن عون « سمعت أبي » كما تقدم في أوائل الصلاة .

قوله (دفعت) بضم أوله أي أنه رصل إليه عن غير قصد ، والأبطح هو الذي خارج مكة ينزل فيه الحاج إذا رجع من منى . وقوله « وكان بالهاجرة » استئناف أو حال ، وقد تقدم هذا الحديث من وجه آخر في هذا الباب وهو الحديث العاشر ، والمراد منه هنا قوله « كأني أنظر إلى وبيص ساقيه والوبيص بالموحدة والمهملة البريق وزنا ومعنى . الحديث الرابع والعشرون حديث عائشة .

قوله (حدثنا الحسن بن الصباح البزار) بتقديم الزاي على الراء ، وهو واسطي سكن بغداد ، وكان

من أئمة الحديث . وسفيان هو ابن عيينة فإن الحسن بن الصباح ما لحق الثوري ، والثوري لا يروى عن الزهري إلا بواسطة .

قوله (لو عده العاد لا حصاه) أى لو عد كلماته أو مفرداته أو حروفه لأطاق ذلك وبلغ آخرها ، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهم . هذا الحديث هو الحديث الذى بعده ، يختلف الرواة في سياقه بسطاً واختصاراً .

قوله (وقال الليث حدثني يونس) وصله الذهلي في « الزهريات » عن أبي صالح عن الليث .
قوله (ألا يعجبك) بضم أوله وإسكان ثانيه من الإعجاب وبفتح ثانيه والتشديد من التعجب .
قوله (أبا فلان) كذا للأكثر ، قال عياض : هو منادى بكنيته . قلت وليس كذلك لما سألته وإنما خاطبت عائشة عروة بقولها « ألا يعجبك » وذكرت له المتعجب منه فقالت « أبا فلان » وحتى السياق أن تقول أبو فلان بالرفع على أنه فاعل ، لكنه جاء هكذا على اللغة القليلة ثم حكى وجه التعجب فقالت « جاء فجلس إلخ » ووقع في رواية الأصيلي وكريمة في أبو فلان « ولا إشكال فيها . وتبين من رواية مسلم وأبي داود أنه هو أبو هريرة ، فأخرجه مسلم عن هارون بن معروف وأبو داود عن محمد بن منصور الطوسي كلاهما عن سفيان ، لكن قال « هارون عن سفيان عن هشام بن عروة » وقال الطوسي « عن سفيان عن الزهري » وكذا أخرجه الإسماعيلي عن ابن أبي عمر عن سفيان عن هشام عن أبي يعلى وعن أبي معمر عن سفيان عن الزهري وكذا أخرجه أبو نعيم من طريق القعنبي عن سفيان عن الزهري ، فكأن لسفيان فيه شيخين ، وفي رواية الجميع أنه أبو هريرة . ووقع في رواية ابن وهب عند الإسماعيلي « ألا يعجبك أبو هريرة ، جاء فجلس » ولأحمد ومسلم وأبي داود من هذا الوجه « ألا أعجبك من أبي هريرة » ووقع للقاسي بفتح الهمزة بعدها مثناة مفتوحة فعل ماض من الإتيان ، وفلان بالرفع والتنوين وهو تصحيف لأنه تبين من الرواية الأخرى أنه بصيغة الكنية لا بلفظ الاسم المجرد عنها ، والعجب أن القاسي أنكر عين روايته ، وقال عياض : هي الصواب لولا قوله بعده « جاء » . قلت : لأنه يصير تكراراً .

قوله (وكنت أسبح) أى أصلى نافلة ، أو على ظاهره أى أذكر الله ، والأول أوجه :

قوله (ولو أدركته لرددت عليه) أى لأنكرت عليه وبينت له أن الترتيل في التحديث أولى من

السرد .

قوله (لم يكن يسرد الحديث كسردكم) أى يتابع الحديث إستعجالاً بعضه إثر بعض ، لئلا يلتبس على المستمع . زاد الإسماعيلي من رواية ابن المبارك عن يونس « إنما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلاً ، فهما تفهمه القلوب » واعتذر عن أبي هريرة بأنه كان واسع الرواية كثير المحفوظ ، فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث كما قال بعض البلغاء : أريد أن أقصر فتزاحم القوافي على في

ب

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ.

[٣٥٦٩]

٣٤٤٧- فَا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ: كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةٍ: يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ، ثُمَّ يَصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ، ثُمَّ يَصَلِّي ثَلَاثًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تَوْتَرَ؟ قَالَ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي».

[٣٥٧٠]

٣٤٤٨- فَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ نِي أَخِي عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمْرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ: جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ - وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ - فَقَالَ أَوْلَهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ. وَقَالَ آخَرُهُمْ: خَذُوا خَيْرَهُمْ فَكَانَتْ تِلْكَ. فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى جَاءُوا لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ. فَتَوَلَّاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

[الحديث ٣٥٧٠ - أطرافه في: ٤٩٦٤، ٥٦١٠، ٦٥٨١، ٧٥١٧].

قَوْلُهُ (بَابُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَامُ عَيْنُهُ) فِي رِوَايَةِ الْكَشْمِيرِيِّ « عَيْنَاهُ » (وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ) .

قَوْلُهُ (رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ عَنْ جَابِرٍ) وَصَلَهُ فِي كِتَابِ الْإِعْتَصَامِ مَطْوَلًا ، وَسَيَأْتِي شَرْحُهُ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَأَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي الْبَابِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ وَفِي آخِرِهِ « فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تَوْتَرَ ؟ قَالَ : تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي » وَهَذَا قَدْ تَقَدَّمَ فِي صَلَاةِ التَّطَوُّعِ ، وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ ، ثُمَّ ذَكَرَ طَرَفًا مِنْ حَدِيثِ شَرِيكَ عَنْ أَنَسٍ فِي الْمَعْرَاجِ ، وَسَيَأْتِي بِأَتَمِّ مِنْ هَذَا فِي التَّوْحِيدِ .

قَوْلُهُ (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ) هُوَ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ .

قَوْلُهُ (حَدَّثَنَا أَخِي) هُوَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْحَمِيدِ ، وَسُلَيْمَانُ هُوَ ابْنُ بِلَالٍ .

قَوْلُهُ (جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ) هُمْ مَلَائِكَةٌ ، وَلَمْ أَتَحَقَّقْ أَسْمَاءَهُمْ .

قَوْلُهُ (فَقَالَ أَوْلَهُمْ : أَيُّهُمْ) هُوَ مُشْعَرٌ بِأَنَّهُ كَانَ نَائِمًا بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ نَائِمًا

بَيْنَ عَمِّهِ حَمْزَةَ وَابْنِ عَمِّهِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

قوله (فكانت تلك) أى القصة أى لم يقع فى تلك الليلة غير ما ذكر من الكلام .
قوله (حتى جاءوا إليه ليلة أخرى) أى بعد ذلك ، ومن هنا يحصل رفع الإشكال فى قوله « قبل أن يوحى إليه » كما سيأتى بيانه فى مكانه .

قوله (فيما يرى قلبه والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) قد تقدم مثل هذا من قول عبيد بن عمير فى أوائل الطهارة ، ومثله لا يقال من قبل الرأى وهو ظاهر فى أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم لكنه بالنسبة للأمة ، وزعم القضاعى أنه مما اختص به عن الأنبياء أيضاً ، وهذان الحديثان يردان عليه ، وقد تقدم فى التيمم فى الكلام على حديث عمران فى قصة المرأة صاحبة المزاوتين ما يتعلق بكونه صلى الله عليه وسلم كان تنام عيناه ولا ينام قلبه ، فليراجع منه من أراد الوقوف عليه

باب علامات النبوة فى الإسلام

٣٤٤٩ - فابو الوليد قال نا سلم بن زريق قال سمعت أبا رجاء قال نا عمران بن حصين [٣٥٧١]
أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى مسير فأدجوا ليلتهم ، حتى إذا كان فى وجه الصبح عرسوا ، فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس ، فكان أول من استيقظ من منامه أبوبكر - وكان لا يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه حتى يستيقظ - فاستيقظ عمر ، فقعد أبوبكر عند رأسه فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فنزل وصلى بنا الغداة ، فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا ، فلما انصرف قال : « يا فلان ما يمنعك أن تصلى معنا ؟ » قال : أصابتني جنابة ، فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلى ، وجعلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركوب بين يديه وقد عطشنا عطشاً شديداً ، فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين ، فقلنا لها : أين الماء ؟ قالت : إنه لا ماء . قلنا : كم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت : يوم وليلة . فقلت : انطلقى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها حتى استقبلنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثته بمثل الذي حدثتنا ، غير أنها حدثته مؤتممة ، فأمر بمزادتيها فمسح فى العزلاوين ، فشربنا عطاشاً أربعين رجلاً حتى روينا ، فملأنا كل قربة معنا وإداوة غير أنه لم نسق بغيراً ، وهي تكاد تنصر من الملء . ثم قال : « هاتوا ما عندكم » فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها قالت : لقيت أسحر الناس ، أو هو نبي كما زعموا . فهدى الله ذلك الصرم بتيك المرأة ، فأسلمت وأسلموا .

[٣٥٧٢] ٣٤٥٠ - نا محمد بن بشار قال نا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس قال أتى النبي صلى الله عليه وآله وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم. قال قتادة قلت لأنس: كم كنتم؟ قال. ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة.

[٣٥٧٣] ٣٤٥١ - نا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الإناء يده فأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم.

[٣٥٧٤] ٣٤٥٢ - نا عبد الرحمن بن مبارك قال نا حزم قال سمعت الحسن قال نا أنس قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله في بعض مراحجه ومعه ناس من أصحابه، فانطلقوا يسرون، فحضرت الصلاة ولم يجدوا ماءً يتوضؤون. فانطلق رجل من القوم فجاء بقدر من ماء يسير، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله فتوضأ، ثم مد أصابعه الأربع على القدح، ثم قال: قوموا توضؤوا، فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء، وكانوا سبعين أو نحوه.

[٣٥٧٥] ٣٤٥٣ - نا عبد الله بن منير سمع يزيد قال أنا حميد عن أنس قال: حضرت الصلاة، فقام من كان قريب الدار من المسجد يتوضأ، وبقي قوم. فأتى النبي صلى الله عليه وآله بمخضب من حجارة فيه ماء، فوضع كفه فصغر المخضب أن ييسط فيه كفه، فضم أصابعه فوضعها في المخضب، فتوضأ القوم كلهم جميعاً. قلت: كم كانوا؟ قال: ثمانون رجلاً.

[٣٥٧٦] ٣٤٥٤ - نا موسى بن إسماعيل قال نا عبد العزيز بن مسلم قال نا حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وآله بين يديه ركوة، فتوضأ جهش الناس نحوه قال: «مالككم؟»، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ، ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.

[الحديث ٣٥٧٦ - أطرافه في: ٤١٥٢، ٤١٥٣، ٤١٥٤، ٤٨٤٠، ٥٦٣٩].

٣٤٥٥- نأمالك بن إسماعيل قال نا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال : كنا بالحديبية أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر . فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس النبي صلى الله عليه على شفير البئر ، فدعا بماء فمضمض ومج في البئر ، فمكثنا غير بعيد ، ثم استقينا حتى روينا وروت - أو صدرت - ركائبنا .

[الحديث ٣٥٧٧ - طرفاه في : ٤١٥٠ ، ٤١٥١ .]

قوله (باب علامات النبوة في الإسلام) العلامات جمع علامة ، وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة الكرامة ، والفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه بأن يقول : إن فعلت كذلك أتصدق بأني صادق ؟ أو يقول من يتحداه : لا أصدقك حتى تفعل كذا . ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة . وقد وقع النوعان للنبي صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن ، وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها ، والهاء فيها للمبالغة ، أو هي صفة مخدوف . وأشهر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم القرون لأنه صلى الله عليه وسلم تحدى به العرب وهم أفصح الناس لساناً وأشدهم اقتداراً على الكلام - بأن يأتوا بسورة مثله فعجزوا مع شدة عداوتهم له وصدهم عنه ، حتى قال بعض العلماء : أقصر سورة في القرآن ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ فكل قرآن من سورة أخرى كان قدر ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ سواء كان آية أو أكثر أو بعض آية فهو داخل فيما تحداهم به ، وعلى هذا فتصل معجزات القرآن من هذه الحشية إلى عدد كثير جداً . ووجوه إعجاز القرآن من جهة حسن تأليفه والتثام كلماته وفصاحته وإيجازه في مقام الإيجاز ، وبلاغته ظاهرة جداً مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه وغرابة أسلوبه ، مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر ، هذا إلى ما اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات مما وقع من أخبار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب ، ولم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم ، وبما سيقع فوقه على وفق ما أخبر به في زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده هذا مع الهيبة التي تقع عند تلاوته والحشية التي تلحق سامعه وعدم دخول الملل والسامة على قارئه وسامعه ، مع تيسر حفظه لتعليمه وتسهيل سرده لتأليه ، ولا ينكر شيئاً من ذلك إلا جاهل أو معاند ، ولهذا أطلق الأئمة أن معظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، ومن أظهر معجزات القرآن إبقاؤه مع استمرار الإعجاز وأشهر ذلك تحديه اليهود أن يتمنوا الموت فلم يقع ممن سلف منهم ولا خلف من تصدى لذلك ولا أقدم ، مع شدة عداوتهم لهذا الدين وحرصهم على إفساده والصد عنه ، فكان في ذلك أوضح معجزة . وأما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وانشقاق القمر ونطق الجراد ، فمنه ما وقع التحدى به ومنه ما وقع دالا على صدقة من غير سبق تحد ، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شيء كثير ، كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة علي ، وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد مع أن كثيراً من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير والجم الغفير ، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار ، والعناية بالسير والأخبار ، وإن لم يصل عند

غيرهم إلى هذه الرتبة لعدم عنايتهم بذلك ، بل لو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظري لما كان مستبعداً وهو أنه لا مزية أن رواة الأخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار في الجملة ، ولا يحفظ عن أحد من الصحابة ولا من بعدهم مخالفة الراوى فيما حكاه من ذلك ولا الإنكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق ، لأن مجموعهم محفوظ من الإغضاء على الباطل . وعلى تقدير أن يوجد من بعضهم إنكار أو طعن على بعض من روى شيئاً من ذلك فإنما هو من جهة توقف في صدق الراوى أو تهمة بكذب أو توقف في ضبطه ونسبته إلى سوء الحفظ أو جواز الغلط ، ولا يوجد من أحد منهم طعن في المروى كما وجد منهم في غير هذا الفن من الأحكام والآداب وحروف القرآن ونحو ذلك ، وقد قرر القاضي عياض ما قدمته من وجود إفادة القطع في بعض الأخبار عند بعض العلماء دون بعض تقريراً حسناً ، ومثل ذلك بأن الفقهاء من أصحاب مالك قد تواتر عندهم النقل أن مذهبه أجزاء النية من أول رمضان خلافاً للشافعي في إيجابها في كل ليلة ، وكذا إيجاب مسح جميع الرأس في الوضوء خلافاً للشافعي في أجزاء بعضها . وأن مذهبهما معاً إيجاب النية في أول الوضوء ، واشتراط الولى في النكاح خلافاً لأبي حنيفة ، وتجد العدد الكثير والجم الغفير من الفقهاء من لا يعرف ذلك من خلافهم فضلاً عما لم ينظر في الفقه وهو أمر واضح والله أعلم . وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم تزيد على ألف ومائتين وقال البيهقي في « المدخل » بلغت ألفاً ، وقال الزاهد من الحنفية : ظهر على يديه ألف معجزة ، وقيل ثلاثة آلاف وقد اعتنى بجمعها جماعة من الأئمة كأبي نعيم والبيهقي وغيرهما .

قوله (في الإسلام) أى من حين المبعث وهلم جرا دون ما وقع قبل ذلك ، وقد جمع ما وقع من ذلك قبل المبعث بل قبل المولد الحاكم في « الإكمال » وأبو سعيد النيسابورى في « شرف المصطفى » وأبو نعيم والبيهقي في « دلائل النبوة » وسيأتى منه في هذا الكتاب في قصة زيد بن عمرو بن نفيل في خروجه في ابتغاء الدين ، ومضى منه قصة ورقة بن نوفل وسلمان الفارسي ، وقدمت في « باب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم قصة محمد بن عدى بن ربيعة في سبب تسميته محمداً ، ومن المشهور ذلك قصة بحير الراهب ، وهى في السيرة لابن إسحق ، وروى أبو نعيم في « الدلائل » من طريق شعيب أى ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبيه عن جده قال « كان بمر الظهران راهب يدعى عيصاً » فذكر الحديث وفيه أنه « أعلم عبد الله ابن عبد المطلب ليلة ولد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه نبي هذه الأمة » وذكر له أشياء من صفته . وروى الطبراني من حديث معاوية بن أبى سفيان عن أبيه « أن أمية بن أبى الصلت قال له . إني أجد في الكتب صفة نبي يبعث من بلادنا ، وكنت أظن أنى هو ، ثم ظهر لى أنه من بنى عبد مناف ، قال فنظرت فلم أجد فيهم من هو متصف بأخلاقه إلا عتبة من ربيعة ، إلا أنه جاوز الأربعين ولم يوح إليه فعرفت أنه غيره . قال أبو سفيان : فلما بعث محمد قلت لأمية عنه ، فقال : أما إنه حق فاتبعه ، فقلت له : فأنت ما بمنعك ؟ قال : الحياء من نسيات ثقيف أنى كنت أخبرهن أنى هو ثم أصير تبعاً لفتى من بنى عبد مناف » وروى ابن إسحق من حديث سلمة بن سلامة بن وقش ، وأخرجه أحمد وصححه ابن حبان من طريقه قال « كان لنا جار من اليهود بالمدينة ، فخرج علينا قبل البعثة بزمان فذكر الحشر والجنة والنار ، فقلنا له : وما آية ذلك ؟ قال

خروج نبي يبعث من هذه البلاد - وأشار إلى مكة - فقالوا : متى يقع ذلك ؟ قال فرمى بطرفه إلى السماء - وأنا أصغر القوم - فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه ، قال فما ذهبت الأيام والليالي حتى بعث الله نبيه وهو حي فآمنا به وكفر هو بغياً وحسداً » وروى يعقوب بن سفيان بإسناد حسن عن عائشة قالت « كان يهودى قد سكن مكة ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا : لا نعلم قال : فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة ، بين كتفيه علامة ، لا يرضع ليلتين لأن عفريتاً من الجن وضع يده على فمه ، فانصرفوا فسألوا فقيل لهم : قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام ، فذهب اليهودى معهم إلى أمه فأخرجته لهم ، فلما رأى اليهودى العلامة خر مغشياً عليه وقال ذهبت النبوة من بني إسرائيل ، يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب » . قلت : ولهذه القصص نظائر يطول شرحها . ومما ظهر من علامات نبوته عند مولده وبعده ما أخرجه الطبراني عن عثمان بن أبي العاص الثقفي عن أمه أنها حضرت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ضربها المخاض قالت : فجعلت أنظر إلى النجوم تدلى حتى أقول لتقعن على ، فلما ولدت خرج منها نور أضاء له البيت والدار . وشاهده حديث العرباض بن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم عن ذلك : إني دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين ، وإن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام » أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم . وفي حديث أبي أمامة عند أحمد نحوه . وأخرج ابن إسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه وقالت « أضاءت له بصرى من أرض الشام » وروى ابن حبان والحاكم في قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم من طريق ابن إسحق بإسناده إلى حليلة السعدية الحديث بطوله ، وفيه من العلامات كثرة اللبن في ثديها ، ووجود اللبن في شاربها بعد الهزال الشديد ، وسرعة مشي حمارها ، وكثرة اللبن في شياها بعد ذلك ، وخصب أرضها ، وسرعة نباته ، وشق الملكين صدره . وهذا الأخير أخرجه مسلم من حديث أنس « إن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم جمعه فأعاد مكانه » الحديث . وفي حديث مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه قال وكان قد أتت عليه خمسون ومائة سنة قال « لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم انكسر إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة ، ونهدت نار فارس ولم تحمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبدان إبلا صعباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ، فلما أصبح كسرى أفزعه ما وقع فسأل علماء أهل مملكته عن ذلك فأرسلوا إلى سطيح فذكر القصة بطولها أخرجه ابن السكن وغيره في « معرفة الصحابة » . ثم أورد المصنف في الباب نحو خمسين حديثاً : الحديث الأول حديث عمران بن حصين في قصة المرأة صاحبة المزدتين ، والمعجزة فيها تكثير الماء القليل ببركته صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم شرح الحديث مستوفى في أبواب التيمم ، وقوله في هذه الرواية « إيه » بكسر الهمزة وسكون التحتانية ، وفي بعض

النسخ « أيها » بالتنوين مع الفتح ، وحكى الجوهري جواز فتح الهمزة في هذه . وقوله « مؤتمه » أى ذات أيتام . وقوله « فمسح بالعزلاوين » فى رواية الكشميهني « فى العزلاين » وهما تثنية عزلاء بسكون الزاى وبالماء وهو فم القربة والجمع عزالى بكسر اللام الخفيفة ، وكذلك وقع فى الرواية المتقدمة .

قوله (فشربنا عطاشاً أربعون رجلاً) أى ونحن حينئذ أربعون ، وفى رواية الكشميهني « أربعين » بالنصب وتوجيهها ظاهر . وقوله و « هى تكاد تبض » بكسر الموحدة بعدها معجمة ثقيلة أى تسيل ، وحكى عياض عن بعض الرواة بالصاد المهملة من البصيص وهو اللمعان ، ومعناه مستبعد هنا ، فإن فى نفس الحديث « تكاد تبض من الماء » بكسر الميم وسكون اللام بعدها همزة ، فكونها تكاد تسيل من الماء ظاهر ، وأما كونها تلمع من الماء فبعيد . وقال ابن التين : معنى قوله « تبض » بالمعجمة أى تشق ، يقال بض الماء من العين إذا نبع ، وكذا بض العرق ، قال : رفيه روايات أخرى : روى « تنض » بنون وضاد معجمة ، وروى « تبصر » بمثناة مفتوحة بعدها تحتانية ساكنة وصاد مهملة ثم راء ، قال وذكر الشيخ أبو الحسن أن معناه تنشق ، قال ومنه صير الباب أى شق الباب ، ورده ابن التين بأن صير عينه حرف علة فكان يلزم أن يقول تصور ، وليس هذا فى شيء من الروايات . ورأيت فى رواية أبي ذر عن الكشميهني « تنصب » بفتح المثناة وسكون النون وفتح الصاد المهملة بعدها موحدة ، فتوافق الرواية الأولى لأنها بمعنى تسيل الحديث الثانى والثالث عن أنس فى نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، أورده من أربعة طرق : من رواية قتادة وإسحق بن عبد الله بن أبى طلحة والحسن البصرى وحيد ، وتقدم عنده فى الطهارة من رواية ثابت كلهم عن أنس وعند بعضهم ما ليس عند بعض . وظهر لى من مجموع الروايات أنهما قصتان فى موطنين للتغاير فى عدد من حضر ، وهى مغايرة واضحة يجب الجمع فيها ، وكذلك تعيين المكان الذى وقع ذلك فيه ، لأن ظاهر رواية الحسن أن ذلك كان فى سنن ، بخلاف رواية قتادة فإنها ظاهرة فى أنها كانت بالمدينة ، وسيأتى فى غير حديث أنس أنها كانت فى موطن آخر . قال عياض : هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير عن الجهم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك فى موطن اجتماع الكثير منهم فى المحافل ومجمع العساكر ، ولم يرد عن أحد منهم إنكار على راوى ذلك ، فهذا النوع ملحق بالقطعى من معجزاته . وقال القرطبي : قضية نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم تكررت منه فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى . قلت : أخذ كلام عياض وتصرف فيه ، قال : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم . وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق ، وعن ابن مسعود عند البخارى والترمذى ، وعن ابن عباس عند أحمد والطبرانى من طريقين ، وعن ابن أبى ليلى والد عبد الرحمن عند الطبرانى ، فعدد هؤلاء الصحابة ليس كما يفهم من إطلاقهما ، وأما تكثير الماء بأن يلمسه بيده أو يتفل فيه أو يأمر بوضع شيء فيه كسهم من كنانته فجاء فى حديث عمران بن حصين فى النصحيحين وعن البراء بن عازب عند البخارى وأحمد من طريقين ، وعن أبى قتادة عند مسلم ، وعن أنس عند البيهقى فى « الدلائل » ، وعن زياد بن الحارث الصدائى عنده ، وعن حبان بن ببح بضم الموحدة وتشديد المهملة

الصدائى أيضاً . فإذا ضم هذا إلى هذا بلغ الكثرة المذكورة أو قاربها . وأما من رواها من أهل القرن الثانى فهم أكثر عدداً ، وإن كان شطر طرقه أفراداً . وفى الجملة يستفاد منها الرد على ابن بطلال حيث قال : هذا الحديث شاهده جماعة كثيرة من الصحابة إلا أنه لم يرو إلا من طريق أنس ، وذلك لطول عمره وتطلب الناس العلو فى السند انتهى . وهو ينادى عليه قملة الاطلاع والاستحضار لأحاديث الكتاب الذى شرحه وبالله التوفيق . قال القرطبي : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه ، وقد نقل ابن عبد البر عن المزنى أنه قال « نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أبلىغ فى المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحجارة معهود ، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم انتهى . وظاهر كلامه أن الماء نبع من نفس اللحم الكائن فى الأصابع ، ويؤيده قوله فى حديث جابر الآتى « فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه » وأوضح منه ما وقع فى حديث ابن عباس عند الطبرانى « فجاءوا بشئ فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عليه ثم فرق أصابعه فنبع الماء من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عصا موسى ، فإن الماء تفجر من نفس العصا ، فتمسكه به يقتضى أن الماء تفجر من بين أصابعه ، ويحتمل أن يكون المراد أن الماء كان ينبع من بين أصابعه بالنسبة إلى رؤية الرأى ، وهو فى نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلى الله عليه وسلم فى الماء ، فراه الرأى نابغاً من بين أصابعه ، والأول أبلىغ فى المعجزة ، وليس فى الأخبار ما يردده وهو أولى . قوله (عن سعيد) هو ابن أبى عروبة .

قوله (عن أنس) لم أره من رواية قتادة إلا معنعناً ، لكن بقية الخبر تدل على أنه سمعه من أنس لقوله « قلت كم كنتم » لكن أخرجه أبو نعيم فى « الدلائل » من طريق مكى بن إبراهيم عن سعيد فقال « عن قتادة عن الحسن عن أنس » فهذا لو كان محفوظاً يقتضى أن فى رواية الصحيح انقطاعاً ، وليس كذلك لأن مكى بن إبراهيم ممن سمع من سعيد بن أبى عروبة بعد الاختلاط .

قوله (وهو بالزوراء) بتقديم الزاى على الراء وبالمد مكان معروف بالمدينة عند السوق . وزعم الداودى أنه كان مرتفعاً كالمنارة ، وكأنه أخذه من أمر عثمان بالتأذين على الزوراء ، وليس ذلك بلازم ، بل الواقع أن المكان الذى أمر عثمان بالتأذين فيه كان بالزوراء لا أنه الزوراء نفسها . ووقع فى رواية همام عن قتادة عن أنس « شهدت النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه عند الزوراء ، أو عند بيوت المدينة » أخرجه أبو نعيم . وعند أبى نعيم من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس أنه هو الذى أحضر الماء ، وأنه أحضره إلى النبى صلى الله عليه وسلم من بيت أم سلمة ، وأنه رده بعد فراغهم إلى أم سلمة وفيه قبر ما كان فيه أولاً . ووقع عنده فى رواية عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج إلى قباء ، فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير » ووقع فى حديث جابر الآتى التصريح بأن ذلك كان فى سفر فى رواية نبيح العنزى عند أحمد عن جابر قال « سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحضرت الصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما فى القوم من طهور ؟ فجاء رجل بفضلة فى إداوة فصبه فى قدح ، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن القوم أتوا ببقية الطهور فقالوا : تمسحوا تمسحوا ،

فسمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : على رسلكم ، فضرب بيده في القدح في جوف الماء ثم قال : اسبغوا الطهور . قال جابر : فوالذي أذهب بصري لقد رأيت الماء يخرج من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توضئوا أجمعون ، قال حسبته قال : كنا مائتين وزيادة » وجاء عن جابر قصة أخرى أخرجه مسلم من وجه آخر عنه في أواخر الكتاب في حديث طويل فيه أن الماء الذي أحضروه له كان قطرة في إناء من جلد لو أفرغها لشربها يابس الإناء ، وأنه لم يجد في الركب قطرة ماء غيرها ، قال فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فتكلم وغمز بيده ثم قال : ناد بجفنة الركب فجاء بها ، فقال بيده في الجفنة فبسطها ثم فرق أصابعه ووضع تلك القطرة في قعر الجفنة فقال : خذ يا جابر فصب على وقل بسم الله ، ففعلت ، قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت ، فأتى الناس فاستقوا حتى رروا ، فرفع يده من الجفنة وهي مملأة » وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة من استقى منه .

قوله (زهاء ثلاثمائة) هو بضم الزاي وبالماء أى قدر ثلاثمائة مأخوذة من زهوت الشيء إذا حصرت ووقع عند الإسماعيلي من طريق خالد بن الحارث عن سعيد قال « ثلاثمائة » بالجزم بدون قوله « زهاء » والله أعلم . الحديث الرابع حديث جابر في نبع الماء أيضاً .

قوله (عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة) كذا وقع في هذه الطريق ، ووقع في الأشربة من طريق الأعمش عن سالم أن ذلك كان لما حضرت صلاة العصر ، وسيأتى شرح الحديث مستوفى في غزوة الحديبية إن شاء الله تعالى . وقوله « جهش » هو بفتح الجيم والهاء بعدها معجمة أى أسرعوا لأخذ الماء ، وفي رواية الكشمي « فجهش » بزيادة فاء في أوله ، وقوله « فجعل الماء يثور » كذا للأكثر بمثلثة ، وللکشمي بالفاء وهما بمعنى . وقوله « رويانا » بكسر الواو من الرى . الحديث الخامس حديث البراء في تكثير الماء بئر الحديبية ، وسيأتى الكلام عليه أيضاً في غزوة الحديبية وأبين هناك التوفيق بينه وبين حديث جابر الذي قبله إن شاء الله تعالى .

[٣٥٧٨] ٣٤٥٦ - نا عبد الله بن يوسف قال أنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأُمِّ سليم : لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم . فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخرجت خماراً لها فلقت الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت يدي ولائتني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس ، فقامت عليهم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرسلك أبو طلحة ؟ » فقلت : نعم . قال : « بطعام ؟ » فقلت : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا » فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ،

وليس عندنا ما نُطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه: «هلمي يا أم سليم ما عندك»، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه ففتت، وعصرت أم سليم عكة فآدمته، ثم قال رسول الله صلى الله عليه فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

[٣٥٧٩]

٣٤٥٧ - نا محمد بن المثنى قال نا أبو أحمد الزبيري قال نا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنّا نعدّ الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنّا مع رسول الله صلى الله عليه في سفر فقلّ الماء، فقال: «اطلبوا فضلة من ماء»، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: «حيّ على الطهور المبارك، والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه، ولقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

[٣٥٨٠]

٣٤٥٨ - نا أبو نعيم قال نا زكرياء قال نا عامر قال نا جابر أن أباه توفي وعليه دين، فأتيت النبي صلى الله عليه فقلت: إن أبي ترك عليه ديناً، وليس عندي إلا ما تخرج نخله، ولا يبلغ ما تخرج سنين ما عليه، فانطلق معي لكي لا يفحش علي الغرماء. فمشى حول بيدري من بيادر التمر فدعا، ثم آخر، ثم جلس عليه فقال: «انزعوه»، فأوفاهم الذي لهم، وبقي مثل ما أعطاهم.

[٣٥٨١]

٣٤٥٩ - نا موسى بن إسماعيل قال نا معتمر عن أبيه قال نا أبو عثمان أنه حدثه عبد الرحمن بن أبي بكر أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وأن النبي صلى الله عليه قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس». أو كما قال. وإن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي صلى الله عليه بعشرة، وأبو بكر بثلاثة، قال: فهو أنا وأبي وأمي، ولا أدري هل قال: امرأتي وخادمي بين بيتنا وبين بيت أبي بكر، وإن أبا بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه، ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله

صلى الله عليه فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: ما حبسك من أضيافك - أو ضيفك -؟ قال: أو عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قد عرضوا عليهم فغلبوهم. فذهبت فاخبتأت. فقال: يا غنثر - فجذع وسب - وقال: كلوا. وقال: لا أطعمه أبداً. قال: وأيم الله ما كنا نأخذ من اللقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل. فنظر أبوبكر فإذا شيء أو أكثر. فقال لامرأته: يا أخت بني فراس. قالت: لا وقرة عيني، لهي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرار. فأكل منها أبوبكر وقال: إنما كان الشيطان يعني يمينه - ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي صلى الله عليه فأصبحت عنده. وكان بيننا وبين قوم عهد، فمضى الأجل فتفرقنا اثني عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل، غير أنه بعث معهم، قال: أكلوا منها أجمعون، أو كما قال.

[٣٥٨٢]

٣٤٦٠ - نا مسدد قال نا حماد عن عبد العزيز عن أنس. وعن يونس عن ثابت عن أنس قال: أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه، فبينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قام رجل فقال: يا رسول الله، هلكت الكراع، هلكت الشاء، فادع الله يسقينا. فمد يديه ودعا. قال أنس: وإن السماء لمثل الزجاجة. فهاجت ريح أنشأت سحاباً، ثم اجتمع، ثم أرسلت السماء عزاليها، فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا، فلم نزل نمطر إلى الجمعة الأخرى. فقام إليه ذلك الرجل - أو غيره - فقال: يا رسول الله، تهدمت البيوت، فادع الله يحبسهُ. فتبسّم ثم قال: «حوالينا ولا علينا»، فنظرت إلى السماء تصدع حول المدينة كأنه إكليل.

الحديث السادس حديث أنس في تكثير الطعام القليل.

قوله (قال أبو طلحة) هو زيد بن سهل الأنصاري زوج أم سليم والدة أنس، وقد اتفقت الطرق على أن الحديث المذكور من مسند أنس، وقد وافقه على ذلك أخوه لأمه عبد الله بن أبي طلحة فرواه مطولاً عن أبيه أخرجه أبو يعلى من طريقه بإسناد حسن، وأوله عن أبي طلحة قال «دخلت المسجد فعرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع» الحديث، والمراد بالمسجد الموضع الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق.

قوله (ضعيفاً أعرف فيه الجوع) فيه العمل على القرائن. ووقع في رواية مبارك بن فضالة عن

بكر بن عبد الله وثابت عن أنس عند أحمد « إن أبا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاوياً ، وعند أبي يعلى من طريق محمد بن سيرين عن أنس « إن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام ، فذهب فأجر نفسه بصاع من شعير بعمل بقيه يومه ذلك ثم جاء به » الحديث ، وفي رواية عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة وهو أخو إسحق راوى حديث الباب عن أنس عند مسلم وأبي يعلى قال « رأى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً يتقلب ظهره لبطن » وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عند مسلم أيضاً عن أنس قال « جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصاة ، فسألت بعض أصحابه فقالوا من الجوع ، فذهبت إلى أبي طلحة فأخبرته ، فدخل على أم سليم فقال : هل من شيء » الحديث . وفي رواية محمد بن كعب عن أنس عند أبي نعيم « جاء أبو طلحة إلى أم سليم فقال : أعندك شيء ، فإني مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجراً من الجوع » .

قوله (فأخرجت أقراصاً من شعير) في رواية محمد بن سيرين عن أنس عند أحمد قال « عمدت أم سليم إلى نصف مد من شعير فطحنته » وعند المصنف من هذا الوجه ومن غيره عن أنس أن أمه أم سليم « عمدت إلى مد من شعير جرشته ثم عملته » وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس عند أحمد ومسلم « أتى أبو طلحة بمد من شعير فأمر به فصنع طعاماً » ولا منافاة بين ذلك لاحتمال أن تكون القصة تعددت وأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر ، ويمكن الجمع بأن يكون الشعير في الأصل كان صاعاً فأفردت بعضه لعيالهم وبعضه للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويدل على التعدد ما بين العصيدة والخبز المفتوت الملتوت بالسمن من المغيرة ، وقد وقع لأم سليم في شيء صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش قريب من هذه القصة من تكثير الطعام وإدخال عشرة عشرة كما سيأتى في مكانه في الوليمة من كتاب النكاح ووقع عند أحمد في رواية ابن سيرين عن أنس « عمدت أم سليم إلى نصف مد من شعير فطحنته ، ثم عمدت إلى عكة فيها شيء من سمن فاتخذت منه خطيفة » الحديث والخطيفة هي العصيدة وزناً ومعنى ، وهذا بعينه يأتى للمصنف في الأطعمة .

قوله (ولائتنى ببعضه) أى لفتنى به يقال لاث العمامة على رأسه أى عصبها ، والمراد أنها لفت بعضه على رأسه وبعضه على إبطه . ووقع في الأطعمة للمصنف عن إسماعيل بن أبي أويس عن مالك في هذا الحديث « فلفت الخبز ببعضه ودست الخبز تحت ثوبي وردتني ببعضه » تقول دس الشيء يدسه دساً إذا أدخله في الشيء بقهر وقوة .

قوله (فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت نعم ، قال : بطعام ؟ قلت نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه : قوموا) ظاهره أن النبي صلى الله عليه وسلم فهم أن أبا طلحة استدعاه إلى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا ، وأول الكلام يقتضى أن أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس ، فيجمع بأنهما أرادا بإرسال الخبز مع أنس أن يأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فيأكله ،

فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم استحي وظهر له أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده إلى المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه ، ويحتمل أن يكون ذلك عن رأى من أرسله ، عهد إليه إذا رأى كثرة الناس أن يستدعى النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية أن لا يكفيهم ذلك الشيء هو ومن معه ، وقد عرفوا إيثار النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لا يأكل وحده ، وقد وجدت أن أكثر الروايات تقتضى أن أبا طلحة استدعى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة ، ففي رواية سعد بن سعيد عن أنس « بعثني أبو طلحة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأدعوه وقد جعل له طعاماً » وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس « أمر أبو طلحة أم سليم أن تصنع للنبي صلى الله عليه وسلم لنفسه خاصة ، ثم أرسلتني إليه » وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس « فدخل « فأبو طلحة على أمي فقال : هل من شيء ؟ فقالت : نعم ، عندي كسر من خبز ، فإن جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أشبعناه ، وإن جاء أحد معه قل عنهم » وجميع ذلك عند مسلم . وفي رواية مبارك بن فضالة المذكورة أن أبا طلحة قال « اعجبنه وأصلحيه عسى أن ندعو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل عندنا ، ففعلت ، فقالت : ادع رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس عند أبي نعيم وأصله عند مسلم « فقال لي أبو طلحة : يا أنس اذهب فقم قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا قام فدعه حتى يتفرق أصحابه ، ثم اتبعه حتى إذا قام على عتبة بابي فقل له : إن أبي يدعوك » . وفي رواية عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبي يعلى عن أنس « قال لي أبو طلحة : اذهب فادع رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعند المصنف من رواية ابن سيرين في الأطعمة عن أنس « ثم بعثني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته وهو في أصحابه فدعوته » وعند أحمد من رواية النضر بن أنس عن أبيه « قالت لي أم سليم : اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له « إن رأيت أن تغدى عندنا فافعل » . وفي رواية عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أنس عند البغوي « فقال أبو طلحة اذهب يا بني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فادعه . قال فجئته فقلت له : إن أبي يدعوك » الحديث . وفي رواية محمد بن كعب « فقال يا بني اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فادعه ، ولا تدع معه غيره ولا تفضحنى .

قوله (أرسلك أبو طلحة) بهزة ممدودة للإستفهام ، وفي رواية محمد بن كعب « فقال للقوم انطلقوا فانطلقوا وهم ثمانون رجلاً » وفي رواية يعقوب « فلما قلت له إن أبي يدعوك قال لأصحابه : يا هؤلاء تعالوا ، ثم أخذ بيدي فشدها ، ثم أقبل بأصحابه حتى إذا دنوا أرسل يدي فدخلت ، وأنا حزين لكثرة من جاء معه » .

قوله (فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم) أى قدر ما يكفيهم (فقالت : الله ورسوله أعلم) كأنها عرفت أنه فعل ذلك عمداً ليظهر الكرامة في تكثير ذلك الطعام ، ودل ذلك على فطنة أم سليم ورجحان عقلها . وفي رواية مبارك بن فضالة « فاستقبله أبو طلحة فقال : يا رسول الله ما عندنا إلا قرص عملته أم سليم » وفي رواية سعد بن سعيد « فقال أبو طلحة : إنما صنعت لك شيئاً » ونحوه في رواية ابن سيرين ، وفي رواية عمرو

ابن عبد الله « فقال أبو طلحة : إنما هو قرص فقال : إن الله سيبارك فيه » ونحوه في رواية عمرو بن يحيى المازني ، وفي رواية يعقوب « فقال أبو طلحة : يا رسول الله إنما أرسلت أنساً يدعوك وحدك ، ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى ، فقال : ادخل فإن الله سيبارك فيما عندك » وفي رواية النضر بن أنس عن أبيه « فدخلت على أم سليم وأنا مندهش » وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى أن أبا طلحة قال « يا أنس فضحتنا » وللطبراني في الأوسط فجعل يرميني بالحجارة .

قوله (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمى يا أم سليم ما عندك) كذا لأبي ذر عن الكشميين ولغيره « هلم » وهى لغة حجازية ، هلم عندهم لا يأنث ولا يثنى ولا يجمع ، ومنه قوله تعالى ﴿ والقاتلين لإخوانهم هلم إلينا ﴾ والمراد بذلك طلب ما عندهما .

قوله (وعصرت أم سليم عكة فأدمته) أى صيرت ما خرج من العكة له إداما ، والعكة بضم المهملة وتشديد الكاف إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالباً والعسل . وفي رواية مبارك ابن فضالة « فقال هل من سمن ؟ فقال أبو طلحة : قد كان في العكة سمن ، فجاء بها فجعل يعصرانها حتى خرج ، ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم به سبابته ثم مسح القرص فانتفخ وقال : بسم الله . فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة يتسيع » وفي رواية سعد بن سعيد « فسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا فيها بالبركة » وفي رواية النضر بن أنس « فجئت بها ففتح رباطها ثم قال : بسم الله ، اللهم أعظم فيها البركة » وعرف بهذا المراد بقوله « وقال فيها ما شاء الله أن يقول » .

قوله (ثم قال : إئذن لعشرة ، فأذن لهم) ظاهره أنه صلى الله عليه وسلم دخل منزل أبي طلحة وحده وصرح بذلك في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى ولفظه « فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الباب فقال لهم اقعولوا ودخل » وفي رواية يعقوب « أدخل على ثمانية ، فإزال حتى دخل عليه ثمانون رجلاً ثم دعاني ودعا أمي وأبا طلحة فأكلنا حتى شبعنا » انتهى . وهذا يدل على تعدد القصة ، فإن أكثر الروايات فيها أنه أدخلهم عشرة عشرة سوى هذه فقال إنه أدخلهم ثمانية ثمانية ، فالله أعلم .

قوله (فأكلوا) في رواية مبارك بن فضالة « فوضع يده وسط القرص وقال : كلوا بسم الله ، فأكلوا من حوالى القصعة حتى شبعوا » وفي رواية بكر بن عبد الله « فقال لهم كلوا من بين أصابعي » .

قوله (ثم خرجوا) في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى « ثم قال لهم قوموا وليدخل عشرة مكانكم » . **قوله (والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً)** كذا وقع بالشك ، وفي غيرها بالجزم بالثمانين كما تقدم من رواية محمد بن كعب وغيره ، وفي رواية مبارك بن فضالة « حتى أكل منه بضعة وثمانون رجلاً » وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى « حتى فعل ذلك ثمانين رجلاً ، ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤراً » أى فضلاً . وفي روايته عند أحمد « قلت كم كانوا ؟ قالوا : كانوا نيفاً وثمانين قال : وأفضل لأهل البيت ما يشبعهم » ولا منافاة بينهما لأحتمال أن يكون ألقى الكسر ، ولكن وقع في رواية ابن سيرين عند أحمد « حتى أكل منها أربعون رجلاً وبقيت كما هي » وهذا يؤكد التغاير الذى أشرت إليه ، وأن القصة التى رواها ابن سيرين غير القصة التى رواها غيره ، وزاد مسلم في رواية عبد الله بن عبد الله بن

أبي طلحة « وأفضل ما بلغوا جيرانهم » وفي رواية عمرو بن عبد الله « وفضلت فضلة فأهديناها لجيراننا » ونحوه عند أبي نعيم من رواية عمارة بن غزية عن ربيعة عن أنس بلفظ « حتى أهدت أم سليم لجيراننا » ولمسلم في أواخر رواية سعد بن سعيد « حتى لم يبق معهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع » وفي رواية له من هذا الوجه « ثم أخذ ما بقي فجمعه ، ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان » وقد تقدم الكلام على شيء من فوائد هذا الحديث في أبواب المساجد من أوائل كتاب الصلاة .

(تكملة) : سئلت في مجلس الإملاء لما ذكرت حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن حكمة تبعيهم ، فقلت يحتمل أن يكون عرف أن الطعام قليل وأنه في صحفة واحدة فلا يتصور أن يتخلق ذلك العدد الكثير ، فقليل : لم لا دخل الكل وبعض لمن يسعه التحليق فكان أبلغ في اشتراك الجميع في الاطلاع على المعجزة ، بخلاف التبعض فإنه بطرقه احتمال تكرر وضع الطعام لصغر الصحفة ؟ فقلت : يحتمل أن يكون ذلك لضيق البيت ، والله أعلم . الحديث السابع حديث عبد الله - وهو ابن مسعود - في نبع الماء أيضاً وتسييح الطعام .

قوله (كنا نعد الآيات) أي الأمور الخارقة للعادات .

قوله (بركة ، وأنتم تعلقونها تخويفاً) الذي يظهر أنه أنكر عليهم عد جميع الخوارق تخويفاً ، وإلا فليس جميع الخوارق بركة ، فإن التحقيق يقتضي عد بعضها بركة من الله كشعب الخلق الكثير من الطعام القليل وبعضها بتخويف من الله ككسوف الشمس والقمر ، كما قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده » وكأن القوم الذين خاطبهم عبد الله بن مسعود بذلك تمسكوا بظاهر قوله تعالى ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ ، ووقع عند الإسماعيلي من طريق الوليد بن القاسم عن إسرائيل في أول هذا الحديث « سمع عبد الله بن مسعود بنحسف فقال : كنا أصحاب محمد نعد الآيات بركة » الحديث .

قوله (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر) هذا السفر يشبه أن يكون غزوة الحديبية لثبوت نبع الماء فيها كما سيأتي . وقد وقع مثل ذلك في تبوك . ثم وجدت البيهقي في « الدلائل » جزم بالأول لكن لم يخرج ما يصرح به . ثم وجدت في بعض طرق هذا الحديث عند أبي نعيم في « الدلائل » أن ذلك كان في غزوة خيبر ، فأخرج من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن إبراهيم في هذا الحديث قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر فأصاب الناس عطش شديد ، فقال : يا عبد الله التمس لي ماء ، فأتيته بفضل ماء في إداوة » الحديث ، فهذا أولى ، ودل على تكرر وقوع ذلك حضراً أو سفيراً .

قوله (فقال اطلبوا فضلة من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل) ووقع عند أبي نعيم في « الدلائل » من طريق أبي الضحى عن ابن عباس قال « دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا بماء فطلبه فلم يجده فأتاه بشن فيه ماء » الحديث وفي آخره « فجعل ابن مسعود يشرب ويكثر » وهذا يشعر بأن ابن عباس حمله عن ابن مسعود ، وأن القصة واحدة ، ويحتمل أن يكون كل من ابن مسعود وبلال أحضر الإداوة ، فإن الشن بفتح المعجمة وبالنون هو الإداوة اليابسة .

قوله (حي على الطهور المبارك) أي هلموا إلى الطهور ، وهو بفتح الطاء ، والمراد به الماء ، ويجوز سها والمراد الفعل أي تطهروا .

قوله (والبركة من الله) البركة مبتدأ والخبر من الله ، وهو إشارة إلى أن الإيجاد من الله . ووقع في حديث عمار بن زريق عن إبراهيم في هذا الحديث « فجعلت أبادرهم إلى الماء أدخله في جوفي لقوله : البركة من الله » وفي حديث ابن عباس « فبسط كفه فيه فنبعت تحت يده عين ، فجعل ابن مسعود يشرب ويكثر » والحكمة في طلبه صلى الله عليه وسلم في هذه المواطن فضلة الماء لثلاث يظن أنه الموجد للماء ، ويحتمل ويحتمل أن يكون إشارة إلى أن الله أجرى العادة في الدنيا غالباً بالتوالد ، وأن بعض الأشياء يقع بينها التوالد وبعضها لا يقع ، ومن جملة ذلك ما نشاهده من فوران بعض المائعات إذا حمرت وتركت زماناً ، ولم تجر العادة في الماء الصريف بذلك ، فكانت المعجزة بذلك ظاهرة جداً .

قوله (ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) أى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غالباً ووقع ذلك عند الإسماعيلي صريحاً أخرجه عن الحسن بن سفيان عن بندار عن أبي أحمد الزبيرى في هذا الحديث « كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام » وله شاهد أورده البيهقي في « الدلائل » من طريق قيس بن أبي حازم قال « كان أبو الدرداء وسليمان إذا كتب أحدهما إلى الآخر قال له : بآية الصفحة ، وذلك لإنهما بينا هما يأكلان في صفحة إذ سبحت وما فيها » وذكر عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه قال « مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه عنب ورطب فأكل منه فسبح » . قلت : وقد اشتهر تسبيح الحصى ، ففي حديث أبي ذر قال « تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لمن حنيئاً ، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ، ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن » أخرجه البزار والطبراني في « الأوسط » وفي رواية الطبراني « فسمع تسبيحهن من في الحلقة » وفيه ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن » مع أحد منا « قال البيهقي في « الدلائل » كذا رواه صالح بن أبي الأخضر - ولم يكن بالحافظ - عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمى عن أبي ذر ، والمحفوظ ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال « ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كان كبير السن ممن أدرك أبا ذر بالربذة ذكر له عن أبي ذر بهذا .

(فائدة) : ذكر ابن الحاجب عن بعض الشيعة أن انشقاق القمر وتسبيح الحصى وحنين الجذع وتسليم الغزاة مما نقل آحاداً مع توفر الدواعي على نقله ، ومع ذلك لم يكذب رواتها . وأجاب بأنه استغنى عن نقلها تواتراً بالقرآن . وأجاب غيره بمنع نقلها آحاداً ، وعلى تسليمه فمجموعها يفيد القطع كما تقدم في أول هذا الفصل والذي أقول إنها كلها مشتهرة عند الناس ، وأما من حيث الرواية فليست على حد سواء ، فإن حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك . وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها ، وأما تسليم الغزاة فلم نجد له إسناداً لا من وجه قوى ولا من وجه ضعيف ، والله أعلم . الحديث الثامن حديث جابر في قصة وفاء دين أبيه ، أورده مختصراً وقد ذكره في مواضع أخرى مطولاً .

قوله (حدثنا زكريا) هو ابن أبي زائدة ، وعامر هو الشعبي .

قوله (إن أباه) هو عبد الله بن عمرو بن حرام بالمهملتين ، وفي رواية مغيرة عن الشعبي في البيوع « توفي عبد الله بن عمرو بن حرام وعليه دين » وفي رواية فراس عن الشعبي في الوصايا « إن أباه استشهد يوم أحد وترك ست بنات وترك عليه ديناً » وفي رواية وهب بن كيسان عن جابر « إن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود ، فاستنظره جابر فأبى أن ينظره ، فكلّم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له ، فكلّم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى » وفي رواية ابن كعب بن مالك في الاستقراض والهبة عن جابر « أن أباه قتل يوم أحد شهيداً وعليه دين ، فاشتد الغرماء في حقوقهم ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فكلّمته ، فسألهم أن يقبلوا ثمار حائطي ويحللوا أبي فأبوا » ووقع عند أحمد من طريق نبيح العنزي عن جابر قال « قال لي أبي : يا جابر لا عليك أن يكون في قطاري أهل المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا فذكر - قصة قتل أبيه ودفنه قال - وترك أبي عليه ديناً من التمر ، فاشتد على بعض غرمائه في التقاضي ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له وقلت : فأحب أن تعينني عليه لعله أن ينظرني طائفة من تمره إلى هذا الصرام المقبل ، قال : نعم آتيك إن شاء الله قريباً من نصف النهار » فذكر الحديث في الضيافة وفيه « ثم قال ادع فلاناً - لغريمي الذي اشتد في الطلب - فجاء فقال : أنظر جابراً طائفة من دينك الذي على أبيه إلى الصرام المقبل ، فقال : ما أنا بفاعل ، واعتل ، وقال إنما هو مال يتامى » .

قوله (وليس عندي إلا ما يخرج نخله) يعني أنه لم يترك مالا إلا البستان المذكور .

قوله (ولا يبلغ ما يخرج نخله سنين) أي في مدة سنين (ما عليه) أي من الدين .

قوله (فانطلق معي لكيلا يفحش على الغرماء ، ففشي) فيه حذف تقديره : فقال نعم ، فانطلق فوصل إلى الحائط ففشي . وقد تبين من الروايات الأخرى التصريح بما وقع من ذلك ، ففي رواية مغيرة « فقال اذهب فصنف تمر ك أصنافاً ، ثم أرسل إلى ، ففعلت ، فجاء فجلس على أعلاه » وفي رواية فراس في البيوع « اذهب فصنف تمر ك أصنافاً : العجوة على حدة ، وعذق زيد على حدة » وقوله عذق زيد بفتح المهملة ، وزيد الذي نسب إليه اسم لشخص كأنه هو الذي كان ابتداءً غراسه فنسب إليه ، والعجوة من أجود تمر المدينة .

قوله (بيدر) بفتح الموحدة وكسر المهملة وهو فعل أمر ، أي اجعل التمر في البيادر كل صنف في بيدر ، والبيدر بفتح الموحدة وسكون التحتانية وفتح الدال المهملة للتمر كالجرن للحب .

قوله (فدعا) في رواية ابن كعب بن مالك « فغدا علينا فطاف في النخل ودعا في تمره بالبركة » وفي رواية الديال بن حرملة عن جابر « فجاء هو وأبو بكر وعمر فاستقرأ النخل ، يقوم تحت كل نخلة لا أدرى ما يقول ، حتى مر على آخرها » الحديث أخرجه أحمد .

قوله (ثم آخر) أي مشى حول بيدر آخر فدعا ، وفي رواية فراس « فدخل النبي صلى الله عليه وسلم النخل ففشي فيها فقال أفرغوه » أي أفرغوه من البيدر ، وفي رواية مغيرة « ثم قال : كل للقوم ،

فكلتهم حتى أوفيتهم» وفي رواية فراس «ثم قال لجابر : جد فأوف الذي له ، فجده بعد ما رجع النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله (فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم) في رواية مغيرة « وبقي تمرى وكأنه لم ينقص منه شيء » وفي رواية ابن كعب « وبقي لنا من تمرها بقية » ووقع في رواية وهب بن كيسان « فأوفاه ثلاثين وسقا وفضلت له سبعة عشر وسقا » ، ويجمع بالحمل على تعدد الغرماء ، فكأن أصل الدين كان منه ليهودى ثلاثون وسقا من صنف واحد فأوفاه وفضل من ذلك البيلدر سبعة عشر وسقا ، وكان منه لغير ذلك اليهودى أشياء أخرى فأوفاهم وفضل من المجموع قدر الذي أوفاه ، ويؤيده قوله في رواية نبيح العزى عن جابر « فكلت له من العجوة فأوفاه الله وفضل لنا من التمر كذا وكذا ، وكلت له من أصناف التمر فأوفاه الله وفضل لنا من التمر كذا وكذا » ووقع في رواية فراس عن الشعبي ما قد يخالف ذلك ، فعنه « ثم دعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما نظروا إليه كأنما أغروا بي تلك الساعة » أى أنهم شددوا عليه في المطالبة لعداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال « فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدرا ثلاث مرات ثم جلس عليه ثم قال : ادعهم ، فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة والذى ، وأنا راض أن يؤديها الله ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة ، فسلم الله البيادر كلها حتى إنى أنظر إلى البيلدر الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن لم ينقص منه ثمرة واحدة » ووجه المخالفة فيه أن ظاهره أن الكيل جميعه كان بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن التمر لم ينقص منه شيء البتة ، والذى مضى ظاهره أن ذلك بعد رجوعه وأن بعض التمر نقص ، ويجمع بأن ابتداء الكيل كان بحضرة صلى الله عليه وسلم وبقية كان بعد انصرافه ، وكان بعض البيادر التى أوفى منها بعض أصحاب الدين حيث كان بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينقص منه شيء البتة ، ولما انصرف بقيت آثار بركته فلذلك أوفى من أحد البيادر ثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر . وفي رواية نبيح ما يؤيد ذلك ، فى روايته قال « كل له فإن الله سوف يوفيه » وفي حديثه « فإذا الشمس قد دلكت فقال : الصلاة يا أبا بكر ، فاندفعوا إلى المسجد فقلت له - أى للغريم - قرب أوعيتك » وفيه « فجئت أسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى شرارة ، فوجدته قد صلى ، فأخبرته فقال : أين عمر ؟ فجاء يهرول فقال : سل جابراً عن تمره وغريمه ، فقال : ما أنا بسائله ، قد علمت أن الله سيوفيه » الحديث . وقصة عمر قد وقعت في رواية ابن كعب ففيها « ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر : اسمع يا عمر ، قال : ألا نكون قد علمنا أنك رسول الله ؟ والله أنك لرسول الله » وفي رواية وهب « فقال عمر : لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن الله فيها » وقوله في رواية ابن كعب « ألا نكون » بفتح الهمزة وتشديد اللام في الروايات كلها ، وأصلها أن الخفيفة ضمت إليها لا النافية ، أى هذا السؤال إنما يحتاج إليه من لا يعلم أنك رسول الله فلذلك يشك في الخبر فيحتاج إلى الاستدلال ، وأما من علم أنك رسول الله فلا يحتاج إلى ذلك . وزعم بعض المتأخرين أن الرواية فيه بتخفيف اللام وأن الهمزة فيه للاستفهام التقريرى فأنكر عمر عدم علمه بالرسالة فأنزع إنكاره ثبوت علمه بها ، وهو كلام موجه ، إلا أن الرواية إنما هي بالتشديد ، وكذلك ضبطها عياض وغيره . وقيل النكته في اختصاص عمر بإعلامه بذلك أنه كان معتدياً بقصة

جابر مهتماً بشأنه مساعداً له على وفاء دين أبيه . رقىل لأنه كان حاضراً مع النبي صلى الله عليه وسلم لما مشى في النخل وتحقق أن التمر الذي فيه لا ينفى ببعض الدين ، فأراد إعلامه بذلك لكونه شاهد أول الأمر ، بخلاف من لم يشاهد . ثم وجدت ذلك صريحاً في بعض طرقه ، ففي رواية أبي المتوكل عن جابر عند أبي نعيم فذكر الحديث وفيه « فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر فقال انطلق بنا حتى نطوف بنخلك هذا » فذكر الحديث . وفي رواية أبي نضرة عن جابر عنده في هذه القصة قال « فأتاه هو وعمر فقال : يا فلان خذ من جابر وآخر عنه ، فأبى ، فكاد عمر يبطش به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مه يا عمر ، هو حقه . ثم قال : اذهب بنا إلى نخلك » الحديث وفيه « فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : اتنى بعمر ، فأتيته فقال : يا عمر سل جابراً عن نخله فذكر القصة . ووقع في رواية الديال بن حرمة أن أبا بكر وعمر جميعاً كانا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال في آخره « قال فانطلق فأخبر أبا بكر وعمر ، قال فانطلقت فأخبرتنيما الحديث ، ونحوه في رواية وهب بن كيسان عن جابر ، وجمع البيهقي بين مختلف الروايات في ذلك بأن اليهودي المذكور كان له دين من تمر ، ولغيره من الغرماء ديون أخرى ، فلما حضر الغرماء وطالبوا بحقوقهم وكان لهم جابر التمر ففضل تمر الحائط كأنه لم ينقص شيء فجاء اليهودي بعدهم فطالب بدينه فجعله جابر ما بقي على النخلات فأوفاه حقه منه وهو ثلاثون وسقاً . وفضلت منه سبعة عشر ، انتهى . وهذا الجمع يقتضي أنه لم يفضل من الذي في البيادر شيء . وقد صرح في الرواية المتقدمة أنها فضلت كلها كأنه لم ينقص منها شيء فما تقدم من الطريق التي جمعت به أولى ، والله أعلم . وفي الحديث من الفوائد جواز الاستنظار في الدين الحال ، وجواز تأخير الغريم لمصلحة المال الذي يوفى منه ، وفيه مشي الإمام في حوائج رعيته ، وشفاعته عند بعضهم في بعض . وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة لتكثير القليل إلى أن حصل به وفاء الكثير وفضل منه . الحديث التاسع حديث عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق في قصة أضياف أبي بكر ، والمراد منه تكثير الطعام القليل .

قوله (عن أبيه) هو سليمان بن طرخان التيمي أحد صغار التابعين ، وفي رواية أبي النعمان عن معتمر « حدثنا أبي » كما تقدم في الصلاة . وأبو عثمان هو النهدي .

قوله (إن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء) سيأتي ذكرهم في كتاب الرقاق ، وأن الصفة مكان مؤخر المسجد النبوي مظلل أعد لزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل ، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر ، وقد سرد أسماءهم أبو نعيم في « الحلية » فزادوا على المائة .

قوله (من كان عنده طعام إثنين فليذهب بثالث) أي من أهل الصفة المذكورين . ووقع في رواية مسلم « فليذهب بثلاثة » قال عياض : وهو غلط ، والصواب رواية البخاري لموافقتها لسياق باقي الحديث وقال القرطبي : إن حمل على ظاهره فسد المعنى ، لأن الذي عنده طعام اثنين إذا ذهب معه بثلاثة لزم أن يأكله في خمسة وجينئذ لا يكفيهم ولا يسد رمقهم ، بخلاف ما إذا ذهب بواحد فإنه يأكله في ثلاثة ، ويؤيده قوله في الحديث الآخر « طعام الإثنين يكفي أربعة » أي القدر الذي يشبع الاثنين يسد رمق أربعة ، ووجهها النووي بأن التقدير فليذهب بمن يتم من عنده ثلاثة ، أو فليذهب بتمام ثلاثة .

قوله (ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس ، بسادس ، أو كما قال) أى فليذهب بخامس إن لم يكن عنده ما يقتضى أكثر من ذلك ، وإلا فليذهب بسادس مع الخامس إن كان عنده أكثر من ذلك . والحكمة فى كونه يزيد كل أحد واحداً فقط أن عيشهم فى ذلك الوقت لم يكن متسعاً ، فمن كان عنده مثلاً ثلاثة أنفس لا يضيق عليه أن يطعم الرابع من قوتهم ، وكذلك الأربعة وما فوقها ، بخلاف ما لو زادت الأضياف بعدد العيال فإنما ذلك إنما يحصل الاكتفاء فيه عند اتساع الحال . ووقع فى رواية أبي النعمان « وإن أربع فخامس أو سادس » و « أو » فيه للتنويع أو للتخيير كما فى الرواية الأخرى ، ويحتمل أن يكون معنى « أو سادس » وإن كان عنده طعام خمس فليذهب بسادس ، فيكون من عطف الجملة على الجملة . وقوله « وإن أربع فخامس » بالجرفيهما ، والتقدير فإن كان عنده طعام أربع فليذهب بخامس أو بسادس ، فحذف عامل الجر وأبقى عمله ، كما يقال مررت برجل صالح وإن لا صالح فطالح ، أى إن لا أمر بصالح فقد مررت بطالح ، ويجرز الرفع على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وهو أوجه ، قال ابن مالك : تضمن هذا الحديث حذف فعلين وعامل جر مع بقاء عملها بعد إن وبعد الفاء ، والتقدير من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، وإن قام بأربعة فليذهب بخامس أو سادس اهـ . وهذا قاله فى الرواية التى فى الصلاة ، وأما هذه الرواية وهى قوله « بخامس بسادس » فيكون حذف منها شئ آخر ، والتقدير أو إن قام بخمسة فليذهب بسادس .

قوله (وإن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبى صلى الله عليه وسلم بعشرة) عبر عن أبى بكر بلفظ المجيء لبعده منزله من المسجد ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم بالانطلاق لقربه . وقوله بعد ذلك « وأبو بكر ثلاثة » بالنصب للأكبر أى أخذ ثلاثة فلا يكون قوله قبل ذلك « جاء بثلاثة » تكراراً لأن هذا بيان لابتداء ما جاء فى نصيبه ، والأول لبيان من أحضرهم إلى منزله . وأبعد من قال ثلاثة بالرفع وقدره وأبو بكر أهله ثلاثة أى عدد أضيافه ، ودل ذلك على أن أبا بكر كان عنده طعام أربعة ومع ذلك فأخذ خامساً وسادساً وسابعاً فكان الحكمة فى أخذه واحداً زائداً عما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أنه أراد أن يؤثر السابع بنصيبه إذ ظهر له أنه لم يأكل أولاً معهم . ووقع فى رواية الكشميهنى « وأبو بكر بثلاثة » فيكون معطوفاً على قوله « وانطلق النبى » أى وانطلق أبو بكر بثلاثة وهى رواية مسلم ، والأول أوجه ، والله أعلم .

قوله (قال فهو أنا وأبى وأمى) القائل هو عبد الرحمن بن أبى بكر ، وقوله « فهو » أى الشأن وقوله « أنا » مبتدأ وخبره محذوف يدل عليه السياق وتقديره فى الدار .

قوله (ولا أدرى هل قال امرأتى وخادمى) فى رواية الكشميهنى « وخادم » بغير إضافة ، والقائل « هل قال » هو أبو عثمان الراوى عن عبد الرحمن كأنه شك فى ذلك ، وقوله « بين بيتنا » أى خدمتها مشتركة بين بيتنا وبيت أبى بكر ، وهو ظرف للخادم ، وأم عبد الرحمن هى أم رومان مشهورة بكنتيتها ، واسمها زينب وقيل وعلة بنت عامر بن عويمر قيل عميرة ، من ذرية الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة ، كانت قبل أبى بكر عند الحارث بن سبخرة الأزدى فقدم مكة فمات وخلف منها ابنه الطفيل ، فتزوجها أبو بكر فولدت له عبد الرحمن وعائشة ، وأسلمت أم رومان قديماً وهاجرت ومعها عائشة ، وأما عبد الرحمن فتأخر إسلامه

وهجرته إلى هذنة الحديدية ، فقدم في سنة سبع أو أول سنة ثمان ، واسم امرأته - والدته أكبر أولاده أبي عتيق محمد - أميمة بنت عدى بن قيس السهمية والخادم لم أعرف اسمها .

قوله (وإن أبا بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم لبث حتى صلى العشاء ثم رجع) ووقع في الرواية التي في الصلاة « ثم لبث حتى صليت العشاء » وفي رواية « حيث صليت ثم رجع » فشرحه الكرمانى فقال : هذا يشعر بأن تعشى أبي بكر كان بعد الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي تقدم بعكسه ، والجواب أن الأول بيان حال أبي بكر في عدم احتياجه إلى الطعام عند أهله ، والثاني فيه سياق القصة على الترتيب الواقع : الأول تعشى الصديق والثاني تعشى النبي صلى الله عليه وسلم . والأول من العشاء بفتحها أى الأكل ، والثاني بكسرها أى الصلاة ، فأحد هذه الاحتمالات أن أبا بكر لما جاء بالثلاثة إلى منزله لبث إلى وقت صلاة العشاء . فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى تعشى عنده ، وهذا لا يصح لأنه يخالف صريح قوله في حديث الباب « وإن أبا بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم » ثم إن الذي وقع عند البخارى بلفظ « ثم رجع » بالجم ليس متفقاً عليه من الرواة لما سأذكره ، وظاهره قوله في هذه الرواية « ثم رجع » أى إلى منزله ، وعلى هذا فى قوله « فلبث حتى تعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله » تكرار وفائدته الإشارة إلى أن تأخره عند النبي صلى الله عليه وسلم كان بمقدار أن تعشى معه وصلى العشاء وما رجع إلى منزله إلا بعد أن مضى من الليل قطعة ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يؤخر صلاة العشاء كما تقدم في حديث أبي برزة ، ووقع عند الإسماعيلي « ثم ركع » بالكاف أى صلى النافلة بعد العشاء ، فعلى هذا فالتكرار في قوله « فلبث حتى تعشى » فقط ، وفائدته ما تقدم . ووقع في رواية مسلم والإسماعيلي أيضاً « فلبث حتى نعس » بعين وسين مهملتين مفتوحتين من النعاس وهو أوجه وقال عياض إنه الصواب ، وبه ينتهي التكرار من المواضع كلها إلا في قوله « لبث » وسببه اختلاف تعلق اللبث ، فالأول قال « لبث حتى صلى العشاء » ثم قال « فلبث حتى نعس » والحاصل أنه تأخر عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى صلى العشاء ثم تأخر حتى نعس النبي صلى الله عليه وسلم وقام لينام فرجع أبو بكر حينئذ إلى بيته ، وقد ترجم عليه المصنف في أبواب الصلاة قبيل الأذان « باب السمر مع الضيف والأهل » وأخذه من كون أبي بكر رجع إلى أهله وضيافته بعد أن صلى العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم فدار بينهم وبينه ما ذكر في الحديث . ووقع في رواية أبي داود من رواية الجريري عن أبي عثمان أو أبي السليل عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال « نزل بنا أضياف » وكان أبو بكر يتحدث عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا أرجع إليك حتى تفرغ من ضيافة هؤلاء » ونحوه يأتي في الأدب من طريق أخرى عن الجريري عن أبي عثمان بلفظ « إن أبا بكر تضيف وهطاً ، فقال لعبد الرحمن : دونك أضيافك ، فإني منطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأفرغ من قراهم قبل أن أجيء » وهذا يدل على أن أبا بكر أحضرهم إلى منزله وأمر أهله أن يضيفوهم ورجع هو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدل عليه صريح قوله في حديث الباب « وإن أبا بكر جاء بثلاثة » .

قوله (قالت له امرأته ما حبسك من أضيافك) ؟ في رواية الكشميनी « عن أضيافك » وكذا هو

في الصلاة ورواية مسلم .

قوله (أو ضيفك) شك من الراوى ، والمراد به الجنس لأنهم ثلاثة ، واسم الضيف يطلق على الواحد وما فوقه . وقال الكرماني : أو هو مصدر يتناول المثنى والجمع ، كذا قال وليس بواضح .

قوله (أو عشيتهم) في رواية الكشميى «وما غشيتهم» بزيادة ما النافية ، وكذا في رواية مسلم والإسماعيلي ، والهمزة للاستفهام والواو للعطف على مقدر بعد الهمزة ، وفي بعضها عشيتهم بإشباع الكسرة .

قوله (وقد عرضوا عليهم) بفتح العين والراء والفاعل محذوف أى الخدم أو الأهل ونحو ذلك ، (فغلبوهم) أى إن آل أبى بكر عرضوا على الأضياف العشاء فأبوا فعالجوهم فامتنعوا حتى غلبوهم . وفي الرواية الى في الصلاة «قد عرضوا» بضم أوله وتشديد الراء أى أطعموا من العراضة وهى الهدية ، قاله عياض ، قال وهو في الرواية بتخفيف الراء ، وحكى ابن قرقول أن القياس بتشديد الراء وبه جزم الجرهرى ، وقال الكرماني موجهاً للتخفيف : أى عرض الطعام عليهم ، فحذف الجار ووصل الفعل فهو من القلب كعرضت الناقة على الحوض . ووقع في الصلاة «قد عرضنا عليهم فامتنعوا» وحكى ابن التين أنه وقع في بعض الروايات «عرضوا» بصاد مهملة ، قال ولا أعرف لها وجهاً ، وجههاً غيره أنها من قولهم عرض إذا نشط ، فكأنه يريد أنهم نشطوا في العزيمة عليهم ، ولا يخفى تكلفه . وفي رواية الجريرى «فانطلق عبد الرحمن فأتاهم بما عنده فقال اطعموا ، قالوا : أين رب منزلنا ؟ قال : اطعموا . قالوا : ما نحن بأكليين حتى يجيئ . قال : اقبلوا عنا قراكم ، فإنه إن جاء ولم تطعموا لنلقين منه - أى شراً - فأبوا» وفي رواية مسلم «ألا تقبلوا عنا قراكم ؟» ضبطه عياض عن الأكثر بتخفيف اللام على استفتاح الكلام ، قال القرطبي : ويلزم عليه أن تثبت النون في «تقبلون» إذ لا موجب لحذفها ، وضبطها ابن أبى جعفر بتشديد اللام وهو الوجه .

قوله (قال فذهبت فاخبتأت) أى خوفاً من خصام أبى بكر له وتغيظه عليه . وفي رواية الجريرى «فعرفت أنه يجد على» أى يغضب «فلما جاء تغيب عنه ، فقال : يا عبد الرحمن ، فسكت . ثم قال : يا عبد الرحمن ، فسكت .»

قوله (فقال : يا غنثر فجدع وسب) في رواية الجريرى فقال «يا غنثر أقسمت عليك إن كنت تسمع صوتى لما جئت ، قال فخرجت فقلت والله مالى ذنب ، هؤلاء أضيافك فسلمهم . قالوا صدقت قد أتانا وقوله «فجدع وسب» أى دعا عليه بالجدع وهو قطع الأذن أو الأنف أو الشفة ، وقيل المراد به السب ، والأول أصح . وفي رواية الجريرى «فجزع» بالزاي بدل الدال أى نسبته إلى الجزع بفتحيتين وهو الخوف وقيل المجازعة الخاصة فالمعنى خاصم ، وقال القرطبي : ظن أبو بكر أن عبد الرحمن فرط في حق الأضياف فلما تبين له الحال أدهم بقوله كلوا لا هنيئاً ، وسب أى شتم . وحذف المفعول للعلم به . قوله «غنثر» بضم المعجمة وسكون النون وفتح المثناة ، هذه الرواية المشهورة ، وحكى ضم المثناة ، وحكى عياض عن بعض شيوخه فتح أوله مع فتح المثناة ، وحكاها الخطاى بلفظ «عنتر» بلفظ اسم الشاعر المشهور وهو بالمهملة والمثناة المفتوحتين بينهما النون الساكنة ، وروى عن أبى عمر عن ثعلب أن معناه الذباب ، وإنه سمي بذلك لصوته فشبه به حيث أراد تحقيره وتصغيره . وقال غيره : معنى الرواية المشهورة الثقيل الوخم وقيل الجاهل وقيل السفیه وقيل اللثم ، وهو مأخوذ من الغثر ونونه زائدة ، وقيل هو ذباب أزرق شبيه به لتحقيره كما تقدم .

قوله (وقال كلوا) زاد في الصلاة « لا هنيئاً » وكذا في رواية مسلم أى لا أكلتم هنيئاً هو دعاء عليهم ، وقيل خبر أى لم تتهيئوا في أول نضجه ، ويستفاد من ذلك جواز الدعاء على من لم يحصل منه الإنصاف ولا سيما عند الحرج والتغيظ ، وذلك أنهم تحكموا على رب المنزل بالحضور معهم ولم يكتفوا بولده مع إذنه لهم في ذلك ، وكان الذى حملهم على ذلك رغبتهم في التبرك بمؤاكلته ، ويقال إنه إنما خاطب بذلك أهله لا الأضياف ، وقيل لم يرد الدعاء وإنما أخبر أنهم فاتهم الهناء به إذا لم يأكلوه في وقته .

قوله (وقال لا أطعمه أبداً) في رواية مسلم وكذا هو في الصلاة « فقال : والله لا أطعمه أبداً » وفي رواية الجريري « فقال فإنما انتظرتوني ، والله لا أطعمه أبداً ، فقال الآخر والله لا نطعمه » وفي رواية أبى داود من هذا الوجه « فقال أبو بكر فما منعكم ؟ قالوا : مكانك . قال والله لا أطعمه أبداً . ثم اتفقا فقال : لم أر في الشر كالديلة ، ويلكم ما أنتم ؟ لم تقبلون عنا قراكم . هات طعامك ، فوضع فقال : بسم الله الأول من الشيطان فأكل وأكلوا » قال ابن التين : لم يخاطب أبو بكر أضيافه بذلك إنما خاطب أهله ، والرواية التي ذكرتها ترد عليه . ووقع في رواية مسلم « ألا تقبلون » وهو بتشديد اللام للأكثر ، ولبعضهم بتخفيفها .

قوله (وأيم الله) همزته همزة وصل عند الجمهور وقيل يجوز القطع ، وهو مبتدأ وخبره محذوف أى أيم الله قسمي ، وأصله أيمن الله فالهمزة حينئذ همزة قطع لكنها لكثرة الاستعمال خففت فوصلت ، وحكى فيها لغات : أيمن الله مثلثة النون ، ومن الله مختصرة من الأولى مثلثة النون أيضاً ، وأيم الله كذلك ، وم الله كذلك وبكسر الهمزة أيضاً . وأم الله . قال ابن مالك : وليس الميم بدلا من الواو ولا أصلها من خلافاً لمن زعم ذلك . ولا أيمن جمع يمين خلافاً للكوفيين ، وسيأتى تمام هذا في كتاب الأيمان والنذور .

قوله (إلا رباً) أى زاد ، وقرله « من أسفلها » أى الموضع الذى أخذت منه .

قوله (فنظر أبو بكر فإذا شيء أو أكثر) والتقدير فإذا هي شيء أى قدر الذى كان ، كذا عند المصنف هنا ، ووقع في الصلاة « فإذا هي - أى الجفنة - كما هي ، أى كما كانت أولاً أو أكثر ، وكذلك في رواية مسلم والإسماعيلي وهو الصواب .

قوله (يا أخت بنى فراس) زاد في الصلاة « ما هذا » وخاطب أبو بكر بذلك امرأته أم رومان ، وبنو فراس بكسر الفاء وتخفيف الراء وآخره مهملة ابن غنم بن مالك بن كنانة ، وقال النووى : التقدير يا من هي من بنى فراس وفيه نظر ، والعرب تطلق على من كان منتسباً إلى قبيلة أنه أخوهم كما تقدم في العلم « ضمام أخو بنى سعد بن بكر » وقد تقدم أن أم رومان من ذرية الحارث بن غنم وهو أخو فراس بن غنم فلعل أبا بكر نسبها إلى بنى فراس لكونهم أشهر من بنى الحارث ويقع في النسب كثير من ذلك ، وينسبون أحياناً إلى أخى جدهم ، أو المعنى يا أخت القوم المنتسبين إلى بنى فراس ، ولا شك إن الحارث أخو فراس فأولاد كل منهما إخوة للآخرين لكونهم في درجتهم ، وحكى عياض أنه قيل في أم رومان إنها من بنى فراس ابن غنم لا من بنى الحارث وعلى هذا فلا حاجة إلى هذا التأويل ، ولم أر في كتاب ابن سعد لها نسباً إلا إلى بنى الحارث بن غنم ساق لها نسبين مختلفين ، فالله أعلم .

قوله (قالت لا وقرة عين) قررة العين بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الإنسان ويوافقه ، يقال ذلك

لأن عينه قرت أى سكنت حركتها من التلف لحصول غرضها فلا تستشرف لشيء آخر ، فكأنه مأخوذ من القرار ، وقيل معناه أنام الله عينك وهو يرجع إلى هذا ، وقيل بل هو مأخوذ من القر وهو البرد أى أن عينه بارده لسروره ، ولهذا قيل دمة الحزن حارة ، ومن ثم قيل فى ضده أسخن لله عينه ، وإنما حلفت أم رومان بذلك لما وقع عندها من السرور بالكرامة التى حصلت لهم ببركة الصديق رضى الله عنه . وزعم الداودى أنها أرادت بقرة عينها النبى صلى الله عليه وسلم فأقسمت به ، وفيه بعد . و « لا » فى قولها « لا وقرة عيني » زائدة أو نافية على حذف ، تقديره لا شيء غير ما أقول .

قوله (هى) أى الجنة أو البقية (أكثر مما قيل) كذا هنا ، وفى رواية مسلم « أكثر منها قبل » وهو أوجه ، و (أكثر) للأكثر بالمثلثة ولبعضهم بالموحدة .

قوله (فأكل منها أبو بكر وقال : إنما كان الشيطان ، يعنى يمينه) كذا هنا وفيه حذف تقدمها تقديره : وإنما كان الشيطان الحامل على ذلك ، يعنى الحامل على يمينه التى حلفها فى قوله « والله لا أطعمه » ووقع عند مسلم والإسماعيل « وإنما كان ذلك من الشيطان » يعنى يمينه وهو أوجه . وأبعد من قال : الضمير فى قوله « هذه اللقمة » التى أكل أى هذه اللقمة لقمع الشيطان وإرغامه ، لأنه قصد بتزيينه له اليمين لإيقاع الوحشة بينه وبين أضيافه ، فأخزاه أبو بكر بالحنث الذى هو خير ، وظاهر هذا السياق مخالف لرواية الجريرى ، فقال عياض : فى هذا السياق خطأ وتقديم وتأخير ، ثم ذكر ما حاصله أن الصواب ما فى رواية الجريرى ، وهو أن رواية سليمان التيمى هذه أن سبب أكل أبى بكر من الطعام ما رآه من البركة فيه فرغب فى الأكل منه وأعرض عن يمينه التى حلف لما رجع عنده من تناول من البركة ، ورواية الجريرى تقتضى أن سبب أكله من الطعام لجأج الأضياف وحلفهم فإنهم لا يطعمون من الطعام حتى يأكل أبو بكر ، ولا شك فى كونها أوجه ، لكن يمكن رد رواية سليمان التيمى إليها بأن يكون قوله « فأكل منها أبو بكر » معطوفاً على قوله « والله لا أطعمه » لا على القصة التى دلت على بركة الطعام ، وغايته أن حلف الأضياف أن لا يطعموه لم يقع فى رواية سليمان والله أعلم . ثم ظهر لى أن ذلك من معتمر بن سليمان لا من أبيه ، فقد وقع فى الأدب عند المصنف من رواية ابن أبى عدى عن سليمان التيمى « فحافت المرأة لا تطعمه حتى تطعموه » فقال أبو بكر كأن هذه من الشيطان ، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا ، فجعلوا لا يرفعون اللقمة إلا ربا من أسفلها » ويحتمل أن يجمع بأن يكون أبو بكر أكل لأجل تحليل يمينهم شيئاً ، ثم لما رأى البركة الظاهرة عاد فأكل منها لتحصل له وقال كالمعتذر عن يمينه التى حلف « إنما كان ذلك من الشيطان » والحاصل أن الله أكرم أبى بكر فأزال ما حصل له من الحرج ، فعاد مسروراً ، وانفك الشيطان مدحوراً . واستعمل الصديق مكارم الأخلاق فحنث نفسه زيادة فى إكرام ضيفانه ليحصل مقصوده من أكلهم . ولكونه أكثر قدرة منهم على الكفارة . ووقع فى رواية الجريرى عند مسلم « فقال أبو بكر : يا رسول الله بروا وحنثت ، فقال : بل أنت أبرهم وخيرهم . قال ولم يبلغنى كفارة » وسقط ذلك من رواية الجريرى عند المصنف ، وكأن سبب حذفه لهذه الزيادة أن فيها إدراجاً بينته رواية أبى داود حيث جاء فيها « فأخبرت - بضم الهمزة - أنه أصبح فغدا على النبى صلى الله عليه وسلم الخ » وقوله « أبرهم » أى أكثرهم براً أى طاعة ، وقوله « وخيرهم » أى لأنك حنثت فى يمينك حنثاً مندوباً

إليه مطلوباً فانت أفضل منهم بهذا الاعتبار ، وقوله « ولم يبلغني كفارة » استدبل به على أنه لا تجب الكفارة في يمين اللجاج والغضب ، ولا حجة فيه لأنه لا يلزم من عدم الذكر عدم الوجود ، فلمن أثبت الكفارة أن يتمسك بعموم قوله ﴿ ولكن يؤخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين ﴾ ويحتمل أن يكون ذلك وقع قبل مشروعية الكفارة في الأيمان ، لكن يعكر عليه ما سيأتي من حديث عائشة أن أبا بكر لم يكن يحنث في يمين حتى نزلت الكفارة . وقال النووي : قوله « ولم يبلغني كفارة » يعني أنه لم يكفر قبل الحنث ، فأما وجوب الكفارة فلا خلاف فيه ، كذا قال . وقال غيره : يحتمل أن يكون أبو بكر لما حلف أن لا يطعمه أضمر وقتاً معيناً أو صفة مخصوصة ، أى لا أطعمه الآن أو لا أطعمه معكم أو عند الغضب ، وهو مبني على أن اليمين هل تقبل التقييد في النفس أم لا ؟ ولا يخفى ما فيه من التكلف . وقول أبي بكر « والله لا أطعمه أبداً » يمين مؤكدة ولا تحتمل أن تكون من لغو الكلام ولا من سبق اللسان .

قوله (ثم حملها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت عنده) أى الجفنة على حالها ، وإنما لم يأكلوا منها في الليل لكون ذلك وقع بعد أن مضى من الليل مدة طويلة .

قوله (ففرقنا إثنا عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس) كذا هو هنا من التفريق أى جعلهم إثني عشر فرقة ، وحكى الكرمانى أن في بعض الروايات « ففرقنا » بقاف وتحتانية من القرى وهو الضيافة ، ولم أقف على ذلك .

قوله (إثنا عشر رجلاً) كذا للمصنف ، وعند مسلم إثني عشر بالنصب وهو ظاهر ، والأول على طريق من يجعل المثني بالرفع في الأحوال الثلاثة ومنه قوله تعالى ﴿ إن هذان لساحران ﴾ ، ويحتمل أن يكون « ففرقنا » بضم أوله على البناء للمجهول ، فارتفع إثنا عشر على أنه مبتدأ وخبره مع كل رجل منهم .

قوله (الله أعلم كم مع كل رجل غير أنه بعث معهم) يعنى أنه تحقق أنه جعل عليهم إثنا عشر عريفاً لكنه لا يدري كم كان تحت يد كل عريف منهم لأن ذلك يحتمل الكثرة والقلّة ، غير أنه يتحقق أنه بعث معهم - أى مع كل ناس - عريفاً .

قوله (قال أكلوا منها أجمعون ، أو كما قال) هو شك من أبي عثمان في لفظ عبد الرحمن ، وأما المعنى فالحاصل أن جميع الجيش أكلوا من تلك الجفنة التى أرسل بها أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وظهر بذلك أن تمام البركة في الطعام المذكور كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم لأن الذى وقع فيها في بيت أبي بكر ظهور أوائل البركة فيها ، وأما انتهاءها إلى أن تكني الجيش كلهم فما كان إلا بعد أن صارت عند النبي صلى الله عليه وسلم على ظاهر الخبر ، والله أعلم . وقد روى أحمد والترمذى والنسائى من حديث سمرة قال « أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها ثريد فأكل وأكل القوم ، فما زالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر يأكل قوم ثم يقومون ويحيى قوم فيتعاقبون ، فقال رجل : هل كانت تمد بطعام ؟ قال : أما من الأرض فلا إلا أن تكون كانت تمد من السماء » . قال بعض شيوخنا يحتمل أن تكون هذه القصعة هى التى وقع فيها في بيت أبي بكر ما وقع ، والله أعلم . وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم التجاء الفقراء إلى المساجد

عند الاحتياج إلى المواساة إذا لم يكن في ذلك إلحاح ولا إلحاف ولا تشويش على المصلين ، وفيه استجواب مواساتهم عند اجتماع هذه الشروط ، وفيه التوظيف في المحمصة ، وفيه جواز الغيبة عن الأهل والولد والضيف إذا أعدت لهم الكفاية ، وفيه تصرف المرأة فيما تقدم للضيف والإطعام بغير إذن خاص من الرجل ، وفيه جواز سب الوالد للولد على وجه التأديب والتمرين على أعمال الخير وتعاطيه ، وفيه جواز الحلف على ترك المباح ، وفيه توكيد الرجل الصادق لخبره بالقسم ، وجواز الحنث بعد عقد اليمين ، وفيه التبرك بطعام الأولياء والصلحاء . وفيه عرض الطعام الذي تظهر فيه البركة على الكبار وقبولهم ذلك ، وفيه العمل بالظن الغالب لأن أبا بكر ظن أن عبد الرحمن فرط في أمر الأضياف فبادر إلى سبه وقوى القرينة عنده اختباؤه منه ، وفيه ما يقع من لطف الله تعالى بأوليائه وذلك أن خاطر أبي بكر تشوش وكذلك ولده وأهله وأضيافه بسبب امتناعهم من الأكل ، وتكدر خاطر أبي بكر من ذلك حتى احتاج إلى ما تقدم ذكره من الحرج بالحلف وبالحنث وبغير ذلك فتدارك الله ذلك ورفع عنه بالكرامة التي أبداهها له ، فانقلب ذلك الكدر صفاء والنكد سروراً والله الحمد والمنة . الحديث العاشر حديث أنس في الاستسقاء والمراد منه وقوع إجابة الدعاء في الحال ، وقد تقدم شرحه في الاستسقاء ، وأورده هنا من طريقين لحماذ بن زيد ، ف قوله « وعن يونس » هو ابن عبيد وهو معطوف على قوله « عن عبد العزيز بن صهيب » ، وحاصله أن حماداً سمعه عن أنس عالياً ونازلاً ، وذلك لأنه سمع من ثابت وحدث عنه هنا بواسطة ، وذكر البزار أن حماداً تفرد بطريق يونس بن عبيد هذه .

قوله (وغيره يقول فعرفنا) وهو من العرافة ، وكذا اختلفت الرواة عند مسلم هل قال غرقنا أو عرفنا ، وفي رواية الإسماعيلي « فعرفنا » من العرافة وجهاً واحداً ، وسمى العريف عريفاً لأنه يعرف الإمام أحوال العسكر . وزعم الكرماني أن فيه حذفاً تقديره فرجعنا إلى المدينة فعرفنا ، قلت : ولا يتعين ذلك لجواز أن يكون تعريفهم وإرسالهم قبل الرجوع إلى المدينة .

قوله (هلك الكراع) بضم أوله وحكى عن رواية الأصيلي كسرهما وخطئ ، والمراد به الخيل ، وقد يطلق على غيرها من الحيوان ، لكن المراد به هنا الحقيقة لأنه عطف عليه بعد ذلك غيره .

قوله (كمثل الزجاج) أي من شدة الصفاء ليس فيها شيء من السحاب .

قوله (فهاجت ريح أنشأت سحاباً) قال بعض شراح البخاري : هذا فيه نظر ، لأنه إنما يقال نشأ السحاب إذا ارتفع وأنشأ الله السحاب لقوله ﴿ وينشئ السحاب الثقال ﴾ . قلت : المراد في حديث الباب الثاني ، ونسبة الإنشاء إلى الريح مجازية وذلك بإذن الله ، والأصل أن الكل بإنشاء الله وهو كقوله ﴿ أنتم ترزعونهم أم نحن الزارعون ﴾ وقد تقدم في بدء الخلق أن الريح تلقح السحاب .

قوله (عز إليها) بالزاي الخفيفة واللام المفتوحة بعدها تحتانية ساكنة تثنية عزلى ، وقد تقدم ضبطها وتفسيرها قريباً .

قوله (فقام إليه ذلك الرجل أو غيره) تقدم في الاستسقاء ما يقرب أنه خارجة بن حصن الفزاري وما يوضح أن الذي قام أولاً هو الذي قام ثانياً ، وأن أنساً جزم به تارة وشك فيه أخرى .

قوله (تصدع) في رواية الكشميهني تتصدع وهو الأصل .

قوله (!كليل) بكسر الهمزة وسكون الكاف هي العصاة التي تحيط بالرأس ، وأكثر ما تستعمل فيما إذا كانت العصاة مكللة بالجوهر وهي من سمات ملوك الفرس ، وقد قيل إن أصله ما أحاط بالظفر من اللحم ثم أطلق على كل ما أحاط بشيء . والله أعلم .

[٣٥٨٣]

٣٤٦١ - نا محمد بن المثنى قال نا يحيى بن كثير أبو غسان قال نا أبو حفص اسمه عمر ابن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء ، قال سمعت نافعاً عن ابن عمر قال : كان النبي صلى الله عليه يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر تحول إليه ، فحن الجذع ، فأتاه فمسح يده عليه . وقال عبد الحميد أنا عثمان بن عمر قال أنا معاذ بن العلاء عن نافع بهذا . ورواه أبو عاصم عن ابن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه .

[٣٥٨٤]

٣٤٦٢ - نا أبو نعيم قال نا عبد الواحد بن أيمن قال سمعت أبي عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل - : يا رسول الله ، ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : « إن شئتم » . فجعلوا له منبراً . فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبي ، ثم نزل النبي صلى الله عليه فضمه إليه ، تن أنين الصبي الذي يسكن . قال : كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها .

[٣٥٨٥]

٣٤٦٣ - نا إسماعيل قال نا أخى عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال أخبرني حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل ، فكان النبي صلى الله عليه إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبي صلى الله عليه فوضع يده عليها ، فسكنت .

الحديث الحادى عشر والثانى عشر حديث ابن عمر وجابر فى حنين الجذع ، أورده عنهما من طرق : أما حديث ابن عمر فقوله فى الطريق الأولى « حدثنا أبو حفص واسمه عمر بن العلاء أخو عمرو بن العلاء » تسمية أبى حفص لم أرها إلا فى رواية البخارى ، والظاهر أنه هو الذى سماه ، وقد أخرجه الإسماعيل من طريق بندار عن يحيى بن كثير فقال « حدثنا أبو حفص بن العلاء » فذكر الحديث ولم يسمه « وقد تردد الحاكم أبو أحمد فى ذلك فذكر فى ترجمة أبى حفص فى الكنى هذا الحديث فساقه من طريق عبد الله بن رجاء الغداني « حدثنا أبو حفص بن العلاء » فذكر حديث الباب ولم يقل اسمه عمر ، ثم ساقه من طريق عثمان بن عمر عن معاذ بن العلاء به ، ثم أخرج من طريق معتمر بن سليمان « عن معاذ بن العلاء أبى غسان قال » وكذا

ذكر البخارى فى التاريخ أن معاذ بن العلاء يكنى أبا غسان ، قال الحاكم : قاله أعلم أنهما أخوان أحدهما يسمى عمر والآخر يسمى معاذاً وحدثا معا عن نافع بحديث الجذع أو أحد الطريقين غير محفوظ لأن المشهور من أولاد العلاء أبو عمرو صاحب القراءات وأبو سفيان ومعاذ ، فأما أبو حفص عمر فلا أعرفه إلا فى الحديث المذكور ، والله لأعلم . قلت : وليس لمعاذ ولا لعمر فى البخارى ذكر إلا فى هذا الموضع ، وأما أبو عمرو ابن العلاء فهو أشهر الإخوة وأجلهم ، وهو إمام القراءات بالبصرة ، وشيخ العربية بها ، وليس له أيضاً فى البخارى رواية ولا ذكر إلا فى هذا الموضع ، واختلف فى اسمه إختلافاً كثيراً والأظهر أن اسمه كنيته وأما أخوه أبو سفيان بن العلاء فأخرج حديثه الترمذى .

قوله (فأتاه فمسح يده عليه) فى رواية الإسماعيلي من طريق يحيى بن السكن عن معاذ « فأتاه فاحتضنه فسكن فقال : لو لم أفعل لما سكن » نحوه فى حديث ابن عباس عند الدارمى بلفظ لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة « الأبى عوانة وابن خزيمة وأبى نعيم فى حديث أنس « والذي نفسى بيده لو لم ألزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزناً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فدفن » وأصله فى الترمذى دون الزيادة ، ووقع فى حديث الحسن عن أنس : كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث يقول : يا معشر المسلمين الخشبة نحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إلى لقائه فأنتم أحق أن تشاققوا إليه . وفى حديث أبى سعيد عند الدارمى « فأمر به أن يحفر له ويدفن » وفى حديث سهل بن سعد عند أبى نعيم « فقال : ألا تعجبون من حين هذه الخشبة ؟ فأقبل الناس عليها فسمعوا من حينها حتى كثر بكأؤهم » وأما حديث جابر فقوله فى الطريق الأولى « كان يقوم إلى شجرة أو نخلة » هو شك من الراوى ، وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق وكيع عن عبد الواحد « فقام إلى نخلة » ولم يشك . وقوله « فقالت امرأة من الأنصار أو رجل » شك من الراوى والمعتمد الأول ، وقد تقدم بيانه فى كتاب الجمعة والخلاف فى اسمها والكلام على المتن مستوفى .

قوله (وقال عبد الحميد أخبرنا عثمان بن عمر) عبد الحميد هذا لم أر من ترجم له فى رجال البخارى ، إلا أن المزى ومن تبعه جزموا بأنه عبد بن حميد الحافظ المشهور وقالوا كان اسمه عبد الحميد وإنما قيل له عبد بغير إضافة تخفيفاً ، وقد راجعت الموجود من مسنده وتفسيره فلم أر هذا الحديث فيه ، نعم وجدته من حديث رفيقه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى أخرجه فى مسنده المشهور عن عثمان بن عمر بهذا الإسناد .

قوله (أخبرنا معاذ بن العلاء) فى رواية الإسماعيلي من طريق أبى عبيدة الخداد « عن معاذ بن العلاء » وهو أخو أبى عمرو بن العلاء القارىء .

قوله (عن نافع) فى رواية الإسماعيلي وابن حبان « سمعت نافعاً » .

قوله (ورواه أبو عاصم) هو النبيل من كبار شيوخ البخارى .

قوله (عن ابن أبى رواد) يعنى عبد العزيز ورواد بفتح الراء المهملة وتشديد الواو اسمه ميمون ، وطريق أبى عاصم هذه وصلها البيهقى من طريق سعيد بن عمر عن أبى عاصم مطولاً ، وأخرجه أبو داود عن الحسن بن على عن أبى عاصم مختصراً .

قوله (دفع) بضم أوله بالذال وللشميمى بالراء .

قوله (فضمه إليه) أى الجذع ، فى رواية الكشميهنى « فضمها » أى الخشبة .

قوله فى الطريق الأخرى (حدثنا إسماعيل) هو ابن أبى أويس ، وأخوه هو أبو بكر ، ويحيى ابن سعيد هو الأنصارى ، وروايته عن حفص من رواية الأقران لأنه فى طبقته .

قوله (كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل) أى إن الجذوع كانت له كالأعمدة .

قوله (فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم إلى جذع منها) أى حين يخطب ، وبه صرح الإسماعيلى بلفظ « كان إذا خطب يقوم إلى جذع » .

قوله (كصوت العشار) بكسر المهملة بعدها معجمة خفيفة جمع عشاراء تقدم شرحه فى الجمعة ، والعشاراء الناقة التى انتهت فى حملها إلى عشرة أشهر ، ووقع فى رواية عبد الواحد بن أيمن « فصاحت النخلة صباح الصبي » وفى حديث أبى الزبير عن جابر عند النسائى فى الكبير « اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج » انتهى : والخلوج بفتح الخاء المعجمة وضم اللام الخفيفة وآخره جيم الناقة التى انتزع منها ولدها ، وفى حديث أنس عند ابن خزيمة « فحنت الخشبة حنين الوالد » وفى روايته الأخرى عند الدارمى « خار ذلك الجذع كخوار الثور » وفى حديث أبى بن كعب عند أحمد والدارمى وابن ماجه « فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق » وفى حديثه « فأخذ أبى بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلى وعاد رفاتاً » وهذا لا ينافى ما تقدم من أنه دفن ، لاحتمال أن يكون ظهر بعد الهدم عند التنظيف فأخذه أبى بن كعب وفى حديث بريدة عند الدارمى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له « اختر أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه فتكون كما كنت - يعنى قبل أن تصير جذعاً - وإن شئت أن أغرسك فى الجنة فتشرب من أنهارها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل منك أولياء الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إختار أن أغرسه فى الجنة » قال البيهقى : قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف ، ورواية الأخبار الخاصة فيها كالتكلف . وفى الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان ، وفيه تأييد لقول من يحمل ﴿ وإن من شئ إلا يسبح بحمده ﴾ على ظاهره . وقد نقل ابن أبى حاتم فى « مناقب الشافعى » عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعى قال : ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ، فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى ، قال : أعطى محمداً حنين الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك .

٣٤٦٤ - نا محمد بن بشار قال نا ابن أبى عدي عن شعبة ... ح .

[٣٥٨٦]

وحدثني بشر بن خالد قال نا محمد عن شعبة عن سليمان قال سمعت أبا وائل يحدث عن حذيفة أن عمر بن الخطاب قال : أيكم يحفظ قول رسول الله صلى الله عليه في الفتنة ؟ فقال حذيفة : أنا أحفظ كما قال . قال : هات ، إنك لجريء . قال رسول الله صلى الله عليه : « في فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » قال : ليست هذه ، ولكن التي توج كموج البحر ، قال : يا أمير المؤمنين ، لا بأس عليك منها ، إن بينك

وبينها باباً مغلقاً. قال: يُفتح البابُ أو يُكسر؟ قال: لا، بل يكسر، قال: ذلك أحرى أن لا يغلق. قلنا: علم الباب؟ قال: نعم، كما أن دون غد الليلة. إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأله، وأمرنا مسروقاً فسأله: من الباب؟ فقال: عمر.

[٣٥٨٧] ٣٤٦٥- نا أبو اليمان قال أنا شعيب قال نا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال: «لا تقوم الساعة حتى تُقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تُقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذُلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة، وتجدون من خير الناس^(١) أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه. والناس معادن: خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، وليأتين على أحدكم زمانٌ لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله».

[٣٥٩٠] ٣٤٦٦- نا يحيى قال نا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه قال: «لا تقوم الساعة حتى تُقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر». تابعه غيره عن عبد الرزاق.

[٣٥٩١] ٣٤٦٧- نا علي بن عبد الله قال نا سفيان قال قال إسماعيل أخبرني قيس قال: أتينا أبا هريرة قال: صحبت رسول الله صلى الله عليه ثلاث سنين لم أكن في سني أحرص على أن أعي الحديث مني فيهن، سمعته يقول - وقال هكذا بيده - : «بين يدي الساعة تقاتلون قوماً نعالهم الشعر، وهو هذا البارز». وقال سفيان مرة، وهم أهل البازر.

[٣٥٩٢] ٣٤٦٨- نا سليمان بن حرب قال نا جرير بن حازم قال سمعت الحسن يقول نا عمرو ابن تغلب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «بين يدي الساعة تقاتلون قوماً ينتعلون الشعر، وتقاتلون قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة».

[٣٥٩٣] ٣٤٦٩- نا الحكم بن نافع قال أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله».

الحديث الثالث عشر حديث حذيفة في ذكر الفتنة.

(١) هذه رواية أبي ذر عن المستملي وحده.

(٢) الأرقام ٣٥٨٧ و ٣٥٨٨ و ٣٥٨٩ هي لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي ثلاثة أحاديث.

قوله (حدثنا محمد) هو ابن جعفر الذي يقال له غندر .

قوله (عن سليمان) هو الأعمش ، وقد وافقه على رواية أصل الحديث عن أبي وائل - وهو شقيق ابن سلمة - جامع ابن شداد أخرجه المصنف في الصوم ، ووافق شقيقاً على روايته عن حذيفة ربيع بن حراش أخرجه أحمد ومسلم .

قوله (إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أيكم يحفظ ؟) في رواية يحيى القطان عن الأعمش في الصلاة « كنا جلوساً عند عمر فقال : أيكم » والمخاطب بذلك الصحابة ، ففي رواية ربيع عن حذيفة أنه قدم من عند عمر فقال « سألت عمر أمس أصحاب محمد أيكم سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة ؟ قال أنا أحفظ كما قال » في رواية المصنف في الزكاة « أنا أحفظه كما قاله » .

قوله (قال هات إنك لجرىء) في الزكاة « إنك عليه لجرىء » ، فكيف .

قوله (فتنة الرجل في أهله وماله وجاره) زاد في الصلاة « وولده » .

قوله (تكفرها الصلاة والصدقة) زاد في الصلاة « والصوم » قال بعض الشراح : يحتمل أن يكون كل واحدة من الصلاة وما معها مكفرة للمذكورات كلها لا لكل واحدة منها ، وأن يكون من باب اللف والنشر بأن الصلاة مثلاً مكفرة للفتنة في الأهل والصوم في الولد إلخ ، والمراد بالفتنة ما يعرض للإنسان مع من ذكر من البشر ، أو الالتقاء بهم أو أن يأتي لأجلهم بما لا يحل له أو يحل بما يجب عليه . واستشكل ابن أبي جمرة وقوع التكفير بالمذكورات للوقوع في المحرمات والإخلال بالواجب ، لأن الطاعات لا تسقط ذلك ، فإن حمل على الوقوع في المكروه والإخلال بالمستحب لم يناسب إطلاق التكفير ، والجواب إلتزام الأول وأن الممتنع من تكفير الحرام والواجب ما كان كبيرة فهي التي فيها النزاع ، وأما الصغائر فلا نزاع أنها تكفر لقوله تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ الآية ، وقد مضى شيء من البحث في هذا في كتاب الصلاة . وقال الزين بن المنير : الفتنة بالأهل تقع بالميل إليهم أو عليهن في القسمة والإيثار حتى في أولادهن ، ومن جهة التفريط في الحقوق الواجبة لهن ، وبالمال يقع الإشتغال به عن العبادة أو بحبسه عن إخراج حق الله ، والفتنة بالأولاد تقع بالميل الطبيعي إلى الولد وإيثاره على كل أحد ، والفتنة بالجوار تقع بالحسد والمفاخرة والمزاحمة في الحقوق وإهمال التعاقد ، ثم قال : وأسباب الفتنة بمن ذكر غير منحصرة فيما ذكرت من الأمثلة ، وأما تخصيص الصلاة وما ذكر معها بالتكفير دون سائر العبادات ففيه إشارة إلى تعظيم قدرها لا نبي أن غيرها من الحسنات ليس فيها صلاحية التكفير ، ثم إن التكفير المذكور يحتمل أن يقع بنفس فعل الحسنات المذكورة ، ويحتمل أن يقع بالموازنة ، والأول أظهر ، والله أعلم . وقال ابن أبي جمرة : خص الرجل بالذكر لأنه في الغالب صاحب الحكم في داره وأهله ، وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم . ثم أشار إلى أن التكفير لا يختص بالأربع المذكورات ، بل نبه بها على ما عداها ، والضابط أن كل ما يشغل صاحبه عن الله فهو فتنة له ، وكذلك المكفرات لا تختص بما ذكر بل نبه به على ما عداها ، فذكر من عبادة الأفعال الصلاة والصيام . ، ومن عبادة المال الصدقة ، ومن عبادة الأقوال الأمر بالمعروف .

قوله (ولكن الى تموج) أى الفتنة ، وصرح بذلك فى الرواية التى فى الصلاة ، والفتنة بالنصب بتقدير فعل أى أريد الفتنة ، ويحتمل الرفع أى مرادى الفتنة .

قوله (تموج كموج البحر) أى تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه ، وكنى بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة .

قوله (يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها) زاد فى رواية ربيع « تعرض الفتن على القلوب فأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى يصير أبيض مثل الصفاة لا تضره فتنة ، وأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى يصير أسود كالكوز منكوساً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، وحدثه أن بينها وبينه باباً مغلقاً » .

قوله (إن بينك وبينها باباً مغلقاً) أى لا يخرج منها شيء فى حياتك ، قال ابن المنير : أثر حذيفة الحرص على حفظ السر ولم يصرح لعمر بما سأل عنه ، وإنما كنى عنه كناية ، وكأنه كان مأذوناً له فى مثل ذلك . وقال النووى : يحتمل أن يكون حذيفة علم أن عمر يقتل ، ولكنه كره أن يخاطبه بالقتل لأن عمر كان يعلم أنه الباب فأتى بعبارة يحصل بها المقصود بغير تصريح بالقتل انتهى . وفى لفظ طريق ربيع ما يعكر على ذلك على ما سأذكره ، وكأنه مثل الفتن بدار ، ومثل حياة عمر بباب لها مغلق ، ومثل موته بفتح ذلك الباب ، فما دامت حياة عمر موجودة فهى الباب المغلق لا يخرج مما هو داخل تلك الدار شيء فإذا مات فقد انفتح ذلك الباب فخرج ما فى تلك الدار .

قوله (قال يفتح الباب أو يكسر ؟ قال : لا بل يكسر ، قال : ذلك أحرى أن لا يغلق) زاد فى الصيام « ذاك أجدر أن لا يغلق إلى يوم القيامة » ، قال ابن بطال : إنما قال ذلك لأن العادة أن الغلق إنما يقع فى الصحيح ، فأما إذا انكسر فلا يتصور غلقه حتى يجبر انتهى . ويحتمل أن يكون كنى عن الموت بالفتح وعن القتل بالكسر ولهذا قال فى رواية ربيع « فقال عمر كسراً لا أبالك لكن بقية رواية ربيع تدل على ما قدمته ؛ فإن فيه « وحدثه أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت » وإنما قال عمر ذلك اعتماداً على ما عنده من النصوص الصريحة فى وقوع الفتن فى هذه الأمة ووقوع البأس بينهم إلى يوم القيامة ، وسيأتى فى الاعتصام حديث جابر فى قوله تعالى ﴿ أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ الآية ، وقد وافق حذيفة على معنى روايته هذه أبو ذر ، فروى الطبرانى بإسناد رجاله ثقات أنه « لقي عمر فأخذ بيده فغمزها ، فقال له أبو ذر : أرسل يدى يا قفل الفتنة » الحديث . وفيه أن أبا ذر قال « لا يصيبكم فتنة ما دام فيكم » وأشار إلى عمر . وروى البزار من حديث قدامة بن مظعون عن أخيه عثمان أنه قال لعمر يا غلق الفتنة ، فسأله عن ذلك فقال « مررت ونحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هذا غلق الفتنة ، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش » .

قوله (قلنا علم عمر الباب) فى رواية جامع بن شداد « قلنا لمسروق : سله أكان عمر يعلم من الباب فسأله فقال : نعم » فى رواية أحمد عن وكيع عن الأعمش « فقال مسروق لحذيفة : يا أبا عبد الله كان عمر يعلم » .

قوله (كما أن دون غد الليلة) أى أن ليلة غد أقرب إلى اليوم من غد .

قوله (إني حدثته) هو بقية كلام حذيفة ، والأغاليط جمع أغلوطة وهو ما يغالط به ، أى حدثته حديثاً صدقاً محققاً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا عن إجهاد ولا رأى . قال ابن بطال : إنما علم عمر أنه الباب لأنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم على حراء وأبو بكر وعثمان ، فرجف ، فقال : إثبت ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان » أو فهم ذلك من قول حذيفة « بل يكسر » انتهى . والذي يظهر أن عمر علم الباب بالنص كما قدمت عن عثمان بن مظعون وأبي ذر ، فلعل حذيفة حضر ذلك ، وقد تقدم في بدء الخلق حديث عمر أنه سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وسيأتي في هذا الباب حديث حذيفة أنه قال « أنا أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة » وفيه أنه سمع ذلك معه من النبي صلى الله عليه وسلم جماعة ماتوا قبله ، فإن قيل إذا كان عمر عارفاً بذلك فلم شك فيه حتى سأل عنه ؟ فالجواب أن ذلك يقع مثله عند شدة الخوف ، أو لعله خشي أن يكون نسي فسأل من يذكره ، وهذا هو المعتمد .

قوله (فهبنا) بكسر الهاء أى خفنا ، ودل ذلك على حسن تأديبهم مع كبارهم .

قوله (وأمرنا مسروقاً) هو ابن الأجدع من كبار التابعين ، وكان من أخصاء أصحاب ابن مسعود وحذيفة وغيرهما من كبار الصحابة .

قوله (فسأله فقال : من الباب ؟ قال : عمر) قال الكرمانى : تقدم قوله « إن بين الفتنة وبين عمر باباً فكيف يفسر الباب بعد ذلك أنه عمر ؟ والجواب أن في الأول تجوزا والمراد بين الفتنة وبين حياة عمر ، أو بين نفس عمر وبين الفتنة بدنه ، لأن البدن غير النفس .

(تبيينه) : غالب الأحاديث المذكورة في هذا الباب من حديث حذيفة وهلم جرأ يتعلق بإخباره صلى الله عليه وسلم عن الأمور الآتية بعده ف وقعت على وفق ما أخبر به ، واليسير منها وقع في زمانه ، وليس في جميعها ما يخرج عن ذلك إلا حديث البراء في نزول السكينة ، وحديثه عن أبي بكر في قصة سراقه ، وحديث أنس في الذي إرتد فلم تقبله الأرض . الحديث الرابع عشر حديث أبي هريرة وهو يشتمل على أربعة أحاديث : أحدها قتال الترك ، وقد أتى رده من وجهين آخرين عن أبي هريرة كما سأتكلم عليه ، ثانيها حديث « تجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الشأن » وقد تقدم شرحه في أول المناقب ، وقوله في هذا الموضع « وتجدون أشد الناس كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه » كذا وقع عند أبي ذر مختصراً إلا في روايته عن المستملى فأورده بتمامه وبه يتم المعنى . ثالثها حديث « الناس معادن » وقد تقدم شرحه في المناقب أيضاً . رابعها حديث « يأتين على أحدكم زمان لأن يرانى أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله » قال عياض : وقد وقع للجميع « يأتين على أحدكم » لكن وقع لأبي زيد المروزى في عرضة بغداد « أحدهم فاهما ، والصواب بالكاف ، كذا أخرجه مسلم انتهى . والأحاديث الأربعة تدخل في علامات النبوة لإخباره فيها عما لا يقع فوقه كما قال ، لا سيما الحديث الأخير فإن كل أحد من الصحابة بعد موته صلى الله عليه وسلم كان يود لو كان رآه وفقد مثل أهله

وماله ، وإنما قلت ذلك لأن كل أحد ممن بعدهم إلى زماننا هذا يتمنى مثل ذلك كيف بهم مع عظيم منزلته عندهم ومحبتهم فيه . الحديث الخامس عشر حديث أبي هريرة أورده من طرق .

قوله (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً) هو بضم الخاء المعجمة وسكون الواو بعدها زاي : قوم من العجم . وقال أحمد : وهم عبد الرزاق فقال بالجمع بدل الخاء المعجمة . وقوله « وكرمان » هو بكسر الكاف على المشهور . ويقال بفتحها وهو ما صححه ابن السمعاني ، ثم قال : لكن اشتهر بالكسر . وقال الكرمانى : نحن أعلم ببلدنا . قلت : جزم بالفتح ابن الجواليقي وقبله أبو عبيد البكري ، وجزم بالكسر الأصيلي وعبدوس وتبع ابن السمعاني ياقوت والصفائى ، لكن نسب الكسر للعامة ، روى النوى الوجهين والراء ساكنة على كل حال وتقدم فى الرواية التى قبلها « تقاتلون الترك » واستشكل لأن خوزاً وكرمان ليسا من بلاد الترك ، أما خوز فن بلاد الأهواز وهى من عراق العجم . وقيل الخوز صنف من الأعاجم ، وأما كرمان فبلدة مشهورة من بلاد العجم أيضاً بن خراسان وبحر الهند ، رواه بعضهم « خور كرمان » براء مهملة وبالإضافة والإشكال باق ، ويمكن أن يجاب بأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك ، ويجتمع منهما الإنذار بخروج الطائفتين ، وقد تقدم من الإشارة إلى شىء من ذلك فى الجهاد ، ووقع فى رواية مسلم من طريق سهيل عن أبيه عن أبي هريرة « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قوماً كأن وجوههم المحجان المطرقة ، يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر » .

قوله (حمر الوجوه فطس الأنوف) الفطس الانفراش ، وفى الرواية ، التى قبلها « دلف الأنوف » جمع أدلفة بالمهملة والمعجمة وهو الأشهر ، قيل معناه الصغر ، وقيل الدلف الاستواء فى طرف الأنف ليس بحد غليظ ، وقيل تشمير الأنف عن الشفة العليا ، ودلف بسكون اللام جمع أدلف مثل مثل حمر وأحمر ، وقيل الدلف غلظ فى الأرنية وقبل تطامن فيها ، وقيل لارتفاع طرفه مع صغر أرنبته ، وقيل قصره مع انبطاحه ، وقد تقدم بقية القول فيه فى أثناء الجهاد .

قوله (وجوههم المحجان المطرقة) فى الرواية الماضية « كأن وجوههم المحجان المطرقة » وقد تقدم ضبطه فى أثناء الجهاد فى « باب قتال الترك » قيل إن بلادهم ما بين مشارق خراسان إلى مغارب الصين وشمال الهند إلى أقصى المعمور ، قال البيضاوى : شبه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها .

قوله (نعالهم الشعر) تقدم القول فيه فى أثناء الجهاد فى « باب قتال الترك » قيل المراد به طول شعورهم حتى تصير أطرافها فى أرجلهم موضع النعال ، وقيل المراد أن نعالهم من الشعر بأن يجعلوا نعالهم من شعر مضفور ، وقد تقدم التصريح بشىء من ذلك فى « باب قتال الترك » من كتاب الجهاد . ووقع فى رواية لمسلم كما تقدم من طريق سهيل عن أبيه عن أبي هريرة « يلبسون الشعر » وزعم ابن دحية أن المراد به القندس الذى يلبسونه فى الشرايش ، قال وهو جاد كلب الماء .

قوله (تابعه غيره عن عبد الرزاق) كذا فى الأصول التى وقفت عليها وكذا ذكره المزى فى « الأطراف » ووقع فى بعض النسخ « تابعه عبدة » وهو تصحيف . وقد أخرجه الإمامان أحمد وإسحق فى

مسنديهما عن عبد الرزاق ، وجعله أحمد حديثين فصل آخره فقال « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا أقواماً نعالهم الشعر » .

قوله في الرواية الأخرى (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة ، وإسماعيل هو ابن أبي خالد ، وقيس هو ابن أبي حازم .

قوله (أتينا أبا هريرة) في رواية أحمد عن سفيان عن إسماعيل عن قيس قال « نزل علينا أبو هريرة بالكوفة وكان بينه وبين مولانا قرابة قال سفيان : وهم — أي آل قيس بن أبي حازم — موالى لأحمس ، فاجتمعت أحمس ، قال قيس : فأتيناه نسلم عليه فقال له أبي : يا أبا هريرة هؤلاء أنسابك أتوك ليسلموا عليك وتحديثهم ، قال مرحباً بهم وأهلاً صحبت » فذكره .

قوله (ثلاث سنين) كذا وقع وفيه شيء ، لأنه قدم في خير سنة سبع وكانت خير في صفر ومات النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول سنة إحدى عشرة فتكون المدة أربع سنين وزيادة ، وبذلك جزم حميد بن عبد الرحمن الحميري قال « صحبت رجلاً صحب النبي صلى الله عليه وسلم أربع سنين كما صحبه أبو هريرة » أخرجه أحمد وغيره ، فكان أبا هريرة اعتبر المدة التي لزم فيها النبي صلى الله عليه وسلم الملازمة الشديدة وذلك بعد قدومه من خير أو لم يعتبر الأوقات التي وقع فيها سفر صلى الله عليه وسلم من غزوه وحجه وعمره ، لأن ملازمته له فيها لم تكن كملازمته له في المدينة ، أو المدة المذكورة بقيد الصفة التي ذكرها من الحرص ، وما عداها لم يكن وقع له فيها الحرص المذكور ، أو وقع له لكن كان حرصه فيها أقوى والله أعلم .

قوله (لم أكن في سني) بكسر المهملة والنون وتشديد التحتانية على الإضافة أي في سني عمرى ووقع في رواية الكشمي « في شيء » بفتح المعجمة وسكون التحتانية بعدها همزة واحد الأشياء ، وقوله « أحرص مني » هو أفعل تفضيل والمفضل عليه هو أبو هريرة ، لكن بإعتبارين ، فالأفضل المدة التي هي ثلاث سنين والمفضل بقية عمره ، ووقع في رواية أحمد عن يحيى القطان عن إسماعيل بلفظ « ما كنت أعقل مني فيهن ولا أحب أن أعى ما يقول منها » .

قوله (وهو هذا البارز) وقال سفيان مرة وهم أهل البارز) وقع ضبط الأولى بفتح الراء بعدها زاي وفي الثانية بتقديم الزاي على الراء والمعروف الأول ، ووقع عند ابن السكن وعبدوس بكسر الزاي وتقديمها على الراء وبه جزم الأصيلي وابن السكن ، ومنهم من ضبطه بكسر الراء ، قال القابسي معناه البارزين لقتال أهل الإسلام ، أي الظاهرين في براز من الأرض كما جاء في وصف على أنه بارز وظاهر ، ويقال معناه أن القوم الذين يقاتلون ، تقول العرب هذا البارز إذا أشارت إلى شيء ضار ، وقال ابن كثير : قول سفيان المشهور في الرواية تقديم الراء على الزاي وعكسه تصحيف كأنه اشتبه على الراوى من البارز وهو السوق بلغتهم ، وقد أخرجه إسماعيلي من طريق مروان بن معاوية وغيره عن إسماعيل وقال فيه أيضاً « وهم هذا البارز » وأخرجه أبو نعيم من طريق إبراهيم بن بشار عن سفيان وقال في آخره « قال أبو هريرة

وهم هذا البارز يعني الأكراد « وقال غيره : البارز الديلم لأن كلا منهما يسكنون في براز من الأرض أو الجبال وهي بارزة عن وجه الأرض ، وقيل هي أرض فارس لأن منهم من يجعل الفاء موحدة والزاي سيناً وقيل غير ذلك ، رقال ابن الأثير : ذكره أبو موسى في الباء والزاي ، وقيل البارز ناحية قريبة من كرمان بها جبال فيها أكراد فكأنهم سموها باسم بلادهم ، أو هو على حذف أهل ، والذي في البخاري بتقديم الراء على الزاي وهم أهل فارس ، فكأنه أبدل السين زايأى والفاء باء ، وقد ظهر مصداق هذا الخبر ، وقد كان مشهوراً في زمن الصحابة حديث « اتركوا الترك ما تركوكم » فروى الطبراني من حديث معاوية قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله » وروى أبو يعلى من وجه آخر عن معاوية بن خديج قال « كنت عند معاوية فأثاه كتاب عامله أنه وقع بالترك وهزمهم ، فغضب من ذلك ثم كتب إليه لا تقاتلهم حتى يأتبك أمرى ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الترك تجلى العرب حتى تلاحقها بمنابت الشيخ ، قال : فأنا أكره قتالهم لذلك » وقاتل المسلمون الترك في خلافة بني أمية ، وكان ما بينهم وبين المسلمين مسوداً إلى أن فتح ذلك شيئاً بعد شيء وكثر السبي منهم وتنافس الملوك فيهم لما فيهم من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم ، ثم غلب الأتراك على الملك فقتلوا ابنه المتوكل ثم أولاده واحداً بعد واحد إلى أن خالط المماكة الديلم ، ثم كان الملوك السامانية من الترك أيضاً فملكوا بلاد العجم ، ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين ثم آل سلجوق وإمتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم ، ثم كان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكي وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب ، واستكثر هؤلاء أيضاً من الترك فغلبوهم على المملكة بالديار المصرية والشامية والحجازية ، وخرج على آل سلجوق في المائة الخامسة الغز فحربوا البلاد وفتكوا في العباد ، ثم جاءت الطامة الكبرى بالططر فكان خروج جنكيزخان بعد الستمائة فأسعرت بهم الدنيا ناراً خصوصاً المشرق بأسره حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم ، ثم كان خراب بغداد وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم في سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم لم تزل بقاياهم يخربون إلى أن كان آخرهم اللنك ومعناه الأعرج واسمه تمر بفتح المثناة وضم الميم وربما أشبعت ، فطرق الديار الشامية وعاث فيها ، وحرقت دمشق حتى صارت خاوية على عروشها ، ودخل الروم والهند وما بين ذلك ، وطالت مدته إلى أن أخذه الله وتفرق بنوه البلاد ، وظهر بجميع ما أوردته مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « إن بني قنطوراً أول من سلب أمتي ملكهم » وهو حديث أخرجه الطبراني من حديث معاوية ، والمراد ببني قنطوراً الترك ، وقنطوراً قيده ابن الجواليقي في المعرب بالمد وفي كتاب البارح بالقصر ، قيل كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه السلام فولدت له أولاداً فانتشر منهم الترك حكاه ابن الأثير واستبعده ، وأما شيخنا في القاموس فجزم به ، وحكى قولاً آخر أن المراد بهم السودان ، وقد تقدم في « باب قتال الترك » من الجهاد بقية ذلك ، وكأنه يريد بقوله « أمتي » أمة النسب لا أمة الدعوة يعني العرب والله أعلم . الحديث السادس عشر حديث عمرو ابن تغلب في معنى حديث أبي هريرة ، وهو شاهد قوى ، وقد تقدم شرحه بما فيه غنية ، وتقدم ضبطه في أثناء كتاب الجهاد . الحديث السابع عشر حديث ابن عمر « تقاتلكم اليهود » الحديث تقدم من وجه آخر في الجهاد في « باب قتال اليهود » .

قوله (تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم) في رواية أحمد من طريق أخرى عن سالم عن أبيه « ينزل الدجال هذه السبعة - أي خارج المدينة - ثم يسلط الله عليه المسلمين فيقتلون شيعته ، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة والحجر فيقول الحجر والشجرة للمسلم : هذا يهودي فاقتله » وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى ، وكما وقع صريحاً في حديث أبي أمامة في قصة خروج الدجال ونزول عيسى وفيه « وراء الدجال سبعون ألف يهودي كلهم ذر سيف محلي . فيدركه عيسى عند باب لد فيقتله وينهزم اليهود ، فلا يبقى شيء مما يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء فقال : يا عبد الله للمسلم - هذا يهودي فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنها من شجرهم » أخرجه ابن ماجه مطولاً وأصله عند أبي داود ، ونحوه في حديث سمرة عند أحمد بإسناد حسن ، وأخرجه ابن منده في كتاب الإيمان من حديث حذيفة بإسناد صحيح . وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجهاد من شجرة وحجر ، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة . وبمحمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الإختباء والأول أولى . وفيه أن الإسلام يبنى إلى يوم القيامة . وفي قوله صلى الله عليه وسلم « تقاتلكم اليهود » جواز مخاطبة الشخص والمراد من هو منه بسبيل ، لأن الخطاب كان للصحابة والمراد من يأتي بعدهم بدهر طويل ، لكن لما كانوا مشتركين معهم في أصل الإيمان ناسب أن يخاطبوا بذلك .

[٣٥٩٤] ٣٤٧٠ - ناقتيبة قال نا سفيان عن عمرو عن جابر عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه قال : « يأتي على الناس زمان يغزون ، فيقال : فيكم من صحب الرسول ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح عليهم . ثم يغزون ، فيقال لهم : هل فيكم من صحب من صحب الرسول ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم . »

[٣٥٩٥] ٣٤٧١ - نا محمد بن الحكم قال أنا النضر قال أنا إسرائيل قال أنا سعد الطائي قال أنا محل بن خليفة عن عدي بن حاتم قال : بينا أنا عند النبي صلى الله عليه إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال : « يا عدي ، هل رأيت الحيرة ؟ » قلت : لم أرها ، وقد أنبت عنها . قال : « فإن طالت بك حياة ليرين الطعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله » - قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دُعَارُ طيء الذين قد سعروا البلاد ؟ - « ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى » . قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : « كسرى بن هرمز . ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه . وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولن له : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى . فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول :

بلى . فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم . قال عدي سمعتُ النبي صلى الله عليه يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمره ، فمن لم يجد شقة تمره فبكلمة طيبة » . قال عدي : فرأيتُ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنتُ فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه : « يخرج ملء كفه » .

٣٤٧٢- نا عبد الله بن محمد قال نا أبو عاصم قال نا سعدان بن بشر قال نا أبو مجاهد قال محل ابن خليفة قال سمعتُ عدياً : كنتُ عند النبي صلى الله عليه .

٣٤٧٣- نا سعيد بن شرحبيل قال نا ليث عن يزيد عن أبي الخير عن عتبة عن النبي صلى الله عليه خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلّاته على الميت ، ثمّ انصرف إلى المنبر فقال : « إني فرطكم ، وأنا شهيد عليكم . إني والله لأنظر إلى حوضي ، ألا وإني قد أعطيتُ خزائن مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف بعدي أن تُشركوا ، ولكن أخاف أن تنافسوا فيها » . [٣٥٩٦]

٣٤٧٤- نا أبو نعيم قال نا ابن عينة عن الزهري عن عروة عن أسامة قال : أشرف النبي صلى الله عليه على أطم من الآطام فقال : « هل ترون ما أرى ؟ إني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر » . [٣٥٩٧]

٣٤٧٥- نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته أن أم حبيبة بنت أبي سفيان حدثتها عن زينب بنت جحش أن النبي صلى الله عليه دخل عليها فرعاً يقول : « لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرّ قد اقترب : فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » . وحلق بإصبعه وبألتى تليها . فقالت زينب : فقلت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم ، إذا كثر الخبث » . [٣٥٩٨]

٣٤٧٦- وعن الزهري قال حدثني هند بنت الحارث أن أم سلمة قالت : استيقظ النبي صلى الله عليه فقال : « سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن » . [٣٥٩٩]

٣٤٧٧- نا أبو نعيم قال نا عبد العزيز بن أبي سلمة بن الماجشون عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد قال : قال لي : إني أراك تحب الغنم وتتخذها ، فأصلحها وأصلح رعاها ، فإني سمعتُ النبي صلى الله عليه يقول : « يأتي على الناس زمان تكون الغنم فيه خير » . [٣٦٠٠]

مال المسلم يتبع بها شعف الجبال - أو سعف الجبال - في مواقع القطر، يفرّ بدينه من الفتن».

[٣٦٠١] ٣٤٧٨- نا عبد العزيز الأوسي قال نا إبراهيم عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن

ابن المسيّب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به».

[الحديث ٣٦٠١ - طرفاه في: ٧٠٨١، ٧٠٨٢].

[٣٦٠٢] ٣٤٧٩- وعن ابن شهاب قال ني أبوبكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن عبد الرحمن بن مطيع

ابن الأسود عن نوفل بن معاوية مثل حديث أبي هريرة هذا، إلا أن أبابكر يزيد: «من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله».

[٣٦٠٣] ٣٤٨٠- نا محمد بن كثير قال أنا سفيان عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود

عن النبي صلى الله عليه قال: «ستكون أثرّة وأمر تنكرونها». قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «تؤدّون الحق الذي عليكم، وتساءلون الله الذي لكم».

[الحديث ٣٦٠٣ - طرفه في: ٧٠٥٢].

[٣٦٠٤] ٣٤٨١- نا محمد بن عبد الرحيم قال نا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم قال نا أبو أسامة

قال نا شعبة عن أبي التياح عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «يهلك الناس هذا الحي من قريش». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «لو أن الناس اعتزلوهم».

وقال محمود نا أبوداود قال أنا شعبة عن أبي التياح سمعت أبا زرعة.

[الحديث ٣٦٠٤ - طرفاه في: ٣٦٠٥، ٧٠٥٨].

[٣٦٠٥] ٣٤٨٢- نا أحمد بن محمد المكي قال نا عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جدّه قال:

كنت مع مروان وأبي هريرة فسمعت أبا هريرة يقول: سمعت الصادق المصدق يقول: «هلاك أمتي على يدي غلّة من قريش». فقال مروان: غلّة؟ قال أبو هريرة: إن شئت أن أسميهم، بني فلان وبني فلان.

الحديث الثامن عشر حديث أبي سعيد «يأتى على الناس زمان يغزون فيه» الحديث يأتى فى أول

مناقب الصحابة بآتم من هذا السياق، وقد تقدم فى «باب من استعان بالضعفاء» من كتاب الجهاد. الحديث التاسع عشر حديث عدى بن حاتم أورده من وجهين.

قوله (أنه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أنه آخر) لم أقف على اسم أحد منهما .

قوله (الظعينة) بالمعجمة : المرأة في الهودج ، وهو في الأصل اسم للهودج .

قوله (الحيرة) بكسر المهملة وسكون التحتانية وفتح الراء كانت بلد ملوك العرب الذين تحت حكم آل فارس ، وكان ماكنهم يومئذ إياس بن قبيصة الطائي وليها من تحت يد كسرى بعد قتل النعمان بن المنذر ، ولهذا قال عدى بن حاتم « فأين دعار طيء » ؟ ووقع في رواية لأحمد من طريق الشعبي عند عدى ابن حاتم « قلت يا رسول الله فأين مقاتب طيء ورجالها ومقاتب بالقاف جمع مقتب وهو العسكر ويطلق على الفرسان .

قوله (حتى تطوف بالكعبة) زاد أحمد من طريق أخرى عن عدى « في غير جواز أحد » .

قوله (فأين دعار طيء) الدعار جمع داعر وهو بمهملتين وهو الشاطر الخبيث المفسد ، وأصله عود داعر إذا كان كثير الدخان قال الجواليقي : والعامية تقوله بالذال المعجمة فكأنهم ذهبوا به إلى معنى الفزع والمعروف الأول والمراد قطاع الطريق . وطيء قبيلة مشهورة ، منها عدى بن حاتم المذكور ، وبلادهم ما بين العراق والحجاز ، وكانوا يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جواز ، ولذلك تعجب عدى كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة .

قوله (قد سعروا البلاد) أى أوقدوا نار الفتنة ، أى ملؤا الأرض شراً وفساداً ، وهو مستعار من استعار النار وهو توقدها .

قوله (كنوز كسرى) وهو علم على من ملك الفرس ، لكن كانت المقالة في زمن كسرى بن هرمز ولذلك إستفهم عدى بن حاتم عنه ، وإنما قال ذلك لعظمة كسرى في نفسه إذ ذاك .

قوله (فلا يجد أحداً يقبله منه) أى لعدم الفقراء في ذلك الزمان ، تقدم في الزكاة قول من قال إن ذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، وبمحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما وقع في زمن عمر ابن عبد العزيز وبذلك جزم البيهقي وأخرج في « الدلائل » من طريق يعقوب بن سفيان بسنده إلى عمر بن أسيد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال « إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهراً ، ألا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيه فلا يجده ، قد أغنى عمر الناس » قال البيهقي : فيه تصديق ما روينا في حديث عدى بن حاتم انتهى . ولا شك في رجحان هذا الاحتمال على الأول لقوله في الحديث « ولئن طالت بك حياة » .

قوله (بشق تمر) بكسر المعجمة أى نصفها ، وفي رواية المستمل « بشقة تمر » وكذا اختلفوا في قوله بعده « فن يجد شق تمر » قال المستمل « شقة » وقد تقدم الكلام على ذلك في كتاب الزكاة .

قوله (ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم) هو مقول عدى بن حاتم ، وقوله « يخرج ملء كفه - أى من المال - فلا يجد من يقبله » رواية أحمد المذكورة « والذي نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قالها » وقد وقع ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وآمن

به عدی ، وقد تقدم في أواخر كتاب الحج من استدلل به على جواز سفر المرأة وحدها في الحج الواجب والبحث في ذلك وتوجيه الاستدلال به بما أغنى عن إعادته هنا ، وبالله التوفيق .

قوله (حدثنا سعدان بن بشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة يقال اسمه سعيد وسعدان لقبه ، وليس له في البخاري ولا لشيخه ولا لشيخه غير هذا الحديث الواحد .

قوله (حدثنا أبو مجاهد) هو سعد الطائي المذكور في الإسناد الذي قبله ، ومحل بن خليفة في الإسنادين هو بضم الميم وكسر المعجمة بعدها لام ، وقد قيل فيه بفتح المهملة ، وتقدم سياق متن هذا الحديث في كتاب الزكاة وهو أخصر من سياق الذي قبله ، وإطلاق المصنف قد يرهم أنهما سواء والله أعلم . الحديث العشرون حديث عقبة وهو ابن عامر الجهني .

قوله (عن يزيد) هو ابن أبي حبيب ، وأبو الخير هو مرثد بن عبد الله ، والإسناد كله بصريون .

قوله (عن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً) هذا مما حذف فيه لفظ « إنه » وهي تحذف كثيراً من الخط ولا بد من النطق بها وقل من نبه على ذلك ، فقد نهوا على حذف « قال » خطأ ، وقال ابن الصلاح لا بد من النطق بها ، وفيه بحث ذكرته في النكت ، ووقع هنا لغير أبي ذر بلفظ « أن » بدل « عن » .

قوله (فصل على أهل أحد) تقدم الكلام عليه مستوفى في الجنايز ، وقوله « ألا وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن إلخ » هو موافق لحديث أبي هريرة والكلام عليه مستغن عن إعادته ، ووقع هنا لأبي ذر عن المستملى والسرخسي « خزائن مفاتيح » على القلب ، وقد تقدم في الجنايز والمغازي بلفظ « مفاتيح خزائن » وكذا عند مسلم والنسائي .

قوله (ولكن أخاف أن تنافسوا فيها) فيه إنذار بما سيقع فوق كما قال صلى الله عليه وسلم ، وقد فتحت عليهم الفتوح بعده وآل الأمر إلى أن تحاسدوا وتقاتلوا ووقع ما هو المشاهد المحسوس لكل أحد مما يشهد بمصداق خبره صلى الله عليه وسلم ، ووقع من ذلك في هذا الحديث إخباره بأنه فرطهم أي سابقهم وكان كذلك ، وأن أصحابه لا يشركون بعده فكان كذلك ، ووقع ما أنذر به من التنافس في الدنيا ، وتقدم في معنى ذلك حديث عمرو بن عوف مرفوعاً « ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم » وحديث أبي سعيد في معناه فوق كما أخبر وفتحت عليهم الفتوح الكثيرة وصبت عليهم الدنيا صبا ، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الرقاق . الحديث الحادي والعشرون حديث أسامة بن زيد ، وقد تقدم شرح بعضه في أواخر الحج ، ويأتي الكلام عليه في الفتن إن شاء الله تعالى . الحديث الثاني والعشرون حديث زينب بنت جحش « ويل للعرب من شر قد اقترب » وسيأتي شرحه مستوفى في آخر كتاب الفتن إن شاء الله تعالى . الحديث الثالث والعشرون حديث أم سلمة قالت « استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سبحان الله ، ماذا أنزل من الخزائن » أورده مختصراً ، وسيأتي بتمامه في كتاب الفتن مع شرحه إن شاء الله تعالى . وقوله فيه « وعن الزهري » هو معطوف على إسناد حديث زينب بنت جحش وهو « أبو اليان عن شعيب عن الزهري » وهم من زعم أنه معلق ، فإنه أورده بتمامه في الفتن عن أبي اليان

بهذا الإسناد . الحديث الرابع والعشرون حديث أبي سعيد « يأتى على الناس زمان تكون الغنم فيه خير مال المسلم » الحديث . وسيأتى الكلام عليه فى الفتن إن شاء الله تعالى . وقوله فى الإسناد « عن عبد الرحمن بن أبى صعصعة » هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبى صعصعة ، نسب إلى جده الأعلى ، وروايته لهذا الحديث عن أبيه عبد الله لا عن أبى صعصعة ولا غيره من آبائه ، وقد تقدم إيضاح ذلك فى كتاب الإيمان ، وقوله فى هذه الرواية « شعف الجبال أو سعف الجبال » بالعين المهملة فيهما وبالشين المعجمة فى الأولى أو المهملة فى الثانية ، والتى بالشين المعجمة معناها رءوس الجبال ، والتى بالمهملة معناها جريد النخل ، وقد أشار صاحب المطالع إلى توهمها ، لكن يمكن تخريجها على إرادة تشبيه أعلى الجبل بأعلى النخلة وجريد النخل يكون غالباً أعلى ما فى النخلة لكونها قائمة ، والله أعلم . الحديث الخامس والعشرون حديث أبى هريرة « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم » الحديث ، وسيأتى الكلام عليه فى كتاب الفتن . الحديث السادس والعشرون حديث نوفل بن معاوية قال مثل حديث أبى هريرة ، وسيأتى شرح المتن فى الفتن ، وقوله « وعن الزهرى » هو بإسناد حديث أبى هريرة إلى الزهرى ، ووهم من زعم أنه معلق ، وقد أخرجه مسلم بالإسنادين معا من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى ، وقوله « إلا أن أبا بكر » يعنى ابن عبد الرحمن شيخ الزهرى وقوله « يزيد من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله » . يحتمل أن يكون أبو بكر زاد هذا مرسلًا ، ويحتمل أن يكون زاده بالإسناد المذكور عن عبد الرحمن بن مطيع بن الأسود عن نوفل بن معاوية ، وعبد الرحمن هذا هو أخو عبد الله بن مطيع الذى ولى الكوفة ، وهو مذكور فى الصحابة ، وأما عبد الرحمن فتابعى على الصحيح ، وقد ذكره ابن حبان وابن منده فى الصحابة ، وليس له فى البخارى غير هذا الحديث ، وشيخه نوفل بن معاوية صحابى قليل الحديث من مسلمة الفتح ، عاش إلى خلافة يزيد بن معاوية ، ويقال إنه جاوز المائة ، وليس له فى البخارى أيضاً غير هذا الحديث ، وهو خال عبد الرحمن بن مطيع الراوى عنه . قال الزبير بن بكار : اسم أمه كلثوم ، والمراد بالصلاة المذكورة صلاة العصر ، كذا أخرجه النسائى مفسراً من طريق يزيد بن أبى حبيب « عن عراك بن مالك عن نوفل بن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من الصلاة صلاة » فذكر مثل لفظ أبى بكر بن عبد الرحمن وزاد « قال فقال ابن عمر : سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول هى صلاة العصر » وقد تقدم فى الصلاة فى المواقيت حديث بريدة فى ذلك مشروحاً وهو شاهد لصحة قول ابن عمر هذا والله أعلم .

(تنبيه) : ذكر البخارى هذه الزيادة هنا إستطراداً لوقوعها فى الحديث الذى أراد إيراده فى هذا الباب ، والله أعلم . الحديث السابع والعشرون حديث ابن مسعود « ستكون أثرة » يأتى الكلام عليه أيضاً فى الفتن إن شاء الله تعالى . الحديث الثامن والعشرون حديث أبى هريرة فى قریش ، وسيأتى أيضاً فى الفتن : وقوله هنا فى الطريق الأولى « قال محمود حدثنا أبو داود » أراد بذلك تصريح أبى التياح بسماعه له من أبى زرعة بن عمرو ، وأبو داود هذا هو الطيالسى ، ولم يخرج له المصنف إلا إستشهاداً ، ومحمود هذا هو ابن غيلان أحد مشايخه المشهورين ، وقد نزل المصنف فى الإسناد الأول درجة بالنسبة إلى أبى أسامة ، لأنه سمع من الجمع الكثير من أصحابه حتى من شيخ شيخه فى هذا الحديث وهو أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم الهذلى ،

وقد أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة والإسماعيلي من رواية أبي بكر وعثمان بن أبي أسامة وهما ممن أكثر عنهما البخاري ، وكأنه فاته عنهما . ونزل فيه أيضاً بالنسبة لرواية شعبة درجتين لأنه سمع من جماعة من أصحابه ، وهو من غرائب حديث شعبة . وقوله في الطريق الثانية « فقال مروان : غلطة » قال الكرمانى تعجب مروان من وقوع ذلك من غلطة ، فأجابه أبو هريرة « إن شئت صرحت بأسمائهم » انتهى ، وكأنه غفل عن الطريق المذكورة في الفتن فإنها ظاهرة في أن مروان لم يوردها مورد التعجب ، فإن لفظه هناك « فقال مروان لعنة الله عليهم غلطة » فظهر أن في هذا الطريق اختصاراً ، ويحتمل أن يتعجب من فعلهم ويلعنهم مع ذلك ، والله أعلم .

[٣٦٠٦]

٣٤٨٣ - نا يحيى بن موسى قال نا الوليد قال ني ابن جابر قال ني بسر بن عبيد الله الحضرمي قال ني أبو إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « نعم ، وفيه دخن » . قلت : وما دخنه ؟ قال : « قوم يهدون بغير هدي ، تعرف منهم وتنكر » . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها » . قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا . فقال : « هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » .

[الحديث ٣٦٠٦ - طرفاه في : ٣٦٠٧ ، ٧٠٨٤] .

[٣٦٠٧]

٣٤٨٤ - نا محمد بن المشي قال نا يحيى بن سعيد عن إسماعيل قال ني قيس عن حذيفة قال : تعلم أصحابي الخير ، وتعلمت الشر .

[٣٦٠٨]

٣٤٨٥ - نا الحكم بن نافع قال أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان دعواهما واحدة » .

[٣٦٠٩]

٣٤٨٦ - نا عبد الله بن محمد قال نا عبد الرزاق قال أنا معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان فتكون بينهما مقتلة عظيمة ،

دعواهما واحدة. ولا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله.

الحديث التاسع والعشرون حديث حذيفة « كان الناس يسألون عن الخير » يأتي في الفتن مع شرحه مستوفى إن شاء الله تعالى . وقوله في الطريق الأخرى « تعلم أصحابي الخير وتعلمت الشر » هو طرف من الطريق الآخر وهو بمعناه ، وقد أخرجه الإسماعيلي من هذا الوجه باللفظ الأول إلا أنه قال « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » بدل قوله « كان الناس » . الحديث الثلاثون حديث أبي هريرة « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان » الحديث ، أورده من طريقين ، وفي الثانية ذكر الدجالين ، وهو حديث آخر مستقل من « صحيفة همام » ، وقد أفرده أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم ، وقوله « فئتان » بكسر الفاء بعدها همزة مفتوحة تثنية فئة أى جماعة ، ووصفها في الرواية الأخرى بالعظم أى بالكثرة ، والمراد بهما من كان مع على ومعاوية لما تحاربا بصفين ، وقوله « دعواهما واحدة » أى دينهما واحد لأن كلا منهما كان يتسمى بالإسلام ، أو المراد أن كلا منهما كان يدعى أنه الحق ، وذلك أن علياً كان إذ ذاك إمام المسلمين وأفضلهم يومئذ باتفاق أهل السنة ، ولأن أهل الحل والعقد بايعوه بعد قتل عثمان ، وتخلف عن بيعته معاوية في أهل الشام ، ثم خرج طلحة والزبير ومعهما عائشة إلى العراق فدعوا الناس إلى طلب قتلة عثمان لأن الكثير منهم انضموا إلى عسكر على ، فخرج على إليهم فراسلوه في ذلك فأبى أن يدفعهم إليهم إلا بعد قيام دعوى من ولى الدم وثبوت ذلك على من باشره بنفسه ، وكان بينهم ما سيأتى بسطه في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى . ورحل على بالعساكر طالباً الشام ، داعياً لهم إلى الدخول في طاعته ، مجيباً لهم عن شبههم في قتلة عثمان بما تقدم ، فرحل معاوية بأهل الشام فالتقوا بصفين بين الشام والعراق فكانت بينهم مقتلة عظيمة كما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، وآل الأمر بمعاوية ومن معه عند ظهور على عليهم إلى طلب التحكيم ، ثم رجع على إلى العراق ، فخرجت عليه الحرورية فقتلهم بالنهروان ومات بعد ذلك ، وخرج ابنه الحسن بن على بعده بالعساكر لقتال أهل الشام وخرج إليه معاوية فوقع بينهم الصلح كما أخبر به صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بكره الآتى في الفتن « إن الله يصلح به بين فئتين من المسلمين » وسيأتى بسط جميع ذلك هناك إن شاء الله تعالى . الحديث الحادى والعشرون حديث أبي هريرة المذكور .

قوله (حتى يبعث) بضم أوله أى يخرج ، وليس المراد بالبعث معنى الإرسال المقارن للنبوة بل هو كقوله تعالى ﴿ إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ﴾ .

قوله (دجالون كذابون) الدجل التغطية والتمويه ، ويطلق على الكذب أيضاً ، فعلى هذا « كذابون » تأكيد . وقوله « قريباً من ثلاثين » كذا وقع بالنصب وهو على الحال من النكرة الموصوفة ، ووقع في رواية أحمد « قريب » بالرفع على الصفة ، وقد أخرج مسلم من حديث جابر بن سمرة الجزم بالعدد المذكور بلفظ « إن بين يدى الساعة ثلاثين كذاباً دجالاً كلهم يزعم أنه نبي » وروى أبو يعلى بإسناد حسن عن عبد الله بن الزبير تسمية بعض الكذابين المذكورين بلفظ « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً منهم مسيلمة والعنسي

والمختار . قلت : وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج مسيلمة باليمامة ، والأسود العنسي باليمن ، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمه ، وسجاح التميمية في بني تميم ، وفيها يقول شبيب بن ربعي وكان مؤديها :

أضحت نيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وقتل الأسود قبل أن يموت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر ، وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر ، ونقل أن سجاح أيضاً تابت ، وأخبار هؤلاء مشهورة عند الأخباريين . ثم كان أول من خرج منهم المختار بن أبي عبيد الثقفي غلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير فأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فتبعهم فقتل كثيراً ممن باشر ذلك أو أعان عليه فأحبه الناس ، ثم إنه زين له الشيطان أن ادعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه ، فروى أبو داود الطيالسي بإسناد صحيح عن رفاعه بن شداد قال « كنت أبطن شيء بالمختار فدخلت عليه يوماً فقال : دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي » وروى يعقوب بن سفيان بإسناد حسن عن الشعبي أن الإحنف بن قيس أراه كتاب المختار إليه يذكر أنه نبي ، وروى أبو داود في « السنن » من طريق إبراهيم النخعي قال قلت لعبيدة بن عمرو : أترى المختار منهم ؟ قال : أما إنه من الرعوس . وقتل المختار سنة بضع وستين . ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل . وخرج في خلافة بني العباس جماعة . وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة كمن وصفنا ، وقد أهلك الله تعالى من وقع له ذلك منهم وبقى منهم من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر ، وسيأتي بسط كثير من ذلك في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى .

[٣٦١٠]

٣٤٨٧- نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن

أبا سعيد الخدري قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه - وهو يقسم قسماً - أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله ، اعدل . فقال : « ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » . فقال عمر : يا رسول الله ، ائذن لي فيه أضرب عنقه ، فقال له : « دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية : ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نضيه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تدردر ، ويخرجون على حين فرقة من الناس » . قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه ، وأشهد أن علي بن أبي طالب

قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به ، حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه الذي نعتة .

[٣٦١١] ٣٤٨٨- فامحمد بن كثير قال أنا سفيان عن الأعمش عن خيشمة عن سويد بن غفلة قال : قال علي : إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه فلائن آخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة . سمعت النبي صلى الله عليه يقول : « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة » .

[الحديث ٣٦١١- أطرافه في : ٥٠٥٧ ، ٦٩٣٠ .]

الحديث الثاني والثلاثون حديث أبي سعيد في ذكرى ذى الخويصرة ، وقد تقدم طرف منه في قصة عاد من أحاديث الأنبياء ، وأحلت على شرحه في المغازي وهو في أواخرها من وجه آخر مطولا ، وقوله في هذه الرواية « فقال عمر ائذن لي أضرب عنقه » لا ينافي قوله في تلك الرواية « فقال خالد » لاحتمال أن يكون كل منهما سأل في ذلك . وقوله هنا « دعه فإن له أصحاباً » ليست الفاء للتعليل وإنما هي لتعقيب الأخبار والحجة لذلك ظاهرة في الرواية الآتية . وقوله « لا يجاوز » ويحتمل أنه لكونه لا تفقهه قلوبهم ويحملونه على غير المراد به ويحتمل ، أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله ، وقوله « يمرقون من الدين » إن كان المراد به الإسلام فهو حجة لمن يكفر الخوارج ، ويحتمل أن يكون المراد بالدين الطاعة فلا يكون فيه حجة وإليه جنح الخطابي ، وقوله « الرمية » بوزن فعيلة بمعنى مفعولة وهو الصيد المرمى ، شبه مروقههم من الدين بالسهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه ، ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يعلق من جسد الصيد شيء . وقوله « ينظر في نصله » أي حديدة السهم ، و « رصافه » بكسر الراء ثم مهملة ثم فاء أي عصبة الذي يكون فوق مدخل النصل ، والرصاف جمع واحد رصفة بحركات و « نضيه » بفتح النون وحكى ضمها وبكسر المعجمة بعدها تحتانية ثقيلة قد فسر في الحديث بالقدهج بكسر القاف وسكون الدال أي عود السهم قبل أن يراش وينصل ، وقيل هو ما بين الريش والنصل قاله الخطابي ، قال ابن فارس : سمي بذلك لأنه برى حتى عاد نضواً أي هزيلاً . وحكى الجوهري عن بعض أهل اللغة أن النضى النصل ، والأول أولى . و « القذذ » بضم القاف ومعجمتين الأولى مفتوحة جمع قذذة وهي ريش السهم يقال لكل واحدة قذذة ، ويقال هو أشبه به من القذذة بالقذذة لأنها تجعل على مثال واحد . وقوله « آيتهم » أي علامتهم ، وقوله « بضعة » بفتح الموحدة أي قطعة لحم ، وقوله « تدردر » بدالين وراءين مهملات أي تضطرب ، والدردرة صوت إذا اندفع سمع له اختلاط ، وقوله « على حين فرقة » أي زمان فرقة ، وهو بضم الفاء أي افتراق ، وفي رواية الكشميهني « على خير » بخاء معجمة وراء أي أفضل ، وفرقة بكسر الفاء أي طائفة وهي رواية

الإسماعيلي ، ويؤيد الأول حديث مسلم من وجه آخر عن أبي سعيد « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق » أخرجه هكذا مختصراً من وجهين ، وفي هذا وفي قوله صلى الله عليه وسلم « تقتل عماراً الفئة الباغية » دلالة واضحة على أن علياً ومن معه كانوا على الحق وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم ، والله أعلم . وقوله في آخر الحديث « فأتى به » أي بذى الخويصرة « حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعت » يريد ما تقدم من كونه أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة الخ ، قال بعض أهل اللغة : النعت يختص بالمعاني كالطول والقصر والعمى والحرس ، والصفة بالفعل كالضرب والجروح . وقال غيره : النعت للشيء الخاص والصفة أعم . الحديث الثالث والثلاثون حديث على في الخوارج وسيأتي شرحه في استتابة المرتدين . وقوله « سويد بن غفلة بفتح المعجمة والفاء » قال حمزة الكناني صاحب التيسار : ليس بصح لسويد عن علي غيره . وقوله « الحرب خدعة » تقدم ضبطه وشرحه في الجهاد وقوله « حدثاء الأسنان » أي صغارها ، و « سفهاء الأحلام » أي ضعفاء العقول . وقوله « يقولون من قول خير البرية » أي من القرآن كما في حديث أبي سعيد الذي قبله « يقرءون القرآن » وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم : لا حكم إلا الله ، وانتزعوها من القرآن وحملوها على غير محلها . وقوله « فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم في رواية الكشميनी » فإن قتلهم .

[٣٦١٢] ٣٤٨٩ - فامحمد بن المثنى قال نا يحيى عن إسماعيل قال نا قيس عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى النبي صلى الله عليه - وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة - فقلنا : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟ قال : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، ما يصده ذلك عن دينه . والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » .

[الحديث ٣٦١٢ - طرفاه في : ٣٨٥٢ ، ٦٩٤٣ .]

الحديث الرابع والثلاثون حديث خباب ، وسيأتي شرحه قريباً في « باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة » وقوله فيه « فجاء » كذا الأكثر بالجمع ، وقال عياض وقع في رواية الأصيلي بالحاء المهملة وهو تصحيف ، والفيح الباب الواسع ولا معنى له هنا .

قوله (حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت) يحتمل أن يريد صنعاء اليمن ، وبينها وبين حضرموت من اليمن أيضاً مسافة بعيدة نحو خمسة أيام ، ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهما أبعد بكثير ، والأول أقرب ، قال ياقوت : هي قرية على باب دمشق عند باب الفراديس تتصل بالعقبة . قلت : وسميت باسم من نزلها من أهل صنعاء اليمن .

[٣٦١٣]

٣٤٩٠- نا علي بن عبد الله قال نا أزهري بن سعد قال أنا ابن عون قال أنبأني موسى بن أنس

عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه. فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال: ما شأنك؟ قال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي فقد حبط عمله وهو من أهل النار. فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا. فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة. فقال: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة».

[الحديث ٢٦١٣- طرفه في: ٤٨٤٦].

الحديث الخامس والثلاثون حديث أنس في قصة ثابت بن قيس بن شماس.

قوله (أنبأني موسى بن أنس) كذا رواه من طريق أزهري عن ابن عون، وأخرجه أبو عوانة عن يحيى بن أبي طالب عن أزهري، وكذا أخرجه الإسماعيلي من رواية يحيى بن أبي طالب، ورواه عبد الله بن ابن أحمد بن حنبل عن يحيى بن معين عن أزهري فقال «عن ابن عون عن ثمامة بن عبد الله بن أنس بدل موسى بن أنس» أخرجه أبو نعيم عن الطبراني عنه وقال: لا أدري ممن الوهم، قلت: لم أراه في مستند أحمد، وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق ابن المبارك عن ابن عون عن موسى بن أنس قال «لما نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ فقد ثابت بن قيس في بيته» الحديث، وهذا صورته مرسل إلا أنه يقوى أن الحديث لابن عون عن موسى لا عن ثمامة.

قوله (افتقد ثابت بن قيس) أي ابن شماس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقع عند مسلم من وجه آخر عن أنس قال «كان ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار».

قوله (فقال رجل) وقع في رواية لمسلم من طريق حماد عن ثابت عن أنس «فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو ما شأن ثابت أشتكى؟ فقال سعد: إنه كان لجلري وما علمت له بشكوى» واستشكل ذلك الحفاظ بأن نزول الآية المذكورة كان في زمن الوفود بسبب الأقرع بن حابس وغيره وكان ذلك في سنة تسع كما سيأتي في التفسير وسعد بن معاذ مات قبل ذلك في بني قريظة وذلك سنة خمس، ويمكن الجمع بأن الذي نزل في قصة ثابت مجرد رفع الصوت والذي نزل في قصه الأقرع أول السورة وهو قوله ﴿لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ وقد نزل من هذه السورة سابقاً أيضاً قوله ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ فقد تقدم في كتاب الصلح من حديث أنس وفي آخره أنها نزلت في قصة عبد الله ابن أبي بن سلول «وفي السياق» وذلك قبل أن يسلم عبد الله «وكان لإسلام عبد الله بعد وقعة بدر، وقد روى الطبري وابن مردويه من طريق زيد بن الحباب «حدثني أبو ثابت بن ثابت بن قيس قال: لما نزلت هذه الآية فقد ثابت يبكي، فر به عاصم بن عدى فقال: ما يبكيك؟ قال: أتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في، فقال له رسول الله: أما ترضى أن تعيش حميداً» الحديث، وهذا لا يغير أن يكون الرسول

إليه من النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ . وروى ابن المنذر في تفسيره من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس في هذه القصة « فقال سعد بن عبادة يا رسول الله هو جاري » الحديث ، وهذا أشبه بالصواب لأن سعد بن عبادة من قبيلة ثابت بن قيس فهو أشبه أن يكون جاره من سعد بن معاذ لأنه من قبيلة أخرى .

قوله (أنا أعلم لك علمه) كذا للأكثر ، وفي رواية حكاهما الكرماني « ألا » بلام بدل النون وهي للتنبيه ، وقوله « أعلم لك » أي لأجلك وقوله « علمه » أي خبره .

قوله (كان يرفع صوته) كذا ذكره بلفظ الغيبة وهو التفتات ، ، وكان السياق يقتضي أن يقول كنت أرفع صوتي .

قوله (فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا) أي مثل ما قال ثابت إنه لما نزلت ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ جلس في بيته وقال : أنا من أهل النار ، وفي رواية لمسلم « فقال ثابت : أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً » .

قوله (فقال موسى بن أنس) هو متصل بالإسناد المذكور إلى موسى ، لكن ظاهره أن باقي الحديث مرسل ، وقد أخرجه مسلم متصلاً بلفظ « قال فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : بل هو من أهل الجنة » .

قوله (ببشارة عظيمة) هي بكسر الموحدة وحكى ضمها .

قوله (ولكن من أهل الجنة) قال الإسماعيلي : إنما يتم الغرض بهذا الحديث أي من إirاده في « باب علامة النبوة » بالحديث الآخر أي الذي مضى في كتاب الجهاد في « باب التحنط عند القتال » فإن فيه أنه قتل بالجمامة شهيداً يعني وظهر بذلك مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « إنه من أهل الجنة » لكونه استشهد . قلت : ولعل البخاري أشار إلى ذلك إشارة لأن مخرج الحديثين واحد والله أعلم . ثم ظهر لي أن البخاري أشار إلى ما في بعض طرق حديث نزول الآية المذكورة وذلك فيما رواه ابن شهاب عن إسماعيل بن محمد بن ثابت قال « قال ثابت بن قيس بن شماس : يا رسول الله إني أخشى أن أكون قد هلكت ، فقال : وما ذاك ؟ قال نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا جهير » الحديث ، وفيه « فقال له عليه الصلاة والسلام : أما ترضى أن تعيش سعيداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة » وهذا مرسل قوى الإسناد أخرجه ابن سعد عن معن بن عيسى عن مالك عنه ، وأخرجه الدارقطني في « الغرائب » من طريق إسماعيل بن أبي أويس عن مالك كذلك ، ومن طريق سعيد بن كثير عن مالك فقال فيه « عن إسماعيل عن ثابت بن قيس » وهو مع ذلك مرسل لأن إسماعيل لم يلحق ثابتاً ، وأخرجه ابن مردويه من طريق صالح بن أبي الأخضر عن الزهري فقال « عن محمد ابن ثابت بن قيس إن ثابتاً » فذكر نحوه ، وأخرجه ابن جرير من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري معضلاً ولم يذكر فوقه أحداً وقال في آخره « فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسيلمة » وأصرح من ذلك ما روى ابن سعد بإسناد صحيح أيضاً من مرسل عكرمة قال « لما نزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ﴾ الآية قال ثابت بن قيس : كنت أرفع صوتي فأنا من أهل النار ، فقعدي في بيته » فذكر الحديث نحو حديث أنس

وفي آخره « بل هو من أهل الجنة . فلما كان يوم اليمامة انهزم المسلمون فقال ثابت : أف لهؤلاء ولما يعبدون ، وأف لهؤلاء ولما يصنعون ، قال ورجل قائم على ثلثة فقتله وقتل » وروى ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس في قصة ثابت بن قيس فقال في آخرها « قال أنس : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم اليمامة كان في بعضنا بعض الإنكشاف ، فأقبل وقد تكفن وتحنط فقاتل حتى قتل » وروى ابن المنذر في تفسيره من طريق عطاء الخراساني قال « حدثني بنت ثابت ابن قيس قالت : لما أنزل الله هذه الآية دخل ثابت بيته فأغلق بابه - فذكر القصة مطولة وفيها قول النبي صلى الله عليه وسلم : تعيش حميداً وتموت شهيدياً » وفيها « فلما كان يوم اليمامة ثبت حتى قتل » .

[٣٦١٤]

٣٤٩١- نا محمد بن بشار قال نا غندر قال نا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء ابن عازب قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة ، فجعلت تنفر ، فسلم ، فإذا ضباباً أو سحابة غشيته ، فذكره للنبي صلى الله عليه فقال : « اقرأ فلان ، فإنها السكينة نزلت للقرآن ، أو تنزلت للقرآن » .

[الحديث ٣٦١٤ - طرفاه في : ٤٨٣٩ ، ٥٠١١ .]

الحديث السادس والثلاثون حديث البراء « قرأ رجل الكهف » هو أسيد بن حضير كما سيأتي بيان ذلك في فضائل القرآن بآتم منه .

[٣٦١٥]

٣٤٩٢- نا محمد بن يوسف قال أنا أحمد بن يزيد بن إبراهيم أبو الحسن الحراني قال نا زهير بن معاوية قال نا أبو إسحاق سمعت البراء بن عازب يقول : جاء أبو بكر إلى أبي في منزله فاشترى منه رحلاً ، فقال لعازب : ابعث ابنك يحمله معي ، قال : فحملته معه ، وخرج أبي ينتقد ثمنه ، فقال له أبي : يا أبا بكر ، حدثني كيف صنعتما حين سریت مع رسول الله صلى الله عليه ؟ قال : نعم ، أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة ، وخلا الطريق لا يمر فيه أحد ، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس فنزلنا عنده ، وسويت للنبي صلى الله عليه مكاناً بيدي ينأى عنه ، وبسطت عليه فروة وقلت : نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك . فنام . وخرجت أنفض ما حوله ، فإذا أنا براع مقبل بغنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أردنا . فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من أهل المدينة - أو مكة - قلت : أفي غنمك لبن ؟ قال : نعم . قلت : أفتحلب ؟ قال : نعم . فأخذ شاة ، فقلت : أنفض الضرع من التراب والشعر والقذى . قال : فرأيت البراء يضرب إحدى يديه على الأخرى وينفض . فحلب في قعب كثة من لبن ، ومعه إداوة حملتها للنبي صلى الله عليه يرتوي منها يشرب ويتوضأ ، فأتيت النبي صلى الله عليه ،

فكرهت أن أوقظه، فوافقته حين استيقظ، فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت: اشرب يا رسول الله، قال: فشرب حتى رضيت، ثم قال: «ألم يأن للرحيل». قلت: بلى. قال: فارتحلنا بعدما مالت الشمس، واتبعنا سراقه بن مالك، فقلت: أتينا يا رسول الله، فقال: «لا تحزن، إن الله معنا». فدعا عليه النبي صلى الله عليه وآله فارتطمت به فرسه إلى بطنها - أرى في جلد من الأرض، شك زهير - فقال: إني أراكما قد دعوتما علي، فادعوا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي صلى الله عليه وآله عليه، فنجا، فجعل لا يلقي أحداً إلا قال: قد كفيتمكم ما هنا، فلا يلقي أحداً إلا رده، قال: ووفى لنا.

الحديث السابع والثلاثون حديث البراء عن أبي بكر في قصة الهجرة، وقد تقدم شرح بعضه في آخر اللقطة، وقوله هنا في أوله «حدثنا محمد بن يوسف» هو البيهقي وهو من صغار شيوخه، وشيخه الآخر محمد بن يوسف الفريابي أكبر من هذا وأقدم سماعاً وقد أكثر البخاري عنه، وأحمد بن يزيد يعرف بالورتنسي بفتح الواو وسكون الراء وفتح المثناة وتشديد النون المكسورة بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة، وزهير بن معاوية هو أبو خيثمة الجعفي قال البزار: لم يرو هذا الحديث تماماً عن أبي إسحق إلا زهير وأخوه خديج وإسرائيل، وروى شعبة منه قصة اللبن خاصة، انتهى. وقد رواه عن إسحق مطولاً أيضاً حفيده يوسف بن إسحق بن أبي إسحق وهو في «باب الهجرة إلى المدينة» لكنه لم يذكر فيه قصة سراقه وزاد فيه قصة غيرها كما سيأتي.

قوله (جاء أبو بكر) أي الصديق (إلى أبي) هو عازب بن الحارث بن عدي الأوسي من قلماء الأنصار.

قوله (فاشترى منه رحلاً) بفتح الراء وسكون المهملة هو للناقة كالسرج للفرس.

قوله (إبعث ابنك يحمله معي) قال فحملته وخرج أبي ينتقد ثمنه، فقال له أبي: يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما) ووقع في رواية إسرائيل الآتية في فضل أبي بكر «إن عازباً امتنع من إرسال ابنه مع أبي بكر حتى يحدثه أبو بكر بالحديث» وهي زيادة ثقة مقبولة لا تنافي هذه الرواية، بل يحتمل قوله «فقال له أبي أي من قبل أن أحمله معه» أو أعاد عازب سؤال أبي بكر عن التحديث بعد أن شرطه عليه أولاً وأجابه إليه.

قوله (حين سريت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: نعم أسرينا) هكذا استعمل كل منهما لإحدى اللغتين، فإنه يقال سروت وأسريت في سير الليل.

قوله (ليلتنا) أي بعضها، وذلك حين خرجوا من الغار كما سيأتي بيانه في حديث عائشة في الهجرة إلى المدينة، ففيها أنهما لبثا في الغار ثلاث ليال ثم خرجا، وقوله «ومن الغد» فيه تجوز لأن السير الذي عطف عليه سير الليل.

قوله (حتى قام قائم الظهيرة) أي نصف النهار، وسمى قائماً لأن الظل لا يظهر حينئذ فكأنه واقف ووقع في رواية إسرائيل «أسرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا» أي دخلنا في وقت الظهر.

قوله (فرغت لنا صخرة) أى ظهرت .

قوله (لم تأت عليها) أى على الصخرة ، وللكشميني « لم تأت عليه » أى على الظل .

قوله (وبسطت عليه فروة) هى معروفة ، ويحتمل أن يكون المراد شئ من الحشيش اليابس ، لكن بقوى الأول أن فى رواية يوسف بن إسحق « ففرشت له فروة معى » وفى رواية خديج فى جزء لوين « فروة كانت معى » .

قوله (وأنا أنفض لك ما حولك) يعنى من الغبار ونحو ذلك حتى لا يثيره عليه الريح ، وقيل معنى النفض هنا الحراسة يقال نفضت المكان إذا نظرت جميع ما فيه ، ويؤيده قوله فى رواية إسرائيل « ثم انطلقت أنظر ما حولي هل أرى من الطلب أحداً » .

قوله (لرجل من أهل المدينة أو مكة) هو شك من الراوى أى اللفظين قال ، وكأن الشك من أحمد بن يزيد فإن مسلماً أخرجه من طريق الحسن بن محمد بن أعين عن زهير فقال فيه « لرجل من أهل المدينة » ولم يشك ، ووقع فى رواية خديج « فسمى رجلاً من أهل مكة » ولم يشك ، والمراد بالمدينة مكة ولم يرد بالمدينة النبوية لأنها حيثئذ لم تكن تسمى المدينة وإنما كان يقال لها يثرب ، وأيضاً فلم تجر العادة للرعاة أن يبعثوا فى المراعى هذه المسافة البعيدة ، ووقع فى رواية إسرائيل « فقال لرجل من قريش سماه فعرفته » وهذا يؤيد ما قررته لأن قريشاً لم يكونوا يسكنون المدينة النبوية إذ ذاك .

قوله (أفى غنمك لبن) بفتح اللام والموحدة ، وحكى عياض أن فى رواية « لب » يضم اللام وتشديد الموحدة جمع « لابن » أى ذوات لبن .

قوله (أفحلب ؟ قال نعم) الظاهر أن مراده بهذا الاستفهام أمعك إذن فى الحلب لمن يمر بك على سبيل الضيافة ؟ وبهذا التقرير يندفع الإشكال الماضى فى أواخر اللقطة وهو كيف استجاز أبو بكر أخذ اللبن من الراعى بغير إذن مالك الغنم ؟ ويحتمل أن يكون أبو بكر لما عرفه عرف رضاه بذلك بصداقته له أو إذنه العام لذلك ، وقد تقدم باقى ما يتعلق بذلك هنا .

قوله (فقلت انفض الضرع) أى ندى الشاة ، وفى رواية إسرائيل الآتية « وأمرته فاعتقل شاة » أى وضع رجلها بين فخذه أو ساقيه بمنعها من الحركة .

قوله (فأخذت قدحاً فحلبت) فى رواية « فأمرت الراعى فحلب » ويجمع بأنه تجوز فى قوله « فحلبت » ومراده أمرت بالحلب .

قوله (كنية) بضم الكاف وسكون المثناة وفتح الموحدة أى قدر قدح وقيل حلبة خفيفة ، ويطلق على القليل من الماء واللبن وعلى الجرعة تبقى فى الإناء وعلى القليل من الطعام والشراب وغيرهما من كل مجتمع .

قوله (واتبنا سراقة بن مالك) فى رواية إسرائيل « فارتحلنا والقوم يطالبوننا فلم يدركنا غير سراقة ابن مالك بن جعشم » .

قوله (فارتطمت) بالطاء المهملة أى غاصت قوائمها .

قوله (أرى) بضم الهمزة (فى جلد من الأرض شك زهير) أى الراوى هل قال هذه اللفظة أم لا ، والجلد بفتحين الأرض الصلبة ، وفى رواية مسلم أن الشك من زهير فى قول سراقه « قد علمت أنكما قد دعوتما على » ووقع فى رواية خديج بن معاوية وهو أخو زهير « ونحن فى أرض شديدة كأنها مخصصة ، فإذا بوقع من خلنى فالتفت فإذا سراقه ، فبكى أبو بكر فقال : أتينا يا رسول الله ، قال : كلا ، ثم دعا بدعوات » وستأتى قصة سراقه فى أبواب الهجرة إلى المدينة من حديث سراقه نفسه بآتم من سياق البراء فلذلك أخرت شرحها إلى مكانها . وفى الحديث معجزة ظاهرة ، وفيه فوائد أخرى يأتى ذكرها فى مناقب أبى بكر الصديق .

[٣٦١٦]

٣٤٩٣- نا معلى بن أسد قال نا عبد العزيز بن مختار قال نا خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه دخل على أعرابي يعودُهُ ، وكان النبي صلى الله عليه إذا دخل على مريض يعودُهُ قال : « لا بأس ، طهور إن شاء الله » . فقال له : « لا بأس ، طهور إن شاء الله » . قال : قلت : طهور؟ كلا ، بل هي حمى تفور - أو تشور - على شيخ كبير ، تزيرو القبور . فقال النبي صلى الله عليه : « فنعيم إذا » .

[الحديث ٣٦١٦ - أطرافه فى : ٥٦٥٦ ، ٥٦٦٢ ، ٧٤٧٠ .]

[٣٦١٧]

٣٤٩٤- نا أبو معمر قال نا عبد الوارث قال نا عبد العزيز عن أنس قال : كان رجل نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبي صلى الله عليه ، فعاد نصرانياً ، فكان يقول : ما يدري محمد إلا ما كتبت له ، فأماتهُ الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه . فحفروا له فأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا له وأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه .

الحديث الثامن والثلاثون حديث ابن عباس فى قصة الأعرابي الذى أصابته الحمى فقال « حمى تفور على شيخ كبير » الحديث ، وسيأتى شرحه فى كتاب الطب ، ووجه دخوله فى هذا الباب أن فى بعض طرقه زيادة تقتضى إيرادها فى علامات النبوة ، أخرجه الطبرانى وغيره من رواية شرحبيل والد عبد الرحمن فذكر نحو حديث ابن عباس ، وفى آخره « فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إذا أبيت فهى كما تقول قضاء الله كائن ، فما أمسى من الغد إلا ميتاً » وبهذه الزيادة يظهر دخول هذا الحديث فى هذا الباب . وعجبت للإسماعيلي كيف نيه على مثل ذلك فى قصة ثابت بن قيس وأغفله هنا . ووقع فى « ربيع الأبرار » أن اسم هذا الأعرابي

قيس ، فقال في « باب الأمراض والعلل » دخل النبي صلى الله عليه وسلم على قيس بن أبي حازم يعودده ، فذكر القصة . ولم أر تسميته لغيره ، فهذا إن كان محفوظاً فهو غير قيس بن أبي حازم أحد المخضرمين ، لأن صاحب القصة مات في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقيس لم ير النبي صلى الله عليه وسلم في حال إسلامه فلا صحبة له ، ولكن أسلم في حياته ، ولأبيه صحبة وعاش بعده دهرأ طويلاً . الحديث التاسع والثلاثون حديث أنس في الذي أسلم ثم ارتد فدفن فلفظته الأرض .

قوله (كان رجل نصرانياً) لم أقف على اسمه ، لكن في رواية مسلم من طريق ثابت عن أنس « كان منا رجل من بني النجار » .

قوله (فعاد نصرانياً) في رواية ثابت : فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب فرفعوه .

قوله (ما يدرى محمد إلا ما كتبت له) في رواية الإسماعيلي « وكان يقول ما أرى يحسن محمد إلا ما كنت أكتب له » وروى ابن حبان من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلامة عن أبي هريرة نحوه .

قوله (فأما الله) في رواية ثابت « فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم » .

قوله (لما هرب منهم) في رواية الإسماعيلي « لما لم يرض دينهم » .

قوله (لفظته الأرض) بكسر الفاء أى طرحته ورمته ، وحكى فتح الفاء .

قوله في آخره (فالفوه) في رواية ثابت « فتركوه منبوذاً » .

٣٤٩٥ - نا يحيى بن بكير قال نا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال وأخبرني ابن [٣٦١٨]

المسيب عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

٣٤٩٦ - نا قبيصة قال نا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة يرفعه قال : [٣٦١٩]

« إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » - وذكر وقال : « لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

الحديث الأربعون حديث أبي هريرة « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده » .

قوله (كسرى) بكسر الكاف ويجوز الفتح ، وهو لقب لكل من ولي مملكة الفرس ، وقيصر لقب لكل من ولي مملكة الروم ، قال ابن الأعرابي : الكسر أفصح في كسرى ، وكان أبو حاتم يختاره ، وأنكر الزجاج الكسر على ثعلب واحتج بأن النسبة إليه كسروى بالفتح ، ورد عليه ابن فارس بأن النسبة قد يفتح فيها ما هو في الأصل مكسور أو مضموم كما قالوا في بني تغلب بكسر اللام تغلبي بفتحها ، وفي سلامة كذلك ، فليس فيه حجة على تخطئة الكسر ، والله أعلم . وقد استشكل هذا مع بقاء مملكة الفرس لأن آخرهم قتل في زمان عثمان ، واستشكل أيضاً مع بقاء مملكة الروم ، وأجيب عن ذلك بأن المراد لا يبقى كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام ، وهذا منقول عن الشافعي قال : وسبب الحديث أن قريشاً كانوا يأتون الشام والعراق تجاراً ،

فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليهما لدخولهم في الإسلام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لهم تطيباً لقلوبهم وتبشيراً لهم بأن ملكهما سيزول عن الإقليمين المذكورين . وقيل الحكمة في أن قيصر بقي ملكه وإنما ارتفع من الشام وما والاها وكسرى ذهب ملكه أصلاً ورأساً أن قيصر لما جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قبله وكاد أن يسلم كما مضى بسط ذلك في أول الكتاب ، وكسرى لما أتاه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم مزقه فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أن يمزق ملكه كل ممزق فكان كذلك . قال الخطابي : معناه فلا قيصر بعده يملك مثل ما يملك ، وذلك أنه كان بالشام وبها بيت المقدس الذي لا يتم للنصارى نسك إلا به ، ولا يملك على الروم أحد إلا كان قد دخله إما سرّاً وإما جهراً ، فأجلى عنها قيصر واستفتحت خزائنه ولم يخلفه أحد من القياصرة في تلك البلاد بعده ، ووقع في الرواية التي في « باب الحرب خدعة » من كتاب الجهاد « هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده ، وليهلكن قيصر » قيل والحكمة فيه أنه قال ذلك لما هلك كسرى ابن هرمز كما سيأتي في حديث أبي بكر في كتاب الأحكام قال « بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملكوا عليهم امرأة » الحديث ، وكان ذلك لما مات شيرويه بن كسرى فأمرُوا عليهم بنته بوران ، وأما قيصر فعاش إلى زمن عمر سنة عشرين على الصحيح ، وقيل مات في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والذي حارب المسلمين بالشام ولده وكان يلقب أيضاً قيصر ، وعلى كل تقدير فالمراد من الحديث وقع لا محالة لأنهما لم تنق مملكتها على الوجه الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما قررته . قال القرطبي في الكلام على الرواية التي لفظها « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده » وعلى الرواية التي لفظها « هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده » : بين اللفظين بون ، ويمكن الجمع بأن يكون أبو هريرة سمع أحد اللفظين قبل أن يموت كسرى والآخر بعد ذلك ، قال : ويحتمل أن يقع التغاير بالموت والهلاك ، فقوله « إذا هلك كسرى » أي هلك ملكه وإرتفع ، وأما قوله « مات كسرى ثم لا يكون كسرى بعده » فالمراد به كسرى حقيقة اهـ . ويحتمل أن يكون المراد بقوله « هلك كسرى » تحقق وقوع ذلك حتى عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان لم يقع بعد للمبالغة في ذلك كما قال تعالى ﴿ أُنِىْ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ وهذا الجمع أولى لأن مخرج الروایتين متحد فحملة على التعدد على خلاف الأصل فلا يصار إليه مع إمكان هذا الجمع ، والله أعلم . الحديث الحادى والأربعون حديث جابر بن سمرة .

قوله (رفعه) تقدم في الجهاد ، ووقع في رواية الإسماعيلي التي سأذكرها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذا تقدم في فرض الخمس من رواية جرير عن عبد الملك بن عمير .

قوله (وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده) كذا ثبت لأبي ذر وسقط لغيره ، ووقع في رواية الإسماعيلي من وجه آخر عن قبيصة شيخ البخارى فيه ، ومن وجه آخر عن سفيان وهو الثوري مثل رواية الجماعة ، قال : وكذا قال لم يذكر قيصر وقال كنوزهما .

قوله (وذكر وقال : لتفقدن كنوزهما في سبيل الله) وقع في رواية النسفي « وذكره » وهو متجه كأنه يقول : وذكر الحديث ، أى مثل الذى قبله ، وأما على رواية الباقرين ففيه حذف تقديره : وذكر كلاماً أو حديثاً ، ولم تقع هذه الزيادة في رواية الإسماعيلي المذكورة .

[٣٦٢٠] ٣٤٩٧- نا أبو اليمان قال أنا شعيب عن عبد الله بن أبي حسين قال نا نافع بن جبير عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ففعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس - وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة جريد - حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدوا أمر الله فيك، ولن أدبرت ليعقرنك الله، وإنني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت».

[الحديث ٣٦٢٠ - أطرافه في: ٤٣٧٣، ٤٣٧٨، ٧٠٣٣، ٧٤٦١].

[٣٦٢١] ٣٤٩٨- فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهممني شأنهما، فأوحى إلي في المنام أن انفخهما، فنفختهما، فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي»، فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة.

[الحديث ٣٦٢١ - أطرافه في: ٤٣٧٤، ٤٣٧٥، ٤٣٧٩، ٧٠٣٤، ٧٠٣٧].

[٣٦٢٢] ٣٤٩٩- نا محمد بن العلاء قال نا حماد بن أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى أراه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو الهجر، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤياي هذه أني هزرت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرت أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها بقراً والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله من الخير وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر».

[الحديث ٣٦٢٢ - أطرافه في: ٣٩٨٧، ٤٠٨١، ٧٠٣٥، ٧٠٤١].

الحديث الثاني والأربعون حديث ابن عباس في قنوم مسيلمة، وفيه قول ابن عباس «فأخبرني أبو هريرة» فذكر المنام، وسيأتي شرح ذلك كله مبسوطاً في أواخر المغازي، وقد ذكره هناك بالإسناد المذكور الحديث الثالث والأربعون حديث أبي موسى في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالهجرة وبأحد وسيأتي في ذكر غزوة أحد بهذا الإسناد بعينه وأذكر هناك شرحه إن شاء الله تعالى، وقد أفرد ما يتعلق منه بغزوة بدر في «باب فضل من شهد بدرأ» وشرحته هناك، وعلق في «باب الهجرة إلى المدينة» أوله عن أبي موسى، وذكرت شرحه أيضاً هناك.

[٣٦٢٣] ٣٥٠٠- نا أبو نعیم قال نا زکریاء عن فراس عن عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه، فقال النبي صلى الله عليه: «مرحباً بابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه -أو عن شماله- ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عما قال. فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه، حتى قبض النبي صلى الله عليه^(١) فسألتها. فقالت: أسر إلي: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي»، فبكت. فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة -أو نساء المؤمنين-» فضحكت لذلك.

[الحديث ٣٦٢٣- أطرافه في: ٣٦٢٥، ٣٧١٥، ٤٤٣٣، ٦٢٨٥].

[الحديث ٣٦٢٤- أطرافه في: ٣٦٢٦، ٣٧١٦، ٤٤٣٤، ٦٢٨٦].

[٣٦٢٥] ٣٥٠١- نا يحيى بن قزعة قال نا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة قالت: دعا النبي صلى الله عليه فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها^(٢) فسارها فضحكت، قالت فسألتها عن ذلك. فقالت: سارني النبي صلى الله عليه فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكت، ثم سارني فأخبرني أنني أول أهل بيته أتبعه فضحكت.

[٣٦٢٧] ٣٥٠٢- نا محمد بن عرعة قال نا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب يدني ابن عباس، فقال له عبد الرحمن بن عوف: إن لنا أبناء مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمر ابن عباس عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال: أجل رسول الله صلى الله عليه أعلمه إياه، قال: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

[الحديث ٣٦٢٧- أطرافه في: ٤٢٩٤، ٤٤٣٠، ٤٩٦٩، ٤٩٧٠].

[٣٦٢٨] ٣٥٠٣- نا أبو نعیم قال نا عبد الرحمن بن سليمان بن حنظلة بن الغسيل قال نا عكرمة عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار، حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام، فمن ولي منكم شيئاً يضر فيه قوماً

(١) الرقمان ٣٦٢٣ و ٣٦٢٤ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

(٢) الرقمان ٣٦٢٥ و ٣٦٢٦ هما لحديث واحد جعله محمد فؤاد عبد الباقي حديثين.

وينفع آخرين فليقبل من مُحسنهم ويتجاوز عن مسيئهم». فكان آخر مجلس جلس فيه النبي صلى الله عليه.

[٣٦٢٩] ٣٥٠٤ - نا عبد الله بن محمد قال نا يحيى بن آدم قال نا حسين الجعفي عن أبي موسى عن الحسن عن أبي بكره أخرج النبي صلى الله عليه ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر قال: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

[٣٦٣٠] ٣٥٠٥ - نا سليمان بن حرب قال نا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن أنس ابن مالك أن النبي صلى الله عليه نعى جعفرًا وزيدًا قبل أن يجيء خبرهم، وعيناه تذرفان.

[٣٦٣١] ٣٥٠٦ - نا عمرو بن عباس قال نا ابن مهدي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال النبي صلى الله عليه: «هل لكم من أنماط؟» قلت: وأنى تكون لنا الأنماط؟ قال: «أما إنها ستكون لكم الأنماط». فأنا أقول لها - يعني امرأته - أخري عنا أنماطك، فتقول: ألم يقل النبي صلى الله عليه: «إنها ستكون لكم الأنماط، فأدعها».

[الحديث ٣٦٣١ - طرفه في: ٥١٦١].

[٣٦٣٢] ٣٥٠٧ - نا أحمد بن إسحاق قال نا عبيد الله بن موسى قال نا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال: انطلق سعد بن معاذ معتمرًا، فنزل على أمية ابن خلف أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت؟ فبينا سعد يطوف إذا أبوجهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد. فقال أبوجهل: تطوف بالكعبة آمنًا وقد أويتم محمدًا وأصحابه؟ فقال: نعم، فتلاحيا بينهما. فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي. ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام. قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك - فجعل يمسه - فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمدًا يزعم أنه قاتلك. قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما نكذب محمدًا إذا حدث. فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي الشربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدًا يزعم أنه قاتلي. قالت: فوالله ما يكذب محمد. فلما خرجوا

إلى بدرٍ وجاء الصريخُ قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: فأراد ألا يخرج فقال له أبو جهل: إنك من أشرف الوادي، فسر يوماً أو يومين، فसार معهم، فقتله الله.

[الحديث ٣٦٣٢ - طرفه في: ٣٩٥٠].

[٣٦٣٤] ٣٥٠٨ - نا عباس بن الوليد النرسي قال نا معتمر قال سمعت أبي قال نا أبو عثمان قال أنبت أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام، فقال النبي صلى الله عليه لأُم سلمة: «من هذا؟» - أو كما قال - قالت: هذا دحية. قالت أم سلمة: أيم الله ما حسبتُه إلا إياه، حتى سمعتُ خطبة نبي الله صلى الله عليه بخبر جبريل، أو كما قال. قال: فقلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد.

[الحديث ٣٦٣٤ - طرفه في: ٤٩٨٠].

[٣٦٣٣] ٣٥٠٩ - نا عبد الرحمن بن شعبة قال أخبرني عبد الرحمن بن مغيرة عن أبيه عن موسى ابن عقبة عن سالم بن عبد الله عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه قال: «رأيتُ الناس مجتمعين في صعيدٍ، فقام أبوبكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي بعض نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غرباً، فلم أر عبقرياً في الناس يفري فريه، حتى ضرب الناس بعطن».

وقال همام: سمعتُ أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه: «فنزع أبوبكر ذنوبين».

[الحديث ٣٦٣٣ - أطرافه في: ٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ٧٠١٩، ٧٠٢٠].

الحديث الرابع والأربعون حديث عائشة «أقبلت فاطمة عليها السلام» الحديث في ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وإعلامه لها بأنها أول أهله لحوقاً به، أخرجه من وجهين، وسيأتي في أواخر المغازي في الوفاة مشروحاً وأذكر فيه وجه التوفيق بين الروایتين إن شاء الله تعالى. الحديث الخامس والأربعون حديث ابن عباس «كان عمر يدني ابن عباس» الحديث في معنى هذه الآية ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وسيأتي شرحه في تفسير سورة النصر. الحديث السادس والأربعون حديث ابن عباس أيضاً في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عمره، وفيه وصيته بالأنصار، وسيأتي شرحه في مناقب الأنصار إن شاء الله تعالى. الحديث السابع والأربعون حديث أبي بكرة في أن الحسن سيد وسيأتي شرحه في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى. الحديث الثامن والأربعون حديث أنس في قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، أورده مختصراً، وسيأتي شرحه في شرح غزوة مؤتة إن شاء الله تعالى. الحديث التاسع والأربعون حديث جابر في ذكر الأنماط، وهي جمع نمط بفتحات مثل خبر وأخبار، والنمط بساط له خمل رقيق، وسيأتي شرحه في النكاح

وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك لما تزوج ، وقوله هنا « فأنأ أقول ماها » يعني امرأته كذا في الأصل ، وسيأتى تسمية امرأته هناك . وفي استدلالها على جواز اتخاذ الأنماط بأخباره صلى الله عليه وسلم بأنها ستكون نظر ، لأن الإخبار بأن الشيء سيكون لا يقتضى إباحته إلا إن استدلل المستدل به على التقرير فيقول أخبر الشارع بأنه سيكون ولم ينه عنه فكأنه أقره ، وقد وقع قريب من هذا في حديث عدى بن حاتم الماضى في هذا الباب في خروج الظعينة من الحيرة إلى مكة بغير خفير ، فاستدل به بعض الناس على جواز سفر المرأة بغير محرم ، وفيه من البحث ما ذكر . الحديث الخمسون حديث عبد الله بن مسعود في إخبار سعد بن معاذ لأمية بن خلف أنه سيقتل ، وسيأتى شرحه مستوفى في أول المغازى إن شاء الله تعالى ، وقد شرحه الكرمانى على أن المراد بقول سعد بن معاذ لأمية بن خلف إنه قاتلك أى أبو جهل ، ثم استشكل ذلك بكون أبى جهل على دين أمية ، ثم أجاب بأنه كان السبب في خروجه وقتله فنسب قتله إليه ، وهو فهم عجيب ، وإنما أراد سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم يقتل أمية ، وسيأتى التصريح بذلك في مكانه بما يشئ الغليل إن شاء الله تعالى . الحديث الحادى والخمسون حديث أسامة بن زيد في ذكر جبريل ، وسيأتى شرحه في غزوة قريظة إن شاء الله تعالى . الحديث الثانى والخمسون حديث ابن عمر في رؤيا أبى بكر ينزع ذنوباً أو ذنوبين الحديث ، وسيأتى شرحه في تعبير الرؤيا إن شاء الله تعالى . الحديث الثالث والخمسون حديث أبى هريرة في ذلك ، أورد منه طرفاً معلقاً ، وهو موصول في التعبير أيضاً من هذا الوجه ومن غيره ، والله أعلم .

ب

قول الله عز وجل : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾

٣٥١ - نا عبد الله بن يوسف قال أنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن اليهود جاؤوا

[٣٦٣٥]

إلى رسول الله صلى الله عليه فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه : « ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ » فقالوا : نفضحهم ويجلدون . فقال عبد الله بن سلام : كذبت ، إن فيها للرجم . فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها . فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا فيها آية الرجم ، قالوا : صدق يا محمد . فيها آية الرجم . فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه فرجما . قال عبد الله : فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة .

قوله (باب قول الله تعالى : يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) أورد فيه حديث ابن عمر في قصة اليهوديين اللذين زنيا ، وسيأتى شرحه مستوفى في كتاب الجلود إن شاء الله تعالى ، ونذكر هناك تسمية من أبهم في هذا الخبر وقوله في آخره « قال عبد الله فرأيت الرجل » عبد الله المذكور هو ابن عمر راوى الحديث ، وقد وقع في الحديث ذكر عبد الله بن سلام وذكر عبد الله بن صوريا الأعور وليس واحد منهما مراداً بقوله « قال عبد الله »

ووجه دخول هذه الترجمة في أبواب علامات النبوة من جهة أنه أشار في الحديث إلى حكم التوراة وهو أنه لم يقرأ التوراة قبل ذلك فكان الأمر كما أشار إليه .

باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وآله فأراهم انشقاق القمر

[٣٦٣٦] ٣٥١١- نا صدقة بن الفضل قال أنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر على عهد النبي صلى الله عليه وآله شقتين ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « اشهدوا » .

[الحديث ٣٦٣٦ - أطرافه في : ٣٨٦٩ ، ٣٨٧١ ، ٤٨٦٤ ، ٤٨٦٥] .

[٣٦٣٧] ٣٥١٢- نا عبد الله بن محمد قال نا يونس قال نا شيبان عن قتادة عن أنس ... ح . وقال لي خليفة : نا يزيد بن زريع قال نا سعيد عن قتادة عن أنس أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر .

[الحديث ٣٦٣٧ - أطرافه في : ٣٨٦٨ ، ٤٨٦٧ ، ٤٨٦٨] .

[٣٦٣٨] ٣٥١٣- نا خلف بن خالد القرشي قال نا بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عراك ابن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود عن ابن عباس أن القمر انشق في زمان النبي صلى الله عليه وآله عليه .

[الحديث ٣٦٣٨ - طرفاه في : ٣٨٧٠ ، ٤٨٦٦] .

قوله (باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية ، فأراهم انشقاق القمر) فذكر فيه حديث ابن مسعود وأنس وابن عباس في ذلك ، وقد ورد انشقاق القمر أيضاً من حديث علي وحذيفة وجبير ابن مطعم وابن عمر وغيرهم ، فأما أنس وابن عباس فلم يحضرا ذلك لأنه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين ، وكان ابن عباس إذ ذاك لم يولد ، وأما أنس فكان ابن أربع أو خمس بالمدينة ، وأما غيرهما فيمكن أن يكون شاهد ذلك ، ومن صرح برؤية ذلك ابن مسعود ، وقد أورد المصنف حديثه هنا مختصراً وليس فيه التصريح بحضور ذلك ، وأورده في التفسير من طريق إبراهيم عن أبي معمر بتمامه وفيه « فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اشهدوا » وبين في رواية معلقة تأتي قبل هجرة الحبشة أن ذلك كان بمكة ، ووقع في رواية لأبي نعيم في « الدلائل من طريق عتبة بن عبد الله بن عتبة عن عم أبيه ابن مسعود » فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمني ونحن بمكة » وسيأتي بقية الكلام عليه إن شاء الله تعالى .

باب

[٣٦٣٩] ٣٥١٤- نا محمد بن المثنى قال نا معاذ قال ني أبي عن قتادة عن أنس أن رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه خرجا من عند النبي صلى الله عليه في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله.

[٣٦٤٠] ٣٥١٥- نا عبد الله بن أبي الأسود قال نا يحيى عن إسماعيل قال نا قيس قال سمعت المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه قال: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».

[الحديث ٣٦٤٠ - طرفاه في: ٧٣١١، ٧٤٥٩].

[٣٦٤١] ٣٥١٦- نا الحميدي قال نا الوليد قال ني ابن جابر قال ني عمير بن هاني أنه سمع معاوية يقول: سمعت النبي صلى الله عليه يقول: «لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». قال عمير فقال مالك بن يخامر: قال معاذ: «وهم بالشام»، فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذًا يقول: «وهم بالشام».

[٣٦٤٢] ٣٥١٧- نا علي بن عبد الله قال نا سفيان قال نا شبيب بن غرقدة قال سمعت الحنيفة بن عروة عن عروة أن النبي صلى الله عليه أعطاه دينارًا يشتري له به شاة، فاشترى له به شاتين، فباع إحداهما بدينار، فجاءه بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه.

قال سفيان كان الحسن بن عمارًا جاءنا بهذا الحديث عنه قال: سمعته شبيب بن عروة، فأتيته، فقال شبيب: إني لم أسمع من عروة، قال: سمعت الحنيفة يخبرونه عنه.

[٣٦٤٣] ٣٥١٨- ولكن سمعته يقول: سمعت النبي صلى الله عليه يقول: «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة»، قال: وقد رأيت في داره سبعين فرسًا. قال سفيان: يشتري له شاة كأنها أضحية.

[٣٦٤٤] ٣٥١٩- نا مسدد قال نا يحيى عن عبيد الله قال أخبرني نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه قال: «الخير في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

[٣٦٤٥] ٣٥٢٠ - نا قيس بن حفص قال نا خالد بن الحارث قال نا شعبة عن أبي التياح قال سمعت

أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه قال : « الخيل معقود في نواصيها الخير » .

[٣٦٤٦] ٣٥٢١ - نا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة

عن النبي صلى الله عليه قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر . فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله ، فأطال لها في مرج أو روضة ، فما أصابت في طيلها من المرج أو الروضة كانت له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستتت شرفاً أو شرفين كانت أرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت ولم يرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات . ورجل ربطها تغنياً وسترًا وتعففًا لم ينس حق الله في رقابها وظهورها ، فهي له كذلك ستر . ورجل ربطها فخراً ورياءً ونواءً لأهل الإسلام فهي وزر » . وسئل النبي صلى الله عليه عن الحمر فقال : « ما أنزل علي فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذة : (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) » .

[٣٦٤٧] ٣٥٢٢ - نا علي بن عبد الله قال نا سفيان قال نا أيوب عن محمد قال سمعت أنس بن مالك

يقول : صبح رسول الله صلى الله عليه خير بكرة وقد خرجوا بالمساحي ، فلما رأوه قالوا : محمد والخميس ، وأجالوا إلى الحصن يسعون ، فرفع النبي صلى الله عليه يديه وقال : « الله أكبر ، خربت خير ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

[٣٦٤٨] ٣٥٢٣ - نا إبراهيم بن المنذر قال نا ابن أبي الفديك عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن

أبي هريرة قال : قلت : يا رسول الله ، إني سمعت منك حديثاً كثيراً فأنساه . قال : « ابسط رداءك » ، فبسطت ، فغرف بيده فيه ثم قال : « ضمه » ، فضمته ، فما نسيت حديثاً بعد .

قوله (باب) كذا في الأصول بغير ترجمة ، وكان من حقه أن يكون قبل الباين الذين قبله لأنه ملحق بعلامات النبوة وهو كالفصل منها ، لكن لما كان كل من الباين راجعاً إلى الذي قبله وهو علامات النبوة سهل الأمر في ذلك . وذكر فيه أحاديث : الحديث الأول حديث أنس .

قوله (إن رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) هما أسيد بن حضير وعباد بن بشر ، وسيأتي بيان ذلك في فضائل الصحابة قريباً إن شاء الله تعالى . الحديث الثاني حديث المغيرة بن شعبة « لا يزال ناس من أمتي ظاهرين » الحديث ، وسيأتي الكلام عليه في الاعتصام إن شاء الله تعالى . الحديث الثالث والرابع حديث معاوية ومعاذ في المعنى ، والوليد في الإسناد هو ابن مسلم ، وابن جابر هو عبد الرحمن بن يزيد بن

جابر ، ومالك بن يخامر بضم التحتانية بعدها معجمة خفيفة والميم مكسورة وهو السكسكى نزل حص ، وما له في البخارى سوى هذا الحديث ، وقد أعاده بإسناده ومثله في التوحيد ، وهو من كبار التابعين ، وقد قيل إن له صحة ولا يصح ويأتى البحث في المراد بالذين لا يزالون ظاهرين قائمين بأمر الدين إلى يوم القيامة في كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى . الحديث الخامس حديث عروة وهر البارقي .

قوله (حدثنا شبيب بن غرقدة) هو بفتح المعجمة وموحدين وزن سعيد ، وغرقدة بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها قاف ، تابعي صغير ثقة عندهم ، ماله في البخارى سوى هذا الحديث .

قوله (سمعت الحى يتحدثون) أى قبيلته ، وهم منسوبون إلى بارقي جبل بايمن نزله بنو سعد بن عدى ابن حارثة بن عمرو بن عامر مزيقياً فنسبوا إليه ، وهذا يقتضى أن يكون سمعه من جماعة أقاربهم ثلاثة .

قوله (عن عروة) هو ابن الجعد أو ابن أبى الجعد ، وقد تقدم بيان الصواب من ذلك في ذكر الخيل من كتاب الجهاد .

قوله (أعطاه ديناراً يشترى له به شاة) في رواية أبى لييد عند أحمد وغيره « عن عروة بن أبى الجعد قال : عرض للنبي صلى الله عليه وسلم جلب ، فأعطاني ديناراً فقلت : أى عروة إئت الجلب فاشتر لنا شاة ، قال : فأتيت الجلب فساومت صاحبه فاشتريت منه شاتين بدينار .

قوله (فباع إحداهما بدينار) أى وبقي معه دينار . وفي رواية أبى لييد فلقيني رجل فساومني فبعته شاة بدينار ، وجئت بالدينار والشاة .

قوله (فدعا له بالبركة في بيعه) في رواية أبى لييد عن عروة « فقال : اللهم بارك له في صفقة يمينه » وفيه أنه أمضى له ذلك وارتضاه ، واستدل به على جواز بيع الفضولى ، وتوقف الشافعى فيه فتارة قال : لا يصح لأن هذا الحديث غير ثابت ، وهذه رواية المزنى عنه ، وتارة قال : إن صح الحديث قلت به ، وهذه رواية البويطى . وقد أجاب من لم يأخذ بها بأنها واقعة عين ، فيحتمل أن يكون عروة كان وكيلاً في البيع والشراء معاً ، وهذا بحث قوى يقف به الاستدلال بهذا الحديث على تصرف الفضولى والله أعلم . وأما قول الخطابى والبيهقى وغيرهما : أنه غير متصل لأن الحى لم يسم أحد منهم فهو على طريقة بعض أهل الحديث يسمون ما في إسناده مبهم مرسلاً أو منقطعاً ، والتحقيق إذا وقع التصريح بالسمع أنه متصل في إسناده مبهم ، إذ لا فرق فيما يتعاق بالاتصال والإنقطاع بين رواية المجهول والمعروف ، فالمبهم نظير المجهول في ذلك ، ومع ذلك فلا يقال في إسناده صرح كل من فيه بالسمع من شيخه أنه منقطع وإن كانوا أو بعضهم غير معروف .

قوله (وكان لو اشترى التراب لربح فيه) في رواية أبى لييد المذكورة قال « فلقد رأيتنى أقف بكناسة الكوفة فأربح أربعين ألفاً قبل أن أصل إلى أهلى » قال وكان يشترى الجوارى ويبيع .

قوله (قال سفيان) هو ابن عيينة ، وهو موصول بالإسناد المذكور .

قوله (كان الحسن بن عمار) هو الكوفى أحد الفقهاء المتفق على ضعف حديثهم ، وكان قاضى

بغداد في زمن المنصور ثاني خلفاء بني العباس ، ومات في خلافته سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومائة . وقال ابن المبارك : جرحه عندي شعبة وسفيان كلاهما . وقال ابن حبان : كان يدلّس عن الثقات ما سمعه من الضعفاء عنهم فالتصقت به تلك الموضوعات . قلت : وماله في البخاري إلا هذا الموضع .

قوله (جاءنا بهذا الحديث عنه) أي عن شبيب بن غرقدة .

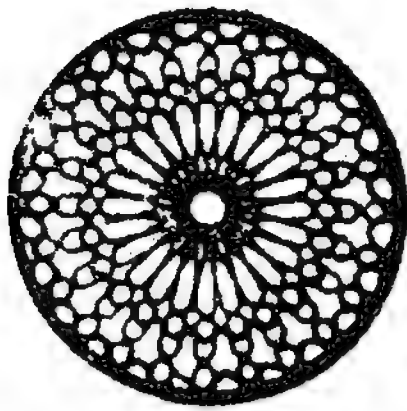
قوله (قال) أي الحسن (سمعه شبيب من عروة فأتيته) القائل سفيان والضمير لشبيب ، وأراد البخاري بذلك بيان ضعف رواية الحسن بن عماره وأن شبيباً لم يسمع الخبر من عروة وإنما سمعه من الحى ولم يسمعه عن عروة فالحديث بهذا ضعيف للجهل بحالهم ، لكن وجد له متابع عند أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه من طريق سميد بن زيد عن الزبير بن الحريث عن أبي ليلى قال حدثني عروة البارقي فذكر الحديث بمعناه ، وقد قدمت ما في روايته من الفائدة ، وله شاهد من حديث حكيم بن حزام وقد أخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان عن شبيب عن عروة ولم يذكر بينهما أحداً ، ورواية علي بن عبد الله وهو ابن المديني شيخ البخاري فيه تدل على أنه وقعت في هذه الرواية تسوية ، وقد وافق علياً على إدخاله الواسطة بين شبيب وعروة أحمد والحميدي في مسنديهما وكذا مسدد عند أبي داود وابن أبي عمر والعباس ابن الوليد عند الإسماعيلي ، وهذا هو المعتمد .

قوله (قال سفيان يشترى له شاة كأنها أضحية) هو موصول أيضاً ، ولم أر في شيء من طرقه أنه أراد أضحية ، وحديث الخليل تقدم الكلام عليه في الجهاد مستوفى ، وزعم ابن القطان أن البخاري لم يرد بسياق هذا الحديث إلا حديث الخليل ولم يرد حديث الشاة وبالغ في الرد على من زعم أن البخاري أخرج حديث الشاة محتجاً به لأنه ليس على شرطه لإبهام الواسطة فيه بين شبيب وعروة ، وهو كما قال لكن ليس في ذلك ما يمنع تخريجه ولا ما يحطه عن شرطه ، لأن الحى يمتنع في العادة تواطؤهم على الكذب ، ويضاف إلى ذلك ورود الحديث من الطريق التي هي الشاهد لصحة الحديث ، ولأن المقصود منه الذي يدخل في علامات النبوة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لعروة فاستجيب له حتى كان لو اشترى التراب لربح فيه . وأما مسألة بيع الفضولي فلم يردّها إذ لو أرادها لأوردّها في البيوع ، كذا قرره المنذرى ، وفيه نظر لأنه لم يطرد له في ذلك عمل ، فقد يكون الحديث على شرطه ويعارضه عنده ما هو أولى بالعمل به من حديث آخر فلا يخرج ذلك الحديث في بابه ويخرجه في باب آخر أخفى لينبه بذلك على أنه صحيح إلا أن ما دل ظاهره عليه غير معمول به عنده والله أعلم . الحديث السادس والسابع حديث ابن عمر وأنس في الخليل أيضاً . وقد تقدم في الجهاد أيضاً . الحديث الثامن حديث أبي هريرة « الخليل لثلاثة » وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في الجهاد ولم يظهر لي وجه إيراد هذه الأحاديث في أبواب علامات النبوة إلا أن يكون من جملة ما أخبر به فوق كما أخبر ، وقد تقدم تقرير هذا التوجيه في أوائل الجهاد في « باب الجهاد ماض مع البر والفاجر » . الحديث التاسع حديث أنس في قوله « الله أكبر ، خربت خيبر » وسيأتى شرحه مستوفى في المغازي ، ووجه إيراده هنا من جهة أنه فهم من قوله « خربت خيبر » الأخبار بذلك قبل وقوعه فوق كذا . الحديث العاشر حديث أبي هريرة في سبب عدم نسيانه الحديث ، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب العلم ، والله أعلم .

(خاتمة) : اشتملت المناقب النبوية من أول المناقب إلى هنا من الأحاديث المرفوعة وما لها حكم المرفوع على مائة وتسعة وتسعين حديثاً ، المعلق منها سبعة عشر طريقاً والبقية موصولة ، المكرر منها فيها وفيما مضى ثمانية وسبعون حديثاً والخالص مائة حديث وحديث ، وافقه مسلم على تخريجها سوى ثمانية وعشرين حديثاً وهي حديث ابن عباس في الشعوب ، وحديث زينب بنت أبي سلمة « من مضر » وفي النبل ، وحديث ابن عباس في تفسير « المودة في القربى » وحديث معاوية « إن هذا الأمر في قريش » وحديث عائشة والمسور في النذر ، وحديث وائلة « من أعظم الفري » وحديث أبي هريرة « أسلم وغفار خير من أسد وتميم » وحديث أبي هريرة في عمرو بن لحي ، وحديث ابن عباس « إن سرك أن تعلم جهل العرب » وحديث أبي هريرة « ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش » وحديث أبي بكر الصديق في قوله ، و « بأبي شبيه بالنبي » وحديث عبد الله بن بسر في صفة شيب النبي صلى الله عليه وسلم ، وحديث البراء « كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القمر » وحديث أبي هريرة « بعثت من خير قرون بني آدم » ، وحديث جابر « كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه » أورده معلقاً ، وحديث ابن مسعود « كنا نعد الآيات بركة » وحديث البراء « كنا بالحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها » الحديث ، وحديث جابر في حنين الجذع ، وحديث ابن عمر فيه ، وحديث عمرو بن تغلب في قتال الترك ، وحديث خباب « ألا تستنصر لنا » وحديث ابن عباس في الذي قال « شيخ كبير ، به حمى تفور » وحديث ابن عباس في تفسير « إذا جاء نصر الله » وحديثه في الوصية بالأنصار ، وحديث سعد بن معاذ في قتل أمية بن خلف ، وحديث معاذ في الذين لا يزالون ظاهرين بالشام . وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم سبعة آثار ، والله أعلم بالصواب .

تم الجزء السادس

ويليه - إن شاء الله - الجزء السابع أوله « باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم »



فهرس

الجزء السادس من فتح الباري

الصفحة	الباب	الصفحة	الباب
٤٣	ما يتعوذ من الجبن	٥	فضل الجهاد والسير
٤٣	من حدث بمشاهدته في الحرب		أفضل الناس مؤمن يحاهد بنفسه وماله في سبيل
٤٤	وجوب النفير، وما يجب من الجهاد والنية	٨	الله
٤٧	الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسد بعد ويقتل	١٣	الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء
٥٠	من اختار الغزو على الصوم	١٤	درجات المجاهدين في سبيل الله
٥٠	الشهادة سبع سوى القتل		الغدوة والروحة في سبيل الله، وقاب قوس
	قول الله عز وجل: ﴿لا يستوي القاعدون من	١٧	أحدكم من الجنة
٥٣	المؤمنين - غير أولي الضرر﴾	١٨	الخور العين وصفتهم
٥٤	الصبر عند القتال	٢٠	تمني الشهادة
٥٤	التحريض على القتال	٢٢	فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم
٥٤	حفر الخندق	٢٣	من ينكب في سبيل الله
٥٥	من حبسه العذر عن الغزو	٢٤	من يجرح في سبيل الله
٥٦	فضل الصوم في سبيل الله		قول الله عز وجل: ﴿هل تربصون بنا إلا إحدى
٥٧	فضل النفقة في سبيل الله	٢٥	الحسينين﴾ والحرب سجال
٥٨	فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير		قول الله عز وجل: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا
٦٠	التحفظ عند القتال	٢٦	ما عاهدوا الله عليه﴾
٦٢	فضل الطليعة	٢٩	عمل صالح قبل القتال
٦٣	هل يبعث الطليعة وحده	٣١	من أتاه سهم غرب فقتله
٦٣	سفر الاثنين	٣٣	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
٦٤	الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة	٣٥	من اغبرت قدماء في سبيل الله
٦٦	الجهاد ماض مع البر والفاجر	٣٦	مسح الغبار عن الناس في السبيل
٦٧	من احتبس فرساً	٣٧	الغسل بعد الحرب والغبار
٦٨	اسم الفرس والحمار		فضل قول الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا
٧١	ما يذكر من شؤم الفرس	٣٧	في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾
٧٥	الخيال لثلاثة	٣٨	ظل الملائكة على الشهيد
٧٧	من ضرب دابة غيره في الغزو	٣٩	تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا
٧٨	الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل	٤٠	الجنة تحت بارقة السيوف
٧٩	سهام الفرس	٤١	من طلب الولد للجهاد
٨١	من قاد دابة غيره في الحرب	٤٢	الشجاعة في الحرب والجبن
٨٢	الركاب والغرز للدابة		
٨٢	ركوب الفرس العربي		

الباب	الصفحة	الباب	الصفحة
الفرس القطوف	٨٣	ما قيل في دروع النبي صلى الله عليه والقميص	
السبق بين الخيل	٨٣	في الحرب	١١٦
إضمام الخيل للسبق	٨٣	الجبة في السفر والحرب	١١٨
غاية السبق للخيل المضمرة	٨٤	الحرير في الحرب	١١٨
ناقة النبي صلى الله عليه	٨٦	ما يذكر في السكين	١١٩
الغزو على الحمير	٨٧	ما قيل في قتال الروم	١٢٠
بغلة النبي صلى الله عليه	٨٨	قتال اليهود	١٢١
جهاد النساء	٨٩	قتال الترك	١٢٢
غزوة المرأة في البحر	٨٩	قتال الذين ينتعلون الشعر	١٢٣
حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه ..	٩١	من صف أصحابه عند الهزيمة، ونزل عن دابته	
غزو النساء وقتالهن مع الرجال	٩١	واستنصر	١٢٣
حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو	٩٢	الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ...	١٢٤
مداواة النساء الجرحى في الغزو	٩٤	هل يرشد المسلم أهل الكتاب، أو يعلمهم	
رد النساء الجرحى والقتلى	٩٤	الكتاب؟	١٢٦
نزع السهم من البدن	٩٤	الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم	١٢٦
الحراسة في الغزو في سبيل الله	٩٥	دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتلون عليه؟	١٢٧
فضل الخدمة في الغزو	٩٨	دعاء النبي صلى الله عليه الناس إلى الإسلام	
فضل من حمل متاع صاحبه في السفر	١٠٠	والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من	
فضل رباط يوم في سبيل الله	١٠٠	دون الله	١٢٨
من غزا بصبي للخدمة	١٠١	من أراد غزوة فورى بغيرها، ومن أحب الخروج	
ركوب البحر	١٠٣	يوم الخميس	١٣١
من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ...	١٠٣	الخروج بعد الظهر	١٣٣
لا يقول فلان شهيد	١٠٥	الخروج آخر الشهر	١٣٣
التحريض على الرمي	١٠٧	الخروج في رمضان	١٣٤
اللهو بالحرب ونحوها	١٠٩	التوديع	١٣٤
المجن ومن تترس بترس صاحبه	١٠٩	السمع والطاعة للإمام	١٣٥
الدرك	١١١	يقاتل من وراء الإمام ويتقى به	١٣٥
الحماثل وتعليق السيف في العنق	١١٢	البيعة في الحرب أن لا يفروا	١٣٦
ما جاء في حلية السيوف	١١٢	عزم الإمام على الناس فيما يطيقون	١٣٩
من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ..	١١٣	كان النبي صلى الله عليه إذا لم يقاتل أول النهار	
لبس البيضة	١١٣	آخر القتال حتى تزول الشمس	١٤٠
من لم ير كسر السلاح عند الموت	١١٤	استئذان الرجل الإمام	١٤١
تفرق الناس عن الإمام عند القائلة، والاستظلال		من غزا وهو حديث عهد بعمره	١٤٢
بالشجر	١١٤	من اختار الغزو بعد البناء	١٤٢
ما قيل في الرماح	١١٥	مبادرة الإمام عند الفرع	١٤٣

الصفحة	الباب
١٧٦	﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾
	هل للأسير أن يقتل ويخدع الذين أسروه حتى
١٧٧	ينجو من الكفرة؟
١٧٧	إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق؟
١٧٨	باب
١٧٩	حرق الدور والنخيل
١٨٠	قتل النائم المشرك
١٨١	لا تمنوا لقاء العدو
١٨٢	الحرب خدعة
١٨٤	الكذب في الحرب
١٨٥	الفتك بأهل الحرب
١٨٥	ما يجوز من الاحتيال والحذر مع من يخشى معرته
١٨٦	الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق
١٨٧	من لا يثبت على الخيل
	دواء الجرح بإحراق الحصى وغسل المرأة عن أبيها
١٨٧	الدم عن وجهه وحمل الماء في الترس
	ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب
١٨٨	وعقوبة من عصى إمامه
١٨٩	إذا فزعوا بالليل
	من رأى العدو فنادى بأعلى صوته يا صباحاه
١٨٩	حتى يسمع الناس
١٩٠	من قال خذها وأنا ابن فلان
١٩١	إذا نزل العدو على حكم رجل
١٩١	قتل الأسير وقتل الصبر
	هل يستأسر الرجل، ومن لم يستأسر، ومن ركع
١٩١	ركعتين عند القتل
١٩٣	فكاك الأسير
١٩٣	فداء المشركين
١٩٤	الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان
١٩٦	يقاتل عن أهل الذمة ولا يسترقون
١٩٦	جوائز الوفد
١٩٦	هل يستشفع إلى أهل الذمة؟ ومعاملتهم
١٩٨	التجمل للوفود
١٩٨	كيف يعرض الإسلام على الصبي؟
	قول النبي صلى الله عليه لليهود: «أسلموا

الصفحة	الباب
١٤٣	السرعة والركض في الفزع
١٤٣	الخروج في الفزع وحده
١٤٤	الجعائل والحملان في السبيل
١٤٥	الأجير
١٤٦	ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه
١٤٩	قول النبي صلى الله عليه: «نصرت بالرعب
	مسيرة شهر»
١٥٠	حمل الزاد في الغزو
١٥٢	حمل الزاد على الرقاب
١٥٢	إرداف المرأة خلف أخيها
١٥٣	الارتداف في الغزو والحج
١٥٣	الردف على الحمار
١٥٣	من أخذ بالركاب ونحوه
١٥٥	كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو
١٥٦	التكبير عند الحرب
١٥٧	ما يكره من رفع الصوت في التكبير
١٥٧	التسبيح إذا هبط وادياً
١٥٧	التكبير إذا علا شرفاً
١٥٨	يكتب للمسافر ما كان يعمل في الإقامة
١٦٠	السير وحده
١٦١	السرعة في السير
١٦٢	إذا حمل على فرس فرأها تباع
١٦٢	الجهاد بإذن الأبوين
١٦٤	ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل
	من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة أو
١٦٦	كان له عذر هل يؤذن له؟
١٦٦	الجاسوس
١٦٧	الكسوة للأسارى
١٦٨	فضل من أسلم على يديه رجل
١٦٨	الأسارى في السلاسل
١٦٩	فضل من أسلم من أهل الكتائب
١٧٠	أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري
١٧٢	قتل الصبيان في الحرب
١٧٢	قتل النساء في الحرب
١٧٣	لا يعذب بعذاب الله

الصفحة	الباب	الصفحة	الباب
٢٤٨	أهل الصفة والأرامل	٢٠٢	تسلموا
٢٥٠	قول الله عز وجل: ﴿فإن لله خمسة﴾		إذا أسلم قوم في دار الحرب، ولهم مال
٢٥٣	قول النبي صلى الله عليه: «أحلت لكم الغنائم»	٢٠٢	وأرضون، فهي لهم
٢٥٩	الغنيمة لمن شهد الواقعة	٢٠٥	كتابة الإمام للناس
٢٦٠	من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره؟	٢٠٧	إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر
	قسمة الإمام ما يقدم عليه، ويخبا لمن لم يحضره	٢٠٨	من تأمر في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو
٢٦١	أو غاب عنه	٢٠٩	العون بالمدد
	كيف قسم النبي صلى الله عليه قريظة والنضير؟	٢٠٩	من غلب العدو فأقام على عرصتهم ثلاثاً
٢٦٢	وما أعطى من ذلك من نوائبه	٢١٠	من قسم الغنيمة في غزوه وسفوره
	بركة الغنازي في ماله حياً وميتاً مع النبي صلى	٢١٠	إذا غنم المشركون مال المسلم ثم وجدته المسلم
٢٦٢	الله عليه وولاية الأمر	٢١٢	من تكلم بالفارسية والبطانة
	إذا بعث الإمام رسولاً في حاجة أو أمره بالمقام	٢١٤	الغلول
٢٧١	هل يسهم له؟	٢١٦	القليل من الغلول
	قال: ومن الدليل على أن الخمس لنواب	٢١٨	ما يكره من ذبح الإبل والغنم في المغام
٢٧١	المسلمين	٢١٨	البشارة في الفتوح
	ما من النبي صلى الله عليه على الأسارى من غير	٢١٩	ما يعطى البشير
٢٨٠	أن يخمس	٢١٩	لا هجرة بعد الفتح
٢٨١	ومن الدليل على أن الخمس للإمام		إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل
	من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه	٢٢٠	الذمة، والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن
٢٨٤	من غير الخمس وحكم الإمام فيه	٢٢١	استقبال الغزاة
	ما كان النبي صلى الله عليه يعطي المؤلفه قلوبهم	٢٢٢	ما يقول إذا رجع من الغزو
٢٨٧	وغيرهم من الخمس ونحوه	٢٢٣	الصلاة إذا قدم من سفر
٢٩٤	ما يصيب من الطعام في أرض الحرب	٢٢٤	الطعام عند القدوم

باب الجزية والموادعة

٢٩٧	الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب
	إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك
٣٠٨	لبقيتهم؟
٣٠٨	الوصاة بأهل ذمة رسول الله صلى الله عليه
	ما أقطع النبي صلى الله عليه من البحرين وما
	وعد من مال البحرين والجزية ولن يقسم الفيء
٣٠٩	والجزية
٣١١	إثم من قتل معاهداً بغير جرم
٣١٢	إخراج اليهود من جزيرة العرب
٣١٤	إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم

باب فرض الخمس

٢٢٦	فرض الخمس
٢٢٧	قصة فذك
٢٤٠	أداء الخمس من الإيمان
٢٤١	نفقة نساء النبي صلى الله عليه بعد وفاته
	ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وما
٢٤٢	نسب من البيوت إليهن
	ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وعصاه
٢٤٤	وسيفه وقدره وخاتمه
	الدليل على أن الخمس لنواب رسول الله صلى
	الله عليه والمساكين، وإيثار النبي صلى الله عليه

الصفحة	الباب
٤٠٢	خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ...
	إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن
	في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء،
٤٠٨	وخمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم ...
	إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن
٤١٤	في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء ...

الأنبياء

٤١٦	خلق آدم عليه السلام وذريته ...
٤٢٦	الأرواح جنود مجندة ...
٤٢٧	قول الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾
٤٣٠	﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ ...
٤٣١	إدريس وقول الله عز وجل: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾
٤٣٣	قول الله عز وجل: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾
٤٣٥	قول الله عز وجل: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾
	قول الله عز وجل: ﴿ويسألونك عن ذي
٤٣٩	القرنين﴾ ...
	قول الله عز وجل: ﴿واتخذ الله إبراهيم
٤٤٥	خليلاً﴾ ...
٤٥٥	يزفون: النسلان في المشي ...
٤٧٣	قوله: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ ...
	قول الله عز وجل: ﴿واذكر في الكتاب
٤٧٦	إسماعيل إنه كان صادق الوعد﴾ ...
٤٧٦	قصة إسحاق بن إبراهيم النبي صلى الله عليه ..
	﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال
٤٧٧	لبنيه﴾ ...
٤٧٨	﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ ...
	﴿فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم
٤٧٩	منكرون﴾ ...
	قول الله عز وجل: ﴿لقد كان في يوسف
٤٨١	وإخوته آيات للسائلين﴾ ...
	قول الله عز وجل: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني
٤٨٤	مسنى﴾ ...
	قول الله عز وجل: ﴿واذكر في الكتاب موسى
٤٨٦	إنه كان مخلصاً﴾ ...

الصفحة	الباب
٣١٤	دعاء الإمام على من نكث عهداً ...
٣١٥	أمان النساء وجوارهن ...
٣١٥	ذمة المسلمين وجوارهم واحدة يسعى بها أدناهم
٣١٦	إذا قالوا صلباًنا ولم يحسنوا أسلمنا ...
	الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره وإثم
٣١٧	من لم يف بالعهد ...
٣١٨	فضل الوفاء بالعهد ...
٣١٩	هل يعفى عن الذمي إذا سحر؟ ...
٣٢٠	ما يحذر من الغدر ...
٣٢٢	كيف ينبذ إلى أهل العهد؟ ...
٣٢٢	إثم من عاهد ثم غدر ...
٣٢٤	باب ...
٣٢٥	المصالحة على ثلاثة أيام أو وقت معلوم ...
٣٢٦	الموادعة من غير وقت ...
٣٢٦	طرح جيف المشركين في البئر ولا يؤخذ لهم ثمن
٣٢٧	إثم الغادر للبئر والفاجر ...

كتاب بدء الخلق

	ما جاء في قوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق
٣٣٠	ثم يعيده﴾ ...
٣٣٧	ما جاء في سبع أرضين ...
٣٤١	في النجوم ...
٣٤٢	صفة الشمس والقمر ...
	ما جاء في قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل
٣٤٦	الرياح نشرأ بين يدي رحمته﴾ ...
٣٤٨	ذكر الملائكة ...
	إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت
٣٥٩	إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ...
٣٦٥	ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ...
٣٧٨	صفة أبواب الجنة ...
٣٧٩	صفة النار وأنها مخلوقة ...
٣٨٥	صفة إبليس وجنوده ...
٣٩٥	ذكر الجن وثوابهم وعقابهم ...
٣٩٩	قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾
٣٩٩	قول الله عز وجل: ﴿وبث فيها من كل دابة﴾

الصفحة	الباب
٥٧٨	حديث أبرص وأقرع وأعمى
٥٨١	﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف﴾
٥٨٤	حديث الغار
٥٩١	باب
	قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم
٦٠٧	من ذكر وأنثى﴾
٦١٦	مناقب قريش
٦٢١	نزل القرآن بلسان قريش
٦٢١	نسبة اليمن إلى إسماعيل
٦٢٣	باب
٦٢٦	ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع ...
٦٣٠	ذكر قحطان
٦٣١	ما ينهى من دعوة الجاهلية
٦٣٢	قصة خزاعة
٦٣٥	قصة إسلام أبي ذر - قصة زمزم -
٦٣٦	قصة زمزم وجهل العرب
٦٣٦	من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ...
٦٣٨	ابن أخت القوم، ومولى القوم منهم ...
	قصة الحبش وقول النبي صلى الله عليه: «يا بني
٦٣٩	أرفدة»
٦٣٩	من أحب لا يسب نسبه
٦٤١	ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه ...
٦٤٥	خاتم النبيين
٦٤٦	وفاة النبي صلى الله عليه
٦٤٧	كنية النبي صلى الله عليه
٦٤٨	باب
٦٤٨	خاتم النبوة
٦٥١	صفة النبي صلى الله عليه
٦٧٠	كان النبي صلى الله عليه تنام عينه ولا ينام قلبه ..
٦٧١	علامات النبوة في الإسلام
	قول الله عز وجل: ﴿يعرفونه كما يعرفون
٧٢٩	أبنائهم﴾
	سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه آية
٧٣٠	فأراهم انشقاق القمر
٧٣١	باب

الصفحة	الباب
٤٨٧	قوله عز وجل: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ ..
٤٩٣	﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ ..
	وقول الله عز وجل: ﴿وهل أتاك حديث موسى
٤٩٣	- وكلم الله موسى تكليمًا﴾
	قول الله عز وجل: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين
٤٩٥	ليلة﴾
٤٩٦	طوفان من السيل
٤٩٧	حديث الخضر مع موسى عليهما السلام
٥٠٢	باب
٥٠٥	﴿يعكفون على أصنام لهم﴾
	﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا
٥٠٦	بقرة﴾
٥٠٨	وفاة موسى وذكره بعد
٥١٤	قول الله عز وجل: ﴿وضرب الله مثلاً﴾
٥١٦	﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾
٥١٧	قول الله عز وجل: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ ..
٥١٩	قول الله عز وجل: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ ..
٥٢١	﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ ..
٥٢٢	قول الله عز وجل: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾
٥٢٥	﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾
	قوله عز وجل: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم
٥٢٧	العبد إنه أواب﴾
٥٣٦	قول الله عز وجل: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ ..
٥٣٨	باب
٥٣٩	قوله: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكرياء﴾
	قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت
٥٤٠	من أهلها﴾
٥٤٢	﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك﴾ ..
	قوله تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله
٥٤٣	ييشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ ..
٥٤٦	قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ ..
	قول الله عز وجل: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ
٥٤٨	انتبذت من أهلها﴾
٥٦٦	نزول عيسى ابن مريم عليه السلام
٥٧٠	ما ذكر عن بني إسرائيل